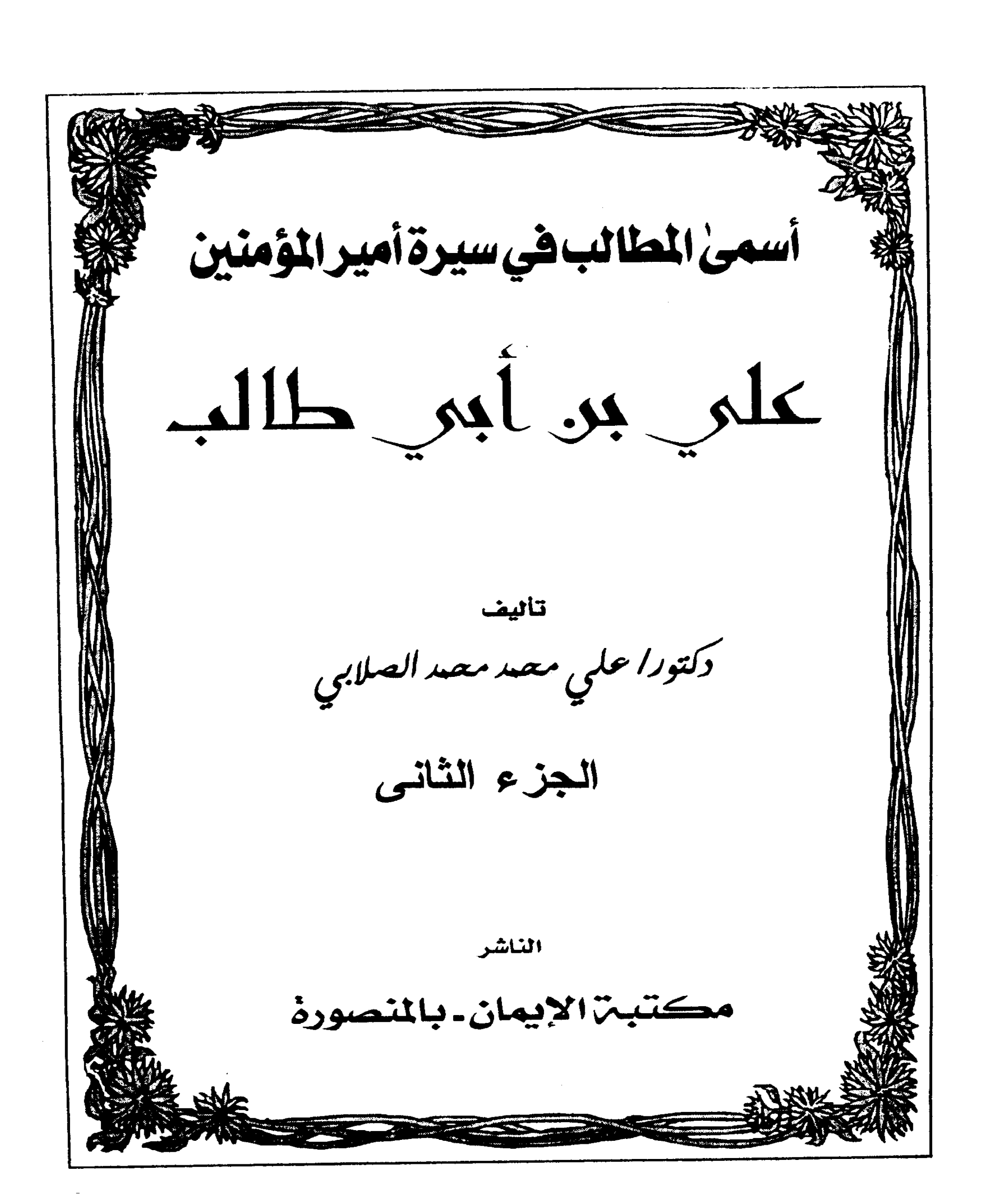


أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين

علي بن أبي طالب

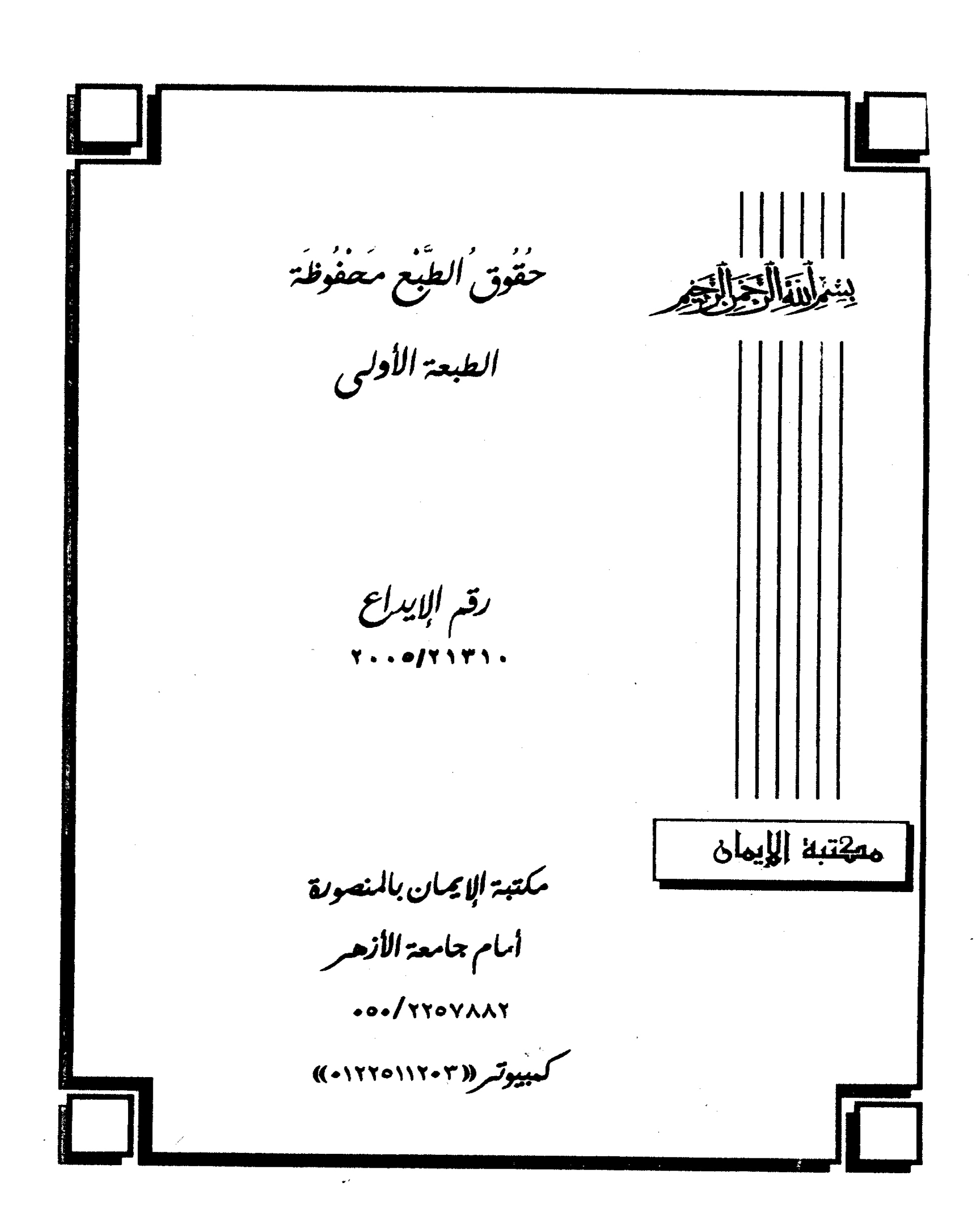
تاليف

دكتور / علي محمد محمد الصلابي

الجزء الثانى

الناشر

مكتبة الإيمان - بالمنصورة



بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى

رقم الإيداع
٢١٣١٠/٢٠٠٥

مكتبة الإيمان

مكتبة الإيمان بالمنصورة
أمام جامعة الأزهر
٠٥٠/٢٢٥٧٨٨٢
كمبيوتر «٠١٢٢٥١١٢٠٣»

الفصل السادس
معركتي الجمل وصفين وقضية التحكيم

قال (تعالى): ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ * إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات: ٩، ١٠].

عن أنس بن مالك: قال قيل للنبي (ﷺ): لو أتيت عبد الله بن أبي؟ قال فانطلق إليه. وركب حمارا، وانطلق المسلمون وهي أرض سبخة [١]، فلما أتاه النبي (ﷺ) قال: إليك عني، فو الله لقد أذاني نتن حمارك. قال: فقال رجل من الأنصار: والله، لحمار رسول الله أطيب ريحا منك. قال: فغضب لعبد الله رجل من قومه. قال: فغضب لكل واحد منهما أصحابه. قال: فكان بينهم ضرب بالجريد وبالأيدي وبالنعال. قال: فبلغنا أنها نزلت فيهم: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾ [٢] [الحجرات: ٩].

وعن الحسن عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، قوله: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ﴾ فإن الله (سبحانه) أمر النبي (ﷺ) والمؤمنين إذا اقتتلت طائفتان من المؤمنين أن يدعوهم إلى حكم الله، وينصف بعضهم من بعض، فإن أجابوا حكم فيهم بكتاب الله، حتى ينصف المظلوم من الظالم، فمن أبى منهم أن يجتنب فهو باغ، فحق على إمام المؤمنين أن يجاهدهم ويقاتلهم، حتى يفيئوا إلى أمر الله، ويقروا بحكم الله [٣].

وفي قوله (تعالى): ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾ أي إذا تقاتل فريقان من المسلمين، فيجب على ولاة الأمور الإصلاح بالنصح والدعوة إلى حكم الله والإرشاد وإزالة الشبه وأسباب الخلاف، والتعبير بـ (إن) للإشارة إلى أنه لا ينبغي أن يقع القتال بين المسلمين، وأنه إذا وقع فإنه نادر قليل، والخطاب في الآية لولاة الأمور، والأمر فيها للوجوب [٤]، وقد استدل البخاري وغيره بهذا على أن المعصية وإن عظمت لا تخرج من الإيمان، خلافا للخوارج القائلين بأن مرتكب الكبيرة كافر وهو في النار، وثبت في صحيح البخاري عن أبي بكرة رضي الله عنه قال: إن رسول الله (ﷺ) خطب يوما، ومعه على المنبر الحسن بن علي رضي الله عنهما، فجعل ينظر إليه مرة، وإلى الناس أخرى، ويقول: «إن ابني هذا سيد، ولعل الله (تعالى) أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين» [٥]. فكان

(١) أرض سبخة: هي الأرض التي تعلوها الملوحة ولا تكاد تنبت إلا بعض الشجر.
(٢) البخاري رقم ٢٦٩١، مسلم رقم ١٧٩٩. (٣) التفسير الصحيح، حكمت البشير (٤/٣٦٩).
(٤) التفسير المنير للزجلي (٢٦/٢٣٧). (٥) البخاري، رقم (٧١٠٩).

كما قال (ﷺ) أصلح الله (تعالى) به بين أهل الشام وأهل العراق بعد الحروب التي وقعت بينهما[٦] في قوله (تعالى): ﴿فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الحجرات: ٩] أي فإن اعتدت وتجاوزت الحد إحدى الفئتين على الأخرى، ولم تذعن لحكم الله وللنصيحة، فعلى المسلمين أن يقاتلوا هذه الطائفة الباغية، حتى ترجع إلى حكم الله وما أمر به من عدم البغي، والقتال يكون بالسلاح وبغيره، ويفعل الوسيط ما يحقق المصلحة، وهي الفيئة، فإن تحقق المطلوب بما دون السلاح كان ذلك، وإن تعين السلاح وسيلة فعل حتى الفيئة وفي قوله (تعالى): ﴿فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ أي رجعت الفئة الباغية في بغيها، بعد القتال، ورضيت بأمر الله وحكمه، فعلى المسلمين أن يعدلوا بين الطائفتين في الحكم، ويتحروا الصواب المطابق لحكم الله، ويأخذوا على يد الطائفة الظالمة حتى تخرج من الظلم، وتؤدي ما يجب عليها للأخرى، حتى لا يتجدد القتال بينهما مرة أخرى، واعدلوا أيها الوسطاء في الحكم بينهما، إن الله يحب العادلين ويجازيهم أحسن الجزاء، وهذا أمر بالعدل في كل الأمور[٧]. قال رضي الله عنه: المقسطون عند الله يوم القيامة على منابر من نور، على يمين العرش، الذين يعدلون في حكمهم وأهاليهم وما ولوا[٨] ثم أمر الله (تعالى) بالإصلاح في غير حال القتال ولو في أدنى اختلاف فقال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ...﴾ [الحجرات: ٩] فهذه الآية أصل من الأصول التي تنظم علاقة المسلم بأخيه المسلم[٩] إن الله (تعالى) لم ينف صفة الإيمان عن إحدى الطائفتين أو كليهما مع وقوع القتال بينهما وإن أولى الناس بالدخول تحت معنى هذه الآية هم سادات المؤمنين الصحابة الكرام سواء ما وقع في معركة الجمل أو صفين، وقد قام أمير المؤمنين علي رضي الله عنه بتطبيق هذه الآية من حرص على الإصلاح وقد استجاب طلحة والزبير لذلك إلا أن أتباع عبد الله بن سبأ أنشبوا الحرب بين الطرفين، وسيأتي بيان ذلك في محله بإذن الله وحرص أمير المؤمنين على الإصلاح مع أهل الشام وبذل ما في وسعه من طرق سلمية وجرد سيفه بعد فشل كل المحاولات الإصلاحية لكي يفيء معاوية رضي الله عنه إلى السمع والطاعة ووحدة الخلافة الإسلامية إلا أن معاوية اشترط تسليم قتلة عثمان رضي الله عنه، فاجتهد وأخطأ وكان الحق مع أمير المؤمنين علي ووقع القتال.

وقال (تعالى): ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ فأثبت الأخوة الإيمانية لجميع المتقاتلين من المسلمين ومن باب أولى ما وقع بين علي وطلحة والزبير رضي الله عنهم في الجمل وما وقع مع معاوية في صفين ومن هنا يظهر لنا أن المتقاتلين في الجمل وصفين مؤمنين ولا مجال

(٦) تفسير المنير (٢٦/٢٣٨).
(٧) المصدر نفسه (٢٦/٢٣٨).
(٨) مسلم.
(٩) سورة الحجرات، د/ ناصر العمر (ص ٣٠٥).

للطعن في الصحابة بسبب هذه الحوادث التاريخية أو محاولة نزع الإيمان عنهم أو نشر العبارات المنحرفة في حقهم ويكفي في الرد على تلك المقولات الباطلة أن هذه الآيات أثبتت لهم أخوة الإيمان وسيأتي بيان ما وقع بينهم بإذن الله (تعالى) بالتفصيل.

فقد ذكر الله (تعالى) أن المؤمنين إخوة في الدين، ويجمعهم أصل واحد وهو الإيمان، فيجب الإصلاح بين كل أخوين متنازعين، وزيادة في أمر العناية بالإصلاح بين الأخوين أمر الله (تعالى) بالتقوى، والمعنى: فأصلحوا بينهما، وليكن رائدكم في هذا الإصلاح وفي كل أموركم تقوى الله، وخشيته والخوف منه، بأن تلتزموا الحق والعدل، ولا تحيفوا ولا تميلوا لأحد الأخوين، فإنهم إخوانكم، والإسلام سوى بين الجميع، فلا تفاضل بينهم ولا فوارق، ولعلكم ترحمون بسبب التقوى وهي التزام الأوامر واجتناب النواهي[١٠]. وقد جعلت الآية الكريمة: الإصلاح بين الإخوة وتقوى الله سبب نزول رحمة الله، تعظيما لأمر الإصلاح بين المسلمين[١١]. ويلاحظ أنه قال: اتقوا الله عند تخاصم رجلين، ولم يقل ذلك عند إصلاح الطائفتين، لأنه في حالة تخاصم الرجلين يخشى اتساع الخصومة، وأما في حال تخاصم الطائفتين فإن أثر الفتنة أو المفسدة عام شامل الكل[١٢]، وكلمة (إنما) للحصر تفيد أنه لا أخوة إلا بين المؤمنين، ولا أخوة بين المؤمن والكافر، لأن الإسلام هو الرباط الجامع بين أتباعه، وتفيد أيضا أن أمر الإصلاح ووجوبه إنما هو عند وجود الأخوة في الإسلام، لا بين الكفار، فإن كان الكافر ذميا أو مستأمنا وجبت إعانته وحمايته ورفع الظلم عنه، كما تجب إعانة المسلم ونصرته مطلقا إن كان خصمه حربيا[١٣].

وقد قال ابن العربي: هذه الآية أصل في قتال المسلمين، والعمدة في حرب المتأولين، وعليها عول الصحابة، وإياها عني النبي (ﷺ): «**تقتل عمارا الفئة الباغية**». أي عمار بن ياسر الأمر بقتال البغاة فرض على الكفاية إذا قام به البعض سقط عن الباقين، ولذلك تخلف قوم من الصحابة رضي الله عنهم عن هذا الأمر، كسعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن عمر، ومحمد بن مسلمة وغيرهم، اعتذر إليه كل واحد منهم بعذر قبله منهم[١٤] أمير المؤمنين علي وهناك كثير من الأحكام سوف نراها من خلال سرد الوقائع التي حدثت بين الصحابة - بإذن الله (تعالى) :- ويعتبر نظام التحكيم وقتال الفئة الباغية حتى تفيء إلى أمر الله، نظام له السبق من حيث الزمن على محاولات البشرية في هذا الطريق، وله الكمال والبراءة من العيب والنقص الواضحين في كل محاولات البشرية البائسة القاصرة التي حاولتها في كل تجاربها الكسيحة وله بعد هذا وذاك صفة النظافة والأمانة والعدل المطلق، لأن الاحتكام فيه إلى أمر الذي لا يشوبه غرض ولا هوى ولا يتعلق به نقص أو قصور[١٥]. ولم تنته محاولات الإصلاح منذ اندلاع القتال حتى توج بالصلح العظيم الذي خطط له أمير المؤمنين الحسن بن علي رضي الله عنه.

---

(١٠) التفسير المنير (٢٦/ ٢٣٩).

(١١) منهج القرآن الكريم في إصلاح النفوس للحريري ص ١٦.

(١٢) التفسير المنير (٢٦/ ٢٣٩).

(١٣) المصدر نفسه (٢٦/ ٢٤٠).

(١٤) التفسير المنير (٢٦/ ٢٤٢)، أحكام القرآن (٤/ ١٥٠).

(١٥) في ظلال القرآن (٦/ ٣٣٤٤)

المبحث الأول

الأحداث التي سبقت معركة الجمل

كانت فتنة مقتل عثمان رضي الله عنه سببا في حدوث كثير من الفتن الأخرى وألقت بظلالها على أحداث الفتن التى تلتها، وقد ساهمت أسباب عديدة في فتنة مقتل عثمان رضي الله عنه، منها الرخاء وأثره في المجتمع، طبعية التحول الاجتماعي في عهده، مجيء عثمان بعد عمر، خروج كبار الصحابة من المدينة، العصبية الجاهلية، توقف الفتوحات، الورع الجاهل، طموح الطامحين، تآمر الحاقدين، التدبير المحكم لإثارة المآخذ ضد عثمان، استخدام الأساليب والوسائل المهيجة للناس، دور عبد الله بن سبأ في الفتنة وقد تم تفصيل تلك الأسباب في كتابي تيسير الكريم المنان في سيرة عثمان بن عفان[١٦] إن عثمان رضي الله عنه كان الناس يحبونه حبا عظيما، لحسن سياسته لمكانته من رسول الله (ﷺ) وأحاديثه في الثناء عليه وزواجه من ابنتيه حتى سمي بذي النورين. فهو من الصحابة الكبار الذين بشروا بالجنة ولقد تعرض للظلم في حياته من بعض الغوغاء وكان في استطاعته أن يقضي عليهم ولكنه امتنع خوفا من أن يكون أول من يسفك الدماء في أمة محمد (ﷺ) فقد كانت سياسته في التعامل مع الفتنة قائمة على الحلم والتأني والعدل وقد منع الصحابة من قتال الغوغاء وأحب أن يقي المسلمين بنفسه ولذلك كان مقتله سببا لحدوث كثير من الفتن الأخرى وألقت بظلالها على الأحداث المتتالية من الفتن ولقد كان مقتله عظيما على المسلمين ولذلك تصدع المجتمع الإسلامي لهذا الحادث الجلل، وانقسم الناس، ومما يزيد في مكانته وبراءته مما نُسبَ إليه مواقف الصحابة من قتله، فقد أجمع الجميع على براءته واتفقوا على الأخذ بدمه إلا أن المواقف اختلفت في الكيفية وهذا ما سيأتي بيانه بإذن الله. ونحب أن نسلط الأضواء على دور عبد الله بن سبأ في الفتنة عموما:

أولا: أثر السبئية في إحداث الفتن:

(١) السبئية حقيقة أم خيال: حقيقة عبد الله بن سبأ:

أجمع القدماء على وجوده بلا استثناء وخالف في ذلك قلة من المعاصرين أكثرهم من الشيعة، وحجة من أنكره أنه من إبداع مخيلة عمر بن سيف التميمي وذلك لانتقاد بعض علماء الرجال له في مجال رواية الحديث أن العلماء يعدونه حجة في الأخبار، علما بأنه وردت روايات كثيرة عند ابن عساكر تذكر أن عبد الله بن سبأ ليس من بين رواتها سيف بن عمر، وقد حكم الألباني على بعضها بأنها صحيحة من حيث السند[١٧]، وهذا غير الروايات الكثيرة عن ابن سبأ في كتب الشيعة سواء في كتب الفرق أو الرجال أو الحديث عندهم وليس فيها عمر هذا لا من قريب ولا من بعيد، وقد ابتدؤوا التشكيك في شخصية عبد الله

---

(١٦) عثمان بن عفان للصلابي ص ٣١١ إلى ٣٤٠

(١٧) دعاوي الإنقاذ للتاريخ الإسلامي، للعودة، ذكر فيها الطرق التي ذكرها الألباني.

ابن سبأ[١٨] ووجوده في محاولة منهم لنفي دور العنصر اليهودي الحاقد في زرع الفتنة بين المسلمين من جهة ومن جهة أخرى يوجه الاتهام للصحابة بأنهم سبب الفتنة بغرض هدم النموذج السامي والصور المشرقة لهم عند المسلمين وتابعهم على نفي وجود عبد الله بن سبأ بعض المعاصرين كلهم من الشيعة الرافضة لغاية في نفوسهم وهي محاولاتهم الفاشلة لتبرير أصل مذهبهم من مؤسسه الحقيقي كما أجمع القدماء جميعهم بما فيهم الشيعة وتجدر الإشارة أن من أنكر عبد الله بن سبأ من المحسوبين على أهل السنة هم ممن تأثروا وتتلمذوا على أيدي المستشرقين، فأين بلغ هؤلاء من قلة الحياء والجهل، وقد ملأت ترجمته كتب التاريخ والفرق، وتناقلت أفعاله الرواة وطبقت أخباره الآفاق لقد اتفق المؤرخون والمحدثون وأصحاب كتب الفرق والملل والنحل والطبقات والأدب والأنساب الذين تعرضوا للسبئية على وجود شخصية عبد الله بن سبأ الذي ظهر في أخبار الفتنة ودور ابن سبأ فيها لم يكن قاصرا على تاريخ الإمام الطبري، واستنادا على روايات سيف بن عمر التميمي فيه، إنما هي أخبار منتشرة في روايات المتقدمين، وفي ثنايا الكتب التي رصدت أحداث التاريخ الإسلامي، آراء الفرق والنحل في تلك الفترة إلا أن ميزة تاريخ الإمام الطبري على غيره أنه أغزرها مادة وأكثر تفصيلا لا أكثر، ولهذا فإن التشكيك في هذه الأحداث بلا سند وبلا دليل بحجة عدم ذكر عبد الله بن سبأ إلا من طريق سيف بن عمر حتى بعد ثبوت ذكره من روايات صحيحة ليس فيها سيف بن عمر كما أسلفنا. إنما يعني الهدم لكل تلك الأخبار، والتسفيه بأولئك المخبرين والعلماء وتزييف الحقائق التاريخية، فمتى كانت المنهجية ضربا من ضروب الاستنتاج العقلي المحض في مقابل النصوص والروايات المتضافرة؟ وهل تكون المنهجية في الضرب صفحا والإعراض عن المصادر الكثيرة المتقدمة والمتأخرة التي أثبتت لابن سبأ شخصية واقعية؟[١٩]، وقد جاء ذكر ابن سبأ في كتب أهل السنة كثيرا منها:

جاء ذكر السبئية على لسان أعشى همدان[٢٠] المتوفي عام ٨٣هـ وقد هجا المختار بن أبي عبيد الثقفي وأنصاره من أهل الكوفة بعدما فر مع أشراف قبائل الكوفة إلى البصرة بقوله:

شهدت عليكم أنكم سبئية ... وأني بكم يا شرطة الكفر عارف[٢١]

وهناك رواية عن الشعبي المتوفي عام ١٠٣هـ (٧٢١م) تفيد أن أول من كذب عبد الله بن سبأ[٢٢]، وتحدث ابن حبيب[٢٣] المتوفي عام ٢٤٥هـ (٨٦٠م) عن ابن سبأ حينما اعتبره أحد أبناء الحبشيات[٢٤]، وكما روى أبو عاصم خشيش بن أصرم المتوفى سنة ٢٥٣هـ خبر إحراق

(١٨) تحقيق مواقف الصحابة (١: ٢٨٤) ذكر تفصيلات مهمة وكذلك عبد الله بن سبأ وأثره في إحداث الفتنة في صدر الإسلام، للعودة.

(١٩) دعاوي الإنقاذ للتاريخ الإسلامي للعودة، تحقيق مواقف الصحابة (١/ ٧٠).

(٢٠) هو عبد الرحمن بن عبد الله بن الحارث الهمداني، المعروف بأعشى همدان.

(٢١) ديوان أعشى همدان ص ١٤٨.

(٢٢) تاريخ دمشق، ابن عساكر (٩/ ٣٣١).

(٢٣) تاريخ بغداد (٢/ ٢٧٧).

(٢٤) عبد الله بن سبأ للعودة ص ٥٣، المحبر، ابن حبيب ص ٣٠٨.

علي رضي الله عنه لجماعة من أصحاب ابن سبأ في كتابه الاستقامة(٢٥) ، ويعتبر الجاحظ(٢٦) المتوفى سنة ٢٥٥هـ من أوائل من أشار إلى عبد الله بن سبأ(٢٧) ، ولكن روايته ليست أقدم رواية عن ابن سبأ كما يرى الدكتور جواد علي(٢٨) ، وخبر إحراق علي بن أبي طالب رضي الله عنه لطائفة من الزنادقة تكشف عنه الروايات الصحيحة في كتب الصحاح والسنن والمسانيد(٢٩) ، ولفظ الزندقة ليس غريبا عن عبد الله بن سبأ وطائفته، يقول ابن تيمية: إن مبدأ الرفض إنما كان من الزنديق عبد الله بن سبأ(٣٠) ، ويقول الذهبي: عبد الله بن سبأ من غلاة الزنادقة، ضال مضل(٣١) ويقول ابن حجر: عبد الله بن سبأ من غلاة الزنادقة. . وله أتباع يقال لهم السبئية معتقدون الإلهية في علي بن أبي طالب، وقد أحرقهم علي بالنار في خلافته(٣٢) ، ويوجد لابن سبأ ذكر في كتب الجرح والتعديل، يقول ابن حبان المتوفى سنة ٣٥٤هـ وكان الكلبي ـ محمد بن السائب الأخباري ـ سبئيا، من أصحاب عبد الله بن سبأ، من أولئك الذين يقولون: إن عليا لم يمت، وإنه راجع إلى الدنيا قبل الساعة. . وإن رأوا سحابة قالوا: أمير المؤمنين فيها(٣٣) .كما أن كتب الأنساب هي الأخرى تؤكد نسبة السبئية، إلى عبد الله بن سبأ الذي تنسب إليه السبئية، وهم الغلاة من الرافضة، أصله من اليمن، كان يهوديا وأظهر الإسلام(٣٤) ، ولم يكن سيف بن عمر هو المصدر الوحيد لأخبار عبد الله بن سبأ، إذ أورد ابن عساكر في تاريخه روايات لم يكن سيف فيها وهي تثبت ابن سبأ وتؤكد أخباره(٣٥) ،ويذكر شيخ الإسلام ابن تيمية المتوفى سنة ٦٢٨هـ أن أصل الرفض من المنافقين الزنادقة، فإنه ابتداع ابن سبأ الزنديق وأظهر الغلو في علي يدعي الإمامة والنص عليه، وادعى العصمة له(٣٦) ، ويشير الشاطبي(٣٧) ،المتوفى عام ٧٩٠هـ إلى أن بدعة السبئية من البدع الاعتقادية المتعلقة بوجود إله مع الله (تعالى) وهي بدعة تختلف عن غيرها من المقالات(٣٨) ، وفي خطط المقريزي المتوفى عام ٨٤٥هـ، أن عبد الله بن سبأ قام من زمن

(٢٥) تذكرة الحفاظ (٢/ ٥٥١)، شذرات الذهب (٢/ ١٢٩).
(٢٦) وفيات الأعيان (٣/ ٤٧٠).
(٢٧) البيان والتبيين (٣/ ٨١).
(٢٨) تحقيق مواقف الصحابة (٨/ ٢٩٠).
(٢٩) عبد الله بن سبأ للعودة ص ٥٣.
(٣٠) مجموع الفتاوى (٢٨/ ٤٨٣).
(٣١) ميزان الاعتدال للذهبي (٢/ ٤٢٦).
(٣٢) لسان الميزان لابن حجر (٣/ ٣٦٠).
(٣٣) المجروحين من المحدثين، أبو حاتم (٢/ ٢٥٣).
(٣٤) الأنساب (٧/ ٢٤).
(٣٥) تحقيق مواقف الصحابة (١/ ٢٩٨)، عبد الله بن سبأ للعودة ص ٥٤.
(٣٦) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٤/ ٤٣٥).
(٣٧) إبراهيم بن موسى، محمد الغرناطي توفي عام ٧٩٠هـ.
(٣٨) الاعتصام (٢/ ١٩٧).

علي محدثا القوم بالوصية والرجعة والتناسخ[٣٩]، وأما المصادر الشيعية التي ذكرت ابن سبأ، فقد روى الكشي عن محمد بن قولوية، قال: حدثني سعد بن عبد الله، قال: حدثني يعقوب بن يزيد، ومحمد بن عيسى، عن علي بن مهزيار، عن فضالة بن أيوب الأزدي، عن أبان بن عثمان قال سمعت أبا عبد الله يقول: لعن الله عبد الله بن سبأ، إنه ادعى الربوبية في أمير المؤمنين وكان والله أمير المؤمنين عبدا طائعا، الويل لمن كذب علينا، وإن قوما يقولون فينا ما لا نقول في أنفسنا نبرأ إلى الله منهم[٤٠]، والرواية عند الشيعة من حيث السند صحيحة[٤١].

وفي كتاب الخصال أورد القمي الخبر نفسه، ولكن موصولا بسند آخر وأما صاحب روضات الجنات فقد ذكر ابن سبأ على لسان الصادق المصدوق الذي لعن ابن سبأ لاتهامه بالكذب والتزوير وإذاعة الأسرار والتأويل[٤٢]، وقد ذكر الدكتور سليمان العودة في كتابه مجموعة من النصوص التي تزخر بها كتب الشيعة ومروياتهم عن عبد الله بن سبأ، فهي أشبه ما تكون وثائق مسجلة تدين من حاول من متأخري الشيعة إنكار عبد الله بن سبأ، أو التشكيك في أخباره، بحجة قلة أو ضعف المصادر التي حكت أخباره[٤٣].

إن شخصية ابن سبأ حقيقة تاريخية لا لبس فيها في المصادر السنية والشيعية المتقدمة والمتأخرة على السواء، وهي كذلك أيضا عند غالبية المستشرقين أمثال: يوليوس فلهاوزن[٤٤] وفان فولتن[٤٥]، وليفي ديلافيدا[٤٦]، وجولد تسهير[٤٧]، ورينولد نكلسن[٤٨] ودايوت رونلدس[٤٩]،.. على حين يبقى ابن سبأ محك شك أو مجرد خرافة عند فئة قليلة من المستشرقين أمثال؛ كيتاني وبرنارد لويس[٥٠]، وفريد لندر المتأرجع[٥١]، علما بأننا لا نعتد بهم في أحداث تاريخنا.

ومن استقرأ المصادر، سواء القديمة أو المتأخرة، عند السنة والشيعة، يتأكد له بأن وجود ابن سبأ كان وجودا تؤكده الروايات التاريخية، وتفيض فيه كتب العقائد، وذكرته كتب

---

(٣٩) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المقريزي (٢/ ٢٥٦ ـ ٢٥٧).
(٤٠) رجال الكشي (١/ ٣٢٤).
(٤١) عبد الله بن سبأ الحقيقة المجهولة للشيعة لمحمد علي المعلم ص ٣٠.
(٤٢) عبد الله بن سبأ، سليمان العودة ص ٦٢.
(٤٣) المصدر نفسه ص ٦٢.
(٤٤) الخوارج والشيعة، يوليوس فلهاوزن ص ١٧٠.
(٤٥) السيادة العربية والشيعة والإسرائيليات ص ٨٠.
(٤٦) تحقيق مواقف الصحابة (١/ ٣٢١).
(٤٧) العقيدة والشريعة الإسلامية، جولد تسهير ص ٢٢٩.
(٤٨) تاريخ العرب الأدبي في الجاهلية ص٢٣٥.
(٤٩) عقائد الشيعة ص٥٨.
(٥٠) أصول الإسماعيلية ص٨٦.
(٥١) تحقيق مواقف الصحابة (١/ ٣١٢).

الحديث، والرجـال والأنساب، والأدب، واللغـة، وسار على هذا النهج كـثير من المحـققين والباحـثين المحدثين، ويبدو أن أول من شكك في وجـود ابن سبأ المستـشرقين، ثم دعم هذا الطرح الغالبية من الشيعة المعاصرين بل وأنكر بعضهم وجوده ألبتة، وبرز من الباحثين العرب المعاصـرين من أعجب بآراء المسـتشـرقين، ومن تأثر بكتابات الشـيعة المحـدثين ولكن هؤلاء جميعـا ليس لهم ما يدعمون به شكهم وإنكارهم إلا الشك ذاته والاستنـاد إلى مجرد الهوى والظنون والفـرضـيـات(٥٢) ومن أراد التوسع في مـعرفة المراجع والمصـادر السنية والشيعـية والاستشراقية التي ذكرت ابن سبأ فليراجع: تحقـيق مواقف الصحابة في الفتنة للدكتور محمد أمحزون، وعبد الله بن سبأ وأثره في أحداث الفـتنة في صدر الإسلام، للدكتور سليمان بن حمد العودة.

(٢) دور عبد الله بن سبأ في تحريك الفتنة:

في السنوات الأخيرة من خلافة عثمان رضي الله عنه بدت في الأفق سمات الاضطراب في المجتمع الإسلامي نتيـجة عوامل التغيير التي ذكرناها وأخذ بعض اليهـود يتحينون فرصة الظهور مستغلين عوامل الفتنة ومتظاهرين بالإسلام واستعمال التقية، ومن هؤلاء عبد الله بن سبأ الملقب بابن السوداء، وإذا كان ابن سبأ لا يجوز التهويل من شأنه كما فعل بعض المغالين في تضخيم دوره في الفتنة(٥٣) ،فإنه كذلك لا يجوز التشكيك فيه أو الاستهانة بالدور الذي لعبـه في أحداث الفتنة، كـعامل من عواملها، علـى أنه أبرزها وأخطرها، إذ أن هناك أجواء للفتنة مهدت له، وعوامـل أخرى ساعدته، وغاية ما جاء به ابن سبأ آراء ومـعتقدات ادعاها واخترعها من قبل نفـسه وافتعلها من يهوديته الحاقدة، وجعل يروجـها لغاية ينشدها وغرض يستهدفه، وهو الدس في المجتمع الإسـلامي بغية النيل من وحدته، وإذكاء نار الفتنة وغرس بذور الشقاق بين أفراده، فكان ذلك من جملة العوامل التي أدت إلى قتل أمير المؤمنين عثمان ابن عفان رضي الله عنه وتفرق الأمة شيعا وأحزابا(٥٤) ،وخلاصة ما جاء به أن أتى بمقدمات صادقـة وبنى عليها مـبادئ فاسـدة راجت لدى السذج الغلاة وأصـحاب الأهواء من الناس، وقد سلك في ذلك مسالك ملتوية لبس فيها عـلى من حوله حتى اجتمعوا عليه، فطرق باب القرآن بتأويله على زعمه الفاسـد حيث قال: لعجب ممن يزعم أن عيسى يرجع، ويكذب بأن مـحمـد يرجع، وقـد قال (تعـالى): ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ﴾ [القصص: ٨٥]. فمحمد أحق بالرجوع من عيسى(٥٥) ،كما سلك طريق القياس الفاسد من ادعاء إثبات الوصـية لعلي رضي الله عنه بقوله: إنه كـان ألف نبي ولكل نبي وصي، وكان علي وصي محمد ثم قال: محمـد خاتم الأنبياء وعلي خاتم الأوصياء(٥٦) ، وحينما اسـتقر

(٥٢) تحقيق مواقف الصحابة (١/ ٣١٢).
(٥٣) مثال سعيد الأفغاني في كتابه (عائشة والسياسة).
(٥٤) تحقيق مواقف الصحابة (١/ ٣٢٧).
(٥٥) تاريخ الطبري (٥/ ٣٤٧).
(٥٦) المصدر نفسه (٥/ ٣٤٧).

الأمر في نفوس أتباعه انتقل إلى هدفه المرسوم، وهو خروج الناس على الخليفة عثمان رضي الله عنه فصادف ذلك هوى في نفوس بعض القوم حيث قال لهم : من أظلم ممن لم يجز وصية رسول الله (ﷺ) ووثب على وصي رسول الله (ﷺ) وتناول أمر الأمة ؟ ثم قال لهم بعد ذلك: إن عثمان أخذها لغير حق، وهذا وصي رسول الله (ﷺ) فانهضوا في هذا الأمر فحركوه، وابدؤوا بالطعن على أمرائكم وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تستميلوا الناس وادعوهم إلى هذا الأمر[٥٧] ، وبث دعاته، وكاتب من كان استفسد في الأمصار وكاتبوه ودعوا في السر إلى ما عليه رأيهم، وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجعلوا يكتبون إلى الأمصار بكتب يضعونها في عيوب ولاتهم ويكاتبهم إخوانهم بمثل ذلك، ويكتب أهل كل مصر منهم إلى مصر آخر بما يصنعون، فيقرؤوه أولئك في أمصارهم وهؤلاء في أمصارهم حتى تناولوا بذلك المدينة، وأوسعوا الأرض إذاعة، وهم يريدون غير ما يظهرون، ويسرون غير ما يبدون، فيقول أهل مصر: إنا لفي عافية مما فيه الناس[٥٨] .

ويظهر في النص الأسلوب الذي اتبعه ابن سبأ، فهو أراد أن يوقع في أعين الناس بين اثنين من كبار الصحابة، حيث جعل أحدهما مهضوم الحق وهو علي، وجعل الثاني مغتصبا وهو عثمان، ثم حاول بعد ذلك أن يحرك الناس- خاصة في الكوفة- على أمرائهم باسم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فجعل هؤلاء يثورون لأصغر الحوادث على ولاتهم، علما بأنه ركز في حملته هذه على الأعراب الذين وجد فيهم مادة ملائمة لتنفيذ خطته، فالقراء منهم استهواهم عن طريق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأصحاب المطامع منهم هيج أنفسهم بالإشاعات المغرضة المفتراة على عثمان مثل تحيزه لأقاربه وإغراق الأموال من بيت مال المسلمين عليهم، وأنه حمى الحمى لنفسه إلى غير ذلك من التهم والمطاعن التي حرك بها نفوس الغوغاء ضد عثمان رضي الله عنه مع براءته ثم إنه أخذ يحض أتباعه على إرسال الكتب بأخبار سيئة مفجعة عن مصرهم إلى بقية الأمصار، وهكذا يتخيل الناس في جميع الأمصار أن الحال بلغ من السوء ما لا مزيد عليه، والمستفيد من هذه الحال هم السبئية، لأن تصديق ذلك من الناس يفيدهم في إشعال شرارة الفتنة داخل المجتمع الإسلامي[٥٩] ، هذا وقد شعر عثمان رضي الله عنه بأن شيئا ما يحاك في الأمصار وأن الأمة تمخض بشر فقال: والله إن رحى الفتنة لدائرة، فطوبى لعثمان إن مات ولم يحركها[٦٠] على أن المكان الذي رتع فيه ابن سبأ هو في مصر، وهناك أخذ ينظم حملته ضد عثمان رضي الله عنه، ويحث الناس على التوجه إلى المدينة لإثارة الفتنة بدعوى أن عثمان أخذ الخلافة بغير حق، ووثب على وصي رسول الله (ﷺ) يقصد عليا[٦١] ، وقد غشهم بكتب ادعى أنها وردت من كبار

(٥٧) المصدر نفسه (٥/ ٣٤٨).

(٥٨) تاريخ الطبري (٥/ ٣٤٨).

(٥٩) الدولة الأموية، يوسف العشي ص ١٦٨، مواقف الصحابة (١/ ٣٣٠).

(٦٠) تاريخ الطبري (٥/ ٢٥٠).

(٦١) تاريخ الطبري (٥/ ٣٤٨)، تحقيق مواقف الصحابة (١/ ٣٣٠).

الصحـابة حتى إذا أتى هؤلاء الأعـراب المدينة المنورة واجتـمعـوا بالصحابة لم يجـدوا منهم تشجيعـا، حيث تبرؤوا مما نسب إليهم من رسائل تؤلب الناس عـلى عثمان(٦٢)، ووجـدوا عثمان مقدرا للـحقوق، بل وناظرهم فيما نسبوا إليه، ورد عليهم افـتراءهم وفسر لهم صدق أعماله، حتى قال أحد زعمائهم وهو مالك الأشتر النخعي: لعله مكر به وبكم(٦٣)، ويعتـبر الذهبي أن عبد الله بن سبأ المهيج للفتنة بمصر وباذر بذور الشقاق والنقمة على الولاة ثم على أمير المـؤمنين عثمان فـيها(٦٤)، ولم يكن ابن سبـأ وحده، وإنما كان عمله ضـمن شبكة من المتآمرين وأخطـبوط من أساليب الخداع والاحتـيال والمكر وتجنيد الأعراب والقـراء وغيرهم، ويروي ابن كثير إن من أسـباب تألب الأحزاب على عثمان ظهور ابن سـبأ وذهابه إلى مصر وإذاعته بين الناس كلاما اخترعه من عند نفسه، فافتتن به بشر كثير من أهل مصر(٦٥).

إن المشاهير من المؤرخين والعلماء من سلف الأمة وخلفهـا يتفقون على أن ابن سبأ ظهر بين المسلمين بعقائد وأفكار وخـطط سبئية، ليلفت المسلمين عن دينهم وطاعـة إمامهم ويوقع بينهم الفرقة والخـلاف، فاجتمع إليه من غوغـاء الناس ما تكونت به الطائفة السبئـية المعروفة التي كانت عاملا من عوامل الفتنه المنتهية بمقـتل أمير المؤمنين عثمان بن عفان وما ترتب على قتله من فتن ـ كمعركة الجمل وصفين وغيرها ـ والذي يظهر من خطط السبئية أنها كانت أكثر تنظيما، إذ كانت بارعة في توجيه دعايتها ونشـر أفكارها لامتلاكها ناصية الدعاية والتأثير بين الغوغاء والرعاع من الناس، كما كانت نشيطة في تكوين فروع لها سواء في البصرة أو الكوفة أو مصر، مـستغلة العصبـية القبلية، ومتـمكنة من إثارة مكامن التذمر عند الأعراب والعـبيد والموالي، عارفة بالمواضع الحساسة في حياتهم وبما يريدون(٦٦).

ثانيا: اختلاف الصحابة في الطريقة التي يأخذها القصاص من قتلة عثمان رضي الله عنه:

إن الخلاف الذي نشـأ بين أمير المؤمنيَن علي من جـهة، وبين طلحة والزبير وعـائشة من جهة أخرى، ثم بعـد ذلك بين علي ومعاوية لم يكن سببه ومنشـؤه أن هؤلاء كانوا يقدحون في خلافة أمير المؤمنين عـلي وإمامته وأحقيته بالخلافـة والولاية على المسلمين، فقد كان هذا محل إجماع بينهم.

قال ابن حزم: ولم ينكر معـاوية قط فضل علي واستحقاقه الخلافـة، ولكن اجتهاده أداه إلى أن رأى تقديم أخذ الـقود من قتلة عثمـان رضي الله عنه على البيعـة، ورأى نفسه أحق بطلب دم عثمان(٦٧).

(٦٢) تاريخ الطبري (٥/ ٣٤٨)، تحقيق مواقف الصحابة (١/ ٣٣٠).

(٦٣) تحقيق مواقف الصحابة (١/ ٣٣١).

(٦٤) تحقيق مواقف الصحابة (١/ ٣٣٨).

(٦٥) البداية والنهاية (٧/ ١٦٧، ١٦٨).

(٦٦) تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة (١/ ٣٣٩).

(٦٧) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٤/ ١٦٠).

وقال ابن تيمية: ومعاوية لم يدع الخلافة، ولم يبايع له بها حين قاتل عليا، ولم يقاتل على أنه خليفة، ولا أنه يستحق الخلافة، ويقرون له بذلك، وقد كان معاوية يقر بذلك لمن سأله عنه، ولا كان معاوية وأصحابه يرون أن يبتدؤوا عليا وأصحابه بالقتال، ولا فعلوا(٦٨)... وقال أيضا: ... وكل فرقة من المتشيعين مقرة مع ذلك بأنه ليس معاوية كفؤا لعلي بالخلافة، ولا يكون خليفة مع إمكان استخلاف علي، فإن فضل علي وسابقته وعلمه ودينه وشجاعته وسائر فضائله كانت عندهم ظاهرة معلومة كفضل إخوانه أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم(٦٩).

إن منشأ الخلاف لم يكن قدحا في خلافة أمير المؤمنين علي رضي الله عنه وإنما اختلافهم في قضية الاقتصاص من قتلة عثمان ولم يكن خلافهم في أصل المسألة، وإنما كان في الطريقة التي تعالج بها هذه القضية، إذ كان أمير المؤمنين موافقا من حيث المبدأ على وجوب الاقتصاص من قتلة عثمان، وإنما كان رأيه أن يرجئ الاقتصاص من هؤلاء إلى حين استقرار الأوضاع وهدوء الأمور واجتماع الكلمة(٧٠)، قال النووي: واعلم أن سبب تلك الحروب أن القضايا كانت مشتبهة، فلشدة اشتباهها اختلف اجتهادهم وصاروا ثلاثة أقسام: قسم ظهر لهم بالاجتهاد أن الحق في هذا الطرف، وأن مخالفه باغ، فوجب عليهم نصرته، وقتال الباغي عليه فيما اعتقدوه ففعلوا ذلك، ولم يكن يحل لمن هذه صفته التأخر عن مساعدة إمام العدل في قتال البغاة في اعتقاده، وقسم عكس هؤلاء: ظهر لهم بالاجتهاد أن الحق في الطرف الآخر، فوجب عليهم مساعدتهم وقتال الباغي عليه، وقسم ثالث: اشتبهت عليهم القضية، وتحيروا فيها، ولم يظهر لهم ترجيح أحد الطرفين فاعتزلوا الفريقين، وكان هذا الاعتزال هو الواجب في حقهم لأنه لا يحل الإقدام على قتال مسلم حتى يظهر أنه مستحق لذلك، ولو ظهر لهؤلاء رجحان أحد الطرفين، وأن الحق معه، لما جاز لهم التأخر عن نصرته في قتال البغاة عليه(٧١).

ثالثا: موقف المطالبين بدم عثمان كطلحة والزبير وعائشة ومعاوية ومن كان على رأيهم:

١- السيدة عائشة أم المؤمنين:

لما سمعت السيدة عائشة رضي الله عنها بموت عثمان في طريق عودتها من مكة إلى المدينة رجعت إلى مكة ودخلت المسجد الحرام، وقصدت الحجر فتسترت فيه، واجتمع الناس إليها فقالت: أيها الناس إن الغوغاء من أهل الأمصار، وأهل المياه، وعبيد أهل المدينة اجتمعوا أن عاب الغوغاء على هذا المقتول بالأمس الأرب(٧٢)، واستعمال من حدثت سنه،

(٦٨) مجموع الفتاوى (٣٥/ ٧٢). (٦٩) مجموع الفتاوى (٣٥/ ٧٢).

(٧٠) أحداث وأحاديث فتنة الهرج ص ١٥٨.

(٧١) شرح النووي على صحيح مسلم (١٥/ ١٤٩).

(٧٢) الأرب: الحاجة والدهاء والفطنة والعقل.

وقد استعمل أسنانهم قبله، ومواضع من الحمى حماها لهم، وهي أمور قد سبق بها لا يصلح غيرها، فتابعهم، ونزع لهم عنها استصلاحا لهم ، فلما لم يجدوا حجة ولا غدرا خلجوا[٧٣] ، وبادروا بالعدوان، نبا فعلهم عن قولهم، فسفكوا الدم الحرام، واستحلوا البلد الحرام، وأخذوا المال الحرام واستحلوا الشهر الحرام، والله لأصبع عثمان خير من طباق الأرض أمثالهم، فنجاة[٧٤] من اجتماعكم عليه حتى ينكل بهم غيرهم[٧٥] ، ويشرد[٧٦] من بعدهم ووالله لو أن الذي اعتدوا به عليه كان ذنبا نخلص منه كما يخلص الذهب من خبثه أو الثوب من درنه إذ ماصوه كما يماص الثوب بالماء[٧٧] . وجاء في رواية أن عائشة حين انصرفت راجعة إلى مكة أتاها عبد الله بن عامر الحضرمي- أمير مكة- فقال لها: ما ردك يا أم المؤمنين؟ قالت: ردني أن عثمان قتل مظلوما، وأن الأمر لا يستقيم ولهذه الغوغاء أمر، فاطلبوا بدم عثمان تعزوا الإسلام[٧٨] ، وقد ثبت بالنصوص الصحيحة الصريحة ثناء السيدة عائشة على عثمان ولعنها لمن قتله وروت في حقه أحاديث عن رسول الله في فضائله، فعن فاطمة بنت عبد الرحمن اليشكرية عن أمها؛ أنها سألت عائشة، عندما أرسلها عمها فقالت: إن أحد بنيك يقرئك السلام ويسألك عن عثمان بن عفان، فإن الناس قد أكثروا فيه، فقالت: لعن الله من لعنه، فو الله لقد كان قاعدا عند نبي الله وإن رسول الله (ﷺ) مسند ظهره إلي، وإن جبريل عليه السلام ليوحي إليه بالقرآن وإنه ليقول: «اكتب عثمان» ، فما كان الله لينزل تلك المنزلة إلا كريما على الله ورسوله[٧٩]، وعن مسروق عن عائشة قالت حين قتل عثمان: تركتموه كالثوب النقي من الدنس، ثم قربتموه تذبحونه كما يذبح الكبش، فقال لها مسروق: هذا عملك، أنت كتبت إلى الناس تأمرينهم بالخروج إليه، قالت عائشة: لا والذي آمن به المؤمنون وكفر به الكافرون ما كتبت إليه بسوداء في بيضاء حتى جلست مجلسي هذا[٨٠] ، وقد مر معنا كذب السبئيين في كتابي عن عثمان بن عفان رضي الله عنه وأنهم كتبوا رسائل لأهل الأمصار ونسبوها كذبا وزورا للسيدة عائشة وقد جاءت رواية موضوعة، وضعيفة أسانيدها واهية من رواية الكذابين وللأسف اتبعها بعض المعاصرين وراجت عليهم هذه الأكاذيب؛ صورت العلاقة بين عائشة وعثمان رضي الله عنهما على صورة مناقضة تماما للروايات الصحيحة السالفة الذكر، وزعمت تلك الروايات الكاذبة بأن السيدة عائشة رضي الله عنها ألبت على عثمان رضي الله عنه وقالت بوجود خلاف بينهما، ونسبت إليها

---

(٧٣) خلجوا: تحركوا واضطربوا.

(٧٤) نجاة: اطلبوا النجاة باجتماعكم عليهم.

(٧٥) ينكل بهم غيرهم: حتى يروعهم ويروع بهم غيرهم.

(٧٦) يشرد: يفرق ويبدد جمعهم.

(٧٧) تاريخ الطبري (٥/ ٤٧٣، ٤٧٤).

(٧٨) تاريخ الطبري (٥/ ٤٧٥).

(٧٩) المسند (٦/ ٢٥٠- ٢٦٠)، تحقيق مواقف الصحابة (١/ ٣٧٨).

(٨٠) فتنة مقتل عثمان (١/ ٣٩١)، وتاريخ خليفة ص ١٧٦ إسناده صحيح إلى عائشة.

الاشتراك شبه الفعلي في قتله ونقل ذلك الطبري، ونقل عن الطبري الكثير من المؤرخين وإليك مثال على ذلك: ما ذكره الطبري، قال: كتب إلى علي بن أحمد بن الحسن العجلي، أن الحسين بن نصر العطار، قال: حدثنا سيف بن عمر، عن محمد بن نويرة، وطلحة بن الأعلم الحنفي قال: وحدثنا عمر بن سعد، عن أسد بن عبد الله، عمن أدرك من أهل العلم، أن عائشة رضي الله عنها لما إنتهت إلى سرف[٨١] راجعة إلى مكة، لقيها عبد ابن أم كلاب- وهو عبد بن أبي سلمة، ينسب لأمه- فقالت له: مهيم، قال: قتلوا عثمان بن عفان رضي الله عنه، فمكثوا ثمانيا، قالت: ثم صنعوا ماذا؟ قال: أخذها أهل المدينة بالاجتماع، فجازت بهم الأمور إلى خيار مجاز، اجتمعوا على علي بن أبي طالب. فقالت: ردوني، ردوني والله ليت أن هذه انطبقت على هذه إن تم الأمر لصاحبك. فانصرفت إلى مكة وهي تقول: قتل والله عثمان مظلوما، والله لأطلبن بدمه، فقال لها ابن أم كلاب: ولم! فو الله إن أول من أمال حرفه لأنت ولقد كنت تقولين: اقتلوا نعثلا[٨٢] فقد كفر. قالت: إنهم استتابوه ثم قتلوه، وقد قلت، وقالوا، وقولي الأخير خير من قولي الأول، فقال لها ابن أم كلاب:

فمنك البداء ومنك الغير ... ومنك الرياح ومنك المطر

وأنت أمرت بقتل الإمام ... وقلت لنا: إنه قد كفر

فانصرفت إلى مكة فنزلت على باب المسجد فقصدت للحجر، فسترت واجتمع إليها الناس، فقالت: إن عثمان قتل مظلوما، ووالله لأطلبن بدمه[٨٣].

رويت هذه الرواية كما رأينا من طريقين عند الطبري: ويكفي أن في رجال الإسناد نصر ابن مزاحم العطار المجروح في كتب الرجال بالصفات الآتية: شيعي، منكر، تركوه، جلد[٨٤]، وأما الطريق الثاني ففي إسناده عمر بن سعد وهو قائد السرية الذين قاتلوا الحسين رضي الله عنه، وهو عند رجال الحديث لا يصح حديثه، متهم بالوضع متروك[٨٥] فالرواية غير مقبولة الإسناد في أي من طريقي روايتها[٨٦] وقد جاءت روايات في كتب التاريخ والأدب ضعيفة وموضوعة لا تثبت أمام النقد العلمي سارت على النهج المظلم في تشويه السيدة عائشة رضي الله عنها[٨٧].

إن الروايات التي جاءت في العقد الفريد وفي كتاب الأغاني، وتاريخ اليعقوبي،

---

(٨١) سرف: مكان بين مكة والمدينة على ستة أميال من مكة.
(٨٢) نعثل: رجل من أهل مصر كثيف شعر اللحية كان يشبه عثمان.
(٨٣) تاريخ الطبري (٥/ ٤٨٥).
(٨٤) المغني في الضعفاء (٢/ ٦٩٦)، ميزان الاعتدال (٧/ ٢٤) التاريخ الكبير (٨/ ١٠٥).
(٨٥) سير أعلام النبلاء (٤/ ٣٤٩)، الطبقات (٥/ ١٦٨).
(٨٦) دور المرأة السياسي في عهد النبي ﷺ والخلفاء ص٣٥٤.
(٨٧) دور المرأة السياسي في عهد النبي ﷺ والخلفاء ص ٣٥٢.

وتاريخ المسعودي، وأنساب الأشراف، وغيـرها من الكتب وما انتهت إليه من استدلالات في شأن الدور السياسي للسـيدة عائشة رضي الله عنها في حياة عثـمان بن عفان رضي الله عنه، لا يعتد بها لمخـالفتها للروايات الصحيحـة وقيامها على روايات واهية، فأغلبـها روايات غير مسنـدة، والمسند مجـروح الإسناد لا يحتج بروايتـه، هذا إلى فسـاد متـونها إذا مـا قورنت بالروايات الأخرى الأكثـر صحة وقربا للحقـيقة(٨٨) . وقد قامت السـيدة الفاضلة والبـاحثة القديرة أسمـاء محمد أحمـد زيادة بدراسة الأسانيد والمتـون للروايات التي تحدثت عن الدور السيـاسي للسيدة عائشـة في أحداث الفتنة، ونقـدت الروايات القائلة بالخلاف السـياسي بين عائشـة وعثمـان عند الطبري وغيـره وبينت زيفها وكـذبها، ثم قالت: وكـان الأحرى بنا أن نعرض عن ذكرها جميعا، لعدم وصولها إلينا عن طريق معتمد، بل الطرق التي وصلت منها رمي أصحابها بالتشيع والكذب والرفض، ولكننا عـرضنا لها، لشيوعها في أغلب الدراسات الحديثة، وللتدليل على سقوطهـا، فهي روايات- كما اتضح لنا حاولت خلق تاريخ لا وجود له أصلا من الخلاف والتنكر بين عثمان وعائشة وبين عثمان والصحابة جميعا(٨٩) ،ولو صح أن عائشة اتفقت مع المتمردين على التـحريض على عثمان رضي الله عنه لكان من المتوقع أن يكون عندها نوع من التـماس العـذر لهؤلاء المتمـردين، لكن لم يصح عنها رضـي الله عنها شيء من هذا، وأنه لو صح شيء من هذه الروايات، في وصف موقف السـيدة عائشة رضي الله عنها، وعن الصـحابة الذين اشتركـوا معهـا، وهو ما لا نقبل به للخبـر الصادق عن الله ورسـوله في تقرير عـدالتـهم التي كانت كـافـية لدحض هذه الروايات، لكـننا توقفنا أمـام الروايات، تأكيدا منا على سقوط هذه الروايات ومن بعدها الاستدلالات القائمة عليها، حتى تجتمع الأدلة الدينية، والعلمـية، والتاريخية في صعيد واحـد يؤكد بعضها(٩٠) بعـضـا، إن الاتهامات التي وجهت إلى السيدة عائشة لا تثبت سندا ولا تقوم أمام الأدلة العقلية أيضا.

٢- طلحة والزبير رضي الله عنهما:

طلب طلحة والزبير ومن معهم من الصحابة من أمير المؤمنين علي رضي الله عنه تعجيل إقامة القصاص من قتلة عثمان رضي الله عنه : فقال لهم أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: يا إخوتاه إني لست أجـهل ما تعلمون ،ولكني كيف أصنع بـقوم يملكوننا ولا نملكهم ،ها هم هؤلاء قد ثارت معهم عبدانكم ،وثاب إليهم أعـرابكم ،وهم خلالكم يسومونكم ما شاؤوا، فهل ترون مـوضعا لقـدرة على شيء مما تريدون؟ قالوا: لا ،قـال :فلا والله لا أرى إلا رأيا ترونه إن شاء الله، إن هذا الأمـر أمر جاهليـة، إن لهؤلاء القوم مـادة وذلك أن الشيطان لم يشرع شـريعة قط فـيبرح الأرض من أخـذ بها أبداً. إن الناس من هذا الأمـر إن حرك على أمور: فـرقة ترى ما ترون، وفرقـة ترى ما لا ترون، وفرقة لا ترى هذا ولا هذا حـتى يهدأ الناس وتقع القلوب مواقعـها وتؤخذ الحقوق فاهـدوا عني وانظروا ماذا يأتيكم ثم عودوا (٩١)

---

(٨٨) دور المرأة السياسي ص ٢٧٠.

(٨٩) دور المرأة السياسي ص ٣٧٠.

(٩٠) المصدر نفسه ص ٣٧١.

(٩١) تاريخ الطبري (٥/ ٤٦٠).

ولكن هذه السياسة الحكيمة، لم يتفهم بها بعضهم فالناس في حال غضبهم وسيرهم وراء عواطفهم لا يدركون الأمور إدراكًا واقعيا يمكنهم من التقدير الصحيح، فتنعكس في تقديرهم الأوضاع ويظنون المستحيل ممكنًا، ولذلك قالوا: نقضي الذي علينا ولا نؤخره [٩٢]، وهم يعنون الطلب لإقامة الحدود على قتلة عثمان [٩٣]، وأخبر علي بمقالتهم، فرغب أن يريهم أنه لا يستطيع وإياهم أن يفعلوا شيئا في مثل تلك الظروف فنادى: برئت الذمة من عبد لم يرجع إلى مواليه، فتذامرت السبئية والأعراب وقالوا: لنا غداً مثلها ولا نستطيع أن نحتج فيهم بشيء [٩٤].

وكأن رواد الفتنة من السبئية تبادر إلى أذهانهم أن الخليفة يريد أن يجردهم من أعوانهم الذين يشدون أزرهم ويقفون إلى جوارهم فعصوا ذلك الأمر وحرضوا الأعراب على البقاء فأطاعوهم وبقوا في أماكنهم، ففي اليوم الثالث بعد البيعة خرج علي، وقال لهم: أخرجوا عنكم الأعراب، وقال: يا معشر الأعراب الحقوا بمياهكم.

فأبت السبئية وأطاعهم الأعراب، ثم دخل بيته ودخل عليه طلحة والزبير في عدة من أصحاب النبي (ﷺ) فقال: دونكم ثأركم، فقالوا: عشوا عن ذلك [٩٥]، فقال لهم علي: هم والله بعد اليوم أعشى وآبى، ثم أنشد يقول:

لو أن قومي طاوعتني سراتهم أمرتهم أمراً يديخ الأعاديا [٩٦]

حتى هذه اللحظه فإن عليا وطلحة والزبير والصحابة جميعاً كانوا يبدون متفقين تماماً على ضرورة إقامة الحدود على من فرقوا أمر الجماعة وخالفوا وقتلوا الخليفة، دفعاً لضررهم على الدين كله، وكانوا متعاونين في ذلك، وكان الأمر يبدو منطقيا تماماً من علي رضي الله عنه واتفق معه الصحابة في ذلك، ولكن كيف يصنعون لهؤلاء الغوغاء الذين تحكموا في الأمور، وحركوا معهم العبيد والأعراب، وهم بين أهل المدينة يسومونهم ما شاؤوا، لم تكن هناك إذن قدرة على قتالهم [٩٧]، وتقدم طلحة والزبير بمقترح لعلي لمواجهة السبئية الموجودة حول علي، فقد قال طلحة لعلي: دعني آت البصرة فلا يفجؤك إلا وأنا في خيل وقال الزبير دعني آت الكوفة فلا يفجؤك إلا وأنا في خيل [٩٨]، ولكن عليا رضي الله عنه نراه يتريث ويقول لهما: حتى أنظر في ذلك [٩٩]. ولعل عليا كان يخشى الفتنة وتحول الأمر إلى حرب أهلية داخل المدينة لا تحمد عقباها، ولذلك لم يجب طلحة والزبير إلى مطلبهما [١٠٠]

(٩٢) المصدر نفسه (٥/ ٤٦٠).
(٩٣) الدور السياسي ص٣٧٨.
(٩٤) تاريخ الطبري (٥/ ٤٦٠).
(٩٥) عشوا: عشا: ساء بصره، وهنا لم يروا.
(٩٦) تاريخ الطبري(٥/ ٤٦١).
(٩٧) فتح الباري (١٢/ ٣٦٠).
(٩٨) تاريخ الطبري (٥/ ٣٦١).
(٩٩) المصدر نفسه (٥/ ٣٦١).
(١٠٠) تحقيق مواقف الصحابة(٢/ ١٠٨).

وكان اقتراح الزبير وطلحة على علي دليلا على اقتناعهما في الوقت نفسه بما قال علي رضي الله عنهم جميعاً من كون هؤلاء الغوغاء متغلغلين في داخل الصف يملكون المسلمين ولا يملكهم المسلمون، فحاولا بهذا الطلب اختصار وقت تعطيل حد من حدود وتقوية جانب علي حتى يتمكن من إقامتها، على أن الصحابة قد انتظروا أن ينظر علي في ذلك، لكن عليًا رضي الله عنه كان يرى أن هذا الأمر الذي وقع لا يدرك إلا بإماتته، وإنها فتنة من النار كلما سعرت ازدادت واستنارت[١٠١] ولما رأى الزبير وطلحة ومن وافقهما من الصحابة أن أربعة أشهر قد مرت على مقتل عثمان ولم يستطع علي أن يقيم القصاص على قتلة عثمان بسبب أن الخارجين على عثمان لهم شوكه وقوة وتغلغل في جيش علي، عندئذ قال طلحة والزبير لعلي: ائذن لنا أن نخرج من المدينة، فإما أن نكابر[١٠٢] وإما أن تدعنا، فقال: سأمسك الأمر ما استمسك، فإذا لم أجد بدا فآخر الدواء الكي[١٠٣]، فقد كان علي رضي الله عنه يعرف أن خروجهم من المدينة كان محاولة منهما للوصول إلى حل فلم يمنعهما من ذلك، ربما لأنه كان يتمنى الوصول إلى حل أيضاً، بل كان يحاوله ولكن بطريقته الخاصة[١٠٤] وقد خاض بعض الباحثين المعاصرين في تفسير النص المتعلق باستئذان طلحة والزبير في الذهاب للبصرة والكوفة والمجيء بخيل من هناك لدحر الغوغاء، وامتناع علي على الموافقة - بالباطل - وقالوا: إنه تخوف جانب الرجلين ويخشى أن يعيداها عليه جذعه ويستنا به سنة أهل مصر بعثمان يكون له معهما يوم كيوم الدار[١٠٥]، وتفسير كهذا تحميل للنص فوق ما يتحمل[١٠٦] وفيه ظلم وتجاوز في حق صفوة الصحابة.

لقد ذهب الزبير وطلحه رضي الله عنهما إلى مكة والتقوا بكم غفير من المسلمين المطالبين بالقصاص من قتلة عثمان رضي الله عنه، وسوف يأتي الحديث عن ذلك بالتفصيل بإذن الله.

٣- معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه:

شاع بين الناس قديمًا وحديثا أن الخلاف بين علي ومعاوية رضي الله عنهما كان سببه طمع معاوية في الخلافة، وأن خروج هذا الأخير على علي وامتناعه عن بيعته كان بسبب عزله عن ولاية الشام، فقد جاء في كتاب «الإمامة والسياسة» المنسوب لابن قتيبة الدينوري[١٠٧] رواية تذكر أن معاوية ادعى الخلافة، وذلك من خلال الرواية التي ورد فيها ما

---

(١٠١) تاريخ الطبري (٥/ ٣٦٧)، دور المرأة السياسي ص٣٨٠.
(١٠٢) نكابر: نجاحد ونغالب على الأمر.
(١٠٣) تاريخ الطبري (٥/ ٣٦٨)، دور المرأة السياسي ص٣٨٠.
(١٠٤) دور المرأة السياسي ص ٣٨٠، ٣٨١.
(١٠٥) الخلفاء الراشدون ص ٣٧٢.
(١٠٦) خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه عبد الحميد علي ص ١١٨.
(١٠٧) هذا الكتاب لا يثبت لابن قتيبة وإنما كاتبه رافضي محترق وسيأتي الحديث عنه في نهاية هذا الفصل.

قاله ابن الكواد لأبي موسى الأشعري رضي الله عنه: اعلم أن معاوية طليق الإسلام وأن أباه رأس الأحزاب وأنه ادعى الخلافة من غير مشورة فإن صدقك فقد حل خلعه، وإن كذبك فقد حرم عليك كلامه (١٠٨)، وهذا كلام لا يثبت عن أمير المؤمنين علي وإنما من كلام الروافض وسيأتي الحديث عن كتاب «الإمامة والسياسة» وبيان كذبه وزوره ودوره في تشويه حقائق التاريخ في موضعه بإذن الله، وقد امتلأت كتب التاريخ والأدب بالروايات الموضوعة والضعيفة التي تزعم أن معاوية اختلف مع علي من أجل الملك والزعامة والإمارة (١٠٩) والصحيح أن الخلاف بين علي ومعاوية رضي الله عنهما كان حول مدى وجوب بيعة معاوية وأصحابه لعلي قبل توقيع القصاص على قتلة عثمان أو بعده، وليس هذا من أمر الخلافة في شيء، فقد كان رأي معاوية رضي الله عنه ومن حوله من أهل الشام أن يقتص علي رضي الله عنه من قتلة عثمان ثم يدخلون بعد ذلك في البيعة، (١١٠) ويقول القاضي ابن العربي إن سبب القتال بين أهل الشام وأهل العراق يرجع إلى تباين المواقف بينهما: فهؤلاء - أي: أهل العراق - يدعون إلى علي بالبيعة وتأليف الكلمة على الإمام، وهؤلاء - أي: أهل الشام - يدعون إلى التمكين من قتلة عثمان ويقولون: لا نبايع من يأوي القتلة (١١١) ويقول إمام الحرمين الجويني في لمع الأدلة: إن معاوية وإن قاتل عليا، فإنه لا ينكر إمامته ولا يدعيها لنفسه. وإنما كان يطلب قتلة عثمان ظانا منه أنه مصيب، وكان مخطئا (١١٢) ويقول الهيثمي: ومن اعتقاد أهل السنة والجماعة أن ما جرى بين معاوية وعلي رضي الله عنهما من الحروب، لم يكن لمنازعة معاوية لعلي في الخلافة للإجماع على أحقيتها لعلي.. فلم تهج الفتنة بسببها، وإنما هاجت بسبب أن معاوية ابن عمه فامتنع علي (١١٣) لقد تضافرت الروايات وأشارت إلى أن معاوية رضي الله عنه اتخذ موقفه للمطالبة بدم عثمان، وأنه صرح بدخوله في طاعة علي رضي الله عنه إذا أقيم الحد على قتلة عثمان، ولو افترض أنه اتخذ قضية القصاص والثأر لعثمان ذريعة لقتال علي طمعاً في السلطان، فماذا سيحدث لو تمكن علي من إقامة الحد على قتلة عثمان، حتماً ستكون النتيجة خضوع معاوية لعلي ومبايعته له، لأنه التزم بذلك في موقفه من تلك الفتنة، كما أن كل من حارب معه كانوا يقاتلون علي أساس إقامة الحد على قتلة عثمان، على أن معاوية إذا كان يخفي في نفسه شيئاً آخر لم يعلن عنه، سيكون هذا الموقف بالتالي مغامرة، ولا يمكن أن يقدم عليها إذا كان ذا أطماع (١١٤) إن معاوية رضي الله عنه كان من كتاب الوحي، ومن أفاضل الصحابة وأصدقهم لهجة، وأكثرهم حلماً، فكيف يعتقد أن يقاتل الخليفة الشرعي ويهرق دماء المسلمين من أجل ملك

(١٠٨) الإمامة والسياسة (١/ ١١٣). (١٠٩) تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة (٢/ ١٤٥).
(١١٠) البداية والنهاية (٨/ ١٢٩)، فتح الباري (١٣/ ٩٢).
(١١١) العواصم من القواصم ص ١٦٢. (١١٢) لمع الأدلة في عقائد أهل السنة والجماعة ص ١١٥.
(١١٣) الصواعق المحرقة (٢/ ٦٢٢) وهذا اجتهاد معاوية وإن كان الصواب هو أن يسلم معاوية ويطالب بالدعوة.
(١١٤) تحقيق مواقف الصحابة (٢/ ١٥٠).

زائل، وهو القائل: والله لا أخير بين أمرين، بين الله وبين غيره إلا اخترت الله على ما سواه[١١٥]، وقد ثبت عن رسول الله (ﷺ) أنه قال فيه: «اللهم! اجعله هادياً مهدياً واهده»[١١٦] وقال: «اللهم علمه الكتاب وقه العذاب»[١١٧]. أما وجه الخطأ في موقفه من مقتل عثمان رضي الله عنه فيظهر في رفضه أن يبايع لعلي رضي الله عنه قبل مبادرته إلى الاقتصاص من قتلة عثمان ويضاف إلى ذلك خوف معاوية على نفسه لمواقفه السابقة من هؤلاء الغوغاء وحرصهم على قتله بل ويلتمس منه أن يمكنه منهم، مع العلم أن الطالب للدم لا يصح أن يحكم، بل يدخل في الطاعة، ويرفع دعواه إلى الحاكم، ويطلب الحق عنده[١١٨]، وقد اتفق أئمة الفتوى على أنه لا يجوز لأحد أن يقتص من أحد ويأخذ حقه دون السلطان، أو من نصبه السلطان لهذا الأمر لأن ذلك يفضي إلى الفتنة وإشاعة الفوضى[١١٩].

ويمكن القول أن معاوية رضي الله عنه كان مجتهداً متأولاً يغلب ظنه أن الحق معه، فقد قام خطيباً في أهل الشام بعد أن جمعهم وذكرهم أنه ولي عثمان ـ ابن عمه ـ وقد قتل مظلوما، وقرأ عليهم الآية الكريمة: ﴿ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾ [الإسراء: ٣٣] ثم قال: أنا أحب أن تعلموني ذات أنفسكم في قتل عثمان، فقام أهل الشام جميعهم وأجابوا إلى الطلب بدم عثمان، وبايعوه على ذلك، وأعطوه العهود والمواثيق على أن يبذلوا أنفسهم وأموالهم حتى يدركوا ثأرهم أو يفني الله أرواحهم[١٢٠]. وإذا قارنا بين طلحة والزبير رضي الله عنهما ومعاوية لاحظنا أن طلحة والزبير رضي الله عنهما أقرب إلى الصواب من معاوية رضي الله عنه من أربعة أوجه كان أولها: مبايعتهما لعلي طائعين مع اعترافهما بفضله، ومعاوية لم يبايعه وإن كان معترفاً بفضله[١٢١]. والثاني: منزلتهما في الإسلام وعند المسلمين وسابقتهما ومعاوية لا شك دونهما فيها[١٢٢]. الثالث: أنهما أرادا قتل الخوارج على عثمان فقط ولم يتعمدوا محاربة علي ومن معه في وقعة الجمل[١٢٣]، بينما أصر معاوية على حرب علي ومن معه في صفين[١٢٤] والرابع: لم يتهما عليا بالهوادة في أخذ القصاص من قتلة عثمان ومعاوية ومن معه اتهموه بذلك[١٢٥].

---

(١١٥) سير أعلام النبلاء(٣/ ١٥١).
(١١٦) صحيح سنن الترمذي للألباني رقم ٣٠١٨(٣/ ٢٣٦).
(١١٧) فضائل الصحابة (٢/ ٩١٣) إسناده حسن.
(١١٨) تحقيق مواقف الصحابة (٢/ ١٥١).
(١١٩) تفسير القرطبي (٢/ ٢٥٦).
(١٢٠) صفين لابن مزاحم ص ٣٢، تحقيق مواقف الصحابة(٢/ ١٥٢).
(١٢١) البداية والنهاية (٨/ ١٢٩)، فتح الباري(١٣/ ٩٢).
(١٢٢) كان طلحة والزبير رضي الله عنهما من العشرة المبشرين بالجنة.
(١٢٣) تحقيق مواقف الصحابة (٢/ ١١٣)، تاريخ الطبري(٥/ ٤٧٥).
(١٢٤) تاريخ الطبري (٥/ ٦١٢ـ ٦١٥).
(١٢٥) تحقيق مواقف الصحابة (٢/ ١٣٩)، البداية والنهاية(٧/ ٢٥٩)

رابعاً: موقف معتزلي الفتنة:

اعتمد كثير من الصحابة ممن اعتزلوا الفتنة رضوان الله عليهم على قول رسول الله (ﷺ) «**ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي، من تشرف لها تستشرفه، فمن وجد منها ملجأ أو معاذاً فليعذ به**»[١٢٦]. قال ابن حجر: ففي الحديث تحذيرمن الفتنة والحث على اجتناب الدخول فيها، وأن شرها يكون بحسب التعلق بها[١٢٧]وقال رسول الله (ﷺ): «**إنها ستكون فتنة يكون المضطجع فيها خيراً من الجالس، والجالس فيها خيراً من القائم، والقائم خيراً من الماشي، والماشي خيراً من الساعي**»، قالوا: يا رسول الله ما تأمرنا؟ قال: «**من كانت له إبل فليلحق بإبله، ومن كانت له غنم فليلحق بغنمه، ومن كانت له أرض فليلحق بأرضه**»، قالوا: فمن لم يكن له شيء من ذلك؟ قال: «**يعمد إلى سيفه فيضرب بحده على حرة، ثم ليتبع ما استطاع النجاء**»[١٢٨] وقال رسول الله (ﷺ): «**يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شغف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن**»[١٢٩]، وغير ذلك من الأحاديث التي تدعو صراحة إلى النهي عن الدخول في قتال الفتنة، قال الجويني: قد صار طوائف من جلة أصحاب رسول الله إلى التخلف عن القتال في زمن علي رضي الله عنه وإيثار السكون والركون إلى السلام والتباعد عن ملتطم الغوائل، منهم سعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل[١٣٠] وكان من العشرة المبشرين بالجنة، وممن تخلف أولاً أبو موسي الأشعري، وعبد الله بن عمر، وأسامة بن زيد، وأبو أيوب الأنصاري وتبع هؤلاء أمم من الصحابة ولم يشتد نكير علي عليهم[١٣١]. وقد ذهب ابن حجر رحمه الله إلى أن الصحابة الذين اعتزلوا كانوا قلة، قال: ومن ثم كان الذين توقفوا عن القتال في الجمل وصفين أقل عددا من الذين قاتلوا، وكلهم متأول مأجور إن شاء الله بخلاف من جاء بعدهم ممن قاتل على طلب الدنيا[١٣٢]، وقال ابن تيمية: وأكثر أكابر الصحابة لم يقاتلوا، لا من هذا الجانب. ولا من هذا الجانب، واستدل التاركون للقتال بالنصوص الكثيرة عن النبي (ﷺ) في ترك القتال في الفتنة، وبينوا أن هذا قتال فتنة[١٣٣] وقد ذهب الإمام القرطبي إلى أن العلة في توقف الصحابة عن المشاركة في القتال مع الإمام علي هو أن قتال الفئة الباغية فرض كفاية وليس فرض عين، فلذلك تخلف أمثال سعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن عمر، ومحمد بن مسلمة وغيرهم[١٣٤] وإليك طرفاً

(١٢٦) البخاري، ك الفتن رقم ٧٠٨١.
(١٢٧) الفتح (١٣/ ٣١).
(١٢٨) مسلم، ك الفتن وأشراط الساعة.
(١٢٩) البخاري، ك الفتن رقم ٧٠٨٨.
(١٣٠) من العشرة المبشرين بالجنة توفي ٥١ هـ، تهذيب التهذيب (٤/ ٣٠).
(١٣١) غياث الأمم في التياث الظلم ص٨٥ ـ ٨٦.
(١٣٢) فتح الباري (١٣/ ٣٤). (١٣٣) مجموعة الفتاوي (٣٥/ ٥٥).
(١٣٤) تفسير القرطبي (١٦/ ٣١٩).

من أقوال الصحابة الذين اعتزلوا الفتنة:

سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه:

كان سعد رضي الله عنه أفضل الصحابة بعد علي رضي الله عنه يوم صفين، ولما قيل لسعد بن أبي وقاص: ألا تقاتل؟ إنك من أهل الشورى، وأنت أحق بهذا الأمر من غيرك، قال: لا أقاتل حتى يأتوني بسيف له عينان ولسان وشفتان يعرف المؤمن من الكافر، فقد جاهدت وأنا أعرف الجهاد(١٣٥). وأخرج مسلم من حديث عامر قال: كان سعد بن أبي وقاص في إبله فجاءه ابنه عمر، فلما رآه قال: أعوذ بالله من شر هذا الراكب. فنزل فقال له: أنزلت في إبلك وغنمك، وتركت الناس يتنازعون الملك بينهم؟ فضرب سعد في صدره فقال: اسكت. سمعت رسول الله يقول: «إن الله يحب العبد التقي النقي الخفي»(١٣٦).

٢- محمد بن مسلمة:

عن الحسن أن عليا بعث إلى محمد بن مسلمة فجيء به فقال: ما خلفك عن هذا الأمر؟ قال: دفع إليّ ابن عمك - يعني النبي (ﷺ) - سيفًا فقال: «قاتل به ما قوتل العدو فإذا رأيت الناس يقتل بعضهم بعضاً، فاعمد به إلى صخرة، فاضربه بها، ثم الزم بيتك، حتى تأتيك منية قاضية، أو يد خاطئة » قال: خلوا عنه(١٣٧).

٣- أبو موسى الأشعري:

عن زيد بن وهب قال: ... جاءنا قتل عثمان، فجزع الناس من ذلك، فخرجت إلى صاحب لي كنت أستريح إليه، فقلت: قد منع الناس ما ترى، وفينا رهط من أصحاب محمد (ﷺ)، فاذهب بنا إليهم، فدخلنا على أبي موسى، وهو أمير الكوفة، فكان قوله نهيًا عن الفتنة والأمر بالجلوس في البيوت(١٣٨) وأخرج الطبري في قصة قدوم ابن عباس والأشتر إلى الكوفة لاستنفار الناس أن أبا موسى قام . وكان يومها أميرًا على الكوفة - فدعا الناس إلى لزوم البيوت، ووضع السيوف في أغمادها، وكان مما قاله يومئذ: .. فإنها فتنة صماء، النائم فيها خير من اليقظان، واليقظان فيها خير من القاعد، والقاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، فلا تكونوا جرثومة من جراثيم العرب، فأغمدوا السيوف، وانصلوا الأسنة واقطعوا الأوتار، وأووا المظلوم المضطهد، حتى يلتئم الأمر وتنجلي هذه الفتنة(١٣٩) وقال أيضًا: إن الفتنة إذا أقبلت شبهت وإذا أدبرت تبينت، وإن هذه الفتنة باقرة كداء البطن، تجري

---

(١٣٥) مجمع الزوائد (٧/ ٢٩٩)رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح.

(١٣٦) مسلم (٤/ ٢٢٤٤).

(١٣٧) مسند أحمد (٤/ ٢٢٥)فيه انقطاع وله طريق آخر رواه الطبراني في الكبير (١٢/ ١٧٧ - ١٧٨). وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٣٠١)رجاله ثقات.

(١٣٨) تاريخ ابن عساكر (ص٤٨٧ - ٤٨٨)

(١٣٩) تاريخ الطبري(٥/ ٥١٣) جراثيم العرب: أصل العرب.

بها الشمـال والجنوب والصبا والدبور، فتسكن أحيـانًا، فلا يدرى من أين يؤتى، تذر الحليم كابن أمس، شيموا سيوفكم، وقصوا رماحكم، وأرسلوا سهامكم، واقطنوا أوتاركم، والزموا بيـوتكم(١٤٠) وكان أبو مـوسي يستدل لموقفـه بما رواه عن رسول الله (ﷺ) من النهي عن الدخـول في الفتنة والأمـر بتكسيـر القسي، وتقطيع الأوتـار، وضرب السيـوف بالحـجارة، والرضا بمنزلة ابن آدم المقتول(١٤١) فعن أبي موسي الأشعري، أن رسول الله (ﷺ) قال: «إن بين يدي الساعة فتنًا كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل فيها مؤمنًا، ويمسي كافراً، ويمسي مؤمنًا ويصبح كافرًا، القـاعد فيها خيـر من القائم، والماشي فيها خير من السـاعي، فكسروا قوسكم، وقطعوا أوتاركم، واضـربوا بسيوفكم الحجـارة، فإن دخل ـ يعني على أحـد منكم ـ فـيكن كخير ابني آدم»(١٤٢)

٤- عبد الله بن عمر:

قالت عـائشة رضي الله عنها: مـا أعلم رجلاً سلمـه الله من أمور الناس واستـقام على طريقة من كان قبله استقامة عبد الله بن عمر(١٤٣) وعن سعيد بن جبير قال: خرج علينا عبد الله بن عمـر، فرجونا أن يحـدثنا حديثًـا حسنًا، قال: فـبادرنا إليـه رجل فقال: يا أبا عـبد الرحـمن حـدثنا عن القـتال في الفـتنة، والله يقـول: ﴿وَقَـاتِلُوهُمْ حَـتَّى لاَ تَكُونَ فِـتْنَةٌ﴾ [البقرة: ١٩٣]. فقال: هل تدري ما الفتنة ثكلتك أمك؟ إنما كانَ محمد يقاتل المشركين، وكان الدخول في دينهم فتنة، وليس كقتالكم على الملك(١٤٤) وعن نافع أن رجلا قال لابن عمر: يا أبا عبـد الرحمن، ألا تسمع قـوله (تعالى): ﴿ وَإِن طَائِفَتَـانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْـتَتَلُوا فَـأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾ [الحجرات: ٩]. فقال: لأن أعتبر بهذه الآية فلاَ أقاتلَ، أحب إلَي من أن أعتبر بَالآية التي يقول فيها: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا﴾ [النساء: ٩٣] ألا ترى أن الله يقـول: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ [البقرة: ١٩٣]. قَد فـعلنا على عهد رسول الله (ﷺ) إذ كان الإسلام قليلا، وكان الرجل يفتن في دينه. إمـا أن يقتلوه، وإما أن يسترقوه، حتى كثر الإسلام، فلم تكن فتنة(١٤٥) وقد ورد أن أمير المؤمنين علي حمد لابن عمر، وسعد بن أبي وقاص هذه المنزلةالتي ارتضياها، إذا قال: لله در مقام قـامه سعد بن مالك، وعبد الله بن عمر، إن كان برا إن أجره لعظيم، وإن كان إثمًا إن خطأه ليسير(١٤٦)، وفي رواية: لله در منزل نزله سعد بن مالك وعبد الله بن عمر، والله إن كـان ذنبا إنه لصغير مغفور، ولئن كان حسنًا إنه لعـظيم مشكور(١٤٧) . وقال الخطابي: وكان ابن عمر مـن أشد الصحابة حذرًا من

(١٤٠) تاريخ الطبري(٥/ ٥١٥)، باقرة: مفرقة، الصبا: الريح الشرقية.
(١٤١) أحداث وأحاديث فتنة الهرج ص١٨١
(١٤٢) سنن الترمذي (٣/ ٣٣٢) وقال الترمذي: حديث حسن غريب.
(١٤٣) مصنف ابن أبي شيبة(٨/ ٢٥٩).
(١٤٤) البخاري، ك الفتن (٨/ ٩٥).
(١٤٥) سير أعلام النبلاء(٣/ ٢٢٨ـ ٢٢٩).
(١٤٦) مجموع الفتاوي(٤/ ٤٤٠).
(١٤٧) سير أعلام النبلاء (١/ ١١٩ـ ١٢٠)، مجمع الزوائد (٧/ ٢٤٦).

الوقوع في الفتن وأكثرهم تحذيرًا للناس من الدخول فيها، وبقي إلى أيام فتنة ابن الزبير فلم يقاتل معه ولم يدافع عنه، إلا أنه كان يشهد الصلاة معه فإذا فاتته صلاها مع الحجاج، وكان يقول: إذا دعونا إلى الله أجبانهم، وإذا دعونا إلى الشيطان تركناهم[١٤٨]. قال ابن تيمية: ومن حين مات عثمان تفرق الناس، وعبد الله بن عمر الرجل الصالح لحق بمكة، ولم يزل معتزل الفتنة، حتى اجتمع الناس على معاوية، مع محبته لعلي، ورؤيته له أنه هو المستحق للخلافة، وتعظيمًا له، وموالاته له،وذمه لمن يطعن عليه، ولكن كان لا يرى الدخول في القتال بين المسلمين، ولم يمتنع عن موافقة علي إلا في القتال[١٤٩].

٥- سلمة بن الأكوع:

لما قتل عثمان بن عفان خرج سلمة بن الأكوع إلى الربذة وتزوج هناك امرأة، وولدت له أولادًا، فلم يزل بها حتى أقبل قبل أن يموت بليال فنزل المدينة.[١٥٠]

٦- عمران بن حصين:

قال عنه الذهبي: كان ممن اعتزل الفتنة ولم يقاتل مع علي[١٥١]، وعن حميد بن هلال قال: لما هاجت الفتن، قال عمران بن حصين لحجير بن الربيع العدوي: اذهب إلى قومك فانههم عن الفتنة. قال: إني لمغمور فيهم وما أطاع، فأبلغهم عني وانههم عنها قال: وسمعت عمران يقسم بالله: لأن أكون عبدًا حبشيا أسود في أعنز حصبات، في رأس جبل أرعاهن حتى يدركني أجلي أحب إلى أن أرمي أحد الصفين بسهم أخطأتُ أم أصبتُ[١٥٢].

٧ - سعيد بن العاص الأموي:

قال الذهبي: وقد اعتزل الفتنة فأحسن ولم يقاتل مع معاوية ولما صفا الأمر لمعاوية وفد سعيد إليه، فاحترمه وأجازه بمال جزيل.[١٥٣]، وقال ابن كثير: فلما مات عثمان اعتزل الفتنة، فلم يشهد الجمل ولا صفين، فلما استقر الأمر لمعاوية وفد إليه[١٥٤] ولم يعتزل سعيد وحده بل تابعه قوم، اعتزلوا باعتزاله، حتى مضت الجمل وصفين[١٥٥].

٨ - أسامة بن زيد:

قال الذهبي: انتفع أسامة من قول النبي (ﷺ)، إذ يقول له: «كيف بلا إله إلا الله يا أسامة؟»، فكف يده، ولزم منزله، فأحسن[١٥٦]، ويريد الذهبي بذلك ما رواه أسامة بن زيد

---

(١٤٨) العزلة للخطابي ص٢٠، ٢١. (١٤٩) منهاج السنة (٦/ ٢٨٥).
(١٥٠) البخاري، ك الفتن (٦/ ٢٨٥).
(١٥١) سير أعلام النبلاء (٢/ ٥٠٩).
(١٥٢) مصنف ابن أبي شيبة(١٥/ ١٠) الطبراني في الكبير (١٨/ ١٠٥) ورجاله رجال الصحيح .
(١٥٣) سير أعلام النبلاء (٣/ ٤٤٦).
(١٥٤) البداية والنهاية (٨/ ٩١). (١٥٥) سير أعلام النبلاء (٣/ ٤٤٦).
(١٥٦) سير أعلام النبلاء (٢/ ٥٠٠ ـ ٥٠١).

حيث قال: بعثني رسول الله في سرية، فاستبقنا أنا ورجل من الأنصار إلى العدو، فحملت على رجل، فلما دنوت منه كبر، وطعنته فقتلته. ورأينا إنما فعل ذلك ليحرز دمه، وذكر الحديث، وفيه: فقال يعني النبي (ﷺ) «**يا أسامة من لك بلا إله إلا الله؟**» فقلنا: يا رسول الله إنما قالها تعوذًا من القتل. قال: «**من لك يا أسامة بلا إله إلا الله؟**» فما زال يرددها[١٥٧] حتى قال أسامة: لوددت أن ما مضي من إسلامي لم يكن، وإني أسلمت يومئذ، ولم أقتله ثم قال: إني أعطي لله عهدًا ألا أقتل رجلا يقول: لا إله إلا الله، أبدًا. فقال النبي (ﷺ) «**بعدي يا أسامة؟**» قال: بعدك[١٥٨].

وعن حرملة، أنه قال: أرسلني أسامة إلى علي وقال: إنه سيسألك الآن، فيقول: ما خلف صاحبك؟ فقل له: يقول لك: لو كنت في شدق الأسد، لأحببت أن أكون معك فيه، ولكن هذا أمر[١٥٩] لم أره، قال ابن حجر: فاعتذر بأنه لم يتخلف ضنا منه بنفسه عن علي، ولا كراهة له، وأنه لو كان في أشد الأماكن هولاً لأحب أن يكون معه فيه ويواسيه بنفسه، ولكنه إنما تخلف لأجل كراهيته في قتال المسلمين[١٦٠]، وفي رواية أخري عند الذهبي، عن الزهري قال: لقي علي أسامة بن زيد، فقال: ما كنا نعدك إلا من أنفسنا يا أسامة، فلم لا تدخل معنا؟ قال: يا أبا حسن إنك والله لو أخذت بمشفر الأسد، لأخذت بمشفر الآخر معك، حتى نهلك جميعًا أو نحيا جميعًا، فأما هذا الأمر الذي أنت فيه، فوالله لا أدخل فيه أبدًا[١٦١].

٩ - عبد الله بن عمرو بن العاص:

فقد ورد عنه أنه لما سئل عن خروجه مع معاوية وأبيه إلى صفين، أنه لم يخرج لقتال وإنما خرج طاعة لأبيه، فعن حنظلة بن خويلد العنبري، قال: بينما أنا عند معاوية، إذ جاءه رجلان يختصمان في رأس عمار، فقال كل واحد منهما: أنا قتلته، فقال عبد الله بن عمرو: ليطب به أحدكما نفسا لصاحبه، فإني سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: «**تقتله الفئة الباغية**»، فقال معاوية: يا عمرو، ألا تغني عنا مجنونك، فما بالك معنا؟ قال: إن أبي شكاني إلى رسول الله (ﷺ) فقال: «**أطع أباك ما دام حياً**»، فأنا معكم ولست أقاتل،[١٦٢] وورد ما يدل على ندمه على حضوره صفين، فقد أخرج ابن سعد بسنده عن ابن أبي مليكة،[١٦٣] قال: قال عبد الله بن عمرو: ما لي ولصفين، ما لي ولقتال المسلمين لوددت أني مت قبلها بعشر

---

(١٥٧) مسلم رقم ٩٦، الحاكم في المستدرك (٣/ ١١٦).
(١٥٨) سير أعلام النبلاء (٢/ ٥٠٥) إسناده رجاله ثقات
(١٥٩) البخاري، ك الفتن (٨/ ٦١-٦٧).
(١٦٠) فتح الباري (١٣/ ٦٧).
(١٦١) سير أعلام النبلاء (٢/ ٥٠٤).
(١٦٢) مسند أحمد (٢/ ١٦٤) إسناده صحيح، تهذيب التهذيب (٣/ ٥٢).
(١٦٣) أبو بكر عبد الله التميمي روى عن العبادلة الأربعة، تهذيب التهذيب(٥/ ٢٦٨).

سنين - أما والله على ذلك ما ضربت بسيفي، ولا رميت بسهم [١٦٤].

١٠ - صهيب بن سنان الرومي:

قال الذهبي: وكان ممن اعتزل الفتنة وأقبل على شأنه[١٦٥]. وعن جعفر بن برقان، أن ميمون بن مهران ذكر أصناف الناس واختلافهم في أمر عثمان وطلحة والزبير ومعاوية وكان مما قاله: وأما من لزم، فمنهم سعد بن أبي وقاص، وأبو أيوب الأنصاري، وعبد الله بن عمر، وأسامة بن زيد، وحبيب بن سلمة الفهري، وصهيب بن سنان، ومحمد بن مسلمة في أكثر من عشرة آلاف من أصحاب رسول الله والتابعين لهم بإحسان، قالوا جميعاً: نتولى معاوية وعليًا، ولا نتبرأ منهما، ونشهد عليهما وعلى شيعتهما بالإيمان ونرجو لهم، ونخاف عليهم[١٦٦].

١١ - أبو أيوب الأنصاري:

أخرج ابن أبي شيبة في المصنف، وخليفة بن خياط في تاريخه وابن سعد في الطبقات عن شعبة قال: سألت الحكم: هل حضر أبو أيوب صفين؟ قال لا، ولكن شهد يوم النهر موقعة النهروان[١٦٧].

١٢ - أبو هريرة:

فقد ورد أنه لم يشارك في الجمل ولا صفين وهو أحد رواة أحاديث النهي عن الدخول في الفتنة فقد قال: قال رسول الله (ﷺ): «ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي ومن تشرف لها تستشرفه، ومن وجد ملجأ أو معاذاً فليعذ به»[١٦٨].

١٣ - عبد الله بن سعد بن أبي السرح:

قال الذهبي: ولي مصر لعثمان، وقيل: شهد صفين، والظاهر أنه اعتزل الفتنه وانزوى إلى الرملة[١٦٩].

هذا غيض من فيض وقليل من كثير من أقوال الصحابة الذين اعتزلوا الفتنة، فلم يشاركوا فيها، بل إن بعضهم كان يحذر غيره من المشاركة، وهو اقتناع تكون لديهم، من خلال الأحاديث التي رووها والتي فيها النهي عن الدخول في الفتن التي تقع بين المسلمين، وقد فرق هؤلاء الصحابة بين قتال الخوارج والقتال في الجمل وصفين، فقد شارك في قتال

(١٦٤) طبقات ابن سعد (٤/ ٢٦٦)رجاله ثقات.
(١٦٥) سير أعلام النبلاء (٢/ ١٨).
(١٦٦) دول الإسلام (١/ ٢٩) تاريخ دمشق ص٥٠٣، ٥٠٥.
(١٦٧) مصنف ابن أبي شيبة (١٥/ ٣٠٣) تاريخ خليفة ص١٩٦، الطبقات (٣/ ٢٤٩).
(١٦٨) مسلم، ك الفتن (٤/ ٢٢١١ - ٢٢١٢).
(١٦٩) سير أعلام النبلاء (٣/ ٣٣).

الخوارج كأبي برزة وأبي أيوب الأنصاري وهما ممن اعتزل الفتنة بين المسلمين في الجمل وصفين، وأيضاً فإن هؤلاء الصحابة الذين اعتزلوا سرعان ما بايعوا معاوية، بعد أن تنازل له الحسن بن علي رضي الله عنه عن الخلافة واجتمعت عليه كلمة الأمة. وقال ابن حجر: وبايع معاوية كل من كان معتزلاً للقتال كابن عمر، وسعد بن أبي وقاص، ومحمد بن مسلمة[(١٧٠)].

إن الذي نفهمه من خلال هذه النصوص التي أوردناها أن علة كف هؤلاء الصحابة عن الدخول مع أحد الطرفين، قد يكون لأن الأمور كانت مشتبهة عليهم - كما قال النووي - فلم يتبينوا المحق من المبطل، كما يظهر من كلام سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، وقد يكون أنهم لم يكونوا يرون أن القتال هو الحل الوحيد لهذه المشكلة، لأن الصلح خير، ومن الصلح أن يتم التنازل عن بعض الحق، جمعًا لكلمة المسلمين، ولعلنا نلمح من كلام أسامة رضي الله عنه شيئًا من هذا التوجيه، فقد اعتذر لأمير المؤمنين علي بأنه لا يرى القتال معه في هذا السبيل، رغم اعترافه بإمامته وفضله[(١٧١)]

وقد تحدث العلماء في أعذار المعتزلين:

أ - قال القرطبي: وقيل من توقف من الصحابة حملوا الأحاديث الواردة بالكف على عمومها، فاجتنبوا ما وقع بين الصحابة من الخلاف والقتال[(١٧٢)].

ب - قال ابن حزم: وأما من وقف فلا حجة له أكثر من أنه لم يتبين له الحق، ومن لم يتبين له الحق فلا سبيل إلى مناظرته بأكثر من أن نبين له وجه الحق حتى يراه[(١٧٣)].

جـ - وقال ابن حجر: الحق حمل عمل كل أحد من الصحابة المذكورين على السداد، فمن لابس القتال اتضح له الدليل، لثبوت الأمر بقتال الفئة الباغية، وكانت له القدرة على ذلك، ومن قعد لم يتضح له أي الفئتين هي الباغية، وإذا لم يكن له القدرة على القتال. وقد وقع لخزيمة بن ثابت أنه كان مع علي، وكان مع ذلك لا يقاتل، فلما قتل عمار قاتل حينئذ، وحدث بحديث. «يقتل عمارًا الفئة الباغية» أخرجه أحمد وغيره[(١٧٤)].

د - وقال الجصاص: فإن قيل: قد جلس عن علي جماعة من أصحاب النبي (ﷺ)، منهم سعد، ومحمد بن مسلمة، وأسامة بن زيد، وابن عمر قيل له: لم يقعدوا عنه لأنهم لم يروا قتال الفئة الباغية، وجائز أن يكون قعودهم عنه لأنهم رأوا الإمام مكتفيًا بمن معه، مستغنيًا عنهم بأصحابه فاستجازوا القعود عنه لذلك، ألا ترى أنهم قعدوا عن قتال الخوارج لا على أنهم لم يروا قتالهم واجبًا، لكن لما وجدوا من كفاهم قتل الخوارج استغنوا عن مباشرة القتال[(١٧٥)].

---

(١٧٠) أحداث وأحاديث الفتن ٢١٢.
(١٧١) التذكرة (٢/ ٢٢٣).
(١٧٢) الفصل (٣/ ٧٨).
(١٧٣) الفصل (٣/ ٧٨).
(١٧٤) فتح الباري (١٣/ ٤٦).
(١٧٥) أحكام القرآن (٥/ ٢٨١).

خامسًا: موقف المتريثين في تنفيذ القصاص حتى تستقر الأحوال، كأمير المؤمنين علي، ومن معه:

كان أمير المؤمنين علي رضي الله عنه ينتظر حتى يستتب له الأمر، ينظر في شأن قتلة عثمان، فحين طالب الزبير وطلحة ومن معهم بإقامة حد القصاص عليهم اعتذر لهم بأنهم كثير، وأنهم قوة لا يستهان بها، وطلب منهم أن يصبروا حتى تستقر الأوضاع وتهدأ الأمور، فتؤخذ الحقوق، لأن الظروف لم تكن مواتية من جلب المصالح وقد ألمح أمير المؤمنين علي رضي الله عنه إلى اختيار أهون الشرين حين قال: هذا الذي ندعوكم إليه من إقرار هؤلاء القوم - قتلة عثمان - وهو خير من شر منه - القتال والفرقة[١٧٦]لقد رأى أمير المؤمنين أن المصلحة تقتضي تأخير القصاص لا تركه فأخر القصاص من أجل هذا، وهذا فيه اقتداء بالنبي (ﷺ) في حادثة الإفك وذلك أنه تكلم في عائشة رضي الله عنها مجموعة من الناس وكان الذي تولى كبره عبد الله بن أبي بن سلول، فصعد النبي (ﷺ) وقال: «**من يعذرني في رجل وصل أذاه إلى أهلي؟**» يعني عبد الله بن أبي بن سلول فقام سعد بن معاذ، وقام أسيد بن حضير فرد على سعد بن عبادة فصار النبي (ﷺ) يخفضهم[١٧٧] علم أن الأمر عظيم ذلك أن قبل مجيء النبي (ﷺ) إلى المدينة كان الأوس والخزرج قد اتفقوا على أن يجعلوا عبد الله بن أبي بن سلول ملكًا عليهم فهو له عندهم منزلة عظيمة وهو الذي رجع بثلث الجيش في معركة أحد، والنبي (ﷺ) هنا ترك إقامة الحد على عبد الله بن أبي بن سلول لماذا؟ للمصلحة والمفسدة، إذ رأى أن جلده أعظم مفسدة من تركه، وكذلك أمير المؤمنين علي رضي الله عنه رأى أن تأخير القصاص أقل مفسدة من تعجيله؛ لأن عليًا رضي الله عنه لا يستطيع أن يقتل قتلة عثمان أصلاً لأن لهم قبائل تدافع عنهم، والأمن غير مستتب، وما زالت فتنه، ومن يقول أنهم لن يقتلوا عليًا رضي الله عنه وقد قتلوه بعد ذلك[١٧٨].

كان أمير المؤمنين علي ينتظر بقتلة عثمان أن يستوثق الأمن وتجتمع الكلمة ويرفع الطلب من أولياء الدم، فيحضر الطالب للدم والمطلوب، وتقع الدعوة ويكون الجواب، وتقوم البينة ويجري القضاء في مجلس الحكم[١٧٩]، ولا خلاف بين الأمة أنه يجوز للإمام تأخير القصاص إذا أدى ذلك إلى إثارة الفتنة وتشتيت الكلمة[١٨٠]، وأما ما أثير عن وجود قتلة عثمان في جيش أمير المؤمنين علي رضي الله عنه وكيف يرضى أن يكون هؤلاء في جيشه، فقد أجاب الإمام الطحاوي عن هذه الشبهة بقوله: وكان في عسكر علي رضي الله عنه من أولئك الطغاة الخوارج الذين قتلوا عثمان من لم يعرف بعينه ومن تنتصر له قبيلته ومن لم تقم عليه حجة بما فعله ومن في قلبه نفاق لم يتمكن من إظهاره كله[١٨١]. وعلى كل حال، كان موقفه منهم

(١٧٦) تاريخ الطبري (٥/ ٤٦٠).
(١٧٧) البخاري، ك المغازي رقم ٤١٤١ .
(١٧٨) حقبة من التاريخ ص ١٠٢ .
(١٧٩) تحقيق مواقف الصحابة (٢/ ١٥٦).
(١٨٠) أحكام القرآن لابن العربي (٢/ ١٧١٨).
(١٨١) شرح الطحاوية ص ٥٤٦ .

موقف المحتاط منهم المتبرئ من فعلهم، وكان راغبًا في الاستغناء عنهم بل الاقتصاص منهم لو وجد إلى ذلك سبيلاً، وتجلى هذا في أمرين:

١ - موقفه من قتلة عثمان:

لقد أنكر علي رضي الله عنه قتل عثمان وتبرأ من دمه، وكان يقسم على ذلك في خطبه وغيرها أنه لم يقتله ولا أمر بقتله ولا مالأ ولا رضي، وقد ثبت ذلك عنه بطرق تفيد القطع[(١٨٢)]، خلافاً لما تزعمه الرافضة من أنه كان راضيًا بقتل عثمان رضي الله عنهما[(١٨٣)] وقال الحاكم بعد ذكر بعض الأخبار الواردة في مقتله رضي الله عنه: فأما الذي ادعته المبتدعة من معونة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، فإنه كذب وزور فقد تواترت الأخبار بخلافه [(١٨٤)] وقال ابن تيمية: وهذا كله كذب على علي رضي الله عنه وافتراء عليه فعلي رضي الله عنه لم يشارك في دم عثمان، ولا أمر ولا رضي، وقد روي عنه ذلك وهو الصادق البار[(١٨٥)] ، وقد قال علي رضي الله عنه: اللهم إني أبرأ إليك من دم عثمان [(١٨٦)] وروى الحاكم بإسناده عن قيس بن عباد قال: سمعت عليا يوم الجمل يقول: اللهم إني أبرأ إليك من دم عثمان، ولقد طاش عقلي يوم قتل عثمان، وأنكرت نفسي وجاؤوني للبيعة فقلت: والله إني لأستحي من الله أن أبايع قوماً قتلوا رجلاً قال فيه رسول الله (ﷺ): «ألا أستحي ممن تستحي منه الملائكة»، وإني لأستحي من الله أن أبايع وعثمان قتيل على الأرض لم يدفن بعد، فانصرفوا، فلما دفن رجع الناس فسألوني البيعة فقلت: اللهم إني مشفق مما أقدم عليه ثم جاءت عزيمة فبايعت فلقد قالوا: يا أمير المؤمنين فكأنما صدع قلبي، وقلت اللهم خذ مني لعثمان حتى ترضى [(١٨٧)] . وروى الإمام أحمد بسنده عن محمد ابن الحنفية قال: بلغ عليا أن عائشة تلعن قتلة عثمان في المربد [(١٨٨)] قال: فرفع يديه حتى بلغ بهما وجهه فقال: وأنا ألعن قتلة عثمان لعنهم الله في السهل والجبل، قال مرتين أو ثلاثًا [(١٨٩)] وروى ابن سعد بسنده عن ابن عباس أن عليا قال: والله ما قتلت عثمان ولا أمرت بقتله، ولكني نهيت، والله ما قتلت عثمان ولا أمرت ولكني غلبت، قالها ثلاثا [(١٩٠)] ، وجاء عنه أيضًا أنه قال رضي الله عنه: من تبرأ من دين عثمان فقد تبرأ من الإيمان والله ما أعنت على قتله ولا أمرت ولا رضيت[(١٩١)]،

---

(١٨٢) البداية والنهاية(٧/ ٢٠٢).

(١٨٣) العقيدة في أهل البيت بين الإفراط والتفريط ص٢٢٩.

(١٨٤) المستدرك (٣/ ١٠٣).

(١٨٥) منهاج السنة (٤/ ٤٠٦).

(١٨٦) البداية والنهاية (٧/ ٢٠٢)إسناد حسن.

(١٨٧) المستدرك (٣/ ٩٥) حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

(١٨٨) موضع قرب البصرة بينهما نحو ثلاثة أميال .

(١٨٩) فضائل الصحابة (١/ ٥٥٥) رقم ٧٣٣ إسناده صحيح.

(١٩٠) الطبقات (٣/ ٨٢)، والبداية والنهاية (٧/ ٢٠٢).

(١٩١) الرياض النضرة ص (٥٤٣).

وكان يثني على عثمان رضي الله عنه وقال فيه. كان أوصلنا للرحم وأتقانا للرب [١٩٢] وعن عميرة بن سعد قال: كنا مع علي على شاطئ الفرات، فمرت سفينة مرفوع شعارها فقال علي: يقول الله عز وجل: ﴿ وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴾ [الرحمن: ٢٤]. والذي أنشأها في بحر من بحاره ما قتلت عثمان ولا مالأت على قتله. [١٩٣] وقال علي رضي الله عنه: إنما وهنت يوم قتل عثمان [١٩٤] ، وقد اعتنى الحفاظ ابن عساكر بجمع الطرق الواردة عن علي رضي الله عنه أنه تبرأ من دم عثمان وكان يقسم على ذلك في خطبه وغيرها، أنه لم يقتله ولا رضي بذلك، ثبت ذلك عنه بطرق تفيد القطع عند كثير من أئمة الحديث [١٩٥] .

٢ - محاولة استغنائه عن خدمات من كان منهم ضمن جيشه:

كان رضي الله عنه يعاملهم بحذر شعورًا منه بخطرهم، حتى إنه لم يول أحدًا منهم عند إرادة خروجه للشام حيث دعا ولده محمد بن الحنفية وسلمه اللواء وجعل عبد الله بن عباس رضي الله عنه على الميسرة، وجعل على مقدمة الجيش أبا ليلى بن عمر بن الجراح [١٩٦] واستخلف على المدينة قثم بن العباس رضي الله عنهم [١٩٧] وهذه بادرة منه رضي الله عنه ليعلن تبرؤه من أولئك المارقين، ويثبت قدرته على السيطرة على أمر المسلمين من غير عون منهم، فقد كان له في المسلمين الموالين له والمؤيدين لخلافته ما يغنيه عن الاستعانة بهم والتودد إليهم وهذا أقصى ما يمكنه فعله بتلك الطائفة إذ ذاك، وهو كاف في عذره، لأنهم مئات ولهم قرابة وعشائر في جيشه، فما يأمن لو عاملهم بأكثر من هذا من الشدة أن يمتد حبل الفتنة في الأمة [١٩٨] وحين تم الصلح بين أمير المؤمنين وعلي وطلحة والزبير وعائشة على يدي القعقاع بن عمرو - سيأتي تفصيل ذلك - خطب أمير المؤمنين علي عشية ذلك اليوم، فذكر الجاهلية وشقاءها وأعمالها، وذكر الإسلام وسعادة أهله بالألفة والجماعة، وأن الله جمعهم بعد نبيه (ﷺ) على الخليفة أبي بكر ثم بعده على عمر بن الخطاب، ثم على عثمان، ثم حدث هذا الحدث الذي جره على الأمة أقوام - قتلة عثمان - طلبوا الدنيا وحسدوا من أنعم الله بها عليه، وعلى الفضيلة التي من الله بها، وأرادوا رد الإسلام والأشياء على أدبارها، والله بالغ أمره [١٩٩] ثم قال: ألا وإني راحل غدًا فارتحلوا، ولا يرتحلن غدًا أحد أعان على عثمان في شيء من أمور الناس، وليغني السفهاء عني أنفسهم [٢٠٠] .

---

(١٩٢) صفة الصفوة (١/٣٠٦).
(١٩٣) فضائل الصحابة (١/٥٥٩، ٥٦٠)إسناد لغيره رقم ٣٧٩.
(١٩٤) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم(٥/٦١).
(١٩٥) البداية والنهاية (٧/١٩٣).
(١٩٦) تاريخ الطبري، تحقيق مواقف الصحابة (٢/١٥٨).
(١٩٧) تاريخ الطبري (٥/٤٧٠).
(١٩٨) إفادة الأخبار للتباني (٢/٥٢) نقلا عن تحقيق مواقف الصحابة (٢/١٥٩).
(١٩٩) تاريخ الطبري (٥/٥٢٥).
(٢٠٠) تاريخ الطبري (٥/٥٢٥).

ويناقش الإمام الباقلاني موضوع توقيع عقوبة القصاص على قتلة عثمان، مبديًا رأيه لموقف علي رضي الله عنه في تأخير إجراء القصاص إلى حين إمكانه فيقول: وعلى أنه إذا ثبت أن عليا ممن يرى قتل الجماعة بالواحد، فلم يجز أن يقتل جميع قتلة عثمان إلا بأن تقوم البينة على القتلة بأعيانهم، وبأن يحضر أولياء الدم مجلسه، ويطلبوا بدم أبيهم ووليهم. وبأن يؤدي الإمام اجتهاده إلى أن قتل قتلة عثمان لا يؤدي إلى هرج عظيم وفساد شديد قد يكون فيه مثل قتل عثمان أو أعظم منه، وأن تأخير إقامة الحد إلى وقت إمكانه وتقصي الحق فيه أولي وأصلح للأمة وألم لشعثهم وأنفى للفساد والتهمة عنهم [٢٠١] ،ويبرر ابن حزم موقف علي رضي الله عنه في تأخير القصاص من قتلة عثمان بقوله: فنقول وبالله التوفيق: أما قولهم: إن أخذ القود من قتلة عثمان المحاربين لله (تعالي) ولرسوله، الساعين في الأرض بالفساد، والهاتكين حرمة الإسلام والحرم والإمامة والهجرة والخلاف والصحبة والسابقة فنعم، وما خالفهم علي قط في ذلك ولا في البراءة منهم، ولكنهم كانوا عددًا ضخمًا جما لا طاعة له عليهم، فقد سقط عن علي رضي الله عنه ما لا يستطيع عليه كما سقط عنه وعن كل مسلم ما عجز عنه من قيام بالصلاة والصوم والحج ولا فرق، قال الله (تعالى) : ﴿لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا﴾ [البقرة:٢٨٦] وقال رسول الله (ﷺ) «إذا أمرتكم بشيء فائتوا منه ما استطعتم» [٢٠٢] ولو أن معاوية بايع عليا لقوي به على أخذ الحق من قتلة عثمان، فصح أن الاختلاف هو أضعف يد علي على إنفاذ الحق عليهم، ولولا ذلك لأنفذ الحق عليهم كما أنفذه على قتلة عبد الله بن خباب [٢٠٣] إذ قدر على مطالبة قتلته [٢٠٤] .

وينقل ابن العربي وجهة نظر علي بقوله: وعلي يقول: لا أمكن طالبًا من مطلوب ينفذ فيه مراده بغير حكم ولا حاكم [٢٠٥] ثم يعقب: أما وجود الحرب بينهم فمعلوم قطعًا وأما كونه لهذا السبب أي بسبب الخلاف حول القصاص من قتلة عثمان، فمعلوم كذلك قطعًا، وأما الصواب فيه فمع علي، لأن الطالب للدم لا يصح أن يحكم، وتهمة الطالب للقاضي لا توجب عليه أن يخرج عليه، بل يطلب الحق عنده، فإن ظهر له قضاء وإلا سكت وصبر، فكم من حق يحكم الله فيه.. وأي كلام كان يكون لعلي - لما تمت له البيعة - لو حضر عنده ولي عثمان وقال له: إن الخليفة قد تمالأ عليه ألف نسمة حتى قتلوه، وهم معلومون، ماذا كان يقول إلا أثبت وخذ، وفي يوم يثبت، إلا أن يثبتوا هم - أي قتلته - أن عثمان كان مستحق للقتل، وبالله لتعلمن يا معشر المسلمين أنه ما كان يثبت على عثمان ظلم أبدًا، وكان يكون الوقت أمكن للطلب وأرفق في الحال، وأيسر وصولاً إلى المطلوب [٢٠٦] . إن عليا

(٢٠١) التمهيد للباقلاني ص ٢٣١، تحقيق مواقف الصحابة(٢/ ١٥٩).
(٢٠٢) البخاري، ك الاعتصام (٨/ ١٤٢).
(٢٠٣) قتلته الخوارج وسيأتي الحديث عنه بإذن الله.
(٢٠٤) الفصل في الملل والنحل (٤/ ١٦٢).
(٢٠٥) العواصم من القواصم ص١٦٣ .
(٢٠٦) تحقيق مواقف الصحابة (٢/ ١٦١).

رضي الله عنه كـان إمامًـا، وإن كل من خرج عليـه باغ، وأن قتـاله واجب حتى ينقـاد إلى الحق، ولا شك أن رده على أهل الشام بدخولهم في البيـعة ثم يطلبون الحق - أي القصاص من قتلة عـثمان - كـان في ذلك أسد رأيا وأصوب قـيلاً، لأنه لو اقـتص من قتلة عثـمان، والأمر لم يستـتب له بعد لتعصب لهؤلاء قـبائلهم، فتصير حـربًا ثالثة، فكان ينتظر أن يمسك بزمام الأمر ليقع الطلب من هؤلاء الجناة، ويجري القضاء فيهم بالحق (٢٠٧) . وذكر عبد القاهر البغدادي في كـتاب الإمامة مـا هذا نصه: أجمع فقـهاء الحجاز والعراق من فـريقي الحديث والذين منهم: مالك والشافعي وأبو حنيفة والأوزاعي والجمهور الأعظم من المتكلمين أن عليا مصيب في قتاله لأهل صفين، كما قالوا بإصابته في قتل أهل الجمل وقالوا أيضًا: لأن الذين قاتلوه بغاة ظالمون له، ولكن لا يجوز تكفيرهم ببغيهم (٢٠٨) . ويلخص ابن تيمية رأي علي رضي الله عنه في قوله: فهو يرى أنـه يجب على معاوية وأصحابه طاعته ومـبايعته. . وأنهم خارجون عن طاعـته يمتنعون عن هذا الواجب، وهم أهل شوكـة رأى أن يقاتلهم حتى يؤدوا هذا الواجب فتحصل الطاعة والجماعة (٢٠٩) إن تأخير علي رضي الله عنه إقامة الحد الشرعي على قتلة عـثمان كان عن ضـرورة قائمة ومعلومـة بالنسبة له فلمـا انتقل رضي الله عنه من المدينة إلى العراق ليكون على مقربة من الشام انتقل معـه قتلة عثمان المندسين في جيشه وهم كثرة، ولا سـيما أهل الكوفة والبـصرة منهم، فصاروا في معـقل قوتهم وعنجهيـة قبائلهم، فكان علي يرى أن إقامة الحد عليهم سيفتح عليه بابًا ربما لا يستطيع سده بعد ذلك، وقد انتبه لهذه الحقيـقة الصحابي الجليل القعقـاع بن عمرو التميمي وتحـدث بها مع أم المؤمنين وطلحة والزبير فأذعنوا له وعذروا عليا، ووافقوا علـى موقفه ذاك، ورأيه السديد المتمثل في دفع أدنى المفسدتين، وارتكاب أخف الضررين إن السياسة الحكيمة تقضي ما كان ينادي به أمير المؤمنين علي رضي الله عنه من التـريث والأناة وعدم الاستعـجال، إذ أن الأمـر يحتـاج إلى وحدة الصف والكلمة لإيجاد موقف موحد، ومواجهـة ذلك التحدي الذي يهدد مركز الخلافة، بيد أن الخلاف في الرأي أضعف مركز الخليفة الجديد، وقضى على كل الآمال في أخذ القصاص من قتلة عثمان (٢١٠)، وهناك أدلة قوية تبين أن عليا كان محقا أكثر من طلحة والزبير ومعاوية رضي الله عنهم منها:

١ - ما رواه البخاري من طريق أبي سـعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله (ﷺ) قال: «**ويح عمار تقتله الفئة الباغية** » (٢١١). يقول ابن حجر: وفي هذا الحديث علم من أعلام النبوة وفضيلـة ظاهرة لعلي وعمار، ورد على النواصب الزاعمين أن عليًا لم يكن مـصيبًا في حروبه (٢١٢) ويقول النووي بأن الروايات - أي عن النبي (ﷺ) - صريحة في أن عليا رضي

(٢٠٧) أحكام القرآن لابن العربي، تحقيق مواقف الصحابة (٢/ ١٦١).
(٢٠٨) أعلام النصر المبين ابن دحية، تحقيق مواقف الصحابة (٢/ ١٦٢).
(٢٠٩) مجموع الفتاوي (٣٥/ ٧٢).
(٢١٠) تحقيق مواقف الصحابة (٢/ ١٦٣).
(٢١١) البخاري، ك الجهاد (٣/ ٢٠٧).
(٢١٢) الفتح (١/ ٥٤٢).

الله عنه كان هو المصيب المحق، والطائفة الأخرى أصحاب معاوية كانوا بغاة متأولين، وفيها التصريح بأن أصحاب الطائفتين مؤمنون لا يخرجون بالقتال عن الإيمان ولا يفسقون (٢١٣).

٢ - وجاء في الحديث الصحيح الذي رواه الإمام مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: ذكر النبي (ﷺ) قومًا يكونون في أمته يخرجون في فرقة من الناس سماهم التحالق الخوارج قال: «هم شر الخلق يقتلهم أدنى الطائفتين إلى الحق» (٢١٤). وفي رواية: «يخرجون على فرقة مختلفة يقتلهم أقرب الطائفتين من الحق» (٢١٥).

ففي الحديث دلالة واضحة في أن عليا رضي الله عنه كان أدنى إلى الحق من مخالفيه في الجمل وصفين.

سادسا: خروج الزبير وطلحة وعائشة ومن معهم إلى البصرة للإصلاح:

قدم طلحة والزبير إلى مكة ولقيا عائشة رضي الله عنهم جميعًا وكان وصولهما إلى مكة بعد أربعة أشهر من مقتل عثمان تقريبًا أي في ربيع الآخر من عام ٣٦هـ (٢١٦)، ثم بدأ التفاوض في مكة مع عائشة رضي الله عنها للخروج، وقد كانت هناك ضغوط نفسية كبيرة على أعصاب الذين وجدوا أنفسهم لم يفعلوا شيئًا لإيقاف عملية قتل الخليفة المظلوم، فقد اتهموا أنفسهم بأنهم خذلوا الخليفة وأنه لا تكفير لذنبهم هذا - حسب قولهم - إلا الخروج للمطالبة بدمه علمًا بأن عثمان هو الذي نهى كل من أراد أن يدافع عنه في حياته تضحية في سبيل الله فعائشة تقول: إن عثمان قتل مظلومًا والله لأطالبن بدمه(٢١٧) وطلحة يقول: إنه كان مني في عثمان شيء ليس توبتي إلا أن يسفك دمي في طلب دمه(٢١٨)، والزبير يقول: ننهض الناس فيدرك بهذا الدم لئلا يبطل فإن في إبطاله توهين سلطان الله بيننا أبدًا، إذا لم يفطم الناس عن أمثالها لم يبق إمام إلا قتله هذا الضرب (٢١٩)، فهذا الإحساس الضاغط على الأعصاب والنفوس كان كفيلا بأن يحرك الناس ويخرجهم من راحتهم واستقرارهم، بل كانوا يخرجون وهم يدركون أنهم يخرجون إلى أهوال قادمة مجهولة فكل واحد منهم خرج من بيته وهو غير متوقع العودة مره أخرى فشيعه أولاده بالبكاء وسمي يوم خروجهم من مكة نحو البصرة بيوم النحيب، فلم ير يوم كان أكثر باكيًا على الإسلام أو باكيًا له من ذلك اليوم(٢٢٠) لقد توفرت مجموعة من العوامل في مكة جعلتهم يفكرون في طريقة جادة لتحقيق

---

(٢١٣) شرح النووي على صحيح مسلم (٧/ ١٦٨).
(٢١٤) مسلم رقم ١٠٦٥.
(٢١٥) مسلم (١/ ٧٤٦).
(٢١٦) تاريخ الطبري (٥/ ٤٦٩).
(٢١٧) تاريخ الطبري (٥/ ٤٨٥).
(٢١٨) سير أعلام النبلاء (١/ ٣٤).
(٢١٩) تاريخ الطبري(٥/ ٤٨٧).
(٢٢٠) تاريخ الطبري (٥/ ٤٨٧)، دراسات في عهد النبوة والخلافة الراشدة للشجاع ص٤١٧.

مطلبهم ومن هذه العوامل: أن بني أمية قد هربوا من المدينة واستقروا في مكة، ومنها، أن عبد الله بن عامر - أمير البصرة في عهد عثمان - كان في مكة وهو يحث على الخروج ويعرض المعونة المادية، ومنها أن يعلي بن أمية الذي خرج من اليمن لإعانة الخليفة عثمان وصل مكة وقد قتل الخليفة ومعه من المال والسلاح والدواب شيئًا لا بأس به، فعرض كل ذلك للمساعدة في قتل قتلة عثمان فكان هذا كفيلاً لتشجيع الباحثين عن طريقة لمطاردة قتلة عثمان، وما دامت العوامل قد توافرت لجمع قوة تطالب بدم عثمان فمن أين يبدؤون . دار حوار بينهم حول الجهة التي يتوجهون إليها فقال بعضهم وعلى رأسهم السيدة عائشة: إن المدينة هي وجهتهم، وظهر رأي آخر يطلب التوجه إلى الشام ليتجمعوا معًا ضد قتلة عثمان، وبعد نظر طويل قر رأيهم على البصرة، لأن المدينة فيها كثرة ولا يقدرون على مواجهتهم لقلتهم، ولأن الشام صار مضمونًا لوجود معاوية، ومن ثم يكون دخولهم البصرة أولى في هذه الخطة لأنه أقل البلدان قوة وسلطة ويستطيعون من خلالها تحقيق خطتهم [٢٢١] ، وكانت خطتهم ومهمتهم واضحة سواء قبل خروجهم وفي أثناء طريقهم أو عند وصولهم إلى البصرة وهي: الطلب بدم عثمان، والإصلاح، وإعلام الناس بما فعل الغوغاء، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر [٢٢٢]، وأن هذا المطلب هو لإقامة حد من حدود الله [٢٢٣] ، وأنه إذا لم يؤخذ على أيدي قتلة عثمان رضي الله عنه فسيكون كل إمام معرض للقتل من أمثال هؤلاء[٢٢٤] وأما الطريقة التي تصوروها فهي الدخول إلى البصرة ثم الكوفة، والاستعانة بأهلها على قتلة عثمان منهم أو من غيرهم ثم يدعون أهل الأمصار الأخرى لذلك حتى يضيقوا الخناق على قاتلي عثمان الموجودين في جيش علي فيأخذونهم بأقل قدر ممكن من الضحايا [٢٢٥].

لم يكن الخروج إلى البصرة والغضب الذي حرك الصحابة من البساطة التي ظهرت للناس كثأر لعثمان رضي الله عنه، وكأنه رجل من عوام الناس قتل، فخرجت الجيوش في الطلب له بثأره، رغم كونه حدًا من حدود الله يستوجب الغضب ويستدعي حدوث ذلك، ولكن مكانة عثمان وشخصيته ومكانته المعنوية كخليفة وقتله بالصورة التي تمت، كان فوق ذلك ومعه، اغتيالاً لصفة شرعية هي «الخلافة» التي يفهمها المسلمون: نيابة عن صاحب الشرع في حفظ الدين، وسياسة الدنيا به [٢٢٦]، فالاعتداء عليها دون وجه حق اعتداء على صاحب الشرع وتوهين لسلطانه، وضياع لنظام المسلمين [٢٢٧].

---

(٢٢١) تاريخ الطبري (٥/ ٤٧٦)، دراسات في عهد النبوة ص ٤١٨ .
(٢٢٢) تاريخ الطبري (٥/ ٤٨٩).
(٢٢٣) دراسات في عهد النبوة ص ٤١٩ .
(٢٢٤) تاريخ الطبري (٥/ ٤٨٧).
(٢٢٥) دراسات في عهد النبوة ص٤١٩ .
(٢٢٦) مقدمة ابن خلدون ص ١٩١ .
(٢٢٧) دور المرأة السياسي ص ٣٩١.

كانت السيدة عائشة والزبير وطلحة ومن معهم يسعون لإيجاد رأي إسلامي عام في مواجهة الطغمة السبئية التي قتلت عثمان وأصبحت ذات شوكة لا يستهان بها وذلك من خلال تعريف المسلمين بما أتى هؤلاء السبئيين والغوغاء من أهل الأمصار ونزاع القبائل، ومن ظاهرهم من الأعراب والعبيد، فلقد بات واضحًا عند الصحابة من الفريق الذي كان يرى رأي عائشة رضي الله عنها أن الغوغاء والسبئيين لهم وجود في جيش علي، وأنه لأجل ذلك فإن عليا رضي الله عنه يصعب عليه مواجهتهم، خشية منه على أهل المدينة، ومن ثم فإنه ينبغي عليهم أن يحاولوا السعي لإفهام المسلمين، وتقوية الجانب المطالب بإقامة الحدود، لتتم إقامتها بأقل الخسائر في دماء الأبرياء وهو هدف لا نشك أن عليا كان يسعى إليه، ويحاوله، بل إن الروايات التي مرت معنا في المحاورة بين الزبير وطلحة وعلي تدل على ذلك، ثم إن هذا السلوك منهم، وهذه النية في تعريف الناس، وتوضيح الأمور لهم، دليل على وعي تام منهم بأساليب السبئية في اللعب بأفكار العامة، وتوجيهها على النحو الذي ينخر في الأمة حتى لا تستقر على حال، فكان لا بد من مواجهتها في ميدان الأفكار، لإبطال عملها، ولقد تبين هذا العمل واضحًا وصريحًا في الروايات الصحيحة (٢٢٨) التي تحدثت فيها السيدة عائشة رضي الله عنها عن أهداف هذا الخروج، فروى الطبري أن عثمان بن حنيف - وهو والي البصرة من قبل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أرسل إلى عائشة رضي الله عنها عند قدومها البصرة يسألها عن سبب قدومها، فقالت: والله ما مثلي يسير بالأمر المكتوم، ولا يغطي لبنيه الخبر، إن الغوغاء من أهل الأمصار، ونزاع القبائل، غزوا حرم رسول الله (ﷺ) وأحدثوا فيه الأحداث، وأووا فيه المحدثين، واستوجبوا فيه لعنة الله ولعنة رسوله مع ما نالوا من قتل إمام المسلمين بلا ترة ولا عذر فاستحلوا الدم الحرام فسفكوه، وانتهبوا المال الحرام، وأحلوا البلد الحرام والشهر الحرام، ومزقوا الأعراض والجنود، وأقاموا في دار قوم كانوا كارهين لمقامهم، ضارين مضرين غير نافعين ولا متقين .

ولا يقدرون على امتناع ولا يأمنون، فخرجت في المسلمين أعلمهم ما أتى هؤلاء القوم وما فيه الناس وراءنا، وما ينبغي لهم أن يأتوا في إصلاح هذا، وقرأت: ﴿لاَّ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ [النساء: ١١٤] ، فنهضَ في الإصلاحَ ممن أمر الله (عزَّ وجل) وأمرَ رسولَ اللهِ (ﷺ) الصغير والكبير والذكر والأنثى، فهذا شأننا إلى معروف نأمركم به ونحضكم عليه، ومنكر ننهاكم عنه ونحثكم على تغييره(٢٢٩) وروى ابن حبان أن عائشة رضي الله عنها كتبت إلى أبي موسى الأشعري والي علي على الكوفة: فإنه قد كان من قتل عثمان ما قد علمت وقد خرجت مصلحة بين الناس، فمر من قبلك بالقرار في منازلهم، والرضا بالعافية حتى يأتيهم ما يحبون من صلاح أمر المسلمين(٢٣٠) ولما أرسل علي القعقاع بن عمرو لعائشة ومن كان معها يسألها عن سبب

(٢٢٨) دور المرأة السياسي ص٣٩٤.
(٢٢٩) تاريخ الطبري (٥/ ٤٨٩).
(٢٣٠) الثقات لابن حبان (٢/ ٢٨٢).

قدومـها، دخل عليها القـعقاع فسلـم عليها، وقال: أي أمـه ما أشخصك ومـا أقدمك هذه البلدة؟ قالت: أي بني إصلاح بين الناس(٢٣١) .

وبعد انتهاء الحـرب يوم الجمل جاء علي إلى عائشة رضي الله عنها فقـال لها: غفر الله لك، قالت: ولك، مـا أردت إلا الإصلاح (٢٣٢) .فتقرر أنهـا ما خرجت إلا للإصلاح بين الناس وفيه رد على من طعن في عائشة رضي الله عنها من الشيعة الروافض في قولهم: إنها خرجت من بيتها وقد أمرها الله بالاستقرار فيه في قوله: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ [الأحزاب:٣٣] فإن سفر الطاعة لا ينافي القرار في البيت وعدم الخروج منه إجماعًا وهذا مـا كانت تراه أم المؤمنين عائشة في خروجهـا للإصلاح بين المسلمين وكان معها محرمها ابن أختها عبد الله بن الزبير (٢٣٣) .

قال ابن تيمية في الرد على الرافضة فى هذه المسألة: فهي رضي الله عنها لم تتبرج تبرج الجاهلية الأولى، والأمر بالاسـتقرار فى البيوت لا ينافى الخروج لمصلحة مأمـور بها، كما لو خرجت للحج والعمرة، أو خرجت مع زوجهـا فى سفره، فإن هذه الآية قد نزلت فى حياة النبي (ﷺ) وقد سـافر بهن رسول الله (ﷺ) بعـد ذلك كما سافـر في حجة الوداع بعـائشة رضي الله عنها وغيرها وأرسلها مع عبد الرحمن أخيها فأردفها خلفه، وأعمرها من التنعيم، وحجة الوداع كانت قبل وفاة الـنبي (ﷺ) بأقل من ثلاثة أشهر، بعد نزول هذه الآية، ولهذا كان أزواج النبي (ﷺ) يحججن بعـده ـ كما كن يحججن معه ـ في خـلافة عمر رضي الله عنه وغيره، وكان عمر يوكل بقطارهن عثمان، أو عبد الر حمن بن عوف، وإذا كان سفرهن لمصلحة جـائزًا فعائشـة اعتقـدت أن ذلك السفر مـصلحة للمسلمين فـتأولت في ذلك (٢٣٤) ويقول ابن العربي: وأما خروجها إلى حرب الجمل فما خرجت لحرب ولكن تعلق الناس بها وشكوا إليهـا ما صـاروا إليه من عظيم الفـتنة وتهارج الناس، ورجوا بركـتهـا في الإصلاح وطمعوا في الاسـتحياء منهـا إذا وقفت للخلق، وظنت هي ذلك وخرجت مقـتدية بالله في قـوله: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ [النساء:١٤٤]. والأمر بالإصلاح، مخاطب به جميع الناس من ذكر أو أنثى حر أو عبد(٢٣٥) وهذه بعض الأمور المهمة في خروجها.

١ - هل أكرهت السيدة عائشة على الخروج:

زعم اليعقوبي أن الزبير بن العوام أكـره السيدة عائشة على الخروج (٢٣٦)، وقـال بهـذا

---

(٢٣١) تاريخ الطبري (٥/ ٥٢٠) .

(٢٣٢) شذرات الذهب (١/ ٤٢).

(٢٣٣) الانتصار للصحب والآل ص ٤٤٤ .

(٢٣٤) منهاج السنة (٤/ ٣١٧ ـ ٥٧٠).

(٢٣٥) أحكام القرآن (٣/ ٥٦٩ ـ ٥٧٠).

(٢٣٦) تاريخ اليعقوبي (٢/ ١٨٠ ، ٢٠٩).

القول صاحب الإمامة والسياسة (٢٣٧) وابن أبي الحديد (٢٣٨) وكذلك فعل الدينوري (٢٣٩)، وألمحت الرواية التي ذكرها الذهبي بأن المتسلط عليها هو عبد الله بن الزبير (٢٤٠) ابن أختها أسماء، وسار على هذه الروايات كثير من الباحثين، كمحمد سيد الوكيل (٢٤١) فقد زعم أن الزبير وطلحة شجعا عائشة على الخروج وزاهية قدورة (٢٤٢) وغيرهم، وهذا غير صحيح، فقد قامت السيدة عائشة بالمطالبة بثأر عثمان منذ اللحظة التي علمت فيها بمقتله رضي الله عنه، وقبل أن يصل الزبير وطلحة وغيرهما من كبار الصحابة إلى مكة، ذلك أنه قد روي أنها لما انصرفت راجعة إلى مكة أتاها عبد الله بن عامر الحضرمي فقال: ما ردك يا أم المؤمنين، قالت: ردني أن عثمان قتل مظلومًا، وأن الأمر لا يستقيم ولهذه الغوغاء أمر، فاطلبوا بدم عثمان تعزوا الإسلام، فكان عبد الله أول من أجابها (٢٤٣) ولم يكن طلحة والزبير قد خرجا من المدينة، وإنما خرجا منها بعد ما مر على مقتل عثمان أربعة أشهر (٢٤٤).

٢ - هل كانت متسلطة على من معها؟

كان فيمن خرج معها رضي الله عنها جمع من الصحابة (٢٤٥) ولم تكن السيدة عائشة المرأة المتسلطة التي تحرك الناس حيث شاعت كما زعم بروكلمان (٢٤٦)، ولقد أكدت روايات الطبري على تأييد أمهات المؤمنين لها، ولمن معها في السعي للإصلاح، بل وتأييد عدد غير قليل من أهل البصرة لها (٢٤٧)، وكان هذا العدد غير القليل ممن لا يستهان بهم، فلقد وصفهم طلحة والزبير بأنهم خيار أهل البصرة ونجباؤهم (٢٤٨)، ووصفتهم السيدة بأنهم الصالحون (٢٤٩) وما كان خروج هذا العدد من الصالحين إلا عن اعتقاد راسخ بجدوى هذا الخروج وصواب مقصده، وكان أمير المؤمنين يعلم هذا، ويرد الزعم الذي زعمه البعض من أن الخارجين مع السيدة عائشة كانوا جموعًا من السفهاء والغوغاء والأوباش (٢٥٠)، فلقد وقف

---

(٢٣٧) الإمامة والسياسة (١/ ٥٨، ٦٩).
(٢٣٨) شرح نهج البلاغة (٩/ ١٨).
(٢٣٩) الأخبار الطوال ص ١٤٥.
(٢٤٠) سير أعلام النبلاء (٢/ ١٩٣).
(٢٤١) جولة تاريخية في عصر الخلفاء الراشدين ص ٥٢٦.
(٢٤٢) عائشة أم المؤمنين ص ١٨٤.
(٢٤٣) تاريخ الطبري (٥/ ٤٧٥).
(٢٤٤) دور المرأة السياسي ص٣٨٣، تاريخ الطبري (٥/ ٤٦٩).
(٢٤٥) المصدر نفسه ص٣٨٤.
(٢٤٦) تاريخ الشعوب الإسلامية ص ١١١، ١١٤، ١١٧.
(٢٤٧) تاريخ الطبري (٥/ ٤٧٥).
(٢٤٨) تاريخ الطبري نقلا عن دور المرأة السياسي ص ٣٨٥).
(٢٤٩) المصدر نفسه ص٣٨٥.
(٢٥٠) انظر ما قاله صاحب الإمامة والسياسة (١/ ٥٧).

أمير المؤمنين بعد معركة الجمل بين القتلى من فريق عائشة، يترحم عليهم ويذكر فضلهم[(٢٥١)] وسيأتي بيان ذلك كخروج غوغائي، تحكمت فيه السيدة عائشة في أناس غير راشدين بل كان خروجًا واعيًا شارك فيه بعض الصحابة الكبار [(٢٥٢)].

٣ - موقف أزواج النبي (ﷺ) من الخروج للطلب بدم عثمان:

كان أزواج النبي (ﷺ) قد خرجن إلى الحج في هذا العام فراراً من الفتنة، فلما بلغ الناس بمكة أن عثمان قد قتل أقمن بمكة وكن قد خرجن منها فرجعن إليها، وجعلوا ينتظرون ما يصنع الناس ويتحسسون الأخبار، فلما بويع علي خرج عدد من الصحابة من المدينة كارهين المقام بها بسبب الغوغاء من أهل الأمصار، فاجتمع بمكة منهم خلق كثير من الصحابة وأمهات المؤمنين [(٢٥٣)]، وكان بقية أمهات المؤمنين قد وافقن عائشة على السير إلى المدينة، فلما اتفق رأي عائشة، ومن معها من الصحابة على السير إلى البصرة، رجعن عن ذلك وقلن: لا نسير إلى غير المدينة [(٢٥٤)] وكان الخروج في أمر عثمان إذن غير مختلف عليه بين أمهات المؤمنين، لكنهن اختلفن حين تغيرت الوجهة من المدينة إلى البصرة، غير أن أم المؤمنين حفصة بنت عمر رضي الله عنهما وافقت عائشة على السير إلى البصرة، وإنما عزم عليها [(٢٥٥)] أخوها عبد الله كي لا تخرج، فلم يكن عدم خروجها ناتجًا عن اقتناع منها[(٢٥٦)] وقالت لعائشة: إن عبد الله حال بيني وبين الخروج، وأرسلت إلى عائشة بعذرها [(٢٥٧)]، وتكاد الروايات الشائعة تبدي أن أم سلمة رضي الله عنها لم تكن ترى رأي عائشة ومن معها، في الخروج إلى البصرة وإنها كانت ترى ما يراه علي [(٢٥٨)]، غير أن أقرب الروايات إلى الصحة هي أنها أرسلت إلى علي ابنها عمر بن أبي سلمة قائلة: والله لهو أعز علي من نفسي، يخرج معك فيشهد مشاهدك، فخرج فلم يزل معه [(٢٥٩)]، هي رواية عند التحقيق لا يتبين لنا منها أن هذا الإرسال لابنها يعني أنها كانت تخالف أمهات المؤمنين في القول بالإصلاح بين المسلمين، فعائشة نفسها ومن معها لم يكونوا يرون أنهم بهذا الخروج يخالفون عليًا رضي الله عنه، أو يخرجون على خلافته كما رأينا، وكما سوف تؤكد لنا الأحداث، كما أننا لم نجد في الروايات الصحيحة ما يدل على خروجها على إجماع أمهات المؤمنين في

---

(٢٥١) تاريخ الطبري (٥/ ٥٧٤).
(٢٥٢) دور المراة السياسي ص٣٨٥.
(٢٥٣) البداية والنهاية (٧/ ٢٤١).
(٢٥٤) البداية والنهاية(٧/ ٢٤١).
(٢٥٥) عزم عليها : أقسم عليها .
(٢٥٦) دور المرأة السياسي ص٣٨٦.
(٢٥٧) تاريخ الطبري (٥/ ٤٨٧).
(٢٥٨) أنساب الأشراف (٤/ ٢٢٤).
(٢٥٩) أسد الغابة (٤/ ١٦٩)، الإصابة (٤/ ٤٨٧)، دور المرأة السياسي ص ٣٨٧، المستدرك مرويات أبي مخنف ص ٢٥٧.

أهمية السـعي للإصلاح (٢٦٠) ، وكانت أمهـات المؤمنين يعلمن أن هذا الخروج في الإصلاح بين المسلمين مما يدخل في معنى الفرض الكفـائي، والضابط فيه أن الطلب فيه ليس مـتوجهًا إلى جميـع المكلفين، بل هو إلى ما فيه أهليـة القيام به لا على الجمـيع عمومًا، ولقـد كانت أهلية القيام بهـذا الإصلاح بين المسلمين متوفرة تمامًا في السيـدة عائشة: مكانة وسنا وعلمًا، وقدرة، وكانت عائشـة أكثرهن فقهًا بإجمـاع جمهور المسلمين (٢٦١) ، كمـا أنها كـانت تهتم بالأمور العامة، فكانت صاحبة شخصـية ثقافية واسعة، تكونت منذ نشأتها في بيت أبي بكر العالم بأيام العرب وأنسابهم ومن عيشـها في بيت رسول الله الذي خرجت منه أسس سياسة الدولة الإسلامـية، ثم هي بنت الخليفـة الأول للمسلمين، وقد أكد الـعلماء على هذه المكانة للسيدة عائشة فـقد قال عروة بن الزبير: لقد صحبت عائشـة، فما رأيت أحدًا قط كان أعلم بآية أنزلت، ولا بفريضـة ولا بسنة، ولا بشعر ولا أروى له، ولا بيـوم من أيام العرب، ولا بنسب، لا بكذا، ولا بكذا. . ولا بقـضاء ، ولا بطب منـها (٢٦٢) وكان الشـعبي يذكـرها فيـتعجب من فقـهها وعلمـها، ثم يقول: مـا ظنكم بأدب النبوة، وكان عطاء يقـول: كانت عائشة أفقه الناس، وأحسن الناس رأيًا في العامة (٢٦٣) وكان الأحنف بن قيس سيد بني تميم، وأحد بلغاء العرب يقول: سمعت خطبة أبي بكر وعمر، وعثمان، وعلي، والخلفاء بعدهم، فما سمعت الكلام من فم مخلوق أفخم، ولا أحسن منه في عائشة. وكان معاوية يقول مثل هـذا (٢٦٤) . هذا وقد خرجت أمهات المؤمنين مودعات للسـيدة عائشة حين خرجت للبصرة وفي ذلك معنى من معاني المعاونة لها والتشجيع لها على أمرها (٢٦٥) .

٤ - مرور السيدة عائشة على ماء الحوأب:

ثبت مرور السيـدة عائشة على ماء الحوأب من طرق صـحيحة فعن يحيى بن سـعيد بن القطان، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن حازم: «**كيف بإحداكن تنبح عليها كلاب الحـوأب**» (٢٦٦) ومن طريق شعبة عن إسماعيل ولفـظ شعبة: إن عائشة قالت لما أتت على الحوأب سمـعت نباح الكلاب، فقـالت ما أظنني إلا راجعة، إن رسـول الله (ﷺ) قال لنا: «**أيتكن تنبح عليها كلاب الحوأب**» فقال لها الزبير: أترجعين عسى الله (عز وجل) أن يصلح بـك بـين الـنـاس (٢٦٧) . وبهذا اللـفظ أخرجه يعلى بن عـبيـد عن إسماعـيل، وهو عند الحاكم (٢٦٨) ، وقال الألباني: إسناده صحيح جدًا وقال: صححه خمسة من كبار أئمة الحديث

(٢٦٠) دور المرأة السياسي ص ٣٨٧.
(٢٦١) سير أعلام النبلاء (٢/ ١٨٣).
(٢٦٢) سير أعلام النبلاء (٢/ ١٨٣).
(٢٦٣) سير أعلام النبلاء (٢/ ١٨٥).
(٢٦٤) سير أعلام النبلاء (٢/ ١٨٣).
(٢٦٥) دور المرأة السياسي ص٣٨٩.
(٢٦٦) مسند أحمد (٦/ ٩٧).
(٢٦٧) مسند أحمد (٦/ ٩٧).
(٢٦٨) المستدرك (٣/ ١٢٠).

هم ابن حبان، والحاكم، والذهبي، وابن كثير، وابن حجر[(٢٦٩)] . فهذه الروايات الصحيحة، ليس فيها شيء من شهادة الزور أو التدليس الذي يتنزه عنه مقام الصحابة والذي زعمته الروايات الضعيفة[(٢٧٠)] التي سيأتي بيانها. إن المتأمل لهذه الروايات التي صححها العلماء لا يجد في أي منها ما يدل على نهي عن شيء، أو أمر بشيء لتفعله السيدة عائشة، بل إن ما يفهم منها هو تساؤله عن أيتهن التي يحدث أن تمر على ماء الحوأب ؟ والروايات الدالة على النهي، والتي بها لفظة إياك في الأثر الوارد: إياك أن تكوني يا حميراء[(٢٧١)] لم يصححها العلماء، وإنما ضعفت، ومن هنا فإن الصحيح الذي نذهب إليه هو أن مرور السيدة عائشة على ماء الحوأب لم يكن له الأثر السلبي الذي افتعلته الروايات الموضوعة، ولم يكن له الأثر البعيد النفسي على السيدة عائشة نفسها بحيث تفكر جديًا في الرجوع عما خرجت له من إصلاح بين المسلمين، وسعي لتسديد خطاهم، ولم يعد الأمر أن يكون «ظنا» منها في احتمال الرجوع، وهذا هو ما عبرت عنه حين قالت : ما أظنني إلا راجعة. وهو ظن لم يتلبس إلا يسيراً ثم عاد بعد هدفها واضحًا بعدما ذكرها الزبير بما عسى الله أن يجريه على يديها من إصلاح بين المسلمين[(٢٧٢)] ، لقد كانت ولا زالت مسألة ماء الحوأب[(٢٧٣)] والأحاديث المذكورة فيها مجالاً خصبًا للشيعة وغيرهم يطعنون بها على أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ويدينون بها خروجها في شأن الطلب بدم عثمان، حتى انتهى بهم الأمر إلى نفي صفة الاجتهاد عنها، بدعوى مخالفتها - في زعمهم - لنهي الرسول (ﷺ) لها عن أن ترد ماء الحوأب[(٢٧٤)] ، وقد ذكرت المصادر التاريخية هذه القصة، فقد جاءت عند الطبري في رواية طويلة، يرويها إسماعيل بن موسى الفزاري قال عنه ابن عدي: أنكروا منه الغلو والتشيع[(٢٧٥)] ويروي الفزاري هذا الخبر عن علي بن عابس الأزرق، وهو ضعيف قالها ابن حجر والنسائي[(٢٧٦)] ، وهو يروي هذا الخبر عن أبي الخطاب الهجري وهو مجهول[(٢٧٧)] وهذا الهجري المجهول، يرويه عن مجهول آخر هو صفوان بن قبيصة الأحمسي[(٢٧٨)] . ثم أخيرًا عن شخصية أشد جهالة هي شخصية العزني صاحب الجمل، وما هو بصاحب الجمل، وإنما صاحبه هو يعلى بن أمية[(٢٧٩)] وفي متن هذه الرواية ما يجده القارئ من رائحة التشيع

---

(٢٦٩) سلسلة الأحاديث الصحيحة (١/ ٧٦٧) رقم ٤٧٤.

(٢٧٠) دور المرأة السياسي ص ٤٠٥.

(٢٧١) قال الذهبي: كل حديث فيه يا حميراء لا يصح، سير أعلام النبلاء.

(٢٧٢) سير أعلام النبلاء (٢/ ١٦٧، ١٦٨).

(٢٧٣) دور المرأة السياسي ص ٤٠٦.

(٢٧٤) الحوأب من مياه العرب على طريق البصرة قريب منها على طريق مكة إليها.

(٢٧٥) الكامل في ضعفاء الرجال (١/ ٥٢٨) ميزان الاعتدال(١/ ٤١٣).

(٢٧٦) تقريب التهذيب (١/ ٦٩٧).

(٢٧٧) تقريب التهذيب (٢/ ٣٩٢) دور المرأة السياسي ص ٤٠٠.

(٢٧٨) ميزان الاعتدال (٣/ ٤٣٤). لسان الميزان (٣/ ٢٢٥).

(٢٧٩) أسد الغابة (٥/ ٤٨٦) دور المرأة السياسي ص ٤٠٠.

والرفض الواضحة في آخر الرواية، حيث تزعم على لسان علي أنه كان - رضي الله عنه يرى أحقيته بالخلافة على أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم والصحيح الثابت من الروايات المحققة يدل على خلاف ذلك تمامًا [(٢٨٠)] . وعلى أساس كل ما سبق يتضح لنا أن هذه الرواية غير صحيحة [(٢٨١)] . وهناك روايات أخرى وردت في هذا الموضوع، كلها باطلة سندًا ومتنًا، ومغزى هذه الروايات وهدفها هو الطعن على كبار الصحابة وفضلائهم، وبيان أن مقصدهم من خروجهم هذا، ما هو إلا تحقيق مطامع دنيوية شخصية من مال ورئاسة وغيرها، وأن الغاية تبرر الوسيلة، وأنهم لا يتورعون في سبيل ذلك عن إشعال الحرب والفتنة بين المسلمين، وتركز الروايات على الصحابيين الجليلين طلحة والزبير رضي الله عنهما [(٢٨٢)]

كما يريد مفتري هذه الروايات أن يبين ويؤكد أن هذين الصحابيين ومن معهما من أفراد المعسكر يتجرؤون على انتهاك حرمات الله فهم يقسمون ويحلفون لأم المؤمنين بأيمان مغلظة أن هذا الماء ليس ماء الحوأب، وزيادة على ذلك أتوا بسبعين نفسًا وفي رواية بخمسين نفسًا يشهدون على صدق قولهم، فكان هذا العمل كما افترى المسعودي الشيعي الرافضي أول شهادة زور في الإسلام [(٢٨٣)] ، وتحاول هذه الرواية أن تظهر أن طلحة والزبير وأم المؤمنين رضي الله عنهم، ليسوا على شيء من صفاء القلوب والاجتماع على هدف واحد وتحاول أن تظهر أن عائشة رضي الله عنها بجانب طلحة رضي الله عنه وفي قرارة نفسها أن يتولى هو الخلافة، وذلك لأنه تيمي مثلها، كما تظهر هذه الروايات أن هناك تنافسًا داخليًا بين طلحة والزبير وحرصًا من كل واحد منهما أن يتولى الإمارة، وهذه الروايات لا تخلو من ضعف قوي، فبعضها منقطع السند أو فيها مجاهيل لا يعرفون أو فيها كلا العيبين القادحين [(٢٨٤)] . ولقد تأثر كثير من الكتاب والمؤرخين بهذه الروايات واعتمدوا عليها وساهموا في نشرها وهي لا أساس لها، كالعقاد في «عبقرية علي» وطه حسين في «علي، وبنوه» [(٢٨٥)] وغيرهم من الكتاب المعاصرين.

٥ - أعمالهم في البصرة:

عندما وصل طلحة والزبير وعائشة رضي الله عنهم ومن معهم البصرة نزلوا جانب الخريبة [(٢٨٦)] ومن هناك أرسلوا إلى أعيان وأشراف القبائل يستعينون بهم على قتلة عثمان، وكان كثير من المسلمين في البصرة وغيرها يودون ويرغبون في القود من قتلة عثمان رضي الله

---

(٢٨٠) دور المرأة السياسي ص٤٠٢.

(٢٨١) تاريخ الطبري (٥/ ٤٨٣).

(٢٨٢) مصنف ابن أبي شيبة (١٥/ ٢٨٣) ضعيفة السند منقطعة . أنساب الأشراف (٢/ ٤٧)نفس الطريق وهذه الروايات تخالف الصحيح الثابت .

(٢٨٣) مروج الذهب (٢/ ٣٦٧).

(٢٨٤) تاريخ الطبري وفي إسنادها مجهولان، خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد ص ١٣٢.

(٢٨٥) خلافة علي بن أبي طالب ص ١٣٢.

(٢٨٦) موقع جانب البصرة، انظر: خطط البصرة ومنطقها ١١٤- ١٢٢ العلمي.

عنه، إلا أن بعض هؤلاء يرون أن هذا من اختصاص الخليفة وحده، وأن الخروج في هذا الأمر بدون أمره وطاعته معصية، ولكن خروج هؤلاء الصحابة المشهود لهم بالجنة، وأعضاء الشورى ومعهم أم المؤمنين عائشة حبيبة رسول الله وأفقه النساء مطلقًا، ومطلبهم الشرعي لا غبار عليه ولا ينكره صحابي واحد، جعل الكثير من البصريين على اختلاف قبائلهم ينضمون إليهم، وأرسل الزبير إلى الأحنف بن قيس السعدي التميمي يستنصره على الطلب بدم عثمان والأحنف من رؤساء تميم وكلمته مسموعة، يقول الأحنف واصفًا هول الموقف فأتاني أفظع أمر أتاني قط، فقلت: إن خذلاني هؤلاء ومعهم أم المؤمنين وحواري رسول الله (ﷺ) لشديد(٢٨٧) إلا أنه اختار الاعتزال، فاعتزل معه ستة آلاف ممن أطاعه من قومه وعصاه في هذا الأمر كثير منهم، ودخلوا في طاعة طلحة والزبير وأم المؤمنين (٢٨٨) ويذكر الزهري أن عامة أهل البصرة تبعوهم (٢٨٩) ، وهكذا انضم إلى طلحة والزبير وعائشة ومن معهم أنصار جدد لقضيتهم التي خرجوا من أجلها . وقد حاول ابن حنيف تهدئة الأمور والإصلاح قدر المستطاع إلا أن الأمور خرجت من يده حتى قال أحدهم عن البصرة: قطعة من أهل الشام نزلت بين أظهرنا (٢٩٠) . وحتى أن معاوية فيما بعد حاول الاستيلاء عليها بمساعدة أهلها(٢٩١) وتذكر بعض المصادر غير الموثقة أن عثمان بن حنيف رخص لحكيم بن جبلة في القتال، فهذا لا يثبت والمصادر الصحيحة لم تثبت ذلك (٢٩٢) .

٦ - مقتل حكيم بن جبلة ومن معه من الغوغاء:

أقبل حكيم بن جبلة، بعدما خطبت عائشة رضي الله عنها في أهل البصرة، فأنشب القتال وأشرع أصحاب عائشة وطلحة والزبير رضي الله عنهم رماحهم وأمسكوا ليمسكوا، فلم ينته حكيم ومن معه، ولم يثن، وظل يقاتلهم طلحة والزبير وعائشة كافون إلا ما دافعوا عن أنفسهم، وحكيم يذمر (٢٩٣) خيله ويركبهم بها (٢٩٤) وعلى الرغم من ذلك، فإن عائشة رضي الله عنها ظلت حريصة على عدم إنشاب القتال. فأمرت أصحابها أن يتيامنوا بعيدًا عن المقاتلين، وظلوا على ذلك حتى حجز الليل بينهم (٢٩٥) حتى إذا كان الصباح جاء حكيم بن جبلة وهو يبربر، وفي يده الرمح، وفي طريقه إلى حيث عائشة رضي الله عنها ومن معها جعل حكيم لا يمر برجل أو امرأة ينكر عليه أن يسب عائشة إلا قتله (٢٩٦) وعندئذ غضبت

---

(٢٨٧) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد ص ١٣٣ .
(٢٨٨) طبقات ابن سعد (٥/ ٤٥٦) له شواهد تقويه.
(٢٨٩) مصنف عبد الرزاق (٥/ ٤٥٦) بسند صحيح إلى الزهري مرسلاً.
(٢٩٠) الطبقات (٦/ ٣٣٣).
(٢٩١) فتح الباري (١٣/ ٢٦) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد ص ١٣٧ .
(٢٩٢) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد ص١٣٧ . ١٣٨ .
(٢٩٣) تاريخ الطبري (٥/ ٤٩٤).
(٢٩٤) يذمر الخيل: يحضها ويشجعها .
(٢٩٥) تاريخ الطبري (٥/ ٤٩٤).
(٢٩٦) المصدر نفسه (٥/ ٤٩٥).

عبد القيس إلا من كان اغتمر [٢٩٧] منهم، فقالوا لحكيم: فعلت بالأمس وعدت لمثل ذلك اليوم، والله لا ندعنك حتى يقيدك الله [٢٩٨]، فرجعوا وتركوه، ومضى حكيم بن جبلة فيمن غزا معه عثمان بن عفان رضي الله عنه، وحصره من نزاع القبائل كلها، فلقد كانوا قد عرفوا أن لا مقام لهم بالبصرة فاجتمعوا إليه ووافقوا أصحاب عائشة فاقتتلوا قتالاً شديدًا[٢٩٩] وظل منادي عائشة رضي الله عنها يناديهم ويدعوهم إلى الكف فيأبون [٣٠٠] وجعلت رضي الله عنها تقول: لا تقتلوا إلا من قاتلكم لكن حكيم لم يُرع [٣٠١] للمنادي، وظل يسعر القتال، عندئذ وبعدما تبين للزبير وطلحة رضي الله عنهما طبيعة هؤلاء الذين يقاتلون، وأنهم لا يتورعون، ولا ينتهون عن حرمة، وأن لهم هدفًا في إنشاب القتال، قالا: الحمد لله الذي جمع لنا ثارنا من أهل البصرة، اللهم لا تبق منهم أحدًا، وأقد منهم اليوم فاقتلهم، فجادوهم القتال، ونادوا: من لم يكن من قتلة عثمان رضي الله عنه فليكفف عنا، فإننا لا نريد إلا قتلة عثمان، ولا نبدأ أحدًا، فاقتتلوا أشد القتال [٣٠٢]، فلم يفلت من قتلة عثمان من أهل البصرة إلا واحد، وكان منادي الزبير وطلحة قد نادى: ألا من كان فيكم من قبائلكم أحد ممن غزا المدينة فليأتنا بهم [٣٠٣]. وكان فريق من هؤلاء الجهال والغوغاء - كما قالت عائشة - قد غادوها في بيتها في الفلس ليقتلوها، وكانوا قد ذهبوا حتى سدة بيتها، ومعهم الدليل، إلا أن الله دفع عنها بنفر من المسلمين كانوا قد أحاطوا بيتها رضي الله عنها، فدارت عليهم الرحى وأطاف بهم المسلمون فقتلوهم [٣٠٤]، واستطاع الزبير وطلحة ومن معهم أن يسيطروا على البصرة وكانوا بحاجة إلى طعام ومؤنة غذائية، وقد مرت عليهم أسابيع، وهم ليسوا في ضيافة أحد، فتوجه جيش الزبير إلى دار الإمارة ومن ثم إلى بيت المال ليرزقوا أصحابهم وأخلى سبيل عثمان بن حنيف واتجه إلى علي [٣٠٥] وبذلك تمت سيطرة طلحة والزبير وأم المؤمنين رضي الله عنهم على البصرة وقتلوا عددًا كبيرًا ممن شارك في الهجوم على المدينة، قدر بسبعين رجلاً من أبرزهم زعيم ثوار البصرة حكيم بن جبلة، والذي كان حريصًا على القتال وإشعال الحرب، وكان الزبير أمير القتال فقد بويع على ذلك [٣٠٦].

٧ - رسائل السيدة عائشة إلى الأمصار الأخرى:

كانت السيدة عائشة رضي الله عنها حريصة على إيضاح وجه الحق فيما حدث من قتال

(٢٩٧) اغتمر: اغتمس.
(٢٩٨) يقيد الله: القود: القصاص، وقتل القاتل بالقتيل.
(٢٩٩) تاريخ الطبري (٥/ ٤٩٩).
(٣٠٠) المصدر نفسه(٥/ ٤٩٩).
(٣٠١) لم يرع: لم يبال.
(٣٠٢) تاريخ الطبري (٥/ ٤٩٩).
(٣٠٣) المصدر نفسه (٥/ ٥٠١).
(٣٠٤) تاريخ الطبري (٥/ ٥٠٣).
(٣٠٥) تاريخ الطبري (٥/ ٤٩٣)، خلافة علي، عبد الحميد ص ١٣٨.
(٣٠٦) أنساب الأشراف (٢/ ٩٣) بسند حسن، خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد ص ١٣٩.

مع أهل البصرة، فكتبت إلى أهل الشام والكوفة واليمامة، وكتبت إلى أهل المدينة أيضًا تخبرهم بما صنعوا وصاروا إليه، وكان فيما كتبت به لأهل الشام: إنا خرجنا لوضع الحرب وإقامة كتاب الله (عز وجل) بإقامة حدوده في الشريف والوضيع، والكثير والقليل، حتى يكون الله (عز وجل) هو الذي يردنا عن ذلك. فبايعنا خيار أهل البصرة ونجباؤهم، وخالفنا شرارهم ونزاعهم، فردونا بالسلاح، وقالوا فيما قالوا: نأخذ أم المؤمنين رهينة أن أمرتهم بالحق وحثتهم عليه، فأعطاهم الله (عز وجل) سنة المسلمين مرة بعد مرة، حتى إذا لم يبق حجة ولا عذر استبسل قتلة عثمان أمير المؤمنين، فلم يفلت منهم إلا حرقوص بن زهير والله مقيده. وإنا نناشدكم الله (سبحانه) في أنفسكم إلا ما نهضتم بمثل ما نهضنا به، فنلقى الله (عز وجل) وتلقونه، وقد أعذرنا وقضينا الذي علينا (٣٠٧).

٨ - الخلاف بين عثمان بن حنيف وجيش عائشة والزبير وطلحة:

روى الطبري عن أبي مخنف عن يوسف بن يزيد، عن سهل بن سعد قال: لما أخذوا عثمان بن حنيف أرسلوا أبان بن عثمان بن عفان إلى عائشة يستشيرونها في أمره، قالت: اقتلوه، فقالت لها امرأة: نشدتك بالله يا أم المؤمنين في عثمان وصحبته لرسول الله (ﷺ)، قالت: ردوا أبانا، فردوه، فقالت: احبسوه ولا تقتلوه قال: لو علمت أنك تدعينني لهذا لم أرجع فقال لهم مجاشع بن مسعود: اضربوه وانتفوا شعر لحيته، فضربوه أربعين سوطًا، ونتفوا شعر لحيته ورأسه وحاجبيه وأشفار عينيه وحبسوه (٣٠٨)، وفي سند هذه الرواية أبو مخنف وهو شيعي رافضي محترق وهذه الرواية لم تثبت من طريق صحيح يمكن أن يعول عليه والصحابة الكرام ينزهون عن مثل هذه المثلة القبيحة والذي يفهم من رواية سيف أن الغوغاء هم الذين فعلوا ذلك وأن طلحة والزبير رضي الله عنهما استشنعاه واستعظماه وبعثا بالخبر إلى عائشة فقالت: خلوا سبيله وليذهب حيث شاء (٣٠٩)، وهذه الرواية عارضت تفصيلات أبي مخنف فهي لم تذكر الأمر بقتله أو حبسه أو الأمر بنتف شعر وجهه، وقد اختار هذه الرواية النويري وابن كثير (٣١٠) وذكر الذهبي أن مجاشع بن مسعود قد قتل قبل دخول دار عثمان بن حنيف (٣١١)، وحتى لو فرض عدم قتل مجاشع بن مسعود فليست إليه القيادة حتى يصدر هذه الأوامر (٣١٢).

سابعًا: خروج أمير المؤمنين علي بن أبي طالب إلى الكوفة:

لم يكن الصحابة رضي الله عنهم في المدينة يؤيدون خروج أمير المؤمنين علي بن أبي

---

(٣٠٧) تاريخ الطبري (٥/ ٥٠١).
(٣٠٨) تاريخ الطبري (٥/ ٤٩٧).
(٣٠٩) تاريخ الطبري (٥/ ٤٩٧).
(٣١٠) نهاية الأرب (٢٠/ ٣٨)، البداية والنهاية (٧/ ٢٣٣).
(٣١١) تاريخ الإسلام للذهبي، مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري ص٣٥٩.
(٣١٢) مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري ص ٢٥٩.

طالب من المدينة ، فقد تبين ذلك حينما هم علي بالنهوض إلى الشام، ليزور أهلها وينظر ما هو رأي معاوية وما هو صانع [٣١٣] ، فقد كان يرى أن المدينة لم تعد تمتلك المقومات التي تملكها بعض الأمصار في تلك المرحلة فقال: إن الرجال والأموال بالعراق [٣١٤] ،فلما علم أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه بهذا الميل قال للخليفة: يا أمير المؤمنين،لو أقمت بهذه البلاد لأنها الدرع الحصينة،ومهاجرة رسول الله (ﷺ) وبها قبره ومنبره ومادة الإسلام، فإن استقامت لك العرب كنت كمن كان، وإن تشعب عليك قوم رميتهم بأعدائهم، وأن ألجئت حينئذ إلى السير سرت وقد أعذرت. . ، فأخذ الخليفة بما أشار عليه أبو أيوب وعزم المقامة بالمدينة وبعث العمال على الأمصار [٣١٥]. ولكن حصلت كثير من المستجدات السياسية التي أرغمت الخليفة على مغادرة المدينة، وقرر الخروج للتوجه إلى الكوفة ليكون قريبًا من أهل الشام [٣١٦] ، وأثناء استعداده للخروج، بلغه خروج عائشة وطلحة والزبير إلى البصرة [٣١٧] فاستنفر أهل المدينة ودعاهم إلى نصرته وحدث تثاقل من بعض أهل المدينة بسبب وجود الغوغاء في جيش علي وطريقة التعامل معهم،فإن كثيرًا من أهل المدينة يرون أن الفتنة لا زالت مستمرة، فلا بد من التروي حتى تنجلي الأمور أكثر،وهم يقولون لا والله ما ندري كيف نصنع، فإن هذا الأمر لمشتبه علينا ونحن مقيمون يضيء لنا ويسفر وروى الطبري أن عليًا رضي الله عنه خرج في تعبئته التي كان تعبأ بها إلى الشام وخرج معه من نشط من الكوفيين والبصريين متخففين في سبعمائة رجل [٣١٨] ،والأدلة على تثاقل كثير من أهل المدينة عن اجابة دعوة أمير المؤمنين للخروج كثيرة؛ منها: خطب الخليفة التي شكا فيها من هذا التثاقل [٣١٩] ،وظاهرة اعتزال كثير من الصحابة بعد مقتل عثمان كما اتضح ذلك، كما أن رجالاً من أهل بدر لزموا بيوتهم بعد مقتل عثمان فلم يخرجوا إلا إلى قبورهم [٣٢٠] .وقد عبر أبو حميد الساعدي الأنصاري وهو بدري عن أمله لمقتل الخليفة عثمان فقال: اللهم إن لك علي ألا أضحك حتى ألقاك [٣٢١] فقد كانوا يعدون الخروج من المدينة في تلك المرحلة يقود إلى الانزلاق في الفتنة التي يخشون عواقبها [٣٢٢] على سلامة ما مضى لهم من جهاد مع رسول الله (ﷺ) [٣٢٣] وما سبق ذكره لا يعني أنه لم يشارك أحد من الصحابة في

(٣١٣) الثقات لابن حبان (٢/ ٢٨٣)،الأنصار في العصر الراشدي١٦١ .
(٣١٤) المصدر نفسه (٢/ ٢٨٣)،الأنصار في العصر الراشدي ١٦١ .
(٣١٥) المصدر نفسه (٢/ ٢٨٣)، الأنصار في العصر الراشدي ١٦١ .
(٣١٦) استشهاد عثمان ووقعة الجمل ص ١٨٣ .
(٣١٧) تاريخ الطبري (٥/ ٥٠٧).
(٣١٨) تاريخ الطبري (٥/ ٤٨١).
(٣١٩) الطبقات (٣/ ٢٣٧)، الأنصار في العصر الراشدي ص ١٦٣ .
(٣٢٠) البداية والنهاية نقلاً عن الأنصار في العصر الراشدي ص ١٦٤ .
(٣٢١) تاريخ الإسلام عهد الخلفاء الراشدين .
(٣٢٢) الأنصار في العصر الراشدي ص ١٦٤ .
(٣٢٣) المصدر نفسه ص ١٦٤ .

مسيرة الخليفة هذا لكنهم كانوا قليلا، قال الشعبي: لم يشهد موقعة الجمل من أصحاب رسول الله غير علي وعمار وطلحة والزبير، فإن جاؤوا بخامس فأنا كذاب (٣٢٤)، وفي رواية: من حدثك أنه شهد الجمل ممن شهد بدرًا أكثر من أربعة نفر فكذبه كان علي وعمار في ناحية، وطلحة والزبير في ناحية (٣٢٥) وفي رواية: لم ينهض مع علي إلى البصرة غير ستة نفر من البدريين ليس لهم سابع (٣٢٦) وبهذا يكون المقصود في الرواية السابقة من الصحابة أهل بدر، وعلى كل حال فإن من شارك في الفتنة من الأنصار قليل. قال ابن سيرين والشعبي: وقعت الفتنة بالمدينة وأصحاب النبي (ﷺ) أكثر من عشرة آلاف: فما يعدون من خف فيها عشرين رجلاً، فسميا حرب علي وطلحة والزبير وصفين فتنة (٣٢٧)، فيتضح مما سبق أن عدد الصحابة الذين خرجوا مع الخليفة علي إلى البصرة كان قليلاً، ولا يمكن الجزم بمشاركتهم في حرب الجمل، فمع شدة تلك الموقعة وكثرة أحداثها لم تذكر المصادر مشاركات الصحابة فيها أو شهداء أو جرحى (٣٢٨). إن إحدى الروايات تقول: خرج معه من نشط من الكوفيين والبصريين متخففين في سبعمائة رجل (٣٢٩). والذي يظهر من هذه الرواية أنها أقرب إلى واقع تلك المرحلة، وأكثر انسجامًا مع سير الأحداث، ومع موقف أهل المدينة الذي كان يتراوح بين الميل للعزلة والتثاقل عن المشاركة في الأحداث (٣٣٠).

١ - نصيحة عبد الله بن سلام لأمير المؤمنين علي:

حاول عبد الله بن سلام صاحب رسول الله (ﷺ) أن يثني عزم أمير المؤمنين علي عن الخروج، فأتاه وقد استعد للمسير وأظهر له خوفه عليه ونهاه أن يقدم على العراق قائلاً: أخشى أن يصيبك ذباب السيف، كما أخبره بأنه لو ترك منبر رسول الله (ﷺ)، فلن يراه أبدًا، كان علي يعلم هذه الأشياء من رسول الله (ﷺ) فقال: وايم الله لقد أخبرني به رسول الله (ﷺ)، ولكن من مع علي من البصريين والكوفيين بلغت بهم الجرأة أن قالوا لعلي: دعنا فلنقتله، فقد أصبح قتل المسلمين ممن يقف في طريقهم، أو يحسون بخطره على حياتهم بالقول أو العمل أمرًا هينًا لا يرون به بأسًا، وفي قولهم، وتهجمهم هذا دليل على قلة الورع وعدم إنزال الصحابة الكرام منازلهم التي أمر رسول الله (ﷺ) الناس بعده بها، ولكن عليا رضي الله عنه نهاهم قائلاً: إن عبد الله بن سلام رجل صالح (٣٣١).

---

(٣٢٤) تاريخ ابن خياط ص ١٦، مصنف ابن أبي شيبة (٨/ ٧١٠).
(٣٢٥) العثمانية للجاحظ ص ١٧٥، الأنصار في العصر الراشدي ص ١٦٥.
(٣٢٦) الخلافة الراشدة من تاريخ ابن كثير، كنعان ص ٣٥٦.
(٣٢٧) المصدر نفسه ص ٣٥٦.
(٣٢٨) الأنصار في العصر الراشدي ص ١٦٥.
(٣٢٩) تاريخ الطبري (٥/ ٤٨١).
(٣٣٠) الإنصاف فيما وقع في تاريخ العصر الراشدي من الخلاف ص ٣٨٨.
(٣٣١) مسند أبي يعلى (١/ ٣٨١) قال محققه إسناده صحيح.

٢ - نصيحة الحسن بن علي لوالده:

خرج أمير المؤمنين من المدينة وعندما بلغ الربذة (٣٣٢) عسكر فيها بمن معه، ووفد عليه عدد من المسلمين بلغوا المائتين (٣٣٣)، وفي الربذة قام إليه ابنه الحسن رضي الله عنهما وهو باك لا يخفي حزنه وتأثره على ما أصاب المسلمين من تفرق واختلاف، وقال الحسن لوالده: قد أمرتك فعصيتني، فتقتل غدًا بمضيعة لا ناصر لك، فقال علي: إنك لا تزال تخن (٣٣٤) خنين الجارية، وما الذي أمرتني فعصيتك؟ قال: أمرتك يوم أحيط بعثمان رضي الله عنه أن تخرج من المدينة فيقتل ولست بها، ثم أمرتك يوم قتل ألا تبايع حتى يأتيك وفود أهل الأمصار والعرب وبيعة كل مصر، ثم أمرتك حين فعل هذان الرجلان ما فعلا أن تجلس في بيتك حتى يصطلحوا، فإن كان الفساد كان على يدي غيرك، فعصيتني في ذلك كله. قال: أي بني، أما قولك: لو خرجت من المدينة حين أحيط بعثمان، فوالله لقد أحيط بنا كما أحيط به، وأما قولك: لا تبايع حتى تأتي بيعة الأمصار، فإن الأمر أمر أهل المدينة، وكرهنا أن يضيع هذا الأمر، وأما قولك حين خرج طلحة والزبير، فإن ذلك كان وهنًا على أهل الإسلام، والله ما زلت مقهورًا مذ وليت، منقوصًا لا أصل إلى شيء مما ينبغي، وأما قولك: اجلس في بيتك فكيف لي بما قد لزمني، أو من تريدني؟ أتريدني أن أكون مثل الضباع التي يحاط بها، ويقال: دباب دباب (٣٣٥)، ليست ها هنا حتى يحل عرقوباها ثم نخرج، وإذ لم أنظر فيما لزمني من هذا الأمر ويعنيني فمن ينظر فيه، فكف عنك أي بني (٣٣٦) كان موقف أمير المؤمنين علي حازمًا في هذه المشكلة وواضحًا ولم يستطع أحد أن يثنيه عن عزمه. وأرسل علي رضي الله عنه من الربذة يستنفر أهل الكوفة ويدعوهم إلى نصرته، وكان الرسولان محمد بن أبي بكر الصديق، ومحمد بن جعفر ولكنهما لم ينجحا في مهمتهما، إذ أن أبا موسى الأشعري والي الكوفة من قبل علي، ثبط الناس ونهاهم عن الخروج والقتال في الفتنة وأسمعهم ما سمعه من رسول الله (ﷺ) من التحذير من الاشتراك في الفتنة (٣٣٧)، فأرسل علي بعد ذلك هاشم بن عتبة بن أبي وقاص، ففشل في مهمته، لتأثير أبي موسى عليهم (٣٣٨).

٣ - استنفار أمير المؤمنين علي لأهل الكوفة من ذي قار (٣٣٩):

تحرك علي بجيشه إلى ذي قار فعسكر بها بعد ثمان ليال من خروجه من المدينة، وهو

---

(٣٣٢) شرق المدينة المنورة تبعد ٢٠٤ كيلوا متراً.

(٣٣٣) أنساب الأشراف (٢/ ٤٥) خلافة علي بن أبي طالب ص ١٤٣.

(٣٣٤) تاريخ الطبري (٥/ ٤٨٢)، خن: أخرج الصوت من خياشيمه.

(٣٣٥) دباب كقطام: دعاء الضبع للضبع.

(٣٣٦) تاريخ الطبري (٥/ ٤٨٢).

(٣٣٧) تاريخ الطبري (٥/ ٥١٤) مصنف ابن أبي شيبة (١٥/ ١٢) إسناده حسن.

(٣٣٨) خلافة علي بن أبي طالب ص ١٤٤ عبد الحميد، سير أعلام النبلاء (٣/ ٤٨٦).

(٣٣٩) ذو قار، ماء لبكر بن وائل قريب من الكوفة معجم البلدان (٤/ ٣٩٣).

في تسعمائة رجل تقريبًا [٣٤٠] فبعث للكوفة في هذه المرة عبد الله بن عباس فأبطئوا عليه، فأتبعه بعمار بن ياسر والحسن بن علي، وعزل أبا موسى الأشعري واستعمل قرظة بن كعب بدلاً منه [٣٤١]. وكان للقعقاع دور عظيم في إقناع أهل الكوفة، فقد قام فيهم وقال: إني لكم ناصح وعليكم شفيق، وأحب أن ترشدوا، ولأقولن لكم قولاً هو الحق، . والقول الذي هو القول: إنه لا بد من إمارة تنظم الناس وتنزع الظالم، وتعز المظلوم، وهذا علي يلي ما ولي، وقد أنصف في الدعاء، وإنما يدعو إلى الإصلاح، فانفروا وكونوا في هذا الأمر بمرأى ومسمع [٣٤٢]، وكان للحسن بن علي أثر واضح، فقد قام خطيبًا في الناس وقال: أيها الناس، أجيبوا دعوة أميركم، وسيروا إلى إخوانكم، فإنه سيوجد لهذا الأمر من ينفر إليه، والله لأن يليه أولو النهى [٣٤٣] أمثل في العاجلة وخير في العاقبة، فأجيبوا دعوتنا وأعينونا على ما ابتلينا به وابتليتم [٣٤٤] لبي كثير من أهل الكوفة وخرجوا مع عمار والحسن إلى علي ما بين الستة إلى سبعة آلاف رجل، ثم انضم إليهم من أهل البصرة ألفان من عبد القيس ثم توافدت عليه القبائل إلى أن بلغ جيشه عند حدوث المعركة اثني عشر ألف رجل تقريبًا [٣٤٥] وعندما التقى أهل الكوفة بأمير المؤمنين علي بذي قار قال لهم: يا أهل الكوفة، أنتم وليتم شوكة العجم وملوكهم وفضضتم جموعهم، حتى صارت إليكم مواريثهم، فأعنتم حوزتكم، واغتتم الناس على عدوهم، وقد دعوتكم لتشهدوا معنا إخواننا من أهل البصرة، فإن يخرجوا فذاك ما نريد وإن يلجوا داويناهم بالرفق، وبايناهم حتى يبدؤونا بظلم، ولن ندع أمرًا فيه صلاح إلا آثرناه على ما فيه الفساد إن شاء الله، ولا قوة إلا بالله [٣٤٦].

٤ - اختلاف الرأي لا يفسد للود قضية:

هذا القول ينطبق على حال الصحابة في هذه الفتنة فمع اختلافهم في الرأي، لم يدخل قلب أحد الضغن على أخيه وإليك هذه القصة التي حدثت بالكوفة، فقد روى البخاري عن أبي وائل قال: دخل أبو موسى الأشعري، وأبو مسعود عقبة بن عمرو الأنصاري على عمار حين بعثه علي إلى أهل الكوفة يستنفرهم، فقالا: ما رأيناك أتيت أمرًا،أكره عندنا من إسراعك في هذا الأمر منذ أسلمت. فقال عمار: ما رأيت منكما منذ أسلمتما أمرًا أكره عندي من إبطائكما في هذا الأمر وفي رواية فقال أبو مسعود وكان موسرًا: يا غلام هات حلتين فأعطى إحداهما أبا موسى، والأخرى عمارًا، وقال: روحا فيه إلى الجمعة [٣٤٧] فأنت

(٣٤٠) تاريخ الطبري (٥/٥١٩- ٥٢١).
(٣٤١) فتح الباري (١٣/٥٣) التاريخ الصغير (١/١٠٩).
(٣٤٢) تاريخ الطبري (٥/٥١٦).
(٣٤٣) أولي النهى: أصحاب العقول.
(٣٤٤) تاريخ الطبري (٥/٥١٦).
(٣٤٥) مصنف عبد الرزاق (٥/٤٥٦-٤٥٧) بسند صحيح إلى الزهري مرسلاً، خلافة علي بن أبي طالب ص١٤٦، والإسناد حسن لغيره، قاله عبد الحميد علي.
(٣٤٦) تاريخ الطبري (٥/٥١٩).
(٣٤٧) البخاري، ك الفتن .

ترى أبا مسعود وعمارًا كانا كلاهما يرى الآخر مخطئًا ومع ذلك فأنت ترى أبا مسعود يكسو عمارًا حلة ليشهد بها الجمعة لأنه كان بثياب السفر وهيئة الحرب، فكره أبو مسعود أن يشهد الجمعة في تلك الثياب وهذا تصرف يدل على غاية الود مع أن كليهما جعل تصرف صاحبه نحو الفتنة عيبًا، فعمار يرى إبطاء أبي موسى وأبي مسعود عن تأييد علي عيبًا وأبو موسى وأبو مسعود رأيا إسراع عمار في تأييد أمير المؤمنين علي عيبًا وكلاهما له حجته التي أقنع بها، فمن أبطأ فذلك لما ظهر لهم من ترك مباشرة القتال في الفتنة، تمسكًا بالأحاديث الواردة في ذلك وما في حمل السلاح على المسلم من الوعيد، وكان عمار: على رأي علي في قتال الباغين والناكثين، والتمسك بقوله ﴿فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي﴾ [الحجرات: ٩] وحمل الوعيد الوارد في القتال على من كان متعديًا على صاحبه وكلا الفريقين لم يكن حريصًا على قتل صاحبه، ويتعلق الطرفان بأدنى سبب لمنع الاشتجار قبل أن يقع، ومضي الالتحام إن وقع، لأن الطرفين كانا كارهين الاقتتال [٣٤٨].

٥ - تساؤلات على الطريق:

أ - ما سأله به أبو رفاعة بن رافع بن مالك بن العجلان الأنصاري لما أراد الخروج من الربذة، فقال: يا أمير المؤمنين، أي شيء تريد؟ وإلي أين تذهب بنا؟ فقال: أما الذي نريد وننوي فالإصلاح، إن قبلوا منا وأجابوا إليه. قال: فإن لم يجيبونا إليه؟ قال: ندعهم بعذرهم ونعطيهم الحق ونصبر، قال: فإن لن يرضوا؟ قال ندعهم ما تركونا. قال: فإن لم يتركونا؟ قال امتنعنا منهم، قال: فنعم إذًا، فسمع تلك السلسلة من الأسئلة والإجابات فاطمأن إليها وارتاح لها، وقال: لأرضينك بالفعل كما أرضيتني بالقول، وقال:

دراكها دراكها قبل الفوت — وانفر بنا واسم بنا نحو الصوت

لا وألت نفسي إن هبت الموت [٣٤٩]

ب - أهل الكوفة يسألون عليا بما فيهم الأعور بن بنان المنقري:

لما قدم أهل الكوفة إلى أمير المؤمنين رضي الله عنه في ذي قار، قام إليه أقوام من أهل الكوفة يسألونه عن سبب قدومهم، فقام إليه فيمن قام الأعور بن بنان المنقري فقال له علي رضي الله عنه على الإصلاح وإطفاء النائرة [٣٥٠] لعل الله يجمع شمل هذه الأمة بنا ويضع حربهم، وقد أجابوني، قال: فإن لم يجيبونا؟ قال تركناهم ما تركونا، قال: فإن لم يتركونا:؟ قال: دفعناهم عن أنفسنا، قال فهل لهم مثل ما عليهم من هذا؟ قال نعم [٣٥١].

ج - أبو سلامة الدالاني، ممن سأل أمير المؤمنين رضي الله عنه فقال: أترى لهؤلاء القوم حجة فيما طلبوا من هذا الدم. إن كانوا أراد الله (عز وجل) بذلك؟ قال: نعم، قال: فترى

(٣٤٨) المدينة النبوية فجر الإسلام والعصر الراشدي (٢/ ٣٠٤).
(٣٤٩) تاريخ الطبري (٥/ ٥١٠). (٣٥٠) النائرة: العداوة.
(٣٥١) البداية والنهاية (٧/ ٢٥٠) تاريخ الطبري (٥/ ٥٢٩).

لك حجة بتأخيرك ذلك؟ قال: نعم، إن الشيء إذا كان لا يدرك فالحكم فيه أحوطه وأعمه نفعًا. قال: فما حالنا وحالهم إن ابتلينا غدًا. قال: إني لأرجو ألا يقتل أحد نقي قلبه لله منا ومنهم إلا أدخله الله الجنة (٣٥٢).

د - وسأل مالك بن حبيب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، فقال: ما أنت صانع إذا لقيت هؤلاء القوم؟ قال: قد بان لنا ولهم أن الإصلاح الكف عن هذا الأمر، فإن بايعونا فذلك، فإن أبوا وأبينا إلا القتال فصدع لا يلتئم، قال: فإن ابتلينا فما بال قتلانا؟ قال: من أراد الله (عز وجل) نفعه ذلك وكان نجاءه (٣٥٣) إن هدف أمير المؤمنين الإصلاح وإطفاء الفتنة، وأن القتال ليس واردًا في تدابيره، لأنه إن حصل، فهو داء لا يرجى شفاؤه، أما من يقتل بين الطرفين فهو مرهون بنيته، سواء قاتل مع أمير المؤمنين أو قاتل ضده، وبذلك يقرر أمير المؤمنين أن المسلمين الذين خرجوا في هذا الأمر، بعد استشهاد عثمان رضي الله عنه يبتغون الإصلاح والقضاء على الفتنة مجتهدون وأجرهم على قدر إخلاص نواياهم ونقاء قلوبهم (٣٥٤).

ثامنًا: محاولات الصلح:

قبل أن يتحرك علي رضي الله عنه بجيشه نحو البصرة أقام في ذي قار أيامًا، وكان غرضه رضي الله عنه القضاء على هذه الفرقة والفتنة بالوسائل السلمية، وتجنيب المسلمين شر القتال والصدام المسلح بكل ما أوتي من قوة وجهد، وكذلك الحال بالنسبة لطلحة والزبير وقد اشترك في محاولات الصلح عدد من الصحابة وكبار التابعين ممن اعتزلوا الأمر، منهم:

١ - عمران بن حصين رضي الله عنه: فقد أرسل في الناس يخذل الفريقين جميعًا. ثم أرسل إلى بني عدي - وهم جمع كبير انضموا للزبير - فجاء رسوله وقال لهم في مسجدهم: أرسلني إليكم عمران بن حصين صاحب رسول الله (ﷺ) ينصحكم ويحلف بالله الذي لا إله إلا هو لأن يكون عبدًا حبشيًا مجدعًا يرعى أعنزًا في رأس جبل حتى يدركه الموت، أحب إليه من أن يرمي في أحد من الفريقين بسهم أخطأ أو أصاب، فأمسكوا فدًى لكم أبي وأمي، فقال القوم: دعنا منك، فإنا والله لا ندع ثقل رسول الله (ﷺ) لشيء (٣٥٥) أبدًا.

٢ - كعب بن سور: أحد كبار التابعين ، فقد بذل كل جهد، وكلف نفسه فوق طاقتها وقام بدور يعجز عنه كثير من الرجال، فقد استمر في محاولة الصلح إلى أن وقع المحذور، وذهب ضحية جهوده، إذ قتل وهو بين الصفين يدعو هؤلاء ويدعو هؤلاء إلى تحكيم كتاب الله وكف السلاح (٣٥٦).

---

(٣٥٢) المصدر نفسه (٧/ ٢٥٠).
(٣٥٣) تاريخ الطبري (٥/ ٥٢) الإنصاف فيما وقع في تاريخ العصر الراشدي ص ٤٠٦.
(٣٥٤) الإنصاف، د/ حامد ص ٤٠٦.
(٣٥٥) الطبقات لابن سعد (٤/ ٨٧)، خلافة علي، عبد الحميد ص ١٤٨.
(٣٥٦) الطبقات لابن سعد (٧/ ٩٢) من طريقين صحيحي الإسناد وخلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد ص ١٤٩.

٣- القعقاع بن عمرو التميمي:

أرسل أمير المؤمنين علي القعقاع بن عمرو التميمي رضي الله عنهما في مهمة الصلح إلى طلحة والزبير، وقال: الق هذين الرجلين، فادعهما إلى الألفة والجماعة، وعظم عليهما الاختلاف والفرقة. ذهب القعقاع إلى البصرة فبدأ بعائشة رضي الله عنها، وقال لها: ما أقدمك يا أماه إلى البصرة؟ قالت له: يا بني من أجل الإصلاح بين الناس. فطلب القعقاع منها أن تبعث إلى طلحة والزبير ليحضرا، ويكلمهما في حضرتها وعلى مسمع منها.

محاورة القعقاع لطلحة والزبير:

ولما حضرا سألهما عن سبب حضورهما، فقالا كما قالت عائشة: من أجل الإصلاح بين الناس. فقال لهما: أخبراني ما وجه هذا الإصلاح؟ فوالله لئن عرفناه لنصلحن معكم، ولئن أنكرناه لا نصلح، قالا له: قتلة عثمان رضي الله عنه ولا بد أن يقتلوا، فإن تركوا بدون قصاص كان هذا تركًا للقرآن. وتعطيلاً لأحكامه وإن اقتص منهم كان هذا إحياء للقرآن. قال القعقاع: لقد كان في البصرة ستمائة من قتلة عثمان وأنتم قتلتموهم إلا رجلاً واحدًا، وهو حرقوص بن زهير السعدي، فلما هرب منكم احتمى بقومه من بني سعد، ولما أردتم أخذه منهم وقتله منعكم قومه من ذلك، وغضب له ستة آلاف رجل اعتزلوكم ووقفوا أمامكم وقفة رجل واحد، فإن تركتم حرقوصًا ولم تقتلوه، كنتم تاركين لما تقولون وتنادون به وتطالبون عليًا به وإن قاتلتم بني سعد من أجل حرقوص، وغلبوكم وهزموكم وأديلوا عليكم، فقد وقعتم في المحذور، وقويتموهم، وأصابكم ما تكرهون، وأنتم بمطالبتكم بحرقوص أغضبتم ربيعة ومضر، من هذه البلاد، حيث اجتمعوا على حربكم وخذلانكم، نصرة لبني سعد وهذا ما حصل مع علي، ووجود قتلة عثمان في جيشه.

الحل عند القعقاع التأني والتسكين ثم القصاص:

تأثرت أم المؤمنين ومن معها بمنطق القعقاع وحجته المقبولة، فقالت له: فماذا تقول أنت يا قعقاع؟ قال أقول: هذا أمر دواؤه التسكين، ولا بد من التأني في القصاص من قتلة عثمان، فإذا انتهت الخلافات، واجتمعت كلمة الأمة على أمير المؤمنين تفرغ لقتلة عثمان، وإن أنتم بايعتم عليًا(٣٥٧) واتفقتم معه، كان هذا علامة خير، وتباشير رحمة، وقدرة على الأخذ بثأر عثمان، وإن أنتم أبيتم ذلك، وأصررتم على المكابرة والقتال كان هذا علامة شر، وذهابا لهذا الملك، فآثروا العافية ترزقونها، وكونوا مفاتيح خير كما كنتم أولاً، ولا تعرضونا للبلاء، فتتعرضوا له، فيصرعنا الله وإياكم وايم الله إني لأقول هذا وأدعوكم إليه، وإني لخائف ألا يتم، حتى يأخذ الله حجته من هذه الأمة التي قل متاعها، ونزل بها ما نزل، فإن ما نزل بها أمر عظيم، وليس كقتل الرجل الرجل، ولا قتل النفر الرجل، ولا قتل القبيلة القبيلة. اقتنعوا بكلام القعقاع المقنع الصادق المخلص، ووافقوا على دعوته إلى الصلح،

---

(٣٥٧) الانقياد التام لسياسة أمير المؤمنين علي في التعامل مع قتلة عثمان .

وقالوا له: قد أحسنت وأصبت المقـالة، فارجع، فإن قدم علي، وهو على مثل رأيك، صلح هذا الأمر إن شاء الله، عاد القعقاع إلى علي في «ذي قار» وقد نجح في مهمته، وأخبر عليا بما جرى معه، فأعجب علي بذلك، وأوشك القـوم على الصلح، كرهه من كرهه، ورضيه من رضيه(٣٥٨).

بشائر الاتفاق بين الفريقين:

لما عاد القعقاع وأخبره بما فعل، أرسل علي رضي الله عنه رسولين (٣٥٩) إلى عائشة والزبير ومن معهم يستـوثق فيه مما جاء به القعقاع بن عمرو، فجـاءا عليا، بأنا ما فارقنا عليه القعقاع فأقدم، فارتحل علي حتى نزل بحيالهم، فنزلت القبائل إلى قبائلهم، مضر إلى مضر، وربيعة إلى ربيعة، واليمن إلى اليمن، وهم لا يشكون في الصلح فكان بعضهم بحيال بعض، وبعضهم يخـرج إلى بعض، ولا يذكرون ولا ينوون إلا الصلح (٣٦٠)، وكان أمـير المؤمنين علي رضي الله عنه لما نوى الرحيل قد أعلن قراره الخطير: ألا وإني راحل غدًا فارتحلوا يقصد إلى البصرة، ألا ولا يرتحلن غدًا أحد أعان على عثمان بشيء في شيء من أمور الناس(٣٦١).

تاسعًا: نشوب القتال:

١ - دور السبئية في نشوب الحرب:

كان في عسكر علي رضي الله عنه من أولئك الطغاة الخـوارج الذين قتلوا عثمان من لم يعرف بعينه ومن تـنتصر له قبيلتـه، ومن لم تقم عليه حجة بما فعله، ومـن في قلبه نفاق لم يتمكن من إظهاره (٣٦٢) وحرص أتباع ابن سبأ على إشعال الفتنة وتأجيج نيرانها حتى يفلتوا من القـصـاص (٣٦٣) فلما نزل الناس منازلهم واطـمأنوا خرج علي وخرج طلحـة والزبير، فتوافقوا وتكلمـوا فيما اختلفوا فيه، فلم يجـدوا أمرًا هو أمثل من الصلح وترك الحرب حين رأوا أن الأمر أخذ في الانقشاع، فافترقوا على ذلك، ورجع علي إلى عسكره، ورجع طلحة والزبير إلى عسكرهما، وأرسل طلحة والزبير إلى رؤساء أصحابهما، وأرسل علي إلى رؤساء أصحابه، مـا عدا أولئك الذين حاصروا عـثمان رضي الله عنه فبـات الناس على نية الصلح والعافية وهم لايشكون في الصلح فكان بعضـهم بحيال بعض، وبعضهم يخرج إلى بعض، لا يذكرون ولا ينوون إلا الصلح. وبات الذين أشـاروا الفتنة بشر ليلة باتوها قط، إذ أشـرفوا على الهلاك وجـعلوا يتشاورون ليلـتهم كلها، وقـال قائلهم: أما طلحـة والزبير فقـد عرفنا أمرهما، وأما علي فلم نعرف أمره حتى كان اليوم وذلك حين طلب من الناس أن يرتحلوا في الغـد ولا يرتحل معـه أحـد أعان على عـثـمان بشيء، ورأي الـناس فينا والله واحـد، وإن

---

(٣٥٨) البداية والنهاية (٧/ ٢٣٩)، تاريخ الطبري (٥/ ٥٢١).
(٣٥٩) تاريخ الطبري (٥/ ٥٢٥).
(٣٦٠) تاريخ الطبري (٥/ ٥٣٩).
(٣٦١) تاريخ الطبري (٥/ ٥٢٥).
(٣٦٢) تاريخ الطبري (٥/ ٥٢٦).
(٣٦٣) المصدر نفسه (٥/ ٥٢٧) تحقيق مواقف الصحابة (٢/ ١٢٠).

يصطلحوا مع علي فعلى دمائنا [٣٦٤] وتكلم ابن السوداء عبد الله بن سبأ - وهو المشير فيهم - فقال: يا قوم إن عزكم في خلطة الناس فصانعوهم، وإذا التقى الناس غدًا فانشبوا القتال، ولا تفرغوهم للنظر، فإذا من أنتم معه لا يجد بدًا من أن يمتنع، ويشغل الله عليا وطلحة والزبير ومن رأى رأيهم عما تكرهون، فأبصروا الرأي وتفرقوا عليه والناس لا يشعرون[٣٦٥] فاجتمعوا على هذا الرأي بإنشاء الحرب في السِّر، فغدوا في الغلس وعليهم ظلمة، وما يشعر بهم جيرانهم فخرج مضريهم إلى مضريهم وربيعيهم إلى ربيعيهم، و يمانيهم إلى يمانيهم، فوضعوا فيهم السيوف، فثار أهل البصرة، وثار كل قوم في وجوه الذين باغتوهم، وخرج الزبير وطلحة في وجوه الناس من مضر، فبعثا إلى الميمنة، وهم ربيعة يرأسها عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، والميسرة، يرأسها عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد وثبتا في القلب، فقالا: ما هذا؟ قالوا: طرقنا أهل الكوفة ليلاً، فقالا: ما علمنا أن عليا غير منته حتى يسفك الدماء ويستحل الحرمة، وإنه لن يطاوعنا، ثم رجعا بأهل البصرة، وقصف أهل البصرة، أولئك حتى ردوهم إلى عسكرهم [٣٦٦] فسمع علي وأهل الكوفة الصوت، وقد وضع السبئية رجلاً قريبًا من علي ليخبره بما يريدون، فلما قال: ما هذا؟ قال ذلك الرجل: ما فجئنا إلا وقوم منهم بيتونا فرددناهم، وقال علي لصاحب ميمنته: ائت الميمنة، وقال لصاحب ميسرته: ائت الميسرة، والسبئية لا تفتر إنشابًا [٣٦٧] . وعلى الرغم من تلك البداية للمعركة إلا أن الطرفين ما لبثا يملكان الروية حتى تتضح الحقيقة، فعلي ومن معه يتفقون على أن لا يبدؤوا بالقتال حتى يبدؤوا طلبًا للحجة واستحقاقًا على الآخرين بها، وهم مع ذلك لا يقتلون مدبرًا، ولا يجهزون على جريح، ولكن السبئية لا تفتر إنشابًا [٣٦٨] ، وفي الجانب الآخر ينادي طلحة وهو على دابته وقد غشيه الناس فيقول: يا أيها الناس أتنصتون؟ فجعلوا يركبونه ولا ينصتونه ، فما زاد أن قال: أف أف فراش نار وذبان طمع[٣٦٩]، وهل يكون فراش النار وذبان الطمع غير أولئك السبئية؟ بل إن محاولات الصلح لتجري حتى آخر لحظة من لحظات المعركة، ومن خلال هذا العرض يتبين أثر ابن سبأ وأعوانه «السبئية» في المعركة ويتضح بما لا يدع مجالا للشك حرص الصحابة رضي الله عنهم على الإصلاح وجمع الكلمة وهذا هو الحق الذي تثبته النصوص وتطمئن إليه النفوس [٣٧٠]، وقبل الحديث عن جولات المعركة نشير إلى أن أثر السبئية في معركة الجمل مما يكاد يجمع عليه العلماء سواء أسموهم بالمفسدين، أو بأوباش الطائفتين أو أسماهم البعض بقتلة عثمان، أو

(٣٦٤) تاريخ الطبري (٥/ ٥٢٦).
(٣٦٥) المصدر نفسه(٥/ ٥٢٧).
(٣٦٦) المصدر نفسه (٥/ ٥٤١).
(٣٦٧) المصدر نفسه (٥/ ٥٤١).
(٣٦٨) المصدر نفسه (٥/ ٥٤١).
(٣٦٩) تاريخ خليفة بن خياط ص ١٨٢ .
(٣٧٠) عبد الله بن سبأ وأثره في أحداث فتنة صدر الإسلام ص ١٩٢ ، ١٩٣ .

نبزوهم بالسفهاء، أو بالغوغاء، أو أطلقوا عليهم صراحة السبئية [٣٧١] وإليك بعض النصوص التي تؤكد ذلك :

أ - جاء في أخبار البصرة لعمر بن شبة أن الذي نسب إليهم قتل عثمان خشوا أن يصطلح الفريقان على قتلهم، فأنشبوا الحرب بينهم حتى كان ما كان [٣٧٢].

ب - قال الإمام الطحاوي: فجرت فتنة الجمل على غير اختيار من علي ولا من طلحة وإنما أثارها المفسدون بغير اختيار السابقين [٣٧٣] .

ج - وقال الباقلاني: . . وتم الصلح والتفرق على الرضا، فخاف قتلة عثمان من التمكن منهم، والإحاطة بهم، فاجتمعوا وتشاوروا واختلفوا، ثم اتفقت آراؤهم على أن يفترقوا فريقين، ويبدؤوا بالحرب سحرة في المعسكرين ويختلطوا، ويصيح الفريق الذي في عسكر علي: غدر طلحة والزبير،ويصيح الفريق الذي في عسكر طلحة والزبير: غدر علي،فتم لهم ذلك على ما دبروه ونشب الحرب فكان كل فريق منهم دافعًا لمكروه عن نفسه ومانعًا من الإشاطة بدمه، وهذا صواب من الفريقين وطاعة لله (تعالى) إذ وقع،والامتناع منهم على هذا السبيل، فهذا هو الصحيح المشهور،وإليه نميل،وبه نقول [٣٧٤].

د - ونقل القاضي عبد الجبار: أقوال العلماء، باتفاق رأي علي وطلحة والزبير وعائشة رضوان الله عليهم على الصلح، وترك الحرب، واستقبال النظر في الأمر، وأن من كان في المعسكر من أعداء عثمان كرهوا ذلك،وخافوا أن تتفرغ الجماعة لهم،فدبروا في إلقاء ما هو معروف، وتم ذلك [٣٧٥].

هـ - ويقول القاضي أبو بكر بن العربي: وقدم علي على البصرة، وتدانوا ليتراؤوا، فلم يتركهم أصحاب الأهواء، وبادروا بإراقة الدماء،واشتجر الحرب، وكثرت الغوغاء على البوغاء ،كل ذلك حتى لا يقع برهان، ولا يقف الحال على بيان، ويخفى قتلة عثمان، وإن واحدًا في الجيش يفسد تدبيره، فكيف بألف[٣٧٦] .

و - ويقول ابن حزم: . . وبرهان ذلك أنهم اجتمعوا ولم يقتتلوا ولا تحاربوا، فلما كان الليل عرف قتلة عثمان أن الإراغة والتدبير عليهم،فبيتوا عسكر طلحة والزبير وبذلوا السيف فيهم، فدفع القوم عن أنفسهم حتى خالطوا عسكر علي،فدفع أهله عن أنفسهم، كل طائفة تظن ولا شك أن الأخرى بدأتها القتال، واختلط الأمر اختلاطًا،لم يقدر أحد على أكثر من الدفاع عن نفسه، والفسقة من قتلة عثمان لا يفترون من شن الحرب وإضرامها، فكلتا

---

(٣٧١) عبد الله بن سبأ وأثره في أحداث فتنة صدر الإسلام ص ١٩٤ .
(٣٧٢) فتح الباري (١٣/ ٥٦).
(٣٧٣) شرح العقيدة الطحاوية ٥٤٦ .
(٣٧٤) التمهيد ص ٢٣٣ .
(٣٧٥) تثبيت دلائل النبوة للهمداني ص ٢٩٩ .
(٣٧٦) العواصم من القواصم ص ١٥٦ ، ١٥٧ .

الطائفتين مصيبة في غرضها ومقصدها، مدافعة عن نفسها، ورجع الزبير وترك الحرب بحالها، وأتى طلحة سهم غارب، وهو قائم لا يدري حقيقة ذلك الاختلاط، فصادف جرحًا في ساقه كان أصابه يوم أحد بين يدي رسول الله (ﷺ)، فانصرف ومات من وقته - رضي الله عنه - وقتل الزبير بوادي السباع - بعد انسحابه من المعركة - على أقل من يوم من البصرة، فهكذا كان الأمر (٣٧٧) يقول الذهبي: كان وقعة الجمل أثارها سفهاء الفريقين(٣٧٨). ويقول: إن الفريقين اصطلحا وليس لعلي ولا لطلحة قصد القتال، بل ليتكلموا في اجتماع الكلمة، فترامي أوباش الطائفتين، بالنبل وشبت نار الحرب، وثارت النفوس (٣٧٩).

وفي دول الإسلام: والتحم القتال من «الغوغاء» وخرج الأمر عن علي وطلحة والزبير(٣٨٠). يقول الدكتور سليمان بن حمد العودة: ولنا بعد ذلك أن نقول: وما المانع أن تكون رواية الطبري المصرحة بدور «السبئية» في الجمل، تفسر هذا التعميم، وتحدد تلك المسميات التي وردت في نقولات هؤلاء العلماء؟ وحتي لو لم تكن هذه الطوائف الغوغائية ذات صلة مباشرة بالسبئية ولم تكن لها أهداف كأهدافهم، فأي مانع يمنع القول أن هذه شكلت أرضية استغلها ابن سبأ وأعوانه «السبئية»، كما هي العادة في بعض الحركات الغوغائية التي تستغل من قبل المفسدين (٣٨١).

ولا ننسي أن للفتنة وأجوائها دور في الإسهام بتلك الأحداث، فمما لا شك فيه أن الناس في الفتن قد تحجب عنهم أشياء يراها غيرهم رأي العين، وقد يتأولون فيها صانعين أشياء يرى من سواهم حقيقتها ناصعة لا تحتاج إلى عناء، وكفى بسواد الفتنة حاجبًا عن التروي والإبصار(٣٨٢)، ولا نبعد كثيرًا فهذا الأحنف بن قيس - وهو أحد الذين عايشوا أحداث الجمل - يخرج وهو يريد نصرة علي بن أبي طالب، حتى لقيه أبو بكرة (٣٨٣)، فقال: أين تريد يا أحنف؟ قال: أريد نصر ابن عم رسول الله (ﷺ) فقال: يا أحنف ارجع فإني سمعته (ﷺ) يقول: « **إذا تواجه المسلمان بسيفهما، فالقاتل والمقتول في النار**» فقلت أو قيل: يا رسول الله، هذا القاتل فما بال المقتول؟ قال: «**إنه كان قد أراد قتل صاحبه**» (٣٨٤).

---

(٣٧٧) الفصل في الملل والنحل (٤/ ١٥٧، ١٥٨).
(٣٧٨) العبر (١/ ٣٧)، عبد الله بن سبأ للعودة ص ١٩٥.
(٣٧٩) تاريخ الإسلام (١/ ١٥)، عبد الله بن سبأ للعودة ص ١٩٥.
(٣٨٠) تاريخ الإسلام (١/ ١٥)، عبد الله بن سبأ للعودةص ١٩٥.
(٣٨١) عبد الله بن سبأ للعودة ص ١٩٥.
(٣٨٢) المصدر نفسه ص ١٩٦.
(٣٨٣) هو نفيع بن الحارث بن كلدة الثقفي، كما قال الإمام أحمد وعزا هذا القول إلى الأكثرين، وقيل: إنه نفيع بن مسروح وبه جزم ابن سعد وقيل: اسمه مسروح وبه جزم ابن سحاق وعلي كل فهو مشهور بكنيته أبي بكرة، من فضلاء الصحابة، ومن أهل الطائف وممن اعتزل الفتنة يوم الجمل وأيام صفين قيل في سبب كنيته أنه تدلي من حصن الطائف ببكرة فاشتهر بها، توفي بالبصرة ٥٢هـ.
(٣٨٤) مسلم (٤/ ٢٢١٣)، ك الفتن.

إن القتال مع علي كان حقًا وصوابًا ومن قتل معه فهو شهيد وله أجران، ولكن أبا بكرة رضي الله عنه حمل حديثًا ورد في غير الحالة التي قاتل فيها علي على حالة قتال الباغين وهو فهم منه رضي الله عنه ولكنه فهم في غير محله. ومن هذه الرواية ندرك أن عقبات متعددة واجهت عليا رضي الله عنه في معركته مع الآخرين منها أمثال هذه الفتاوي التي هي أثر عن ورع أكثر منها أثر عن فتوى تصيب محلها [٣٨٥]. هذا وقد امتنع الأحنف من الدخول مع علي رضي الله عنهما، فلم يشهد الجمل مع أحد من الفريقين [٣٨٦]، ونقترب أكثر فإذا الزبير رضي الله عنه - وهو طرف أساسي في المعركة - يكشف لنا عن حقيقة الأمر: أن هذه لهي الفتنة التي كنا نحدث عنها، فقال له مولاه: أتسميها فتنة وتقاتل فيها؟ قال: ويحك إنا نبصر ولا نبصر، ما كان أمر قط إلا علمت موضع قدمي فيه، غير هذا الأمر، فإني لا أدري أمقبل أنا فيه أم مدبر [٣٨٧]. ويشير إلى ذلك طلحة فيقول: بينما نحن يد واحدة على من سوانا، إذ صرنا جبلين من حديد يطلب بعضنا بعضا [٣٨٨]، وفي الطرف الآخر يؤكد أصحاب علي رضي الله عنه على الفتنة فيقول عمار رضي الله عنه في الكوفة عن خروج عائشة: إنها زوجة نبيكم في الدنيا والآخرة ولكنها مما ابتليتم [٣٨٩].

٢ - الجولة الأولى في معركة الجمل:

زاد السبئيون في الجيشين من جهودهم في إنشاب القتال، ومهاجمة الفريق الآخر، وإغراء كل فريق بخصمه، وتهييجه على قتاله ونشبت المعركة عنيفة قاسية حامية شرسة، وهي معركة الجمل، وسميت بذلك لأن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، كانت في المعركة في الجولة الثانية وسط جيش البصرة، تركب الجمل الذي قدمه لها يعلى بن أمية في مكة، حيث اشتراه من اليمن، وخرجت على هذا الجمل من مكة إلى البصرة، ثم ركبته أثناء المعركة، وكانت المعركة يوم الجمعة في السادس عشر من جمادي الثاني، سنة ست وثلاثين، في منطقة «الزابوقة» قرب البصرة، حزن علي لما جري، ونادي مناديه: كفوا عن القتال أيها الناس، ولم يسمع نداءه أحد، فالكل كان مشغولاً بقتال خصمه [٣٩٠]، كانت معركة الجمل على جولتين، الجولة الأولى: كان قائدا جيش البصرة فيها طلحة والزبير، واستمرت من الفجر حتى قبيل الظهيرة [٣٩١]، ونادئ علي في جيشه، كما نادي طلحة والزبير في جيشهما لا تقتلوا مدبرًا، ولا تجهزوا على جريح، ولا تلحقوا خارجًا من المعركة تاركًا لها [٣٩٢]،

---

(٣٨٥) الأساس في السنة وفقهها، السيرة النبوية (٤/ ١٧١١).
(٣٨٦) صحيح مسلم على شرح النووي (١٨/ ١٠).
(٣٨٧) تاريخ الطبري (٥/ ٥٠٦).
(٣٨٨) المصدر نفسه (٥/ ٥٠٦).
(٣٨٩) تاريخ الطبري (٥/ ٥١٦).
(٣٩٠) تاريخ الطبري (٥/ ٥٤١).
(٣٩١) تاريخ الطبري (٥/ ٥٤١، ٥٤٣) الخلفاء الراشدون للخالدي ص ٢٤٥.
(٣٩٢) المصدر نفسه(٥/ ٥٤١).

وقد كان الزبير رضي الله عنه وصي ابنه عبد الله بقضاء دينه فقال: إنه لا يقتل اليوم إلا ظالم أو مظلوم، وإني لا أراني إلا سأقتل مظلومًا وإن أكبر همي ديني (٣٩٣)، وأثناء ذلك جاء رجل إلى الزبير، وعرض عليه أن يقتل عليا، وذلك بأن يندس مع جيشه ثم يفتك به، فأنكر عليه بشدة، وقال: لا ،لا يفتك مؤمن، أو أن الإيمان قيد الفتك (٣٩٤)، فالزبير رضي الله عنه ليس له غرض في قتل علي أو أي شخص آخر برئ من دم عثمان، وقد دعا أمير المؤمنين علي الزبير، فكلمه بألطف العبارة، وأجمل الحديث وقيل ذكره بحديث سمعه من رسول الله (ﷺ) يقول له - أي الزبير : «لتقاتلنه وأنت له ظالم» (٣٩٥) وهذا الحديث ليس له إسناد صحيح (٣٩٦)، وبعض الروايات، ترجع السبب في انصراف الزبير رضي الله عنه قبيل المعركة لما علم بوجود عمار بن ياسر في الصف الآخر وهو وإن لم يرو عن رسول الله (ﷺ): «**تقتل عمارًا الفئة الباغية**» (٣٩٧) فلعله سمعه من بعض إخوانه من الصحابة لشهرته (٣٩٨)، وبعضها ترجع السبب في انصرافه إلى شكه في صحة موقفه (٣٩٩)، من هذه الفتنة، كما يسميها، وفي رواية ترجع السبب في انصرافه إلى ابن عباس رضي الله عنهما ذكره بالقرابة القوية من علي إذ قال له: أين صفية بنت عبد المطلب حيث تقاتل بسيفك علي ابن أبي طالب بن عبد المطلب (٤٠٠) فخرج الزبير من المعركة، فلقيه ابن جرموز فقتله(٤٠١) - كما سيأتي تفصيله بإذن الله - فالزبير رضي الله عنه كان على وعي لهدفه - وهو الإصلاح - ولكنه لما رأي حلول السلاح مكان الإصلاح رجع، ولم يقاتل، وقول ابن عباس: تقاتل بسيفك علي بن أبي طالب؟ فيه حذف مفهومه. أم جئت للإصلاح وجمع الشمل (٤٠٢) وعلى إثر هذا الحديث انصرف الزبير وترك الساحة، وربما كانت عوامل متعددة ومتداخلة ساهمت في خروج الزبير من ساحة المعركة، وأما طلحة بن عبيد الله القائد الثاني لجيش البصرة، فقد أصيب في بداية المعركة، إذ جاءه سهم غرب لا يعرف من رماه، فأصابه إصابة مباشرة، ونزف دمه بغزارة فقالوا له: يا أبا محمد،إنك لجريح، فاذهب وادخل البيوت لتعالج فيها، فقال طلحة لغلامه: احملني، وابحث لي عن مكان مناسب، فأدخل البصرة، ووضع في دار فيها ليعالج، ولكن جرحه ما زال ينزف حتى توفي في البيت، ثم دفن في البصرة، رضي الله عنه(٤٠٣)، وأما الرواية التي تشير إلى تحريض الزبير وطلحة على القتال

(٣٩٣) مصنف ابن أبي شيبة (١٥/ ٢٧٩)،الطبقات (٣/ ١٠٨) صحيح الإسناد
(٣٩٤) مسند أحمد (٣/ ١٩) قال محققه أحمد شاكر: وإسناده صحيح.
(٣٩٥) استشهاد عثمان ووقعة الجمل ص ٢٠١ خرج طرق الحديث وحكم عليها بالضعف.
(٣٩٦) المدينة النبوية فجر الإسلام (٢/ ٣٢٤)، المطالب العالية رقم ٤٤٦٨.
(٣٩٧) مسند أحمد (١/ ٤٧-٤٩). (١١/ ٣٨) إسناده صحيح، تحقيق أحمد شاكر.
(٣٩٨) خلافة علي بن أبي طالب ص ١٥٤.
(٣٩٩) المصدر نفسه ص ١٥٤، تاريخ الطبري(٥/ ٥٠٦).
(٤٠٠) الطبقات (٣/ ١١٠) إسناده صحيح، خلافة علي ص ١٥٥.
(٤٠١) الطبقات (٣/ ١٠)، تاريخ خليفة ص ١٨٦.
(٤٠٢) المدينة النبوية فجر الإسلام (٢/ ٢٤٨).
(٤٠٣) البداية والنهاية (٧/ ٢٥٣).

ثم إن الزبير لما رأي الهزيمة على أهل البصرة ترك المعركة ومضي، فهذه الرواية لا تصح[٤٠٤]، وهذا الخبر يعارضه ما ثبت من عدالة الصحابة رضوان الله عليهم، كما أنه يخالف الروايات الصحيحة التي تنص على أن أصحاب الجمل ما خرجوا إلا للإصلاح، فكيف ينسجم هذا الفعل من الزبير رضي الله عنه مع الهدف الذي خرج من مكة إلى البصرة من أجله ألا وهو الإصلاح بين الناس، وبالفعل فإن موقف الزبير رضي الله عنه كان السعي في الإصلاح، حتى آخر لحظة، وهذا ما أخرجه الحاكم من طريق أبي حرب بن أبي الأسود الديلي، وفيه أن الزبير رضي الله عنه سعى في الصلح بين الناس ولكن قامت المعركة واختلف أمر الناس ومضي الزبير وترك القتال[٤٠٥]، وكذلك طلحة فقد جاء من أجل الإصلاح وليس من أجل إراقة الدماء، وأما عن مقتل طلحة رضي الله عنه فقد كان عند بدء القتال كما صرح بذلك الأحنف بن قيس[٤٠٦] وبخروج الزبير من ميدان المعركة، وموت طلحة رضي الله عنهما وسقوط القتلى والجرحى من الجانبين تكون قد انتهت الجولة الأولى من معركة الجمل، وكانت الغلبة فيها لجيش علي وكان علي رضي الله عنه يراقب سير المعركة ويرى القتلى والجرحى في الجانبين، فيتألم ويحزن وأقبل علي على ابنه الحسن، وضمه إلى صدره، وصار يبكي ويقول له: يا بني ليت أباك مات قبل هذا اليوم بعشرين عامًا. فقال الحسن: يا أبت لقد كنت نهيتك عن هذا. فقال علي: ما كنت أظن أن الأمر سيصل إلى هذا الحد، وما طعم الحياة بعد هذا؟ وأي خير يرجى بعد هذا؟[٤٠٧].

٣- الجولة الثانية:

وصل الخبر إلى أم المؤمنين بما حدث من القتال، فخرجت على جملها تحيط بها القبائل الأزدية، ومعها كعب الذي دفعت إليه مصحفًا يدعو الناس إلى وقف الحرب، تقدمت أم المؤمنين وكلها أمل أن يسمع الناس كلامها لمكانتها في قلوب الناس فتحجز بينهم وتطفئ هذه الفتنة التي بدأت تشتعل[٤٠٨]، وحمل كعب بن سور المصحف، وتقدم أمام جيش علي قائلاً: يا قوم: أنا كعب بن سور، قاضي البصرة، أدعوكم إلى كتاب الله، والعمل بما فيه، والصلح على أساسه، وخشي السبئيون في مقدمة جيش علي أن تنجح محاولة كعب فرشقوه بنبالهم رشقة رجل واحد، فلقي وجه الله، ومات والمصحف في يده[٤٠٩]، وأصابت سهام السبئيين ونبالهم جمل عائشة وهودجها، فصارت تنادي، وتقول: يا بني: الله، الله، اذكروا يوم الحساب وكفوا عن القتال، والسبئيون لا يستجيبون لها، وهم مستمرون في ضرب جيش

---

(٤٠٤) تاريخ الطبري (٥/ ٥٤٠).

(٤٠٥) المستدرك (٣/ ٣٦٦)، استشهاد عثمان ص ٢٠٠.

(٤٠٦) تاريخ خليفة ص ١٨٥، استشهاد عثمان ص ٢٠٢.

(٤٠٧) البداية والنهاية (٧/ ٥٢١).

(٤٠٨) مصنف عبد الرزاق (٥/ ٤٥٦)، بسند صحيح إلى الزهري.

(٤٠٩) البداية والنهاية (٧/ ٣٥٣).

البصرة وكان علي من الخلف يأمر بالكف عن القتال، وعدم الهجوم علي البصريين، لكن السبئيين في مقدمة جيشه لا يستجيبون له، ويأبون إلا إقدامًا وهجومًا وقتالاً، ولما رأت عائشة عدم استجابتهم لدعوتها، ومقتل كعب بن سور أمامها، قالت: أيها الناس: العنوا قتلة عثمان وأشياعهم، وصارت عائشة تدعو على قتلة عثمان، وتلعنهم وضج أهل البصرة بالدعاء على قتلة عثمان، وأشياعهم، ولعنهم، وسمع علي الدعاء عاليًا في جيش البصرة فقال: ما هذا؟ قالوا: عائشة تدعو على قتلة عثمان، والناس يدعون معها. قال علي: ادعوا معي على قتلة عثمان، وأشياعهم والعنوهم وضج جيش علي يلعن قتلة عثمان والدعاء عليهم [٤١٠] وقال علي: اللهم العن قتلة عثمان في السهل والجبل [٤١١] واشتدت الحرب واشتعل وتشابك القوم وتشاجروا بالرماح، وبعد تقصف الرماح، استلوا السيوف فتضاربوا بها حتى تقصفت [٤١٢]، ودنا الناس بعضهم من بعض [٤١٣]، ووجه السبئيون جهودهم لعقر الجمل وقتل عائشة أم المؤمنين، فسارع جيش البصرة لحماية عائشة وجملها، وقاتلوا أمام الجمل، وكان لا يأخذ أحد بخطام الجمل إلا قتل، حيث كانت المعركة أمام الجمل في غاية الشدة والقوة والعنف والسخونة، حتى أصبح الهودج كأنه قنفد مما رمي فيه من النبل [٤١٤]، وقتل حول الجمل كثير من المسلمين من الأزد وبني ضبة وأبناء وفتيان قريش بعد أن أظهروا شجاعة منقطعة النظير [٤١٥]، وقد أصيبت عائشة بحيرة شديدة وحرج فهي لا تريد القتال ولكنه وقع رغمًا عنها وأصبحت في وسط المعمعة، وصارت تنادي بالكف، فلا مجيب، وكان كل من أخذ بخطام الجمل قتل فجاء محمد بن طلحة (السجاد) وأخذ بخطامه وقال لأمه أم المؤمنين: يا أماه ما تأمرين؟ فقالت: كن كخيري ابني آدم ـ أي: كف يدكَ ـ، فأغمد سيفه بعد أن سله فقتل (رحمه الله)[٤١٦]، كما قتل عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد، الذي حاول أن يقتل الأشتر حتى لو قتل معه، وذلك أنه صارعه فسقطا على الأرض جميعًا، فقال ابن عتاب لمن حوله: اقتلوني [٤١٧] ومالكًا لحنقه عليه لما كان له من دور بارز في تحريض الناس على عثمان رضي الله عنه ولكن الأشتر لم يكن معروفًا بمالك، ولم يك قد حان أجله ولو قال الأشتر لابتدرته سيوف كثيرة، [٤١٨] وأما عبد الله بن الزبير، فقد قاتل قتالاً منقطع النظير، ورمى بنفسه بين السيوف، فقد استخرج من بين القتلى وبه بضع وأربعون ضربة

(٤١٠) البداية والنهاية (٧/٢٥٣).
(٤١١) مصنف ابن أبي شيبة (١٥/٢٦٨) بسند صحيح، سنن سعيد بن منصور (٢/٢٣٦) بسند صحيح.
(٤١٢) مصنف ابن أبي شيبة (١٥/٢٥٨) رجاله رجال الصحيح.
(٤١٣) الطبقات (٥/ ٩٢) بسند حسن.
(٤١٤) البداية والنهاية (٧/٢٥٣) ، تاريخ خليفة ص ١٩٠ بسند حسن.
(٤١٥) البداية والنهاية (٧/ ٢٥٤).
(٤١٦) نسب قريش ص ٢٨١ ، التاريخ الصغير للبخاري (١/ ١١٠) بسند صحيح.
(٤١٧) مصنف ابن أبي شيبة (١٥/٢٢٨) ، مرويات أبي مخنف ص ٢٦٨ إسناده صحيح.
(٤١٨) خلافة علي بن أبي طالب ، عبد الحميد ص ١٥٩ .

وطعنة، كان أشدها وآخرها ضربة الأشتر، إذ من حنقه على ابن الزبير لم يرض أن يضربه وهو جالس على فرسه، بل وقف في الركابين فضربه على رأسه ظانًا أنه قتله(٤١٩)، واستحر القتل أيضًا في بني عدي وبني ضبة والأزد وقد أبدى بنو ضبة حماسة وشجاعة وفداء لأم المؤمنين وقد عبر أحد رؤسائهم وهو عمر بن يثربي الضبي برجزه:

نحن بني ضبة أصحاب الجمل ... ننازل الموت إذا الموت نزل

الموت عندنا أحلى من العسل ... ننعي ابن عفان بأطراف الأسل(٤٢٠)

أدرك أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، بما أوتي من حنكة وقوة، ومهارة عسكرية فذة أن في بقاء الجمل استمرارًا للحرب، وهلاكًا للناس، وأن أصحاب الجمل لن ينهزموا أو يكفوا عن الحرب ما بقيت أم المؤمنين في الميدان، كما أن في بقائها خطر على حياتها فالهدوج الذي هي فيه أصبح كالقنفذ من السهام(٤٢١)، فأمر علي نفرًا من جنده منهم محمد بن أبي بكر (أخو أم المؤمنين) وعبد الله بن بديل أن يعرقبا الجمل ويخرجا عائشة من هودجها إلى الساحة، أي يضربا قوائم الجمل بالسيف، فعقروا الجمل(٤٢٢)، واحتمل أخوها محمد وعبد الله بن بديل الهودج حتى وضعاه أمام علي، فأمر به علي، فأدخل في منزل عبد الله بن بديل(٤٢٣)، وصدق حدس علي بن أبي طالب رضي الله عنه العسكري، فما إن زال السبب أو الدافع الذي دفع البصريين إلى الإقبال على الموت بشغف وأخرجت أم المؤمنين من الميدان، حتى ولوا الأدبار منهزمين، ولو لم يتخذ هذا الإجراء لاستمرت الحرب إلى أن يفنى جيش البصرة أصحاب الجمل، أو ينهزم جيش علي، وعندما بدأت الهزيمة، نادى علي أو مناديه في جيشه ألا يتبعوا مدبرًا ولا يجهزوا على جريح، ولا يغنموا إلا ما حمل إلى الميدان أو المعسكر من عتاد أو سلاح فقط، وليس لهم ما وراء ذلك من شيء، ونهاهم أن يدخلوا الدور، ليس هذا فحسب، بل قال لمن حاربه من أهل البصرة: من وجد له شيء من متاع عند أحد من أصحابه، فله أن يسترده فجاء رجل إلى جماعة من جيش علي وهم يطبخون لحمًا في قدر له فأخذ منهم القدر وكفى ما فيها حنقًا عليهم(٤٢٤).

٤ - عدد القتلى:

أسفرت هذه الحرب الضروس عن عدد من القتلى اختلفت في تقديره الروايات، وذكر المسعودي أن هذا الاختلاف في تقدير عدد القتلى مرجعه إلى أهواء الرواة(٤٢٥).

---

(٤١٩) مصنف ابن أبي شيبة (١٥/٢٢٨) بسند صححه ابن حجر في «الفتح» (١٣/ ٥٧ - ٥٨).

(٤٢٠) تاريخ خليفة ص ١٩٠ بسند حسن، خلافة علي، عبد الحميد ص ١٥٩ .

(٤٢١) أنساب الأشراف للبلاذري (٢/ ٤٣) بسند متصل.

(٤٢٢) أعلام الحديث للخطابي (٣/ ١٦١١).

(٤٢٣) مصنف ابن أبي شيبة (١٥/ ٢٨٦ - ٢٨٧) بسند جيد، «الفتح» (١٣/ ٥٧).

(٤٢٤) مصنف ابن أبي شيبة (١٥/ ٢٨٦ - ٢٨٧) بسند جيد، «الفتح» (١٣/ ٥٧).

(٤٢٥) مروج الذهب (٢/ ٣٦٧).

فيذكر قتادة أن قتلى يوم الجمل عشرون ألفًا [٤٢٦] ، ويظهر أن فيها مبالغة كبيرة، لأن عدد الجيشين حول هذا العدد أو أقل، أما أبو مخنف الرافضي الشيعي، فقد بالغ كثيرًا بحكم ميوله، وقد أساء من حيث يظن أنه أحسن إذ ذكر أن العشرين ألفًا هم من أهل البصرة فقط[٤٢٧] ، وأما سيف فيذكر أنهم عشرة آلاف نصفهم من أصحاب علي رضي الله عنه ونصفهم من أصحاب عائشة رضي الله عنها، وفي رواية أخرى قال: وقيل: خمسة عشر ألفًا، خمسة آلاف من أهل الكوفة، وعشرة آلاف من أهل البصرة، نصفهم قتل في الجولة الأولى ونصفهم في الجولة الثانية[٤٢٨] والروايتان ضعيفتان للانقطاع وغيره، وفيها مبالغة أيضًا، ويذكر عمر بن شبة بسنده أن القتلى يزيدون على ستة آلاف، إلا أن الرواية ضعيفة سندًا[٤٢٩]، أما اليعقوبي، فقد جاوز هؤلاء جميعًا إذ وضع عدد القتلى نيفًا وثلاثين ألفًا[٤٣٠]، وهذه الأرقام مبالغ فيها جدًا، وكان من أسباب المبالغة :

أ - رغبة أعداء الصحابة من السبئية وأتباعهم في توسيع دائرة الخلاف بين أبناء الأمة التي يجمعها حب الصحابة والاقتداء بهم بعد رسول الله (ﷺ) .

ب - مساهمة بعض الشعراء والجهلة من أبناء القبائل، في تضخيم ما جرى وتكبيره، ليتناسب مع ما يصنعونه من أشعار ينسبونها إلى بعض زعمائهم وفرسانهم، فضلاً عن وجود قصاص السمر، ورواة الأخبار الذين يجلبون اهتمام الناس بهم، من خلال الأحداث المثيرة التي يتحدثون عنها.

جـ- إيجاد الثقة في نفوس أتباع الغوغاء والسبئية لإثبات نجاح خططهم وتدابيرهم[٤٣١] .

أما عن العدد الحقيقي لقتلى معركة الجمل فقد كان ضئيلاً جدًا للأسباب التالية:

* قصر مدة القتال، حيث أخرج ابن أبي شيبة بإسناد صحيح [٤٣٢] ، أن القتال نشب بعد الظهر فما غربت الشمس وحول الجمل أحد ممن كان يذب عنه.

* الطبيعة الدفاعية للقتال حيث كان كل فريق يدافع عن نفسه ليس إلا.

* تحرج كل فريق من القتال لما يعلمون من عظم حرمة دم المسلم.

* قياسًا بعدد شهداء معركة اليرموك «ثلاثة آلاف شهيد» ومعركة القادسية ثمانية آلاف وخمسمائة شهيد، وهي التي استمرت عدة أيام، فإن العدد الحقيقي لقتلى معركة الجمل يعد

---

(٤٢٦) مروج الذهب (٢/ ٣٦٧).
(٤٢٧) تاريخ خليفة بن خياط ١٨٦ بسند مرسل.
(٤٢٨) تاريخ الطبري (٥/ ٥٤٢-٥٥٥).
(٤٢٩) تاريخ خليفة بن خياط ص ٤٨٦ إسناده منقطع وهو حسن إلى قتادة.
(٤٣٠) مصنف ابن أبي شيبة (٧/ ٥٤٦) فتح الباري (١٣/ ٦٢).
(٤٣١) الإنصاف ص٤٥٥ .
(٤٣٢) مصنف ابن أبي شيبة (٧/ ٥٤٦) فتح الباري (١٣/ ٦٢).

ضئيلاً جدًا، هذا مع الأخذ بالاعتبار شراسة تلك المعارك وحدتها لكونها من المعارك الفاصلة في تاريخ الأمم.

* أورد خليفة بن خياط بيانًا بأسماء من حفظ من قتلى يوم الجمل فكانوا قريبًا من المائة[٤٣٣]، فلو فرضنا أن عددهم كان مائتين وليس مائة، فإن هذا يعني أن قتلى معركة الجمل لا يتجاوز المائتين. وهذا هو الرقم الذي ترجح لدي الدكتور خالد بن محمد الغيث في رسالته استشهاد عثمان ووقعة الجمل في مرويات سيف بن عمر في تاريخ الطبري دراسة نقدية[٤٣٤].

٥ - هل يصح قتل مروان بن الحكم لطلحة بن عبيد الله ؟

أشارت كثير من الروايات إلى أن قاتل طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه مروان بن الحكم[٤٣٥]، ولكن بعد دراسة تلك الروايات اتضح براءة مروان بن الحكم من تلك التهمة وذلك للأسباب التالية:

أ - قال ابن كثير: ويقال: إن الذي رماه بهذا السهم مروان بن الحكم وقد قيل: إن الذي رماه بهذا السهم غيره، وهذا عندي أقرب وإن كان الأول مشهورًا، والله أعلم[٤٣٦].

ب - قال ابن العربي عمن قال: إن مروان قتل طلحة بن عبيد الله: ومن يعلم هذا إلا علام الغيوب، ولم ينقله ثبت[٤٣٧].

جـ - قال محب الدين الخطيب: وهذا الخبر عن طلحة ومروان لقيط لا يعرف أبوه ولا صاحبه[٤٣٨].

د - بطلان السبب الذي قيل إن مروان قتل طلحة رضي الله عنه من أجله وهو اتهام مروان لطلحة بأنه أعان على قتل عثمان رضي الله عنه، وهذا السبب المزعوم غير صحيح حيث إنه لم يثبت من طريق صحيح أن أحدًا من الصحابة قد أعان على قتل عثمان رضي الله عنه.

هـ - كون مروان وطلحة رضي الله عنه من صف واحد يوم الجمل وهو صف المنادين بالإصلاح بين الناس[٤٣٩]

و - أن معاوية رضي الله عنه قد ولى مروان على المدينة ومكة فلو صح ما بدر من

---

(٤٣٣) تاريخ خليفة ص ١٨٧، ١٩٠.
(٤٣٤) استشهاد عثمان ووقعة الجمل ص ٢١٥.
(٤٣٥) الطبقات (٣/ ٢٢٣)، تاريخ المدينة (٤/ ١١٧٠) تاريخ خليفة ص ١٨٥.
(٤٣٦) البداية والنهاية (٧/ ٢٤٨).
(٤٣٧) العواصم من القواصم ص ١٥٧- ١٦٠.
(٤٣٨) المصدر نفسه ص ١٥٧- ١٦٠.
(٤٣٩) استشهاد عثمان ووقعة الجمل ص ٢٠٢.

مروان لما ولاه معاوية رضي الله عنه على رقاب المسلمين وفي أقدس البقاع عند الله.

ز - وجود رواية لمروان بن الحكم في صحيح البخاري[٤٤٠]، مع ما عرف عن البخاري (رحمه الله) من الدقة وشدة التحري في أمر من تقبل روايته، فلو صح قيام مروان بقتل طلحة رضي الله عنه لكان هذا سببًا كافيًا لرد روايته والقدح في عدالته[٤٤١].

٦ - نداء أمير المؤمنين بعد الحرب:

ما إن بدأت الحرب تضع أوزارها، حتى نادى منادي علي: ألا يجهزوا على جريح، ولا يتبعوا مدبرًا، ولا يدخلوا دارًا ومن ألقى السلاح فهو آمن ومن أغلق بابه فهو آمن وليس لجيشه من غنيمة إلا ما حمل إلى ميدان المعركة من سلاح وكراع وليس لهم ما وراء ذلك من شيء، ونادى منادي أمير المؤمنين فيمن حاربه من أهل البصرة: من وجد شيئًا من متاعه عند أحد من جنده فله أن يأخذه[٤٤٢]. وقد ظن بعض الناس في جيش علي أن عليا سيقسم بينهم السبي، فتكلموا به ونشروه بين الناس ولكن سرعان ما فاجأهم علي رضي الله عنه، حين أعلن في ندائه وليس لكم أم ولد، والمواريث على فرائض الله، وأي امرأة قتل زوجها فلتعتد أربعة أشهر وعشرًا فقالوا مستنكرين متأولين: يا أمير المؤمنين تحل لنا دماؤهم ولا تحل لنا نساؤهم؟ فقال علي: كذلك السيرة في أهل القبلة، ثم قال: فهاتوا سهامكم وأقرعوا على عائشة فهي رأس الأمر وقائدهم فافترقوا وقالوا: نستغفر الله، وتبين لهم قولهم وظنهم خطأ فاحش، ولكن ليرضيهم قسم عليهم رضي الله عنه من بيت المال خمسمائة خمسمائة[٤٤٣].

٧ - تفقده للقتلى وترحمه عليهم:

بعد انتهاء المعركة خرج يتفقد القتلى مع نفر من أصحابه، فأبصر محمد بن طلحة السجاد فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، أما والله لقد كان شابًا صالحًا، ثم قعد كئيبًا حزينًا .. ودعا للقتلى بالمغفرة وترحم عليهم وأثنى على عدد منهم بالخير والصلاح[٤٤٤] وعاد إلى منزله فإذا امرأته وابنتاه يبكين على عثمان وقرابته والزبير وطلحة وغيرهم من أقاربهم القرشيين. فقال لهن: إني لأرجو أن نكون الذين قال الله فيهم: ﴿**وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ**﴾ [الحجر: ٤٧]. ثم قال: ومن هم إن لم نكن؟! ومن هم إن لم نكن؟! فما زال يردد ذلك حتى وددت أنه سكت[٤٤٥].

---

(٤٤٠) فتح الباري (٢/ ٥٢٠) استشهاد عثمان ص٢٠٣.

(٤٤١) استشهاد عثمان ووقعة الجمل ص ٢٠٢.

(٤٤٢) خلافة علي بن أبي طالب ص ١٦٨ عبد الحميد، مصنف ابن أبي شيبة (١٥/ ٢٨٦) بسند صحيح.

(٤٤٣) مصنف ابن أبي شيبة (١٥/ ٢٨٦) بسند صححه ابن حجر (١٣/ ٥٧).

(٤٤٤) مصنف ابن أبي شيبة (١٥/ ٢٦١)، المستدرك (٣/ ١٠٣، ١٠٤، ٣٧٥) والإسناد حسن لغيره، خلافة علي بن أبي طالب ص ١٦٩.

(٤٤٥) مصنف ابن أبي شيبة (١٥/ ٢٦٨-٢٦٩) خلافة علي ص ١٦٩ عبد الحميد.

٨ - مبايعة أهل البصرة:

كان أمير المؤمنين علي رضي الله عنه حريصًا على وحدة الصف، واحترام رعايا الدولة، ومعاملتهم المعاملة الكريمة، وكان لهذه المعاملة أثر بالغ في مبايعة أهل البصرة لأمير المؤمنين علي وكان أمير المؤمنين قد وضع الأسرى في مساء يوم الجمل في موضع خاص، فلما صلى الغداة طلب موسى بن طلحة بن عبيد الله، فقربه ورحب به وأجلسه بجواره وسأله عن أحواله وأحوال إخوته، ثم قال له: إنا لم نقبض أرضكم هذه ونحن نريد أن نأخذها إنما أخذناها مخافة أن ينتهبها الناس، ودفع له غلتها وقال: يا ابن أخي وائتنا في الحاجة إذا كانت لك وكذلك فعل مع أخيه عمران بن طلحة فبايعاه، فلما رأي الأسارى ذلك دخلوا على علي رضي الله عنه يبايعونه، فبايعهم وبايع الآخرين على راياتهم قبيلة قبيلة(٤٤٦) ، كما سأل عن مروان بن الحكم وقال: يعطفني عليه رحم ماسة وهو مع ذلك سيد من شباب قريش، وقد أرسل مروان إلى الحسن والحسين وابن عباس رضي الله عنهم ليكلموا عليا فقال علي: هو آمن فليتوجه حيث شاء، ولكن مروان إزاء هذا الكرم والنبل، لم تطاوعه نفسه أن يذهب حتى بايعه(٤٤٧)، كما أن مروان رضي الله عنه أثنى على أفعال أمير المؤمنين علي فقال لابنه الحسن: ما رأيت أكرم غلبة من أبيك، ما كان إلا أن ولينا يوم الجمل حتى نادى مناديه: ألا لا يتبع مدبر، ولا يذفف على جريح(٤٤٨) . وبذلك تمت بيعة أهل البصرة لأمير المؤمنين علي، وولى عليها ابن عمه عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، وولى على خراجها زياد بن أبيه، وأراد علي رضي الله عنه أن يمكث فيها مدة أطول، لولا أن مالكاً الأشتر أعجله عن ذلك، وذلك أن الأشتر كان يطمع في أن يلي ولاية، فلما علم بأن ابن عباس ولي إمارة البصرة غضب وسار في قومه فخشي علي رضي الله عنه منه شراً وفتنة، فاستعجل ببقية جيشه، وأدركه، وعاتبه على سيره وأظهر أنه لم يسمع عنه شيئاً(٤٤٩)

٩ - حديث أبي بكرة:

عن رسول الله (ﷺ): «**إذا تواجه المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار**» (٤٥٠).

قال القرطبي: قال علماؤنا ليس هذا الحديث حديث أبي بكرة في أصحاب النبي (ﷺ) بدليل قوله (تعالى): ﴿ **وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ** ﴾ [الحجرات: ٩]. فأمر الله (تعالى) بقتال الفئة الباغية، ولو أمسك المسلمون على قتال أهل البغي لتعطلت فريضة من فرائض الله. وهذا يدل على أن قوله: «**القاتل والمقتول في النار**» ليس في أصحاب النبي (ﷺ) لأنهم إنما قاتلوا على تأويل. قال الطبري: لو كان الواجب في كل اختلاف يكون بين الفريقين من المسلمين الهرب منه ولزوم المنازل وكسر السيوف، لما أقيم حد ولا أبطل باطل ولوجد أهل

---

(٤٤٦) الطبقات (٣/ ٢٢٤) بسند حسن، المستدرك (٣/ ٣٧٦-٣٧٧).

(٤٤٧) سنن سعيد بن منصور (٢/ ٣٣٧) بسند حسن.

(٤٤٨) كتاب أهل البغي من الحاوي الكبير للماوردي ص ١١١ فتح الباري (١٣/ ٦٢).

(٤٤٩) فتح الباري (١٣/ ٥٧)، خلافة علي، عبد الحميد ص ١٧٤.

(٤٥٠) مسلم، ك الفتن (٤/ ٢٣٣).

النفاق والفجور سبيلاً إلى استحلال كل ما حرم الله عليهم من أموال المسلمين، وسبي نسائهم، وسفك دمائهم بأن يتحزبوا عليهم، ويكف المسلمون أيديهم عنهم بأن يقولوا: هذه فتنة قد نهينا عن القتال فيها، وأمرنا بكف الأيدي والهرب منها[٤٥١] وقال النووي: وأما كون القاتل والمقتول فمحمولة على من لا تأويل له ويكون قتالهما عصبية ونحوها ثم كونه في النار معناه: مستحق لها وقد يجازى بذلك وقد يعفو الله (تعالى) عنه هذا مذهب أهل الحق.. وعلى هذا يتأول كل ما جاء من نظائره. واعلم أن الدماء التي جرت بين الصحابة رضي الله عنهم ليست بداخلة في هذا الوعيد ومذهب أهل السنة والحق إحسان الظن بهم والإمساك عما شجر بينهم وتأويل قتالهم وأنهم مجتهدون متأولون لم يقصدوا معصية ولا محض الدنيا بل اعتقد كل فريق أنه المحق ومخالفه باغ فوجب عليه قتاله؛ ليرجع إلى أمر الله وكان بعضهم مصيباً وبعضهم مخطئا معذوراً في الخطأ ؛لاجتهاد والمجتهد إذا أخطأ لا إثم عليه وكان علي رضي الله عنه هو المحق المصيب في تلك الحروب هذا هو مذهب أهل السنة وكانت القضايا مشتبهة حتى إن جماعة من الصحابة تحيروا فاعتزلوا الطائفتين ولم يقاتلوا ولم يتيقنوا الصواب ثم تأخروا عن مساعدتهم[٤٥٢] .

١٠ - تاريخ معركة الجمل:

اختلف المؤرخون في تاريخ وقعة الجمل إلى أقوال كثيرة منها:

أ-أخرج خليفة بن خياط من طريق قتادة أن الفريقين التقيا يوم الخميس في النصف من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين، وكانت الوقعة يوم الجمعة[٤٥٣]

ب - أخرج عمر بن شبة أن الوقعة كانت في النصف من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين[٤٥٤] .

ج - أخرج الطبري من طريق الواقدي أن الوقعة كانت يوم الخميس لعشر خلون من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين[٤٥٥] .

د - ذكر المسعودي أن الوقعة كانت يوم الخميس في العاشر من جمادى الأولى[٤٥٦] ، غير أن أرجح الأقوال هو ما أخرجه خليفة بن خياط من طريق قتادة حيث إن إسناد روايته يعد أصح ما في الباب.

١١- أفلا نكف عنهن وهن مسلمات:

جاء أمير المؤمنين إلى الدار التي فيها أم المؤمنين عائشة، فاستأذن وسلم عليها ورحبت به، وإذا النساء في دار بني خلف يبكين على من قتل، منهم عبد الله وعثمان ابنا خلف،

---

(٤٥١) التذكر (٢/ ٢٣٢-٢٣٣).
(٤٥٢) شرح صحيح مسلم (٨/ ٢٢٧-٢٢٨).
(٤٥٣) تاريخ خليفة بن خياط ص ١٨٤، ١٨٥.
(٤٥٤) فتح الباري (١٣/ ٦١).
(٤٥٥) استشهاد عثمان ص ٢٠٦ نقلاً عن تاريخ الطبري.
(٤٥٦) مروج الذهب (٢/ ٣٦٠).

فعبد الله قتل مع عائشة، وعثمان قتل مع علي فلما دخل علي قالت له صفية امرأة عبد الله، أم طلحة الطلحات: أيتم الله منك أولادك كما أيتمت أولادي فلم يرد عليها علي شيء، فلما خرج أعادت عليه المقالة أيضا فسكت، فقال له رجل: يا أمير المؤمنين أتسكت عن هذه المرأة وهي تقول ما تسمع؟ فقال: ويحك إنا أمرنا أن نكف عن النساء وهن مشركات، أفلا نكف عنهن وهن مسلمات[٤٥٧]؟

١٢- اعتذار أبي بكرة الثقفي عن إمارة البصرة:

جاء عبد الرحمن بن أبي بكرة الثقفي إلى أمير المؤمنين فبايعه فقال له علي: أين المريض؟- يعني أباه - فقال: إنه والله مريض يا أمير المؤمنين، وإنه على مسرتك لحريص. فقال: امش أمامي، فمضى إليه فعاده، واعتذر إليه أبو بكرة فعذره، وعرض عليه البصرة، فامتنع وقال: رجل من أهلك يسكن إليه الناس وأشار عليه بابن عباس فولاه على البصرة وجعل معه زياد ابن أبيه على الخراج وبيت المال، وأمر ابن عباس أن يسمع من زياد[٤٥٨].

١٣- موقف أمير المؤمنين علي ممن ينال من عائشة:

قال رجل: يا أمير المؤمنين إن على الباب رجلين ينالان من عائشة، فأمر علي القعقاع ابن عمرو أن يجلد كل واحد منهما مائة جلدة وأن يخرجهما من ثيابهما[٤٥٩]، وقد قام القعقاع بذلك.

١٤- دفاع عمار بن ياسر عن أم المؤمنين عائشة:

عن محمد بن عريب قال: قام رجل فذكر عائشة عند علي، فجاء عمار فقال: من هذا الذي يتناول زوجة نبينا؟ اسكت مقبوحاً منبوذاً مذمومًا مدحوراً[٤٦٠] وجاء في رواية: اغرب مقبوحاً أتؤذي حبيبة رسول الله (ﷺ)[٤٦١] وجاء في رواية: ذكرت عائشة عند علي رضي الله عنهما فقال: حليلة رسول الله (ﷺ)[٤٦٢].

عاشراً: بين عائشة أم المؤمنين وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب:

عائشة أم المؤمنين هي الصديقة بنت الصديق أبي بكر عبد الله بن عثمان وأمها أم رومان بنت عويمر الكنانية، ولدت بعد المبعث بأربع سنوات أو خمس، تزوجها النبي (ﷺ) وهي بنت ست ودخل بها وهي بنت تسع سنين وكان دخوله بها في شوال في السنة الأولى، وقيل: في السنة الثانية من الهجرة، وهي المبرأة من فوق سبع سماوات، وكانت أحب أزواج النبي (ﷺ) إليه ولم يتزوج بكراً غيرها، وكانت أفقه نساء الأمة على الإطلاق، فكان الأكابر من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين إذا أشكل عليهم الأمر في الدين استفتوها، وقد توفي

---

(٤٥٧) البداية والنهاية (٧/ ٣٥٧).
(٤٥٨) البداية والنهاية (٧/ ٢٥٧).
(٤٥٩) المصدر نفسه (٧/ ٢٥٨).
(٤٦٠) فضائل الصحابة (٢/ ١١٠) إسناده ضعيف، ضعيف سنن الترمذي رقم ٨١٥ للألباني.
(٤٦١) سير أعلام النبلاء (٢/ ١٧٩) حديث حسن قاله الذهبي.
(٤٦٢) سير أعلام النبلاء (٢/ ١٧٦) حديث حسن.

عنها النبي (ﷺ) وهي في الثامنة عشرة من عمرها، وكانت وفاتها رضي الله عنها في سنة ثمان وخمسين ليلة السابع عشر من رمضان وصلى عليها أبو هريرة رضي الله عنهم أجمعين ودفنت في البقيع رضي الله عنها وأرضاها [٤٦٣] ومناقبها رضي الله عنها كثيرة مشهورة فقد وردت أحاديث صحيحة بخصائص انفردت بها عن سواها من أمهات المؤمنين رضي الله عنهن وأرضاهن منها:

١- مجيء الملك بصورتها إلى النبي (ﷺ) في سرقة [٤٦٤] من حرير قبل زواجها به (ﷺ) فقد روى الشيخان من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله (ﷺ): **«أريتك في المنام ثلاث ليال جاءني بك الملك في سرقة من حرير فيقول: هذه امرأتك فأكشف عن وجهك فإذا أنت هي فأقول: إن يك هذا من الله يمضه»**[٤٦٥]

٢- أحب أزواج النبي (ﷺ)، وقد صرح بمحبتها لما سئل (ﷺ) عن أحب الناس إليه، فقد روى البخاري بإسناده إلى عمرو بن العاص رضي الله عنه أن النبي (ﷺ) بعثه على جيش ذات السلاسل[٤٦٦]، قال: فأتيته فقلت أي الناس أحب إليك؟ قال: **«عائشة»** قلت: فمن الرجال قال: **«أبوها»**[٤٦٧]. قال الحافظ الذهبي: وهذا خبر ثابت على رغم أنوف الروافض، وما كان عليه الصلاة والسلام ليحب إلا طيباً وقد قال: **«لو كنت متخذاً خليلا من هذه الأمة لاتخذت أبا بكر خليلاً ولكن أخوة الإسلام أفضل»**، فأحب أفضل رجل في أمته، وأفضل امرأة في أمته، فمن أبغض حبيبي رسول الله (ﷺ) فهو حري أن يكون بغيضاً إلى الله ورسوله، وحبه عليه الصلاة والسلام لعائشة كان أمراً مستفيضاً. [٤٦٨]

٣- نزول الوحي على النبي (ﷺ) وهو في لحافها دون غيرها من نسائه عليه الصلاة والسلام، فقد روى البخاري بإسناده إلى هشام بن عروة عن أبيه قال: كان الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة قالت عائشة: فاجتمع صواحبي إلى أم سلمة فقلن يا أم سلمة والله إن الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة وإنا نريد الخير كما تريده عائشة فمري رسول الله (ﷺ) أن يأمر الناس أن يهدوا إليه حيث كان أو حيث ما دار قالت: فذكرت ذلك أم سلمة للنبي (ﷺ) قالت: فأعرض عني فلما عاد إلي ذكرت له ذلك فأعرض عني فلما كان في الثالثة ذكرت له فقال **«يا أم سلمة لا تؤذيني في عائشة فإنه والله ما نزل علي الوحي في لحاف امرأة منكن غيرها»**[٤٦٩]. وقال الذهبي: وهذا الجواب منه دال على أن فضل عائشة على سائر أمهات المؤمنين بأمر إلهي وراء حبه لها، وأن ذلك الأمر من أسباب حبه لها[٤٧٠].

---

(٤٦٣) سير أعلام النبلاء (٢/ ١٣٥-٢٠١) طبقات ابن سعد (٨/ ٥٨)، البداية والنهاية (٨/ ٩٥).

(٤٦٤) أي في قطعة من جيد الحرير: انظر: النهاية لابن الأثير (٢/ ٣٦٢).

(٤٦٥) مسلم رقم ٢٤٣٨.

(٤٦٦) مأخوذ من السلسل وهو العذب الصافي من الماء، النهاية لابن الأثير (٢/ ٣٨٩).

(٤٦٧) البخارى رقم ٤٣٥٨.

(٤٦٨) سير أعلام النبلاء (٢/ ١٤٣).

(٤٦٩) البخاري رقم ٣٧٧٥، ك فضائل الصحابة.

(٤٧٠) سير أعلام النبلاء (٢/ ١٤٣).

٤- أن جبريل عليه السلام أرسل إليها سلامه مع النبي (ﷺ): فقد روي البخاري بإسناده إلى عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله (ﷺ) يوماً: «**يا عائشة! هذا جبريل يقرئك السلام**» فقالت: وعليه السلام ورحمة الله وبركاته ترى ما لا أرى تريد رسول الله (ﷺ) (٤٧١)

٥- بدأ النبي (ﷺ) بتخييرها عند نزول آية التخيير وقرن ذلك بإرشادها إلى استشارة أبويها في ذلك الشأن لعلمه أن أبويها لا يأمرانها بفراقه فاختارت الله ورسوله والدار الآخرة فاستن بها بقية أزواجه (ﷺ)، فقد روى الشيخان بإسنادهما إلى عائشة رضي الله عنها قالت: لما أمر رسول الله (ﷺ) بتخيير أزواجه بدأ بي فقال: «**إني ذاكر لك أمراً فلا عليك ألا تعجلي حتى تستأمري أبويك**» قالت: وقد علم أن أبوي لم يكونا يأمراني بفراقه قالت: ثم قال: إن الله – جل ثناؤه قال: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا * وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا**﴾ [الأحزاب: ٢٨-٢٩] قالت: فقلت: ففي هذا أستأمر أبوي؟ فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة قالت: ثم فعل أزواج رسول الله مثل ما فعلت (٤٧٢)

٦- نزول آيات من كتاب الله بسببها فمنها ما هو في شأنها خاصة ومنها ما هو للأمة عامة، فأما الآيات الخاصة بها والتي تدل على عظم شأنها ورفعة مكانتها شهادة الباري جل وعلا لها بالبراءة مما رميت به من الإفك والبهتان وهو قولة تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾ إلى قوله (تعالى): ﴿**الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَٰئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ**﴾ [النور: ١١-٢٦]. قال ابن القيم: ومن خصائصها أن الله (سبحانه وتعالى) برأها مما رماها به أهل الإفك، وأنزل في عذرها وبراءتها وحي يتلى في محاريب المسلمين وصلواتهم إلى يوم القيامة، وشهد لها بأنها من الطيبات، ووعدها المغفرة والرزق الكريم. وأخبر (سبحانه وتعالى) أن ما قيل فيها من الإفك كان خيراً لها، ولم يكن ذلك الذي قيل فيها شراً لها ولا خافضاً من شأنها بل رفعها الله بذلك وأعلى قدرها وأعظم شأنها وصار لها ذكراً بالطيب والبراءة بين أهل الأرض والسماء فيا لها من منقبة ما أجلها! وتأمل هذا التشريف والإكرام الناشئ عن فرط تواضعها واستصغارها لنفسها حيث قالت: لشأني في نفسي كان

---

(٤٧١) البخاري، ك فضائل الصحابة رقم ٣٧٦٨.
(٤٧٢) البخاري، ك التفسير رقم ٤٧٨٩.

أحـقر من أن يتكلم الله في بوحي يـتلى، ولكن كنت أرجو أن يرى رسـول الله (ﷺ) رؤيا يبرئني الله بها[٤٧٣]. فهذه صديقة الأمة وأم المؤمنين وحب رسول الله (ﷺ)، وهي تعلم أنها بريئة منه مظلومة وأن قاذفـيها ظالمون مفترون عليهـا، وقد بلغ أذاهم إلى أبويها وإلى رسول الله (ﷺ)[٤٧٤]. قال ابن كـثير: ولما تكلم فـيها أهل الإفك بالزور والبـهتان غـار الله فأنزل براءتها في عشر آيات من القرآن تتلى على مر الزمـان . . وقد أجمع العلماء على تكفير من قذفها بعد براءتها[٤٧٥]. وأما ما نزل بسببها من الآيات وهي للأمة عامه فآية التيمم، وكانت رحمـة وتسهـيلاً لسـائر الأمة، فـقد روى البخـاري بإسناده إلى عائـشة رضي الله عنهـا أنها استـعارت من أسماء قـلادة فهلكت، فأرسل رسـول الله (ﷺ) ناس من أصحابه في طلبـها فأدركتهم الصلاة فصلوا بغير وضوء، فلما أتوا النبي (ﷺ) شكوا ذلك إليه فنزلت آية التيمم فقـال أسيد بن حـضير: جـزاك الله خيرًا، فـوالله ما نزل بك أمر تكرهـينه إلا جعل الله لك وللمسلمين فيه خير[٤٧٦].

٧- كان رسول الله (ﷺ) يحرص على أن يمرض في بيتـها: فقد كانت وفاته (ﷺ) بين سحرها ونحرها في يومـها وجمع الله بين ريقه وريقها في آخر ساعـة من ساعاته في الدنيا، وأول ساعة من الآخرة، ودفن فـي بيتها[٤٧٧]. فقد روى البخـاري بإسناده إلى عائشة رضي الله عنها أن رسول الله (ﷺ) لما كان في مرضـه جعل يدور في نسائه ويقول: «**أين أنا غـدًا**» حرصًا على بيت عائشة، قالت: فلما كان يومي سكن[٤٧٨]. وعند مسلم عنها أيضًا قالت: إن كان رسول الله (ﷺ) ليتـفقد يقول: «**أين أنا اليـوم ، أين أنا غـدًا؟**» استبطاء ليـوم عائشة قالت: فلما كـان يومي قبضه الله بين سـحري ونحري[٤٧٩]، وروى البـخاري أيضًـا بإسناده عنها: أن رسول الله (ﷺ) كان يسأل في مرضـه الذي مات فيها يقول: «**أين أنا غـدًا، أين أنا غـدًا؟**» يريد يوم عائشة، فأذن له أزواجه يكون حيـث شاء فكان في بيت عائشة حتى مات عندها. قالت عائشـة: فمات في اليوم الذي كـان يدور علي فيه في بيتي، فقـبضه الله وإن رأسه لبين نحـري وسحري، وخالط ريقـه ريقي، ثم قالت: دخل عبـد الرحمن بن أبي بكر ومعه مسواك يستن به، فنظر إليه رسـول الله، فقلت له: أعطني هذا السواك يا عبد الرحمن، فأعطانيه فقضمته، ثم مضغته، فأعطيته رسول الله (ﷺ) فاستن به، وهو مستند إلى صدري. وفي رواية أخـرى بزيادة: فجـمع الله بين ريقي وريقـه في آخر يوم من الدنيـا وأول يوم من الآخرة[٤٨٠].

(٤٧٣) البخاري رقم٤١٤١ .
(٤٧٤) جلاء الأفهام ص ١٢٤-١٢٥.
(٤٧٥) البداية والنهاية (٨/ ١٨٩) البداية والنهاية (٨/ ٩٥).
(٤٧٦) البخاري رقم ٣٣٦.
(٤٧٧) سير أعلام النبلاء (٢/ ٩٥) تفسير القرآن العظيم (٣/ ٢٦٨).
(٤٧٨) البخاري، ك فضائل الصحابة رقم ٣٧٧٤.
(٤٧٩) مسلم، ك الصحابة رقم ٢٤٤٣.
(٤٨٠) البخاري، رقم ٤٤٥٠، ٤٤٥١.

٨- إخباره (ﷺ) بأنها من أصحاب الجنة، فقد روى الحاكم بإسناده إلى عائشة رضي الله عنها قالت: قلت: يا رسول الله من من أزواجك في الجنة؟ قال: « أما إنك منهن» ، قالت: فخيل إلي أن ذاك أنه لم يتزوج بكرًا غيري[٤٨١] . وروى البخاري بإسناده إلى القاسم بن محمد أن عائشة اشتكت فجاء ابن عباس فقال: يا أم المؤمنين تقدمين على فرط صدق على رسول الله (ﷺ) وعلى أبي بكر[٤٨٢] . وفي هذا فضيلة عظيمة لعائشة رضي الله عنها حيث قطع لها بدخول الجنة إذ لا يقول ذلك إلا بتوقيف[٤٨٣] .

٩- فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام:

ما رواه الشيخان بإسنادهما إلى عبد الله بن عبد الرحمن أنه سمع أنس بن مالك رضي الله عنه يقول: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: «**فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام**»[٤٨٤] . قال النووي: قال العلماء: معناه أن الثريد من كل طعام أفضل من المرق، فثريد اللحم أفضل من مرقة بلا ثريد وثريد ما لا لحم فيه أفضل من مرقه. والمراد بالفضيلة نفعه والتشبع منه وسهولة مساغه والالتذاذ به وتيسر تناوله وتمكن الإنسان من أخذ كفايته منه بسرعة وغير ذلك فهو أفضل من المرق كله ومن سائر الأطعمة، وفضل عائشة على النساء زائد كزيادة فضل الثريد على غيرها من الأطعمة. وليس في هذا تصريح بتفضيلها على مريم وآسية لاحتمال أن المراد تفضيلها على نساء هذه الأمة[٤٨٥] .

هذه بعض الأحاديث التي أشارت إلى فضل السيدة عائشة ومكانتها وسبقها وعلو شأنها في الدين وعظيم مكانتها، ومع هذا فقد تعرضت السيدة عائشة أم المؤمنين للطعن والتجريح والكذب والافتراء من قبل الشيعة الرافضة ومن تأثر برواياتهم المختلقة، وآثارهم الموضوعة وجاؤوا لآثار صحاح، وأحاديث مسندة صحيحة وأولوها على غير حقيقتها ومرادها، كما فعل ذلك صاحب كتاب: «ثم اهتديت» وهو لم يأت بجديد وإنما سار على منهج أسلافه ممن سبقوه من الشيعة الروافض وطعن في أم المؤمنين عائشة بقول عمار: والله إنها لزوجة نبيكم في الدنيا والآخرة، ولكن الله (تبارك وتعالى) ابتلاكم بها ليعلم إياه تطيعون أم هي[٤٨٦] . وليس في قول عمار هذا ما يطعن به على عائشة رضي الله عنها بل فيه أعظم فضيلة لها، وهي أنها زوجة نبينا (ﷺ) في الدنيا والآخرة، فأي فضل أعظم من هذا؟! وأي شرف أسمى من هذا، فإن غاية كل مؤمن رضا الله والجنة، وعائشة رضي الله عنها قد تحقق لها ذلك بشهادة عمار رضي الله عنه الذي كان مخالفًا لها في الرأي في تلك الفتنة، وأنها ستكون في

---

(٤٨١) المستدرك (١٣/٤) صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.
(٤٨٢) البخاري، رقم ٣٧٧١.
(٤٨٣) فتح الباري، (١٠٨/٧)، العقيدة في أهل البيت ص٩٥.
(٤٨٤) البخاري، رقم ٣٧٧٠.
(٤٨٥) شرح صحيح مسلم (٢٠٨/١٥-٢٠٩).
(٤٨٦) البخاري، ك فضائل الصحابة رقم ٣٧٧٢.

أعلى الدرجات في الجنة بصحبة رسول الله (ﷺ) [٤٨٧]، وبهذا قد جاء الحديث الصحيح - المرفوع للنبي (ﷺ) - على ما روى الحاكم في المستدرك من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي (ﷺ) قال لها: «أما ترضين أن تكوني زوجتي في الدنيا والآخرة» ، قالت: بلي والله قال: «فأنت زوجتي في الدنيا والآخرة» [٤٨٨] ، فيكون هذا الحديث من أعظم فضائل عائشة رضي الله عنها ولذا أورد البخاري الأثر السابق عن عمار في مناقب عائشة رضي الله عنها [٤٨٩] ، وأما قوله في الجزء الأخير من الأثر: ولكن الله ابتلاكم لتتبعوه أو إياها [٤٩٠] . فليس بمطعن على أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وبيان ذلك من وجوه:

أ- أن قول عمار هذا يمثل رأيه، وعائشة رضي الله عنها ترى خلاف ذلك وأن ما هي عليه هو الحق، وكل منهما صحابي جليل، عظيم القدر في الدين والعلم، فليس قول أحدهما حجة على الآخر [٤٩١] .

ب- أن غاية ما في قول عمار هو مخالفتها أمر الله في تلك الحالة الخاصة وليس كل مخالف مذمومًا حتى تقوم عليه الحجة بالمخالفة، ويعلم أنه مخالف، وإلا فهو معذور إن لم يتعمد المخالفة فقد يكون ناسيًا أو متأولا فلا يؤخذ بذلك.

ج- أن عمارًا رضي الله عنه ما قصد بذلك ذم عائشة ولا انتقاصها، وإنما أراد أن يبين خطأها في الاجتهاد نصحًا للأمة، وهو مع هذا يعرف لأم المؤمنين قدرها وفضلها [٤٩٢] وقد جاء في بعض روايات هذا الأثر عن عمار أن عمارًا سمع رجلاً يسب عائشة، فقال: اسكت مقبوحًا منبوحًا، والله إنها لزوجة نبيكم في الدنيا والآخرة، ولكن الله ابتلاكم بها ليعلم أتطيعوه أو إياها [٤٩٣] ، وأما قول الشيعة الروافض؛ أن النبي (ﷺ) قام خطيبًا فأشار نحو مساكن عائشة فقال: «هاهنا الفتنة من حيث يطلع قرن الشيطان» ، وطعنهم على عائشة رضي الله عنها بذلك وزعمهم أن الرسول (ﷺ) أراد أن الفتنة تخرج من بيتها. فهذا الكلام فيه تضليل وقلب للحقائق والتدليس على من لا علم عنده من العامة وذلك بتفسيره قول الراوي: فأشار نحو مسكن عائشة على أن الإشارة كانت لبيت عائشة وأنها سبب الفتنة والحديث لا يدل على هذا بأي وجه من الوجوه وهذه العبارة لا تحتمل هذا الفهم عند من له أدنى معرفة بمقاصد الكلام، فإن الراوي قال: أشار نحو مساكن عائشة ولم يقل: إلى جهة مساكن عائشة والفرق بين التعبيرين واضح وجلي وهذه الرواية التي ذكرها أخرجها البخاري في كتاب فرض

---

(٤٨٧) الانتصار للصحب والآل ص ٤٤٨ .
(٤٨٨) المستدرك (٤/ ١٠)، الصحيح المسند لمصطفى العدوي ص٣٥٦.
(٤٨٩) البخاري رقم ٣٧٧٢ .
(٤٩٠) المصدر نفسه.
(٤٩١) الانتصار للصحب والآل ص ٤٤٨ .
(٤٩٢) الانتصار للصحب والآل ص ٤٥٠ ، ٥٤١ .
(٤٩٣) البداية والنهاية (٧/ ٢٤٨).

الخمس[٤٩٤]. وهذا الحديث قد جاء مخرجًا في كتب السنة من الصحيحين وغيرهما من عدة طرق وبأكثر من لفظ، وجاء النص فيها على البلاد المشار إليها بما يدحض دعوى الشيعة الروافض، ويغني عن التكلف في الرد عليهم بأي شيء آخر، وها هي ذي بعض روايات الحديث من عدة طرق عن ابن عمر رضي الله عنهما، فعن ليث عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله (ﷺ) وهو مستقبل المشرق يقول: «ألا إن الفتنة ها هنا من حيث يطلع قرن الشيطان»[٤٩٥]. وعن عبيد بن عمر قال: حدثني نافع عن ابن عمر، أن رسول الله (ﷺ) قام عند باب حفصة فقال بيده نحو المشرق: «**الفتنة من حيث يطلع قرن الشيطان**»[٤٩٦] قالها مرتين أو ثلاثًا وعن سالم بن عبد الله عن أبيه أن رسول الله (ﷺ) قال وهو مستقبل المشرق: «**ها إن الفتنة ها هنا ها إن الفتنة ها هنا ها إن الفتنة ههنا من حيث يطلع قرن الشيطان**»[٤٩٧]. وفي هذه الروايات تحديد صريح للجهة المشار إليها وهي جهة المشرق، وفيها تفسير للمقصود بالإشارة في الرواية التي ذكرها الشيعة الروافض[٤٩٨]، كما جاء في بعض الروايات الأخرى للحديث تحديد البلاد المشار إليها، فعن نافع عن ابن عمر قال: ذكر النبي (ﷺ) فقال: «**اللهم بارك لنا في شامنا، اللهم بارك لنا في يمننا**»، قالوا: يا رسول الله وفي نجدنا[٤٩٩]، فأظنه قال في الثالثة: «**هناك الزلازل والفتن وبها يطلع قرن الشيطان**»[٥٠٠]. وعن سالم بن عبد الله بن عمر أنه قال: يا أهل العراق؟ ما أسألكم عن الصغيرة وأركبكم للكبيرة سمعت أبي عبد الله بن عمر يقول: سمعت رسول الله يقول: «**إن الفتنة تجيء من ها هنا** وأومأ بيده نحو المشرق، **من حيث يطلع قرنا الشيطان**»[٥٠١]. وفي بعض الروايات جاء ذكر بعض من يقطن تلك البلاد من القبائل ووصف حال أهلها، فعن أبي مسعود قال: أشار رسول الله (ﷺ) بيده نحو اليمن فقال: «**ألا إن الإيمان ها هنا، وإن القسوة وغلظ القلب في الفدادين**[٥٠٢]، **وعند أصول أذناب الإبل، حيث يطلع قرنا الشيطان في ربيعة ومضر**»[٥٠٣].

فدلت هذه الروايات دلالة قطعية على بيان مراد النبي (ﷺ) من قوله: «**الفتنة هاهنا**» وأن المقصود بذلك بلاد المشرق، حيث جاءت الروايات مصرحة بهذا، كما جاء في بعضها وصف أهل تلك البلاد وتعيين بعض قبائلها، مما يظهر به بطلان ما ادعى الشيعة الروافض من أن

---

(٤٩٤) البخاري رقم ٣١٠٤.
(٤٩٥) البخاري رقم ٧٠٩٣، مسلم رقم ٢٩٠٥.
(٤٩٦) مسلم، ك الفتن (٤/٢٢٢٩).
(٤٩٧) المصدر نفسه (٤/٢٢٢٩).
(٤٩٨) الانتصار للصحب والآل ص ٤٥٣.
(٤٩٩) نجد من جهة المشرق، ومن كان بالمدينة كان نجده بادية العراق.
(٥٠٠) البخاري رقم ٧٠٩٤.
(٥٠١) مسلم، ك الفتنة من المشرق (٤/٢٢٢٩).
(٥٠٢) الفدادون: الذين تعلو أصواتهم في حروثهم ومواشيهم.
(٥٠٣) البخاري رقم ٣٣٠٢، الانتصار للصحب والآل ص ٤٥٥.

الإشارة كانت إلى بيت عائشة، فإن هذا قول باطل، ورأي ساقط، لم يفهمه أحد وما قال به سوى الشيعة الروافض[٥٠٤]

٥- المفاضلة بين عائشة وخديجة وفاطمة رضي الله عنهن:

قال ابن تيمية: وأفضل نساء هذه الأمة خديجة وعائشة وفاطمة، وفي تفضيل بعضهن على بعض نزاع[٥٠٥]. وسئل ابن تيمية عن خديجة وعائشة أمي المؤمنين أيهما أفضل؟ فأجاب: بأن سبق خديجة وتأثيرها في أول الإسلام ونصرها وقيامها في الدين لم تشاركها فيه عائشة ولا غيرها من أمهات المؤمنين وتأثير عائشة في آخر الإسلام وحمل الدين وتبليغه إلى الأمة وإدراكها من العلم ما لم تشاركها فيه خديجة ولا غيرها ومما تميزت به عن غيرها[٥٠٦]. وقال ابن حجر: وقيل: انعقد الإجماع على أفضلية فاطمة وبقي الخلاف بين عائشة وخديجة[٥٠٧]. وقال في شرح حديث أبي هريرة: إن جبريل أتى النبي (ﷺ) وأمره أن يقرئ خديجة السلام من ربها وفيه: قال السهيلي: استدل بهذه القصة أبو بكر بن داود على أن خديجة أفضل من عائشة؛ لأن عائشة سلم عليها جبريل من قبل نفسه، وخديجة أبلغها السلام من ربها، وزعم ابن العربي أنه لا خلاف في أن خديجة أفضل من عائشة، ورد بأن الخلاف ثابت قديمًا، وإن كان الراجح أفضلية خديجة بهذا وبما تقدم[٥٠٨]. وعند التحقيق والنظر في النصوص الواردة في تفضيل كل واحدة منهن رضي الله عنهن نجد أنها تدل على أفضلية خديجة وفاطمة ثم عائشة رضي الله عنهن، وذلك أن الضمير الوارد في قوله (ﷺ): «**لقد فضلت خديجة على نساء أمتي**»[٥٠٩]. وقد قال (ﷺ): «**أفضل نساء أهل الجنة خديجة وفاطمة ومريم وآسية**»[٥١٠]، قال ابن حجر: وهذا نص صريح لا يحتمل التأويل[٥١١]، وقال (ﷺ): «**حسبك من نساء العالمين: مريم ابنة عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وآسية امراة فرعون**»[٥١٢]. وهذا نص في أن خديجة رضي الله عنها أفضل نساء الأمة. ثم إن اللفظ الوارد في تفضيل فاطمة رضي الله عنها وهو قوله (ﷺ): «**يا فاطمة ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين**» أو «**سيدة نساء هذه الأمة**»[٥١٣]. وفي لفظ: «**سيدة نساء أهل الجنة**»[٥١٤]، فهو صريح لا لبس فيه ولا يحتمل التأويل، وهو

---

(٥٠٤) الانتصار للصحب والآل ص ٤٥٥.
(٥٠٥) مجموع الفتاوى (٤/ ٣٩٤).
(٥٠٦) مجموع الفتاوى (٤/ ٣٩٣).
(٥٠٧) فتح الباري (٧/ ١٠٩).
(٥٠٨) فتح الباري (٧/ ١٣٩).
(٥٠٩) فتح الباري (٧/ ١٣٥)، مجمع الزوائد (٩/ ٢٢٣).
(٥١٠) الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان (٩/ ٧٣)، صحيح الجامع للألباني (١/ ٣٧١).
(٥١١) فتح الباري (٧/ ١٣٥).
(٥١٢) فضائل الصحابة (٢/ ٧٥٥) رقم ١٣٢٥ وصححه الألباني في تخريج المشكاة (٣/ ١٧٤٥).
(٥١٣) البخاري رقم ٦٢٨٥.
(٥١٤) فتح الباري (٧/ ١٠٥).

نص في أنها أفضل نساء الأمة وسيدة نساء أهل الجنة، وقد شاركت أمها في هذا التفضيل فهي وأمها أفضل نساء أهل الجنة، وهي وأمها أفضل نساء الأمة بهذا وردت النصوص(٥١٥)، وأما ما ورد في تفضيل عائشة رضي الله عنها من قوله (ﷺ): «فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام» فهو لفظ لا يستلزم الأفضلية المطلقة كما قال ابن حجر(٥١٦) وليس فيه تصريح بأفضلية عائشة رضي الله عنها على غيرها؛ لأن فضل الثريد على غيره من الطعام إنما هو لما فيه من تيسير المؤونة وسهولة الإساغة وكان أجل طعمتهم يومئذ، وكل هذه الخصال لا تستلزم ثبوت الأفضلية له من كل وجهة فقد يكون مفضولاً بالنسبة لغيره من جهات أخرى(٥١٧). فالحديث إذا دال على أفضلية عائشة رضي الله عنها على سائر نساء هذه الأمة ما عدا خديجة وفاطمة؛ لورود الدليل على ذلك مما قيد تلك الأفضلية لعائشة رضي الله عنها(٥١٨)، وأما ما ورد من حديث عمرو بن العاص لما سأله النبي (ﷺ): أي النساء أحب إليك؟ فقال (ﷺ): «عائشة»(٥١٩). فقد أشار ابن حبان على أنه مقيد في نسائه (ﷺ) إذ عقد عنوانا في صحيحه فقال: ذكر خبر وهم في تأويله من لم يحكم صناعة الحديث، وساق تحته حديث عمرو بلفظ: قلت: يا رسول الله أي الناس أحب إليك؟قال: «عائشة» فقلت: إني لست أعني النساء وإنما أعني الرجال، فقال: «أبو بكر» أو قال «أبوها» ثم قال ابن حبان: ذكر الخبر الدال على أن مخرج هذا السؤال كان عن أهله دون سائر النساء من فاطمة وغيرها وأخرج بسنده عن أنس قال: سئل رسول الله (ﷺ): من أحب الناس إليك؟ قال: «عائشة» قيل له: ليس عن أهلك نسألك قال: «فأبوها»(٥٢٠). وبهذا يتبين أن عائشة تلي خديجة وفاطمة في الفضل رضي الله عنها إذ كل ما ورد من دليل على عموم تفضيلها رضي الله عنها مقيد بالنص الوارد في خديجة وفاطمة ولا ينكر أن لعائشة رضي الله عنها من الفضائل كالعلم مثلاً ما تختص به عن خديجة وفاطمة إلا أنه لا يلزم من ثبوت خصوصية شيء من الفضائل ثبوت الفضل المطلق(٥٢١)، وعلى كل حال فليس فضل إحداهما على الأخرى بمطعن على المفضولة، بل في هذا أكبر دليل على علو مكانة هؤلاء النساء الثلاث فاطمة وخديجة وعائشة حيث إن الخلاف لم يخرج عنهن في أنهن أفضل نساء الأمة، فما الذي يضر أم المؤمنين لو كانت ثالثة نساء الأمة في الفضل وهل هذا مدعاة لاحترامها وتقديرها أم للنيل منها والطعن فيها، كما يفعل الشيعة الروافض(٥٢٢).

---

(٥١٥) العقيدة في أهل البيت ص ٩٧.
(٥١٦) فتح الباري (٧/١٠٧).
(٥١٧) المصدر نفسه (٦/٤٤٧).
(٥١٨) العقيدة في أهل البيت ص ٩٧.
(٥١٩) البخاري رقم ٤٣٥٨.
(٥٢٠) الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان (٩/١١).
(٥٢١) فتح الباري (٧/١٠٨)، العقيدة في أهل البيت ص ٩٨.
(٥٢٢) الانتصار للصحب والآل ص ٤٦١.

● هل استباحت السيدة عائشة أم المؤمنين قتال المسلمين في معركة الجمل؟

قد تقدم أنها ما خرجت لذلك وما أرادت القتال، وقد نقل الزهري عنها أنها قالت بعد موقعة الجمل: إنما أريد أن يحجز بين الناس مكاني، ولم أحسب أن يكون بين الناس قتال، ولو علمت ذلك لم أقف ذلك الموقف أبدًا(٥٢٣)، وهذا القول بأن السيدة عائشة استباحت قتال المسلمين باطل لا يثبت أمام الروايات الصحيحة التي بينت أن عائشة ما خرجت إلا للإصلاح كما مر معنا، وإنما هذه الأقوال من الروايات التي وضعها الشيعة الروافض والتي شوهت تاريخ صدر الإسلام، وجعلت مما حدث بين علي وطلحة والزبير وعائشة رضي الله عنهم حربًا أهلية، وتأثر بعض الباحثين بتلك الروايات حتى قال بعضهم: وأسرت عائشة، ويصورون المسألة كحرب أهلية مخطط لها، وهو قول طبيعي من باحثين لا يستقون معلوماتهم في هذا الشأن إلا من الروايات المقدوحة، ومن المصادر غير الموثوق بها مثل الإمامة والسياسة، والأغاني، ومروج الذهب، وتاريخ اليعقوبي، بل وتاريخ التمدن الإسلامي لجورج زيدان(٥٢٤).

● هل يصح هذا الحديث: «تقاتلين عليًا وأنت له ظالمة»؟

إنه لا يعرف في شيء من كتب العلم المعتمدة ولا له إسناد معروف وهو بالموضوعات المكذوبة أشبه منه بالأحاديث الصحيحة، بل هو كذب قطعًا، فإن عائشة لم تقاتل ولم تخرج لقتال وإنما خرجت بقصد الإصلاح بين الناس .. لا قاتلت ولا أمرت بقتال هكذا ذكر غير واحد من أهل المعرفة بالأخبار(٥٢٥).

- أمير المؤمنين علي رضي الله عنه يرد عائشة إلى مأمنها معززة مكرمة:

جهز أمير المؤمنين علي عائشة بكل شيء ينبغي لها من مركب وزاد أو متاع، وأخرج معها من نجا ممن خرج معها إلا من أحب المقام، واختار لها أربعين امرأة من نساء أهل البصرة المعروفات وقال: تجهز يا محمد «ابن الحنفية»، فبلغها، فلما كان اليوم الذي ترتحل فيه جاءها حتى وقف لها، وحضر الناس، فخرجت على الناس، وودعوها وودعتهم وقالت: يا بني، تعتب بعضنا على بعض استبطاء واستزادة فلا يعتدن أحد منكم على أحد بشيء بلغه من ذلك، إنه والله ما كان بيني وبين علي في القديم إلا ما يكون بين المرأة وأحمائها وإنه عندي على معتبتي من الأخيار، وقال علي: يا أيها الناس، صدقت والله وبرت ما كان بيني وبينها إلا ذلك، وإنها لزوجة نبيكم (ﷺ) في الدنيا والآخرة. وخرجت يوم السبت غمرة رجب سنة ست وثلاثين وشيعها علي أميالاً وسرح بنيه معها(٥٢٦) يومًا. وبتلك المعاملة الكريمة من

(٥٢٣) المغازي للزهري ص ١٥٤.

(٥٢٤) انظر: دراسة وتحليل للعهد النبوي الأصيل، محمد جميل زينهم، الحزبية السياسية، رياض عيسى، الحريم السياسي، النبي والنساء، الدولة العربية فلهوزن، نقلاً عن دور المرأة السياسي ص ٤٤٢.

(٥٢٥) منهاج السنة (٢/ ١٨٥).

(٥٢٦) تاريخ الطبري (٥/ ٥٨١).

أمير المؤمنين علي رضي الله عنه نراه قد اتبع ما أوصاه به نبي الأمة (ﷺ) عندما قال له: «**إنه سيكون بينك وبين عائشة أمر**» . قال: أنا يا رسول الله؟ قال: «**نعم**»: قال: أنا؟ قال: «**نعم**». قلت: فأنا أشقاهم يا رسول الله. قال: «**لا، ولكن إذا كان ذلك فارددها إلى مأمنها**»(٥٢٧) . وقد خالف الصواب من ظن أن خروج أم المؤمنين إلى البصرة كان لشيء في نفسها من علي رضي الله عنه لموقفه منها في حديث الإفك حين رماها المنافقون بالفاحشة فاستشاره النبي (ﷺ) في فراقها. فقال: يا رسول الله، لم يضيق الله عليك، والنساء سواها كثير، وإن تسأل الجارية تصدقك(٥٢٨) . وهذا الكلام الذي قاله علي إنما حمله عليه ترجيح جانب النبي (ﷺ)، لما رأى عنده من القلق والغم بسبب القول الذي قيل، وكان شديد الغيرة، فرأى علي في بادئ الأمر أنه إذا فارقها سكن ما عنده من القلق بسببها إلى أن يتحقق براءتها، فيمكن رجعتها، ويستفاد منه ارتكاب أخف الضررين لذهاب أشدهما(٥٢٩) . قال النووي: رأى علي أن ذلك هو المصلحة في حق النبي (ﷺ)، واعتقد ذلك لما رأى من انزعاجه، فبذل جهده في النصيحة، لإرادة راحة خاطره (ﷺ)(٥٣٠) . وعلي رضي الله عنه لم ينل عائشة رضي الله عنها بأدنى كلمة يفهم منها أنه قد عرض بأخلاقها أو تناولها بسوء، فإنه على الرغم من قوله للنبي (ﷺ): لم يضيق الله عليك(٥٣١) . إلا أنه عاد فقال لرسول الله (ﷺ)، ناصحًا وسل الجارية تصدقك(٥٣٢). فهو قد دعاه إلى التحري أولاً قبل أن يفارقها، أي أنه رجع عن نصيحته الأولى بالمفارقة إلى نصيحة أخرى بسؤال الجارية، وتحري الحقيقة(٥٣٣). وقد سأل رسول الله (ﷺ) الجارية التي كانت أكثر التصاقًا بعائشة، فأكدت أنها ما علمت من عائشة إلا خيرًا، وقد خرج رسول الله (ﷺ) من يومه الذي سأل فيه الجارية، واستعذر من عبد الله بن أبي قائلاً «**يا معشر المسلمين من يعذرني من رجل بلغني أذاه في أهل بيتي، فوالله ما علمت على أهلي إلا خيرًا**»(٥٣٤) . لقد كانت نصيحة علي في صالح عائشة فقد ازداد (ﷺ) قناعة بما علم من خير في أهله(٥٣٥) . ولم يكن موقف علي في حادثة الإفك هو الذي جعل عائشة تغضب منه رضي الله عنه لأجله، أو تحقد الحقد الذي يجعلها تتهمه زورًا بقتل عثمان، وتخرج عليه مؤلبة الأعداد الهائلة من المسلمين، كما زعم كثير من الباحثين ممن تورط في روايات الشيعة الرافضة والتي لفقوها ووضعوها.

---

(٥٢٧) مسند أحمد (٦/ ٣٩٣) إسناده حسن.
(٥٢٨) البخاري رقم ٤٧٨٦ .
(٥٢٩) دور المرأة السياسي ص ٤٦٢ .
(٥٣٠) شرح النووي على صحيح مسلم (٥/ ٦٣٤).
(٥٣١) البخاري رقم ٤٧٨٦ .
(٥٣٢) البخاري رقم ٤٧٨٦ .
(٥٣٣) دور المرأة السياسي ص ٤٦٢ .
(٥٣٤) البخاري رقم ٤٧٨٦ .
(٥٣٥) دور المرأة السياسي ص ٤٦٢ .

- ندمهم على ما حصل منهم:

قال ابن تيمية: . . . وهكذا عامة السابقين، ندموا على ما دخلوا فيه من القتال، فندم طلحة والزبير وعلي وغيرهم، ولم يكن يوم الجمل لهؤلاء قصد في القتال، ولكن وقع الاقتتال بغير اختيارهم(٥٣٦) .

أ- فأمير المؤمنين علي ورد عنه، عندما نظر وقد أخذت السيوف مأخذها من الرجال، فقال: لوددت أني مت قبل هذا بعشرين سنة(٥٣٧) .

ب- وروى نعيم بن حماد بسنده إلى الحسن بن علي، أنه قال لسليمان بن صرد: لقد رأيت عليًا حين اشتد القتال وهو يلوذ بي، ويقول: يا حسن لوددت أني مت قبل هذا بعشرين سنة(٥٣٨) .

جـ- وعن الحسن بن علي قال: أراد أمير المؤمنين علي أمرًا، فتتابعت الأمور، فلم يجد منزعًا(٥٣٩) .

د- وعن سليمان بن صرد، عن الحسن بن علي أنه سمع عليًا يقول حين نظر إلى السيوف قد أخذت القوم: يا حسن أكل هذا فينا؟ ليتني مت قبل هذا بعشرين أو أربعين سنة(٥٤٠) .

هـ- وأما عائشة فقد ورد عنها أنها كانت تقول حين تذكر وقعة الجمل: وددت أني كنت جلست كما جلس أصحابي وكان أحب إلي أن أكون ولدت من رسول الله (ﷺ) بضعة عشر، كلهم مثل عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، ومثل عبد الله بن الزبير(٥٤١) .

و- كانت إذا قرأت قوله (تعالى): ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾ [الأحزاب: ٣٣] . تبكي حتى تبل خمارها(٥٤٢) .

ز- قالت عائشة: وددت أن لو كان لي عشرون ولدًا من رسول الله (ﷺ) وكلهم مثل عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، وإني ثكلتهم، ولم يكن ما كان مني يوم الجمل(٥٤٣) .

ح- قال ابن تيمية: فإن عائشة لم تقاتل، ولم تخرج لقتال، وإنما خرجت بقصد الإصلاح بين المسلمين، وظنت أن خروجها مصلحة للمسلمين، ثم تبين لها فيما بعد أن ترك الخروج كان أولى فكانت إذا ذكرت خروجها تبكي حتى تبل خمارها وهكذا عامة السابقين

---

(٥٣٦) المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال، محيي الدين الخطيب ص ٢٢٢ .

(٥٣٧) الفتن نعيم بن حماد (١/ ٨٠) . (٥٣٨) الفتن نعيم بن حماد (١/ ٨٠) .

(٥٣٩) الفتن نعيم بن حماد (١/ ٨١) .

(٥٤٠) أحداث وأحاديث فتنة الهرج ص ٢١٧ .

(٥٤١) الفتن، نعيم بن حماد (١/ ٨١) .

(٥٤٢) سير أعلام النبلاء (٢/ ١٧٧) الطبقات (٨/ ٨١) .

(٥٤٣) التمهيد للباقلاني ص ٢٣٢ (عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي كان من نبلاء الرجال وهو من أشرف بني مخزوم توفي قبل معاوية) .

ندموا على ما دخلوا فيه من القتال، فندم طلحة والزبير وعلي وغيرهم، ولم يكن يوم الجمل لهؤلاء قصد في القتال، ولكن وقع الاقتتال بغير اختيارهم[٥٤٤].

ط- قال الذهبي: ولا ريب أن عائشة ندمت ندمة كلية على مسيرها إلى البصرة، وحضورها يوم الجمل، وما ظنت أن الأمر يبلغ ما بلغ[٥٤٥].

الحادي عشر: سيرة الزبير بن العوام واستشهاده:

هو أبو عبد الله الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب القرشي الأسدي[٥٤٦]، ويجتمع مع النبي (ﷺ) في قصي وهو حواري رسول الله وابن عمته، أمه صفية بنت عبد المطلب، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة وأحد أصحاب الشورى[٥٤٧]، أسلم وهو حدث وله ست عشرة سنة[٥٤٨]، ولم يتخلف عن غزوة غزاها رسول الله[٥٤٩]، وقد تعرض بعد إسلامه للتعذيب، فقد روي أن عم الزبير كان يعلقه في حصير ويدخن عليه بالنار وهو يقول: ارجع إلى الكفر، فيقول الزبير: لا أكفر أبدًا[٥٥٠].

١- أول من سل سيفه في سبيل الله:

عن سعيد بن المسيب، قال: أول من سل سيفه في ذات الله الزبير بن العوام، وبينما الزبير ابن العوام قائم في شعب المطابخ إذ سمع نغمة: أن رسول الله قتل، فخرج من البيت متجردًا السيف صلتًا، فلقيه رسول الله (ﷺ) كفة[٥٥١] كفة، فقال: «ما شأنك يا زبير؟» قال: سمعت أنك قتلت، قال: «فما كنت صانعًا؟» قال: أردت والله أن أستعرض أهل مكة، قال: فدعا له النبي (ﷺ) بخير. قال سعيد: أرجو ألا تضيع له عند الله (عز وجل) دعوة النبي (ﷺ)[٥٥٢].

٢-هجرته للحبشة:

ولما اشتد إيذاء قريش لرسول الله (ﷺ) ولأصحاب الحبيب (ﷺ) وأشار عليهم بالهجرة إلى الحبشة ليكونوا في جوار «النجاشي» ذلك الملك العادل، فكانوا عنده بخير دار مع خير جار، وظلوا على تلك الحال من الأمن والاستقرار إلى أن نزل رجل من الحبشة لينازع النجاشي في الملك فحزن المسلمون لذلك حزنًا شديدًا وخافوا أن يظهر ذلك الرجل على

---

(٥٤٤) المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض ص (٢٢٢، ٢٢٣).
(٥٤٥) سير أعلام النبلاء (٢/ ١٧٧).
(٥٤٦) الإصابة (١/ ٥٢٦-٥٢٨).
(٥٤٧) الطبقات الكبرى (٣/ ١٠٠) الإصابة (١/ ٥٢٦-٥٢٨).
(٥٤٨) سير أعلام النبلاء (١/ ٤١).
(٥٤٩) سير السلف (١/ ٢٢٦) الرواية مرسلة.
(٥٥٠) الطبراني في الكبير (١/ ١٢٢).
(٥٥١) كفة كفة: أي مواجهة كأن كل واحد منهما قد كف صاحبه عن مجاوزته إلى غيره.
(٥٥٢) فضائل الصحابة (٢/ ٩١٤) رقم ١٢٦٠ إسناده ضعيف حسن لغيره.

النجاشي وهو لا يعرف حق الصحابة الأطهار ولا يعرف قدرهم، وهنا أراد الصحابة رضي الله عنهم أن يعرفوا أخبار الصراع الدائر بين النجاشي وبين هذا الرجل على الجانب الآخر من النيل[٥٥٣]، قالت أم سلمة رضي الله عنها: فقال أصحاب رسول الله (ﷺ): من رجل يخرج حتى يحضر وقيعة القوم ثم يأتينا بالخبر؟ قالت: فقال الزبير بن العوام أنا قالوا: وأنت، وكان من أحدث القوم سنا. فنفخوا له قربة فجعلها في صدره، ثم سبح عليها حتى خرج إلى ناحية النيل التي بها ملتقى القوم، ثم انطلق حتى حضرهم قالت: فدعونا الله (تعالى) للنجاشي بالظهور على عدوه، والتمكين له في بلاده، قالت: فوالله إنا لعلى ذلك متوقعون لما هو كائن، إذ طلع الزبير وهو يسعى، فلمع بثوبه وهو يقول: ألا أبشروا، فقد ظفر النجاشي، وأهلك الله عدوه ومكن له في البلاد[٥٥٤]. بعد رجوع الزبير من الحبشة إلى مكة قام في كنف الحبيب المصطفى رسول الله (ﷺ)، يتلقى منه مبادئ الإسلام وأوامره ونواهيه وعندما هاجر رسول الله (ﷺ) للمدينة كان الزبير من ضمن المهاجرين إليها.

٣- في غزوة بدر:

كان الزبير رضي الله عنه فارسًا مقدامًا، وبطلاً مغوارًا، لم يتخلف عن مشهد واحد من المشاهد تراه في كل غزوة وفي كل معركة، فقد اتصف بالشجاعة الخارقة، والبطولة النادرة والإخلاص الكامل، والتفاني لإعلاء كلمة الحق[٥٥٥]، ولقد بذل الزبير رضي الله عنه الكثير في سبيل الله، وجعل نفسه وماله وقفًا لله (عز وجل) فأكرمه الله ورفعه في الدنيا والآخرة، فقد كانت عليه عمامة صفراء معتجرًا بها يوم بدر، فعن عروة أنه قال: كانت على الزبير يوم بدر عمامة صفراء فنزل جبريل على سيماء الزبير[٥٥٦]. فيا لها من منقبة لا توازيها الدنيا بما فيها، وفيه قال عامر بن صالح بن عبد الله بن الزبير:

جدي ابن عمة أحمد ووزيره ... عند البلاء وفارس الشقراء
وغداة بدر كان أول فارس ... شهد الوغى في اللأمة الصفراء
نزلت بسيماه الملائك نصره ... بالحوض يوم تألب الأعداء[٥٥٧]

وعن الزبير قال: لقيت يوم بدر عبيدة بن سعيد بن العاص وهو مدجج لا يرى منه إلا عيناه، وهو يكنى أبا ذات الكرش، فقال: أنا أبو ذات الكرش، فحملت عليه فطعنته في عينه فمات، قال الزبير: لقد وضعت رجلي عليه ثم تمطأت فكان الجهد أن نزعتها وقد أثني طرفاها. فسأله إياها رسول الله فأعطاه، فلما قبض رسول الله (ﷺ) أخذها ثم طلبها أبو

---

(٥٥٣) السيرة لابن هشام (١/ ٢٧٩)، أصحاب الرسول (١/ ٢٧٤).
(٥٥٤) السيرة النبوية لابن هشام (١/ ٢٧٩).
(٥٥٥) أهل الشورى والسنة، رياض العبد الله ص ٦٧.
(٥٥٦) الطبراني في الكبير رقم ٢٣٠ مرسل صحيح الإسناد، سير أعلام النبلاء (١/ ٤٦).
(٥٥٧) تاريخ الإسلام، عهد الخلفاء الراشدين ص ٥٠١.

بكر فأعطاها، فلما قبض أبو بكر سأله إياها عمر فأعطاه إياها، فلما قتل عثمان وقعت عند آل علي، فطلبها عبد الله بن الزبير، فكانت عنده حتى قتل[٥٥٨].

هذا الخبر يصور لنا دقة الزبير بن العوام في إصابة الهدف، حيث استطاع أن يضع الحربة في عين ذلك الرجل مع ضيق ذلك المكان وكونه قد وزع طاقته بين الهجوم والدفاع، فلقد كانت إصابة ذلك الرجل بعيدة جدًا؛ لكونه قد حمى جسمه بالحديد الواقي لكن الزبير استطاع إصابة إحدى عينيه، فكانت بها نهايته، ولقد كانت الإصابة شديدة العمق مما يدل على قوة الزبير الجسدية، إضافة إلى دقته ومهارته في إصابة الهدف[٥٥٩]. وقد كان يوم بدر مع رسول الله (ﷺ) فارسان: الزبير على فرس على الميمنة والمقداد بن الأسود على فرس على الميسرة[٥٦٠].

٤- في غزوة أحد:

قال الزبير رضي الله عنه: جمع لي النبي (ﷺ) أبويه يوم أحد[٥٦١]. وهذا دليل على قتاله وبأسه في تلك المعركة، فقد اتصف رضي الله عنه بالثبات والعزيمة وحب الشهادة في سبيل الله (تعالى) وقد وصف لنا رضي الله عنه ما فعله أبو دجانة الأنصارى في تلك الغزوة، فعندما التحم الجيشان واشتد القتال، وشرع رسول الله (ﷺ) يشحذ في همم أصحابه، ويعمل على رفع معنوياتهم وأخذ سيفًا وقال: **«من يأخذ مني هذا؟»** فبسطوا أيديهم، كل إنسان منهم يقول: أنا أنا وكان من ضمنهم الزبير قال: **«فمن يأخذه بحقه»** فأحجم القوم، فقال سماك بن خرشة أبو دجانة وما حقه يا رسول الله؟ قال: **«أن تضرب به العدو حتى ينحني»** قال: أنا آخذه بحقه. فدفعه إليه وكان رجلاً شجاعًا يختال عند الحرب -أي يمشي مشية المتكبر- وحين رآه رسول الله (ﷺ) يتبختر بين الصفين، قال: **«إنها لمشية يبغضها الله إلا في هذا الموطن»**[٥٦٢] ووصف الزبير بن العوام ما فعله أبو دجانة يوم أحد فقال: وجدت في نفسي حين سألت رسول الله (ﷺ) السيف فمنعنيه وأعطاه أبا دجانة وتركني والله لأنظرن ما يصنع فاتبعته فأخرج عصابة له حمراء فعصب بها رأسه فقالت الأنصار أخرج أبو دجانة عصابة الموت، وهكذا كانت تقول له إذا تعصب فخرج وهو يقول:

أنا الذي عاهدني خليلي ونحن بالسفح لدى النخيل
ألا أقوم الدهر في الكيول[٥٦٣] أضرب بسيف الله والرسول[٥٦٤]

---

(٥٥٨) صحيح البخاري، ك المغازي رقم ٣٩٩٨.
(٥٥٩) التاريخ الإسلامي (٤/١٦٣).
(٥٦٠) سير أعلام النبلاء (١/٤٦) والرواية مرسلة.
(٥٦١) فضائل الصحابة (٢/٩١٨) رقم ١٢٦٧ إسناده صحيح.
(٥٦٢) مسلم، ك فضائل الصحابة رقم ٢٤٧٠.
(٥٦٣) الكيول: مؤخرة الصفوف.
(٥٦٤) البداية والنهاية (٤/١٧).

فجعل لا يلقى أحدًا إلا قتله وكان من المشركين رجل لا يدع جريحًا إلا ذفف[٥٦٥] عليه فجعل كل منهما يدنو من صاحبه فدعوت الله أن يجمع بينهما فالتقيا فاختلفا ضربتين فضرب المشرك أبا دجانة فاتقاه بدرقته فعضت بسيفه وضربه أبو دجانة فقتله ثم رأيته قد حمل السيف على مفرق رأس هند بنت عتبة ثم عدل السيف عنها فقلت الله ورسوله أعلم[٥٦٦]، قال أبو إسحاق قال أبو دجانة: رأيت إنسانًا يحمس الناس حماسًا شديدًا فصمدت له فلما حملت عليه السيف ولول، فإذا امرأة فأكرمت سيف رسول الله أن أضرب به امرأة[٥٦٧] وعن هشام عن أبيه، قالت عائشة: يا ابن أختي كان أبواك يعني الزبير وأبا بكر من ﴿**الَّذِينَ اسْتَجَابُواْ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِن بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ**﴾ [آل عمران: ١٧٢] .لما انصرف المشركون من أحد، وأصاب النبي (ﷺ)، وأصحابه ما أصابهم، خاف أن يرجعوا، فقال: «**من ينتدب لهؤلاء في آثارهم، حتى يعلموا أن بنا قوة**» ، فانتدب أبو بكر والزبير في سبعين، فخرجوا في آثار المشركين، فسمعوا بهم فانصرفوا، قال (تعالى): ﴿**فَانقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ**﴾[آل عمران: ١٧٤] لم يلقوا عدوًا[٥٦٨]، ولما استشهد حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه في أحد جاءت أم الزبير صفية بنت عبد المطلب لتنظر إلى أخيها وقد مثل به المشركون فجدعوا أنفه وبقروا بطنه، وقطعوا أذنيه ومذاكيره، فقال رسول الله لابنها الزبير بن العوام: «**القها فأرجعها، لا ترى ما بأخيها**»، فقال لها: يا أمه إن رسول الله (ﷺ) يأمرك أن ترجعي، قالت: ولم؟ وقد بلغني أنه قد مثل بأخي، وذلك في الله، فما أرضانا بما كان من ذلك، لأحتسبن ولأصبرن إن شاء الله، فلما جاء الزبير بن العوام رضي الله عنه إلى رسول الله، فأخبره بذلك، قال: «**خل سبيلها**»، فأتته، فنظرت إليه فصلت عليه واسترجعت[٥٦٩] واستغفرت له[٥٧٠] وجاء في رواية عن عروة قال: أخبرني أبي الزبير أنه لما كان يوم أحد أقبلت امرأة تسعى حتى إذا كادت أن تشرف على القتلى، قال: فكره النبي (ﷺ) أن تراهم، فقال: «**المرأة المرأة**» قال الزبير : فتوسمت أنها أمي صفية، قال: فخرجت أسعى إليها، فأدركتها قبل أن تنتهي إلى القتلى، قال: فلدمت في صدري، وكانت امرأة جلدة، قالت: إليك، لا أرض لك. قال: فقلت: إن رسول الله (ﷺ) عزم عليك. قال: فوقفت، وأخرجت ثوبين معها، فقالت: هذان ثوبان جئت بهما لأخي حمزة، فإذا إلى جانبه رجل من الأنصار قتيل، قد فعل به كما فعل بحمزة، قال: فوجدنا غضاضة وحياءً أن نكفن حمزة في ثوبين، والأنصاري لا كفن له، فقلنا: لحمزة ثوب، وللأنصاري ثوب، فقدرناهما فكان أحدهما أكبر من الآخر، فأقرعنا بينهما، فكفنّا كل واحد منهما في الثوب الذي طار له[٥٧١].

---

(٥٦٥) ذفف: أجهز عليه.
(٥٦٦) البداية والنهاية (٤/ ١٨).
(٥٦٧) المصدر نفسه (٤/ ١٨).
(٥٦٨) البخاري رقم ٤٠٧٧.
(٥٦٩) استرجعت: قالت: إنا لله وإنا إليه راجعون.
(٥٧٠) السيرة النبوية لابن هشام (٣/ ١٠٨).
(٥٧١) مسند أحمد (٣/ ٣٤) الموسوعة الحديثية إسناده حسن.

٥- في غزوة الخندق: (لكل نبي حواري وحواري الزبير)[٥٧٢].

قال رسول الله (ﷺ) يوم الخندق: «**من يأتينا بخبر بني قريظة؟**» فقال الزبير: أنا، فذهب على فرس، فجاء بخبرهم. ثم قال الثانية، فقال: أنا، فذهب الزبير، ثم الثالثة، فقال النبي (ﷺ): «**لكل نبي حواري، وحواري الزبير**»[٥٧٣]. ومعني قوله (ﷺ): «**وحواري الزبير**»: أي: خاصتي من أصحابي وناصري، ومنه الحواريون أصحاب عيسى عليه الصلاة والسلام أي خلصائه وأنصاره، فالحواري: هو الناصر المخلص، فالحديث اشتمل على هذه المنقبة العظيمة التي تميز بها الزبير رضي الله عنه ولذلك سمع عبد الله بن عمر رضي الله عنه رجلاً يقول: أنا ابن الحواري فقال: إن كنت من ولد الزبير وإلا فلا[٥٧٤]، وجاء في عمدة القاري شرح صحيح البخاري للعيني: فإن قلت: الصحابة كلهم أنصار رسول الله عليه الصلاة والسلام خلصاء فما وجه التخصيص به قلنا: هذا قاله حين قال يوم الأحزاب: «**من يأتيني بخبر القوم**» قال الزبير: أنا، قال: «**من يأتيني بخبر القوم**» فقال: أنا، وهكذا مرة ثالثة ولا شك أنه في ذلك الوقت نصره نصرًا زائدًا على غيره[٥٧٥]، وقد فداه رسول الله (ﷺ) يوم الأحزاب بأبيه وأمه فعن عبد الله بن الزبير قال: كنت يوم الأحزاب جعلت أنا وعمر بن أبي سلمة في النساء فنظرت فإذا أنا بالزبير على فرسه يختلف إلى بني قريظة مرتين أو ثلاثًا فلما رجعت قلت: يا أبت رأيتك تختلف قال: وهل رأيتني يا بني؟ قلت: نعم، قال: كان رسول الله (ﷺ) قال: «**من يأت بني قريظة فيأتيني بخبرهم؟**» فانطلقت فلما رجعت جمع لي رسول الله (ﷺ) أبويه فقال: «**فداك أبي وأمي**»[٥٧٦]. وهذا الحديث فيه منقبة ظاهرة للزبير رضي الله عنه حيث فداه رسول الله (ﷺ) بأبويه، وفي هذه التفدية تعظيم لقدره واعتداد بعمله واعتبار بأمره وذلك لأن الإنسان لا يفدي إلا من يعظمه فيبذل نفسه أو أعز أهله له[٥٧٧] لقد نال الزبير في غزوة الخندق وسامًا خالدًا باقيًا على مر السنين «**لكل نبي حواري وحواري الزبير**»[٥٧٨]. لقد وصف النبي (ﷺ) الزبير بالحواري، وصف عميق الدلالة واسع المفاهيم، والدارس لهذه المعاني يدرك أبعاد كلمة الحواري، ويتبين معالمها ويعرف أسرارها وأغوارها، وأكثر من يحتاج إلي العناية بهذه المفاهيم هم العلماء والدعاة والمربون، لأن الدعوة الإسلامية تحتاج إلى إعداد الحواريين ليقدموا نماذج حية في الأسوة والقدوة العملية أقوى وأشد تأثيرًا في نشر المبادئ والأفكار لأنها تجسيد وتطبيق عملي لها، يسهل مشاهدتها والتأثير والاقتداء بها، ولأن الحواريين يأخذون بسنة الرسول (ﷺ) ويقتدون بأمره[٥٧٩]، كما

---

(٥٧٢) مسلم رقم ٢٤١٤.
(٥٧٣) المصدر نفسه رقم ٢٤١٤.
(٥٧٤) مصنف ابن أبي شيبة رقم ١٢٢١٩، صحيح.
(٥٧٥) عمدة القاري (١٩/ ٢٢٣٩).
(٥٧٦) البخاري رقم (٣٧٢٠).
(٥٧٧) تحفة الأحوذي (١٠/ ٢٤٦).
(٥٧٨) مسلم رقم ٢٤١٤.
(٥٧٩) صحيح مسلم بشرح النووي (٢/ ٢٦، ٢٧).

جاء في الحديث: «ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره»[٥٨٠] . ومن سنن الدعوات أن مسيرتها تمر بالفتن والمحن وتبتلى من أصدقائها وأعدائها، وحرص الرسول (ﷺ) على إرشاد المسلمين إلى هذه المتغيرات والحوادث فقال: «ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون»[٥٨١] . فما مهمة الحواري؟ القدوة الحسنة والإيمان التطبيقي والإخلاص والفداء التي هي أبرز صفات الحواريين فيكون مثالاً حقيقيا لورثة الأنبياء فيسعى لنشر الحق والخير وهداية الأمة والنهوض بها من كبوتها ويضحي في سبيل الله بكل غال ونفيس ليجدد للإسلام شبابه ونضارته في الوقت الذي يكون ساقطو الهمة لا هم لهم إلا مصالحهم الشخصية[٥٨٢] . والزبير بن العوام رضي الله عنه نموذج فذ في تجسيد هذه المعاني، فقد تربى في أحضان الدعوة على يدي النبي (ﷺ)، وتلقى الجرعات المطلوبة لتحمل أعبائها منذ شبابه الباكر، وموقف الزبير في غزوة الأحزاب يصور لنا شخصيته ونشأته على الجرأة والنصرة ومحبته للرسول (ﷺ)، وأثبت الأيام أنه كان رضي الله عنه رجل المهمات الصعبة، فقد اتصف بالجرأة والإقدام فكلف بمهمة كشف أسرار العدو وما حدث مع الزبير يشير إلى مشروعية تقسيم الأعمال وتصنيف الدعاة كل على حسب إخلاصه وفدائيته وتضحيته ومواهبه وطاقته[٥٨٣] . هذا وقد شارك الزبير في كل غزوات الرسول وكان له مواقف مشرفة، وكان في عهد الراشدين من أعمدة الدولة في فتوحاتها الكبيرة رضي الله عنه.

٦- في غزوة اليرموك:

عن عروة أن أصحاب رسول الله (ﷺ) قالوا للزبير يوم اليرموك: ألا تشد فنشد معك؟ فقال: إني إن شددت كذبتم فقالوا: لا نفعل، فحمل عليهم حتى شق صفوفهم، فجاوزهم وما معه أحد، ثم رجع مقبلاً فأخذوا بلجامه فضربوه ضربتين على عاتقه بينهما ضربة ضربها يوم بدر. قال عروة: أدخل أصابعي في تلك الضربات ألعب وأنا صغير. قال عروة: وكان معه عبد الله بن الزبير يومئذ، وهو ابن عشر سنين فحمله على فرس ووكل به رجلاً[٥٨٤] . قال الذهبي في السير معلقًا: هذه الوقعة هي يوم اليمامة إن شاء الله، فإن عبد الله كان إذ ذاك ابن عشر سنين[٥٨٥] وذكر ابن كثير أن الموقعة هي «اليرموك» ولا مانع من وقوع ذلك في الموقعتين فقد قال ابن كثير: وقد كان فيمن شهد اليرموك الزبير بن العوام، وهو أفضل من هناك من الصحابة، وكان من فرسان الناس وشجعانهم، فاجتمع إليه جماعة من الأبطال

---

(٥٨٠) دراسات تربوية للأعظمي ص ٢٠٦.
(٥٨١) صحيح مسلم بشرح النووي (٢/ ٢٦، ٢٧).
(٥٨٢) دراسات تربوية في الأحاديث النبوية ص ٢٠٧.
(٥٨٣) المصدر نفسه ص ٢٠٨.
(٥٨٤) البخاري رقم ٣٩٧٥.
(٥٨٥) سير أعلام النبلاء (١/ ٦٣).

يومئذ، فقالوا: ألا تحمل فنحمل معك؟ فقال: إنكم لا تثبتون. فقالوا: بلى. فحمل وحملوا، فلما واجهوا صفوف الروم أحجموا وأقدم هو، فاخترق صفوف الروم حتى خرج من الجانب الآخر، وعاد إلى أصحابه. ثم جاؤوا إليه مرة ثانية ففعل كما فعل في الأولى، وجرح يومئذ جرحين بين كتفيه وفي رواية: جرح(٥٨٦). ويقول ابن كثير مرة أخرى: خرج مع الناس إلى الشام مجاهدًا، فشهد اليرموك، فتشرفوا بحضوره وكانت له بها اليد البيضاء والهمة العلياء، اخترق جيوش الروم وصفوفهم مرتين، من أولهم إلى آخرهم(٥٨٧).

٧-في فتح مصر:

ولما قصد عمرو بن العاص مصر لفتحها كان معه قوات لم تكن كافية لفتحها، فكتب إلى عمر بن الخطاب يستمده ويطلب المدد من الرجال، فأشفق عمر من قلة عدد قوات عمرو، فأرسل الزبير بن العوام في اثني عشر ألفًا، وقيل: أرسل عمر أربعة آلاف رجل، عليهم من الصحابة الكبار: الزبير، والمقداد بن الأسود، وعبادة بن الصامت، ومسلمة بن مخلد، وقال آخرون: خارجة بن حذافة هو الرابع، وكتب إليه: إني أمددتك بأربعة آلاف، على كل ألف منهم رجل مقام ألف. وكان الزبير على رأس هؤلاء الرجال(٥٨٨). وحين قدم الزبير على عمرو وجده محاصرًا حصن بابليون فلم يلبث الزبير أن ركب حصانه وطاف بالخندق المحيط بالحصن، ثم فرق الرجال حول الخندق، وطال الحصار حتى بلغت مدته سبعة أشهر، فقيل للزبير: إن بها الطاعون. فقال: إنا جئنا للطعن والطاعون(٥٨٩) وأبطأ الفتح على عمرو بن العاص، فقال الزبير: إني أهب نفسي لله، أرجو أن يفتح الله بذلك على المسلمين. فوضع سلمًا وأسنده إلى جانب الحصن من ناحية سوق الحمام ثم صعد، وأمرهم إذا سمعوا تكبيره أن يجيبوه جميعا، فما شعروا إلا والزبير على رأس الحصن يكبر ومعه السيف، فتحامل الناس على السلم حتى نهاهم عمرو؛ خوفًا من أن ينكسر، فلما رأى الروم أن العرب قد ظفروا بالحصن انسحبوا، وبذلك فتح حصن بابليون أبوابه للمسلمين، فانتهت بفتحه المعركة الحاسمة لفتح مصر، وكان شجاعة الزبير النادرة السبب المباشر لانتصار المسلمين على المقوقس(٥٩٠).

٨- غيرة الزبير بن العوام رضي الله عنه:

عن أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها قالت: تزوجني الزبير رضي الله عنه وما له في الأرض مال ولا مملوك ولا شيء غير فرسه. قالت: فكنت أعلف فرسه وأكفيه مؤنته وأسوسه، وأدق النوى للناضحة، وأعلفه وأسقيه الماء، وأخرز غربه، وأعجن، ولم أكن

---

(٥٨٦) البداية والنهاية (١/ ٦٣).

(٥٨٧) البداية والنهاية (٧/ ٢٦٠).

(٥٨٨) فتوح مصر والمغرب ص ٦١، قادة فتح الشام ومصر ص ٢٠٨، ٢٢٦.

(٥٨٩) سير أعلام النبلاء (١/ ٥٥).

(٥٩٠) قادة فتح الشام ومصر ص ٢٠٩، ٢٢٧.

أحسن أخبز فكان يخبز لي جارات من الأنصار وكن نسوة صدق. قالت: وكنت أنقل النوى من أرض الزبير التي أقطعه رسول الله (ﷺ) على رأسي، وهي على ثلثي فرسخ قالت: فجئت يومًا والنوى على رأسي، فلقيت رسول الله (ﷺ) ومعه نفر من أصحابه فدعا لي، ثم قال: «إخ إخ»، ليحملني خلفه، فاستحييت أن أسير مع الرجال، وذكرت الزبير وغيرته. قالت: وكان من أغير الناس قالت. فعرف رسول الله (ﷺ) أني قد استحييت فمضى، فجئت الزبير فقلت: لقيني رسول الله (ﷺ) وعلى رأسي النوى، ومعه نفر من أصحابه، فأناخ لأركب معه، فاستحيت وعرفت غيرتك، فقال: والله لحملك النوى كان أشد على من ركوبك معه، قالت: حتى أرسل إلى أبو بكر بعد ذلك بخادم، فكفتني سياسة الفرس، فكأنما أعتقني(٥٩١).

٩- تسمية الزبير أولاده بأسماء الصحابة الشهداء:

من شدة حب الزبير رضي الله عنه للشهادة، كان أن سمى أولاده بأسماء الصحابة الشهداء، فقد روى هشام بن عروة عن أبيه قال: قال الزبير: إن طلحة يسمي بنيه بأسماء الأنبياء، وقد علم أنه لا نبي بعد محمد (ﷺ) وإني أسمي بأسماء الشهداء لعلهم يستشهدون: عبد الله بعبد الله بن جحش، والمنذر بالمنذر بن عمرو، وعروة بعروة بن مسعود، وحمزة بحمزة، وجعفر بجعفر بن أبي طالب، ومصعب بمصعب بن عمير، وعبيدة بعبيدة بن الحارث، وخالد بخالد بن سعيد، وعمرو بعمرو بن سعيد بن العاص باليرموك(٥٩٢).

١٠- إخفاء الطاعات عند الزبير:

قال الزبير بن العوام رضي الله عنه: أيكم استطاع أن يكون له خبيئة من عمل صالح فليعمل(٥٩٣).

١١- ما قاله حسان بن ثابت من شعر في مدح الزبير:

مر الزبير بمجلس من أصحاب رسول الله (ﷺ) وحسان ينشدهم من شعره، وهم غير نشاط لما يسمعون منه، فجلس معهم الزبير، ثم قال: ما لي أراكم غير أذنين لما تسمعون من شعر ابن الفريعة، فلقد كان يعرض به رسول الله (ﷺ) فيحسن استماعه، ويجزل عليه ثوابه، ولا يشتغل عنه، فقال حسان يمدح الزبير:

أقام على عهد النبي وهديه ... حواريه والقول بالفعل يعدل
أقام على منهاجه وطريقه ... يوالي وليَّ الحقِّ والحقُّ أعدل
هو الفارس المشهور والبطل الذي ... يصول إذا ما كان يوم محجل

---

(٥٩١) حياة الصحابة (٢/ ٦٩١)، أصحاب الرسول (١/ ٢٨١).
(٥٩٢) تاريخ الإسلام، عهد الخلفاء الراشدين ص ٥٠٥، الطبقات (٣/ ١٠١).
(٥٩٣) الزهد لابن المبارك ص ٣٩٢.

إذا كشفت عن ساقها الحرب حشها   بأبيض سباق إلى الموت يرقل[٥٩٤]
وإن امرءًا كانت صفية أمه   ومن أسد في بيتها لمؤتل[٥٩٥]
له من رسول الله قربى قريبة   ومن نصرة الإسلام مجد مؤثل[٥٩٦]
فكم كربة ذب الزبير بسيفه   عن المصطفى والله يعطي فيجزل
ثناؤك خير من فعال معاشر   وفعلك يا ابن الهاشمية أفضل[٥٩٧]

١٢- كرم الزبير بن العوام رضي الله عنه:

روي عن عروة بن الزبير أنه قال: أوصى إلى الزبير سبعة من الصحابة منهم عثمان وابن مسعود وعبد الرحمن، فكان ينفق على الورثة من ماله ويحفظ أموالهم[٥٩٨].

وهذا مثل رفيع من أمثلة الكرم والوفاء، وهو يجسم المعاني السامية في النفس حتى تبقى هي الماثلة في الضمير الحي، وتبعًا لذلك يسخر هذا الضمير الحي كل ما يملك من أجل سيادة هذه المعاني وقد تجود النفس مرة ومرة ثم يعترصها شيء من الفتور، فأما أن يتكفل مثل الشهم السخي بالنفقة على ورثة عدد من الصحابة ويحتفظ لهم فهو نموذج فريد في عالم الواقع، ومؤشر مهم من مؤشرات الرقي الأخلاقي لدى الصحابة رضي الله عنهم[٥٩٩].

١٣- وحان وقت الرحيل وشهادة رسول الله(ﷺ) له بدخول الجنة:

خرج الزبير بن العوام رضي الله عنه من معركة الجمل في الجولة الأولى وقد بينا الأسباب في تركه لساحة المعركة وعند خروجه من ساحة القتال كان يتمثل قول الشاعر:

ترك الأمور التي أخشى عواقبها   في الله أحسن في الدنيا وفي الدين

وقيل إنه أنشد:

ولقد علمت لو أن علمي نافعي   أن الحياة من الممات قريب[٦٠٠]

وبعد خروجه تبعه عمرو بن جرموز وفضالة بن حابس ونفيع في طائفة من غواة بني تميم فيقال إنهم لما أدركوه تعاونوا عليه حتى قتلوه ويقال بل أدركه عمرو بن جرموز فقال له عمرو: إن لي إليك حاجة فقال: ادن فقال مولى الزبير، واسمه عيطة إن معه سلاحًا فقال: وإن، فتقدم إليه فجعل يحدثه وكان وقت الصلاة فقال له الزبير: الصلاة فقال: الصلاة، فتقدم الزبير ليصلي بهما فطعنه عمرو بن جرموز فقتله ويقال بل أدركه عمرو بواد يقال له

---

(٥٩٤) يرقل: يسرع: وهي سرعة سير الإبل.
(٥٩٥) في الديوان وعند الحاكم لمرفل: وهو العظيم المبجل.
(٥٩٦) سير أعلام النبلاء (١/٥٦).
(٥٩٧) سير أعلام النبلاء (١/٥٧).
(٥٩٨) المصدر نفسه (١/١٣١).
(٥٩٩) التاريخ الإسلامي (١٧/١٣١).
(٦٠٠) سير أعلام النبلاء (١/٦٠).

وادي السباع وهو نائم في القائلة[٦٠١]، فهجم عليه فقتله وهذا هو القول الأشهر، ويشهد له شعر امرأته عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل وكانت آخر من تزوجها وكانت قبله تحت عمر بن الخطاب فقتل عنها وكانت قبله تحت عبد الله بن أبي بكر الصديق فقتل عنها فلما قتل رثته بقصيدة محكمة المعنى فقالت:

غدر ابن جرموز بفارس بهمة ... يوم اللقاء وكان غير معرد[٦٠٢]
يا عمرو لو نبهته لوجدته ... لا طائشاً رعش الجنان[٦٠٣] ولا اليد
ثكلتك أمك أن ظفرت بمثله ... ممن بقي ممن يروح ويغتدي
كم غمرة قد خاضها لم يثنه ... عنها طرادك يا بان فقع العردد[٦٠٤]
والله ربي إن قتلت لمسلما ... حلت عليك عقوبة المتعمد[٦٠٥]

ولما قتله عمرو بن جرموز فاحتز رأسه وذهب به إلى علي ورأى أن ذلك يحصل له به حظوة عنده فاستأذن فقال علي: بشر قاتل ابن صفية بالنار، ثم قال علي: سمعت رسول الله يقول: «**لكل نبي حواري وحواري الزبير**»[٦٠٦]، ولما رأى علي سيف الزبير قال: إن هذا السيف طالما فرج الكرب عن وجه رسول الله [٦٠٧] وفي رواية: منع أمير المؤمنين علي ابن جرموز من الدخول عليه، وقال للآتي بشر قاتل ابن صفية بالنار [٦٠٨]، ويقال إن عمرو بن جرموز قتل نفسه عند علي، وقيل بل عاش إلى أن تأمر مصعب بن الزبير، على العراق فاختفى منه، فقيل لمصعب: إن عمرو بن جرموز ها هنا وهو مختف، فهل لك فيه؟ فقال: مروه فليظهر فهو آمن، والله ما كنت لأقيد [٦٠٩] للزبير منه فهو أحقر من أن أجعله عدلا للزبير[٦١٠].

هذا وقد أخبر الحبيب المصطفى أن الزبير سيموت شهيدًا، فعن أبي هريرة أن رسول الله (ﷺ) كان على جبل حراء، فتحرك فقال رسول الله (ﷺ): «**اسكن حراء؛ فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد**» وعليه النبي (ﷺ) وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير رضي الله عنهم[٦١١]. قال النووي: وفي هذا الحديث معجزات لرسول الله (ﷺ)، منها إخباره أن

---

(٦٠١) القائلة: وقت اشتداد حر الظهيرة.
(٦٠٢) معرد: المعرد: الصلب والشجاع.
(٦٠٣) الجان: القلب.
(٦٠٤) البداية والنهاية (٧/ ٢٦١). العردد: الصلب الشديد.
(٦٠٥) البداية والنهاية (٧/ ٢٦١).
(٦٠٦) فضائل الصحابة (٢/ ٩٢٠).
(٦٠٧) البداية والنهاية (٧/ ٢٦١).
(٦٠٨) الطبقات (٣/ ١٠٥) إسناده حسن، خلافة علي ص ١٦٤ عبد الحميد.
(٦٠٩) أقيد: قود: القتل بالقاتل.
(٦١٠) البداية والنهاية (٧/ ٢٦١).
(٦١١) مسلم رقم ٢٤١٧.

هؤلاء شهداء وماتوا كلهم - غير النبي (ﷺ) وأبي بكر - شهداء ، فإن عمر وعثمان وعليا وطلحة والزبير رضي الله عنهم قتلوا - ظلمًا - شهداء، فقتل الثلاثة مشهور، وقتل الزبير بوادي السباع بقرب البصرة منصرفًا تاركًا للقتال، وكذلك طلحة اعتزل الناس تاركًا للقتال، فأصابه سهم فقتله وقد ثبت أن من قتل مظلوما فهو شهيد(٦١٢). قال الشعبي: أدركت خمس مائة أو أكثر من الصحابة يقولون: علي وعثمان وطلحة والزبير في الجنة، قال الذهبي: قلت: لأنهم من العشرة المشهود لهم بالجنة، ومن البدريين، ومن أهل بيعة الرضوان، ومن السابقين الأولين الذين أخبر (تعالى) أنه رضي عنهم ورضوا عنه، ولأن الأربعة قتلوا، ورزقوا الشهادة، فنحن محبون لهم باغضون للأربعة الذين قتلوا الأربعة(٦١٣).

١٤- حرصه على أداء دينه عند الموت:

عن عبد الله بن الزبير قال: جعل الزبير يوم الجمل يوصيني بدينه، ويقول: إن عجزت عن شيء منه فاستعن عليه بمولاي. قال: فو الله ما دريت ما أراد، حتى قلت: يا أبت من مولاك؟ قال: ما وقعت في كربة من دينه إلا قلت: يا مولى الزبير اقض عنه، فيقضيه، وإنما دينه الذي كان عليه: أن الرجل كان يأتيه بالمال فيستودعه إياه فيقول الزبير: لا، ولكنه سلف فإني أخشى عليه الضيعة. قال: فقتل ولم يدع دينارًا ولا درهمًا إلا أرضين، فبعتها يعني وقضيت دينه فقال بنو الزبير: اقسم بيننا ميراثنا. فقلت: والله لا أقسم بينكم حتى أنادي بالموسم أربع سنين: ألا من كان له على الزبير دين فليأتنا فلنقضه، فجعل كل سنة ينادي بالموسم فلما مضى أربع سنين قسم بينهم وكان للزبير أربع نسوة، فأصاب كل امرأة ألف ألف ومائتا ألف. فجميع ماله خمسون ألف ألف ومائتا ألف(٦١٤)، وقول البخاري رحمه الله محمول على أن جملة المال حين الموت كانت ذلك دون الزائد في أربع سنين دون القسمة(٦١٥)، وقد وقع في تركته من البركة الشيء الكثير(٦١٦). وبارك الله له في أراضيه بعد موته فوفى دينه وزاد عليه الشيء الكثير وفي هذه القصة دروس وعبر وفوائد:

أ- قول الزبير لابنه: يا بني إن عجزت عن شيء منه فاستعن بمولاي: وهذا مثل من أمثلة اليقين الراسخ والإيمان القوي الذي ترتب عليه صدق التوكل على الله (عز وجل)، واللجوء إليه في قضاء الحوائج وكشف الكربات، فالمؤمن الحق يعتقد جازمًا بأن كل شيء بيد الله (جل وعلا)، فإذا وقع في ضائقة وكرب فإن أول ما يتبادر إلى ذهنه تصور وجود الله (تعالى) وهيمنته على كل شيء ، وأن المخلوقين الذين يشكلون طرفًا آخر في قضيته إنما هم في قبضة البارئ (جل وعلا) وأن قلوبهم بيده (سبحانه) يصرفها كيف يشاء، فليلجأ إليه قبل كل شيء ويسأله قضاء حاجته وتفريج كربته، ثم يقوم بعمل الأسباب التي خلقها الله (تعالى)

---

(٦١٢) شرح النووي على صحيح مسلم (١٥/ ٢٧١).
(٦١٣) سير أعلام النبلاء (١/ ٦٢).
(٦١٤) البخاري رقم ٣١٢٩.
(٦١٥) شذرات الذهب (١/ ٢٠٩).
(٦١٦) الإصابة لابن حجر (٢/ ٤٦١).

وجعلها موصلة إلى النتائج المطلوبة، مع الاعتقاد بأنها مجرد أسباب وأن الفاعل والمقدر هو الله (تعالى)، وأنه قادر على أن ينزع من الأسباب قوة التأثير فلا تؤدي إلى نتائجها[٦١٧] المعروفة.

ب- هل كان الزبير رضي الله عنه من الأثرياء؟

نرى النص السابق ينطق بأن الزبير رضي الله عنه ما كان من الأثرياء أصحاب الأموال المعروفين المشهورين بذلك، بل كان يشعر بالضائقة ويهمه أمر ما في ذمته من أموال وديون وكان يخشى ألا تفي أرضه وعقاره بما عليه من أموال وديون كما ينطق هذا النص أيضًا بأن عبد الله ابن الزبير ما كان يخالف أباه في توقعه، بل كان يتوقع مثله أن الديون تزيد على الأموال والأرض، يقول له أبوه: أفترى يبقي ديننا من مالنا شيئًا؟ فلا يجد عبد الله جوابًا لأبيه، ولو كان يتوقع غير ما توقع أبوه، لأجابه مطمئنا إياه في هذا الوقت العصيب، بأن الأمر غير ما يقدر ويتوقع، بل تجده يجاري أباه صراحة في توقعه، فيسأله عندما أشار عليه أن يستعين بمولاه من مولاك؟ فهو يتوقع أنه سيستعين به، ولا يزعمن زاعم بأن عبد الله لم يكن محيطًا بثروة أبيه، عارفًا بأملاكه، فإن عبد الله كان في ذلك الوقت في سن الخامسة والثلاثين، ومن يكن في مثل هذه السن من شأنه أن يكون ظهيرًا لأبيه عالمًا بكل أحواله وأمواله، وبخاصة إذا كان هو الابن الأكبر، وإن سؤال الزبير له: أفترى يبقى ديننا من مالنا شيئًا؟ يشهد بأن عبد الله كان على علم بأحوال أبيه وأمواله، بل إن عبد الله صرح بأن أمر قضاء الدين ما كان سهلاً ولا هينًا، فيقول: فو الله ما وقعت في كربة من دينه إلا قلت: يا مولى الزبير اقض عنه دينه فيقضيه[٦١٨]. ومما يشهد أيضًا بأن الزبير لم يكن معدودًا من الأغنياء وأصحاب الثروات وأن توقعه عن ديونه ونسبتها إلى أملاكه كان في موضعه ومحله أن حكيم بن حزام رضي الله عنه وهو ابن عم الزبير تلقى عبد الله بن الزبير فيقول له: ما أراكم تطيقون هذا الذي عليكم من الديون فإن عجزتم عن شيء منه، فاستعينوا بي[٦١٩]، ودليل رابع: يأتي عبد الله بن جعفر رضي الله عنه لعبد الله بن الزبير وكان له عند الزبير أربعمائة ألف، فيقول لابن الزبير: إن شئتم تركتها لكم قال عبد الله بن الزبير: لا قال عبد الله بن جعفر: فإن شئتم جعلتموها فيما تؤخرون إن أخرتم[٦٢٠] فهذه شهادة اثنين من كبار الصحابة يتوقعان عدم وفاء أملاك الزبير بما عليه من ديون ويعد أنه ممن يحتاج إلى عون ومساعدة ثم هما ممن يعرف الزبير ويخالطه، ويطلع على أحواله، فإحداهما حكيم بن حزام ابن عم الزبير، والآخر ابن ابن خاله، فأم الزبير صفية بنت عبد المطلب عمة النبي (ﷺ) وهو يتعامل معه أخذا وعطاء واقتراضا وائتمانًا، فهذه أدلة أربعة لا يرقى إليها الشك تنطق بأن الزبير رضي الله عنه ما كان

---

(٦١٧) التاريخ الإسلامي (٢٠/ ٣٠٩).

(٦١٨) البخاري رقم ٣١٢٩.

(٦١٩) المصدر نفسه رقم ٣١٢٩.

(٦٢٠) المصدر نفسه رقم ٣١٢٩.

من أصحاب الثروات(٦٢١). وقد فشا فيما فشا عن ثروة الزبير وغناه الحديث عن عبيده وخيوله ففي بعض المصادر أنه كان له ألف مملوك، وأن الألف مملوك كانوا يؤدون إليه الخراج كل يوم، فما يدخل إلي بيته منها درهمًا واحدًا، يتصدق بذلك جميعه(٦٢٢) لكن المستشرق الذائع الصيت «ول ديورانت» جعل الألف عشرة آلاف، فقال: كان الزبير يمتلك عشرة آلاف عبد، ثم أضاف إليها ألف جواد(٦٢٣)، وبالطبع حذف المستشرق (الذكي) خبر تصدق الزبير بخراج مماليكه(٦٢٤)، وهذا الخبر لا يقف أمام رواية البخاري، إذ جاء فيها" فقتل الزبير ولم يترك دينار ولا درهمًا، إلا أرضين منها الغابة، وإحدى عشرة دارًا بالمدينة، ودارين بالبصرة، ودارًا بالكوفة، ودارًا بمصر(٦٢٥)، فالرواية واضحة، وهي بأسلوب الحصر، وفي مقام الحديث عن هم الدين، والكرب التي كانت في سبيل سداده، فلو كان هناك ألف مملوك، لكان لها ذكر، ولثمنها قيمة وقدر، ألا يساوي المملوك الواحد في أقل تقدير ألفي درهم(٦٢٦)، فيكون ثمن المماليك هو قيمة الدين كله إلا قليلاً، هذا كله على فرض أنها كانت ألفًا فقط، أما إذا أخذنا بشطحة «ول ديورانت»، وأنها عشرة آلاف مملوك، فمعنى ذلك نسف رواية البخاري من أساسها، فإن عشرة آلاف مملوك وألف جواد يكفي ثمنها مهما كان بخسًا أن يسدد ديونه، ويغرق ورثته في لجج الثراء، وما كان الزبير بحاجة إلي أن يقول لابنه: إن من أكبر همي لديني. ولا أن يسائله: أفترى يبقى ديننا من مالنا شيئًا؟ ولا أن يوصيه: إذا أعجزك شيء من ديني، فاستعن عليه بمولاي(٦٢٧).

إن الحديث عن سيرة الزبير وطلحة وعمرو بن العاص، وأبي موسى الأشعري وأم المؤمنين عائشة ينسجم مع أهداف الكتاب، من حيث الحديث عن سيرة أمير المؤمنين علي وعصره، فهذه الشخصيات تعتبر محورية في الحديث عن عصر أمير المؤمنين علي كما أن التشويه الذي لحق بها في كتب التاريخ والأدب يكون عند الحديث في الفتن الداخلية، فبيان سيرتهم، وأخلاقهم وصفاتهم، واجب علينا، وحتى يخرج القارئ بمعرفة حقيقية لهذه الشخصيات، فلا يتأثر بالروايات الضعيفة، ولا القصص الموضوعة التي وضعها مؤرخو الشيعة الرافضة والتي شوهت ثقافة الناس عن هذه الشخصيات العظيمة، فالحديث عن سيرة الزبير أو غيره من كبار الصحابة التي ساهمت في الأحداث في عهد أمير المؤمنين علي رضي الله عنه ينسجم مع أهداف المؤلف التي أراد إيصالها للقارئ من خلال دراسته لعهد الخلفاء الراشدين.

---

(٦٢١) الزبير بن العوام، الثروة والثورة، عبد العظيم الديب ص ٩.
(٦٢٢) سير السلف الصالحين(١/ ٢٢٧) في إسناده ضعف.
(٦٢٣) الزبير بن العوام، الثروة والثورة ص١١.
(٦٢٤) المصدر نفسه ص ١٣.
(٦٢٥) البخاري ٣١٢٩.
(٦٢٦) الزبير بن العوام ، الثروة والثورة ص ١٤.
(٦٢٧) البخاري رقم ٣١٢٩.

الثاني عشر: سيرة طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه واستشهاده:

هو أبو محمد طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة ابن كعب بن لؤي بن غالب القرشي التيمي[٦٢٨]، يجتمع مع النبي (ﷺ) في مرة بن كعب ومع أبي بكر الصديق في تيم بن مرة وعدد ما بينهم من الآباء سواء[٦٢٩]، وأمه رضي الله عنه الصعبة بنت الحضرمي امرأة من أهل اليمن وهي أخت العلاء بن الحضرمي[٦٣٠] أسلمت ولها صحبة، وظفرت بشرف الهجرة[٦٣١]، وطلحة رضي الله عنه أحد العشرة الذين بشروا بالجنة، وأحد الثمانين الذين سبقوا على الإسلام وأحد الخمسة الذين أسلموا على يد أبي بكر الصديق رضي الله عنه وأحد الستة أصحاب الشورى[٦٣٢].

١- إسلامه وابتلاؤه وهجرته:

قال طلحة بن عبيد الله: حضرت سوق بصرى، فإذا راهب في صومعته يقول: سلوا أهل هذا الموسم، أفيهم أحد من أهل الحرم؟ قال طلحة: نعم، أنا. فقال: هل ظهر أحمد بعد؟ قلت: ومن أحمد؟ قال: ابن عبد الله بن عبد المطلب، هذا شهره الذي يخرج فيه، وهو آخر الأنبياء، ومخرجه من الحرم ومهاجره إلى نخل، وحرة[٦٣٣]، وسباخ[٦٣٤]، فإياك أن تسبق إليه قال طلحة: فوقع ما قال في قلبي، فخرجت سريعًا حتى قدمت مكة، فقلت: هل كان من حدث؟ قالوا: نعم محمد بن عبد الله الأمين تنبأ، وقد تبعه ابن أبي قحافة. قال طلحة: فخرجت حتى دخلت على أبي بكر، وقلت: أتبعت هذا الرجل؟ قال: نعم، فانطلق إليه، فادخل عليه، فاتبعه، فإنه يدعو إلى الحق وإلى الخير وأخبر طلحة أبا بكر بما قال الراهب فخرج أبو بكر بطلحة، فدخل به على رسول الله (ﷺ)، فأسلم طلحة، وأخبر رسول الله (ﷺ) بما قال الراهب؛ فسر رسول الله (ﷺ)، فلما أسلم أبو بكر وطلحة بن عبيد الله، أخذهما نوفل بن خويلد بن العدوية، فشدهما في حبل واحد، ولم يمنعهما بنو تيم، وكان نوفل يدعى أسد قريش ولذلك سمي أبو بكر وطلحة القرينين[٦٣٥]، هذا وقد أوذي طلحة في الله ولقي أذى كبيرًا من المشركين، ومن عشيرته الأقربين، وبقي طلحة رضي الله عنه صابرًا على الأذى والعذاب حتى أذن الله (عز وجل) بالهجرة، ولما ارتحل رسول الله (ﷺ) مهاجرًا إلى المدينة لقيه طلحة قادمًا من الشام في عير، فكسا رسول الله وأبا بكر من

---

(٦٢٨) الإصابة (٢/ ٢٢٠)، والاستيعاب لابن عبد البر على حاشية الإصابة (٢/ ٢١٠).
(٦٢٩) فتح الباري (٧/ ٨٢).
(٦٣٠) الإصابة (٢/ ٢٢٠).
(٦٣١) المصدر السابق (٤/ ٣٣٧)، فتح الباري (٧/ ٨٢).
(٦٣٢) المستدرك للحاكم (٣/ ٣٦٩) عقيدة أهل السنة في الصحابة (١/ ٢٢٨).
(٦٣٣) حرة: هي الأرض الغليظة ذات الحجارة السود النخرات.
(٦٣٤) سباخ: جمع سبخة، وهي أرض ذات نز وملح.
(٦٣٥) البداية والنهاية (٧/ ٢٥٨).

ثياب الشام ثم مضى طلحة إلى مكة حتى فرغ من حاجته ثم خرج بعد ذلك بآل أبي بكر فهو الذي قدم بهم المدينة، فطلحة من المهاجرين الأولين رضي الله عنهم[٦٣٦]، ولما قدم طلحة المدينة آخى رسول الله بينه وبين أبي أيوب الأنصاري[٦٣٧]، وقيل: كعب بن مالك الأنصاري، حين آخى بين المهاجرين والأنصار[٦٣٨].

٢- في غزوة بدر:

كان طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه كلف بتحسس عير قريش، وذلك لما تحين رسول الله (ﷺ) وصول عير من الشام لقريش، فقد بعث (ﷺ) طلحة وسعيد بن زيد رضي الله عنهما يأتيانه بالأخبار، فخرجا وبلغا الحوراء، فلم يزالا مقيمين هناك حتى مرت العير، فتساحلت، فعادا إلى المدينة بالأخبار، فكان رسول الله (ﷺ) قد خرج بالمسلمين في غزوة بدر، فأسرعا لينضما إلى الجيش، إلا أنهما لم يدركا المعركة، وضرب لهما رسول الله (ﷺ) بسهمهما وأجورهما، سهم كالمقاتلين، وأجر كالمجاهدين[٦٣٩].

٣- في غزوة أحد، أوجب طلحة رضي الله عنه:

عن جابر قال: لما كان يوم أحد وولى الناس كان رسول الله (ﷺ) في ناحية في اثني عشر رجلاً منهم طلحة، فأدركه المشركون، فقال النبي (ﷺ): «**من للقوم؟**» قال طلحة: أنا، قال: «**كما أنت**». فقال رجل من الأنصار: أنا، قال: «**أنت**» فقاتل حتى قتل. ثم التفت، فإذا المشركون فقال: «**من لهم؟**» قال طلحة: أنا، قال: «**كما أنت**» فقال رجل من الأنصار: أنا، قال: «**أنت**» فقاتل حتى قتل، فلم يزل كذلك حتى بقي مع نبي الله (طلحة) فقال: «**من للقوم؟**» قال طلحة: أنا فقاتل طلحة قتال الأحد عشر، حتى قطعت أصابعه فقال: حسي. فقال رسول الله (ﷺ): «**لو قلت: بسم الله لرفعتك الملائكة والناس ينظرون**». ثم رد الله المشركين[٦٤٠]، وعند أحمد. فقال له النبي (ﷺ): «**لو قلت بسم الله لرأيت يبني لك بها بيت في الجنة وأنت حي في الدنيا**»[٦٤١]، وعن قيس بن حازم قال: رأيت يد طلحة شلاء وقى بها النبي (ﷺ) يوم أحد[٦٤٢]، وجرح في تلك الغزوة تسعًا وثلاثين أو خمسًا وثلاثين وشلت إصبعه أي السبابة والتي تليها[٦٤٣]، وروى أبو داود الطيالسي عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان أبو بكر إذا ذكر يوم أحد قال: ذلك اليوم كله لطلحة[٦٤٤]، وعن عائشة وأم

---

(٦٣٦) البداية والنهاية (٧/ ٢٥٨) فرسان من عصر النبوة ص ٢٢٥.

(٦٣٧) البداية والنهاية (٧/ ٢٥٨).

(٦٣٨) فرسان من عصر النبوة ص ٢٢٥، الاستيعاب لابن عبد البر.

(٦٣٩) الحاكم في المستدرك (٣/ ٣٦٩) الاستيعاب(٤١٨٨).

(٦٤٠) السلسلة الصحيحة رقم ٢١٧١، الحديث حسن بمجموع طرقه.

(٦٤١) فضائل الصحابة رقم ١٢٩٤ إسناده صحيح.

(٦٤٢) البخاري رقم ٤٠٦٣.

(٦٤٣) البخاري (٧/ ٣٦١) أصحاب الرسول (١/ ٢٦٤).

(٦٤٤) فتح الباري (٧/ ٣٦١).

إسحاق بنت طلحة قالتا: جرح أبونا يوم أحد أربعًا وعشرون جراحة، وقع منها في رأسه شجة مربعة، وقطع نساه يعني العرق وشلت أصبعه، وكان سائر الجراح في جسده وغلبه الغشي - الإغماء - ورسول الله (ﷺ) يرجع به القهقرى؛ كلما أدركه أحد من المشركين، قاتل دونه حتى أسنده إلى الشعب(٦٤٥)، حتى قال عنه (ﷺ): «**أوجب طلحة حين صنع برسول الله ما صنع**»(٦٤٦).

٤- شهيد يمشي على الأرض:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله (ﷺ) كان على جبل حراء، فتحرك. فقال رسول الله: «**اسكن حراء فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد**»، وعليه النبي (ﷺ) وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنهم(٦٤٧)، فلما علم طلحة بأنه سيموت شهيدًا وذلك بعد أن سمع تلك البشرى من الحبيب المصطفى (ﷺ) ظل يبحث عن الشهادة في مظانها، فشهد المشاهد كلها مع النبي (ﷺ) عدا غزوة بدر(٦٤٨)، فقد كان في مهمة كلفه بها رسول الله (ﷺ) كما مر معنا وقال عنه النبي (ﷺ): «**من أحب أن ينظر إلى شهيد يمشي على وجه الأرض فلينظر إلى طلحة بن عبيد الله**»(٦٤٩).

٥- من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه:

عن موسى وعيسى ابني طلحة عن أبيهما أن أصحاب رسول الله (ﷺ) قالوا لأعرابي جاء يسأل رسول الله عمن قضى نحبه من هو؟فكانوا لا يجترئون على مسألته يوقرونه ويهابونه قال: فسأله الأعرابي فأعرض عنه ثم سأله فأعرض عنه ثم إني اطلعت من باب المسجد - يعني طلحة - وعلي ثياب خضر فلما رآني رسول الله (ﷺ): قال: «**أين السائل عمن قضى نحبه؟**» قال الأعرابي: أنا يا رسول الله، قال: «**هذا ممن قضى نحبه**»(٦٥٠).

٦- دفاعه عن إخوانه وإحسان الظن بهم:

عن مالك بن أبي عامر، قال: جاء رجل إلى طلحة فقال: أرأيتك هذا اليماني، هو أعلم لحديث رسول الله منكم - يعني أبا هريرة - نسمع منه أشياء لا نسمعها منكم، قال: أما إنه قد سمع من رسول الله (ﷺ) ما لم نسمع، فلا أشك، وسأخبرك أنا كنا أهل بيوت، وكنا إنما نأتي رسول الله، غدوة وعشية وكان مسكينا لا مال له أبوهريرة إنما هو على باب رسول الله، فلا أشك أنه قد سمع ما لم نسمع، وهل تجد أحدًا فيه خير يقول على رسول الله ما لم يقل(٦٥١).

---

(٦٤٥) سير أعلام النبلاء (١/ ٣٢).
(٦٤٦) صحيح الجامع للألباني رقم ٢٥٤٠.
(٦٤٧) مسلم رقم ٢٤١٧. (٦٤٨) أصحاب الرسول (١/ ٢٦٠).
(٦٤٩) رواه الترمذي والحاكم وصححه الألباني في صحيح الجامع ٥٩٦٢.
(٦٥٠) رواه الترمذي بإسناد حسن رقم ٣٧٤٢.
(٦٥١) سير أعلام النبلاء (١/ ٣٧) إسناده حسن.

وفي هذه القصة درس مفيد في الدفاع عن العلماء والفقهاء الصالحين.

٧- إنفاقه في سبيل الله:

عن قبيصة بن جابر قال: صحبت طلحة، فما رأيت أعطى لجزيل مال من غير مسألة منه[٦٥٢]، وعن موسى عن أبيه طلحة أنه أتاه مال من حضرموت سبع مائة ألف، فبات ليلته يتململ. فقال: ما ظن رجل بربه يبيت وهذا المال في بيته؟ قالت امرأته: فأين أنت عن بعض أخلائك، فإذا أصبحت فادع بجفان وقصاع فقسمه. فقال لها: رحمك الله إنك موفقة بنت موفق، وهي أم كلثوم بنت الصديق، فلما أصبح، دعا بجفان، فقسمها بين المهاجرين والأنصار، فبعث إلى علي منها بجفنة، فقالت له زوجته: أبا محمد، أما كان لنا في هذا المال من نصيب؟ قال: فأين كنت منذ اليوم؟ فشأنك بما بقي قالت: فكانت صرة فيها نحو ألف درهم[٦٥٣]، وعن سعدى بنت عوف المرية، قالت: دخلت على طلحة يومًا وهو خاثر[٦٥٤]، فقلت: ما لك؟ لعل رابك من أهلك شيء؟ قال: لا والله، نعم خليلة المسلم أنت، ولكن مال عندي قد غمني فقلت: ما يغمك؟ عليك بقومك، قال: يا غلام ادع لي قومي، فقسمه فيهم، فسألت الخازن: كم أعطى؟ قال: أربع مائة ألف[٦٥٥]، وعن الحسن البصري أن طلحة بن عبيد الله باع أرضًا له بسبع مائة ألف فبات أرقًا من مخافة ذلك المال، حتى أصبح ففرقه[٦٥٦]، وعن علي بن زيد قال: جاء أعرابي إلى طلحة يسأله، فتقرب إليه برحم فقال: إن هذه لرحم ما سألني بها أحد قبلك، إن لي أرضًا قد أعطاني بها عثمان ثلاثمائة ألف فاقبضها، وإن شئت بعتها من عثمان ودفعت إليك الثمن فقال: الثمن، فأعطاه وكان رضي الله عنه لا يدع أحدًا من بني تيم عائلاً إلا كفاه، وقضى دينه، وكان يرسل لعائشة أم المؤمنين كل سنة بعشر آلاف[٦٥٧] إنه طلحة الخير، وطلحة الفياض، وطلحة الجود[٦٥٨]، وقد سماه رسول الله بالفياض لسعة عطائه وكثرة إنفاقه في وجوه الخير، فقد روى أبو عبد الله الحاكم بإسناده إلى موسى بن طلحة أن طلحة نحر جزورًا وحضر بئر يوم ذي قرد[٦٥٩]، فأطعمهم وسقاهم فقال النبي (ﷺ): «يا طلحة الفياض». فسمي طلحة الفياض[٦٦٠].

---

(٦٥٢) الحلية (١/ ٨٨)، سير أعلام النبلاء (١/ ٣٠).

(٦٥٣) سير أعلام النبلاء للذهبي (٣٠-٣١).

(٦٥٤) خاثر النفس: غير نشيط.

(٦٥٥) مجمع الزوائد (٩/ ١٤٨) قال الهيثمي: رواه الطبراني ورجاله ثقات.

(٦٥٦) سير أعلام النبلاء (١/ ٣٢).

(٦٥٧) المصدر نفسه (١/ ٣١).

(٦٥٨) تاريخ الإسلام، عهد الخلفاء الراشدين ص (٥٢٧).

(٦٥٩) البداية والنهاية (٧/ ٢٥٨).

(٦٦٠) ماء على ليلتين من المدينة بينهما وبين خيبر، النهاية (٤/ ٣٧).

٨- من فرائد أقواله ودرر جواهر كلامه:

فمن أقواله: إن أقل عيب الرجل جلوسه في بيته[٦٦١]، ومما حفظ عنه قوله: الكسوة تظهر النعمة، والإحسان إلى الخادم يكبت الأعداء[٦٦٢]، ولطلحة رضي الله عنه آراء ثاقبة وصحيحة في الناس، فكان لا يشاور بخيلاً في صلة، ولا جبانا في حرب[٦٦٣].

٩- شهادة طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه:

لما حضر يوم الجمل واجتمع به علي فوعظه تأخر فوقف في بعض الصفوف، فجاءه سهم غرب فوقع في ركبته وقيل: في رقبته، والأول أشهر، وانتظم السهم مع ساقه وخاصرة الفرس فجمح به حتى كاد يلقيه، وجعل يقول: إلى عباد الله فأدركه مولى له فركب وراءه وأدخله البصرة فمات بدار فيها، ويقال: إنه مات بالمعركة، وإن عليا لما دار بين القتلى رآه فجعل يمسح عن وجهه التراب[٦٦٤] ثم قال: عزيز علي أبا محمد أن أراك مجندلاً في الأودية، ثم قال: إلى الله أشكو عجري وبجري[٦٦٥] وترحم عليه وقال: ليتني مت قبل هذا بعشرين سنة[٦٦٦]، ولا شك أن طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه من أهل الجنة، فقد روى الترمذي بإسناده إلى عبد الرحمن بن عوف قال. قال رسول الله (ﷺ): «**أبو بكر في الجنة وعمر في الجنة وعثمان في الجنة وعلي في الجنة وطلحة في الجنة وسعد في الجنة وأبو عبيدة في الجنة وسعيد بن الجراح في الجنة**». ثم قال: وقد روي هذا الحديث عن عبد الرحمن بن حميد عن أبيه عن سعيد بن زيد عن النبي (ﷺ) نحو هذا[٦٦٧] ففي هذا الحديث منقبة واضحة لطلحة رضي الله عنه حيث شهد له النبي (ﷺ) أنه من أهل الجنة وأكرم بها من شهادة فإنها تضمنت الإخبار بسعادته في الدنيا والآخرة[٦٦٨].

١٠- حفظ الله له بعد موته:

إن الله حفظ جسد طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه بعد موته، فقد فتح قبره بعد أكثر من ثلاثين عاما ونقلوه إلى مكان آخر فلم يتغير منه إلا شعيرات في إحدى شقي لحيته، فعن المثنى بن سعيد قال: أتى رجل عائشة بنت طلحة فقال: رأيت طلحة في المنام فقال: قل لعائشة تحولني من هذا المكان فإن النز الرطوبة أو الماء قد آذاني. فركبت في حشمها فضربوا

---

(٦٦١) المستدرك (٣/ ٣٧٤)، حديث صحيح الإسناد ولم يخرجه. مختصر تاريخ دمشق (١١/ ٢٠٣)، يقصد أن العزلة بعد عن الاهتمام.

(٦٦٢) فرسان من عصر النبوة ص ٢٣٧.

(٦٦٣) فرسان من عصر النبوة ص ٢٣٧.

(٦٦٤) البداية والنهاية (٧/ ٢٥٨).

(٦٦٥) سرائري وأحزاني التي تموج في جوفي.

(٦٦٦) تاريخ الإسلام، عهد الخلفاء الراشدين (٥٢٨).

(٦٦٧) أخرجه أبو داود (٤٧٤٩)، الترمذي ٣٧٥٧ حديث حسن.

(٦٦٨) عقيدة أهل السنة (١/ ٢٩٣).

عليه بناء واستثاروه. قال: فلم يتغير منه إلا شعيرات في إحدى شقي لحيته، أو قال: رأسه، وكان بينهما بضع وثلاثون سنة(٦٦٩)، فرضي الله عن طلحة وسائر الصحابة أجمعين.

١١- سعد بن أبي وقاص يدعو على من يقع في عثمان وعلي وطلحة والزبير رضي الله عنهم:

عن سعيد بن المسيب أن رجلاً كان يقع في طلحة والزبير وعثمان وعلي رضي الله عنهم فجعل سعد ينهاه ويقول: لا تقع في إخواني، فأبى فقام فصلى ركعتين ثم قال: اللهم إن كان سخطًا لك فيما يقول، فأرني فيه اليوم آيه واجعله للناس عبرة، فخرج الرجل فإذا ببختي يشق الناس فأخذه بالبلاط فوضعه بين كركرته(٦٧٠) والبلاط فسحقه حتى قتله. قال سعيد بن المسيب: فأنا رأيت الناس يتبعون سعدًا ويقولون: هنيئًا لك أبا إسحاق أجيبت دعوتك(٦٧١).

---

(٦٦٩) أصحاب الرسول (١/ ٢٧٠).
(٦٧٠) الكركرة: الصدر.
(٦٧١) البداية والنهاية(٧/ ٢٥٩).

المبحث الثاني
معركة صفين (٣٧هـ)

أولاً: تسلسل الأحداث التي قبل المعركة:

(١) أم حبيبة بنت أبي سفيان، ترسل النعمان بن بشير بقميص عثمان إلى معاوية وأهل الشام:

لما قتل عثمان رضي الله عنه: أرسلت أم المؤمنين، أم حبيبة بنت أبي سفيان إلى أهل عثمان: أرسلوا إلي بثياب عثمان التي قتل فيها، فبعثوا إليها بقميصه مضرجًا بالدم، وبخصلة الشعر التي نتفت من لحيته، ثم دعت النعمان بن بشير، فبعثته إلى معاوية، فمضى بذلك وبكتابها[٦٧٢]. وجاء في رواية: خرج النعمان بن بشير ومعه قميص عثمان مضمخ بالدماء، ومعه أصابع نائلة التي أصيبت حين دافعت عنه بيدها[٦٧٣]، وكانت نائلة بنت الفرافصة الكلبية زوج عثمان كلبية شامية[٦٧٤]، فورد النعمان على معاوية بالشام، فوضعه معاوية على المنبر ليراه الناس، وعلق الأصابع في كم القميص يرفع تارة ويوضع تارة، والناس يتباكون حوله، وحث بعضهم بعضًا على الأخذ بثأره[٦٧٥]، وجاء شرحبيل بن السمط الكندي وقال لمعاوية: كان عثمان خليفتنا، فإن قويت على الطلب بدمه، وإلا فاعتزلنا[٦٧٦]، وآلى رجال الشام ألا يمسوا النساء ولا يناموا على الفرش حتى يقتلوا قتلة عثمان ومن عرض دونهم بشيء أو تفنى أرواحهم[٦٧٧]، وكان ذلك ما يريده معاوية، فقد كانت الصورة التي نقلها النعمان بن بشير إلى أهل الشام بشعة: مقتل الخليفة، سيوفًا مصلتة من الغوغاء على رقاب الناس، بيت المال منتهكًا مسلوبًا، وأصابع نائلة مقطوعة، فهاجت النفوس والعواطف، واهتزت المشاعر، وتأثرت بها القلوب، وذرفت منها العيون ولا غرابة بعد هذا إطلاقًا أن نرى إصرار معاوية ومن معه من أهل الشام بالإصرار على المطالبة بدم عثمان، وتسليم القتلة للقصاص قبل البيعة، وهل نتصور أن يتم مقتل أمير المؤمنين وسيد المسلمين من حاقدين محتلين متآمرين، ولا يتماوج العالم الإسلامي من أقصاه إلى أقصاه للقصاص من أصحاب هذه الجريمة البشعة[٦٧٨]؟

(٢) دوافع معاوية في عدم البيعة:

كان معاوية رضي الله عنه واليًا على الشام في عهد عمر وعثمان رضي الله عنهما، ولما

---

(٦٧٢) تاريخ الإسلام، عهد الخلفاء الراشدين ص (٥٣٩). (٦٧٣) البداية والنهاية (٧/ ٥٣٩).
(٦٧٤) تاريخ الدعوة الإسلامية محمد جميل ص ٣٩٨.
(٦٧٥) البداية والنهاية (٧/ ٥٣٩) سندها ضعيف.
(٦٧٦) الأنساب (٤/ ٤١٨) تاريخ الدعوة الإسلامية ص ٣٩٨.
(٦٧٧) تاريخ الطبري (٥/ ٦٠٠).
(٦٧٨) معاوية بن أبي سفيان للغضبان من ١٧٨ ـ ١٨٣.

تولى الخلافة علي أراد عزله وتولية عبد الله بن عمر، فاعتذر ابن عمر، فأرسل علي سهل ابن حنيف بدلاً منه، إلا أنه ما كاد يصل مشارف الشام (وادى القرى) حتى عاد من حيث جاء إذ لقيته خيل لمعاوية عليها حبيب بن مسلمة الفهري، فقالوا له: إن كان بعثك عثمان فحيهلا بك وإن كان بعثك غيره فارجع[٦٧٩] لقد امتنع معاوية وأهل الشام عن البيعة ورأوا أن يقتص علي رضي الله عنه من قتلة عثمان ثم يدخلون البيعة[٦٨٠]، وقالوا: لا نبايع من يأوي القتلة[٦٨١]، وتخوفوا على أنفسهم من قتلة عثمان الذين كانوا في جيش علي، فرأوا أن البيعة لعلي لا تجب عليهم، وأنهم إذا قوتلوا على ذلك كانوا مظلومين قالوا: لأن عثمان قتل مظلومًا باتفاق المسلمين، وقتلته في عسكر علي، وهم غالبون لهم شوكة، فإذا بايعنا ظلمونا واعتدوا علينا وضاع دم عثمان، وكان معاوية رضي الله عنه يرى أن عليه مسؤولية الانتصار لعثمان والقود من قاتليه فهو ولي دمه والله يقول: ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا﴾ [الإسراء: ٣٣] لذلك جمع معاوية الناس، وخطبهم بشأن عثمان وأنه قتل مظلومًا على يد سفهاء منافقين لم يقدروا الدم الحرام؛ إذ سفكوه في الشهر الحرام في البلد الحرام، فثار الناس، واستنكروا وعلت الأصوات وكان منهم عدد من أصحاب رسول الله (ﷺ)، فقام أحدهم واسمه مرة بن كعب فقال: لولا حديث سمعته من رسول الله (ﷺ) ما تكلمت، وذكر الفتن وقربها، فمر رجل متقنع في ثوب، فقال: «**هذا يومئذ على الهدى**»، فقمت إليه، فإذا هو عثمان بن عفان، فأقبلت عليه بوجهه فقلت: هذا؟ قال: «**نعم**» [٦٨٢] . وهناك حديث آخر له تأثير في طلب معاوية القود من قتلة عثمان ومنشطًا ودافعًا قويا للتصميم على تحقيق الهدف، وهو: عن النعمان بن بشير عن عائشة رضي الله عنها قالت: أرسل رسول الله (ﷺ) . . فكان من آخر كلمة أن ضرب منكبه، فقال: «**يا عثمان إن الله عسى أن يلبسك قميصًا فإن أرادك المنافقون على خلعه فلا تخلعه حتى تلقاني**» ثلاثًا فقلت لها: يا أم المؤمنين فأين كان هذا عنك؟ قالت: نسيته والله ما ذكرته قال: فأخبرته معاوية بن أبي سفيان فلم يرض بالذي أخبرته حتى كتب إلى أم المؤمنين أن اكتبي إلي به، فكتبت إليه به كتابًا[٦٨٣].

لقد كان الحرص الشديد على تنفيذ حكم الله في القتلة السبب الرئيسي في رفض أهل الشام بزعامة معاوية بن أبي سفيان بيعة علي بن أبي طالب ورأوا أن تقديم حكم القصاص مقدم على البيعة، وليست لأطماع معاوية في ولاية الشام، أو طلبه ما ليس له بحق؛ إذ كان يدرك إدراكًا تامًا أن هذا الأمر في بقية الستة من أهل الشورى وأن عليًا أفضل منه وأولى بالأمر منه[٦٨٤]، وقد انعقدت البيعة له بإجماع الصحابة بالمدينة وكان اجتهاد معاوية يخالف

(٦٧٩) تاريخ الطبري (٥/ ٤٦٦).
(٦٨٠) البداية والنهاية (٧/ ١٢٩).
(٦٨١) العواصم من القواصم ص ١٦٢ .
(٦٨٢) صحيح سنن ابن ماجه (١/ ٢٤٠).
(٦٨٣) مسند أحمد رقم ٢٤٠٥٤، حديث صحيح.
(٦٨٤) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد علي ص ١١٢ .

الصواب.

(٣) معاوية يرد على أمير المؤمنين علي رضي الله عنهما:

بعث علي رضي الله عنه كتبًا كثيرة إلى معاوية فلم يرد عليه جوابها وتكرر ذلك مرارًا إلى الشهر الثالث من مقتل عثمان في صفر، ثم بعث معاوية طومارًا[(٦٨٥)] مع رجل، فدخل به على علي فقال له علي: ما وراءك؟ قال: جئتك من عند قوم لا يريدون إلا القود[(٦٨٦)]، كلهم موتور[(٦٨٧)]، تركت ستين ألف شيخ يبكون تحت قميص عثمان، وهو على منبر دمشق، فقال علي: اللهم إني أبرأ إليك من دم عثمان. ثم خرج رسول معاوية من بين يدي علي فهم به أولئك الخوارج الذين قتلوا عثمان يريدون قتله، فما أفلت إلا بعد جهد[(٦٨٨)].

(٤) تجهيز أمير المؤمنين علي لغزو الشام واعتراض الحسن على ذلك:

بعد وصول رد معاوية لأمير المؤمنين علي، عزم الخليفة على قتال أهل الشام، كتب إلى قيس بن سعد بمصر يستنفر الناس لقتالهم، وإلى أبي موسى بالكوفة، وبعث إلى عثمان بن حنيف بذلك، وخطب الناس فحثهم على ذلك، وعزم على التجهز، وخرج من المدينة، واستخلف عليها قثم بن العباس، وهو عازم أن يقاتل بمن أطاعه من عصاه وخرج عن أمره ولم يبايعه مع الناس، وجاء إليه ابنه الحسن بن علي فقال: يا أبت دع هذا فإن فيه سفك دماء المسلمين، ووقوع الاختلاف بينهم، فلم يقبل منه ذلك، بل صمم على القتال، ورتب الجيش، فدفع اللواء إلى محمد ابن الحنفية، وجعل ابن العباس على الميمنة، وعمر بن أبي سلمة على الميسرة، وقيل: جعل على الميسرة عمرو بن سفيان بن عبد الأسد، وجعل على مقدمته أبا ليلى بن عمر بن الجراح ابن أخي أبي عبيدة، واستخلف على المدينة قثم بن العباس ولم يبق شيء إلا أن يخرج من المدينة قاصدًا الشام، حتى جاءه ما شغله عن ذلك[(٦٨٩)] - وقد تم تفصيل ذلك - من خروج عائشة وطلحة والزبير إلى البصرة إلى معركة الجمل.

(٥) بعد معركة الجمل، أرسل أمير المؤمنين علي جرير بن عبد الله إلى معاوية:

ذُكر أن المدة بين خلافة أمير المؤمنين علي إلى فتنة السبئية الثانية أو ما يسمى البصرة أو معركة الجمل، خمسة أشهر وواحد وعشرون يومًا، وبين دخوله الكوفة شهرًا، وبين ذلك وخروجه إلى صفين ستة أشهر[(٦٩٠)]، وروي شهرين أو ثلاثة[(٦٩١)] وقد كان دخول أمير المؤمنين الكوفة يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من رجب سنة ست وثلاثين، فقيل له: انزل

---

(٦٨٥) الطومار: الصحيفة.
(٦٨٦) القود: القتل بالقتيل.
(٦٨٧) الموتور: صاحب الثأر.
(٦٨٨) البداية والنهاية (٧/ ٢٤٠).
(٦٨٩) البداية والنهاية (٧/ ٢٤٠، ٢٤١).
(٦٩٠) مروج الذهب (٢/ ٣٦٠).
(٦٩١) التاريخ الصغير للبخاري (١/ ١٠٢).

بالقصر الأبيض، فقال: لا، إن عمر بن الخطاب كان يكره نزوله، فأنا أكره لذلك فنزل في الرحبة وصلى بالجامع الأعظم ركعتين ثم خطب الناس فحثهم على الخير، ونهاهم عن الشر ومدح أهل الكوفة في خطبته هذه، ثم بعث إلى جرير بن عبد الله وكان على همذان من زمان عثمان وإلى الأشعث بن قيس وهو على نيابة أذربيجان من أيام عثمان يأمرهما أن يأخذا البيعة له على من هنالك ثم يقبلا إليه، ففعلا ذلك، فلما أراد علي أن يبعث إلى معاوية رضي الله عنه يدعوه إلى بيعته، قال جرير بن عبد الله البجلي: أنا أذهب إليه يا أمير المؤمنين، فإن بيني وبينه ودا، فآخذ لك البيعة منه فقال الأشتر: لا تبعثه يا أمير المؤمنين، فإني أخشى أن يكون هواه معه، فقال علي: دعه، فبعثه وكتب معه كتابًا إلى معاوية يعلمه باجتماع المهاجرين والأنصار على بيعته ويخبره بما كان في وقعة الجمل، ويدعوه إلى الدخول فيما دخل فيه الناس، فلما انتهى إليه جرير بن عبد الله، أعطاه الكتاب وطلب معاوية عمرو بن العاص ورؤوس أهل الشام فاستشارهم، فأبوا أن يبايعوا حتى يقتل قتلة عثمان، أو أن يسلم إليهم قتلة عثمان، وإن لم يفعل قاتلوه ولم يبايعوه حتى يقتلهم عن آخرهم. فرجع جرير إلى علي فأخبره بما قالوا، فقال الأشتر: ألم أنهك يا أمير المؤمنين أن تبعث جريرًا؟ فلو كنت بعثتني لما فتح معاوية بابًا إلا أغلقته. فقال له جرير: لو كنت ثم لقتلوك بدم عثمان. فقال الأشتر: والله لو بعثتني لم يعنني جواب معاوية ولأعجلنه عن الفكرة ولو أطاعني فيك أمير المؤمنين، لحبسك وأمثالك حتى يستقيم أمر هذه الأمة.

فقام جرير مغضبًا فأقام بقرقيسياء، وكتب إلى معاوية يخبره بما قال وقيل له، فكتب إليه معاوية يأمره بالقدوم عليه[٦٩٢]. وهكذا كان الأشتر سببًا في إبعاد الصحابي جرير بن عبد الله الذي كان واليًا على قرقيسياء وعلى غيرها ورأسا في قبيلته بجيلة، ويضطره إلى مفارقة أمير المؤمنين علي وهذا الصحابي جرير بن عبد الله البجلي قال: ما رآني رسول الله (ﷺ) إلا تبسم في وجهي، وقال (ﷺ): «**يطلع عليكم من هذا الباب رجل من خير ذي يمن، على وجهه مسحة ملك**»[٦٩٣].

٦- مسير أمير المؤمنين إلى الشام:

استعد أمير المؤمنين علي لغزو الشام، فبعث يستنفر الناس[٦٩٤] وجهز جيشًا ضخمًا اختلفت الروايات في تقديره، وكلها روايات ضعيفة[٦٩٥] إلا رواية واحدة حسنة الإسناد ذكرت أنه سار في خمسين ألفا[٦٩٦].

---

(٦٩٢) البداية والنهاية (٧/ ٢٦٥).
(٦٩٣) مسلم رقم ٢٤٧٥.
(٦٩٤) الإصابة (١/ ١٢٣-١٢٤) نقلاً عن الحاكم بسند حسن.
(٦٩٥) من قال: مائة وخمسين ألفًا أو يزيدون البداية والنهاية (٧/ ٢٦٠) مائة وعشرين ألفًا، المعرفة والتاريخ (٣/ ١٣) بسند منقطع، وقدر بتسعين ألفًا، التاريخ خليفة بن خياط ص١٩٣.
(٦٩٦) تاريخ خليفة ص ١٩٣ بسند حسن.

وكان مكان تجمع جند أمير المؤمنين بالنخيلة(٦٩٧)، وهو على ميلين من الكوفة آنذاك، فتوافدت عليه القبائل من شتى إقليم العراق(٦٩٨)، واستعمل أمير المؤمنين علي أبا مسعود الأنصاري، وبعث من النخيلة زياد بن النضر الحارثي طليعة في ثمانية آلاف مقاتل، وبعث شريح بن هانئ في أربعة آلاف، ثم خرج علي رضي الله عنه بجيشه إلى المدائن (بغداد) فانضم إليه فيها من المقاتلة وولى عليها سعد بن مسعود الثقفي، ووجه منها طليعة في ثلاثة آلاف إلى الموصل(٦٩٩)، وسلك رضي الله عنه طريق الجزيرة الرئيسي على شط الفرات الشرقي حتى بلغ قرب قرقيسياء(٧٠٠)، فأتته الأخبار بأن معاوية قد خرج لملاقاته وعسكر بصفين، فتقدم علي إلى الرقة(٧٠١)، وعبر منها الفرات غربًا ونزل على صفين(٧٠٢).

(٧) خروج معاوية إلى صفين:

كان معاوية جادًا في مطاردة قتلة عثمان رضي الله عنه فقد استطاع أن يترصد بجماعة ممن غزا المدينة من المصريين أثناء عودتهم وقتلهم ومنهم أبو عمرو بن بديل الخزاعي(٧٠٣)، ثم كانت له أيد في مصر وشيعة في أهل «خربتا» تطالب بدم عثمان رضي الله عنه، وقد استطاعت هذه الفرقة من إيقاع الهزيمة بمحمد بن أبي حذيفة في عدة مواجهات عام ٣٦ هـ، كما استطاع أيضًا أن يوقع برؤوس مدبري ومخططي غزو المدينة من المصريين، مثل عبد الرحمن بن عديسى، وكنانة بن بشر، ومحمد بن حذيفة، فحبسهم في فلسطين، وذلك في الفترة التي سبقت خروجه إلى صفين ثم قتلهم في شهر ذي الحجة عام ٣٦هـ(٧٠٤). وعندما علم معاوية بتحرك جيش العراق نحو صفين جمع مستشاريه من أعيان أهل الشام، وخطب فيهم وقال: إن عليا نهض إليكم في أهل العراق... فقال ذو الكلاع الحميري: عليك أمر علي وعلينا أمر معاوية(٧٠٥)(٧٠٦).

وكان أهل الشام قد بايعوا معاوية على الطلب بدم عثمان رضي الله عنه والقتال(٧٠٧)، وقد قام عمرو بن العاص رضي الله عنه بتجهيز الجيش وعقد الألوية، وقام في الجيش خطيبًا

---

(٦٩٧) موقع قرب الكوفة من جهة الشام، معجم البلدان (٥/ ٢٧٨).
(٦٩٨) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد ص ١٨٨.
(٦٩٩) تاريخ الطبري (٥/ ٦٠٣) بسند حسن إلى عوانة منقطعاً.
(٧٠٠) قرقيسياء: بلد يقع على نهر الخابور عند مصبه في الفرات- معجم البلدان (٤/ ٣٢٨).
(٧٠١) الرقة: مدينة مشهورة- في سوريا اليوم- على نهر الفرات الشرقي معجم البلدان(٣/ ١٥٣).
(٧٠٢) تاريخ الطبري (٥/ ٦٠٤).
(٧٠٣) المحن لأبي العرب التميمي ص ١٢٤، خلافة علي، عبد الحميد ص١٩١.
(٧٠٤) خلافة علي، عبد الحميد ص ١٩١.
(٧٠٥) لغة حمير في إبدال أم - بدل التعريف.
(٧٠٦) الإصابة (١/ ٤٨٠)، خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد ص ١٩٢.
(٧٠٧) أنساب الأشراف (٢/ ٥٢) بسند منقطع، خلافة علي ص ١٩٢.

يحرضهم، فقال: إن أهل العراق قد فرقوا جمعهم وأوهنوا شوكتهم، وفلوا حدهم، ثم إن أهل البصرة المخالفين لعلي قد وترهم وقتلهم، وقد تفانت صناديدهم وصناديد أهل الكوفة يوم الجمل، وإنما سار في شرذمة قليلة ومنهم من قد قتل خليفتكم، فالله الله في حقكم أن تضيعوه وفي دمكم أن تبطلوه[٧٠٨]. وسار معاوية في جيش ضخم، اختلفت الروايات في تقديره وكلها روايات منقطعة أسانيدها، وهي عين الروايات التي قدرت جيش علي رضي الله عنه، فقدر بمائة ألف وعشرين ألفا[٧٠٩]، وقدر بسبعين ألف مقاتل، وقدر بأكثر من ذلك بكثير[٧١٠] إلا أن الأقرب للصواب أنهم ستون ألف مقاتل، فهي وإن كانت منقطعة الإسناد إلا أن راويها صفوان بن عمرو السكسكي، حمصي من أهل الشام ولد عام (٧٢هـ) وهو ثبت ثقة، وقد أدرك خلقًا ممن شهد صفين، كما يتبين من دراسة ترجمته[٧١١] والإسناد إليه صحيح[٧١٢] وكان قادة جيش معاوية على النحو التالي: عمرو بن العاص، على خيول أهل الشام كلها، والضحاك بن قيس على رجالة الناس كلهم، ذو الكلاع الحميري، علي ميمنة الجيش، وحبيب بن مسلمة على ميسرة الجيش، وأبو الأعور السلمى على المقدمة هؤلاء هم القادة الكبار وتحت كل قائد من هؤلاء قادة وزعوا حسب القبائل، وكان هذا الترتيب عند مسيرهم إلى صفين، ولكن أثناء الحرب تغير بعض القادة وظهر قادة آخرون مما اقتضته الظروف، ولعل هذا يكون السبب في اختلاف أسماء القادة في بعض المصادر[٧١٣].

وبعث معاوية أبا الأعور السلمي مقدمة للجيش، وكان خط سيرهم إلى الشمال الشرقي من دمشق، ولما بلغ صفين أسفل الفرات، عسكر في مكان سهل فسيح، إلى جانب شريعة في الفرات، ليس في ذلك المكان شريعة غيرها، وجعلها في حيزه[٧١٤].

(٨) القتال على الماء:

وصل جيش علي رضي الله عنه إلى صفين، حيث عسكر معاوية، ولم يجد موضعًا فسيحًا سهلاً يكفي الجيش، فعسكر في موضع وعر نوعًا ما إذ أغلب الأرض صخور ذات كدى وأكمات[٧١٥]، ففوجئ جيش العراق بمنع معاوية عنهم الماء فهرع البعض إلى علي رضي الله عنه يشكو إليه هذا الأمر، فأرسل علي إلى الأشعث بن قيس فخرج في ألفين ودارت أول معركة بين الفريقين انتصر فيها الأشعث واستولى على الماء[٧١٦]، إلا أنه قد وردت رواية تنفي وقوع القتال من أصله مفادها أن الأشعث بن قيس جاء إلى معاوية فقال:

---

(٧٠٨) تاريخ الطبري (٥/ ٦٠١) بسند منقطع.
(٧٠٩) خلافة علي بن أبي طالب ص ١٩٤، المعرفة والتاريخ (٣/ ٣١٣).
(٧١٠) المصدر نفسه ص ١٩٤، تاريخ خليفة ص ١٩٣.
(٧١١) سير أعلام النبلاء(٦/ ٣٨٠).
(٧١٢) خلافة علي بن أبي طالب ص ١٩٤.
(٧١٣) امتداد العرب في صدر الإسلام، صالح العلي ص ٧٣، خلافة علي ص ١٩٤.
(٧١٤) صفين، نصر بن مزاحم ص (١٦٠- ١٦١).
(٧١٥) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد ص ١٩٦ ، النصر المبين .
(٧١٦) مصنف ابن أبي شيبة (١٥/ ٢٩٤) بسند حسن.

الله الله يا معاوية في أمة محمد (ﷺ) ! هبوا أنكم قتلتم أهل العراق، فمن للبعوث والذراري؟إن الله يقول: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾ [الحجرات: ٩] قال معاوية: فما تريد؟ قالوا: خلوا بيننا وبين الماء. فقال لأبي الأعور: خل بين إخواننا وبين الماء[٧١٧]، وقد كان القتال على الماء في أول يوم تواجها فيه في بداية شهر ذي الحجة فاتحة شر على الطرفين المسلمين؛ إذ استمر القتال بينهما متواصلاً طوال هذا الشهر، وكان القتال على شكل كتائب صغيرة، فكان علي رضي الله عنه يخرج من جيشه كتيبة صغيرة يؤمر عليها أميرًا، فتقتتلان مرة واحدة في اليوم في الغداة أو العشي، وفي بعض الأحيان يقتتلان مرتين في اليوم وكان أغلب من يخرج من أمراء الكتائب في جيش علي، الأشتر وحجر بن عدوي وشبث بن ربعي، وخالد بن المعتمر، ومعقل بن يسار الرياحي، ومن جيش معاوية أغلب من يخرج، حبيب بن مسلمة، وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد، وعبيد الله بن عمر ابن الخطاب، وأبو الأعور السلمي، وشرحبيل بن السمط، وقد تجنبوا القتال بكامل الجيش خشية الهلاك والاستئصال وأملاً في وقوع صلح بين الطرفين، تصان به الأرواح والدماء[٧١٨].

(٩) الموادعة بينهما ومحاولات الصلح:

ما إن دخل شهر المحرم، حتى بادر الفريقان إلى الموادعة والهدنة طمعًا في صلح يحفظ دماء المسلمين، فاستغلوا هذا الشهر في المراسلات بينهم، ولكن المعلومات عن مراسلات هذه الفترة شهر المحرم وردت من طرق ضعيفة[٧١٩] مشهورة ، إلا أن ضعفها لا ينفي وجودها. كان البادئ بالمراسلة، أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فأرسل بشير بن عمرو الأنصاري، وسعيد بن قيس الهمداني، وشبث بن ربعي التميمي إلى معاوية رضي الله عنه يدعوه كما دعاه من قبل إلى الدخول في الجماعة، والمبايعة فرد معاوية عليه برده السابق المعروف، بتسليم قتلة عثمان أو القود منهم أولاً، ثم يدخل في البيعة، وقد تبين لنا موقف علي من هذه القضية[٧٢٠]، كما أن قراء الفريقين، قد عسكروا في ناحية من صفين، وهم عدد كبير، قد قاموا بمحاولات للصلح بينهما، فلم تنجح تلك المحاولات لالتزام كل فريق منهما برأيه وموقفه[٧٢١]، وقد حاول اثنان من الصحابة وهما: أبو الدرداء، وأبو أمامة رضي الله عنهما الصلح بين الفريقين، فلم تنجح مهمتهما أيضًا ؛ لنفس الأسباب السابقة، فتركا الفريقين ولم يشهدا معهما أمرهما[٧٢٢]، وكذلك حضر مسروق بن الأجدع أحد كبار التابعين

(٧١٧) سير أعلام النبلاء (٢/ ٤١)، مرويات أبي مخنف ص ٢٩٦.
(٧١٨) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد ص ١٩٧، ١٩٨، البداية والنهاية (٧/ ٢٦٦) تاريخ الطبري (٥/ ٦١٤).
(٧١٩) تاريخ الطبري (٥/ ٦١٢، ٦١٣)، خلافة علي بن أبي طالب ص ١٩٩.
(٧٢٠) تاريخ الطبري (٥/ ٦١٣)، خلافة علي بن أبي طالب ص ١٩٩.
(٧٢١) المصدر نفسه (٥/ ٦١٤).
(٧٢٢) البداية والنهاية (٧/ ٢٧٠).

فوعظ، وخوف ولم يقاتل[٧٢٣]، وقد انتقد ابن كثير التفصيلات الطويلة التي جاءت في روايات أبي مخنف ونصر بن مزاحم، بخصوص المراسلات بين الطرفين فقال: «. . . ثم ذكر أهل السير كلامًا طويلاً جرى بينهم وبين علي، وفي صحة ذلك عنهم وعنه نظر ، فإن في مطاوي ذلك الكلام من علي ما ينتقص فيه معاوية وأباه وأنهم إنما دخلوا في الإسلام ولم يزالا في تردد غير ذلك وأنه قال في غبون ذلك: لا أقول إن عثمان قتل مظلومًا ولا ظالمًا؛ . . . وهذا عندي لا يصح من علي رضي الله عنه»[٧٢٤]. وموقف علي رضي الله عنه من قتل عثمان واضح وقد بينته في كتابي عن عثمان بن عفان رضي الله عنه، وفي هذا الكتاب.

ثانيا: نشوب القتال:

عادت الحرب على ما كانت عليه في شهر ذي الحجة من قتال الكتائب والفرق والمبارزات الفردية، خشية الالتحام الكلي إلى أن مضي الأسبوع الأول منه، وكان عدد الوقعات الحربية بين الفريقين إلى هذا التاريخ أكثر من سبعين وقعة وذكر أنها تسعون[٧٢٥] إلا أن عليًا أعلن في جيشه أن غدًا الأربعاء سيكون الالتحام الكلي لجميع الجيش ثم نبذ معاوية يخبره بذلك[٧٢٦]، فثار الناس في تلك الليلة إلى أسلحتهم يصلحونها ويحدونها، وقام عمرو ابن العاص بإخراج الأسلحة من المخازن لمن يحتاج من الرجال ممن فل سلاحه، وهو يحرض الناس على الاستبسال في القتال[٧٢٧] وبات جميع الجيشين في مشاورات وتنظيم للقيادات والألوية.

١- اليوم الأول:

أصبح الجيشان في يوم الأربعاء قد نظمت صفوفهم ووزعوا حسب التوزيع المتبع في المعارك الكبرى قلب، وميمنة، وميسرة، فكان جيش علي رضي الله عنه على النحو التالي[٧٢٨]: علي بن أبي طالب على القلب، وعبد الله بن عباس على الميسرة، وعمار بن ياسر على الرجالة، محمد بن الحنفية حامل الراية وهشام بن عتبة (المرقال) حامل اللواء، والأشعث بن قيس على الميمنة وأما جيش الشام، فمعاوية في كتيبة الشهباء أصحاب البيض والدروع على تل مرتفع وهو أمير الجيش، وعمرو بن العاص قائد خيل الشام كلها، وذو الكلاع الحميري على الميمنة على أهل اليمن، وحبيب بن مسلمة الفهري على الميسرة على مضر، والمخارق بن الصباح الكلاعي حامل اللواء[٧٢٩]، وتقابلت الجيوش الإسلامية

(٧٢٣) سير أعلام النبلاء (٤/ ٦٧) بدون إسناد.
(٧٢٤) البداية والنهاية (٧/ ٢٦٩).
(٧٢٥) الإنباء بتواريخ الخلفاء ص(٥٩)، صفين ص(٢٠٢)، شذرات الذهب (١/ ٤٥).
(٧٢٦) البداية والنهاية (٧/ ٢٧٣).
(٧٢٧) سنن سعيد بن منصور (٢/ ٢٤٠) ضعيف.
(٧٢٨) تاريخ خليفة بن خياط ص(١٩٣) بسند حسن إلى شاهد عيان.
(٧٢٩) تاريخ خليفة بن خياط ص(١٩٣) بسند حسن إلى شاهد عيان.

ومن كثرتها قد سدت الأفق ويقول كعب بن جعيل التغلبي أحد شعراء العرب(٧٣٠) وذلك عندما رأى الناس في ليلة الأربعاء وقد ثبتوا إلى نبالهم وسيوفهم يصلحونها استعدادًا لهذا اليوم:

أصبحت الأمة في أمر عجب والملك مجموع غدًا لمن غلب
فقلت قولا صادقًا غير كذب إن غدًا تهلك أعلام العرب(٧٣١)

وتذكر بعض الروايات الضعيفة أن عليًا خطب في جيشه ، وحرضهم على الصبر والإقدام والإكثار من ذكر الله(٧٣٢)، وتذكر أيضًا أن عمرو بن العاص، قد استعرض جيشه، وأمرهم بتسوية الصفوف وإقامتها(٧٣٣)، وهذه الروايات لا يوجد مانع من الأخذ بها؛ لأن كل قائد يحرض جيشه ويحمسه، ويهتم بكل ما يؤدي به إلى النصر، والتحم الجيشان في قتال عنيف، استمر محتدمًا إلى غروب الشمس لا يتوقف إلا لأداء الصلاة، ويصلي كل فريق في معسكره وبينهما جثث القتلى في الميدان تفصل بينهما، وسأل أحد أفراد جيش علي عليًا رضي الله عنه حين انصرافه من الصلاة، فقال: ما تقول في قتلانا وقتلاهم يا أمير المؤمنين؟ فقال: من قتل منا ومنهم يريد وجه الله والدار الآخرة دخل الجنة(٧٣٤) وقد صبر بعضهم على بعض فلم يغلب أحد أحدًا، ولم ير موليًا حتى انتهى ذلك اليوم. وفي المساء خرج علي رضي الله عنه إلى ساحة القتال فنظر إلى أهل الشام، فدعا ربه قائلاً: اللهم اغفر لي ولهم(٧٣٥).

٢- اليوم الثاني:

في يوم الخميس تذكر الروايات أن عليًا رضي الله عنه قد غلس بصلاة الفجر واستعد للهجوم، وغير بعض القيادات، فوضع عبد الله بن بديل الخزاعي على الميمنة بدلا من الأشعث بن قيس الكندي الذي تحول إلى الميسرة(٧٣٦)، وزحف الفريقان نحو بعضهما واشتبكوا في قتال عنيف أشد من سابقه، وبدأ أهل العراق في التقدم وأظهروا تفوقًا على أهل الشام واستطاع عبد الله بن بديل أن يكسر ميسرة معاوية وعليها حبيب بن مسلمة ويتقدم باتجاه كتيبة معاوية (الشهباء) وأظهر شجاعة وحماسًا منقطع النظير، وصاحب هذا التقدم الجزئي، تقدم عام لجيش العراق، حتى إن معاوية، قد حدثته نفسه بترك ميدان القتال، إلا أنه

---

(٧٣٠) شاعر تغلب في عصره، مخضرم، شهد صفين مع معاوية وهو شاعر معاوية بن أبي سفيان وأهل الشام، الأعلام للزركلي (٦/ ١٨٠).
(٧٣١) البداية والنهاية (٧/ ٢٧٣)، تاريخ الطبري (٥/ ٦٢٦).
(٧٣٢) تاريخ الطبري (٥/ ٦٢٢) من طريق أبي مخنف.
(٧٣٣) الطبقات (٤/ ٢٥٥) من طريق الواقدي.
(٧٣٤) سنن سعيد بن منصور (٢/ ٣٤٤-٣٤٥) بسند ضعيف.
(٧٣٥) مصنف ابن أبي شيبة (١٥/ ٢٩٧) بسند ضعيف.
(٧٣٦) تاريخ الطبري (٥/ ٦٣٠).

صبر وتمثل بقول الشاعر:

أبت لي عفتي وأبى بلائي — وأخذي الحمد بالثمن الربيح
وإكراهي على المكروه نفسي — وضربي هامة البطل المشيح
وقولي كلما جشأت وجاشت — مكانك تحمدي أو تستريحي(٧٣٧)

واستحث كتيبته الشهباء واستطاعوا قتل عبد الله بن بديل، فأخذ مكانه في قيادة الميمنة الأشتر، وتماسك أهل الشام وبايع بعضهم بعضًا على الموت، وكروا مرة أخرى بشدة وعزيمة وقتل عدد من أبرزهم ذو الكلاع، وحوشب وعبيد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما وانقلب الأمر لجيش الشام، وأظهر تقدمًا وبدأ جيش العراق في التراجع، واستحر القتل في أهل العراق وكثرت الجراحات ولما رأى علي جيشه في تراجع، أخذ يناديهم ويحمسهم، وقاتل قتالاً شديدًا واتجه إلى القلب حيث ربيعة، فثارت فيهم الحمية وبايعوا أميرهم خالد بن المعتمر على الموت وكانوا أهل قتال(٧٣٨).

وكان عمار بن ياسر رضي الله عنه قد جاوز الرابعة والتسعين عامًا، وكان يحارب بحماس، ويحرض الناس، ويستنهض الهمم ولكنه بعيد كل البعد عن الغلو، فقد سمع رجلاً بجواره يقول: كفر أهل الشام، فنهاه عمار عن ذلك وقال: إنما بغوا علينا، فنحن نقاتلهم لبغيهم، فإلهنا واحد ونبينا واحد، وقبلتنا واحدة(٧٣٩).

ولما رأى عمار رضي الله عنه تقهقر أصحابه، وتقدم خصومه، أخذ يستحثهم ويبين لهم أنهم على الحق ولا يغرنهم ضربات الشاميين الشديدة، فيقول رضي الله عنه: من سره أن تكتنفه الحور العين فليتقدم بين الصفين محتسبًا، فإني لأرى صفًا يضربكم ضربًا يرتاب منه المبطلون والذي نفسي بيده لو ضربونا حتى يبلغوا منا سعفات هجر، لعلمنا أنا على الحق وأنهم على الباطل لعلمنا أن مصلحينا على الحق وأنهم على الباطل(٧٤٠). ثم أخذ في التقدم، وفي يده الحربة ترعد لكبر سنه ويشتد على حامل الراية هاشم بن عتبة بن أبي وقاص ويستحثه في التقدم ويرغبه ويطمعه فيما عند الله من النعيم، ويطمع أصحابه أيضًا فيقول: أزفت الجنة وازينت الحور العين، من سره أن تكتنفه الحور العين، فليتقدم بين الصفين محتسبًا وكان منظر مؤثر فهو صحابي جليل مهاجري بدري جاوز الرابعة والتسعين يمتلك كل هذا الحماس، وهذا العزم والروح المعنوية العالية، واليقين الثابت، فكان عاملاً هامًا من عوامل حماس جيش العراق، ورفع روحهم المعنوية، مما زادهم عنفًا وضراوة، وتضحية في القتال، حتى استطاعوا أن يحولوا المعركة لصالحهم وتقدم هاشم بن عتبة بن أبي وقاص وهو يرتجز

---

(٧٣٧) تاريخ الطبري (٥/ ٦٣٦).

(٧٣٨) الإصابة (١/ ٤٥٤)، أنساب الأشراف (٢/ ٥٦) بسند حسن إلى قتادة مرسلاً.

(٧٣٩) مصنف ابن أبي شيبة (١٥/ ٢٩٠) الإسناد حسن لغيره.

(٧٤٠) مجمع الزوائد (٧/ ٢٤٣)، خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد ص(٢١٩) إسناده حسن.

بقوله:

أعــور يبــغي أهلـه مـحــلا ... قــد عـالج الحـيــاة حتى مــلا

لابد أن يُفَلّ أو يفلاّ(٧٤١)

وعـمــار يقـول: تقــدم يا هاشم، الجنة تحـت ظلال السـيـوف، والموت في أطراف الأسل(٧٤٢)، وقد فتحت أبواب السماء وتزينت الحور العين:

اليــوم ألقـى الأحـبــة ... مــحــمــداً وحــزبه(٧٤٣)

وعند غروب شـمس يوم الخمـيس، طلب عمـار شربة من لبن ثم قـال: إن رسول الله (ﷺ) قـال لي: «إن آخر شربة تشربهـا في الدنيا شربة لبن»(٧٤٤). ثم تقدم واستـحث معه حامل الراية هاشم بن عتبة بن أبي وقاص الزهري فلم يرجعا وقتلا(٧٤٥) رحمهما الله ورضي الله عنهما.

٣- ليلة الهرير يوم الجمعة:

عادت الحرب في نفس الليلة بشدة واندفاع لم تشـهدها الأيام السابقة، وكان اندفاع أهل العراق بحـماس وروح عالية حتـى أزالوا أهل الشام عن أماكنهم، وقاتل أمـير المؤمنين علي قتالا شديدًا وبايع على الموت(٧٤٦)، وذكر أن عليًا رضي الله عنه صلى بجيشه المغرب صلاة الخوف(٧٤٧)، وقال الشافعي: وحفظ عن علي أنه صلى صلاة الخوف ليلة الهرير(٧٤٨)، يقول شاهد عيان: اقـتتلنا ثلاثة أيام وثلاث ليالي حتى تكسرت الرماح ونفـذت السهام ثم صرنا إلى المسايفة فاجتلدنا بها إلى نصف الليل حتى صـرنا نعانق بعضنا بعضا ولما صارت السيوف كالمناجل تضاربنا بعمد الحديد فلا تسمع إلا غمغمة وهمهمة القوم ثم ترامينا بالحجارة وتحاثينا بالتراب وتعاضينا بالأسنان وتكادمنا بالأفواه إلى أن أصبحوا.

وفي يوم الجمـعة ارتفعت الشمس وإن كـانت لا ترى من غبار المعركـة وسقطت الألوية والرايات وأنهك الجيش التعب وكلت الأيدي وجفت الحلوق(٧٤٩).

ويقول ابن كثير في وصف ليلة الهرير ويوم الجمـعة: وتعاضوا بالأسنان يقتتل الرجلان

---

(٧٤١) تاريخ الطبري (٥/ ٦٥٢).

(٧٤٢) الأسل: الرماح.

(٧٤٣) تاريخ الطبري (٥/ ٦٥٢).

(٧٤٤) مصنف بن أبي شيبة (١٥/ ٣٠٢، ٣٠٣) بسند منقطع.

(٧٤٥) تاريخ الطبري (٥/ ٦٥٣).

(٧٤٦) المستدرك (٣/ ٤٠٢) قال الذهبي: ضعيف، خلافة علي ص(٢٢٦).

(٧٤٧) السنن الكبـرى للبيـهقي (٣/ ٢٥٢) قـال الألباني: رواه البـيهقي بـصيغـة التمـريض، إرواء الغليل (٣/ ٤٢).

(٧٤٨) تلخيص الحبير (٢/ ٧٨)، خلافة علي بن أبي طالب ص(٢٢٧).

(٧٤٩) شذرات الذهب (١/ ٤٥)، وقعة صفين ص(٣٦٩).

حتى يثخنا ثم يجلسان يستريحان وكل واحد منهما ليهمر على الآخر، ويهمر عليه ثم يقومان فيقتتلان كما كانا فإنا لله وإنا إليه لراجعون. ولم يزل ذلك دأبهم حتى أصبح الناس من يوم الجمعة وهم كذلك وصلى الناس الصبح إيماء وهم في القتال حتى تضاحا النهار وتوجه النصر لأهل العراق على أهل الشام(٧٥٠).

٤- الدعوة إلى التحكيم:

إن ما وصل إليه حال الجيشين بعد ليلة الهرير لم يكن يحتمل مزيد قتال، وجاءت خطبة الأشعث بن قيس زعيم كندة لأصحابه ليلة الهرير فقال: قد رأيتم يا معشر المسلمين ما قد كان في يومكم هذا الماضي، وما قد فني فيه من العرب، فوالله لقد بلغت من السن ما شاء الله أن أبلغ؛ فما رأيت مثل هذا قط، ألا فليبلغ الشاهد الغائب، إن نحن تواقفنا غدًا إنه لفناء العرب، وضيعة الحرمات، أما والله ما أقول هذه المقالة جزعًا من الحرب، ولكني رجل مسن، وأخاف على النساء والذراري غدًا إذا نحن فنينا، اللهم إنك تعلم أني قد نظرت لقومي ولأهل ديني فلم آل(٧٥١).

وجاء خبر ذلك إلى معاوية فقال: أصاب ورب الكعبة، لئن نحن التقينا غدًا لتميلن الروم على ذرارينا ونسائنا ولتميلن أهل فارس على أهل العراق وذراريهم وإنما يبصر هذا ذوو الأحلام والنهي ثم قال لأصحابه: اربطوا المصاحف على أطراف القنا(٧٥٢)- وهذه رواية عراقية لا ذكر فيها لعمرو بن العاص ولا للمخادعة والاحتيال وإنما كانت رغبة كلا الفريقين، ولن يضير معاوية أو عمرًا بشيء أن تأتي أحدهم الشجاعة فيبادر بذلك وينقذ ما تبقى من قوى الأمة المتصارعة إنما يزعج ذلك السبئية الذين أشعلوا نيران هذه الفتنة، وتركوا لنا ركامًا من الروايات المضللة بشأنها، وتحيل الحق باطلاً، وتجعل الفضل- كالمناداة لتحكيم القرآن لصون الدماء المسلمة - جريمة ومؤامرة(٧٥٣) وحيلة، ونسبوا لأمير المؤمنين علي أقوالاً مكذوبة تعارض ما في الصحيح على أنه قال: ما رفعوها ثم لا يرفعونها، ولا يعملون بما فيها، وما رفعوها لكم إلا خديعة ودهنًا ومكيدة(٧٥٤)، ومن الشتائم قولهم عن رفع المصاحف: إنها مشورة ابن العاهرة(٧٥٥)، ووسعوا دائرة الدعاية المضادة على عمرو بن العاص رضي الله عنه حتى لم تعد تجد كتابًا من كتب التاريخ إلا فيه انتقاص لعمرو بن العاص وأنه مخادع وماكر بسبب الروايات الموضوعة التي لفقها أعداء الصحابة الكرام، ونقلها الطبري، وابن الأثير

(٧٥٠) البداية والنهاية (٧/ ٢٨٣).
(٧٥١) وقعة صفين للمتغري ص(٤٧٩).
(٧٥٢) المصدر نفسه ص(٤٨١- ٤٨٤).
(٧٥٣) الدولة الإسلامية في عصر الخلفاء الراشدين ص(٣١٦).
(٧٥٤) الكامل (٢/ ٣٨٦).
(٧٥٥) تاريخ الطبري (٥/ ٦٦٢).

وغيرهم، فوقع فيها كثير من المؤرخين المعاصرين مثل حسن إبراهيم حسن في تاريخ الإسلام، ومحمد الخضري بك في تاريخ الدولة الأموية، وعبد الوهاب النجار في تاريخ الخلفاء الراشدين وغيرهم كثير، مما ساهم في تشويه الحقائق التاريخية الناصعة.

إن رواية أبي مخنف تفترض أن عليًا رفض تحكيم القرآن لما اقترحه أهل الشام، ثم استجاب بعد ذلك له تحت ضغط القراء الذين عرفوا بالخوارج فيما بعد(٧٥٦)، وهذه الرواية تحمل سبًا من علي لمعاوية وصحبه يتنزه عنه أهل ذاك الجيل المبارك فكيف بساداتهم وعلى رأسهم أمير المؤمنين علي، ويكفي للرواية سقوطًا أن فيها أبا مخنف الرافضي المحترق، فهي رواية لا تصمد للبحث النزيه ولا تقف أمام روايات أخرى لا يتهم أصحابها بهوى مثل ما يرويه الإمام أحمد بن حنبل من طريق حبيب بن أبي ثابت قال: أتيت أبا وائل أحد رجال علي بن أبي طالب، فقال: كنا بصفين، فلما استحر القتل بأهل الشام قال عمرو لمعاوية: أرسل إلى علي المصحف؛ فادعه إلى كتاب الله، فإنه لا يأبى عليك، فجاء به رجل فقال: بيننا وبينكم كتاب الله ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ﴾ [آل عمران: ٢٣]. فقال علي: نعم، أنا أولى بذلك، فقال القراء الذين صاروا بعد ذلك خوارج، بأسيافهم على عواتقهم فقالوا: يا أمير المؤمنين ألا نمشي إلى هؤلاء حتى يحكم الله بيننا وبينهم؟ فقام سهل بن حنيف الأنصاري رضي الله عنه فقال: أيها الناس اتهموا أنفسكم، لقد كنا مع رسول الله (ﷺ) يوم الحديبية، ولو نرى قتالاً لقاتلنا، وذلك في الصلح الذي بين رسول الله (ﷺ) وبين المشركين، ثم حدثهم عن معارضة عمر رضي الله عنه للصلح يوم الحديبية ونزول سورة الفتح على رسول الله (ﷺ) فقال علي: أيها الناس إن هذا فتح فقبل القضية ورجع، ورجع الناس(٧٥٧). وأظهر سهل بن حنيف رضي الله عنه اشمئزازه ممن يدعون إلى استمرار الحرب بين الإخوة وقال: أيها الناس اتهموا رأيكم على دينكم(٧٥٨)، وبين لهم بأنه لا خيار عن الحوار والصلح؛ لأن ما سواه فتنة لا تعرف عواقبها، فقد قال: ما وضعنا بسيوفنا على عواتقنا إلى أمر إلا أسهلن بنا إلى أمر نعرفه قبل هذا الأمر ما نسد منها خصمًا إلا تفجر علينا خصم ما ندري كيف نأتي له(٧٥٩). وفي هذه الروايات الصحيحة .رد على دعاة الفتنة، ومبغضي الصحابة الذين يضعون الأخبار المكذوبة ، ويضعون الأشعار وينسبونها إلى أعلام الصحابة والتابعين الذين شاركوا في صفين؛ ليظهروهم بمظهر المتحمس لتلك الحرب؛ ليزرعوا البغضاء في النفوس ويعملوا ما في وسعهم على استمرار(٧٦٠) الفتنة. إن الدعوة إلى تحكيم كتاب الله دون التأكيد على تسليم قتلة عثمان إلى معاوية وقبول التحكيم دون التأكيد

---

(٧٥٦) المصدر نفسه (٥/ ٦٦٢، ٦٦٣).

(٧٥٧) مصنف ابن أبي شيبة (٨/ ٣٣٦)، مسند أحمد مع الفتح الرباني (٨/ ٤٨٣).

(٧٥٨) البخاري رقم (٤١٨٩).

(٧٥٩) البخاري رقم (٤١٨٩).

(٧٦٠) الإنصاف فيما وقع في تاريخ العصر الراشدي من الخلاف ص(٥٣٠).

على دخول معاوية في طاعة علي والبيعة له، تطور فرضته أحداث حرب صفين، إذ أن الحرب التي أودت بحياة الكثير من المسلمين، أبرزت اتجاها جماعيًا رأي أن وقف القتال وحقن الدماء ضرورة تقتضيها حماية شوكة الأمة وصيانة قوتها أمام عدوها، وهو دليل على حيوية الأمة ووعيها وأثرها في اتخاذ القرارات(٧٦١).

إن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه قبل وقف القتال في صفين ورضي التحكيم وعد ذلك فتحًا ورجع(٧٦٢) إلى الكوفة، وعلق على التحكيم آمالاً في إزالة الخلاف وجمع الكلمة، ووحدة الصف، وتقوية الدولة، وإعادة حركة الفتوح من جديد. إن وصول الطرفين إلى فكرة التحكيم ساهمت فيها عدة عوامل للاستجابة للتحكيم منها:

أ- أنه كان آخر محاولة من المحاولات التي بذلت؛ لايقاف الصدام وحقن الدماء سواء تلك المحاولات الجماعية، أما المحاولات الفردية التي بدأت بعد موقعة الجمل ولم تفلح، أما الرسائل التي تبادلت بين الطرفين؛ لتقريب وجهات نظر كل منهما، لم تجد هي الأخرى شيئًا وكان آخر تلك المحاولات ما قام به معاوية في أيام اشتداد القتال حيث كتب إلى علي رضي الله عنه يطالبه بتوقف القتال فقال: فإني أحسبك أن لو علمت وعلمنا أن الحرب تبلغ بك ما بلغت لم نجنها على أنفسنا، فإنا إن كنا قد غلبنا على عقولنا فقد بقي منا ما ينبغي أن نندم على ما مضى ونصلح ما بقى(٧٦٣).

ب- تساقط القتلى وإراقة الدماء الغزيرة ومخافة الفناء، فصارت الدعوة إلى إيقاف الحرب مطلبًا يرنو إليه الجميع.

جـ- الملل الذي أصاب الناس من طول القتال، حتى وكأنهم على موعد لهذا الصوت الذي نادى بالهدنة والصلح، وكانت أغلبية جيش علي في اتجاه الموادعة وكانوا يرددون: قد أكلتنا الحرب، ولا نرى البقاء إلا عن الموادعة(٧٦٤). وهذا ينقض ذلك الرأي المتهافت الذي روج بأن رفع المصاحف كان خدعة من عمرو بن العاص والحق أن فكرة رفع المصاحف لم تكن جديدة وليست من ابتكار عمرو بن العاص، بل رفع المصحف في الجمل ورشق حامله كعب بن سور قاضي البصرة بسهم وقتل.

د- الاستجابة لصوت الوحي الداعي للإصلاح قال (تعالى): ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩] ويؤيد هذا ما قاله علي بن أبي طالب حينما عرض عليه الاحتكام إلى كتاب الله قال: نعم أنا أولى بذلك بيننا وبينكم كتاب الله(٧٦٥).

---

(٧٦١) دراسة في تاريخ الخلفاء الأمويين ص(٣٨).

(٧٦٢) المصدر نفسه ص(٣٨).

(٧٦٣) الأخبار الطوال للدينوري ص(١٨٧)، دراسات في عهد النبوة ص(٤٣٢).

(٧٦٤) صفين ص(٤٨٢-٤٨٥)، دراسات في عهد النبوة ص(٤٣٣).

(٧٦٥) مصنف ابن أبي شيبة (٨/ ٣٣٦).

٥- مقتل عمار بن ياسر رضي الله عنه وأثره على المسلمين:

يعد حديث رسول الله (ﷺ) لعمار رضي الله عنه: «**تقتلك الفئة الباغية**»[٧٦٦]، من الأحاديث الصحيحة والثابتة عن النبي (ﷺ) وقد كان لمقتل عمار رضي الله عنه أثر في معركة صفين، فقد كان علمًا لأصحاب رسول الله يتبعونه حيث سار وكان خزيمة بن ثابت حضر صفين وكان كافًا سلاحه، فلما رأى مقتل عمار سل سيفه وقاتل أهل الشام، وذلك لأنه سمع[٧٦٧] حديث رسول الله (ﷺ) عن عمار: «**تقتلك الفئة الباغية**» واستمر في القتال حتى قتل[٧٦٨]، وكان لمقتل عمار أثر في معسكر معاوية، فهذا أبو عبد الرحمن السلمي دخل في معسكر أهل الشام، فرأى معاوية وعمرو بن العاص وابنه عبد الله بن عمرو، وأبا الأعور السلمي، عند شرعة الماء يسقون، وكانت هي شريعة الماء الوحيدة التي يستقى منها الفريقان، وكان حديثهم عن مقتل عمار بن ياسر، إذ قال عبد الله بن عمرو لوالده: لقد قتلنا هذا الرجل وقد قال فيه رسول الله (ﷺ): «**تقتلك الفئة الباغية**». فقال عمرو لمعاوية: لقد قتلنا الرجل وقد قال فيه رسول الله (ﷺ) ما قال فقال معاوية: اسكت فوالله ما تزال تدحض[٧٦٩] في بولك أنحن قتلناه؟ إنما قتله من جاء به[٧٧٠]، فانتشر تأويل معاوية بين أهل الشام انتشار النار في الهشيم وجاء في رواية صحيحة أن عمرو بن حزم دخل على عمرو بن العاص: فقال: قتل عمار وقد قال فيه رسول الله (ﷺ): «**تقتلك الفئة الباغية**». فقام عمرو بن العاص فزعًا يرجع حتى دخل على معاوية فقال له معاوية: ما شأنك؟ فقال: قتل عمار فقال معاوية: فماذا؟ قال عمرو: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول له: «**تقتلك الفئة الباغية**» فقال له معاوية: دحضت في بولك، أو نحن قتلناه؛ إنما قتله علي وأصحابه، جاؤوا به حتى ألقوه بين رماحنا- أو قال بين سيوفنا[٧٧١]. وفي رواية صحيحة أيضًا: جاء رجلان عند معاوية يختصمان في رأس عمار يقول كل واحد منهما: أنا قتلته؛ فقال عبد الله بن عمرو بن العاص: ليطب به أحدكما نفسًا لصاحبه، فإني سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: «**تقتلك الفئة الباغية**». قال معاوية: فما بالك معنا؟ قال: إن أبي شكاني إلى رسول الله (ﷺ) فقال: «**أطع أباك ما دام حيًا ولا تعصه**». فأنا معكم ولست أقاتل[٧٧٢]. من الروايات السابقة نلاحظ أن الصحابي الفقيه عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما حريص على قول الحق والنصح، فقد

---

(٧٦٦) مسلم رقم (٢٩١٦).

(٧٦٧) مسلم رقم (٢٩١٦).

(٧٦٨) خلافة علي ص (٢١١) مجمع الزوائد للهيثمي (٧/ ٢٤٢). وقال فيه: رواه الطبراني وفيه أبو معشر وهو لين.

(٧٦٩) الدحض: الزلق، والداحض لمن لا ثبات له ولا عزيمة في الأمور.

(٧٧٠) مسند أحمد (٢/ ٢٠٦) إسناده حسن.

(٧٧١) مصنف عبد الرزاق (١١/ ٢٤٠) بسند صحيح.

(٧٧٢) مسند أحمد (١١/ ١٣٨-١٣٩).

رأى أن معاوية وجنده، هم الفرقة الباغية لقتلهم عمارًا، فقد تكرر منه هذا الاستنكار في مناسبات مختلفة؛ ولا شك أن مقتل عمار رضي الله عنه قد أثر في أهل الشام بسبب هذا الحديث، إلا أن معاوية رضي الله عنه أوَّل الحديث تأويلاً غير مستساغ ولا يصح في أن الذين قتلوا عمارًا هم الذين جاؤوا به إلى القتال(٧٧٣)، وقد أثر مقتل عمار كذلك على عمرو بن العاص، بل كان استشهاد عمار دافعًا لعمرو بن العاص للسعي لإنهاء الحرب(٧٧٤)، وقد قال رضي الله عنه: وددت أني مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة(٧٧٥)وقد جاء في البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: كنا نحمل لبنة لبنة وعمار لبنتين لبنتين، فرآه النبي (ﷺ)، فينفض التراب عنه ويقول: «**ويح عمار تقتله الفئة الباغية يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار**». قال عمار: أعوذ بالله من الفتن(٧٧٦) وقال ابن عبد البر: تواترت الآثار عن النبي (ﷺ) أنه قال: «**تقتل عمارًا الفئة الباغية**»، وهذا من إخباره بالغيب وأعلام نبوته (ﷺ)، وهو من أصح الأحاديث(٧٧٧) وقال الذهبي بعد ما ذكر الحديث: وهو في الباب عن عدة من الصحابة، فهو متواتر(٧٧٨).

٦- فهم العلماء للحديث:

أ- قال ابن حجر: وفي هذا الحديث علم من أعلام النبوة، وفضيلة ظاهرة لعلي وعمار، ورد على النواصب الزاعمين أن عليًا لم يكن مصيبًا في حروبه(٧٧٩)، وقال أيضًا: دل الحديث: «**تقتل عمارًا الفئة الباغية**»،على أن عليًا كان المصيب في تلك الحروب؛ لأن أصحاب معاوية قتلوه(٧٨٠).

ب- يقول النووي: وكانت الصحابة يوم صفين يتبعونه حيث توجه؛ لعلمهم بأنه مع الفئة العادلة لهذا الحديث(٧٨١).

جـ- قال ابن كثير: كان علي وأصحابه أدنى الطائفتين إلى الحق من أصحاب معاوية، وأصحاب معاوية كانوا باغين عليهم، كما ثبت في صحيح مسلم من حديث شعبة عن أبي سلمة عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري، قال: حدثني من هو خير مني -يعني أبا قتادة- أن رسول الله (ﷺ) قال لعمار: «**تقتلك الفئة الباغية**»(٧٨٢). وقال أيضًا: وهذا مقتل عمار

(٧٧٣) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد ص(٣٢٥).
(٧٧٤) معاوية بن أبي سفيان، الغضبان ص(٢١٥).
(٧٧٥) أنساب الأشراف (١/ ١٧٠)، عمرو بن العاص للغضبان ص(٦٠٣).
(٧٧٦) البخاري رقم (٤٤٧).
(٧٧٧) الاستيعاب (٣/ ١١٤٠).
(٧٧٨) سير أعلام النبلاء(١/ ٤٢١).
(٧٧٩) فتح الباري (١/ ٦٤٦).
(٧٨٠) فتح الباري (١٣/ ٩٢).
(٧٨١) تهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٣٨).
(٧٨٢) البداية والنهاية (٦/ ٢٢٠).

ابن ياسر رضي الله عنهما مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، قتله أهل الشام، وبان وظهر بذلك سر ما أخبر به الرسول (ﷺ) من أنه تقتله الفئة الباغية وبان بذلك أن عليًا محق، وأن معاوية باغٍ، وما في ذلك من دلائل النبوة[٧٨٣].

د- وقال الذهبي: هم طائفة من المؤمنين، بغت على الإمام علي، وذلك بنص قول المصطفى صلوات الله عليه لعمار: «**تقتلك الفئة الباغية**»[٧٨٤].

هـ- قال القاضي أبو بكر العربي في قوله (تعالى): ﴿**وَإِن طَائِفَتَانِ**﴾: هذه الآية أصل في قتال المسلمين، والعمدة في حرب المتأولين، وعليها عوّل الصحابة، وإليها لجأ الأعيان من هذه الملة، وإياها عني النبي (ﷺ) بقوله: «**تقتل عمارًا الفئة الباغية**»[٧٨٥].

و- وقال ابن تيمية: وهذا يدل على صحة إمامة علي ووجوب طاعته، وأن الداعي إلى طاعته داع إلى الجنة، والداعي إلى مقاتلته داع إلى النار -وإن كان متأولاً- وهو دليل على أنه لم يكن يجوز قتال علي، وعلى هذا فمقاتله مخطئ - وإن كان متأولا- أو باغ -بلا تأويل- وهو أصح القولين لأصحابنا، وهو الحكم بتخطئة من قاتل عليًا، وهو مذهب الأئمة الفقهاء الذين فرعوا على ذلك قتال البغاة المتأولين[٧٨٦]. وقال أيضًا: مع أن عليًا أولى بالحق ممن فارقه، ومع أن عمار قتلته الفئة الباغية -كما جاءت به النصوص- فعلينا أن نؤمن بكل ما جاء من عند الله ونقر بالحق كله، ولا يكون لنا هوى، ولا نتكلم بغير علم، بل نسلك سبل العلم والعدل ، وذلك هو اتباع الكتاب والسنة، فأما من تمسك ببعض الحق دون بعض، فهذا منشأ الفرقة والاختلاف[٧٨٧].

ز- وقال عبد العزيز بن باز: وقال (ﷺ) في حديث عمار: «**تقتل عمارًا الفئة الباغية**». فقتله معاوية وأصحابه في وقعة صفين، فمعاوية وأصحابه بغاة، لكن مجتهدون ظنوا أنهم مصيبون في المطالبة بدم عثمان[٧٨٨].

حـ- وقال سعيد حوى: بعد أن قتل عمار الذي وردت النصوص مبينة أنه تقتله الفئة الباغية، تبين للمترددين أن عليًا كان على حق وأن القتال معه كان واجبًا ولذا عبر ابن عمر عن تخلفه بأنه يأسى بسبب هذا التخلف، وما ذلك إلا أنه ترك واجبًا وهو نصرة الإمام الحق على الخارجين عليه بغير حق كما أفتى بذلك الفقهاء[٧٨٩].

---

(٧٨٣) البداية والنهاية (٧/ ٢٧٧).
(٧٨٤) سير أعلام النبلاء (٨/ ٢٠٩).
(٧٨٥) أحكام القرآن (٤/ ١٧١٧).
(٧٨٦) مجموع الفتاوى (٤/ ٤٣٧).
(٧٨٧) المصدر نفسه (٤/ ٤٤٩-٤٥٠).
(٧٨٨) فتاوى ومقالات متنوعة (٦/ ٨٧).
(٧٨٩) الأساس في السنة (٤/ ١٧١٠).

٧- الرد على قول معاوية رضي الله عنه: إنما قتله من جاء به[٧٩٠]:

إن جل الصحابة والتابعين قد فهموا من قول رسول الله (ﷺ) لعمار: «**تقتلك الفئة الباغية**»[٧٩١] أن المقصود جيش معاوية رضي الله عنه، مع أنهم معذورون في اجتهادهم، فهم يقصدون الحق ويريدونه، ولكنهم لم يصيبوه، وفئة علي أولى بالحق منهم كما قال (ﷺ)[٧٩٢]، ومع أن الأئمة لم يعجبهم تأويل معاوية -كما سأنقل- إلا أنهم عذروه في اجتهاده.

فها هو ابن حجر يقول في قوله (ﷺ): «**يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار**»[٧٩٣]. فإن قيل: كان قتله بصفين وهو مع علي، والذين قتلوه مع معاوية، وكان معه جماعة من الصحابة، فكيف يجوز عليهم الدعاء إلى النار؟ فالجواب: أنهم كانوا ظانين أنهم يدعون إلى الجنة، وهم مجتهدون لا لوم عليهم في اتباع ظنونهم، فالمراد بالدعاء إلى الجنة الدعاء إلى سببها، وهو طاعة الإمام وكذلك كان عمار يدعوهم إلى طاعة علي، وهو الإمام الواجب الطاعة إذ ذاك، وكانوا هم يدعون إلى خلاف ذلك، لكنهم معذورون للتأويل الذي ظهر لهم[٧٩٤].

وقال القرطبي: وقال الإمام أبو المعالي في كتاب الإرشاد: فصل: علي رضي الله عنه، كان إمامًا حقًا في توليته، ومقاتلوه بغاة، وحسن الظن بهم يقتضي أن يظن بهم قصد الخير وإن أخطؤوه[٧٩٥]، وقال أيضًا: وقد أجاب علي رضي الله عنه عن قول معاوية بأن قال: فرسول الله (ﷺ) إذًا قتل حمزة حين أخرجه، وهذا من علي رضي الله عنه إلزام، لا جواب عنه، وحجة لا اعتراض عليها. قاله الإمام الحافظ أبو الخطاب بن دحية[٧٩٦]. وقال ابن كثير: فقول معاوية إنما قتله من قدمه إلى سيوفنا تأويل بعيد جدًا؛ إذ لو كان كذلك لكان أمير الجيش هو القاتل للذين يقتلون في سبيل الله حيث قدمهم إلى سيوف الأعداء[٧٩٧] وقال ابن تيمية: وهذا القول لا أعلم له قائلاً من أصحاب الأئمة الأربعة ونحوهم من أهل السنة، ولكن هو قول كثير من المروانية ومن وافقهم[٧٩٨]، وقال ابن القيم معلقًا على هذا التأويل: نعم التأويل الباطل تأويل أهل الشام قوله (ﷺ) لعمار: «**تقتلك الفئة الباغية**»[٧٩٩]، فقالوا:

---

(٧٩٠) مسند أحمد (٢/٢٠٦).
(٧٩١) مسلم رقم (٢٩١٦).
(٧٩٢) معاوية بن أبي سفيان ص(٢١٠-٢١٤).
(٧٩٣) البخاري رقم (٤٤٧).
(٧٩٤) التذكرة (٢/٢٢٢).
(٧٩٥) التذكرة (٢/٢٢٣).
(٧٩٦) التذكرة (٢/٢٢٣).
(٧٩٧) البداية والنهاية (٦/٢٢١).
(٧٩٨) منهاج السنة (٤/٤٠٦).
(٧٩٩) مسلم رقم (٢٩١٦).

نحن لم نقتله، إنما قتله من جاء به حتى أوقعه بين رماحنا. فهذا هو التأويل الباطل المخالف لحقيقة اللفظ وظاهره، فإن الذي قتله هو الذي باشر قتله، لا من استنصر به[(٨٠٠)].

٨- من هو قاتل عمار بن ياسر؟

قال أبو الغادية الجهني وهو يحدث عن قتله لعمار: فلما كان يوم صفين، أقبل يستن أول الكتيبة رجلاً، حتى إذا كنا بين الصفين فأبصر رجل عورة، فطعنه في ركبته بالرمح فعثر، فانكشف المغفر عنه، فضربته فإذا هو رأس عمار. ثم قتل عمار قال الراوي: واستسقى أبو غادية، فأتي بماء في زجاج، فأبى أن يشرب فيها، فأتى بماء في قدح فشرب، فقال رجل: .. يتورع عن الشرب في الزجاج ولم يتورع عن قتل عمار[(٨٠١)]، ويخبر عمرو بن العاص رضي الله عنه الخبر فيقول: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: «**قاتل عمار وسالبه في النار**»[(٨٠٢)]. وقال ابن كثير: ومعلوم أن عمارًا كان في جيش علي يوم صفين، وقتله أصحاب معاوية من أهل الشام، وكان الذي تولى قتله يقال له: أبو الغادية، رجل من أفناد الناس، وقيل: إنه صحابي[(٨٠٣)]، وقال ابن حجر: والظن بالصحابة في تلك الحروب أنهم كانوا متأولين للمجتهد المخطئ أجر، وإذا ثبت هذه في حق آحاد الناس فثبوته للصحابة بالطريق الأولى[(٨٠٤)]. وقال الذهبي: وابن ملجم عند الروافض أشقى الخلق في الآخرة، وهو عندنا أهل السنة ممن نرجو له النار، ونجوز أن الله يتجاوز عنه، لا كما يقول الخوارج والروافض، وحكمه حكم قاتل عثمان، وقاتل الزبير، وقاتل طلحة، وقاتل سعيد بن جبير، وقاتل عمار، وقاتل خارجة، وقاتل الحسين، فكل هؤلاء نبرأ منهم ونبغضهم في الله، ونكل أمورهم إلى الله (عز وجل)[(٨٠٥)]، وقد وفق الألباني في تعليقه على قول ابن حجر: هذا حق، ولكن تطبيقه على كل فرد من أفرادهم مشكل؛ لأنه يلزم تناقض القاعدة المذكورة بمثل حديث الترجمة أي: «**قاتل عمار وسالبه في النار**»[(٨٠٦)]؛ إذ لا يمكن القول بأن أبا غادية القاتل لعمار مأجور؛ لأنه قتله مجتهدًا، ورسول الله (ﷺ) يقول: «**قاتل عمار في النار**»[(٨٠٧)]، فالصواب أن يقال: إن القاعدة صحيحة، إلا ما دل الدليل القاطع على خلافها، فيستثنى ذلك منها كما هو الشأن هنا، وهذا خير من ضرب الحديث الصحيح[(٨٠٨)] بها. وقد

---

(٨٠٠) الصواعق المرسلة (١/ ١٨٤، ١٨٥).
(٨٠١) الطبقات الكبرى (٣/ ٢٦٠، ٢٦١) بسند صحيح.
(٨٠٢) السلسلة الصحيحة (٥/١٨-١٩).
(٨٠٣) البداية والنهاية (٦/ ٢٢٠).
(٨٠٤) الإصابة (٧/ ٢٦٠).
(٨٠٥) تاريخ الإسلام، عهد الخلفاء الراشدين ص(٦٥٤).
(٨٠٦) السلسلة الصحيحة (٥/١٨-١٩).
(٨٠٧) المصدر نفسه (٥/١٨-١٩).
(٨٠٨) المصدر نفسه (٥/ ١٩).

ترجم لأبي الغادية الجهني ابن عبد البر فقال: اختلف في اسمه، فقيل: يسار بن سبع وقيل: يسار بن أزهر، وقيل: اسمه مسلم. سكن الشام ونزل في واسط، يعد في الشاميين أدرك النبي (ﷺ) وهو غلام، روي عنه أنه قال: أدركت النبي (ﷺ) وأنا أيفع، أرد على أهلي الغنم، وله سماع من النبي (ﷺ) قوله (ﷺ): «**لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض**»(٨٠٩)، وكان محبًا لعثمان، وهو قاتل عمار بن ياسر، وكان يصف قتله إذا سئل عنه لا يباليه وفي قصته عجب عند أهل العلم(٨١٠).

٩- المعاملة الكريمة أثناء الحرب والمواجهة:

إن وقعة صفين كانت من أعجب الوقائع بين المسلمين.. كانت هذه الوقعات من الغرابة إلى حد أن القارئ لا يصدق ما يقرأ ويقف مشدوهًا أمام طبيعة النفوس عند الطرفين، فكل منهم كان يقف وسط المعركة شاهرًا بسيفه وهو يؤمن بقضيته إيمانًا كاملاً، فليست معركة مدفوعة من قبل القيادة، يدفعون الجنود إلى معركة غير مقتنعين بها، بل كانت معركة فريدة في بواعثها وفي طريقة أدائها وفيما خلفتها من آثار فبواعثها في نفوس المشاركين يعبر عنها بعض المواقف التي وصلت إلينا في المصادر التاريخية، فهم إخوة يذهبون معًا إلى مكان الماء فيستقون جميعًا ويزدحمون وهم يغرفون الماء وما يؤذي إنسان إنسانًا(٨١١)، وهم إخوة يعيشون معًا عندما يتوقف القتال فهذا أحد المشاركين يقول: كنا إذا تواعدنا من القتال، دخل هؤلاء في عسكر هؤلاء، وهؤلاء في معسكر هؤلاء وتحدثوا إلينا وتحدثنا إليهم(٨١٢)، وهم أبناء قبيلة واحدة ولكل منهما اجتهاده، فيقاتل أبناء القبيلة الواحدة كل في طرف(٨١٣)، قتالاً مريرًا، وكل منهما يرى نفسه على الحق وعنده الاستعداد لأن يقتل من أجله، فكان الرجلان يقتتلان حتى يثخنا وهنًا وضعفًا ثم يجلسان يستريحان، ويدور بينهما الكلام الكثير، ثم يقومان فيقتتلان كما كانا(٨١٤)، وهما أبناء دين واحد يجمعهما، وهو أحب إليهما من أنفسهما، فإذا حان وقت الصلاة توقفوا لأدائها(٨١٥)، ويوم قتل عمار بن ياسر صلى عليه الطرفان(٨١٦)، ويذكر شاهد عيان اشترك في صفين: تنازلنا بصفين، فاقتتلنا أيامًا فكثر القتلى بيننا حتى عقرت الخيل، فبعث علي إلى عمرو بن العاص أن القتلى قد كثروا فامسك حتى يدفن الجميع قتلاهم فأجابهم، فاختلط بعض القوم ببعض حتى كانوا هكذا وشبك بين أصابعه، وكان الرجل من أصحاب علي يشد فيقتل في عسكر معاوية، فيستخرج منه، وقد مر

---

(٨٠٩) مسند أحمد (٤/ ٧٦). وسنده حسن.

(٨١٠) الاستيعاب في معرفة الأصحاب رقم (٣٠٨٩).

(٨١١) تاريخ الطبري (٥/ ٦١٠).

(٨١٢) سير أعلام النبلاء (٢/ ٤١) ، مرويات أبي مخنف ص (٢٩٦).

(٨١٣) البداية والنهاية (٧/ ٢٧٠)، دراسات في عهد النبوة ص(٤٢٣).

(٨١٤) تاريخ الطبري، نقلاً عن دراسات في عهد النبوة ص(٤٢٤).

(٨١٥) تاريخ دمشق (١٨/ ٢٣٣٩)، دراسات في عهد النبوة ص(٤٢٤).

(٨١٦) أنساب الأشراف (٦/ ٥٦) بسند حسن إلى عتبة ، خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد ص(٢٤١).

أصحاب علي بقتيل لهم أمام عمرو، فلما رآه بكى وقال: لقد كان مجتهدًا أخشن في أمر الله[٨١٧] وكانوا يسارعون إلى التناهي عن المنكر حتى في مثل هذه المواقع، فكانت هناك مجموعة عرفوا بالقراء، وكانوا من تلامذة عبد الله بن مسعود من أهل الشام معًا، فلم ينضموا إلى أمير المؤمنين علي، ولا إلى معاوية بن أبي سفيان وقالوا لأمير المؤمنين: إنا نخرج معكم ولا ننزل عسكركم، ونعسكر على حدة حتى ننظر في أمركم وأمر أهل الشام، فمن رأيناه أراد ما لا يحل له، أو بدا منه بغي كنا عليه فقال علي: مرحبًا وأهلاً، هذا هو الفقه في الدين، والعلم بالسنة من لم يرض بهذا فهو جائر خائن[٨١٨]، والحقيقة أن هذه المواقف منبعثة من قناعات واجتهادات استوثقوا منها قرارة أنفسهم وقاتلوا عليها[٨١٩].

١٠- معاملة الأسرى:

إن المعاملة الحسنة للأسير وإكرامه في صفين من الأمور البدهية بعد ما استعرضنا المعاملة الكريمة أثناء القتال، وقد بين الإسلام معاملة الأسرى، فقد حث رسول الله (ﷺ) على إكرام الأسير، وإطعامه أفضل الأطعمة الموجودة، هذا مع غير المسلمين فكيف إذا كان الأسير مسلمًا، لا شك إن إكرامه والإحسان إليه أولى، ولكن الأسير في هذه المعركة يعتبر فئة وقوة لفرقته[٨٢٠]، ولذلك كان علي رضي الله عنه يأمر بحبسه، فإن بايع أخلى سبيله وإن أبى أخذ سلاحه ودابته أو يهبهما لمن أسره ويحلفه ألا يقاتل، وفي رواية: يعطيه أربعة دراهم[٨٢١] وغرض الخليفة الراشد من ذلك واضح، وهو إضعاف جانب البغاة وقد أتي بأسير يوم صفين فقال الأسير: لا تقتلني صبرًا فقال علي رضي الله عنه: لا أقتلك صبرًا إني أخاف الله رب العالمين، فخلى سبيله ثم قال: أفيك خير تبايع[٨٢٢]. ويبدو من هذه الروايات أن معاملته للأسرى كما يلي:

* إكرام الأسير والإحسان إليه.
* يعرض عليه البيعة والدخول في الطاعة، فإن بايع أخلى سبيله.
* إن أبى البيعة أخذ سلاحه ويحلفه ألا يعود للقتال ويطلقه.
* إن أبى إلا القتال تحفظ عليه في الأسر ولا يقتله صبرًا[٨٢٣]. وقد أتى رضي الله عنه مرة بخمسة عشر أسيرًا ويبدو أنهم جرحى فكان من مات منهم غسله وكفنه وصلى عليه[٨٢٤]. ويقول محب الدين الخطيب معلقًا على هذه الحرب: ومع ذلك، فإن هذه الحرب

---

(٨١٧) أنساب الأشراف (٦/ ٥٦) بسند حسن إلى عتبة خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد ص(٢٤١).
(٨١٨) صفين ص(١١٥)، دراسات في عهد النبوة ص(٤٢٤).
(٨١٩) دراسات في عهد النبوة ص(٤٢٤).
(٨٢٠) كتاب قتال أهل البغي من الحاوي الكبير ص(١٣٣، ١٣٤).
(٨٢١) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد ص(٢٤٣).
(٨٢٢) الأم للشافعي (٤/ ٢٢٤)(٨/ ٢٥٦).
(٨٢٣) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد ص(٢٤٣).
(٨٢٤) تاريخ دمشق، تحقيق المنجد (١/ ٣٣١)، خلافة علي بن أبي طالب (٢٤٣).

المثالية هي الحرب الإنسانية الأولى في التاريخ الذي جرى فيها المتحاربان معًا على مبادئ الفضائل التي يتمنى حكماء العرب لو يعمل بها في حروبهم ولو في القرن الحادي والعشرين، وإن كثيرًا من قواعد الحرب في الإسلام لم تكن لتعلم وتدون لولا وقوع هذه الحرب، ولله في كل أمر حكمة(٨٢٥). قال ابن النديم: قلت: وهذا كله حكم أهل البغي، ولهذا قال أبو حنيفة: لولا ما سار علي فيهم، ما علم أحد كيف السيرة في المسلمين(٨٢٦).

١١- عدد القتلى:

تضاربت أقوال العلماء في عدد القتلى فذكر ابن أبي خيثمة أن القتلى في صفين بلغ عددهم سبعين ألفًا: من أهل العراق خمسة وعشرين ألفًا، ومن أهل الشام خمسة وأربعين ألف مقاتل(٨٢٧)، كما ذكر ابن القيم أن عدد القتلى في صفين بلغ سبعين ألفًا أو أكثر(٨٢٨)، ولا شك في أن هذه الأرقام غير دقيقة، بل أرقام خيالية، فالقتال الحقيقي والصدام الجماعي استمر ثلاثة أيام مع وقف القتال بالليل إلا مساء الجمعة فيكون مجموع القتال حوالي ثلاثين ساعة(٨٢٩)، ومهما كان القتال عنيفًا، فلن يفوق شدة القادسية التي كان عدد الشهداء فيها ثمانية آلاف وخمسمائة(٨٣٠)، وبالتالي يصعب عقلاً أن نقبل تلك الروايات التي ذكرت الأرقام الكبيرة.

١٢- تفقد أمير المؤمنين علي القتلى وترحمه عليهم:

كان أمير المؤمنين علي رضي الله عنه بعد نهاية الجولات الحربية يقوم بتفقد القتلى، فيقول شاهد عيان: رأيت عليا على بغلة النبي (ﷺ) الشهباء، يطوف بين القتلى(٨٣١)، وأثناء تفقده القتلى ومعه الأشتر مر برجل مقتول – هو أحد القضاة والعباد المشهورين بالشام ـ فقال الأشتر ـ وفي رواية أخرى عدي بن حاتم: يا أمير المؤمنين أحابس(٨٣٢) معهم؟ عهدي والله به مؤمن فقال علي: فهو اليوم مؤمن. ولعل هذا الرجل المقتول هو القاضي الذي أتى عمر بن الخطاب وقال: يا أمير المؤمنين، رأيت رؤيا أفزعتني، قال: ما هي؟ قال: رأيت الشمس والقمر يقتتلان والنجوم معهما نصفين قال: فمع أيهما كنت؟ قال: مع القمر على الشمس، فقال عمر: قال (تعالى): ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ [الإسراء: ١٢] فانطلق فوالله لا تعمل لي عملاً أبدًا، قال الراوي: فبلغني أنه قتل

---

(٨٢٥) العواصم من القواصم ص(١٦٨-١٦٩) من تعليق الخطيب في الحاشية.
(٨٢٦) بغية الطلب في تاريخ حلب (٢ / ٣٠٩)، خلافة علي ص(٢٥٤).
(٨٢٧) الإنباء للقضاعي ص(٥٩) نقلاً عن خلافة علي (٢٤٦).
(٨٢٨) الصواعق المرسلة (١/ ٣٧٧) بدون سند تحقيق محمد دخيل الله.
(٨٢٩) الدولة الأموية ص(٣٦٠-٣٦٢).
(٨٣٠) تاريخ الطبري (٤/ ٣٨٨).
(٨٣١) مصنف ابن أبي شيبة .
(٨٣٢) حابس بن سعد الطائي مخضرم، قتل بصفين.

مع معاوية بصفين(٨٣٣)، وقد وقف علي على قتلاه وقتلى معاوية فقال: غفر الله لكم، غفر الله لكم، للفريقين جميعًا(٨٣٤)، وعن يزيد بن الأصم قال: لما وقع الصلح بين علي ومعاوية، خرج علي فمشى في قتلاه فقال: هؤلاء في الجنة ثم خرج إلى قتلى معاوية فقال: هؤلاء في الجنة، ويصير الأمر إليَّ وإلى معاوية(٨٣٥)، وكان يقول عنهم: هم المؤمنون(٨٣٦)، وقوله رضي الله عنه في صفين لا يكاد يختلف عن قوله في أهل الجمل(٨٣٧).

١٣- موقف لمعاوية مع ملك الروم:

استغل ملك الروم الخلاف الذي وقع بين أمير المؤمنين علي ومعاوية رضي الله عنهما وطمع في ضم بعض الأراضي التي تحت هيمنة معاوية إليه، قال ابن كثير: .. وطمع في معاوية ملك الروم بعد أن كان أخشاه وأذله وقهر جندهم ودحاهم، فلما رأى ملك الروم اشتغال معاوية لحرب علي تدانى إلى بعض البلاد في جنود عظيمة وطمع فيه، فكتب معاوية إليه: والله لئن لم تنته وترجع إلى بلادك يا لعين لأصطلحن أنا وابن عمي عليك ولأخرجنك من جميع بلادك ولأضيقن عليك الأرض بما رحبت. فعند ذلك خاف ملك الروم وانكف، وبعث يطلب الهدنة(٨٣٨)، وهذا يدل على عظمة نفس معاوية وحميته للدين.

١٤- قصة باطلة في حق عمرو بن العاص في صفين:

قال نصر بن مزاحم الكوفي: وحمل أهل العراق وتلقاهم أهل الشام فاجتلدوا وحمل عمرو بن العاص ... فاعترضه علي وهو يقول:

قد علمت ذات القرون الميل ... والخضر والأنامل الطفول(٨٣٩)

إلى أن يقول: ثم طعنه فصرعه واتقاه عمرو برجله، فبدت عورته، فصرف علي وجهه عنه وارتث، فقال القوم: أفلت الرجل يا أمير المؤمنين، قال: وهل تدرون من هو ؟ قالوا: لا، قال: فإنه عمرو بن العاص تلقاني بعورته فصرفت وجهي(٨٤٠) وذكر القصة -أيضًا- ابن الكلبي كما ذكر ذلك السهيلي في الروض الأنف: وقول علي: إنه اتقاني بعورته فأذكرني الرحم ... إلى أن قال: .. ويروي ذلك عن عمرو بن العاص مع علي رضي الله عنه يوم صفين، وفي ذلك يقول الحارث بن النضر السهمي رواه ابن الكلبي وغيره:

(٨٣٣) مصنف ابن أبي شيبة (١١/ ٧٤) بسند منقطع.
(٨٣٤) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد ص(٢٥٠)، تنزيه خال المؤمنين.
(٨٣٥) مصنف ابن أبي شيبة (١٥/ ٣٠٣) بسند حسن.
(٨٣٦) تاريخ دمشق (١/ ٣٢٩، ٣٣١) خلافة علي ص(٢٥١).
(٨٣٧) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد ص(٢٥١)، تنزيه خال المؤمنين ص ١٦٩.
(٨٣٨) البداية والنهاية (٨/ ١٢٢).
(٨٣٩) الطفولة جمع طفل، بالفتح، وهو الرخص الناعم.
(٨٤٠) وقعة صفين ص(٤٠٦- ٤٠٨)، قصص لا تثبت، سليمان الخراشي (٦/ ١٩).

أفي كل يوم فـارس غيـر منتـه وعـورته وسط العـجـاجـة باديه
يكـف لهـــا عـنه عـلى سـنانـه ويضحك منه في الخلاء معاويه[٨٤١]

والرد على هذا الافتـراء والإفك المبين كالآتي: فراوي الرواية الأولى؛ نصـر بن مزاحم الكوفي صاحب وقعة صـفين شيعي جلد لا يستغرب عنه كذبه وافتـراؤه على الصحابة، قال عنه الذهبي في الميزان: نصر بن مزاحم الكوفي رافضي جلد تركـوه قال عنه العقيلي: شيعي في حديثه اضطراب وخطأ كثير، وقال أبو خيثمة كان كذابًا[٨٤٢]، وقال عنه ابن حجر: قال العجلي: كان رافضيًا غاليًا . . . ليس بثقة ولا مأمون[٨٤٣] وأما الكلبي؛ هشام بن محمد بن السائب الكلبي؛ اتفقوا على غلوه في التشيع قال الإمام أحمد: من يحدث عنه؟ ما ظننت أن أحدًا يحدث عنه وقـال الدارقطني: متروك[٨٤٤]. وعن طريق هذين الرافضـيين سارت هذه القصة في الآفاق وتلقفها من جـاء بعدهم من مؤرخي الشيعة، وبعض أهل السنة ممن راجت عليهم أكاذيب الرافضة[٨٤٥]، وتعد هذه القصة أنموذجًا لأكاذيب الشيعة الروافض وافتراءاتهم على صحـابة رسول الله (ﷺ)، فـقد اخـتلق أعداء الصحـابة من مؤرخي الرافـضة مـثالب لأصحاب رسول الله (ﷺ) وصـاغوها على هيئة حكايات وأشعار لكي يسـهل انتشارها بين المسلمين، هادفين إلى الغض من جناب الصـحابة الأبرار رضي الله عنهم في غـفلة من أهل السنة الذين وصلوا متأخرين إلى ساحة التـحقيق في روايات التاريخ الإسلامي بعد أن طارت تلكم الأشعار والحكايات بين القـصاص وأصبح كثير منها من المسلـمات، حتى عند مؤرخي أهل السنة للأسف[٨٤٦].

١٥- مرور أمير المؤمنين علي بالمقابر بعد رجوعه من صفين:

لما انصرف علي أميـر المؤمنين رضي الله عنه من صفين مر بمقابر، فـقال: السلام عليكم أهل الديار الموحشـة، والمحال المقفرة من المؤمنين والمؤمنات، والمـسلمين والمسلمات، أنتم لنا سلف فارط، ونحن لكم تبع، وبكم عما قليل لاحقون، اللهم اغفر لنا ولهم، وتجاوز بعفوك عنا وعنهم، الحمد لله الذي جـعل الأرض كفاتًا أحياء وأمواتًا، الحـمد لله الذي منها خلقكم وعليها يحشركم، ومنها يبعثكم، وطوبى لمن ذكر المعاد وأعد للحساب، وقنع بالكفاء[٨٤٧].

---

(٨٤١) الروض الأنف (٥/ ٤٦٢)، قصص لا تثبت (٦/ ١٩).
(٨٤٢) ميزان الاعتدال (٤/ ٢٥٣-٢٥٤).
(٨٤٣) لسان الميزان (٦/ ١٥٧).
(٨٤٤) المجروحين لابن حبان (٣/ ٩١)، تذكرة الحـفاظ (١/ ٣٤٣)، معجم الأدباء (١٩/ ٢٨٧)، قصص لا تثبت (١/ ١٨).
(٨٤٥) قصص لا تثبت (١/ ٢٠) .
(٨٤٦) المصدر نفسه (١/ ١٠).
(٨٤٧) البيان والتبيين للجاحظ (٣/ ١٤٨)، فرائد الكلام للخلفاء الكرام ص(٣٢٧).

١٦- إصرار قتلة عثمان رضي الله عنه على أن تستمر المعركة:

إن قتلة عثمان كانوا حريصين على أن تستمر المعركة بين الطرفين، حتى يتفانى الناس، وتضعف قوة الطرفين، فيكونوا بمنأى عن القصاص والعقاب، ولذلك فإنهم فزعوا وهم يرون أهل الشام يرفعون المصاحف، وعلي رضي الله عنه يجيبهم إلى طلبهم فيأمر بوقف القتال وحقن الدماء، فسعوا إلى ثني أمير المؤمنين عن عزمه لكن القتال توقف، فسقط في أيديهم، فلم يجدوا بدًا من الخروج على علي رضي الله عنه فاخترعوا مقولة (الحكم لله) وتحصنوا بعيدًا عن الطرفين، والغريب أن المؤرخين لم يركزوا على ما فعله هؤلاء في هذه المرحلة، كما فعلوا في معركة الجمل، رغم أنهم كانوا موجودين في جيش علي، وعن سر إخفاق تلك المفاوضات التي دامت أشهرًا عديدة، وعن الدور الذي يمكن أن يكون قتلة عثمان قد قاموا به في معركة صفين لإفشال كل محاولة صلح بين الطرفين؛ لأن اصطلاح علي مع معاوية هو أيضًا اصطلاح على دمائهم، فلا يعقل أن يجتهدوا في الفتنة في وقعة الجمل، ويتركوا ذلك في صفين[٨٤٨].

١٧- نهي أمير المؤمنين علي عن شتم معاوية ولعن أهل الشام:

روي أن عليًا رضي الله عنه لما بلغه أن اثنين من أصحابه يظهران شتم معاوية ولعن أهل الشام أرسل إليهما: أن كفا عما يبلغني عنكما، فأتيا فقالا: يا أمير المؤمنين ألسنا على الحق وهم على الباطل؟ قال: بلى ورب الكعبة المسدنة، قالا: فلم تمنعنا من شتمهم ولعنهم؟ قال: كرهت لكم أن تكونوا لعانين، ولكن قولوا: اللهم احقن دماءنا ودماءهم، وأصلح ذات بيننا وبينهم، وأبعدهم من ضلالتهم حتى يعرف الحق من جهله، ويرعوي عن الغي من لجج به[٨٤٩]. وأما ما قيل من أن عليًا كان يلعن في قنوته معاوية وأصحابه، وأن معاوية إذا قنت لعن عليًا وابن عباس والحسن والحسين، فهو غير صحيح؛ لأن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا أكثر حرصًا من غيرهم على التقيد بأوامر الشارع الذي نهي عن سباب المسلم ولعنه[٨٥٠]. فقد روي عن رسول الله (ﷺ) قوله: «من لعن مؤمنًا فهو كقتله»[٨٥١]، وقوله (ﷺ): «ليس المؤمن بطعان ولا بلعان»[٨٥٢]، وقوله (ﷺ): «لا يكون اللعانون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة»[٨٥٣]. كما أن الرواية التي جاء فيها لعن أمير المؤمنين في قنوته لمعاوية وأصحابه ولعن معاوية لأمير المؤمنين وابن عباس والحسن والحسين، لا تثبت من ناحية السند حيث فيها أبو مخنف لوط يحيى الرافضي المحترق الذي لا يوثق في رواياته كما أن في أصح كتب

---

(٨٤٨) أحداث وأحاديث فتنة الهرج ص(١٤٧).

(٨٤٩) الأخبار الطوال ص(١٦٥) نقلاً عن تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة (٢/ ٢٣٢).

(٨٥٠) تحقيق مواقف الصحابة (٢/ ٢٣٢).

(٨٥١) البخاري، ك الأدب (٧/ ٨٤).

(٨٥٢) السلسلة الصحيحة للألباني رقم (٣٢٠)، صحيح سنن الترمذي (٢/ ١٨٩) رقم (١١١٠).

(٨٥٣) مسلم (٤/ ٢٠٠٦) رقم (٢٥٩٨).

الشيعة عندهم جاء النهي عن سب الصحابة، فـقد أنكر علي على من يسب معاوية ومن معه فقال: إني أكره لكم أن تكونوا سبابين، ولكنكم لو وصـفتم أعمالهم، وذكرتم حالهم ، كان أصوب في القول، وأبلغ في العذر، وقلتم مكان سبكم إياهم: اللهم احقن دماءنا ودماءهم، وأصلح ذات بيننـا وبينهم[٨٥٤]. فهذا السب والتكفيـر لم يكن من هدي علي باعتراف أصح كتاب في نظر الشيعة[٨٥٥].

(٨٥٤) نهج البلاغة ص(٣٢٣).
(٨٥٥) أصول مذهب الشيعة (٢/ ٩٣٤).

المبحث الثالث
التحكيم

تم الاتفاق بين الفريقين على التحكيم، بعد انتهاء موقعة صفين؛ وهو أن يحكم كل واحد منهما رجلاً من جهته، ثم يتفق الحكمان على ما فيه مصلحة المسلمين، فوكل معاوية عمرو بن العاص ووكل علي أبا موسى الأشعري رضي الله عنهما جميعًا، وكتب بين الفريقين وثيقة في ذلك، وكان مقر اجتماع الحكمين في دومة الجندل، في شهر رمضان سنة ٣٧هـ، وقد رأى قسم من جيش علي رضي الله عنه أن عمله هذا ذنب يوجب الكفر فعليه أن يتوب إلى الله (تعالى) وخرجوا عليه فسموا الخوارج، فأرسل علي رضي الله عنه إليهم ابن عباس رضي الله عنهما فناظرهم وجادلهم ثم ناظرهم علي رضي الله عنه بنفسه، فرجعت طائفة منهم وأبت طائفة أخرى، فجرت بينهم وبين علي رضي الله عنه حروب أضعفت من جيشه وأنهكت أصحابه، وما زالوا به حتى قتلوه غيلة -وسيأتي تفصيل ذلك في محله بإذن الله (تعالى).

تعتبر قضية التحكيم من أخطر الموضوعات في تاريخ الخلافة الراشدة، وقد تاه فيها كثير من الكتاب، وتخبط فيها آخرون وسطروها في كتبهم ومؤلفاتهم، وقد اعتمدوا على الروايات الضعيفة والموضوعة التي شوهت الصحابة الكرام وخصوصًا: أبا موسى الأشعري الذي وصفوه بأنه كان أبله ضعيف الرأي مخدوع في القول، وبأنه كان على جانب كبير من الغفلة؛ ولذلك خدعه عمرو بن العاص في قضية التحكيم، ووصفوا عمرو بن العاص رضي الله عنه بأنه كان صاحب مكر وخداع، فكل هذه الصفات الذميمة حاول المغرضون والحاقدون على الإسلام إلصاقها بهذين الرجلين العظيمين اللذين اختارهما المسلمون؛ ليفصلا في خلاف كبير أدى إلى قتل الكثير من المسلمين، وقد تعامل الكثير من المؤرخين والأدباء والباحثين مع الروايات التي وضعها خصوم الصحابة الكرام على أنها حقائق تاريخية، وقد تلقاها الناس منهم بالقبول دون تمحيص لها وكأنها صحيحة لا مرية فيها؛ وقد يكون لصياغتها القصصية المثيرة وما زعم فيها من خداع ومكر أثر في اهتمام الناس بها وعناية المؤرخين بتدوينها؛ وليعلم أن كلامنا هذا ينصب على التفصيلات لا على أصل التحكيم حيث إن أصله حق لا شك فيه(٨٥٦).

وقد رأيت أن يكون المدخل في هذا المبحث التعريف بسيرة الصحابيين أبي موسى الأشعري وعمرو بن العاص رضي الله عنهما.

أولاً: سيرة أبي موسى الأشعري:

هو عبد الله بن قيس بن حضار بن حرب، الإمام الكبير، صاحب رسول الله (ﷺ)،

---

(٨٥٦) مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري ص(٣٧٨) تنزيه خال المؤمنين معاوية ص (٣٨).

أبو موسى الأشعري التميمي الفقيه المقرئ[٨٥٧] وقد أسلم أبو موسى بمكة قديمًا قال ابن سعد: قدم مكة فحالف سعيد بن العاص، وأسلم قديمًا وهاجر إلى أرض الحبشة[٨٥٨]، وتذكر بعض الروايات بأنه رجع إلى قومه للدعوة إلى الله وقد جمع ابن حجر بين الروايات في إسلامه فقال: وقد استشكل ذكر أبي موسى فيهم؛ لأن المذكور في الصحيح أن أبا موسى خرج من بلاده هو وجماعة قاصدًا النبي (ﷺ) بالمدينة، فألقتهم السفينة في أرض الحبشة، فحضروا مع جعفر إلى النبي (ﷺ) بخيبر .. ويمكن الجمع بأن يكون أبو موسى هاجر أولاً إلى مكة فأسلم، فبعثه النبي (ﷺ) مع من بعث إلى الحبشة، فتوجه إلى بلاد قومه، وهم مقابل الحبشة من الجانب الشرقي، فلما تحقق استقرار النبي (ﷺ) وأصحابه بالمدينة هاجر هو ومن أسلم من قومه إلى المدينة فألقتهم السفينة لأجل هيجان الريح من الحبشة، فهذا محتمل وفيه جمع بين الأخبار فليعتمد[٨٥٩].

١- أوسمة الشرف التي وضعها رسول الله على صدر أبي موسى:

أ- لكم الهجرة مرتين، هاجرتم إلى النجاشي، وهاجرتم إلي:

عن أبي موسى ، قال: خرجنا من اليمن في بضع وخمسين من قومي ونحن ثلاثة إخوة: أنا، وأبو رهم، وأبو عامر. فأخرجتنا سفينتنا إلى النجاشي، وعند جعفر وأصحابه، فأقبلنا حين افتتحت خيبر، فقال رسول الله (ﷺ): «**لكم الهجرة مرتين: هاجرتم إلى النجاشي وهاجرتم إلي**»[٨٦٠]. وعن أنس ، قال: قال رسول الله (ﷺ): «**يقدم عليكم غدًا قوم هم أرق قلوبًا للإسلام منكم**». فقدم الأشعريون؛ فلما دنوا جعلوا يرتجزون:

غدًا نلقى الأحبة ... محمدًا وحزبه

فلما قدموا تصافحوا، فكانوا أول من أحدث المصافحة[٨٦١].

ب- هم قومك يا أبا موسى:

عن عياض الأشعري، قال: لما نزلت: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤]. قال رسول الله (ﷺ): «**هم قومك يا أبا موسى**»، وأومأ إليه[٨٦٢].

ج- اللهم اغفر لعبد الله بن قيس ذنبه وأدخله يوم القيامة مدخلاً كريمًا:

عن أبي موسى قال: لما فرغ رسول الله (ﷺ) من حنين بعث أبا عامر الأشعري على جيش أوطاس، فلقي دريد بن الصمة فقتل دريد، وهزم الله أصحابه؛ فرمى رجل أبا عامر

(٨٥٧) سير أعلام النبلاء (٢/ ٣٨١).
(٨٥٨) الطبقات (٤/ ١٠٧).
(٨٥٩) فتح الباري (٧/ ١٨٩).
(٨٦٠) مسلم رقم (٢٥٠٢).
(٨٦١) سير أعلام النبلاء (٢/ ٣٨٤) إسناده صحيح.
(٨٦٢) المستدرك (٢/ ٣١٣) صححه الحاكم ووافقه الذهبي، سير أعلام النبلاء (٢٣٨٤).

في ركبته بسـهم فأثبته[٨٦٣]. فقلت: يا عم، من رماك؟ فأشار إليه. فـقصدت له، فلحقته، فلما رآني، ولى ذاهبًا، فجعلت أقول له: ألا تسـتحي؟ ألست عربيًا؟ ألا تثبت؟ قال: فكف، فالتقـيت أنا وهو، فاختلفنا ضربتين فقـتلته. ثم رجعت إلى أبي عامر، فـقلت: قد قتل الله صاحبك. قال: فانزع هذا السهم فنزعته فنزا منه الماء. فقال: يا ابن أخي، انطلق إلى رسول الله (ﷺ) فأقرئه مني السلام، وقل له يستغفر لي، واستخلفني أبو عامر على الناس، فمكث يسيرًا، ثم مات، فلما قدمنا، وأخبرت النبي (ﷺ)، توضأ، ثم رفع يديه، ثم قال: «اللـهم اغفر لعبيد بن أبي عامر»، حتى رأيت بياض إبطيه. ثم قال: «اللهم اجعله يوم القيامة فوق كـثيـر من خلقك» فقلت: ولي يا رسـول الله؟ فقال: «اللهم اغفـر لعبد الله بن قـيس ذنبه وأدخله يوم القيامة مدخلاً كريمًا»[٨٦٤].

د- إن هذا قد رد البشري فاقبلا أنتما:

عن أبي موسى، قال: كنت عند رسول الله (ﷺ) بالجعرانة[٨٦٥] فأتى أعرابي فقال: ألا تنجز لي مـا وعدتني؟ قال: «أبشـر» قال: قد أكثرت من البـشرى. فأقبل رسـول الله (ﷺ) علي وعلى بلال. فقال: «إن هذا قد رد البشرى فـاقبلا أنتما». فقالا: قـبلنا يا رسول الله. فدعا بقدح، فغسل يديه ووجهه فيه، ومج فيه، ثم قال: «اشربا منه، وأفرغا على رؤوسكما ونحوركما» ففعلا؛ فنادت أم سلمة من وراء الستر: أن فضلا لأمكما فأفضلا لها منه[٨٦٦].

هـ- لقد أعطي مزماراً من مزامير آل داود:

عن ابن بريدة عن أبيه قال: خرجت ليلة من المسجد، فإذا النبي (ﷺ) عند باب المسجد قائم، وإذا رجل يصلي، فقال لي: «يا بريدة، أتراه يرائي؟» قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «بل هو مـؤمن منيب، لقد أعطي مـزماراً من مـزاميـر آل داود». فـأتيتـه فإذا هو أبو مـوسى الأشعري؛ فأخبرته[٨٦٧].

و- يا عبد الله بن قيس ألا أدلك على كلمة من كنوز الجنة:

عن أبي موسى الأشعري قال: كنا مع النبي (ﷺ) في سفـر، وكان القوم يصعدون ثنية أو عقـبة، فإذا صعـد الرجل قال: لا إله إلا الله، والله أكبـر -أحسبه قـال: بأعلى صوته- ورسول الله (ﷺ) على بغلته يعترضها في الجبل، فقال: «أيهـا الناس، إنكم لا تنادون أصم ولا غائـبًا». ثم قـال: «يا عبد الله بن قيـس -أو يا أبا موسى- ألا أدلك على كلمة من كنوز الجنة؟» قلت: بلى يا رسول الله. قال: «قل: لا حول ولا قوة إلا بالله»[٨٦٨].

---

(٨٦٣) سير أعلام النبلاء (٢/ ٣٨٥).
(٨٦٤) مسلم رقم (٢٤٩٨).
(٨٦٥) الجعرانة: بين مكة والطائف وهي أقرب إلى مكة.
(٨٦٦) مسلم رقم (٢٤٩٧).
(٨٦٧) مسلم رقم (٧٩٣)، مجمع الزوائد (٩/ ٣٥٨).
(٨٦٨) مسلم رقم (٢٧٠٤).

ز- يسرا ولا تعسرا وتطاوعا ولا تنفرا:

استعمل رسول الله (ﷺ) أبا موسى على زبيد وعدن[٨٦٩] وأرسله مع معاذ إلى اليمن، فعن أبي موسى أن النبي (ﷺ) لما بعثه ومعاذًا إلى اليمن، قال لهما: «**يسرا ولا تعسرا وتطاوعا ولا تنفرا**»، فقال له أبو موسى: إنا لنا بأرضنا شرابًا، يصنع مع العسل يقال له: التبغ، ومن الشعير يقال له: المزر، قال: «**كل مسكر حرام**»، فقال لي معاذ: كيف تقرأ القرآن؟ قلت: أقرأه في صلاتي، وعلى راحلتي، وقائمًا وقاعدًا، أتفوقه تفوقًا- يعني شيئًا بعد شيء - قال: معاذ: لكني أنام ثم أقوم، فأحتسب نومتي كما أحتسب قومتي، قال: وكأن معاذًا فضل عليه[٨٧٠].

٢- مكانة أبي موسى عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

كان أبو موسى من ضمن أعمدة الدولة في عهد عمر وكان قائدًا للجيوش في فتح قم، وقاشان[٨٧١]، وموقعة تستر[٨٧٢]، كما كان من مؤسسي المدرسة البصرية في عهد الفاروق وكان يعد من أعلم الصحابة، وقد قدم البصرة، وعلم بها[٨٧٣]. وقد تأثر بعمر بن الخطاب رضي الله عنهما وكان بينهما مراسلات، سنأتي عليها عند حديثنا عن مؤسسة الولاة والقضاة، وكان أبو موسى رضي الله عنه قد اشتهر بالعلم والعبادة والورع والحياء، وعزة النفس وعفتها، والزهد في الدنيا والثبات على الإسلام، ويعد أبو موسى رضي الله عنه من كبار علماء الصحابة وفقهائهم ومفتيهم، فقد ذكره الذهبي في تذكرة الحفاظ في الطبقة الأولى من الصحابة رضي الله عنهم. كان عالمًا عاملاً صالحًا تاليًا لكتاب الله، إليه المنتهى في حسن الصوت بالقرآن، روى علمًا طيبًا مباركًا، أقرأ أهل البصرة وأفقههم، وقد كان رضي الله عنه كثير الملازمة للنبي (ﷺ)، كما أنه تلقى من كبار الصحابة كعمر وعلي وأبي بن كعب وعبد الله بن مسعود وتأثر أبو موسى على وجه الخصوص بعمر بن الخطاب كثيرًا، وكان عمر يتعهده بالوصايا والكتب في أثناء ولايته الطويلة على البصرة، كما أن أبا موسى كان يرجع إلى عمر في كل ما يعرض له من القضايا، حتى عده الشعبي واحدًا من أربعة قضاة، هم أشهر قضاة الأمة، فقال: قضاة الأمة عمر، وعلي وزيد بن ثابت، وأبو موسى[٨٧٤]، وكان أبو موسى عندما يأتي المدينة يحرص على مجالس عمر رضي الله عنهما، وربما أمضى جزءًا كبيرًا معه، فعن أبي بكر أن أبا موسى رضي الله عنه أتى عمر بن الخطاب بعد العشاء فقال له عمر: ما جاء بك؟ قال: جئت أتحدث إليك، قال: هذه الساعة؟ قال: إنه فقه، فجلس عمر

---

(٨٦٩) تاريخ خليفة بن خياط ص(٩٧)، تحقيق مواقف الصحابة (٢/ ٢٢٦).

(٨٧٠) مسلم رقم (١٧٣٣)، البخاري (٤٣٤٤).

(٨٧١) البداية والنهاية (٧/ ١١٤).

(٨٧٢) البداية والنهاية (٧/ ٨٨).

(٨٧٣) تفسير التابعين (١/ ٤٢٣).

(٨٧٤) سير أعلام النبلاء (٢/ ٣٨٩).

فتحدثنا طويلاً، ثم إن أبا موسى قال: الصلاة يا أمير المؤمنين، قال: إنا في صلاة(٨٧٥). وكما كان أبو موسى حريصًا على طلب العلم والتعلم كان حريصًا على نشر العلم وتعليم الناس وتفقيههم، وكان يحض الناس على التعلم والتعليم في خطبه، فعن أبي المهلب قال: سمعت أبا موسى على منبره وهو يقول: من علمه الله علمًا فليعلمه، ولا يقولن ما ليس له به علم، فيكون من المتكلفين، ويمرق من الدين(٨٧٦)، وقد جعل أبو موسى مسجد البصرة مركز نشاطه العلمي وخصص جزءًا كبيرًا من وقته لمجالسه العلمية، ولم يكتف بذلك بل كان لا يدع فرصة تمر دون أن يستفيد منها في تعليم الناس وتفقيههم فإذا ما سلم من الصلاة استقبل رضي الله عنه الناس، وأخذ يعلمهم ويضبط لهم قراءتهم للقرآن الكريم، قال ابن شوذب: كان أبو موسى إذا صلى الصبح استقبل الصفوف رجلاً رجلاً يقرئهم(٨٧٧). واشتهر أبو موسى بين الصحابة بجمال صوته، وحسن قراءته، فكان الناس يجتمعون عليه حين يسمعونه يقرأ، وكان عمر رضي الله عنه إذا جلس عنده أبو موسى طلب منه أن يقرأ له ما يتيسر له من القرآن (٨٧٨). وقد وفقه الله لتعليم المسلمين، وبذل رضي الله عنه كل ما يستطيع من جهد في تعليم القرآن ونشره بين الناس في كل البلاد التي نزل فيها، واستعان بصوته الجميل وقراءته الندية فاجتمع الناس عليه، وازدحم حوله طلاب العلم في مسجد البصرة، فقسمهم إلى مجموعات وحلق، فكان يطوف عليهم يسمعهم ويستمع منهم ويضبط لهم قراءتهم(٨٧٩)، فالقرآن الكريم شغله الشاغل رضي الله عنه، صرف له معظم أوقاته في حله وفي سفره، فعن أنس بن مالك قال: بعثني الأشعري إلى عمر رضي الله عنه فقال عمر: كيف تركت الأشعري؟ فقلت له: تركته يعلم الناس القرآن، فقال: أما إنه كيس(٨٨٠)، ولا تسمعها إياه(٨٨١). حتى عندما كان يخرج إلى الجهاد كان يعلم ويفقه، فعن حطاب بن عبد الله الرقاشي قال: كنا مع أبي موسى الأشعري رضي الله عنه في جيش على ساحل دجلة، إذ حضرت الصلاة، فنادى مناديه للظهر، فقام الناس للوضوء فتوضأ ثم صلى بهم، ثم جلسوا حلقًا، فلما حضرت العصر نادى منادي العصر، فهب الناس للوضوء أيضًا فأمر مناديه: لا وضوء إلا على من أحدث، وأثمرت جهوده العلمية رضي الله عنه، وقرت عينه برؤية عدد كبير حوله من حفاظ القرآن الكريم وعلمائه، زاد عددهم في البصرة وحدها على ثلاثمائة. ولما طلب عمر بن الخطاب من عماله أن يرفعوا إليه أسماء حفاظ القرآن لكي

(٨٧٥) أبو موسى الأشعري الصحابي العلم المجاهد محمد طهماز ص(١٢١).
(٨٧٦) الطبقات (٤/ ١٠٧).
(٨٧٧) سير أعلام النبلاء (٢/ ٢٨٩).
(٨٧٨) أبو موسى الأشعري الصحابي العالم ص(١٢٥، ١٢٦) سير أعلام النبلاء (٢/ ٣٩١).
(٨٧٩) المصدر نفسه ص(١٢٧)، سير أعلام النبلاء (٢/ ٣٨٩).
(٨٨٠) الطبقات (٤/ ١٠٨) رجاله ثقات، كيس: عاقل فطن.
(٨٨١) سير أعلام النبلاء (٢/ ٣٩٠).

يكرمهم ويزيد عطاءهم كتب إليه أبو موسى أنه بلغ من قبلي ممن حمل القرآن ثلاثمائة وبضعة من الرجال[٨٨٢]. واهتم أبو موسى رضي الله عنه بتعليم السنة وروايتها فروى عنه عدد من الصحابة وكبار التابعين. قال الذهبي رحمه الله: حدث عنه بريدة بن الحصيب، وأبو أمامة الباهلي، وأبو سعيد الخدري، وأنس بن مالك، وطارق بن شهاب، وسعيد بن المسيب، والأسود بن يزيد، وأبو وائل شقيق بن سلمة، وأبو عثمان النهدي وخلق سواهم[٨٨٣]. وكان رضي الله عنه شديد التمسك بسنة النبي (ﷺ)، دل على ذلك مسيرته في الحياة وما أوصى به أولاده عند موته، ومع حرصه الشديد على السنة لم يكثر رضي الله عنه من رواية الأحاديث الشريفة ،كما هو حال كبار الصحابة رضي الله عنهم، فقد كانوا يتهيبون من الرواية عن النبي (ﷺ)، وكان من المقربين لأبي موسى في البصرة أنس بن مالك ويعتبر من خواصه، فعن ثابت عن أنس قال كنا مع أبي موسى في مسير، والناس يتكلمون ويذكرون الدنيا ، قال أبو موسى: يا أنس إن هؤلاء يكاد أحدهم يفري الأديم بلسانه فريًا، فتعال فلنذكر ربنا ساعة، ثم قال: ما ثبر الناس -ما بطأ بهم-؟ قلت: الدنيا والشيطان والشهوات، قال: لا، لكن عجلت الدنيا وغيبت الآخرة، أما والله لو عاينوها ما عدلوا ولا بدلوا[٨٨٤]، ولثقة أبي موسى بأنس فقد كان يكلفه أن يكون رسوله إلى أمير المؤمنين عمر، قال أنس: بعثني أبو موسى الأشعري من البصرة إلى عمر فسألني عن أحوال الناس وبعد تستر أرسله أبو موسى إلى عمر بالأسرى والغنائم فقدم على عمر بصاحبها الهرمزان[٨٨٥].

٣- ولاية أبي موسى في عهد عمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم:

يعتبر أبو موسى -بحق- أشهر ولاة البصرة أيام عمر بن الخطاب، فقد فتحت في أيامه المواقع العديدة في فارس، فكان يجاهد بنفسه، ويرسل القادة للجهات المختلفة من البصرة، ففي أيامه تمكن البصريون من فتح الأهواز وما حولها وفتحوا العديد من المواضع المهمة وكانت فترة ولايته حافلة بالجهاد، وقد تعاون أبو موسى مع الولاة المجاورين له في كثير من الحروب والفتوحات، وقد قام بجهود كبيرة لتنظيم المناطق المفتوحة وتعيين العمال عليها وتأمينها وترتيب مختلف شؤونها، وقد جرت العديد من المراسلات بين أبي موسى وعمر بن الخطاب في مختلف القضايا منها توجيهه لأبي موسى في كيفية استقباله للناس في مجلس الإمارة ومنها نصيحته لأبي موسى بالورع ومحاولة إسعاد الرعية، وهي قيمة قال فيها عمر: أما بعد فإن أسعد الناس من سعدت به رعيته، وإن أشقى الناس من شقيت به رعيته، وإياك أن ترتع فيرتع عمالك، فيكون مثلك عند ذلك مثل البهيمة نظرت إلى خضرة من الأرض فرتعت فيها تبغي السمن وإنما حتفها في سمنها[٨٨٦]. وهناك العديد من الرسائل بين عمر وأبي موسى تدل على نواح إدارية وتنفيذية مختلفة كان يقوم بها أبو موسى بتوجيه من

(٨٨٢) أبو موسى الأشعري ص(١٢٩). (٨٨٣) سير أعلام النبلاء (٢/ ٣٨١).
(٨٨٤) أنس بن مالك الخادم الأمين، عبد الحميد طهماز ص(١٣٥).
(٨٨٥) تاريخ الطبري (٥/ ٦٦).
(٨٨٦) مناقب عمر لابن الجوزي ص (١٣٠).

عمـر، وقد جـمع مـعظم هذه المراسلات مـحمـد حمـيد الله في كـتابه القـيم عن الوثائق السيـاسية[٨٨٧]. وتعتبر فترة ولاية أبي موسى على البصـرة من أفضل الفترات حتى لقد عبر عنها أحد أحفاد البصـريين فيما بعد وهو الحسن البصري (رحمه الله) فـقال: ما قدمها راكب خير لأهلهـا من أبي موسى[٨٨٨]، إذ أن أبا موسى (رحمه الله) كان بالإضـافة إلى إمارته خير معلم لأهلها، حيث علمـهم القرآن وأمور الدين المختلفة[٨٨٩]، وفي عهد عـمر بن الخطاب كان العديد من المدن في فـارس، والتي فتحت في زمنه تخضع للبـصرة وتدار من قبل والي البصرة الذي يعين عليها العمال من قبله، ويرتبطون به ارتباطًا مباشرًا وهكذا اعتبر أبو موسى من أعظم ولاة عمر، واعتبرت مراسـلات عمر مع أبي موسى من أعظم المصادر التي كشفت سيرة عمر مع ولاته، وبينت ملامح أسلوبه في التعامل معهم[٨٩٠]، وقد أوصى عمر رضي الله عنه في وصيـته للخليفـة من بعده ألا يقر لي عامـل أكثر من سنة، وأقر الأشـعري أربع سـنـين[٨٩١]. وقد تولى أبو موسى منصب القـضاء في عهد عمر وكان كتـاب عمر إليه في القضاء أنموذجًا ومثالاً يفيد كل قاض، بل وكل إداري، في كل زمان ومكان[٨٩٢]، وقال عنه ابن القيم: وهذا كـتاب جليل تلقاه الـعلماء بالقبـول، وبنوا عليه أصول الحكم، والشـهادة، والمفتي أحوج شيء إليه وإلى تأمله والتفقه فيه[٨٩٣].

كما تـولى الولاية في عهد عثـمان واستقـضاه ذو النورين على البصرة أيضًـا، ولما قتل عثمان كان واليًا على الكوفة، ولما تولى علي رضي الله عنه الخلافة، أخذ أبو موسى له البيعة من أهل الكوفة، إذ كان واليًـا عليها لعثمـان بن عفان رضي الله عنه، وحين استنفـر الخليفة الكوفـيين من ذي قار، رأى أبـو موسى بوادر الفـتنة والانشـقاق بين المـسلمين فنصح لأهل الكوفة أن يلزمـوا بيوتهم ويعتـزلوا هذا الأمر فإنما هي فـتنة، القاعد فـيها خيـر من القائم، والقائم خير من الماشي -ولكن لاختلاف وجهة نظره مع الخليفة عزل عن ولاية الكوفة[٨٩٤].

إن حيـاة أبي موسى رضي الله عنه منذ إسلامـه قضاها في نشـر الإسلام وتعليم الناس العلم وخاصة القرآن الذي اشتهر بقراءته، والجهاد في سبيل الله والحرص عليه، والفصل في الخصـومات، ونشـر العدل وضـبط الولايات عن طريق القضـاء والإدارة، ولا شك أن هذه المهمات صعبة وتحتاج إلى مـهارات وصفات فريدة من العلم، والفهم والفطنة والحذق والورع

---

(٨٨٧) الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة.
(٨٨٨) سير أعلام النبلاء (٢/ ٣٨٩).
(٨٨٩) الولاية على البلدان(١/ ١٢٠).
(٨٩٠) المصدر نفسه (١/ ١٢٠).
(٨٩١) سير أعلام النبلاء (٢/ ٣٩١).
(٨٩٢) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد ص(٢٦٢).
(٨٩٣) إعلام الموقعين (١/ ١٨٦).
(٨٩٤) فتح الباري (١٣/ ٥٣)، التاريخ الصغير (١١/ ١٠٩).

والزهد، وقد أخذ منها أبو موسى بنصيب وافر، فاعتمد عليه رسول الله (ﷺ) ثم الخلفاء الأربعة من بعده رضوان الله عليهم[٨٩٥]، فهل يتصور أن يثق رسول الله (ﷺ) ثم خلفاؤه بعده برجل يمكن أن تجوز عليه مثل الخدعة التي ترويها قصة التحكيم[٨٩٦].

إن اختيار أبي موسى رضي الله عنه حكمًا عن أهل العراق من قبل علي رضي الله عنه وأصحابه ينسجم تمامًا مع الأحداث، فالمرحلة التالية هي مرحلة الصلح وجمع كلمة المسلمين، وأبو موسى الأشعري كان من دعاة الصلح والسلام، كما كان في الوقت نفسه محبوبًا، ومؤتمنًا من قبائل العراق وقد ذكرت المصادر المتقدمة أن عليًا هو الذي اختار أبا موسى الأشعري، يقول خليفة في تاريخه: وفيها -أي سنة ٣٧هـ- اجتمع الحكمان: أبو موسى الأشعري من قبل علي، وعمرو بن العاص من قبل معاوية[٨٩٧]، ويقول ابن سعد: فكره الناس الحرب وتداعوا على الصلح، وحكموا الحكمين، فحكم علي أبا موسى، وحكم معاوية عمرو بن العاص[٨٩٨]، ولهذا يمكن القول أن الدور المنسوب للقراء في صفين من مسؤولية وقف القتال والتحكيم وفرض أبي موسى حكمًا ليست إلا فرية تاريخية اخترعها الإخباريون الشيعة الذين ما انقطعوا عن تزوير وتشويه تاريخ الإسلام بالروايات الباطلة، وكان يزعجهم أن يظهر علي رضي الله عنه بمظهر المتعاطف مع معاوية وأهل الشام، وأن يرغب في الصلح مع أعدائهم التقليدين من جهة أخرى يحملون المسؤولية أعداءهم الخوارج ويتخلصون منها، ويجعلون دعوي الخوارج تناقض نفسها، فهم الذين أجبروا عليًا على قبول التحكيم، وهم الذين ثاروا عليه بسبب قبول التحكيم[٨٩٩].

إن هذه العجالة عن شخصية أبي موسى لها علاقة ببحثنا الذي نتحدث فيه عن شخصية أمير المؤمنين علي وعصره، وأبو موسى من الشخصيات المؤثرة في عصره وقد تعرضت للتشويه وغالبًا إذا تحدث أحد عن صفين والتحكيم تعرضت شخصية أبي موسى وعمرو بن العاص، للتشويه والكذب والافتراء بسبب الروايات الضعيفة والموضوعة فكان لازمًا علينا أن نتحدث عن شيء من سيرتهما العطرة الزكية، وهذا المقصد من أهداف الكتابة في هذا البحث.

ثانيًا: سيرة عمرو بن العاص رضي الله عنه:

هو عمرو بن العاص بن وائل السهمي، يكنى أبا محمد وأبا عبد الله ويتفق ابن إسحاق[٩٠٠] والزبير بن بكار[٩٠١] أن إسلامه كان عند النجاشي في الحبشة، وهاجر إلى

---

(٨٩٥) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد ص(٢٦٢).
(٨٩٦) تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة (٢/ ٢٢٧).
(٨٩٧) تاريخ خليفة ص(١٩١، ١٩٢). (٨٩٨) الطبقات (٣/ ٣٢).
(٨٩٩) تحقيق مواقف الصحابة (٢/ ٢١٥).
(٩٠٠) المعجم الكبير للطبراني (٩/ ٥٣) أرسلها ابن إسحاق.
(٩٠١) الإصابة (٣/ ٢) خلافة علي، عبد الحميد ص(٢٦٣).

المدينة في صفر سنة ثمان للهجرة، وذكر ابن حجر أنه أسلم سنة ثمان قبل الفتح وقيل: بين الحديبية وخيبر(٩٠٢).

١- إسلامه:

نترك عمرو بن العاص رضي الله عنه يحدثنا عن إسلامه، فقد قال: لما انصرفنا مع الأحزاب عن الخندق جمعت رجالاً من قريش، كانوا يرون رأيي ويسمعون مني، فقلت لهم: تعلمون والله أني أرى أمر محمد يعلو الأمور علوا منكرًا، وإني قد رأيت أمرًا، فما ترون فيه؟ قالوا: وماذا رأيت؟ قال: رأيت أن نلحق بالنجاشي، فإنا أن نكون تحت يديه أحب إلينا أن نكون تحت يدي محمد، وإن ظهر قومنا فنحن من قد عرفوا، فلن يأتينا منهم إلا خير، قالوا: إن هذا الرأي، قلت: فاجمعوا لنا ما نهديه له، وكان أحب ما يهدى إليه من أرضنا الأدم(٩٠٣)، فجمعنا له أدمًا كثيرًا ثم خرجنا حتى قدمنا عليه، فوالله إنا لعنده إذ جاءه عمرو بن أمية الضمري، وكان رسول الله (ﷺ) قد بعثه إليه في شأن جعفر وأصحابه، قال: فدخل عليه، ثم خرج من عنده، قال: فقلت لأصحابي: هذا عمرو بن أمية الضمري، لو دخلت على النجاشي، وسألته إياه فأعطانيه، فضربت عنقه، فإذا فعلت ذلك رأت قريش أني أجزت عنها(٩٠٤)، حيث قتلت رسول محمد، قال: فدخلت عليه، فسجدت له كما كنت أصنع، فقال: مرحبًا صديقي، أهديت إلي من بلادك شيئًا؟ قال: قلت نعم، أيها الملك، قد أهديت إليك أدمًا كثيرًا، قال: ثم قربته إليه فأعجبه واشتهاه ثم قلت له: أيها الملك إني قد رأيت رجلاً خرج من عندك وهو رسول رجل عدو لنا، فأعطنيه لأقتله، فإنه قد أصاب في أشرافنا وخيارنا، قال: فغضب، ثم مد يده، فضرب بها أنفه ضربة ظننت أنه قد كسره، فلو انشقت لي الأرض لدخلت فيها فرقًا منه، ثم قلت له: أيها الملك: والله لو ظننت أنك تكره هذا ما سألتكه، قال: أتسألني أن أعطيك رسول رجل يأتيه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى لقتله قال: قلت: أيها الملك، أكذلك هو؟ قال: ويحك يا عمرو أطعني واتبعه، فإنه والله لعلى الحق، وليظهرن على من خالفه كما ظهر موسى على فرعون وجنوده، قال: قلت: أفتبايعني له على الإسلام؟ قال: نعم، فبسط يده فبايعته على الإسلام، ثم خرجت إلى أصحابي، وقد حال رأيي عما كان عليه، وكتمت على أصحابي إسلامي ثم خرجت عامدًا إلى رسول الله لأسلم، فلقيت خالد بن الوليد، وذلك قبيل الفتح، وهو مقبل من مكة، فقلت: أين يا أبا سليمان؟ قال: والله لقد استقام المنسم(٩٠٥)، وإن الرجل لنبي، أذهب والله، فأسلم، فحتى متى؟! قال: قلت: والله ما جئت إلا لأسلم. قال: فقدمنا المدينة على رسول الله (ﷺ)، فتقدم خالد بن الوليد، فأسلم وبايع، ثم دنوت،

(٩٠٢) تهذيب التهذيب (٨/ ٥٦).
(٩٠٣) الأدم : الجلد.
(٩٠٤) أجزت عنها: كفيتها.
(٩٠٥) استقام المنسم: تبين الطريق ووضح.

فقلت: يا رسـول الله (ﷺ)، إني أبايعك على أن يغفـر لي ما تقدم من ذنبي، ولا أذكـر ما تأخر. قال: فـقال رسول الله: «يا عمرو بايع، فـإن الإسلام يجب ما كان قـبله، وإن الهجرة تجب ما كان قـبلها»، قال: فبايعـته ثم انصرفت[(٩٠٦)] وفي رواية قال: . . . فلمـا جعل الله الإسـلام في قلبي أتيت النبي (ﷺ) فـقلت: ابسط يمـينك فلأبايعـك. فبـسط يمينه، قـال: فقبضت يدي، قال: «ما لك يا عمرو؟» قال: قلت: أردت أن أشترط. قال: «تشترط بماذا؟» قلت: أن يغفر لي. قال: «أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله، وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها، وأن الحج يهدم ما كان قبله»[(٩٠٧)].

٢- عمرو بن العاص يقود سرية في ذات السلاسل ٧هـ:

جهـز النبي (ﷺ) جيـشًا بقيـادة عمـرو بن العاص إلى ذات السلاسـل، وذلك لتأديب قضاعة الـتي غرها ما حدث في مؤتة التي اشتـركت فيها إلى جانب الروم، فتـجمعت تريد الدنو من المدينة، فتقدم عمرو بن العاص في ديـارها ومعه ثلاثمائة من المهاجرين، والأنصار ولما وصل إلى مكان تجـمع الأعداء بلغـه أن لهم جموعًـا كثـيرة، فـأرسل إلى رسول الله (ﷺ) يطلب المدد فجاءه مـددٌ بقيادة أبي عبـيدة بن الجراح[(٩٠٨)]، وقـاتل المسلمون الكفـار وتوغل عمرو فـي ديار قضاعة التي هربت وتفـرقت وانهزمت ،ونجح عمرو في إرجـاع هيبة الإسلام لأطراف الشام، وإرجاع أحلاف المسلمين لصداقتهم الأولى، ودخول قبائل أخرى في حلف المسلمين، وإسـلام الكثيـرين من بني عبس، وبني مـرة، وبني ذبيان، وكـذلك فزارة وسيدها عيينة بن حصن في حلف مع المسلمين، وتبـعها بنو سليم، وعلى رأسهم العباس بن مرداس، وبنو أشجع وأصـبح المسلمون هم الأقوى في شمـال بلاد العرب، وإن لم يكن في البلاد جميعها[(٩٠٩)]. وفي هذه الغزوة دروس وعبر وحكم تتعلق بعمرو بن العاص منها:

أ- إخلاص عمرو بن العاص: بعث إلي رسول الله فقال: «خذ عليك ثيابك وسلاحك، ثم ائتـني»، فأتيته، وهو يتوضأ، فـصعد في النظر، ثم طأطأ، فقال: «إني أريد أن أبعـثك على جيش[(٩١٠)]، فيسلمك الله ويغنمك، وأرغب لك في المال رغبة صالحة»، قال: قلت: يا رسول الله ما أسلمت من أجل المال، ولكني أسلمت رغبة في الإسلام، وأن أكون مع رسول الله (ﷺ) قال: «يا عمرو نعم المال الصالح للمرء الصالح»[(٩١١)]. فهذا الموقف يدل على قوة إيمان وصدق وإخلاص عـمرو بن العاص للإسلام وحرصه على مـلازمة رسول الله (ﷺ)، وقد بين له رسـول الله (ﷺ) أن المال الحلال نعمـة إذا وقع بيد الرجل الصالح؛ لأنه يبـتغي

---

(٩٠٦) صحيح السيرة النبوية ص(٤٩٤)، سير أعلام النبلاء (٣/ ٦٠)، والسيرة لابن هشام (٢/ ٢٧٦).
(٩٠٧) مسلم، ك الإيمان رقم (١٢١).
(٩٠٨) السيرة النبوية الصحيحة (٢/ ٤٧١)، السيرة النبوية لابن هشام (٣/ ٢٨٠).
(٩٠٩) السيرة النبوية لأبي شهبة (٢/ ٤٣٣)، والسيرة النبوية لابن هشام (٤/ ٢٨٠).
(٩١٠) جيش: سرية ذات السلاسل.
(٩١١) رواه ابن حبان في الموارد (٢٢٧٧)، صحيح السيرة ص(٥٠٨) صححه الألباني.

وجه الله ويصرفه في وجوه الخير ككفالة الأيتام والأرامل والدعاة ودعم المجاهدين، والمشاريع الخيرية وغيرها من وجوه البر ويعف به نفسه وأسرته[٩١٢]، ويغني به المسلمين ونستنبط من الحديث أن سعي العبد للحصول على المال الصالح أمر محمود يحث عليه النبي (ﷺ) كما أن الرجل ذا المال إذا استطعنا إيصال الصلاح له؛ ليجمع بين صلاح المال وصلاح نفسه كما في الحديث، فهو أيضًا مطلوب ومحمود وهذا خير له وللإسلام والمسلمين.

ب- حرص عمرو على سلامة قواته:

بعث رسول الله عمرًا في غزوة ذات السلاسل، فأصابهم برد، فقال لهم عمرو: لا يوقدن أحد نارًا، فلما قدم شكوه، قال: يا نبي الله، كان فيهم قلة، فخشيت أن يرى العدو قلتهم، ونهيتهم أن يتبعوا العدو مخافة أن يكون لهم كمين؛ فأعجب ذلك رسول الله[٩١٣].

جـ- من فقه عمرو بن العاص رضي الله عنه:

قال عمرو بن العاص رضي الله عنه: احتلمت في ليلة باردة في غزوة ذات السلاسل، فأشفقت إن اغتسلت أن أهلك، فتيممت، ثم صليت بأصحابي الصبح، فذكروا ذلك للنبي (ﷺ) فقال: «يا عمرو صليت بأصحابك وأنت جنب» فأخبرته بالذي منعني من الاغتسال وقلت: إني سمعت الله يقول: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: ٢٩] فضحك رسول الله (ﷺ) ولم يقل شيئًا[٩١٤]، وهذا الاجتهاد من عمرو بن العاص يدل على فقهه ووفور عقله، ودقة استنباطه الحكم من دليله[٩١٥]؛ ولئن وقف الفقهاء عند هذه الحادثة يفرعون عليها الأحكام، فإن الذي يستوقفنا[٩١٦] منها تلك السرعة في أخذ عمرو للقرآن وصلته به حتى بات قادرًا على فقه الأمور من خلال الآيات وهو لم يمض على إسلامه أربعة أشهر، إنه الحرص على الفقه في دين الله، وقد يكون عمرو -وهذا احتمال وارد- على صلة بالقرآن قبل إسلامه يتتبع ما يستطيع الوصول إليه، وحينئذ نكون أمام مثال آخر من عظمة هذا القرآن الذي لوى أعناق الكافرين وجعلهم وهم في أشد حالات العداوة لهذا الدين يحاولون استماع هذا القرآن، كما رأينا ذلك في العهد المكي، ويؤيد هذا ما رأيناه من معرفته بالقرآن، حينما طلب من النجاشي أن يسأل مهاجري الحبشة عن رأيهم في عيسى عليه السلام[٩١٧].

---

(٩١٢) التاريخ الإسلامي الحميدي (٧/ ١٣٣).
(٩١٣) سير أعلام النبلاء (٣/ ٦٦).
(٩١٤) سير أعلام النبلاء (٣/ ٦٧) إسناده صحيح، صححه ابن حبان رقم (٢٠٢)
(٩١٥) غزوة الحديبية لأبي الفارس ص(٢١٠).
(٩١٦) معين السيرة ص(٣٨١)، القائل هو صالح أحمد الشامي صاحب معين السيرة.
(٩١٧) معين السيرة ص(٣٨١)، مسند أحمد (١/ ٢٠٣) رجاله رجال الصحيح.

٣- فضائله ومناقبه:

أ- شهادة رسول الله له بالإيمان:

قال رسول الله (ﷺ): «أسلم الناس وآمن عمرو بن العاص»[٩١٨]. وفي حديث آخر: قال رسول الله (ﷺ): «ابنا العاص مؤمنان: عمرو وهشام»[٩١٩]، وقال عمرو بن العاص: فزع الناس بالمدينة مع النبي (ﷺ) فتفرقوا، فرأيت سالمًا احتبى سيفًا فجلس في المسجد فلما رأيت ذلك فعلت مثل الذي فعل، فخرج رسول الله (ﷺ) فرآني وسالمًا، وأتى الناس فقال: «أيها الناس ألا مفزعكم إلى الله ورسوله، ألا فعلتم كما فعل هذان الرجلان المؤمنان»[٩٢٠].

ب- تقديم رسول الله له على غيره، وشهادته له بأنه من صالحي قريش:

فقد جاء عن عمرو بن العاص رضي الله عنه قوله: ما عدل بي رسول الله (ﷺ) وبخالد أحدًا منذ أسلمنا في حرب[٩٢١]، وشهد له رسول الله (ﷺ) بأنه من صالحي قريش، فعن أبي مليكة قال: قال طلحة بن عبيد الله: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: «إن عمرو بن العاص من صالحي قريش»[٩٢٢] وهنا درس نبوي في معرفة النبي (ﷺ) لمعادن الرجال والاستفادة منها.

ج- دعاء رسول الله (ﷺ) له:

عن زهير بن قيس البلوي، عن عمه علقمة بن رمثة البلوي قال: بعث رسول الله (ﷺ) عمرو بن العاص إلى البحرين، ثم خرج رسول الله (ﷺ) ثم استيقظ فقال: «رحم الله عمرًا». فتذاكرنا من اسمه عمرو ثم نعس ثانية فاستيقظ فقال: «رحم الله عمرًا». ثم نعس ثالثة فاستيقظ، فقال: «يرحم الله عمرًا». قلنا: من عمرو يا رسول الله؟ قال: «عمرو بن العاص» قلنا: وما باله؟ قال: «ذكرته إني كنت إذا ندبت الناس للصدقة، جاء من الصدقة فأجزل، فأقول: من أين لك هذا يا عمرو؟ فيقول: من عند الله، وصدق عمرو، إن لعمرو عند الله خيرًا كثيرًا». قال زهير: فلما كانت الفتنة قلت: أتبع هذا قال فيه رسول الله ما قال، فلم أفارقه[٩٢٣].

٣- أعماله في عهد أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم:

كان رسول الله (ﷺ) قد أرسل عمرًا إلى دعوة ابني الجلندي «جيفر، عباد» إلى الإسلام ودعاهما إلى الإسلام، وصدقا بالنبي (ﷺ)، وخليا بين عمرو وبين الصدقة والحكم فيما بين

---

(٩١٨) سلسلة الأحاديث الصحيحة (١/ ٢٣٨) رقم (١٥٥).
(٩١٩) الطبقات (٤/ ١٩١)، السلسلة الصحيحة (١/ ٢٤٠) رقم (١٥٦).
(٩٢٠) مسند أحمد (١/ ٢٠٣) بسند حسن.
(٩٢١) سنن البيهقي باب إسلام عمرو بن العاص (٤/ ٤٣).
(٩٢٢) سنن الترمذي، ك المناقب، باب مناقب عمرو بن العاص رقم (٣٨٤٤).
(٩٢٣) المعجم الكبير (١٨/ ٥)، المستدرك (٣/ ٤٥٥) صححه الحاكم وقال الذهبي: صحيح إسناده حسن.

قومهم وكانا له عونا على من خالفها[٩٢٤]، وبعد وفاة رسول الله (ﷺ) وجه الصديق عمرو بن العاص بجيش إلى فلسطين، وكان الصديق خيره بين البقاء في عمله الذي أسنده إليه رسول الله (ﷺ)، وبين أن يختار له ما هو خير له في الدنيا والآخرة، إلا أن الذي هو فيه أحب إليه، فكتب إليه عمرو بن العاص: إني سهم من سهام الإسلام وأنت بعد الله الرامي بها والجامع لها، فانظر أشدها وأخشاها وأفضلها فارم به[٩٢٥]، فلما قدم المدينة أمره أبو بكر رضي الله عنه أن يخرج من المدينة وأن يعسكر حتى يندب معه الناس . . . ثم أرسله بجيش إلى الشام[٩٢٦]. وفي معركة اليرموك كان عمرو على الميمنة، فكان لمشاركته أثر كبير في انتصار المسلمين. وبعد وفاة الصديق استمر عمرو في الشام وكانت له مشاركة فعالة في حركة الفتح الإسلامي بالشام، فقد قام بمشاركة شرحبيل بن حسنة في فتح بيسان، وطبرية، وأجنادين[٩٢٧]، كما قام رضي الله عنه بفتح غزة، واللد، ويبني، وعمواس، وبيت جبرين، ويافا، ورفح، وبيت المقدس، ولم يقتصر عمرو رضي الله عنه على فتح بلاد الشام وحدها، بل شمل أيضًا بعض مشاهير بلاد مصر، حيث كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه أصدر أمره إلى عمرو بن العاص رضي الله عنه بعد الفراغ من فتوح الشام أن يسير بمن معه من الجند إلى مصر، فخرج رضي الله عنه حتى وصل إلى العريش ففتحها، كما شملت حركة الفتح أيضًا: الفرما، والفسطاط، وحصن بابليون، وعين شمس، والفيوم، والأشمونين، وأخميم، والبشرود، وتنيس، ودمياط، وتونة، ودقهلية، ودمياط ، والإسكندرية وبلادًا إفريقية أخرى مثل: برقة وزويلة وطرابلس[٩٢٨]، وقد شهد له الفاروق بصفات الزعامة والإمامة فقال: ما ينبغي لأبي عبد الله أن يمشي على الأرض إلا أميرًا[٩٢٩]. وكان في عهد عثمان من المقربين إلى الخليفة ومن أهل مشورته ولما أحيط بعثمان رضي الله عنه خرج عمرو ابن العاص من المدينة متوجهًا إلى الشام وقال: والله يا أهل المدينة ما يقيم بها أحد فيدركه قتل هذا الرجل إلا ضربه الله (عز وجل) بذل، ومن لم يستطع نصره فليهرب، فسار وسار معه ابناه عبد الله ومحمد، وخرج بعده حسان بن ثابت وتتابع على ذلك ما شاء الله[٩٣٠]، وعندما جاء الخبر عن مقتل عثمان رضي الله عنه وبأن الناس بايعوا علي بن أبي طالب قال عمرو بن العاص: أنا أبو عبد الله تكون في حرب من حك فيه قرحة نكأها، رحم الله عثمان ورضي عنه وغفر له. فقال سلامة بن زنباع الجذامي: يا معشر العرب إنه قد كان بينكم وبين العرب باب فاتخذوا بابًا إذ كسر الباب، فقال عمرو: وذاك الذي نريد ولا يصلح الباب إلا أشاف[٩٣١]، تخرج الحق من حافرة البأس ويكون الناس في العدل سواء ثم تمثل عمرو بن العاص بهذه الأبيات :

فيا لهف نفسي على مالك ... وهل يصرف مالك حفظ القدر
أنزع من الحر[٨٧٦] أودى بهم ... فأعذرهم أم بقومي سكر

(٩٢٤) الطبقات (١/ ٢٦٢)، جوامع السيرة لابن حزم ص(٢٤، ٢٩).
(٩٢٥) إتمام الوفاء بسيرة الخلفاء ص(٥٥).
(٩٢٦) فتوح الشام للأزدي ص(٤٨ -٥١).
(٩٢٧) تاريخ الطبري (٣/ ٦٠٥)، الكامل لابن الأثير (٢/ ٤٩٨).
(٩٢٨) سير أعلام النبلاء (٣/ ٧٠) القيادة العسكرية في عهد الرسول ص(٦٣٤ ، ٩٤٢).
(٩٢٩) سير أعلام النبلاء (٣/ ٧٠) .
(٩٣٠) تاريخ الطبري نقلاً عن عمرو بن العاص للغضبان ص(٤٦٤).
(٩٣١) أشاف: جمع أشفى وهو المثقب.
(٩٣٢) الحر: جمع حرة وهي الظلمة الشديدة.

ثم ارتحل رجلاً يبكي ويقول: يا عثماناه: أنعي الحياء والدين، حتى قدم دمشق[٩٣٣]، هذه هي الصورة الصادقة عن عمرو رضي الله عنه والمتتالية مع شخصيته وخط حياته وقربه من عثمان، أما الصورة التي تمسخه إلى رجل مصالح وصاحب مطامع وراغب دنيا فهي الرواية المتروكة الضعيفة، رواية الواقدي عن موسى بن يعقوب[٩٣٤]، وقد تأثر بالروايات الضعيفة والسقيمة مجموعة من الكتاب والمؤرخين، فأهووا بعمرو إلى الحضيض، كالذي كتبه محمود شيت خطاب[٩٣٥]، وعبد الخالق سيد أبو رابية[٩٣٦]، وعباس محمود العقاد الذي يتعالى عن النظر في الإسناد ويستخف بقرائه، ويظهر له صورة معاوية وعمرو رضي الله عنهما بأنهما: ... انتهازيان صاحبا مصالح، ولو أجمع الناقدون التاريخيون على بطلان الروايات التي استند إليها في تحليله، فهذا لا يعني للعقاد شيئًا، فقد قال بعد أن ذكر روايات ضعيفة واهية لا تقوم بها حجة: ... وليقل الناقدون التاريخيون ما بدا لهم أن يقولوا في صدق هذا الحوار، وصحة هذه الكلمات، وما ثبت نقله ولم يثبت منه سند، ولا نصه، فالذي لا ريب فيه ولو أجمعت التواريخ قاطبة على نقضه أن الاتفاق بين الرجلين، كان اتفاق مساومة ومعاونة على الملك والولاية وأن المساومة بينهما كانت على النصيب الذي آل على كل منهما ولولاه لما كان بينهما اتفاق[٩٣٧].

إن شخصية عمرو رضي الله عنه الحقيقية أنه رجل مبادئ غادر المدينة حين عجز عن نصرة عثمان، وبكى عليه بكاء مرًا حين قتل، فقد كان يدخل في الشورى في عهد عثمان من غير ولاية ومضى إلى معاوية رضي الله عنهما يتعاونا معًا على حرب قتلة عثمان والثأر للخليفة الشهيد[٩٣٨]، لقد كان مقتل عثمان كافيًا لأن يحرك كل غضبه على أولئك المجرمين السفاكين، وكان لا بد من اختيار مكان غير المدينة للثأر من هؤلاء الذين تجرؤوا على حرم رسول الله وقتلوا الخليفة على أعين الناس، وأي غرابة أن يغضب عمرو لعثمان؟ وإن كان هناك من يشك في هذا الموضوع فمداره على الروايات المكذوبة التي تصور عمرًا همه السلطة والحكم[٩٣٩].

ثالثًا: نص وثيقة التحكيم:

بسم الله الرحمن الرحيم:

(١) هذا ما تقاضى عليه علي بن أبي طالب، ومعاوية بن أبي سفيان وشيعتهما، فيما

---

(٩٣٣) تاريخ الطبري نقلاً عن عمرو بن العاص للغضبان ص(٤٦٤).
(٩٣٤) عمرو بن العاص للغضبان ص(٤٨١).
(٩٣٥) سفراء النبي ﷺ، محمود شيت خطاب ص(٥٠٨).
(٩٣٦) عمرو بن العاص، عبد الخالق سيد أبو رابية ص(٣١٦).
(٩٣٧) عمرو بن العاص للعقاد ص(٢٣١، ٢٣٢).
(٩٣٨) عمرو بن العاص للغضبان ص(٤٨٩، ٤٩٠).
(٩٣٩) عمرو بن العاص للغضبان ص (٤٩٢).

تراضيا فيه من الحكم بكتاب الله وسنة نبيه (ﷺ).

(٢) قضية علي على أهل العراق شاهدهم وغائبهم، وقضية معاوية على أهل الشام شاهدهم وغائبهم.

(٣) إنا تراضينا أن نقف عند حكم القرآن فيما يحكم من فاتحته إلى خاتمته، نحيي ما أحيا ونميت ما أمات. على ذلك تقاضينا وبه تراضينا.

(٤) وإن عليًا وشيعته رضوا بعبد الله بن قيس ناظرًا وحاكما، ورضي معاوية بعمرو بن العاص ناظرا وحاكما.

(٥) على أن عليًا ومعاوية أخذا على عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص عهد الله وميثاقه وذمته وذمة رسوله، أن يتخذا القرآن إمامًا ولا يعدوا به إلى غيره في الحكم بما وجداه فيه مسطورا وما لم يجدا في الكتاب ردَّاه إلى سنة رسول الله الجامعة، لا يتعمدان لها خلافا، ولا يبغيان فيها بشبهة.

(٦) وأخذ عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص على علي ومعاوية عهد الله وميثاقه بالرضا بما حكما به مما في كتاب الله وسنة نبيه وليس لهما أن ينقضا ذلك ولا يخالفاه إلى غيره.

(٧) وهما آمنان في حكومتهما على دمائهما وأموالهما وأشعارهما وأبشارهما وأهاليهما وأولادهما، لم يعدو الحق، رضي به راض أو سخط ساخط، وإن الأمة أنصارهما على ما قضيا به من الحق مما في كتاب الله.

(٨) فإن توفى أحد الحكمين قبل انقضاء الحكومة، فلشيعته وأنصاره أن يختاروا مكانه رجلا من أهل المعدلة والصلاح، على ما كان عليه صاحبه من العهد والميثاق.

(٩) وإن مات أحد الأميرين قبل انقضاء الأجل المحدود في هذه القضية، فلشيعته أن يولوا مكانه رجلا يرضون عدله.

(١٠) وقد وقعت القضية بين الفريقين والمفاوضة ورفع السلاح.

(١١) وقد وجبت القضية على ما سميناه في هذا الكتاب، من موقع الشرط على الأميرين والحكمين والفريقين والله أقرب شهيد وكفا به شهيدا، فإن خالفا وتعديا، فالأمة بريئة من حكمهما، ولا عهد لهما ولا ذمة.

(١٢) والناس آمنون على أنفسهم وأهاليهم وأولادهم وأموالهم إلى انقضاء الأجل، والسلاح موضوعة، والسبل آمنة، والغائب من الفريقين مثل الشاهد في الأمر.

(١٣) وللحكمين أن ينزلا منزلا متوسطا عدلا بين أهل العراق والشام.

(١٤) ولا يحضرهما فيه إلا من أحب عن تراض منهما.

(١٥) والأجل إلى انقضاء شهر رمضان، فإن رأى الحكمان تعجيل الحكومة عجلاها، وإن رأيا تأخيرها إلى آخر الأجل أخراها.

(١٦) فإن هما لم يحكما بما في كتاب الله وسنة نبيه إلى انقضاء الأجل، فالفريقان على أمرهم الأول في الحرب.

(١٧) وعلى الأمة عهد الله وميثاقه في هذا الأمر، وهم جميعا يد واحدة على من أراد في هذا الأمر إلحادا أو ظلما أو خلافا وشهد على ما في هذا الكتاب الحسن والحسين، ابنا علي، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب، والأشعث بن قيس الكندي، والأشتر بن الحارث، وسعيد بن القيس الهمداني، والحصين والطفيل ابنا الحارث بن عبد المطلب، وأبو سعيد بن ربيعة الأنصاري، وعبد الله بن خباب بن الأرت، وسهل بن حنيف، وأبو بشر بن عمر الأنصاري، وعوف بن الحارث بن عبد المطلب، ويزيد بن عبد الله الأسلمي، وعقبة بن عامر الجهني، ورافع بن خديج الأنصاري، وعمرو بن الحمق الخزاعي، والنعمان بن عجلان الأنصاري، وحجر بن عدي الكندي، ويزيد بن حجية النكري، ومالك ابن كعب الهمداني، وربيعة بن شرحبيل، والحارث بن مالك، وحجر بن يزيد، وعلبة بن حجية، ومن أهل الشام: حبيب بن مسلمة الفهري، وأبو الأعور السلمي، وبسر بن أرطاة القرشي، ومعاوية بن خديج الكندي، والمخارق بن الحارث الزبيدي، ومسلم بن عمرو السكسكي، وعبد الله بن خالد بن الوليد، وحمزة بن مالك، وسبيع بن يزيد بن أبجر العبسي، ومسروق بن جبلة العكي، وبسر بن يزيد الحميري، وعبد الله بن عامر القرشي، وعتبة بن أبي سفيان، ومحمد بن أبي سفيان، ومحمد بن عمرو بن العاص، وعمار بن الأحوص الكلبي، ومسعدة بن عمرو العتبي، والصباح بن جلهمة الحميري، وعبد الرحمن بن ذي الكلاع، وثمامة بن حوشب، وعلقمة بن حكم، كتب يوم الأربعاء لثلاث عشرة ليلة بقيت من صفر سنة سبع وثلاثين[٩٤٠].

رابعا: قصة التحكيم المشهورة وبطلانها من وجوه:

لقد كثر الكلام حول قصة التحكيم، وتداولها المؤرخون والكتاب على أنها حقيقة ثابتة لا مرية فيها، فهم بين مطيل في سياقها ومختصر وشارح ومستنبط للدروس وبان للأحكام على مضامينها وقلما تجد أحدا وقف عندها فاحصا محققا، وقد أحسن ابن العربي في ردها إجمالا وإن كان غير مفصل، وفي هذه دلالة على قوة حاسته النقدية للنصوص، إذ أن جميع متون قصة التحكيم لا يمكن أن تقوم أمام معيار النقد العلمي، بل هي باطلة من عدة وجوه[٩٤١]:

١-أن جميع طرقها ضعيفة، وأقوى طريق وردت فيه هو ما أخرجه عبد الرزاق

(٩٤٠) انظر: الوثائق السياسية ص ٥٣٨، ٥٣٧، الأخبار الطوال للدينوري ص ١٩٦– ١٩٩، أنساب الأشراف(١/ ٣٨٢)، تاريخ الطبري(٥/ ٦٦٥, ٦٦٦)، البداية والنهاية(٧/ ٢٧٦, ٢٧٧).

(٩٤١) مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري ص٤٠٤.

والطبري بسند رجاله ثقات عن الزهري مرسلا قال : قال الزهري : فأصبح أهل الشام قد نشروا مصاحفهم، ودعوا إلى ما فيها، فهاب أهل العراقين، فعند ذلك حكموا الحكمين، فاختار أهل العراق أبا موسى الأشعري، واختار أهل الشام عمرو بن العاص فتفرق أهل صفين حين حكم الحكمان، فاشترطا أن يرفعا ما رفع القرآن ويخفضا ما خفض القرآن، وأن يختارا لأمة محمد (ﷺ)، وأنهما يجتمعان بدومة الجندل، فإن لم يجتمعا لذلك اجتمعا من العام المقبل بأذرح، فلما انصرف علي خالفت الحرورية وخرجت – وكان ذلك أول ما ظهرت – فآذنوه بالحرب، وردوا عليه : أن حكم بني آدم في حكم الله (عز وجل)، وقالوا : لا حكم إلا لله سبحانه، وقاتلوا، فلما اجتمع الحكمان بأذرح وافاهم المغيرة بن شعبة فيمن حضر من الناس، فأرسل الحكمان إلى عبد الله بن عمر بن الخطاب وعبد الله بن الزبير في إقبالهم في رجال كثير، ووفى معاوية بأهل الشام، وأبى علي وأهل العراق أن يوافوا، فقال المغيرة بن شعبة لرجال من ذوي الرأي من قريش : أترون أحدا من الناس برأي يبتدعه يستطيع أن يعلم أيجتمع الحكمان أم يتفرقان؟ قالوا : لا نرى أحدا يعلم ذلك، قال فوالله إني لأظن أني سأعلمه منهما حين أخلو بهما وأراجعهما، فدخل عمرو بن العاص وبدأ به فقال : يا أبا عبد الله، أخبرني عما أسألك عنه، كيف ترانا معشر المعتزلة، فإنا قد شككنا في الأمر الذي تبين لكم من هذا القتال، ورأينا أن نستأني ونتثبت حتى تجتمع الأمة، أراكم معشر المعتزلة خلف الأبرار، وأمام الفجار، فانصرف المغيرة ولم يسأله غير ذلك، حتى دخل على أبي موسى فقال له مثل ما قال لعمرو فقال أبو موسى : أراكم أثبت الناس رأيًا، فيكم بقية المسلمين، فانصرف المغيرة ولم يسأله عن غير ذلك، فلقي الذين قال لهم ما قال من ذوي الرأي من قريش، فقال: لا يجتمع هذان على أمر واحد، فلما اجتمع الحكمان وتكلما قال عمرو بن العاص: يا أبا موسي، رأيت أول ما تقضي به من الحق أن تقضي لأهل الوفاء بوفائهم، وعلى أهل الغدر بغدرهم، قال أبوموسي: وما ذاك؟ قال: ألست تعلم أن معاوية وأهل الشام قد وفوا، وقدموا للموعد الذي واعدناهم إياه؟ قال بلي، قال عمرو: اكتبها، فكتبها أبو موسي، قال عمرو: يا أبا موسي، أأنت على أن نسمي رجلاً يلي أمر هذه الأمة؟ فسمه لي، فإن أقدر على أن أتابعك فلك علي أن أتابعك وإلا فلي عليك أن تتابعني؛ قال: أبا موسي أسمي لك معاوية بن أبي سفيان فلم يبرحا مجلسهما حتى استبا، ثم خرجا إلى الناس، فقال أبو موسي: إني وجدت مثل عمرو مثل الذين قال الله (عز وجل): ﴿**وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا**﴾ [الأعراف: ١٧٥]. فلما سكت أبو موسي تكلم عمرو فقال: أيها الناس وجدت مثل أبي موسي كمثل الذي قال الله (عز وجل): ﴿**مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا**﴾[الجمعة: ٥]. وكتب كل واحد منهما مثله الذي ضرب لصاحبه إلى الأمصار(٩٤٢) والزهري لم يدرك الحادثة فهي

(٩٤٢) المصنف (٥/ ٤٦٣)، مرويات تاريخ الطبري ص ٤٠٦.

مرسلة، ومراسيله كأدراج الرياح لا تقوم بها حجة[٩٤٣]، كما قرر العلماء وهناك طريق أخرى أخرجها ابن عساكر بسنده إلى الزهري وهي مرسلة وفيها أبو بكر بن أبي سبرة قال عنه الإمام أحمد: كان يصنع الحديث[٩٤٤]. وفي سنده أيضًا الواقدي، وهو متروك[٩٤٥]، وهذا نصها: .. رفع أهل الشام المصاحف وقالوا: ندعوكم إلى كتاب الله والحكم بما فيه وكان ذلك مكيدة من عمرو بن العاص، فاصطلحوا وكتبوا بينهم كتابًا على أن يوافوا رأس الحول أذرح، وحكموا حكمين ينظرون في أمور الناس فيرفضون بحكمهما، فحكم علي أبا موسى الأشعري، وحكم معاوية عمرو بن العاص، وتفرق الناس فرجع علي إلى الكوفة بالاختلاف والدغل، واختلف عليه أصحابه فخرج عليه الخوارج من أصحابه ممن كان معه، وأنكروا تحكيمه وقالوا: لا حكم إلا لله ورجع معاوية إلى الشام بالألفة واجتماع الكلمة عليه ووافى الحكمان بعد الحول بأذرح في شعبان سنة ثمان وثلاثين، واجتمع الناس إليهما وكان بينهما كلام اجتمعا عليه في السر خالفه عمرو بن العاص في العلانية، فقدم أبا موسى فتكلم وخلع عليًا ومعاوية، ثم تكلم عمرو بن العاص فخلع عليًا وأقر معاوية، فتفرق الحكمان ومن كان اجتمع إليهما وبايع أهل الشام معاوية في ذي القعدة سنة ثمان وثلاثين[٩٤٦]، وأما طرق أبي مخنف فهي معلولة به، فالأول: وهو أبو مخنف لوط بن يحيى؛ ضعيف ليس بثقة[٩٤٧]، وإخباري تالف غالي في الرفض وأما الثاني قال فيه ابن سعد: كان ضعيفًا[٩٤٨] وقال البخاري وأبو حاتم كان يحيى القطان يضعفه[٩٤٩] وقال عثمان الدارمي: ضعيف[٩٥٠]، وقال النسائي: ضعيف[٩٥١]. هذه طرق قصة التحكيم المشهورة، والمناظرة بين أبي موسى وعمرو بن العاص المزعومة، أفبمثل هذا تقوم حجة؛ أو يعول على مثل ذلك في تاريخ الصحابة الكرام وعهد الخلفاء الراشدين، عصر القدوة والأسوة؛ ولو لم يكن في هذه الروايات إلا الاضطراب في متونها لكفاها ضعفًا فكيف إذا أضيف إلى ذلك ضعف أسانيدها[٩٥٢].

٢- أهمية هذه القضية من جانب الاعتقاد والتشريع، ومع ذلك لم تنقل لنا بسند صحيح، ومن المحال أن يطبق العلماء على إهمالها مع أهميتها وشدة الحاجة إليها[٩٥٣].

---

(٩٤٣) المراسيل لابن أبي حاتم ص٣، الجرح والتعديل (١/ ٢٤٦).
(٩٤٤) تهذيب التهذيب (١٢/ ٢٧)، مرويات تاريخ الطبري ص٤٠٦.
(٩٤٥) مرويات تاريخ الطبري ص٤٠٦.
(٩٤٦) تاريخ دمشق (١٦/ ٥٣).
(٩٤٧) تحقيق مواقف الصحابة (٢/ ٢٢٣).
(٩٤٨) مرويات أبي مخنف ص٤٠٧.
(٩٤٩) التاريخ الكبير (٤/ ٢/ ٢٦٧)، الجرح والتعديل (٩/ ١٣٨).
(٩٥٠) التاريخ للدارمي ص ٢٣٨، تحقيق مواقف الصحابة (٢/ ٢٢٣).
(٩٥١) الضعفاء والمتروكون ص ٢٥٣.
(٩٥٢) مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري ص٤٠٨.
(٩٥٣) المصدر نفسه ص ٤٠٨.

٣- وردت رواية تنقض تلك الروايات تمامًا، وذلك فيما أخرجه البخاري في تاريخه مختصرًا بسند رجاله ثقات، وأخرجه ابن عساكر معلولاً، عن الحصين بن المنذر أن معاوية أرسله إلى عمرو بن العاص فقال له: إنه بلغني عن عمرو بعض ما أكره فائته فاسأله عن الأمر الذي اجتمع عمرو وأبو موسى فيه كيف صنعتما فيه؟ قال: قد قال الناس وقالوا، ولا والله ما كان ما قالوا، ولكن لما اجتمعت أنا وأبو موسى قلت له: ماترى في هذا الأمر؟ قال: أرى أنه في النفر الذين توفي رسول الله (ﷺ) وهو عنهم راض قال: فقلت: أين تجعلني من هذا الأمر أنا ومعاوية؟ قال: إن يستعين بكما ففيكما معونة، وإن يستغن عنكما فطالما استغنى أمر الله عنكما[٩٥٤] وقد روي أبو موسى عن تورع عمرو ومحاسبته لنفسه، وتذكره سيرة أبي بكر وعمر، وخوفه من الإحداث بعدهما، قال أبو موسى: قال لي عمرو بن العاص: والله لئن كان أبو بكر وعمر تركا هذا المال وهو يحل لهما، لقد غبنا وأخطأ أو نقص رأيهما، ووالله ما كانا مغبونين ولا مخطئين ولا ناقصي الرأي. ووالله ما جاءنا الوهن والضعف إلا من قبلنا[٩٥٥].

٤- إن معاوية كان يقر بفضل علي عليه وأنه أحق بالخلافة منه فلم ينازعه الخلافة ولا طلبها لنفسه في حياة علي، فقد أخرج يحيى بن سليمان الجعفي بسند جيد[٩٥٦]،عن أبي مسلم الخولاني أنه قال لمعاوية: أنت تنازع عليًا في الخلافة أو أنت مثله؟ قال: لا وإني لأعلم أنه أفضل مني وأحق بالأمر، ولكن ألستم تعلمون أن عثمان قتل مظلومًا وأنا ابن عمه ووليه أطلب بدمه؟ فائتوا عليًا فقولوا له يدفع لنا قتلة عثمان وأسلم له، فأتوا عليًا فكلموه فلم يدفعهم إليه[٩٥٧]، فهذا هو أصل النزاع بين علي ومعاوية رضي الله عنهما؛ فالتحكيم من أجل حل هذه القضية المتنازع عليها لا لا ختيار خليفة أو عزله[٩٥٨]، ويقول ابن حزم في هذا الصدد بأن عليًا قاتل معاوية لامتناعه من تنفيذ أوامره في جميع أرض الشام، وهو الإمام الواجب طاعته، ولم ينكر معاوية قط فضل علي واستحقاقه الخلافة، لكن اجتهاده أداه إلى أن رأي تقديم أخذ القود من قتلة عثمان على البيعة، ورأي نفسه أحق بطلب دم عثمان والكلام فيه من أولاد عثمان وأولاد الحكم بن أبي العاص لسنه وقوته على الطلب بذلك وأصاب في هذا وإنما أخطأ في تقديمه ذلك على البيعة فقط[٩٥٩]،وفهم الخلاف على هذه الصورة - وهي صورته الحقيقية- بين إلى أي مدى تخطئ الروايات السابقة عن التحكيم في تصوير قرار الحكمين، إن الحكمين كانا مفوضين للحكم في الخلاف بين علي ومعاوية، ولم

---

(٩٥٤) التاريخ الكبير (٥/٣٩٨).
(٩٥٥) العواصم من القواصم ص ١٧٨-١٨٠.
(٩٥٦) فتح الباري (١٣/٨٦).
(٩٥٧) سير أعلام النبلاء (٣/ ١٤٠).
(٩٥٨) مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري ص٤٠٩.
(٩٥٩) الفصل في الملل والنحل (٤/ ١٦٠).

يكن الخلاف بينهما حول الخلافة ومن أحق بها منهما وإنما كان حول توقيع القصاص على قتلة عثمان، وليس هذا من أمر الخلافة في شيء، فإذا ترك الحكمان هذه القضية الأساسية، وهي ما طلب إليهما الحكم فيه، واتخذا قرارًا في شأن الخلافة كما تزعم الرواية الشائعة، فمعنى ذلك أنهما لم يفضا موضوع النزاع، ولم يحيطها بموضوع الدعوى، وهو أمر مستبعد جدا[٩٦٠].

٥- أن الشروط التي يجب توافرها في الخليفة هي العدالة والعلم، والرأي المفضي إلى سياسة الرعية وتدبير المصالح، وأن يكون[٩٦١] قرشيًا وقد توفرت هذه الشروط في علي رضي الله عنه، فهل بيعته منعقدة أم لا؟ فإذا كانت منعقدة - ولا شك في ذلك ـ وقد بايعه المهاجرون والأنصار أهل الحل والعقد، وخصومه يقرون له بذلك، فقول معاوية السابق يدل عليه بأنه الإمام إذا لم يخل عن صفات الأئمة، فرام العاقدون له عقد الإمام أن يخلعوه، لم يجدوا إلى ذلك سبيلاً باتفاق الأئمة؛ فإن عقد الإمام لازم، لا اختيار في حله من غير سبب يقتضيه، ولا تنتظم الإمامة ولا تفيد الغرض المقصود منها إلا مع القطع بلزومها، ولو تخير الرعايا في خلع إمام الخلق على حكم الإيثار والاختيار لما استتب للإمام طاعة ولما استمرت له قدرة واستطاعة ولما صح لمنصب الإمام معني[٩٦٢]. وإذا فليس الأمر بهذه الصورة التي تحكيها الروايات كل من لم يرض بإمامه خلعه، فعقد الإمامة لا يحله إلا من عقده، وهم أهل الحل والعقد وبشرط إخلال الإمام بشروط الإمامة، وهل علي رضي الله عنه فعل ذلك واتفق أهل الحل والعقد على عزله عن الخلافة وهو الخليفة الراشد حتى يقال: إن الحكمين اتفقا على ذلك، فما ظهر منه قط إلى أن مات رضي الله عنه، شيء يوجب نقض بيعته، وما ظهر منه قط إلا العدل، والجد، والبر والتقوى والخير[٩٦٣].

٦- أن الزمان الذي قام فيه التحكيم زمان فتنة، وحالة المسلمين مضطربة مع وجود خليفة لهم، فكيف تنتظم حالتهم مع عزل الخليفة، لا شك أن الأحوال ستزداد سوءًا، والصحابة الكرام أحذق وأعقل من أن يقدموا على هذا ولهذا يتضح بطلان هذا الرأي عقلاً ونقلاً.

٧- إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه حصر الخلافة في أهل الشورى: وهم الستة وقد رضي المهاجرون والأنصار بذلك، فكان ذلك إذنًا في أن الخلافة لا تعدو هؤلاء إلى غيرهم ما بقي منهم واحد ولم يبق منهم في زمان التحكيم إلا سعد بن أبي وقاص وقد اعتزل الأمر ورغب عن الولاية، والإمارة، وعلي بن أبي طالب القائم بأمر الخلافة وهو أفضل الستة بعد عثمان فكيف يتخطى بالأمر إلى غيره[٩٦٤].

---

(٩٦٠) تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة (٢/ ٢٢٥).

(٩٦١) الأحكام السلطانية للماوردي، الأحكام السلطانية لأبي يعلي ص٢٠ غياث الأمم ص ٧٩ وما بعدها

(٩٦٢) غياث الأمم ص ١٢٨، مرويات أبي مخنف ص ٤١٠.

(٩٦٣) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٤/٢٣٨).

(٩٦٤) مرويات تاريخ أبي مخنف ص ٤١١.

٨- أوضحت الروايات أن أهل الشام بايعوا معاوية بعد التحكيم: والسؤال ما المسوغ الذي جعل أهل الشام يبايعون معاوية؟ إن كان من أجل التحكيم فالحكمان لم يتفقا ولم يكن ثمة مبرر آخر حتى ينسب عنهم ذلك، مع أن ابن عساكر نقل بسند رجاله ثقات عن سعيد بن عبد العزيز التنوخي(٩٦٥)، أعلم الناس بأمر الشام(٩٦٦) أنه قال: كان علي بالعراق يدعى أمير المؤمنين وكان معاوية بالشام يدعى الأمير فلما مات علي دعي معاوية بالشام أمير المؤمنين(٩٦٧). فهذا النص يبين أن معاوية لم يبايع بالخلافة إلا بعد وفاة علي وإلى هذا ذهب الطبري، فقد قال في آخر حوادث سنة أربعين: وفي هذه السنة بويع لمعاوية بالخلافة بإيلياء(٩٦٨)، وعلق على هذا ابن كثير بقوله: يعني لما مات علي قام أهل الشام فبايعوا معاوية على إمرة المؤمنين لأنه لم يبق له عندهم منازع(٩٦٩)، وكان أهل الشام يعلمون بأن معاوية ليس كفؤًا لعلي بالخلافة ولا يجوز أن يكون خليفة مع إمكان استخلاف علي رضي الله عنه، فإن فضل علي وسابقته وعلمه، ودينه وشجاعته، وسائر فضائله: كانت عندهم ظاهرة معروفة، كفضل إخوانه، أبي بكر، وعمر، وعثمان، وغيرهم رضي الله عنهم(٩٧٠) وإضافة إلى ذلك فإن النصوص تمنع من مبايعة خليفة مع وجود الأول، فقد أخرج مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله (ﷺ): «إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما»(٩٧١)، والنصوص في هذا المعنى كثيرة(٩٧٢) ومن المحال أن يطبق الصحابة على مخالفة ذلك(٩٧٣).

٩- أخرج البخاري في صحيحه عن ابن عمر قال: دخلت على حفصة قلت: قد كان من أمر الناس ما ترين فلم يجعل لي من الأمر شيء فقالت: الحق فإنهم ينتظرونك وأخشى أن يكون احتباسك عنهم فرقة، فلم تدعه حتى ذهب، فلما تفرق الناس خطب معاوية قال: من كان يريد أن يتكلم في هذا الأمر فليطلع لنا قرنه فلنحن أحق به منه ومن أبيه، قال حبيب بن مسلمة: فهلا أجبته؟ قال عبد الله: فحللت حبوتي وهممت أن أقول أحق بهذا الأمر منك من قاتلك وأباك على الإسلام فخشيت أن أقول: كلمة تفرق بين الجمع وتسفك الدم ويحمل عني غير ذلك، فذكرت ما أعد الله في الجنان. قال حبيب: حفظت

---

(٩٦٥) سعيد بن عبد العزيز التنوخي ثقة إمام. التقريب.
(٩٦٦) تهذيب التهذيب (٤/ ٦٠).
(٩٦٧) تاريخ الطبري (٦/ ٧٦).
(٩٦٨) المصدر نفسه (٦/ ٧٦).
(٩٦٩) البداية والنهاية (٨/ ١٦).
(٩٧٠) الفتاوى (٣٥/ ٧٣).
(٩٧١) صحيح مسلم (٣/ ١٤٨٠).
(٩٧٢) سنن البيهقي(٨/ ١٤٤).
(٩٧٣) مرويات أبي مخنف ص ٤١٢.

وعصمت[٩٧٤]، وهذا الحديث قد يفهم منه مبايعة معاوية بالخلافة، وليس فيه تصريح بذلك، وقد قال بعض العلماء: إن هذا الحديث كان في الاجتماع الذي صالح فيه الحسن بن علي رضي الله عنه معاوية رضي الله عنه، وقال ابن الجوزي: إن هذه الخطبة كانت في زمن معاوية لما أراد أن يجعل ابنه يزيد ولي عهده، ويرى ابن حجر في التحكيم[٩٧٥]، ودلالة النص على القولين الأولين أقوى. فقوله: فخشيت أن أقول كلمة تفرق بين الجمع وتسفك الدم، دليل على اجتماع الكلمة على معاوية، وأيام التحكيم أيام فرقة واختلاف لا أيام جمع وائتلاف[٩٧٦].

١٠- حقيقة قرار التحكيم: ليس من شك في أن أمر الخلاف الذي رأى الحكمان رده إلى الأمة أو إلى أهل الشورى ليس إلا أمر الخلاف بين علي ومعاوية حول قتلة عثمان، ولم يكن معاوية مدعيًا للخلافة ولا منكرًا حق علي فيها عما تقرر سابقًا، وإنما كان ممتنعًا عن بيعته وعن تنفيذ أوامره في الشام حيث كان متغلبًا عليها بحكم الواقع لا بحكم القانون، مستفيدًا من طاعة الناس له بعد أن بقي واليًا فيها زهاء عشرين سنة[٩٧٧]، وقال ابن دحية الكلبي في كتابه «أعلام النصر المبين في المفاضلة بين أهل صفين»: قال أبو بكر محمد بن الطيب الأشعري - الباقلاني - في مناقب الأئمة: فما اتفق الحكمان قط على خلعه - أي علي بن أبي طالب ... وعلى أنهما لو اتفقا على خلعه لم ينخلع حتى يكون الكتاب والسنة المجتمع عليهما يوجبان خلعه أو أحد منهما على ما شرطا في الموافقة بينهما أو إلى أن يبينا ما يوجب خلعه من الكتاب والسنة، ونص كتاب علي رضي الله عنه اشترط على الحكمين أن يحكما بما في كتاب الله (عز وجل) من فاتحته إلى خاتمته لا يجاوزان ذلك ولا يحيدان عنه، ولا يميلان إلى هوى ولا إدهان، وأخذ عليهما أغلظ العهود والمواثيق، وإن هما جاوزا بالحكم كتاب الله فلا حكم لهما... والكتاب والسنة يثبتان إمامته، ويعظمانه ويثنيان عليه، ويشهدان بصدقه وعدالته، وإمامته وسابقته في الدين، وعظم جهاده في جهاد المشركين، وقرابته من سيد المرسلين، وما خص به من القدم في العلم والمعرفة بالحكم، ووفور الحلم، وأنه حقيق بالإمامة، وأهل لحمل أعباء الخلافة[٩٧٨].

١١- مكان انعقاد المؤتمر: كان الموعد المحدد لاجتماع الحكمين - كما جاء في الوثيقة - في رمضان في عام ٣٧ هـ، إذا لم تحدث عوائق، في موضع وسط بين العراق والشام وهذا

(٩٧٤) البخاري (٥/ ٤٨).
(٩٧٥) فتح الباري (٧/ ٤٦٦).
(٩٧٦) مرويات أبي مخنف.
(٩٧٧) تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة (٢/ ١٣٤).
(٩٧٨) أعلام النصر المبين في المفاضلة بين أهل صفين ص ١٧٧.

الموضع المختار هو دومة الجندل[٩٧٩]، وفي روايات موثقة وأذرح[٩٨٠] في روايات أخري دونها في الإتقان، ولعل لقرب المكانين من بعضهما أثر في اختلاف الروايات، إذ يقول خليفة بن خياط[٩٨١]. . . ويقال: بأذرح وهي من دومة الجندل قريب، وقد تم الاجتماع في الموعد المحدد بدون عوائق[٩٨٢].

إن المكان الذي اجتمع فيه الحكمان هو دومة الجندل، وهذا بخلاف ما جزم به ياقوت الحموي من أن التحكيم حدث في أذرح واستبدل على ذلك ببعض روايات لم يبينها وبالأشعار وبخاصة بشعر ذي الرمة[٩٨٣]، في مدح بلال بن أبي بردة[٩٨٤] وهو قوله:

أبوك تلافي الدين والناس بعدما تشاءوا بيت الدين منقلع الكسر
فشد إصار الدين أيام أذرح ورد حروبًا قد لقحن إلى عقر[٩٨٥]

١٢- هل حضر سعد بن أبي وقاص اجتماع الحكمين؟

اجتمع الحكمان في موعدهما المحدد، ومع كل واحد منهما بضع مئات يمثلون وفدين، وفد عن أهل العراق، والآخر يمثل أهل الشام وطلب الحكمان من عدد من أعيان قريش وفضلائهم الحضور لمشاورتهم والاستئناس برأيهم، ولم يحضر الاجتماع عدد من كبار الصحابة كانوا قد اعتزلوا القتال منذ بدايته وأفضل هؤلاء، سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه فإنه لم يحضر التحكيم ولا أراد ذلك ولا هم به[٩٨٦] فعن عامر بن سعد أن أخاه عمر انطلق إلى سعد في غنم له خارجًا من المدينة فلما أتاه قال: يا أبت، أرضيت أن تكون أعرابيًا في غنمك والناس يتنازعون في الملك بالمدينة؟ فضرب سعد صدر عمر وقال: اسكت فإني سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: «إن الله يحب العبد التقي الغني الخفي»[٩٨٧].

خامسًا: هل يمكن الاستفادة من حادثة التحكيم في فض النزاعات بين الدول الإسلامية؟

يمكن الاستفادة من حادثة التحكيم في فض النزاعات بين الدول الإسلامية وذلك بتحمل قادة البلاد الإسلامية جميعًا مسؤولياتهم ومن ورائهم الأمة الإسلامية التي يحكمونها في

(٩٧٩) دومة الجندل: غرب مدينة الجوف في شمال الجزيرة العربية.
(٩٨٠) أذرح: اسم بلد في أطراف الشام من أعمال الشراة من نواحي البلقاء.
(٩٨١) تاريخ خليفة ص ١٩١، ١٩٢.
(٩٨٢) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد ص ٢٦٧.
(٩٨٣) ذي الرمة: غيلان بن عقبة توفي ١١٧هـ سير أعلام النبلاء (٥/ ٢٦٧).
(٩٨٤) بلال بن أبي بردة عامر بن أبي موسي الأشعري، تهذيب تاريخ دمشق (٣/ ٣٢١).
(٩٨٥) ديوان ذي الرمة ص ٣٦١ - ٣٦٢ نقلاً عن خلافة علي ص ٢٧٢.
(٩٨٦) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد ص ٢٧٢.
(٩٨٧) المسند (١/ ١٦٨) وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح (٣/ ٢٦)، خلافة علي بن أبي طالب، للسلمي ص ١٠٧.

الضغط الجاد الصادق، على الطرفين المتنازعين، لكي يوقفا بينهما القتال، ويلجأ إلى التحكيم الشرعي في الإسلام فيرسل هذا الطرف حكمًا من قبله، وذلك حكمًا آخر من قبله أيضًا، للفصل في النزاع القائم وذلك على ضوء ما يلي:

١- تحديد صلاحيات الحكمين في إصدار الأحكام التي لا بد منها لحل المشكلات التي هي سبب النزاع.

٢- جعل مصادر التشريع الإسلامي هي المرجع الوحيد لإصدار تلك الأحكام والحلول التي تفصل في مسائل النزاع.

٣- أخذ العهد على كل طرف من طرفي النزاع، وأخذ العهد على جميع قادة البلاد الإسلامية بقبول ما يصدره الحكمان من أحكام، وحلول مشروعة لإنهاء النزاع الراهن، على أنها واجبة التنفيذ بحكم الإسلام، وأن الخروج عليها، أو الرضا بذلك الخروج يترتب عليه الإثم شرعًا.

٤- إذا أصدر الحكمان ما اتفقا عليه من أحكام وحلول، وانقاد لها الطرفان المتنازعان؛ قضي الأمر، وكفي الله المؤمنين القتال.

٥- إذا رفض أحد الطرفين، أو كلاهما الانقياد لقضاء الحكمين اعتبر الطرف الرافض هو الطرف الباغي، سواء صدر الرفض من أحدهما، أو من كليهما، ووجب شرعًا على القوات الإسلامية في الأقطار الأخرى أن تضع نفسها تحت تصرف ما يصدره الحكمان من قرارات عسكرية، من أجل التدخل لحسم النزاع بالقوة، على وجه لا تترتب عليه أضرار ومخاطر هي أكبر من ضرر النزاع القائم.

٦- ويكون من صلاحيات الحكمين بالاتفاق إصدار القرارات التي تخص كيفية تحريك القوات المسلحة في الأقطار الإسلامية الأخرى، من أجل حل النزاع القائم على ضوء ما سلف بيانه[٩٨٨] ولعل اللجوء إلى مثل هذه الطريقة في حل المنازعات بين الأقطار، كفيل بسد الطريق على أية قوة خارجية تتدخل في نزاعات المسلمين بحجة أن بعض أطراف النزاع دعاها إلى هذا التدخل . . ومن ثم تستغل هذه الفرصة، لكي تتآمر على المسلمين، فتعمل على تصعيد تلك النزاعات، وفرض الحل الذي يحلو لها، ويكون فيه مصلحتها فقط وليعان المسلمون بعدئذ من آثار ذلك الحل أسوأ مما كانوا يعانون من فتنة النزاع نفسها، فهذه المعاناة لا تهم في شيء، لا، بل إن هذه المعاناة هي من جملة الاهتمامات التي فرضت من أجل تفجيرها ذلك الحل المشؤوم؛ قلنا: لعل اللجوء إلى التحكيم، على نحو ما سلف بيانه، يسد الطريق في وجه تلك القوي الخارجية التي تبغي في صفوف المسلمين الفساد، هذا، وإن الصفة الإلزامية شرعًا للحل عن طريق التحكيم الذي عرضناه - تستند إلى إجماع الصحابة،

---

(٩٨٨) الجهاد والقتال في السياسة الشرعية (٣/ ١٦٦٥).

فقد أجمع الصحابة كلهم في عهد النزاع الذي نشب بين علي ومعاوية على اللجوء إلى التحكيم، والقبول به.. سواء في ذلك الصحابة الذين كانوا مع علي، والصحابة الذين كانوا مع معاوية، والصحابة الذين اعتزلوا الفريقين، كسعد بن أبي وقاص، وابن عمر وغيرهما - رضي الله عنهم أجمعين(٩٨٩).

سادسًا: موقف أهل السنة من تلك الحروب:

إن موقف أهل السنة والجماعة من الحرب التي وقعت بين الصحابة الكرام رضي الله عنهم هو الإمساك عما شجر بينهم إلا فيما يليق بهم رضي الله عنهم لما يسببه الخوض في ذلك من توليد العداوة والحقد والبغض لأحد الطرفين وقالوا: إنه يجب على كل مسلم أن يحب الجميع ويترضى عنهم ويترحم عليهم ويحافظ لهم فضائلهم، ويتعرف لهم بسوابقهم، وينشر مناقبهم وأن الذي حصل بينهم إنما كان عن اجتهاد والجميع مثابون في حالتي الصواب والخطأ، غير أن ثواب المصيب ضعف ثواب المخطئ في اجتهاده وأن القاتل والمقتول من الصحابة في الجنة، ولم يجوز أهل السنة والجماعة الخوض فيما شجر بينهم، وقبل أن أذكر طائفة من أقوال أهل السنة التي تبين موقفهم فيما شجر بين الصحابة أذكر بعض النصوص التي فيها الإشارة إلى ما وقع بين الصحابة من الاقتتال وبما وصفوا به فيها وتلك النصوص هي(٩٩٠):

١- قال تعالى: **﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾** [الحجرات: ٩].

ففي هذه الآية أمر الله (تعالى) بالإصلاح بين المؤمنين إذا ما جرى بينهم قتال لأنهم إخوة وهذا الاقتتال لا يخرجهم عن وصف الإيمان حيث سماهم الله (عز وجل) مؤمنين وأمر بالإصلاح بينهم وإذ كان حصل اقتتال بين عموم المؤمنين ولم يخرجهم ذلك من الإيمان فأصحاب رسول الله (ﷺ) الذين اقتتلوا في موقعة الجمل وبعدها أول من يدخل في اسم الإيمان الذي ذكر في هذه الآية فهم لا يزالون عند ربهم مؤمنين إيمانًا حقيقيًا ولم يؤثر ما حصل بينهم من شجار في إيمانهم بحال لأنه كان عن اجتهاد(٩٩١).

٢- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله (ﷺ): «**تمرق مارقة عند**

---

(٩٨٩) الجهاد والقتال في السياسة الشرعية (٣/ ١٦٦٥).

(٩٩٠) عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام (٢/ ٧٢٧) تنزيه خال المؤمنين معاوية بن أبي سفيان من الظلم والفسق في مطالبته بدم أمير المؤمنين عثمان ص ٤١.

(٩٩١) العواصم من القواصم ص ١٦٩- ١٧٠، أحكام القرآن (٤/ ١٧١٧).

فرقة من المسلمين تقتلهم أولى الطائفتين بالحق»(٩٩٢) . والفرقة المشار إليها في الحديث هي ما كان من الاختلاف بين علي ومعاوية رضي الله عنهما وقد وصف (ﷺ) الطائفتين معًا بأنهما مسلمتان وأنهما متعلقتان بالحق، والحديث علم من أعلام النبوة: إذ وقع الأمر طبق ما أخبر به عليه الصلاة والسلام، وفيه الحكم بإسلام الطائفتين: أهل الشام وأهل العراق، لا كما يزعمه فرقة الرافضة والجهلة الطغام من تكفيرهم أهل الشام، وفيه أن أصحاب علي أدنى الطائفتين إلى الحق وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة أن عليًا هو المصيب وإن كان معاوية مجتهدًا وهو مأجور إن شاء الله ولكن علي هو الإمام فله أجران كما ثبت في صحيح البخاري: «إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران وإذا اجتهد فأخطأ فله أجره»(٩٩٣).

٣- وعن أبي بكرة قال: بينا النبي (ﷺ) يخطب جاء الحسن فقال النبي: «ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين»(٩٩٤) ففي هذا الحديث شهادة النبي (ﷺ) بإسلام الطائفتين أهل العراق وأهل الشام والحديث فيه رد واضح على الخوارج الذين كفروا عليًا ومن معه بما تضمنه الحديث من الشهادة للجميع بالإسلام ولذا كان يقول سفيان بن عيينة: قوله: «فئتين من المسلمين» يعجبنا جدًا. قال البيهقي: وإنما أعجبهم لأن النبي (ﷺ) سماهم جميعًا مسلمين، وهذا خبر من رسول الله بما كان من الحسن بن علي بعد وفاة علي في تسليمه الأمر إلى معاوية بن أبي سفيان(٩٩٥).

فهذه الأحاديث المتقدم ذكرها فيها الإشارة إلى أهل العراق الذين كانوا مع علي وإلى أهل الشام الذين كانوا مع معاوية بن أبي سفيان وقد وصفهم النبي (ﷺ) بأنهم من أمته(٩٩٦). كما وصفهم بأنهم جميعًا متعلقون بالحق لم يخرجوا عنه كما شهد لهم (ﷺ) بأنهم مستمرون على الإيمان ولم يخرجوا عنه بسبب القتال الذي حصل بينهم وقد دخلوا تحت عموم قوله (تعالى): ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾ [الحجرات: ٩]. وقد قدمنا أن مدلول الآية يتضمنهم رضي الله عنهم أجمعين فلم يكفروا ولم يفسقوا بقتالهم بل هم مجتهدون متأولون وقد بين الحكم في قتالهم ذلك علي بن أبي طالب رضي الله عنه كما مر معنا. فالواجب على المسلم أن يسلك في اعتقاده فيما حصل بين الصحابة الكرام رضي الله عنهم مسلك الفرقة الناجية من أهل السنة والجماعة وهو الإمساك عما حصل بينهم رضي الله عنهم ولا يخوض فيه إلا بما هو لائق بمقامهم وكتب أهل السنة مملوءة ببيان عقيدتهم الصافية النقية في حق أولئك الصفوة المختارة وقد حددوا موقفهم من تلك الحرب التي وقعت بينهم في أقوالهم الحسنة التي منها(٩٩٧):

---

(٩٩٢) مسلم (٢/٧٤٥).

(٩٩٣) البخاري مع شرحه في فتح الباري (١٣/٣١٨).

(٩٩٤) البخاري، ك الفتن رقم ٧١٠٩.

(٩٩٥) الاعتقاد للبيهقي ص ١٩٨، فتح الباري (١٣/٦٦).

(٩٩٦) في صحيح مسلم (٢/٧٤٦) تكون في أمتي فرقتان.

(٩٩٧) عقيدة أهل السنة في الصحابة (٢/٧٤٦) تكون في أمتي فرقتان.

١- سئل عمر بن عبد العزيز رحمه الله (تعالى) عن القتال الذي حصل بين الصحابة فقال: تلك دماء طهر الله يدي منها أفلا أطهر بها لساني مثل أصحاب رسول الله (ﷺ) مثل العيون، ودواء العيون ترك مسها[٩٩٨]. قال البيهقي معلقا على قول عمر بن عبد العزيز رحمه الله: هذا حسن جميل لأن سكوت الرجل عما لا يعنيه هو الصواب[٩٩٩].

٢- سئل الحسن البصري رحمه الله عن قتال الصحابة فيما بينهم فقال: قتال شهده أصحاب محمد (ﷺ) وغبنا، وعلموا وجهلنا، واجتمعوا فاتبعنا، واختلفوا فوقفنا[١٠٠٠]. ومعنى قول الحسن هذا: أن الصحابة كانوا أعلم بما دخلوا فيه منا وما علينا إلا أن نتبعهم فيما اجتمعوا عليه، ونقف عند ما اختلفوا فيه ولا نبتدع رأيا منا، ونعلم أنهم اجتمعوا وأرادوا الله (عز وجل) إذ كانوا غير متهمين في الدين[١٠٠١].

٣- سئل جعفر بن محمد الصادق عما وقع بين الصحابة فأجاب بقوله: أقول ما قال الله: ﴿ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴾[١٠٠٢] [طه: ٥٢].

قال الإمام أحمد رحمه الله بعد أن قيل له: ما تقول فيما كان بين علي ومعاوية؟ قال: ما أقول فيهم إلا الحسنى[١٠٠٣]، وعن إبراهيم بن آرز الفقيه قال: حضرت أحمد بن حنبل وسأله رجل عما جرى بين علي ومعاوية؟ فأعرض عنه فقيل له: يا أبا عبد الله هو رجل من بني هاشم فأقبل عليه فقال: اقرأ ﴿ **تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾ [البقرة: ١٣٤].

٤- وقال ابن أبي زيد القيرواني في صدد عرضه لما يجب أن يعتقده المسلم في أصحاب رسول الله (ﷺ) وما ينبغي أن يذكروا به فقال: وألا يذكر أحد من صحابة الرسول إلا بأحسن ذكر والإمساك عما شجر بينهم وأنهم أحق الناس أن يلتمس لهم أحسن المخارج ويظن بهم أحسن المذاهب[١٠٠٤].

وقال أبو عبد الله بن بطة أثناء عرضه لعقيدة أهل السنة والجماعة: ومن بعد ذلك نكف عما شجر بين أصحاب رسول الله (ﷺ) فقد شهدوا المشاهد معه وسبقوا الناس بالفضل فقد غفر الله لهم وأمرك بالاستغفار لهم والتقرب إليه بمحبتهم وفرض ذلك على لسان نبيه وهو يعلم ما سيكون منهم وأنهم سيقتتلون وإنما فضلوا على سائر الخلق لأن الخطأ والعمد وضع

---

(٩٩٨) الإنصاف للباقلاني ص ٦٩، الطبقات (٥/ ٣٩٤).
(٩٩٩) مناقب الشافعي ص١٣٦.
(١٠٠٠) الجامع لأحكام القرآن (١٦/ ٣٣٢).
(١٠٠١) المصدر نفسه (١٦/ ٣٣٢).
(١٠٠٢) الإنصاف للباقلاني ص٦٩.
(١٠٠٣) مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي ص١٦٤.
(١٠٠٤) رسالته المشهورة مع شرحها الثمر الداني ص ٢٣.

عنهم وكل ما شجر بينهم مغفور لهم [(١٠٠٥)].

٦- قال أبو بكر بن الطيب الباقلاني: ويجب أن يعلم: أن ما جرى بين أصحاب النبي (ﷺ) ورضي الله عنهم من المشاجرة نكف عنه ونترحم على الجميع ونثني عليهم ونسأل الله (تعالى) لهم الرضوان والأمان والفوز والجنان ونعتقد أن عليا عليه السلام أصاب فيما فعل وله أجران، وأن الصحابة رضي الله عنهم إن ما صدر منهم كان باجتهاد فلهم الأجر ولا يفسقون ولا يبدعون والدليل عليه قوله (تعالى): ﴿**لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا**﴾ [الفتح: ١٨].

وقوله (ﷺ): «**إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر**» فإذا كان الحاكم في وقتنا له أجران على اجتهاده فما ظنك باجتهاد من رضي الله عنهم ورضوا عنه ويدل على صحة هذا القول: قوله (ﷺ) للحسن رضي الله عنه: «**إن ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين**» [(١٠٠٦)]، فأثبت العظمة لكل واحدة من الطائفتين وحكم لهما بصحة الإسلام وقد وعد الله هؤلاء القوم بنزع الغل من صدورهم بقوله (تعالى): ﴿**وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ**﴾ [الحجر: ٤٧] ... إلى أن قال: ويجب الكف عما شجر بينهم والسكوت عنه [(١٠٠٧)].

٧- وقال ابن تيمية في صدد عرضه لعقيدة أهل السنة والجماعة فيما شجر بين الصحابة: ويمسكون عما شجر بين الصحابة ويقولون: إن هذه الآثار المروية في مساويهم منها ما هو زيد فيه ونقص وغير عن وجه، والصحيح منه هم فيه معذورون إما مجتهدون مصيبون، إما مجتهدون مخطئون [(١٠٠٨)].

٨- وقال ابن كثير: أما ما شجر بينهم بعده عليه الصلاة والسلام: فمنه ما وقع من غير قصد كيوم الجمل ومنه ما وقع عن اجتهاد كيوم صفين والاجتهاد يخطئ ولكن صاحبه معذور وإن أخطأ ومأجور أيضا، وأما المصيب فله أجران [(١٠٠٩)].

٩- وقال ابن حجر: واتفق أهل السنة على وجوب منع الطعن على أحد من الصحابة بسبب ما وقع لهم من ذلك ولو عرف المحق منهم لأنهم لم يقاتلوا في تلك الحروب إلا عن اجتهاد بل ثبت أنه يؤجر أجرا واحدا، وأن المصيب يؤجر أجرين [(١٠١٠)].

فأهل السنة مجمعون على وجوب السكوت عن الخوض في الفتن التي جرت بين

(١٠٠٥) الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة ص ٢٦٨.
(١٠٠٦) البخاري . ك الفتن رقم ٧١٠٩.
(١٠٠٧) الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به ص ٦٧- ٦٩.
(١٠٠٨) الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به ص ٦٧- ٦٩.
(١٠٠٩) الباعث الحثيث ص ١٨٢.
(١٠١٠) فتح الباري (١٣/ ٣٤).

الصحابة رضي الله عنهم بعد مقتل عثمان والترحم عليهم وحفظ فضائل الصحابة والاعتراف لهم بسوابقهم ونشر محاسنهم رضي الله عنهم وأرضاهم (١٠١١).

سابعا: التحذير من بعض الكتب التي شوهت تاريخ الصحابة:

١- الإمامة والسياسة المنسوب لأبي قتيبة:

من الكتب التي شوهت تاريخ صدر الإسلام كتاب «الإمامة والسياسة» المنسوب لابن قتيبة ولقد ساق الدكتور عبد الله عسيلان في كتابه« الإمامة والسياسة في ميزان التحقيق العلمي» مجموعة من الأدلة تبرهن على أن الكتاب المذكور منسوب إلى الإمام ابن قتيبة كذبا وزورا ومن هذه الأدلة:

- إن الذين ترجموا لابن قتيبة لم يذكر واحد منهم أنه ألف كتابا في التاريخ يدعى «الإمامة والسياسة» ولا نعرف من مؤلفاته التاريخية إلا كتاب « المعارف».

- إن المتصفح للكتاب يشعر أن ابن قتيبة أقام في دمشق والمغرب في حين أنه لم يخرج من بغداد إلا إلى الدينور .

- إن المنهج والأسلوب الذي صار عليه مؤلف « الإمامة والسياسة» يختلف تماما عن منهج وأسلوب ابن قتيبة في كتبه التي بين أيدينا، فإن منهج ابن قتيبة أن يقدم لمؤلفاته بمقدمات طويلة يبين فيها منهجه والغرض من مؤلفه، وعلى خلاف ذلك يسير صاحب «الإمامة والسياسة» فمقدمته قصيره جدا لا تزيد على ثلاثة أسطر ، هذا إلى جانب الاختلاف في الأسلوب، ومثل هذا النهج لم نعهده في مؤلفات ابن قتيبة.

- يروي مؤلف الكتاب عن أبي ليلى بشكل يشعر بالتلقي عنه، وابن أبي ليلى هذا هو محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى الفقيه : قاضي الكوفة، توفى سنة ١٤٨هـ والمعروف أن ابن قتيبة لم يولد إلا سنة ٢١٣هـ أي بعد وفاة ابن أبي ليلى بخمسة وستين عاما.

- إن الرواة والشيوخ الذين يروي عنهم ابن قتيبة عادة في كتبه لم يرد لهم ذكر في أي موضع من مواضع الكتاب.

- إن قسما كبيرا من رواياته جاءت بصيغة التمريض ، فكثيرا ما يجيء فيه: ذكروا عن بعض المصريين، وذكروا عن محمد بن سليمان عن مشايخ أهل مصر، وحدثنا بعض مشايخ أهل المغرب، وذكروا عن بعض المشيخة، وحدثنا بعض المشيخة. ومثل هذه التراكيب بعيدة كل البعد عن أسلوب وعبارات ابن قتيبه، ولم ترد في كتاب من كتبه .

- إن مؤلف «الإمامة والسياسة» يروي عن اثنين من كبار علماء مصر، وابن قتيبة لم يدخل مصر ولا أخذ عن هذين العالمين(١٠١٢).

(١٠١١) عقيدة أهل السنة (٢/ ٧٤٠).

(١٠١٢) عقيدة الإمام ابن قتيبة، علي العلياني ص ٩٠.

- ابن قتيبة يحتل منزلة عالية لدى العلماء فهو عندهم من أهل السنة، وثقة في علمه ودينه، يقول السلفي: كان ابن قتيبة من الثقات ومن أهل السنة، ويقول عنه ابن حزم: كان ثقة في دينه وعلمه، وتبعه في ذلك الخطيب البغدادي، ويقول عنه ابن تيمية: إن ابن قتيبة من المنتسبين إلى أحمد وإسحاق والمنتصرين لمذاهب السنة المشهورة(١٠١٣). ورجل هذه منزلته لدى رجال العلم المحققين، هل من المعقول أن يكون هو مؤلف كتاب «الإمامة والسياسة» الذي شوه التاريخ وألصق بالصحابة الكرام ما ليس فيهم(١٠١٤)

يقول الدكتور علي نفيع العلياني في كتابه «عقيدة الإمام ابن قتيبة عن كتاب الإمامة والسياسة» : وبعد قراءتي لكتاب «الإمامة والسياسة» قراءة فاحصة ترجح عندي أن مؤلف «الإمامة والسياسة» رافضي خبيث أراد إدماج هذا الكتاب في كتب ابن قتيبة نظرا لكثرتها ونظرا لكونه معروفا عند الناس بانتصاره لأهل الحديث وقد يكون من رافضة المغرب، فإن ابن قتيبة له سمعة حسنة في المغرب(١٠١٥)، ومما يرجح أن مؤلف «الإمامة والسياسة» من الروافض ما يلي:

أ - إن مؤلف «الإمامة والسياسة» ذكر على لسان علي رضي الله عنه أنه قال للمهاجرين الله الله يا معشر المهاجرين لا تخرجوا سلطان محمد في العرب عن داره وقعر بيته إلى دوركم وقعر بيوتكم ولا تدفعوا أهله مقامه في الناس وحقه فوالله يا معشر المهاجرين لنحن أحق الناس به لأنا أهل البيت، ونحن أحق بهذا الأمر منكم... والله أنه لفينا فلا تتبعوا الهوى فتضلوا عن سبيل الله (١٠١٦) ولا أحد يرى أن الخلافة وراثية لأهل البيت إلا الشيعة.

ب - إن مؤلف «الإمامة والسياسة» قدح في صحابة رسول الله (ﷺ) قدحا عظيما فصور ابن عمر رضي الله عنه جبانا وسعد بن أبي وقاص حسودا وذكر محمد بن مسلمة غضب على علي بن أبي طالب لأنه قتل مرحبا اليهودي بخيبر وأن عائشة رضي الله عنها أمرت بقتل عثمان،(١٠١٧) والقدح في الصحابة من أظهر خصائص الرافضة وإن شاركهم الخوارج إلا أن الخوارج لا يقدحون في عموم الصحابة(١٠١٨).

ج - إن مؤلف « الإمامة والسياسة» يذكر أن المختار بن أبي عبيد قتل من قبل مصعب ابن الزبير لكونه دعا إلى آل رسول الله (ﷺ) ولم يذكر خرافاته وادعائه للوحي(١٠١٩)، والرافضة هم الذين يحبون المختار بن أبي عبيد لكونه انتقم من قتلة الحسين مع العلم أن ابن

(١٠١٣) لسان الميزان (٣/ ٣٥٧)، تحقيق مواقف الصحابة (٢/ ١٤٤).
(١٠١٤) تحقيق مواقف الصحابة (٢/ ١٤٤).
(١٠١٥) الفتاوى لابن تيمية (١٧/ ٣٩١).
(١٠١٦) الإمامة والسياسة(١/ ١٢).
(١٠١٧) المصدر نفسه (١/ ٥٤-٥٥)
(١٠١٨) عقيدة الإمام ابن قتيبة ص٩١ للعلياني.
(١٠١٩) الإمامة والسياسة (٢/ ٢٠).

قتيبة رحمه الله ذكر المختار من الخارجين على السلطان وبين أنه كان يدعي أن جبريل يأتيه(١٠٢٠).

د ـ إن مؤلف «الإمامة والسياسة» كتب عن خلافة الخلفاء الثلاثة أبي بكر وعمر وعثمان خمسا وعشرين صفحة فقط وكتب عن الفتنة التي وقعت بين الصحابة مائتي صفحة، فقام المؤلف باختصار التاريخ الناصع المشرق وسود الصحائف بتاريخ زائف لم يثبت منه إلا القليل وهذه من أخلاق الروافض المعهودة نعوذ بالله من الضلال والخذلان.

يقول السيد محمود شكري الألوسي في مختصره للتحفة الاثنا عشرية: ومن مكايدهم - يعني الرافضة - أنهم ينظرون في أسماء الرجال المعتبرين عند أهل السنة فمن وجدوه موافقا لأحد منهم في الاسم واللقب أسندوا رواية حديث ذلك الشيعي إليه، فمن لا وقوف له من أهل السنة يعتقد أنه إمام من أئمتهم فيعتبر بقوله ويعتد بروايته كالسدي فإنهما رجلان أحدهما السدي الكبير والثاني السدي الصغير، فالكبير من ثقات أهل السنة والصغير من الوضاعين الكذابين وهو رافضي غال. وعبد الله بن قتيبة رافضي غال وعبد الله بن مسلم بن قتيبة من ثقات أهل السنة وقد صنف كتابا سماه بالمعارف فصنف ذلك الرافضي كتابا سماه بالمعارف أيضا قصدا للإضلال(١٠٢١) وهذا مما يرجح أن كتاب «الإمامة والسياسة» لابن قتيبة الرافضي وليس لابن قتيبة السني الثقة، وإنما خلط الناس بينهما لتشابه الأسماء(١٠٢٢) والله أعلم.

٢- نهج البلاغة:

ومن الكتب التي ساهمت في تشويه تاريخ الصحابة بالباطل كتاب «نهج البلاغة»؛ فهذا الكتاب مطعون في سنده ومتنه، فقد جمع بعد أمير المؤمنين بثلاثة قرون ونصف بلا سند، وقد نسبت الشيعة تأليف «نهج البلاغة» إلى الشريف الرضي وهو غير مقبول عند المحدثين لو أسند خصوصا فيما يوافق بدعته فكيف إذا لم يسند كما فعل في النهج؟ وأما المتهم - عند المحدثين - بوضع النهج فهو أخوه علي(١٠٢٣)، فقد تحدث العلماء فيه فقالوا:

قال ابن خلكان في ترجمة الشريف المرتضى: وقد اختلف الناس في كتاب «نهج البلاغة» المجموع من كلام الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه هل جمعه؟ أم جمع أخيه الرضي؟. وقد قيل: إنه ليس من كلام علي، وإنما الذي جمعه ونسبه إليه هو الذي وضعه، والله أعلم(١٠٢٤).

(١٠٢٠) المعارف ص٤٠١.
(١٠٢١) مختصر التحفة الاثنا عشرية للألوسي ص٣٢.
(١٠٢٢) عقيدة الإمام ابن قتيبة ص٩٣.
(١٠٢٣) الأدب الإسلامي، نايف معروف ص٥٣.
(١٠٢٤) الوفيات (٣/ ١٢٤).

وقال الذهبي: من طالع «نهج البلاغة» جزم بأنه مكذوب على أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، ففيه السب الصراح، والحط على السيدين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وفيه من التناقض والأشياء الركيكة والعبارات التي من له معرفة بنفس القرشيين الصحابة وبنفس غيرهم ممن بعدهم من المتأخرين جزم بأن أكثره باطل(١٠٢٥) .

وقال ابن تيمية: وأهل العلم يعلمون أن أكثر خطب هذا الكتاب مفتراة على علي، ولهذا لا يوجد غالبها في كتاب متقدم ولا لها إسناد معروف (١٠٢٦).

وأما ابن حجر، فيتهم الشريف المرتضى بوضعه، ويقول : ومن طالعه جزم بأنه مكذوب على أمير المؤمنين علي... وأكثره باطل(١٠٢٧).

واستنادًا إلى هذه الأخبار وغيرها تناول عدد من الباحثين هذا الموضوع، فقالوا بعدم صحة نسبة هذا الكتاب إلى الإمام علي رضي الله عنه(١٠٢٨).

ويمكن تلخيص أهم ما لاحظه القدامي والمحدثون على نهج البلاغة للتشكيك بصحة نسبته للإمام علي بما يلي:

* خلوه من الأسانيد التوثيقية التي تعزز نسبة الكلام إلى صاحبه - متنًا ورواية وسندًا.

* كثرة الخطب وطولها، لأن هذه الكثرة وهذا التطويل مما يتعذر حفظه وضبطه قبل عصر التدوين، مع أن خطب الرسول (ﷺ) لم تصل إلينا سالمة وكاملة مع ما أتيح لها من العناية الشديدة والاهتمام.

* رصد العديد من الأقوال والخطب في مصادر وثيقة منسوبة لغير علي رضي الله عنه، وصاحب النهج يثبتها له.

* اشتمال هذا الكتاب على أقوال تتناول الخلفاء الراشدين قبله بما لا يليق به ولا بهم، وتنافي ما عرف عنه من توقيره لهم، ومن أمثلة ذلك ما جاء بخطبته المعروف بـ (الشقشقية) التي يظهر فيها حرصه الشديد على الخلافة، رغم ما شهر عنه من التقشف والزهد.

* شيوع السجع فيه، إذ رأي عدد من الأدباء أن هذه الكثرة لا تتفق مع البعد عن التكلف الذي عرف به عصر الإمام علي رضي الله عنه، مع أن السجع العفوي الجميل لم يكن بعيدًا عن روحه ومبناه.

- الكلام المنمق الذي تظهر فيه الصناعة الأدبية التي هي من وشي العصر العباسي، وزخرفته ما نجد في وصف الطاوس، والخفاش، والنحل، والنمل، والزرع والسحاب وأمثالها.

(١٠٢٥) ميزان الاعتدال (٣/ ١٢٤).
(١٠٢٦) منهاج السنة (٤/ ٢٤).
(١٠٢٧) لسان الميزان (٤/ ٢٢٣).
(١٠٢٨) الأدب والإسلام، نايف معروف ص٥٣.

الصيغ الفلسفية والمقالات الكلامية التي وردت في ثناياه، والتي لم تعرف عند المسلمين إلا في القرن الثالث الهجري، حين ترجمت الكتب اليونانية والفارسية والهندية، وهي أشبه ما تكون بكلام المناطقة والمتكلمين منه بكلام الصحابة والراشدين(١٠٢٩).

إن هذا الكتاب يجب الحذر منه في الحديث عن الصحابة وما وقع بينهم وبين أمير المؤمنين علي، وتعرض نصوصه على الكتاب والسنة فما وافق الكتاب والسنة؛ فلا مانع من الاستئناس به وما خالف فلا يتلفت إليه.

٣- كتاب الأغاني للأصفهاني:

يعتبر كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني كتاب أدب وسمر وغناء، وليس كتاب علم وتاريخ وفقه وله طنين ورنين في آذان أهل الأدب والتاريخ، فليس معنى ذلك يسكت عما ورد فيه من الشعوبية والدس، والكذب الفاضح والطعن والمعايب وقد قام الشاعر العراقي والأستاذ الكريم وليد الأعظمي بتأليف كتابه القيم الذي سماه «السيف اليماني في نحر الأصفهاني صاحب الأغاني» فقد شمر - جزاه الله خيرًا - عن ساعد الجد، ليميز الهزل من الجد، والسم من الشد، ويكشف ما احتواه الكتاب من الأكاذيب ونيران الشعوبية والحقد، وهي تغلي في الصدور، كغلي القدور، وأخذ يرد على ترهات الأصفهاني فيما جمعه من أخبار وحكايات مكذوبة وغير موثقة تسيء إلى آل البيت النبوي الشريف، وتجرح سيرتهم، وتشوه سلوكهم، كما تناول مزاعم الأصفهاني تجاه معاوية بن أبي سفيان والخلفاء الراشدين والأمويين بما هو مكذوب ومدسوس عليهم من الروايات، وتناول الأستاذ الكريم والشاعر الإسلامي القدير وليد الأعظمي في كتابه القيم الحكايات المتفرقة التي تضمنها الكتاب والتي تطعن في العقيدة الإسلامية والدين الإسلامي، وتفضل الجاهلية على الإسلام وغيرها من الأباطيل(١٠٣٠).

ولقد تحدث العلماء فيه قديمًا فقالوا:

قال الخطيب البغدادي: كان أبو الفرج الأصفهاني أكذب الناس، كان يشتري شيئًا كثيرًا من الصحف، ثم تكون كل رواياته منها(١٠٣١).

قال ابن الجوزي: . . . ومثله لا يوثق بروايته، يصح في كتبه بما يوجب عليه الفسق، ويهون شرب الخمر وربما حكي ذلك عن نفسه، ومن تأمل كتاب الأغاني، رأي كل قبيح ومنكر (١٠٣٢) قال الذهبي: رأيت شيخنا تقي الدين ابن تيمية يضعفه، ويتهمه في نقله، ويستهول ما يأتي به(١٠٣٣).

(١٠٢٩) الأدب الإسلامي ص٥٤، ٥٥.
(١٠٣٠) السيف اليماني في نحر الأصفهاني للأعظمي ص٩-١٤.
(١٠٣١) تاريخ بغداد (١١/ ٣٩٨).
(١٠٣٢) المنتظم (٧/ ٤٠, ٤١).
(١٠٣٣) ميزان الاعتدال (٣/ ١٢٣).

٤- تاريخ اليعقوبي: ت٢٩٠هـ:

هو أحمد بن أبي يعقوب بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح العباسي من أهل بغداد مؤرخ شيعي إمامي كان يعمل في كتابة الدواوين في الدولة العباسية حتى لقب بالكاتب العباسي وقد عرض اليعقوبي تاريخ الدولة الإسلامية من جهة نظر الشيعة الإمامية فهو لا يعرف بالخلافة إلا علي بن أبي طالب وأبنائه حسب تسلسل الأئمة عند الشيعة ويسمي عليا بالوصي، وعندما أرخ لخلافة أبي بكر وعمر وعثمان لم يضف عليهم لقب الخلافة وإنما قال: تولى الأمر فلان. ثم لم يترك واحدًا منهم دون أن يطعن فيه، وكذلك كبار الصحابة فقد ذكر عن عائشة رضي الله عنها أخبارًا[١٠٣٤] سيئة وكذلك عن خالد بن الوليد[١٠٣٥]، وعمرو بن العاص[١٠٣٦]، ومعاوية بن أبي سفيان[١٠٣٧] وعرض خبر السقيفة عرضًا مشينًا[١٠٣٨] ادعي فيه أنه قد حصلت مؤامرة على سلب الخلافة من علي بن أبي طالب الذي هو الوصي في نظره، وطريقته في سياق الاتهامات - الباطلة - هي طريقة قومه من أهل التشيع والرفض وهي إما اختلاق الخبر بالكلية[١٠٣٩]، أو التزيد في الخبر[١٠٤٠] والإضافة عليه أو عرضه في غير سياقه ومحله حتى يتحرف معناه ومن الملاحظ أنه عندما ذكر الخلفاء الأمويين وصفهم بالملوك وعندما ذكر خلفاء بني العباس وصفهم بالخلفاء، كما وصف دولتهم في كتابه البلدان باسم الدولة المباركة[١٠٤١]، مما يعكس نفاقه وتستره وراء شعار التقية وهذا الكتاب يمثل الانحراف والتشويه الحاصل في كتابه «التاريخ الإسلامي» وهو مرجع لكثير من المستشرقين والمستغربين الذين طعنوا في التاريخ الإسلامي وسيرة رجاله، مع أنه لا قيمة له من الناحية العلمية إذ يغلب على القسم الأول القصص والأساطير والخرافات والقسم الثاني كتب من زاوية نظر حزبية كما أنه يفتقد من الناحية المنهجية لأبسط قواعد التوثيق العلمي[١٠٤٢].

(١٠٣٤) تاريخ اليعقوبي (٢/ ١٨٠-١٨٣).
(١٠٣٥) المصدر نفسه (٢/ ١٣١).
(١٠٣٦) المصدر نفسه (٢/ ٢٢٢).
(١٠٣٧) المصدر نفسه (٢/ ٢٣٢, ٢٣٨).
(١٠٣٨) المصدر نفسه (٢/ ١٢٣, ١٢٦).
(١٠٣٩) منهج كتابة التاريخ الإسلامي ص٤٣١.
(١٠٤٠) المصدر نفسه ص ٤٣١.
(١٠٤١) كتاب البلدان لليعقوبي ص ٤٣٢.
(١٠٤٢) منهج كتابة التاريخ الإسلامي ص ٤٣٢.

٥- المسعودي: ت:٣٤٥هـ: كتابه مروج الذهب ومعادن الجوهر:

هو أبو الحسن علي بن الحسين علي المسعودي، من ولد عبد الله بن مسعود رضي الله عنه[١٠٤٣]، قيل إنه كان رجلاً من أهل المغرب[١٠٤٤] ولكن يرد عليه بأن المسعودي صرح بنفسه أنه من أهل العراق وأنه انتقل إلى ديار مصر للسكن فيها[١٠٤٥]، وإن قصد ببلاد المغرب عكس المشرق بمصر من بلاد المغرب الإسلامي فلا إشكال[١٠٤٦] والمسعودي رجل شيعي، فقد قال فيه ابن حجر: كتبه طافحة بأنه كان شيعيًا معتزليا[١٠٤٧]، وقد ذكر أن الوصية جارية من عهد آدم تنقل من قرن إلى قرن حتى رسولنا (ﷺ) ثم أشار إلى اختلاف الناس بعد ذلك في النص والاختيار، فقد رأى رأي الشيعة الإمامية الذين يقولون بالنص[١٠٤٨]، وقد أولى الأحداث المتعلقة بعلي بن أبي طالب رضي الله عنه في كتابه «مروج الذهب» اهتمامًا كبيرًا أكثر من اهتمامه بحياة الرسول (ﷺ) في الكتاب المذكور[١٠٤٩]، وركز اهتمامه بالبيت العلوي وتتبع أخبارهم بشكل واضح في كتابه مروج الذهب[١٠٥٠]، وعمل بدون حياء ولا خجل على تشويه تاريخ صدر الإسلام.

هذه بعض الكتب القديمة التي نحذر منها والتي كان لها أثر في كتابات بعض المعاصرين، كطه حسين الفتنة الكبرى (علي بنوه)، والعقاد في عبقرياته فقد تورطا في الروايات الموضوعة والضعيفة وقامت تحليلاتهم عليها وبالتالي لم يحالفهم الصواب، ووقعوا في أخطاء شنيعة في حق الصحابة رضي الله عنهم، وكذلك عبد الوهاب النجار في كتابه «الخلفاء الراشدون» حيث نقل نصوصًا من روايات الرافضة من كتاب الإمامة والسياسة، وحسن إبراهيم حسن في كتابه عمرو بن العاص حيث قرر من خلال الروايات الرافضة الموضوعة بأن عمرو بن العاص رجل مصالح ومطامع ولا يدخل في شيء من الأمور إلا إذا رأي أن فيه مصلحة ومنفعة له في الدنيا[١٠٥١]، وغير ذلك من الباحثين الذين ساروا على نفس المنوال، فدخلوا في الأنفاق المظلمة بسبب بعدهم عن منهج أهل السنة والجماعة في التعامل مع الركام الهائل من الروايات التاريخية.

ثامنا: الاستشراق والتاريخ الإسلامي:

إن من أعظم الفرق أثرًا في تحريف التاريخ الإسلامي الشيعة الرافضة بمختلف طوائفها

(١٠٤٣) الفهرست لابن النديم ص ١٧١ سير أعلام النبلاء.
(١٠٤٤) الفهرست ص١١٧.
(١٠٤٥) معجم الأدباء (١٣/ ٩١-٩٣).
(١٠٤٦) منهج المسعودي في كتابة التاريخ ص ٤٤، وأثر التشيع ص ٢٤٣.
(١٠٤٧) لسان الميزان (٤/ ٢٢٥)، أثر التشيع ص ٢٤٦.
(١٠٤٨) مروج الذهب ومعادن الجوهر (١/ ٣٨).
(١٠٤٩) أثر التشيع على الروايات التاريخية ص ٢٤٨.
(١٠٥٠) المصدر نفسه ص ٢٤٨.
(١٠٥١) تاريخ عمرو بن العاص، حسن إبراهيم ص ٢٠٦، ٢٠٧.

وفرقـها، فهم مـن أقدم الفرق ظهـورًا ولهم تنظيم سياسي وتصور عقـائدي، ومنهج فكري منحرف وهم أكثر الطوائف كذبًا على خصومهم، كما أنهم من أشد الناس خصومة للصحابة - كمـا سيأتي معنا - فـسب الصحابة وتكفـيرهم من أساسـيات معـتقدهم وأركانه خـاصة الشيخين أبي بكر وعمر ويسـمونهما الجبت والطاغون(١٠٥٢)، وقد كان للشيـعة أكبر عدد من الرواة والإخبـاريين الذين تولوا نشر أكـاذيبهم ومـفترياتـهم وتدوينها في كتـب ورسائل عن أحداث التاريخ الإسلامي، خاصـة الأحداث الداخلية، كما كان للشعوبيـة والعصبية أثر في وضع الأخبار التاريخية والحكايات والقصص الرامية إلى تشويه التاريخ الإسلامي وإلى إعلاء طائفة على طائفـة أو أهل بلد على آخر، أو جنس على جنس، وإبعاد الميـزان الشرعي في التفاصيل وهو ميزان التقوي ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

كما أن الـفرق المنحرفة قـد استغلت وضع القصـاص وانتشارهم وجهل مـعظمهم وقلة علمـهم بالسنة، وانحـراف طائفة منهـم تبتـغي العـيش والكسب، فنشروا بـينهم أكاذيبـهم وحكاياتهم وقصـصهم الموضوعة، فتـلقفها هؤلاء القصـاص دون وعي وإدراك ونشروها بين العامـة، لقد انتشر عن طريقـهم مئات الأحـاديث المكذوبة على الصحابة والتـابعين وعلماء الإسلام، مما يسيء لهم ويشوه تاريخهم وسيرتهم، وقـد كان من فضل الله وتوفيقه أن قيض مجـموعة من العلمـاء النقاد الذين قـاموا بجهـد في نقد الرواة والمرويات فبـينوا الزائف من الصحيح، ودافعوا عن عقيدة الأمة وتاريخها، وجهد علماء السنة في بيان الأحاديث المكذوبة بالنص عليـها وبيـان الرواة الضعاف والمتـهمين وأصـحاب الأهواء وفي رسم المنهج فـي نقد الروايات وقبولها، جهد كبير وموفق من أبرز من تصدى لإيضاح المغالط التاريخية ورد زيوف الروايات المكذوبة القاضي ابن العربي في كتاب «العواصم من القواصم» والإمام ابن تيمية في كثـير من كتـبه ورسـائله، خاصة كـتابه القيم «منـهاج السنة النبوية في نـقض كلام الشيـعة والقدرية»، وكذا الحافظ الناقد الذهبي فـي كثير من مؤلفاته التاريخية مثل كـتاب «سير أعلام النبلاء »، و«تاريخ الإسلام»، و«ميـزان الاعتدال في نقد الرجال»، وكذلك الحـافظ ابن كثير المفسر المؤرخ في كتابه «البداية والنهاية»، وأيضًا الحافظ ابن حجر العسقلاني في كتاب «فتح الباري شـرح صحيح البخـاري»، «لسان الميزان»، «تهذيب التـهذيب»، «الإصابة في مـعرفة الصحابة».

أما الوسائل التي استخدمت لغرض تحريف الوقائع التاريخية. وتشويه سير رجال الصدر الأول من الصحابة والتابعين فهي كثيرة ونذكر منها:

* الاختلاف والكذب.

* الإتيان بخبر أو حادثة صحيحة فيزيدون فـيها وينقصون منها حتى تتشوه وتخرج عن أصلها.

(١٠٥٢) الشيعة والسنة ص ٣٢ إحسان إلهي ظهير.

* وضع الخبر في غير سياقه حتى ينحرف عن معناه ومقصده والتأويل والتفسير الباطل للأحداث.

* إبراز المثالب والأخطاء وإخفاء الحقائق والصور المستقيمة.

* صناعة الأشعار وانتحالها لتأييد حوادث تاريخية مدعاة لأن الشعر العربي ينظر له كوثيقة تاريخية ومستند يساعد في توثيق الخبر وتأييده.

* وضع الكتب والرسائل المكذوبة ونحلها لعلماء وشخصيات مشهورة، كما وضعت الرافضة كتاب «الإمامة والسياسة» الذي نحلته أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري لشهرته عند أهل السنة وثقتهم به - كما - مر معنا.

وقد تلقف هذه الأكاذيب والتحريفات في القرن الماضي علماء الغرب وكتابه من المستشرقين والمنصرين - إبان غزوهم واستعمارهم للبلدان الإسلامية - فوجدوا فيها ضالتهم، وأخذوا يعملون على إبرازها والتركيز عليها مع ما زادوه من عندهم - بدافع من عصبيتهم وكرههم للمسلمين - من الكذب مثل اختراع حوادث لا أصل لها أو التفسير المغروض للحوادث التاريخية بقصد التشويه أو التفسير الخاطئ تبعًا للتصور والاعتقاد الذي يدينون به، ثم شايع هؤلاء طائفة غير قليلة العدد من تلاميذ المستشرقين في البلاد العربية والإسلامية، وأخذوا طرائقهم ومناهجهم في البحث، وأفكارهم وتصوراتهم في الفهم والتحليل وتفسير التاريخ وحملوا الراية بعد رحيلهم عن بلاد المسلمين، وكان ضررهم أشد وأنكى من ضرر أساتذتهم المستشرقين، ومن ضرر أسلافهم السابقين من فرق البدع والضلال، وذلك أنهم ادعوا - كأساتذتهم - اتباع الروح العلمية المتجردة والمنهج العلمي في البحث، والحقيقة أن غالبهم لم يتجرد إلا من عقيدته، أما التجرد بمعنى الإخلاص للحق وسلوك المنهج العلمي السليم في إثبات الوقائع التاريخية، كالمقارنة بين الروايات، ومعرفة قيمة المصادر التي يرجعون إليها، ومدى أمانة الناقلين، وضبطهم لما نقلوا، وقياس الأخبار واعتبارهم بأحوال العمران البشري وطبائعه [١٠٥٣]، فلا أثر له عند القوم، فلم يتقنوا من المنهج العلمي إلا الأمور الشكلية مثل الحواشي وترتيب المراجع وما شابهها وربما كان هذا هو مفهوم المنهج العلمي عندهم[١٠٥٤]، يقول محب الدين الخطيب: إن الذين تثقفوا بثقافة أجنبية عنا قد غلب عليهم الوهم بأنهم غرباء عن هذا الماضي، وأن موقفهم من رجاله كموقف وكلاء نيابة من المتهمين، بل لقد أوغل بعضهم في الحرص على الظهور أمام الأغيار بمظهر المتجرد عن كل آصرة بماضي العروبة والإسلام جريًا وراء المستشرقين في ارتيابهم حيث تحسن الطمأنينة وميلهم مع الهوى عندما يدعوهم الحق إلى التثبت وفي إنشائهم الحكم وارتياحهم إليه قبل أن تكون في أيديهم أشباه الدلائل عليه[١٠٥٥].

(١٠٥٣) منهج كتابة التاريخ الإسلامي، محمد صامل ص ٥٠٢.
(١٠٥٤) منهج كتابة التاريخ الإسلامي ص٥٠٢.
(١٠٥٥) المصادر الأولى لتاريخنا، مجلة الأزهر سنة ١٣٧٤هـ.

ومن أهم الوسائل التي اتبعها المستشرقون وتلاميذهم في تشويه وتحريف حقائق التاريخ الإسلامي.

أ- التدخل بالتفسير الخاطئ للأحداث التاريخية على وفق مقتضيات أحوال عصرهم الذي يعيشون هم فيه وحسبما يجول بخواطرهم، دون أن يحققوا أولاً الواقعة التاريخية حتى تثبت ودون أن يراعوا ظروف العصر الذي وقعت فيه الحادثة وأحوال الناس وتوجهاتهم في ذلك الوقت، والعقيدة التي تحكمهم ويدينون بها، فإنه قبل تفسير الحادثة لا بد من ثبوت وقوعها وليس وجودها في كتاب من الكتب كافيًا لثبوتها(١٠٥٦)، لأن مرحلة الثبوت سابقة على البحث في تفسير الواقعة التاريخية، كما ينبغي أن يكون التفسير متمشيًا مع منطوق الخبر التاريخي وموضوع البحث ومع الطابع العام للمجتمع أو العصر والبيئة التي حدثت فيها الواقعة، كما يشترط ألا يكون هذا التفسير متعارضًا مع واقعة أو جملة وقائع أخرى ثابتة، كما أنه لا ينبغي أن ينظر في التفسير إلى عامل واحد - كما هو ديدن كثير من المدارس التاريخية المعاصرة - وإنما ينظر فيه إلى جملة العوامل المؤثرة في الحدث وخاصة العوامل العقائدية والفكرية . . ثم إن التفسير التاريخي للحوادث بعد هذا كله لا يعدو كونه اجتهادًا بشريًا يحتمل الصواب والخطأ، ولقد أبرز البعض تاريخ الفرق الضالة وعمد إلى تضخيم أدوارها وتصويرها بصورة المصلح المظلوم وبأن المؤرخين المسلمين قد تحاملوا عليها، فالقرامطة والإسماعيلية، والرافضة الإمامية والفاطمية والزنج وإخوان الصفا، والخوارج كلهم في نظرهم واعتبارهم دعاة إصلاح وعدالة وحرية ومساواة وثورتهم كانت ثورة للإصلاح والظلم والجور، فهذا الشغب والإرجاف على التاريخ الإسلامي ومزاحمة سير رجاله ودعاته بسير قادة الفرق الضالة أمر لا يستغرب من قوم لا يدينون بالإسلام فهم من واقع عقيدتهم يكيدون له بكل جهد مستطاع، ليلاً ونهار وسرًا وجهارًا ولا يتوقع من مطموس الإيمان وملل الكفر إلا مناصرة إخوانهم في الضلال، ولكن الأمر الذي قد يحدث استغرابًا عند البعض أن يحمل راية التشويه والتخريف بعد سقوط دولة الاستشراق كتاب يحملون أسماء إسلامية ومن أبناء المسلمين ويقومون بنشر مثل هذه السموم على بني جلدتهم ليصرفوا بها الأغرار عن الصراط المستقيم، ولقد عمد هؤلاء إلى التشبث بالروايات المشبوهة والضعيفة والساقطة يلتقطونها من كتب الأدب وقصص السمر والحكايات الشعبية والكتب المنحولة والضعيفة فهذه الكتب هي مستنداتهم في الغالب مع ما يجدونه من الروايات المكذوبة في الطبري والمسعودي مع أنهم يعلمون أنها لا تعتبر مراجع علمية يعتمد عليها لقد وقع الاعتداء على التارخ الإسلامي - خاصة تاريخ الصدر الأول - بالتشويه عن طريق اختيار مواقف مختارة والتركيز عليها كالمعارك والحروب مع تصويرها على غير حقيقتها حتى تزول عنها صفة الجهاد في سبيل الله أو التركيز على الأحداث والفتن الداخلية بقصد إظهار خلافات الصحابة رضي الله عنهم وعرضها وكأنها نموذج للصراعات والمكائد السياسية في وقتنا الحاضر، وبالتجهيل وهو إهمال

(١٠٥٦) منهج كتابة التاريخ الإسلامي ٥٠٤.

كل ما هو مدعاة للاقتداء والأسوة الحسنة، وبالتشكيك، وهو توجيه السهام إلى التاريخ ورجاله وإلى المؤرخين المسلمين أنفسهم والتشكيك في معلوماتهم وصدقهم، وبالتجزئة وهي محاولة تجزئة التاريخ الإسلامي إلى أوصال وأشتات وكأنها لا رابط بينهما كالتوزيع الإقليمي والعرقي ونحوه، فكل هذه الوسائل والحملات تسعى إلى تدمير تاريخنا الإسلامي ومحو معالمه النيرة وإبعاده عن مجال القدوة الحسنة والتربية الصحيحة لذا ينبغي على المؤرخ المسلم معرفة هذه الوسائل والتنبه لها ومعرفة الذين تابعوا المستشرقين في آرائهم ومناهجهم وعدم التلقي منهم إلا بحذر شديد، فإذا كان علماؤنا رحمهم الله قد نقدوا كثيراً من الرواة وضعفوا روايتهم بسبب أخذهم عن أهل الكتاب وروايتهم الإسرائيليات فإنه ينبغي لنا التوقف في قبول أقوال وتفسيرات من يتلقى من المستشرقين بل إسقاطها وعدم اعتبارها إلا بدليل وبرهان واضح[١٠٥٧] .

(١٠٥٧) منهج كتابة التاريخ الإسلامي ص٥٠٧.

الفصل السابع
موقف أمير المؤمنين علي من الخوارج والشيعة

المبحث الأول: الخوارج

أولاً: نشأة الخوارج والتعريف بهم:

عرف أهل العلم الخوارج بتعريفات منها ما بينه أبو الحسن الأشعري أن: اسم الخوارج يقع على تلك الطائفة الذين خرجوا على رابع الخلفاء الراشدين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وبين أن خروجهم على علي هو العلة في تسميتهم بهذا الاسم، حيث قال رحمه الله (تعالى): والسبب الذي سموا له خوارج خروجهم على علي بن أبي طالب لما حكم(١).

وأما ابن حزم: فقد بين أن اسم الخارجي يتعدى إلى كل من أشبه أولئك النفر الذين خرجوا على علي بن أبي طالب رضي الله عنه وشاركهم في معتقدهم، فقد قال: ومن وافق الخوارج من إنكار التحكيم وتكفير أصحاب الكبائر والقول بالخروج على أئمة الجور وأن أصحاب الكبائر مخلدون في النار، وأن الإمامة جائزة في غير قريش فهو خارجي وإن خالفهم فيما عدا ذلك مما اختلف فيه المسلمون خالفهم فيما ذكرنا فليس خارجيًا(٢).

وأما الشهرستاني: فقد عرف الخوارج بتعريف عام اعتبر فيه الخروج على الإمام الذي اجتمعت عليه الكلمة على إمامته الشرعية خروجًا في أي زمان كان، حيث قال في تعريفه للخوارج: كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجيًا سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين أو كان بعدهم على التابعين بإحسان والأئمة في كل زمان(٣).

وقال ابن حجر معرفًا لهم: والخوارج الذين أنكروا على علي التحكيم وتبرؤوا منه ومن عثمان وذريته وقاتلوهم، فإن أطلقوا تكفيرهم فهم الغلاة(٤). وقال في تعريف آخر: أما الخوارج فهم جمع خارجة، أي: طائفة، وهم قوم مبتدعون سموا بذلك لخروجهم على الدين وخروجهم على خيار المسلمين(٥).

---

(١) مقالات الإسلاميين (١/ ٢٠٧).
(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٢/ ١١٣).
(٣) الملل والنحل.
(٤) هدي الساري في مقدمة فتح الباري ص(٤٥٩).
(٥) فتح الباري (٢/ ٢٨٣).

وأما أبو الحسن الملطي: فيرى أن أول الخوارج المحكمة، الذين ينادون: لا حكم إلا لله ويقولون: علي كفر، يجعل الحكم إلى أبي موسى الأشعري ولا حكم إلا لله. فرقة الخوارج سميت خوارج لخروجهم على علي رضي الله عنه يوم الحكمين، حين كرهوا التحكيم، وقالوا: لا حكم إلا لله(٦).

وأما الدكتور ناصر العقل فيقول: هم الذين يكفرون بالمعاصي، ويخرجون على أئمة الجور(٧).

فالخوارج هم أولئك النفر الذين خرجوا على علي رضي الله عنه بعد قبوله التحكيم في موقعة صفين، ولهم ألقاب أخرى عرفوا بها غير لقب الخوارج، ومن تلك الألقاب: الحرورية(٨)، والشراة(٩)، والمارقة، والمحكمة(١٠)، وهم يرضون بهذه الألقاب كلها إلا بالمارقة فإنهم ينكرون أن يكونوا مارقة من الدين كما يمرق السهم من الرمية(١١).

ومن أهل العلم من يرجع بداية نشأة الخوارج إلى زمن الرسول (ﷺ)، ويجعل أول الخوارج ذا الخويصرة، الذي اعترض على الرسول (ﷺ) في قسمة ذهب كان قد بعث به علي رضي الله عنه من اليمن في جلد مقروظ، فقد جاء عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال: بعث علي بن أبي طالب إلى رسول الله (ﷺ) من اليمن بذهبة في أديم مقرظ(١٢)، لم تحصل من ترابها(١٣)، قال: فقسمها بين أربعة نفر، بين عيينة بن حصن، والأقرع بن حابس، وزيد الخيل ، والرابع إما علقمة بن علاثة، وإما عامر بن الطفيل، فقال رجل من أصحابه: كنا نحن أحق بهذا من هؤلاء قال: فبلغ ذلك النبي (ﷺ)، فقال: **«ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء يأتيني خبر السماء صباحًا ومساء»**، قال: فقام رجل غائر العينين مشرف الوجنتين ناشز الجبهة(١٤)، كث اللحية محلوق الرأس مشمر الإزار، فقال: يا رسول الله اتق الله، فقال: **«ويلك أولست أحق أهل الأرض أن يتقي الله»**، قال: ثم ولى الرجل، فقال خالد بن الوليد: يا رسول الله ألا أضرب عنقه؟ فقال: **«لا، لعله أن يكون يصلي»**، قال خالد: وكم من مصلٍ يقول بلسانه ما ليس في قلبه، فقال رسول الله (ﷺ)

---

(٦) التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع ص(٤٧).
(٧) الخوارج، ناصر العقل ص(٢٨).
(٨) سموا بهذا الاسم لنزولهم بحروراء في أول أمرهم.
(٩) سموا شراة لقولهم: شرينا أنفسنا في طاعة الله، أي: بعناها بالجنة.
(١٠) سموا بهذا الاسم لإنكارهم الحكمين، وقولهم: لا حكم إلا لله.
(١١) مقالات الإسلاميين (١/ ٢٠٧).
(١٢) أي: في جلد مدبوغ بالقرظ.
(١٣) أي: لم تميز ولم تصف من تراب معدنها.
(١٤) أي: مرتفع الجبهة.

«إني لم أؤمر أن أنقب عن قلوب الناس[١٥]، ولا أشق بطونهم»، قال: ثم نظر إليه وهو مقف[١٦]، فقال: «إنه يخرج من ضئضئي[١٧] هذا قوم يتلون كتاب الله رطبًا لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية»، قال: أظنه قال: «لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل ثمود»[١٨].

قال ابن الجوزي عند هذا الحديث: أول الخوارج وأقبحهم حالة ذو الخويصرة التميمي، وفي لفظ: أنه قال له: اعدل، فقال: «ويلك ومن لم يعدل إذا لم أعدل»[١٩]، فهذا أول خارجي خرج في الإسلام، وآفته أنه رضي برأي نفسه، ولو وقف لعلم أنه لا رأي فوق رأي رسول الله (ﷺ)، وأتباع هذا الرجل هم الذين قاتلوا علي بن أبي طالب رضي الله عنه[٢٠]، وممن أشار بأن أول الخوارج ذو الخويصرة، أبو محمد بن حزم[٢١]، وكذا الشهرستاني في كتابه «الملل والنحل»[٢٢]، ومن العلماء من يرى بأن نشأة الخوارج بدأت بالخروج على عثمان رضي الله عنه بإحداثهم الفتنة التي أدت إلى قتله رضي الله عنه ظلمًا وعدوانًا، وسميت تلك الفتنة التي أحدثوها بالفتنة الأولى[٢٣]، وقال شارح الطحاوية: فالخوارج والشيعة حدثوا في الفتنة الأولى[٢٤]وقد أطلق ابن كثير على الغوغاء الذين خرجوا على عثمان وقتلوه اسم الخوارج، حيث قال في صدد ذكره لهم بعد قتلهم عثمان رضي الله عنه: وجاء الخوارج فأخذوا مال بيت المال وكان فيه شيء كثير جدًا[٢٥].

الرأي الراجح في بداية نشأة الخوارج:

وبالرغم من الارتباط القوي بين ذي الخويصرة والغوغاء الذين خرجوا على عثمان وبين الخوارج الذين خرجوا على علي بسبب التحكيم، فإن مصطلح الخوارج بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة لا ينطبق إلا على الخارجين بسبب التحكيم، بحكم كونهم جماعة في شكل طائفة لها اتجاهها السياسي وآراؤها الخاصة، أحدثت أثرًا فكريًا وعقائديًا واضحًا، بعكس ما سبقها من حالات[٢٦].

---

(١٥) أي: أفتش وأكشف، ومعناه: أني أمرت بالحكم بالظاهر والله يتولى السرائر.
(١٦) مقف: أي مولٍّ.
(١٧) ضئضئي: هو بضادين معجمتين مكسورتين وآخره مهموز وهو أصل الشيء.
(١٨) أخرجه البخاري (٢/ ٢٣٢)، ومسلم (٢/ ٧٤٢).
(١٩) أخرجه مسلم (٢/ ٧٤٠).
(٢٠) تلبيس إبليس ص(٩٠).
(٢١) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٤/ ١٥٧).
(٢٢) الملل والنحل (١/ ١١٦).
(٢٣) عقيدة أهل السنة في الصحابة (٣/ ١١٤١).
(٢٤) شرح العقيدة الطحاوية ص(٥٦٣).
(٢٥) البداية والنهاية (٧/ ٢٠٢).
(٢٦) فرق معاصرة للعواجي (١/ ٦٧)، خلافة علي، عبد الحميد ص(٢٩٧).

ثانيًا: ذكر الأحاديث التي تتضمن ذم الخوارج:

وردت أحاديث كثيرة عن النبي (ﷺ) في ذم الخوارج المارقة، وصفوا فيها بأوصاف ذميمة شنيعة جعلتهم في أخبث المنازل ، فمن الأحاديث التي وردت الإشارة فيها إلى ذمهم، ما رواه الشيخان في صحيحيهما من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: بينما نحن عند رسول الله (ﷺ) وهو يقسم قسمًا، إذ أتاه ذو الخويصرة وهو رجل من تميم، فقال: يا رسول الله اعدل، فقال: «ويلك ومن يعدل إذ لم أعدل، قد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل»، فقال عمر: يا رسول الله ائذن لي فيه فأضرب عنقه، فقال: «دعه فإن له أصحابًا يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم، يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم[٢٧]، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية[٢٨] ينظر إلى نصله فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى رصافه[٢٩]، فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى نضيه، وهو قدحه فلا يوجد فيه شيء، قد سبق الفرث والدم[٣٠]، آيتهم رجل أسود إحدى عضديه مثل ثدي المرأة، أو مثل البضعة[٣١] تدردر[٣٢] ويخرجون على حين فرقة من الناس»، قال أبو سعيد : فأشهد أني سمعت هذا الحديث من رسول الله (ﷺ) ، وأشهد أن علي بن أبي طالب قاتلهم وأنا معه فأمر بذلك الرجل فالتمس فأتي به حتى نظر إليه على نعت النبي (ﷺ) الذي نعته[٣٣].

وروى الشيخان أيضًا من حديث أبي سلمة وعطاء بن يسار أنهم أتيا أبا سعيد الخدري فسألاه عن الحرورية: هل سمعت النبي (ﷺ) يقول: «يخرج في هذه الأمة -ولم يقل منها- قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم فيقرؤون القرآن لا يجاوز حلقومهم -أو حناجرهم- يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية، فينظر الرامي إلى سهمه إلى نصله إلى رصافه فيتمارى في الفوقة[٣٤] هل علقت بها من الدم شيء»[٣٥]، وروى البخاري من حديث يسير ابن عمرو قال: قلت لسهل بن حنيف: هل سمعت النبي (ﷺ) يقول في الخوارج شيئًا؟ قال سمعته يقول: وأهوى بيده قبل العراق: «يخرج منه قوم يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الإسلام مروق السهم من الرمية»، ففي هذه الأحاديث الثلاثة ذم واضح لفرقة الخوارج، فقد وصفهم (ﷺ) أنهم طائفة مارقة، وأنهم يتشددون في الدين في غير موضع التشديد، بل يمرقون منه بحيث يدخلون فيه ثم يخرجون منه سريعًا لم يتمسكوا منه بشيء،

---

(٢٧) تراقيهم: جمع ترقوة، وهي العظم بين ثغرة النحر والعاتق، وهما ترقوتان من الجانبين.
(٢٨) الرمية: الصيد الذي ترميه فتقصده وينفذ فيه سهمك، وقيل: كل دابة مرمية.
(٢٩) رصافة: يقال: رصف السهم إذا شده بالرصاف، هو عقب يلوي على مدخل النصل فيه.
(٣٠) يعني : مر مرًا سريعًا في الرمية لم يعلق به شيء من الفرث والدم.
(٣١) البضعة: القطعة من اللحم . النهاية في غريب الحديث (١/ ١٣٣).
(٣٢) تدردر: أي: ترجرج تجيء وتذهب .النهاية في غريب الحديث (٢/ ١١٢).
(٣٣) مسلم (٢/ ٧٤٣، ٧٤٤).
(٣٤) الفوقة: هي الحجر الذي يجعل فيه الوتر.
(٣٥) مسلم (٢/ ٧٤٣، ٧٤٤).

كما اشتمل الحـديث الأول في هذه الأحاديث الثلاثة أنهم يقاتلون أهل الحق، وأن أهل الحق يقتلونهم، وأن فـيهم رجلاً صفة يده كـذا وكذا، وكل هذا وقع وحصل كمـا أخبر به (ﷺ) وفي قوله (ﷺ): «لا يجاوز تراقيهم» احتمالات:

١- يحتمل أنه لكون لا تفقه قلوبهم، ويحملونه على غير المراد به.

٢- يحتمل أن يكون المراد أن تلاوتهم لا ترتفع إلى الله(٣٦).

ومن صـفاتهم الذمـيمـة التي ذمهم بـها الرسـول (ﷺ): أنهم ليس لهم من الإيمان إلا مجرد النطق به، وأنهم أصـحاب عقول رديئة وضـعيفة، وأنهم عندمـا يقرؤون القرآن يظنون لشدة ما بلغوا إليـه من سوء الفهم أنه لهم وهو عليهم، فقد روى البـخاري (رحمه الله) من حديث علي رضي الله عنه أنه قال: إذا حدثتكم عن رسـول الله (ﷺ) حديثًا فوالله لأن أخر من السماء أحب إلي من أن أكذب عليه، وإذا حدثتكم فيما بيني وبينكم فإن الحرب خدعة، وإني سـمعـت رسول الله (ﷺ) يقـول: «سيخـرج قـوم في آخر الزمـان(٣٧) أحـــداث الأسنـان(٣٨)،سفهاء الأحلام(٣٩) يقولون من خيـر قول البرية(٤٠) لا يجاوز إيمانهم حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية»(٤١).

وفي هذين الحديثين ذم للخـوارج بأنهم ليس لهم من الإيمان إلا مجرد النطق، فـقد دل الحديث الأول على أنهم يؤمنون بالنطق لا بالقلب(٤٢)، وأما هذا الحديث الذي هو حديث زيد بن وهب الجـهني عن علي رضي الله عنه فـقـد أطلق الإيمان فـيه علـى الصلاة، وكـلا الحديثين دلا على أن إيمانهم مـحصور في نطقـهم وأنه لا يتجاوز حناجرهم، ولا تراقـيهم، وهذا من أبشع الذم وأقبحه لمن وصف به(٤٣).

ومن الصفات الـقبيحة التي ذمـهم بها عليه الصلاة والسـلام: أنهم يمرقون من الدين لا يوفقون للعودة إليه، وأنهم شر الخلق والخليقـة، فقد روى مسلم (رحمه الله) من حديث أبي ذر رضي الله عنه، قال: قال رسول الله (ﷺ): «إن بعدي من أمتي -أو سـيكون بعدي من

---

(٣٦) فتح الباري (٦/٦١٨) ما قاله القاضي عياض في شرح النووي (٧/١٥٩).

(٣٧) قال الحافظ ابن حجر: المراد بآخر الزمان زمان خـلافة النبوة، فإن في حديث سفينة المخرج في السنن وصحيح ابن حبان وغيره مرفوعًا: «الخلافة بعدي ثلاثون سنة، ثم تصير ملكًا» وكانت قصة الخوارج وقتلهم في النهروان في أواخر خلافة علي سنة ثمان وثلاثين للهجرة، فتح الباري (١٢/ ٢٨٧).

(٣٨) صغار السن، شرح النووي (٧/ ١٦٩).

(٣٩) ضعفاء العقول، فتح الباري (٦/ ٦١٩).

(٤٠) أي من القرآن كما في حديث أبي سعيد المتقدم يقرؤون القرآن.

(٤١) البخاري (٢/ ٢٨١).

(٤٢) فتح الباري (٢/ ٢٨١).

(٤٣) عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام (٣/ ١١٨٣).

أمتي- قوم يقرؤون القرآن لا يجاوز حلاقيمهم يخرجون من الدين كما يخرج السهم من الرمية، ثم يعودون فيه، هم شر الخلق والخليقة»(٤٤)، وروي من حديث أبي سعيد أن النبي (ﷺ) ذكر قومًا يكونون في أمته يخرجون في فرقة من الناس سيماهم التحالق قال: «هم شر الخلق -أو من شر الخلق- يقتلهم أدنى الطائفتين إلى الحق».

ومن صفاتهم التي ذم بها الخوارج على لسان رسول الله (ﷺ): أنهم من أبغض الخلق إلى الله، فقد جاء في صحيح مسلم من حديث عبيد الله بن أبي رافع مولى رسول الله (ﷺ) أن الحرورية لما خرجت وهو مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه قالوا: لا حكم إلا لله، قال علي: كلمة حق أريد بها باطل(٤٥)، إن رسول الله (ﷺ) وصف ناسًا إني لأعرف صفتهم وهؤلاء يقولون الحق بألسنتهم لا يجوز هذا منهم - وأشار إلى حلقه- من أبغض خلق الله إليهم منهم أسود أحدى يديه طبي شاة(٤٦)، أو حلمة ثدي، فلما قتلهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: انظروا فلم يجدوا شيئًا، فقال: ارجعوا فوالله ما كذبت ولا كذبت مرتين أو ثلاثًا، ثم وجدوه في خربة فأتوا به حتى وضعوه بين يديه، قال عبيد الله: وأنا حاضر ذلك من أمرهم وقول علي فيهم(٤٧).

ومن صفاتهم القبيحة التي كانت ذمًا لهم على لسان رسول الله (ﷺ): أنهم حرموا من معرفة الحق والاهتداء إليه(٤٨)، فقد روى مسلم في صحيحه من حديث أسير بن عمرو عن سهيل بن حنيف عن النبي (ﷺ): قال: «**يتيه قوم قبل المشرق محلقة رؤوسهم**»(٤٩)، قال النووي: قوله (ﷺ): «**يتيه قوم قبل المشرق**»، أي: يذهبون عن الصواب، وعن طريق الحق، يقال: تاه إذا ذهب ولم يهتد لطريق الحق، والله أعلم(٥٠).

ومن الصفات المذمومة التي تلبسوا بها وأخبر النبي (ﷺ) أنها واقعة فيهم: أنهم يتدينون بقتل أهل الإسلام وترك عبدة الأوثان والصلبان(٥١)، فقد روى الشيخان في صحيحيهما من حديث أبي سعيد الخدري قال بعث علي رضي الله عنه وهو باليمن بذهبة في تربتها إلى رسول الله (ﷺ)، قسمها رسول الله (ﷺ) بين أربعة نفر ... فجاء رجل كث اللحية

---

(٤٤) مسلم (٢/ ٧٥٠).
(٤٥) معناه: أن الكلمة أصلها صدق، قال تعالى ﴿إن الحكم إلا لله﴾ لكنهم أرادوا بها الإنكار على علي في تحكيمه. شرح النووي (٧/ ١٧٣- ١٧٤).
(٤٦) المراد ضرع الشاة.
(٤٧) مسلم (٢/ ٧٤٩).
(٤٨) عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام (٣/ ١١٨٤).
(٤٩) مسلم (٢/ ٧٥٠).
(٥٠) شرح النووي (٧/ ١٧٥).
(٥١) عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام (٣/ ١١٨٤).

مشــرف الوجنتين[٥٢]، ناتئ الجـبين[٥٣]، محلوق الرأس، فقال: اتق الله يا محمد، فقال رسول الله: «**فمن يطع الله إن عصيته، أيأمنني على أهل الأرض ولا تأمنوني**»، قال: ثم أدبر الرجل، فاستأذن رجل من القوم في قتله يرون أنه خالد بن الوليد، فقال رسول الله (ﷺ): «**إن من ضئضئي هذا قومًا يقـرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان يمرقون من الإسـلام كما يمرق السهم من الرمية، لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد**»[٥٤].

وفي هذا معجـزة باهرة للرسول (ﷺ) حيث وقع منهم ما أخبـر به (ﷺ)، فإنهم كانوا يسلون سيوفهم على أهل الإسلام بالقتل، وكانوا يغمدونها عن الكفار من اليهود والنصارى[٥٥]، كما سيأتي بيانه بإذن الله (تعالى).

ومن الصفات القبيحة التي كانت ذمًا وعارًا مشينًا للخوارج: أن الرسول (ﷺ) حرض على قتلهم إن هم ظهـروا، وأخبر عليه الصلاة والسلام أنه لو أدركهم لأبادهم بالقتل إبادة عاد وثمود، وأخبر عليه الصلاة والسـلام بأن من قتلهم له أجر عند الله (تعالى) يوم القيامة، وقد شرف الله رابع الخلفاء الراشدين علي بن أبي طالب رضي الله عنه بمقاتلتهم وقتلهم إذ أن ظهورهم كان في زمنه رضي الله عنه وأرضاه، على وفق ما وصفهم به رسول الله (ﷺ) من العلامات الموجودة فيهم، فقد خرج رضي الله عنه إلى الخوارج بالجيش الذي كان هيأه للخروج إلى الشام، فأوقع بهم بالنهروان، ولم ينج منهم إلا دون العشرة، كما سيأتي بيانه، ولم يقاتلهم رضي الله عنه حتى سفكوا الدم الحرام، وأغاروا على أموال المسلمين فقاتلهم لدفع ظلمهم وبغيهم، ولما أظهروه من الشر من أعمالهم وأقوالهم وحسبنا هنا من الأحاديث الواردة في ذم الخوارج ما تقدم ذكره، إذ الأحاديث الواردة في ذمهم كثيـرة قلما يخلو منها كتاب من كتب السنة المطهرة[٥٦]، وسيأتي الحديث في الصفات القادمة بإذن الله (تعالى) عن بداية انحيازهم إلى حروراء، ومناظرة ابن عباس لهم، وحرص أمير المؤمنين علي على تبصيرهم وهدايتهم، وعن أسباب معركة النهروان والنتائج التي ترتبت عليها وعن أحوال الخوارج ومناقشة تلك الأصول، وهل الفكر الخارجي لا زالت أفكاره موجودة بين الناس؟ وما أسباب ذلك؟ وكيفية معالجتها؟.

ثالثًا: انحياز الخوارج إلى حروراء ومناظرة ابن عباس لهم:

انفصل الخوارج في جماعة كبيرة من جيش علي رضي الله عنه أثناء عودته من صفين إلى الكوفة، قدر عددها في رواية ببضعة عشر ألفًا، وحدد في رواية باثني عشر ألفًا[٥٧]،

---

(٥٢) مشرف الوجنتين: أي غليظهما، والوجنة: ما ارتفع من لحم خده.

(٥٣) ناتئ الجبين: أي بارز الجبين من النتوء وهو الارتفاع.

(٥٤) البخاري (٢/ ٢٣٢)، ومسلم (٢/ ٧٤١-٧٤٢).

(٥٥) عقيدة أهل السنة في الصحابة الكرام (٣/ ١١٨٥).

(٥٦) المصدر نفسه (٣/ ١١٨٥).

(٥٧) تاريخ بغداد (١/ ١٦٠).

وفي رواية بثمانية آلاف(٥٨)، وفي رواية بأنهم أربعة عشر ألفا(٥٩)، كما ذكر أنهم عشرون ألفًا(٦٠)، وهذه الرواية التي تذكر أنهم عشرون ألفًا، قد جاءت بدون إسناد(٦١)، وقد انفصل هؤلاء عن الجيش قبل أن يصلوا إلى الكوفة بمراحل، وقد أقلق هذا التفرق أصحاب علي وهالهم، وسار علي بمن بقي من جيشه على طاعته حتى دخل الكوفة، وانشغل أمير المؤمنين بأمر الخوارج، خصوصًا بعدما بلغه تنظيم بجماعتهم من تعيين أمير للصلاة وآخر للقتال، وأن البيعة لله (عز وجل)، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مما يعني انفصالهم فعليًا عن جماعة المسلمين، وكان أمير المؤمنين علي حريصًا على إرجاعهم بجماعة المسلمين، فأرسل ابن عباس إليهم لمناظرتهم، وهذا ابن عباس يروي لنا الحادثة، فيقول: . . . فخرجت إليهم ولبست أحسن ما يكون من حلل اليمن، وترجلت، ودخلت عليهم في دار نصف النهار، وكان ابن عباس رجلاً جميلا جهيرًا، فقالوا: مرحبًا بك يا ابن عباس، ما هذه الحلة؟ قال: ما تعيبون علي؟ لقد رأيت على رسول الله (ﷺ) أحسن ما يكون من الحلل، ونزلت: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِيَ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ [الأعراف: ٣٢] قالوا: فما جاء بك؟ قال: قد أتيتكم من عند صحابة النبي من المهاجرين والأنصار، من عند ابن عم النبي (ﷺ) وصهره وعليهم نزل القرآن، فهم أعلم بتأويله منكم، وليس فيكم ومنهم أحد لأبلغكم ما يقولون، وأبلغهم ما تقولون، فانتحى لي نفر منهم، قلت: هاتوا ما نقمتم على أصحاب رسول الله (ﷺ) وابن عمه، قالوا: ثلاث، قلت ما هن؟ قالوا: أما إحداهن: فإنه حكم الرجال في أمر الله، وقال الله: إن الحكم إلا لله، ما شأن الرجال والحكم؟ قلت: هذه واحدة وأما الثانية فإنه قاتل ولم يسب ولم يغنم، فإن كانوا كفارًا لقد حل سبيهم، ولئن كانوا مؤمنين ما حل سبيهم ولا قتلهم، قلت: هذه اثنتان فما الثالثة؟ قالوا: محا نفسه من أمير المؤمنين، فإن لم يكن أمير المؤمنين فهو أمير الكافرين، قلت: هل عندكم شيء غير هذا؟ قالوا: حسبنا هذا، قلت لهم: أرأيتكم إن قرأت عليكم من كتاب الله (جل ثناؤه) وسنة نبيه (ﷺ) ما يرد قولكم أترجعون؟ قالوا: نعم، قلت: أما قولكم: حكم الرجال في أمر الله، فإني أقرأ عليكم من كتاب الله أن قد صير الله حكمه إلى الرجال في ثمن ربع درهم، فأمر الله (تبارك وتعالى) أن يحكموا فيه، أرأيت قول الله (تبارك وتعالى): ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقْتُلُواْ الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ وَمَن قَتَلَهُ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاء مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ [المائدة: ٩٥] وكان من حكم الرجال، أنشدكم بالله أحكم الرجال في صلاح ذات البين، وحقن دمائهم أفضل أو في أرنب؟ قالوا: بلى، بل هذا أفضل، وفي المرأة وزوجها ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا﴾ [النساء:

(٥٨) البداية والنهاية (٧/ ٢٨٠- ٢٨١) اسناده صحيح، مجمع الزوائد (٦/ ٢٣٥).
(٥٩) مصنف عبد الرزاق (١٠/ ١٥٧- ١٦٠) بسند حسن.
(٦٠) تاريخ خليفة ص(١٩٢).
(٦١) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد ص(٣٠٣).

٣٥]، فنشدتكم بالله حكم الرجال في صلاح ذات بينهم وحقن دمائهم أفضل في حكمهم من بضع امرأة، خرجت من هذا؟ قالوا: نعم، قلت: وأما قولكم: قاتل ولم يسب، ولم يغنم، أفتسبون أمكم عائشة، تستحلون منها ما تستحلون من غيرها وهي أمكم؟ فإن قلتم: إنا نستحل منها ما نستحل من غيرها فقد كفرتم، وإن قلتم ليست بأمنا فقد كفرتم ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ [الأحزاب: ٦]. فأنتم بين ضلالتين فأتوا منها بمخرج، أفخرجت من هذه؟ قالوا: نعم، وأما محا نفسه من أمير المؤمنين، فأنا آتيكم بما تضرون، أن نبي الله (ﷺ) يوم الحديبية صالح المشركين، فقال لعلي: «**اكتب يا علي هذا ما صالح عليه محمد رسول الله**» قالوا: لو نعلم أنك رسول الله ما قاتلناك، فقال رسول الله (ﷺ): «**امح يا علي، اللهم إنك تعلم إني رسول الله، امح يا علي واكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله**»، والله لرسول الله (ﷺ) خير من علي، وقد محا نفسه، ولم يكن محوه نفسه ذلك محاه من النبوة أخرجت من هذه؟ قالوا: نعم، فرجع منهم ألفان وخرج سائرهم، فقتلوا على ضلالتهم، قتلهم المهاجرون والأنصار[٦٢]، ويمكننا أن نستخرج من مناظرة ابن عباس للخوارج مجموعة من الدروس والعبر والحكم منها:

١- حسن الاختيار لمن سوف يقوم بالمناظرة مع الخصم: فقد اختار أمير المؤمنين علي ابن عمه عبد الله بن عباس، وهو حبر الأمة وترجمان القرآن؛ لأن القوم كانوا يعرفون بالقراء ويعتمدون في الاستدلال على معتقدهم بالقرآن، لذا كان أولى الناس بمناظرتهم هو أدرى الناس بالقرآن وبتأويله، و يمكن القول بأن ابن عباس رضي الله عنه هو صاحب الاختصاص في هذه المناظرة، لما يتحلى به من إخلاص النية لله، واجتناب الهوى، والتحلي بالحلم والصبر، والتريث والترفق بالخصم، وحسن الاستماع لكلم الخصوم، وتجنب المماراة ووضوح الحجة وقوة الدليل.

٢- الابتداء مع الخصم من نقاط الاتفاق: فقد كان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وخصومه من الخوارج متفقين على الأخذ من كتاب الله وسنة نبيه محمد (ﷺ)، وكذلك كان عبد الله بن عباس رضي الله عنهما حيث قال لهم: أرأيتم إن قرأت عليكم من كتاب الله ومن سنة نبيه (ﷺ) ما يرد قولكم أترضون؟، ومع هذا فإن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما يستوثق منهم قبل بداية المناظرة.

٣- معرفة ما عند الخصم من الحجج واستقصاؤها: والاستعداد لها قبل بداية المناظرة، ونتوقع أن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه علم بحججهم قبل مناظرتهم، وقرر لأصحابه كيفية الرد عليها.

٤- تفنيد مزاعم الخصم واحدة تلو الأخرى: حتى لا يبقى لهم حجة كما يتضح من كلام ابن عباس رضي الله عنهما في مناظرته لهم كلما فرغ من تفنيد حجة قال أخرجت من

(٦٢) خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب للنسائي، تحقيق أحمد البلوشي ص (٢٠٠) إسناده حسن.

هذه؟

٥- التقديم للمناظـرة بما يخدم نتيجتـها لصالح الحق: فإن عبـد الله بن عباس رضي الله عنهـما قـال في بداية الأمر وقـبل المناظرة: أتيـتكم من عند أصحـاب النبي (ﷺ) وصهـره وعليهم نزل القرآن وهم أعلم بتأويله منكم، وليس فيكم أحد منهم[٦٣].

٦- إظهـار احتـرام رأي الخصم أثـناء المناظرة: ليكون أدعى لسـماع كل مـا عنده، وأن يحمله على احترام رأيه، وهذا ما ظهر من مناظرة ابن عباس للخوارج[٦٤].

٧- وقد وفق الله (عز وجل) الآلاف من هؤلاء: إذ بـلغ عدد من شهد معـركة النهروان منهم أقل من أربعة آلاف -كـما سيأتي بيـانه بإذن الله (تعالى) -وذلك عندما عـرفوا الحق، وزالت عنهم الشبهة بفـضل الله ثم بفضل ما أوتيه ابن عباس من علم وقـوة حجة وبيان، إذ وضح لهم بطلان ما احـتجوا به، بتـفسيـر الآيات التي تأولوها التفـسير الصـحيح، وبالسنة النبوية المشرفة والتي توضح معاني القرآن الكريم[٦٥].

٨- قول ابن عبـاس: وليس فيكم منهم أحد[٦٦]: هذا نص صـريح من ابن عبـاس في كون الخوارج لا يوجـد فيهم أحد من أصـحاب الرسول (ﷺ)، ولم يعتـرض عليه أحد من الخوارج والرواية صـحيحـة وثابتة، كما أنـه لا يوجد أحد من علمـاء أهل السنة -على حد علمي- قال بأن الخوارج كان فيهم بعض أصحاب رسول الله (ﷺ)، وأما الزعم بأن الخوارج كان فـيهم بعض الصحـابة فذلك عند المذهب الخارجي وليس لهم دلـيل علمي موثوق على قولهم.

٩- تحديد المرجـعية: في قول ابن عـباس: أرأيتكم إن قرأت عليكم من كـتاب الله (جل ثناؤه) وسنة نبيه (ﷺ) ما يرد قولكم أترجعون؟ قالوا: نعم.

ففي كلام ابـن عباس هذا درس مهم ،ألا وهو تحـديد المرجعية للمـتناظرين حتى يمكن الوصول إلى نتيجة صحيحة من خلال المناظرة.

رابعًا: خروج أمير المؤمنين لمناظرة بقيـة الخوارج وسياسـته في التعـامل معهم بعد رجوعهم للكوفة ثم خروجهم من جديد:

بعد مناظرة ابن عـباس للخـوارج واستجـابة ألفين منهم لهم، خرج أميـر المؤمنين علي بنفسه إليهم فكلمـهم فرجعوا ودخلوا الكوفة إلا أن هذا الوفاق لم يسـتمر طويلاً، بسبب أن الخوارج فـهمـوا من علي رضي الله عنه أنه رجع عن التـحكيم وتاب من خطيـئته -حـسب

(٦٣) المصدر نفسه ص(١٩٧) إسناده حسن.
(٦٤) منهج علي بن أبي طالب في الدعوة إلى الله ص(٣٣٩).
(٦٥) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد ص(٣٠٧).
(٦٦) خصائص علي بن أبي طالب للنسائي ص(٢٠٠) إسناده حسن، للبلوشي.

زعمهم- وصاروا يذيعون هذا الزعم بين الناس، فجاء الأشعث بن القيس الكندي إلى أمير المؤمنين، وقال له: إن الناس يتحدثون أنك رجعت لهم عن الكفر ،فخطب علي رضي الله عنه يوم الجمعة،وبعد أن حمد الله وأثنى عليه ذكرهم ومباينتهم الناس وأمرهم الذي فارقوه فيه(٦٧)، وفي رواية: جاء رجل فقال: لا حكم إلا لله، ثم قام آخر فقال: لا حكم إلا لله، ثم قاموا نواحي المسجد يحكمون الله، فأشار عليهم بيده: اجلسوا، نعم لا حكم إلا لله، كلمة حق يبتغى بها باطل، حكم الله أنتظر فيكم(٦٨)، وأخذ يسكتهم بالإشارة وهو على المنبر، فقام رجل منهم، واضعًا إصبعه في أذنيه ويقول: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥]، فرد أمير المؤمنين عليَ بقوله (تعالى): ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لا يُوقِنُونَ﴾ [الروم: ٦٠].

وأعلن أمير المؤمنين علي سياسته الراشدة العادلة تجاه هذه الجماعة المتطرفة، فقال لهم: إن لكم عندنا ثلاثًا:

١- لا نمنعكم صلاة في هذا المسجد.

٢- ولا نمنعكم نصيبكم من هذا الفيء ما كانت أيدكم مع أيدينا.

٣- و لا نقاتلكم حتى تقاتلونا(٦٩).

فقد سلم لهم أمير المؤمنين على هذه الحقوق ما داموا لم يقاتلوا الخليفة، أو يخرجوا على جماعة المسلمين، مع احتفاظهم بتصوراتهم الخاصة في إطار العقيدة الإسلامية، فهو لا يخرجهم بداية من الإسلام، وإنما يسلم لهم حق الاختلاف دون أن يؤدي إلى الفرقة وحمل السلاح(٧٠)، ولم يزج أمير المؤمنين بالخوارج بالسجون أو يسلط عليهم الجواسيس، ولم يحجر على حرياتهم، ولكنه رضي الله عنه حرص على إيضاح الحجة وإظهار الحق لهم ولغيرهم ممن قد ينخدع بآرائهم ومظهرهم، فقد أمر مؤذنه بأن يدخل عليه القراء ولا يدخل أحد إلا قد حفظ القرآن فامتلأ الدار من قراء الناس، فدعا بمصحف إمام عظيم، فطفق يصكه بيده ويقول: أيها المصحف حدث الناس، فناداه الناس فقالوا: يا أمير المؤمنين، ما تسأله عنه، إنما هو مداد في ورق، ونحن نتكلم بما روينا منه فماذا تريد؟ قال: أصحابكم هؤلاء الذين خرجوا بيني وبينهم كتاب الله يقول الله (تعالى) في كتابه في امرأة ورجل: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ

---

(٦٧) مصنف ابن أبي شيبة (١٥/ ٣١٢- ٣١٣)، صححه الألباني في إرواء الغليل (٨/ ١١٨- ١١٩).

(٦٨) مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري ص(٤٥٢).

(٦٩) مصنف ابن أبي شيبة (١٥/ ٣٢٧- ٣٢٨)،والشافعي في الأم (٤/ ١٣٦) وتاريخ الطبري (٥/ ٦٨٨) بسند ضعيف للانقطاع إلا أن للسند شواهد وقد توبع. قاله الألباني في إرواء الغليل (٨/ ١١٧-١١٨).

(٧٠) الوظيفة العقدية للدولة الإسلامية، حامد عبد الماجد ص(٤٧).

﴿بَيْنَهُمَا﴾ [النساء: ٣٥]، فأمة محمد أعظم دمًا وحرمة من امرأة ورجل، ونقموا علي أن كاتبت معاوية، كتبت علي بن أبي طالب، وقد جاءنا سهيل بن عمرو ونحن مع رسول الله (ﷺ) بالحديبية حين صالح قومه قريشًا، فكتب رسول الله (ﷺ): بسم الله الرحمن الرحيم، فقال سهيل: لا أكتب بسم الله الرحمن الرحيم، قال: «كيف تكتب؟» قال: أكتب باسمك اللهم، فقال رسول الله (ﷺ): «اكتب»، فكتب. فقال: «اكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله (ﷺ)»، فقال: لو أعلم أنك رسول الله لم أخالفك، فكتب «هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله قريشًا»، يقول الله (تعالى) في كتابه: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ﴾(٧١) [الأحزاب: ٢١].

ولما أيقن الخوارج أن أمير المؤمنين عازم على إنفاذ أبي موسى الأشعري حكمًا طلبوا منه الامتناع عن ذلك، فأبى علي عليهم ذلك وبين لهم أن هذا يعد غدرًا ونقضًا للأيمان والعهود، وقد كتبنا بيننا وبين القوم عهودًا، وقد قال الله (تعالى): ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلاَ تَنقُضُواْ الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً﴾ [النحل: ٩١].

فقرر الخوارج الانفصال عن أمير المؤمنين علي وتعيين أمير عليهم، فاجتمعوا في منزل عبد الله بن وهب الراسبي، فخطبهم خطبة بليغة زهدهم في الدنيا ورغبهم في الآخرة والجنة وحثهم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ثم قال: فاخرجوا بنا إخواننا من هذه القرية الظالم أهلها إلى جانب هذا السواد، إلى بعض كور الجبال أو بعض هذه المدائن منكرين لهذه الأحكام الجائرة، ثم قام حرقوص بن زهير فقال بعد حمد الله والثناء عليه: إن المتاع بهذه الدنيا قليل، وإن الفراق لها وشيك، فلا تدعونكم زينتها أو بهجتها إلى المقام بها، ولا تلتفت بكم عن طلب الحق وإنكار الظلم ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨] فقال حمزة بن سنان الأسدي: يا قوم إن الرأي ما رأيتم وإن الحق ما ذكرتم، فولوا أمركم رجلا منكم، فإنه لا بد لكم من عماد وسنان، ومن راية تحفون بها، وترجعون إليها فبعثوا إلى زيد بن حصن الطائي -وكان من رؤوسهم- فعرضوا عليه الإمارة فأبى، ثم عرضوها على حرقوص بن زهير فأبى، وعرضوها على حمزة بن سنان فأبى، وعرضوها على شريح بن أبي أوفى العبسي فأبى، وعرضوها على عبد الله بن وهب الراسبي فقبلها، وقال: أما والله لا أقبلها رغبة في الدنيا، ولا أدعها فرقًا من الموت(٧٢)، واجتمعوا أيضًا في بيت زيد بن حصن الطائي فخطبهم وحثهم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتلا عليهم آيات من القرآن منها قوله (تعالى): ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [ص: ٢٦] وقوله (تعالى): ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ والآية التي بعدها ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ

(٧١) مسند أحمد (٢/ ٦٥٦) قال أحمد شاكر: صحيح الإسناد.
(٧٢) البداية والنهاية (٧/ ٣١٢)، تاريخ الطبري (٥/ ٦٨٩).

اللَّهُ فَأُوْلَـٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٤- ٤٧] ثم قال: فاشهد على أهل دعوتنا من أهل قبلتنا، أنهم قد اتبعوا الهوى ونبذوا حكم الكتاب، وجاروا في القول والأعمال، وأن جهادهم حق على المؤمنين، فبكى رجل منهم يقال له: عبد الله بن شجرة السلمي، ثم حرض أولئك على الخروج على الناس وقال في كلامه: اضربوا وجوههم وجباههم بالسيوف حتى يطاع الرحمن الرحيم، فإن أنتم ظفرتم وأطيع الله كما أردتم أثابكم ثواب المطيعين له العاملين بأمره، وإن فشلتم فأي شيء أفضل من المصير إلى رضوان الله وجنته(٧٣).

قال ابن كثير بعد أن ذكر ما أملاه الشيطان لهم مما تقدم ذكره: وهذا ضرب من الناس من أغرب أشكال بني آدم، فسبحان من نوع خلقه كما أراد وسبق في قدره العظيم، وما أحسن ما قال بعض السلف في الخوارج: إنهم المذكورون في قوله (تعالى): ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا * أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: ١٠٣-١٠٥].

والمقصود: أن هؤلاء الجهال الضلال، والأشقياء في الأقوال والأفعال اجتمع رأيهم على الخروج من بين أظهر المسلمين، وتواطؤوا على المسير إلى المدائن ليملكوها على الناس ويتحصنوا بها، ويبعثوا إلى إخوانهم وأضرابهم ممن هم على رأيهم ومذهبهم من أهل البصرة وغيرها فيوافوهم إليها، ويكون اجتماعهم عليها، فقال لهم زيد بن حصن الطائي: إن المدائن لا تقدرون عليها، فإن بها جيشًا لا تطيقونه وسيمنعونها منكم، ولكن واعدوا إخوانكم إلى جسر نهر جوخي ولا تخرجوا من الكوفة جماعات، ولكن اخرجوا وحدانًا لئلا يفطن بكم فكتبوا كتابًا عامًا إلى من هو على مذهبهم ومسلكهم من أهل البصرة وغيرها، وبعثوا إليهم ليوافوهم إلى النهر ليكونوا يدا واحدة على الناس، ثم خرجوا يتسللون وحدانًا لئلا يعلم أحد بهم فيمنعونهم من الخروج، فخرجوا من بين الآباء والأمهات، والأخوال والخالات وفارقوا سائر القرابات يعتقدون بجهلهم وقلة علمهم وعقلهم أن هذا الأمر يرضي رب الأرض والسماوات ، ولم يعلموا أنه من أكبر الكبائر الموبقات والعظام والخطيئات، وأنه مما زينه لهم إبليس الشيطان الرجيم المطرود عن السماوات الذي نصب العداوة لأبينا آدم، ثم لذريته ما دامت أرواحهم في أجسادهم مترددات وقد تدارك جماعة من الناس بعض أولادهم وإخوانهم، فردوهم وأنبوهم ووبخوهم، فمنهم من استمر على الاستقامة ومنهم من فر بعد ذلك فلحق بالخوارج فخسر إلى يوم القيامة، وذهب الباقون إلى ذلك الموضع ووافى إليهم من كانوا يكتبون إليه من أهل البصرة وغيرها، واجتمع الجميع بالنهروان وصارت لهم شوكة ومنعة(٧٤).

ولما تفرق الحكمان على غير رضا، كتب أمير المؤمنين علي إلى الخوارج وهم مجتمعون

---

(٧٣) البداية والنهاية (٧/ ٣١٢).

(٧٤) البداية والنهاية (٧/ ٣١٢، ٣١٣).

بالنهروان أن الحكمين تفرقا على غير رضا، فارجعوا إلى ما كنتم عليه وسيروا بنا إلى قتال أهل الشام، فأبوا ذلك، وقالوا: حتى تشهد على نفسك بالكفر وتتوب، فأبى[٧٥]، وفي رواية كتبوا إليه: أما بعد: فإنك لم تغضب لربك، إنما غضبت لنفسك، فإن شهدت على نفسك بالكفر، واستقبلت التوبة، نظرنا فيما بيننا وبينك وإلا فقد نابذناك على سواء إن الله لا يحب الخائنين، فلما قرأ كتابهم أيس منهم، فرأى أن يدعهم ويمضي بالناس إلى أهل الشام حتى يلقاهم فيناجزهم[٧٦].

إن قضية إعلان الخوارج كفر علي وطلبهم منه التوبة، لا تثبت بهذه الروايات ولكنها تتفق مع رأي الخوارج في تكفير علي وعثمان وامتحان الناس بذلك[٧٧].

خامسًا: معركة النهروان ٣٨ هـ:

١- سبب المعركة:

كانت الشروط التي أخذها أمير المؤمنين علي على الخوارج ألا يسفكوا دمًا ولا يروعوا آمنًا، ولا يقطعوا سبيلاً وإذا ارتكبوا هذه المخالفات فقد نبذ إليهم الحرب، ونظرًا لأن الخوارج يكفرون من خالفهم ويستبيحون دمه وماله، فقد بدؤوا بسفك الدماء المحرمة في الإسلام، وقد تعددت الروايات في ارتكابهم المحظورات، ومما صح من هذه الروايات ما حدث به شاهد عيان كان من الخوارج ثم تركهم حيث قال: صحبت أصحاب النهر، ثم كرهت أمرهم، فكتمته خشية أن يقتلوني، فبينما أنا مع طائفة منهم، إذ أتينا على قرية وبيننا وبين القرية نهر، إذ خرج رجل من القرية مذعورًا يجر رداءه، فقالوا له: كأننا روعناك؟ قال: أجل، قالوا: لا روع لك، فقلت: والله يعرفوه ولم أعرفه، فقالوا: أنت ابن خباب صاحب رسول الله (ﷺ)؟ قال: نعم، قالوا: عندك حديث تحدثناه عن أبيك عن النبي (ﷺ)؟ قال: سمعته يقول: إنه سمع النبي (ﷺ) ذكر فتنة فقال: «**القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي، فإن أدركتك فكن عبد الله المقتول**»، فأخذوه وسرية له معهم، فمر بعضهم على ثمرة ساقطة من نخلة، فأخذها فألقاها في فيه، فقال بعضهم: خترير معاهد فبم استحللته؟ فقال عبد الله بن خباب: ألا أدلكم على ما هو أعظم عليكم حرمة من هذا؟ قالوا: نعم قال: أنا، ولكنهم قدموه إلى النهر فضربوا عنقه، يقول الراوي: فرأيت دمه يسيل على الماء، كأنه شراك ماء اندفر بالماء حتى توارى عنهم[٧٨]، ثم دعوا بالسرية وهي حبلى، فبقروا عما في بطنها، يقول الراوي: لم أصاحب قومًا هم أبغض إلي صحبة منهم، حتى وجدت خلوة فانفلق[٧٩]، أثار هذا العمل الرعب بين الناس، وأظهر

---

(٧٥) أنساب الأشراف (٢/ ٦٣) بسند فيه ضعف وله شواهد.
(٧٦) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد ص(٣١٩).
(٧٧) المصدر نفسه ص(٣١٨).
(٧٨) أي لم يختلط بالماء، تاريخ بغداد (١/ ٢٠٥- ٢٠٦).
(٧٩) مصنف ابن أبي شيبة (١٥/ ٣١٠- ٣١١) بسند صحيح.

مدى إرهابهم بـبقر بطن هذه المرأة وذبحـهم عبـد الله كما تذبح الشـاة ولم يكتفـوا بهذا بل صاروا يهددون الناس قتلاً، حتى أن بعضهم استنكر عليهم هذا العمل قائلين: ويلكم ما على هذا فارقنا عليًا[٨٠].

بالرغم من فظاعـة ما ارتكبـه الخوارج من منكرات بشـعة، لم يبـادر أميـر المؤمنين إلى قتالهم، بل أرسل إليهم أن يسلـموا القتلة لإقامة الحد عليهم، فأجـابوه بعناد واستكبار: كلنا قـتلة[٨١]، فسار إليهم بجـيشه الذي قد أعده لقتال أهل الشام في شـهر محرم من عام ٣٨ هـــ[٨٢]، وعسكر على الضفة الغـربية لنهر النهروان، والخوارج على الضفة الشـرقية بحذاء مدينة النهروان[٨٣].

٢- تحريض أمير المؤمنين علي جيشه على القتال:

كان أمـير المؤمنين عـلي رضي الله عنه يدرك أن هؤلاء القوم هم الخـوارج الذين عناهم رسـو ل الله (ﷺ) بالمروق من الدين، لذلك أخـذ يحث أصـحـابه أثناء مـسـيـرهم إليـهم ويحرضـهم على قتالهم وكان لأحـاديث رسول الله (ﷺ) في الخوارج أثرها لدى الصـحابة وأتباع أمـير المؤمنين علـي رضي الله عنه، فقـد كان رضي الله عنه يحث جـيشه علـى البدء بهؤلاء الخوارج، فقال: أيها الناس إني سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: «**يخرج قوم من أمتي يقـرؤون القرآن، ليس قراءتكم إلى قـراءتهم بشيء، ولا صـلاتكم إلى صـلاتهم بشيء، ولا صيامكم إلى صيامهم بشيء، يقرؤون القـرآن يحسبون أنه لهم وهو عليهم لا تجاوز صلاتهم تراقيهم، يمرقون من الإسلام كـما يمرق السهم من الرمية**» لو يعلم الجيش الذي يصيبونهم ما قضى لهم على لسان نبـيهم (ﷺ) ولما تكلوا عن العمل، وآية ذلك أن فيهم رجـلاً له عضد وليس له ذراع، على رأس عضده مثل حملة الثدي عليه شـعيرات بيض فتذهبون إلى معاوية وأهل الشام، وتتركون هؤلاء يخلفـونكم في ذراريكم وأموالكم. والله إني لأرجو أن يكونوا هؤلاء القـوم فإنهم قـد سفكوا الدم الحـرام، وأغـاروا في سرح الناس، فـسيـروا على اسم الله[٨٤]. وقال رضي الله عنه في يوم النهروان: أمرت بقتال المارقين وهؤلاء المارقون[٨٥].

وعسكر الجيش في مقـابلة الخوارج يفصل بينهما نهر النهروان، وأمر بـجيشه ألا يبدءوا بالقـتال حتـى يجتاز الخـوارج النهـر غربًا، وأرسل علي رضي الله عنه رسله يناشـدهم الله يأمـرهم أن يرجـعـوا، وأرسل إليـهم البـراء بن عـازب رضي الله عـنه يدعـوهم ثلاثة أيام

---

(٨٠) مجمع الزوائد (٦/ ٢٣٧- ٢٣٨) إسناده صحيح.

(٨١) مصنف ابن أبي شيبة (١٥/٣٠٨- ٣٠٩) بسند صحيح.

(٨٢) أنساب الأشراف (٢/ ٦٣) بسند فيه مجهول، خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد ص(٣٢٢).

(٨٣) تاريخ بغداد (١/ ٢٠٥- ٢٠٦).

(٨٤) مسلم (٢/ ٧٤٨- ٧٤٩).

(٨٥) السنة لابن أبي عاصم، تحقيق الألباني، وقال المحقـق: حديث صحيح، إسناده ضعيف، وللحديث شواهد. خلافة علي ص (٣٢٣).

فـأبوا[٨٦]، ولم تزل رسله تختلف إليهم حتى قـتلوا رسله، واجتازوا النهر[٨٧]، وعندمـا بلغ الخوارج هذا الحـد وقطعوا الأمل في كل مـحاولات الصلح وحـفظ الدماء، ورفـضوا عنادًا واستكبـارًا العودة إلى الحق وأصروا على القتـال، قام أمير المؤمنين بتـرتيب الجيش، وتهيـئته للقـتال[٨٨]، فجعل على ميمنته حجـر بن علي، وعلى الميسرة شبث بن ربعي، ومعقل بن قيس الرياحي، وعلى الخـيل أبا أيوب الأنصاري، وعلى الرجالة أبا قتـادة الأنصاري، وعلى أهل المدينة وكانوا في سـبعمائة قيـس بن سعد بن عبادة، وأمـر علي أبا أيوب الأنصاري أن يرفع راية أمان للـخوارج ويقول لهم: من جـاء إلى هذه الراية فهـو آمن، ومن انصرف إلى الكوفة والمدائن فهو آمن، إنه لا حجة لنا فيكم إلا فيمن قتل إخواننا، فانصرف منهم طوائف كـثيـرون، وكـانوا أربعـة آلاف، فلم يبق منهم إلا ألف أو أقل عـليهم عـبـد الله بن وهب الراسبي، فرجعوا على علي وكان على ميمنتهم زيد بن حصن الطائي السنبيسي وعلى الميسرة شريح بن أوفى، وعلى خيالتهم حمزة بن سنان، وعلى الرجالة حرقوص بن زهير السعدي، فوقفوا مقاتلين لعلي وأصحابه[٨٩].

٣- نشوب القتال:

وزحف الخوارج إلى علي، وقدم علي بين يديه الخيل، وقدم منهم الرماة وصف الرجالة وراء الخيالة، وقال لأصحابه: كفوا عنهم حتى يبدؤوكم، وأقبلت الخوارج يقولون: لا حكم إلا لله، الرواح الرواح إلى الجنة، فحـملوا على الخيالة الذين قـدمهم علي، ففرقـوهم حتى أخذت طائفة من الخـيالة إلى الميمنة، وأخرى إلى الميسـرة، فاستقبلتهم الرمـاة بالنبل، فرموا وجـوههم، وعطفت عليـهم الخـيالة من الميـمنة والميـسـرة، ونهض إليهم الـرجال بالرمـاح والسيوف، فأناموا الخوارج فصاروا صرعى تحت سنابك الخيول، وقتل أمراؤهم: عبد الله بن وهب، وحرقوص بن زهير، وشريح بن أوفى، وعبد الله بن سخبرة السلمي[٩٠]، وقال أبو أيوب: وطعنت رجـلاً من الخوارج بالرمح فـأنفذته من ظهـره وقلت له: أبشر يـا عدو الله بالنار، فقـال: ستعلم أينا أولى بهـا صليًا[٩١]، وقد اعتـزل كثير من الخوارج القـتال لكلمة سمعوها من عبد الله بن وهب الراسبي، كـانت تدل عندهم على ضعف الاستبصار والوهن في اليقين، وهذه الكلمـة قالها عندما ضـرب علي رضي الله عنه رجلاً من الخوارج بسـيفه، فقـال الخارجي: حبذا الروح إلى الجنة فـقال عبـد الله بن وهب : ما أدري إلى الجنة أم إلى النار[٩٢]، فقال رجل من بني سعد وهو فروة بن نوفل الأشـجعي: إنما حضرت اغترارًا بهذا

(٨٦) السنن الكبرى للبيهقي (٨/ ١٩٧)، خلافة علي، عبد الحميد ص(٣٢٤).
(٨٧) مصنف ابن أبي شيبة (١٥/ ٣٢٥- ٣٢٧).
(٨٨) خلافة علي بن أبي طالب ، عبد الحميد ص(٣٢٤).
(٨٩) تاريخ الخلافة الراشدة، محمد كنعان ص(٤٢٥) مختصر من البداية والنهاية.
(٩٠) المصدر نفسه ص(٤٢٥). (٩١) المصدر نفسه ص(٤٢٥).
(٩٢) أخبار الخوارج من الكامل للمبرد ص(٢١)، خلافة علي ص(٣٢٥).

وأراه قد شك؟ فـانعزل بجماعـة من أصحابه، ومال ألف إلى أبي أيوب الأنصـاري، وجعل الناس يتسللون[٩٣]، وقد كانت معركة حاسمة وقصيرة أخذت وقتًا من اليوم التاسع من شهر صفر من عام ثمان وثلاثين للهجرة ٩/ ٢/ ٣٨ هـ[٩٤]، وأسفرت هذه المعركة الخاطفة عن عدد كبـير من القتـلى في صفوف الخـوارج، وكان الحال على عكس ذلك تمـامًا في جيش أمـير المؤمنين وعلي رضي الله عنه، فقتلى أصحاب علي فيما رواه مسلم في صحيحه،عن زيد بن وهب: رجلان فقط[٩٥]، وفي رواية بسند حسن قال: وقتل من أصحاب علي اثنى عشر أو ثلاثة عشر[٩٦]، وجاء في رواية صحيحة أن أبا مجلز[٩٧] قال: ولم يقتل من المسلمين يقصد جيش عـلي إلا تسعة رهط، فـإن شئت فـاذهب إلى أبي برزة[٩٨]، فاسـأله فإنـه قد شـهد ذلك[٩٩]، وأما قتلى الخوارج، فتذكر الروايات أنهم أصيبوا جميعًا[١٠٠]، ويذكر المسعودي أن عددا يسيرًا لا يتجاوز العشرة فروا بعد الهزيمة الساحقة[١٠١].

٤- ذو الثدية أو المخدج وأثر مقتله على جيش علي رضي الله عنه:

ظهرت روايـات مختلـفة في تحديـد شخصـية ذي الثـدية، وهذه الروايات منهـا ما هو ضعيف الإسناد ومنا مـا هو قوي، وقد جاء في الأحاديث النبوية أوصـاف ذي الثدية، فمن ذلك أنه أسـود البشـرة[١٠٢]، وفي رواية حبـشي، وأنه مخدج اليـد، أي ناقص اليد، ويده صغيرة مجـتمعة، فهي من المنكب إلى العضد فقط، أي بدون ذراع، وفـي نهاية عضده مثل حلمة الثدي وعليها شعيرات بيض، وعضده ليست ثابتة، كأنها بلا عظم إذ أنها «تدردر» أي تتحرك تذهب وتجـيئ، أما مخدج اليد، أو مـودون اليد أو مثدون اليد، فـكلها بمعنى واحد وهو ناقـص اليـــد[١٠٣]، وأما اسمـه فقد أخطأ من قال أن ذا الثدية هو حـرقوص بن زهير السعدي[١٠٤]، فحرقوص رجل مشهور كان له دور في الفتوحات الإسلامية، ثم خرج على عثمان رضي الله عنه، وقد فر إثر معركة «الجمل الصغرى» التي قتل فيها الزبير وطلحة رضي الله عنهما قتلة عثمان بالبصرة وقـد صار حرقوص من زعماء الخوارج المميزين[١٠٥]، إلا أنـه

(٩٣) المصدر نفسه ص(٢١)، خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد ص(٣٢٥).
(٩٤) أنساب الأشراف (٢/ ٦٣) بسند فيه مجهول.
(٩٥) مسلم (٢/ ٧٤٨).
(٩٦) مصنف ابن أبي شيبة (٥/ ٣١١)، تاريخ خليفة ص(١٩٧) بسند حسن.
(٩٧) لاحق بن حميد السدوسي البصري ثقة من الطبقة الثالثة.
(٩٨) نضلة بن عبيد الأسلمي صحابي مشهور بكنيته، مات سنة (٦٥هـ).
(٩٩) المعرفة والتاريخ (٣/ ٣١٥)، تاريخ بغداد (١/ ١٨٢).
(١٠٠) أخبار الخوارج من الكامل ص(٣٣٨).
(١٠١) خلافة علي بن أبي طالب ص(٣٢٩)، تاريخ خليفة ص(١٩٧).
(١٠٢) مصنف عبد الرزاق (١٠/ ١٤٦).
(١٠٣) النهاية في غريب الحديث (١/ ١٢، ١٣) فتح الباري (١٢/ ٢٩٤- ٢٩٥).
(١٠٤) الملل والنحل (١/ ١١٥). (١٠٥) فتح الباري (١٢/ ٢٩٢)، الإصابة (١/ ١٣٩).

قد ورد في رواية أن اسمه «حرقوس» أما أبوه فلا يعرفه أحد، وجاء في رواية أن اسمه مالك، وذلك أنهم عندما وجدوه قال علي: الله أكبر، لا يأتيكم أحد يخبركم من أبوه؟ فجعل الناس يقولون هذا مالك هذا مالك، فقال علي: ابن من؟[١٠٦] فلم يعرف أحد أبوه، وقد ورد في رواية صححها الطبري أن اسمه نافعًا ذا الثدية كما قد جاء عند ابن أبي شيبة وأبي داود، إلا أن طريقهما واحد، فبعدما جاء في المصادر الثلاثة رواية واحدة ذات طريق واحد[١٠٧]، وكان علي رضي الله عنه يتحدث عن الخوارج منذ ابتداء بدعتهم، وكثيرًا ما كان يتعرض إلى ذكر ذي الثدية، وأنه علامة هؤلاء، ويسرد أوصافه، وبعد نهاية المعركة الحاسمة أمر علي رضي الله عنه أصحابه بالبحث عن جثة المخدج؛ لأن وجودها من الأدلة على أن عليًا رضي الله عنه على حق وصواب، وبعد مدة من البحث مرت على علي وأصحابه وجد أمير المؤمنين علي جماعة مكومة بعضها على بعض عند شفير النهر قال: أخرجوهم، فإذا المخدج تحتهم جميعًا مما يلي الأرض فكبر علي ثم قال: صدق الله، وبلغ رسوله وسجد سجود الشكر، وكبر الناس حين رأوه واستبشروا[١٠٨].

١- معاملة أمير المؤمنين علي للخوارج:

عامل أمير المؤمنين علي رضي الله عنه الخوارج قبل الحرب وبعده معاملة المسلمين فما إن انتهت المعركة حتى أصدر أمره في جنده بأن لا يتبع مدبرًا، أو يذفف على جريح، أو يمثل بقتيل، يقول شقيق بن سلمة المعروف بأبي وائل -أحد فقهاء التابعين وممن شهد مع علي حرورية لم يسب على يوم الجمل ولا يوم النهروان[١٠٩]، وقد حمل رثة أهل النهر إلى الكوفة وقال: من عرف شيئًا فليأخذه فجعل الناس يأخذون حتى بقيت قدر فجاء رجل وأخذها، وهذه الرواية لها طرق عدة[١١٠]، ولم يقسم بين جنده إلا ما حمل عليه الخوارج في الحرب من السلاح والكراع فقط، وأمير المؤمنين علي رضي الله عنه لم يكفر الخوارج، إذ قبل الحرب حاول إرجاعهم إلى الجماعة وقد رجع كثير منهم، ووعظهم وخوفهم القتال، يقول ابن قدامة: وإنما كان كذلك لأن المقصود كفهم ودفع شرهم لا قتلهم، فإن أمكن لمجرد القول كان أولى من القتال، لما فيه من الضرر بالفريقين، وهذا يدل على أن الخوارج فرقة من المسلمين، كما قال بذلك كثير من العلماء[١١١]، وكان سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه يسميهم الفاسقين، فعن مصعب بن سعد قال: سألت أبي عن هذه الآية ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ

---

(١٠٦) الفتح الرباني على مسند الإمام أحمد (٢٣/ ١٥٥) بإسناد حسن، ،البداية والنهاية (٧/ ٢٩٤، ٢٩٥).

(١٠٧) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد ص(٣٣٤).

(١٠٨) مصنف ابن أبي شيبة (١٥/ ٣١٧- ٣١٩) بسند صحيح.

(١٠٩) السنن الكبرى للبيهقي (٨/ ١٨٢) بسند صحيح.

(١١٠) التلخيص الحبير (٤/ ٤٧).

(١١١) فتح الباري (١٢/ ٣٠٠-٣٠١)، نيل الأوطار (٨/ ١٨٢).

صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٣-١٠٤] أهم الحرورية؟ قال: لا، هم أهل الكتاب اليهود والنصارى، أما اليهود فكذبوا بمحمد (ﷺ)، وأما النصارى فكفروا بالجنة، وقالوا: ليس فيها طعام ولا شراب، ولكن الحرورية ... ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ * الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [البقرة: ٢٦-٢٧] وكان سعد يسميهم الفاسقين[١١٢]، وفي رواية عن سعد رضي الله عنه أنه قال لما سئل عنهم: هم قوم زاغوا فأزاغ الله قلوبهم[١١٣].

وقد سئل علي رضي الله عنه أكفار هم؟ قال: من الكفر فروا، فقيل منافقون؟ قال: المنافقون لا يذكرون الله إلا قليلا، قيل: فما هم؟ قال: قوم بغوا علينا فقاتلناهم، وفي رواية: قوم بغوا علينا فنصرنا عليهم، وفي رواية قوم أصابتهم فتنة فعموا فيها وصموا[١١٤]، كما أنه رضي الله عنه وجه نصيحة لجيشه وللأمة الإسلامية من بعده فقال: إن خالفوا إمامًا عادلاً فقاتلوهم وإن خالفوا إمامًا جائرًا فلا تقاتلوهم فإن لهم مقالاً[١١٥]، والملاحظ في قتال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه للخوارج وقتاله في الجمل وصفين، أن عليًا رضي الله عنه ندم وحزن على قتاله في وقعة الجمل وصفين، أما في قتاله مع الخوارج فكان يظهر الفرح والسرور لقتالهم، قال ابن تيمية: فإن النص والإجماع فرق بين هذا وهذا، فإنه قاتل الخوارج بنص رسول الله (ﷺ)، وفرح بذلك، و لم ينازعه فيه أحد من الصحابة، وأما القتال يوم صفين فقد ظهر منه من كراهته والندم عليه ما ظهر[١١٦].

سادسًا: من الآثار الفقهية من معارك أمير المؤمنين علي:

تمكن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه بغزير علمه وسعة فقهه أن يضع قواعد وأحكامًا، وهي ضوابط شرعية في قتال أهل البغي، ثم سار أهل السنة من أئمة العلم والفقهاء على سيرته في البغاة، واستنبطوا من هديه الراشدي الأحكام والقواعد الفقهية في هذه الشأن، حتى قال جلة أهل العلم: لولا حرب علي لمن خالفه لما عرفت السنة في قتال أهل القبلة[١١٧]، وروي هذا عن علي نفسه في قوله: أرأيتم لو أني غبت عن الناس، من كان يسير فيهم هذه السيرة[١١٨]؟ وقال الأحنف لعلي: يا علي إن قومنا بالبصرة يزعمون أنك إن ظهرت عليهم غدًا أنك تقتل رجالهم وتسبي نساءهم، فقال: ما مثلي يخاف هذا منه، وهل

---

(١١٢) صحيح البخاري، فتح الباري (٨/ ٤٢٥).
(١١٣) مصنف ابن أبي شيبة (١٥/ ٣٢٤- ٣٢٥)، الاعتصام للشاطبي (١/ ٦٢).
(١١٤) مصنف عبد الرزاق (١٠/ ١٥٠)، مصنف ابن أبي شيبة (١٥/ ٣٣٢) بسند صحيح .
(١١٥) مصنف ابن أبي شيبة (١٥/ ٣٢٠) فتح الباري (١٢/ ٣٠١) له سند صحيح عند الطبري.
(١١٦) مجموع الفتاوي (٢٨/ ٥١٦).
(١١٧) التمهيد للباقلاني ص(٢٢٩)، تحقيق مواقف الصحابة (٢/ ٢٩٥).
(١١٨) مصنف عبد الرزاق (١٠/ ١٢٤).

يحل هذا إلا ممن تولى وكفر؟ وبناء على ذلك فإن قتال أهل القبلة يخالف قتال الكفار والمرتدين من أوجه متعددة:

١- أن يقصد بالقتال ردعهم ولا يتعمد به قتلهم؛ لأن المقصود ردهم إلى الطاعة ودفع شرهم لا القتل، بينما يجوز أن يتعمد قتل المشركين والمرتدين[١١٩].

٢- إذا قاتل مع البغاة عبيد ونساء وصبيان فحكمهم جميعًا حكم الرجل البالغ الحر، يقاتلون مقبلين ويتركون مدبرين؛ لأن قتالهم لدفع أذاهم بينما يجوز قتل أهل الردة والكفر مقبلين ومدبرين[١٢٠].

٣- إذا ترك أهل البغي القتال إما بالرجوع إلى الطاعة، وإما إلقاء السلاح، وإما بالهزيمة، وإما بالعجز لجراح أو مرض أو أسر، فإنه لا يجوز الإجهاز على جريحهم وقتل أسيرهم وإن جاز الإجهاز على جرحى المشركين والمرتدين وقتل أسراهم فقد روى ابن أبي شيبة في مصنفه عن علي رضي الله عنه أنه قال يوم الجمل: لا تتبعوا مدبرين، ولا تجهزوا على جريح، ومن ألقى سلاحه فهو آمن[١٢١]، وفي رواية عبد الرزاق، أن عليًا أمر مناديه فنادى يوم البصرة: لا يتبع مدبر، ولا يذفف على جريح، ولا يقتل أسير، ومن أغلق بابه أو ألقى سلاحه فهو آمن، و لم يأخذ من متاعهم شيئًا[١٢٢]، وقال علي يوم الجمل: لا تتبعوا مدبرًا، ولا تجهزوا على جريح، ولا تقتلوا أسيرًا، وإياكم والنساء وإن شتمن أعراضكم وسببن أمراءكم، فلقد رأيتنا في الجاهلية وإن الرجل ليتناول المرأة بالجريدة أو الهرواة فيعير بها، هو وعقبه ومن بعده[١٢٣]، وعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: شهدت صفين وكانوا لا يجهزون على جريح، ولا يقتلون موليًا، ولا يسلبون قتيلاً[١٢٤].

٤- يعتبر أحوال من في الأسر من البغاة، فمن أمنت رجعته إلى القتال أطلق سراحه، ومن لم تؤمن منه الرجعة حبس إلى انجلاء الحرب ثم يطلق، و لم يجب أن يحبس بعدها، وإن جاز أن يبقى الكافر في الأسر[١٢٥].

٥- ألا يستعان لقتالهم بمشرك معاهد ولا ذمي، وإن جاز أن يستعان بهم على قتال أهل الردة والحرب[١٢٦].

---

(١١٩) المغني (٨/ ١٠٨- ١٢٦).
(١٢٠) المغني (٨/ ١١٠) الأحكام السلطانية ص(٦٠).
(١٢١) مصنف ابن أبي شيبة (١٥/ ٣٣٦)، والفتح (١٣/ ٥٧) إسناده صحيح .
(١٢٢) مصنف عبد الرزاق (١٠/ ١٢٣- ١٢٤)، تحقيق مواقف الصحابة (٢/ ٢٩٦).
(١٢٣) نصب الراية (٣/ ٤٦٣)، تحقيق مواقف الصحابة (٢/ ٢٩٧).
(١٢٤) المستدرك (٢/ ١٥٥) سنده صحيح ووافقه الذهبي.
(١٢٥) الأحكام السلطانية ص(٦٠).
(١٢٦) المصدر نفسه ص(٦٠) تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة (٢/ ٢٩٨).

٦- ألا يداهنهم إلى مـدة ولا يوادعهم على مـال، فإن داهنهم إلى مـدة لم يلزمـه، فإن ضعف عن قـتالهم انتظر بهم القوة عليـهم، وإن أودعهم على مـال بطلت الموادعة ونظر في المال، فإن كان من فيئهم وصدقـاتهم لم يرده عليهم، وصرف الصدقات في أهلها والفيء في مستحقه، وإن كان من خالص أموالهم لم يجز أن يملكه، ووجب رده إليهم(١٢٧)، فإن عليًا رضي الله عنه لم يستحل مال أهل الجمل.

٧- إذا خرجـوا على الإمام بتأويل سـائغ راسلهم، فإن ذكروا مظلمـة أزالها عنهم، وإن ذكروا شبهة بينها -كما بين علي رضي الله عنه للخـوارج شبههم، وعاد كثير منهم إلى صف الجماعة(١٢٨)، فإن رجعوا وإلا وجب قتالهم عليه وعلى المسلمين(١٢٩).

٨- إن لم يخرجـوا على المظاهرة بطاعة الإمام ولم يتـحيزوا بدار اعـتزلوا فيهـا، وكانوا أفرادًا تنالهم القدرة ويسـهل ضبطهم تركوا ولم يحاربوا، وأجريت عليهم أحكام العـدل فيما يجب عليهم، ولهم من الحقوق والحدود(١٣٠).

٩- لا يقاتل البغـاة بما يعم إتلافه كالنار والمنجنيق وغير ذلك، ولا تحـرق عليهم المساكن ولا يقطع عليـهم النخل والأشجار، وإن جـاز ذلك مع الكفار والمشـركين، لأن دار الإسلام تمنع ما فـيهـا وإن بقي أهلها، إلا إذا دعت إلى ذلك الضـرورة في حالة مـا إذا تحصنوا ولم ينهزموا، لذلك جاز للإمام رميهم بالمنجيق أو النار على قول الشافعي وأبي حنيفة(١٣١).

١٠- لا يجوز غنيمة أموالهم وسبي ذراريهم لقول النبي (ﷺ): «لا يحل مال امرئ مسلم إلا بطيب نـفس منه»(١٣٢)، وروي عن علي رضي الله عنه يوم الجمل قوله: من عـرف شيئًا من ماله مع أحد فليأخذه(١٣٣)، وهذا من جملة ما نقم الخوارج عليه، فقالوا: إنه قاتل ولم يسب ولم يغنم، فإن حلت له دماؤهم فقد حلت له أمـوالهم، وإن حرمت عليه أموالهم فقد حرمت عليـه دماؤهم، فقـال لهم ابن عبـاس رضي الله عنهما في منـاظرته لهم: أفتسـبون أمكم؟ -يعني عائشـة- أم تستحلون منهـا ما تستـحلون من غيرها؟ فـإن قلتم: ليست أمكم كفرتم، وإن قلتم: إنها أمكم واستحللتم سبـيها فقد كفرتم(١٣٤)، ويعقب ابن قـدامة قائلاً: ولأن قتال البغاة إنما هو لدفعهم وردهم إلى الحق لا لكفرهم، فلا يستباح منهم إلا ما حصل

---

(١٢٧) الأحكام السلطانية ص(٦٠) للماوردي.
(١٢٨) السنن الكبرى للبيهقي (٨/ ١٨٠).
(١٢٩) مجموع الفتاوي (٤/ ٤٥٠).
(١٣٠) الأحكام السلطانية ص(٥٨) للماوردي.
(١٣١) المغني لابن قدامة (٨/ ١١٠).
(١٣٢) سنن الدارقطني (٣/ ٢٦) صححه الألباني في إرواء الغليل رقم (١٤٥٩).
(١٣٣) المغني (٨/ ١١٥).
(١٣٤) السنن الكبرى للبيهقي (٨/ ١٧٩)، خصائص أمير المؤمنين للنسائي ص(١٩٧) إسناده حسن.

لضرورة الدفع كـالصائل وقاطع الطريق، وبقي حكم المال والذرية على أصل العـصمة(١٣٥)، والظاهر من المأثور عن علي رضي الله عنه جواز الانتفاع بسلاحـهم، فقد روى ابن أبي شيبة عن أبي البـختـري قال: لما انـهزم أهل الجـمل قال علي: لا تـطلبوا من كـان خارجًا من العسكر، وما كان من دابة أو سلاح فهو لكم(١٣٦)، وفي رواية أخرى قال: ولا تأخذوا شيئًا من أموالهم إلا ما وجدتم في عسكرهم(١٣٧).

١١-من قتل من البغـاة غسل وكفن وصلى عليه لأنهم مسلمون، على مـذهب الشافعي وأصحاب الرأي(١٣٨).

١٢- إذا لم يكن البغاة من أهل البدع فهم ليسوا فاسقين، وقتال الإمام وأهل العدل لهم إنما من جهة خطئهم في التأويل، وهم كالمجتهدين من الفقهاء في الأحكام، ومن شهد منهم قبلت شـهادته إذا كان عدلاً، وهذا قول الشـافعي، وأما الخوارج وأهل البـدع إذا بغوا على الإمام فلا تقبل شهادتهم لأنهم فساق(١٣٩).

١٣-يجوز للعادل قتل ذي رحمه الباغي لأنه قتله بحق، فأشبه إقامة الحد عليه مع كراهية قصد ذلك(١٤٠).

١٤- إذا غلب أهل البغي بلدًا فـجبوا الخراج والزكـاة والجزية وأقاموا الحـدود لم يطالبوا بشيء مما جبوه إذا ظهر أهل العدل على ذلك البلد وظفروا بهم، فعندما ظهر علي رضي الله عنه على أهل البصرة بعد موقعة الجمل لم يطالبهم بشيء مما جبوه(١٤١).

١٥-حكم وراثة الباغي من العـادل: لا يرث باغ قتل عدلاً، ولا عادل قتل باغـيًا لقوله (ﷺ): «القـاتل لا يرث»(١٤٢)، وقال أبو حنيفة: أورث العادل من الباغي ولا أورث الباغي من العادل، وقال أبو يوسف: أورث كل منهما من صاحبه لأنه متأول في قتله(١٤٣)، وبهذا قال النووي(١٤٤).

١٦-إذا لم يكن دفع أهل البغي إلا بقتلهم جـاز قتلهم ولا شيء على من قتلهم من إثم ولا ضمان ولا كفارة؛ لأنه فعل ما أمر به وقتل من أجل الله ﴿فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ

(١٣٥) تحقيق مواقف الصحابة (٢/ ٣٠٠).
(١٣٦) مصنف ابن أبي شيبة (١٥/ ٢٦٣).
(١٣٧) تاريخ الطبري، نقلاً عن تحقيق مواقف الصحابة (٢/ ٣٠٠).
(١٣٨) تحقيق مواقف الصحابة (٢/ ٣٠١).
(١٣٩) المغني (٨/ ١١٨)، تحقيق مواقف الصحابة (٢/ ٣٠١).
(١٤٠) المغني (٨/ ١١٨)، تحقيق مواقف الصحابة (٢/ ٣٠١).
(١٤١) المغني (٨/ ١١٩)، تحقيق مواقف الصحابة (٢/ ٣٠٢).
(١٤٢) سنن ابن ماجه، كتاب الديات (٢/ ٨٨٣) صحيح سنن ابن ماجة رقم (٢١٤٠).
(١٤٣) الأحكام السلطانية ص(٦١).
(١٤٤) شرح النووي على صحيح مسلم (٧/ ١٧٠).

إِلَى أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الحجرات: ٩]. فإن المسلم إذا أريدت نفسه جاز له الدفع عنها بقتل من أرادها إذا كان لا يندفع بغير القتل، وكذلك ما أتلفه أهل العدل على أهل البغي حال الحرب من المال، فلا ضمان فيه(١٤٥)، وليس على أهل البغي بالمقابل ضمان ما أتلفوه حال الحرب من نفس ولا مال في أصح الأقوال كما ذكر النووي(١٤٦)، ويدل على ذلك ما روى الزهري عن إجماع الصحابة ألا يضمن الباغي إذا قتل العادل، قال: هاجت الفتنة الأولى وأصحاب رسول الله (ﷺ) متوافرون، وفيهم البدريون، فأجمعوا أنه لا يقاد أحد ولا يؤخذ مال أحد على تأويل القرآن(١٤٧)، وفي رواية عبد الرزاق: فإن الفتنة الأولى ثارت وأصحاب رسول الله (ﷺ) ممن شهد بدرًا كثير، فاجتمع رأيهم على ألا يقيموا على أحد حدًا في فرج استحلوه بتأويل القرآن، ولا قصاص في دم استحلوه بتأويل القرآن، ولا يرد مال استحلوه بتأويل القرآن إلا أن يوجد شيء بعينه فيرد على صاحبه(١٤٨).

سابعًا: من أهم صفات الخوارج:

إن الباحث في تاريخ فرقة الخوارج يلاحظ عدة صفات اتصف بها أتباع هذه الفرقة منها.

١- الغلو في الدين:

مما لا شك فيه أن الخوارج أهل طاعة وعبادة، فقد كانوا حريصين كل الحرص على التمسك بالدين وتطبيق أحكامه، والابتعاد عن جميع ما نهى عنه الإسلام، وكذلك التحرز التام عن الوقوع في أي معصية أو خطيئة تخالف الإسلام، حتى أصبح ذلك سمة بارزة في هذه الطائفة لا يدانيهم في ذلك أحد، ولا أدل على ذلك من قول رسول الله (ﷺ): «يقرؤون القرآن ليس قراءتكم إلى قراءتهم بشيء، ولا صيامكم إلا صيامهم بشيء»(١٤٩)، وقال ابن عباس رضي الله عنهما يصفهم حينما دخل عليهم لمناظرتهم: دخلت على قوم لم أر قط أشد منهم اجتهادًا، جباههم قرحة من السجود وأياديهم كأنها ثفن(١٥٠) الإبل، وعليهم قمص مرحضة(١٥١) مشمرين مسهمة وجوههم من السهر(١٥٢)، وعن جندب الأزدي قال: لما عدلنا إلى الخوارج ونحن مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فانتهينا إلى معسكرهم، فإذا لهم دوي كدوي النحل من قراءة القرآن(١٥٣)، فقد كانوا أهل صيام وصلاة وتلاوة للقرآن،

---

(١٤٥) المغني (٨/ ١١٢).

(١٤٦) شرح النووي على صحيح مسلم (٧/ ١٧٠).

(١٤٧) السنن الكبرى للبيهقي (٨/ ١٧٤) بسند صحيح، تحقيق مواقف الصحابة (٢/ ٣٠٣).

(١٤٨) مصنف عبد الرزاق (١٠/ ١٢١).

(١٤٩) مسلم، ك الزكاة، شرح النووي (٧/ ١٧١)

(١٥٠) الثفن: جمع ثفنة: ركبة البعير وغيرها مما يجعل فيه غلظ من أثر البروك.

(١٥١) مرحضة: مغسولة، النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ٢٠٨).

(١٥٢) تلبيس إبليس ص(٩١).

(١٥٣) المصدر نفسه ص(٩٣).

لكنهم تجاوزوا حد الاعتدال، إلى درجة الغلو والتشدد، حيث قادهم هذا التشدد إلى مخالفة قواعد الإسلام بما تمليه عليهم عقولهم، كالقول بتكفير صاحب الكبيرة، وسيأتي مناقشة عقائدهم وأفكارهم بإذن الله (تعالى)، ومنهم من بالغ في ذلك حتى على كل من ارتكب ذنبًا من الذنوب ولو كان صغيرًا فإنه كافر مشرك مخلد في النار(١٥٤)، وكان من نتيجة هذا التشدد الذي خرج بهم في حدود الدين وأهدافه السامية، أن كفروا كل من لم ير رأيهم من المسلمين ورموهم بالكفر أو النفاق، حتى أنهم استباحوا دماء مخالفيهم(١٥٥)، ومنهم من استباح قتل النساء والأطفال من مخالفيه كالأزارقة مثلاً(١٥٦)، ولا شك أن الخوارج بما اتصفوا به من الجهل والتشدد والجفاء قد شوهوا محاسن الدين الإسلامي تشويهًا غريبًا، فإن هذا الإغراق في التأويل والاجتهاد أخرجهم عن روح الإسلام وجماله واعتداله، وهم في تعمقهم قد سلكوا طريقًا ما قال به محمد (ﷺ) ولا دعا إليه القرآن الكريم، وأما التقوى التي كانوا يظهرون بها فهي من قبيل التقوى العمياء والصلاح الذي كانوا يتزينون به في الظاهر كان ظاهر التأويل بادي الزخرفة، وقد طمعوا في الجنة وأرادوا السعي لها عن طريق التعمق والتشدد والغلو في الدين غلوًا أخرجهم عن الحد الصحيح(١٥٧)، ولذلك حذر النبي (ﷺ) من التعمق والتشدد في الدين لأنه مخالفة للاعتدال وسماحة الإسلام، وأخبر أن المتنطع مستحق للهلاك والخسران، فقد صح عنه (ﷺ) أنه قال: «هلك المتنطعون» قالها ثلاثًا(١٥٨)، فبهذا يتبين لنا شذوذ الخوارج، وكذلك من سار على منهجهم المبني على التعسف والتشدد المخالف لسماحة الإسلام ويسره، فإن الإسلام دين اليسر والسماحة، فقد قال (ﷺ): «إن الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا»(١٥٩).

٢- الجهل بالدين:

إن من كبرى آفات الخوارج صفة الجهل بالكتاب والسنة، وسوء فهمهم وقلة تدبرهم وتعقلهم، وعدم إنزال النصوص منازلها الصحيحة، وكان ابن عمر يراهم شرار خلق الله، وقال: إنهم انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار فجعلوها على المؤمنين(١٦٠)، وكان ابن عمر إذا سئل عن الحرورية؟ قال: يكفرون المسلمين، ويستحلون دماءهم وأموالهم، وينكحون النساء في عددهم، وتأتيهم المرأة فينكحها الرجل منهم ولها زوج، فلا أعلم أحدًا أحق بالقتال منهم(١٦١)، ومن جهلهم بشرع الله رأوا أن التحكيم معصية تستوجب الكفر، فيلزم من

---

(١٥٤) الفصل لابن حزم (٤/ ١٩١) الخوارج، ناصر السعوي ص(١٨٣).
(١٥٥) الخوارج للسعوي ص(١٨٣).
(١٥٦) تلبيس إبليس ص(٩٥) الخوارج للسعوي ص(١٨٤).
(١٥٧) الخوارج للسعودي ص(١٨٤).
(١٥٨) مسلم، كتاب العلم، شرح النووي (١٦/ ٢٢٠).
(١٥٩) البخاري، كتاب الإيمان، فتح الباري (١/ ٩٣).
(١٦٠) ظاهرة الغلو في الدين، محمد عبد الحكيم ص(١١٤).
(١٦١) الاعتصام (٢/ ١٨٣، ١٨٤).

وقع فيه أن يعترف على نفسه بالكفر ثم يستقبل التوبة، وهذا ما طالبوا به عليًا رضي الله عنه إذ طلبوا منه أن يقر على نفسه بالكفر ثم يستقبل التوبة(١٦٢)، فتخطئة الخوارج له ولمن معه من المهاجرين والأنصار واعتقادهم أنهم أعلم منهم وأولى منهم بالرأي، وهو والله عين الجهل والضلال(١٦٣)، ومن جهالتهم الشنيعة أنهم وجدوا عبد الله بن خباب رضي الله عنه ومعه أم ولد حبلى، فناقشوه في أمور، ثم سألوه رأيه في عثمان وعلي رضي الله عنهما، فأثنى عليهما خيرًا، فنقموا عليه، وتوعدوه بأن يقتلوه شر قتلة فقتلوه وبقروا بطن المرأة(١٦٤)، ومر بهم خنزير لأهل الذمة فقتله أحدهم، فتحرجوا من ذلك وبحثوا عن صاحب الخنزير وأرضوه في خنزيره، فيا للعجب، أتكون الخنازير أشد حرمة من المسلمين عند أحد يدعي الإسلام(١٦٥)، لكنها عبادة الجهال، التي أملاها عليهم الهوى والشيطان(١٦٦)، وقال ابن حجر: إن الخوارج لما حكموا بكفر من خالفهم استباحوا دماءهم وتركوا أهل الذمة فقالوا: نفي لهم بعهدهم وتركوا قتال المشركين، واشتغلوا بقتال المسلمين، وهذا كله من آثار عبادة الجهال الذين لم تنشرح صدورهم بنور العلم ولم يتمسكوا بحبل وثيق منه، وكفى أن رأسهم رد على رسول الله (ﷺ) أمره ونسبه إلى الجور، نسأل الله السلامة(١٦٧)، وقال عنهم ابن تيمية رحمه الله: فهم جهال فارقوا السنة والجماعة عن جهل(١٦٨). وبهذا تبين أن الجهل كان من الصفات البارزة في تلك الطائفة التي هي إحدى الطوائف المنتسبة إلى الإسلام، فالجهل مرض عضال يهلك صاحبه من حيث لا يشعر، بل قد يريد الخير فيقع في ضده(١٦٩).

٣- شق عصا الطاعة:

قال ابن تيمية: فهؤلاء ضلالهم اعتقادهم في أئمة الهدى وجماعة المسلمين أنهم خارجون عن العدل، وأنهم ضالون، وهذا مأخذ الخارجين عن السنة من الرافضة ونحوهم، ثم يعدون ما يرون أنه ظلم عندهم كفرًا ثم يرتبون على الكفر أحكامًا ابتدعوها(١٧٠)، هذا وقد شقوا عصا الطاعة وسعوا في تفريق كلمة المسلمين ويوضح ذلك موقفهم مع أمير المؤمنين علي، حيث تخلوا عنه وخالفوه في أحرج المواقف وعصوا أمره(١٧١)، وظلت تلك الصفة من صفاتهم

(١٦٢) مصنف ابن أبي شيبة (١٥/ ٣١٢- ٣١٣)، الألباني في إرواء الغليل (٨/ ١١٨ -١١٩)، تلبيس إبليس ص(٩٣).
(١٦٣) الخوارج للسعوي ص(١٨٦).
(١٦٤) تلبيس إبليس ص(٩٣).
(١٦٥) فتح الباري (١٢/ ٢٨٥).
(١٦٦) الخوارج للسعوي ص(١٨٧).
(١٦٧) فتح الباري (١٢/ ٣٠١).
(١٦٨) منهاج السنة (٣/ ٤٦٤).
(١٦٩) نوادر الأصول، محمد حكيم الترمذي ص(٥٤)، الخوارج للسعوي ص(٨٨١).
(١٧٠) الفتاوي (٢٨/ ٤٩٧).
(١٧١) الخوارج للسعوي ص(١٩١).

على مدار التاريخ كل من خالفهم في أمر عادوه ونبذوه حتى أنهم تفرقوا هم أنفسهم إلى عدة فرق يكفر بعضها بعضًا، ولذلك كثر فيهم الغارات والشقاق والثورات(١٧٢).

٤- التكفير بالذنوب واستحلال دماء المسلمين وأموالهم:

قال ابن تيمية: والفرق الثاني في الخوارج وأهل البدع، أنهم يكفرون بالذنوب والسيئات،ويترتب على تكفيرهم بالذنوب استحلال دماء المسلمين وأموالهم، وأن دار الإسلام دار حرب، ودارهم هي دار الإيمان وكذلك يقول جمهور الرافضة .. فهذا أصل البدع التي ثبتت بنص سنة الرسول (ﷺ)، وإجماع السلف أنها بدعة، وهو جعل العفو سيئة، وجعل السيئة كفرًا(١٧٣)، وقد تميز الخوارج بآراء خاصة فارقوا بها جماعة المسلمين، ورأوها من الدين الذي لا يقبل الله غيره، ومن خالفهم فيها فقد خرج من الدين في زعمهم فأوجبوا البراءة منه، بل إن منهم من غلا في ذلك، فأوجبوا قتال من خالفهم واستحلوا دماءهم(١٧٤).

فمن ذلك أنهم قتلوا عبد الله بن خباب بغير سبب غير أنه لم يوافقهم على رأيهم(١٧٥)، وقال ابن كثير: فجعلوا يقتلون النساء والولدان، ويبقرون بطون الحبالى، ويفعلون أفعالاً لم يفعلها غيرهم(١٧٦)، وقال ابن تيمية: وكانت البدعة الأولى مثل بدعة الخوارج، إنما هي من سوء فهمهم للقرآن، لم يقصدوا معارضته لكن فهموا منه ما لم يدل عليه، فظنوا أنه يوجب تكفير أرباب الذنوب، إذ كان المؤمن هو البر التقي، قالوا: فمن لم يكن برًا تقيًا فهو كافر وهو مخلد في النار، ثم قالوا: وعثمان وعلي ومن والاهما ليسوا بمؤمنين؛ لأنهم حكموا بغير ما أنزل الله، فكانت بدعتهم لها مقدمتان:

الأولى: أن من خالف القرآن بعمل أو برأي أخطأ فيه فهو كافر.

والثانية: أن عثمان وعليًا ومن والاهما كانوا كذلك، ولهذا يجب الاحتراز من تكفير المؤمنين بالذنوب والخطايا، فإنها أول بدعة ظهرت في الإسلام يكفر أهلها المسلمين،واستحلوا دماءهم وأموالهم، وقد ثبت عن النبي (ﷺ) أحاديث صحيحة في ذمهم والأمر بقتالهم(١٧٧).

٥- تجويزهم على النبي (ﷺ) ما لا يجوز في حقه «كالجور»:

قال ابن تيمية: والخوارج جوزوا على الرسول (ﷺ) نفسه أن يجور ويضل في سنته، ولم يوجبوا طاعته ومتابعته، وإنما صدقوه فيما بلغه من القرآن دون ما شرعه من السنة التي تخالف -بزعمهم- ظاهر القرآن، وغالب أهل البدع والخوارج يتابعونهم في الحقيقة على

---

(١٧٢) المصدر نفسه ص(١٩٢).
(١٧٣) الفتاوى (١٩/ ٧٣).
(١٧٤) منهاج السنة (٣/ ٦٢).
(١٧٥) الفرق بين الفرق للبغدادي ص(٥٧)، الخوارج للسعودي ص(١٩١).
(١٧٦) البداية والنهاية (٣/ ٢٩٤).
(١٧٧) الفتاوى (١٣/ ٣٠، ٣١).

هذا، فإنهم يرون أن الرسول لو قال بـخلاف مقالتهم لما تبعوه... وإنما يدفـعون عن نفوسـهم الحجة، إما برد النقل، وإما بـتأويل المنقول، فيطعنون تارة في الإسناد، وتارة في المتن، وإلا فهم ليســوا متبعين ولا مـؤتمين بحقيقة السنة التي جـاء بها الرسول (ﷺ)، بل ولا حقـيقة القرآن[١٧٨].

٦- الطعن والتضليل:

من أبرز صفات الخـوارج الطعن في أئمة الهدى وتضليلهم والحكم عليـهم بالخروج عن العدل والصواب، وقد تجلت هذه الصفـة في موقف ذي الخويصرة مع رسول الهدى (ﷺ)، حيث قال ذو الخويـصرة: يا رسول الله اعدل[١٧٩]، فقد عد ذو الخـويصرة نفسه أورع من رسول الله (ﷺ)، وحكم على رسـول الله (ﷺ) بالجور والخروج على العدل في القـسمة، وإن هذه الصفة قد لازمتهم عبر التـاريخ، وقد كان لها أسوأ الأثر لما ترتب عليها من أحكام وأعمال[١٨٠].

٧- سوء الظن:

هذه صفـة أخرى للخـوارج تجلت في حكم ذي الخويصرة الجـهول على رسـول الهدى (ﷺ) بعدم الإخلاص، حيث قال: والله إن هذه الـقسمة ما عدل فيها، ومـا أريد فيها وجه الله[١٨١]، فذو الخـويصرة الجهـول لما رأى رسول الله (ﷺ) قد أعطى السـادة الأغنياء، ولم يعط الفقراء، لم يحمل هذا التصرف على المحـمل الحسن، وهذا شيء عجيب خصوصًا وأن دواعيه كـثيرة، فلو لم يكن إلا أن صاحب هذا التصـرف هو رسول الهدى (ﷺ)، لكفى به داعيًا إلى حسن الظن، ولكن ذا الخويصرة أبى ذلك، وأساء الظن لمرضه النفسي، وحاول أن يستر هذه العلة بستار العدل، وبذلك ضحك منه إبليس، واحتال عليه، فأوقعه في مصايده، فينبغي للمرء أن يراقب نفسه، وأن يـدقق في دوافع سلوكه ومقاصده، وأن يحذر هواه، وأن يكون منتبهًا لحـيل إبليس لأنه كثيرًا ما يزين العمل السيـئ بغلاف حسن براق، ويبرر السلوك القبيـح باسم مبادئ الحق، ومما يعين المرء على وقاية نفـسه، والنجاة لها من حـيل الشيطان ومصايده العلم، فذو الخويصرة لو كان عنده أثارة من علم، أو ذرة من فهم لما سقط في هذا المنزلق[١٨٢].

٨- الشدة على المسلمين:

عرف الخوارج بالغلظة والجفوة: وقد كـانوا شديدي القسوة والعنف على المسلمين، وقد

---

(١٧٨) الفتاوي (١٩/ ٧٣).
(١٧٩) البخاري ، كتاب استتابة المرتدين، فتح الباري (١٢/ ٢٩٠).
(١٨٠) ظاهرة الغلو في الدين ص(١٠٦).
(١٨١) البخاري ، كتاب استتابة المرتدين، فتح الباري (١٢/ ٢٩٠).
(١٨٢) ظاهرة الغلو في الدين ص(١٠٦، ١٠٧).

بلغت شدتهم حدًا فظيعًا، فاستحلوا دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم فروعوهم وقتلوهم، أما أعداء الإسلام من أهل الأوثان وغيرهم فقد تركوهم ووادعوهم فلم يؤذوهم، ولقد سجل التاريخ صحائف سوداء للخوارج في هذا السبيل[(١٨٣)]، وما قصة عبد الله بن خباب ومقتله عنا ببعيد، فمعاملة الخوارج للمسلمين مصحوبة بالقسوة والشدة والعنف، وأما للكافرين، فلين وموادعة ولطف[(١٨٤)]، فقد وصف الشارع الشريعة بأنها سهلة سمحة، وإنما ندب إلى الشدة على الكفار، وإلى الرأفة بالمؤمنين، فعكس ذلك الخوارج[(١٨٥)]، قال (تعالى): ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩]، وقال (تعالى): ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ [المائدة: ٥٤] فالخوارج عكسوا الآيات، فأرهبوا المسلمين وروعوهم[(١٨٦)]، هذه بعض الصفات التي اشتهر بها الخوارج.

ثامنًا: بعض الآراء الاعتقادية للخوارج:

ومع مرور الزمن استقرت آراء عقائدية خاصة بفرقة الخوارج وخالفوا فيها كتاب الله وسنة رسول الله (ﷺ)، ومن هذه الآثار المنحرفة:

١- تكفير صاحب الكبيرة:

إن الخوارج يكفرون مرتكب الكبيرة ويحكمون بخلوده في النار، وقد استدلوا على معتقدهم ذلك بأدلة:

أ- استدلوا بقوله (تعالى): ﴿بَلَى مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٨١] فقد استدلوا بهذه الآية على تخليد أصحاب المعاصي في النار، وقالوا: إنه لا أمل للعاصي الذي يموت على معصيته في رحمة الله[(١٨٧)]، فزعموا أن الخطيئة تحيط بالإنسان فلا يبقى له معها حسنة مقبولة، حتى الإيمان فإنها تذهبه، ولكن الأمر عكس ما ذهبوا إليه، وهذه الآية نفسها ترد مذهبهم فقد دلت على أن من أحاطت به خطيئته فإنه يخلد في النار، وليس هناك خطيئة تحيط بالإنسان وتحبط أعماله ويخلد بسببها في النار إلا الكفر والشرك بالله، ويؤيد هذا أن تلك الآية نزلت في اليهود، وهم قد أشركوا بالله وحادوا عن سبيله، ومما يبطل زعمهم أيضًا أن الله قد أوضح (سبحانه) أن مجرد كسب السيئة لا يوجب الخلود في النار، بل لا بد أن تكون سيئة محيطة به، قيل:

---

(١٨٣) المصدر نفسه ص(١١٠).

(١٨٤) المصدر نفسه ص(١١١).

(١٨٥) فتح الباري (١٢/ ٣٠١).

(١٨٦) ظاهرة الغلو في الدين ص(١١١).

(١٨٧) الإباضية في موكب التاريخ، علي معمر (١/ ١٣٣).

هي الشرك، روي هذا عن ابن عباس، وروي عنه أن معنى هذه الآية: من كفر حتى يحيط به كفره، فلا تقبل له حسنة، وهذا أولى لما ثبت في السنة تواترًا من خروج عصاة الموحدين من النار[١٨٨]، ثم إن قوله (تعالى): **﴿مَن كَسَبَ سَيِّئَةً﴾**وسيئة نكرة فهي عامة لجميع أنواع السيئات، قال الشيخ عبد الرحمن السعدي رضي الله عنه: والمراد بها هنا الشرك بدليل قوله (تعالى): **﴿وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ﴾** أي أحاطت بعاملها، فلم تدع له منفذًا، وهذا لا يكون إلا الشرك فإن من معه الإيمان لا تحيط به خطيئته، **﴿فَأُولَـٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾**، وقد احتج بها الخوارج على كفر صاحب المعصية، وهي حجة عليهم كما ترى، فإنها ظاهرة في الشرك، وهكذا كل مبطل يحتج بآية أو حديث صحيح على قوله الباطل، فلا بد أن يكون فيما احتج به حجة عليه[١٨٩]، وغير ذلك من الأدلة التي رد عليها أهل السنة والجماعة كل في محله، ويمكن أن نجمل الرد على الخوارج في تكفيرهم لصاحب الكبيرة وذلك من عدة وجوه:

أ- أن مرتكب الكبيرة لو كان كافرًا لكان حكمه حكم غيره ممن كفر بعد إيمانه، وهو أن يكون مرتدًا يجب قتله، لقوله (ﷺ): **«من بدل دينه فاقتلوه»**[١٩٠]، ولقوله (ﷺ): **«لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس، والثيب الزاني، والمفارق لدينه التارك للجماعة»**[١٩١]، فهذان الحديثان وغيرهما من أدلة حكم المرتد تفيد أن كل من كفر بعد إيمانه فحكمه القتل، لكن نصوص الكتاب والسنة والإجماع تدل على أن الزاني والسارق والقاذف لا يقتل، بل يقام عليه الحد، كما قال (تعالى): **﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾** [النور: ٢]، وقال الله (تعالى) في حكم السارق: **﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾** [المائدة: ٣٨] وورد في شارب الخمر ما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رجلاً كان على عهد النبي (ﷺ) كان اسمه عبد الله وكان يلقب حمارًا، وكان يضحك رسول الله (ﷺ) وكان النبي (ﷺ) قد جلده في الشراب، فأتي به يومًا، فأمر به فجلد، فقال رجل من القوم: اللهم العنه، من أكثر ما يؤتى به، فقال النبي (ﷺ): **«لا تلعنوه، فوالله ما علمت إلا أنه يحب الله ورسوله»**[١٩٢]، فقد أمر النبي (ﷺ) بجلد شارب الخمر ولم يقتله، بل نهى عن لعنه بعينه وشهد لهذا الرجل بحب الله ورسوله، مع أنه قد تكرر منه شرب الخمر عدة مرات، ولم يحكم على هذا ولا على السارق والزاني بالكفر

---

(١٨٨) فتح القدير للشوكاني (١/ ١٠٥).

(١٨٩) تفسير السعدي (١/ ١٠٣).

(١٩٠) البخاري، كتاب الجهاد، فتح الباري (٦/ ١٤٩).

(١٩١) البخاري، كتاب الديات، فتح الباري (١٢/ ٢٠١).

(١٩٢) البخاري، كتاب الحدود، فتح الباري (١٢/ ٧٥).

ولا قطع الموالاة بينهم وبين المسلمين، كان يستغفر لهم ويقول: «**لا تكونوا أعوان الشيطان على أخيكم**»[١٩٣]، وقد أجمعت الأمة من الصحابة والتابعين على ذلك، إلا من شذ عنهم فلا عبرة بقوله، ثم أيضًا أنه لو كان صاحب الكبيرة كافرًا لوجب التفريق بينه وبين زوجته المؤمنة والمرأة كذلك، وكذلك أيضًا فإنه لا يرث مسلمًا ولا يرثه مسلم، ولكن النبي (ﷺ) لم يفرق بين من فعل معصية وبين زوجته، ولم يحرمه من ميراث من له الإرث منه وكذلك صحابته والتابعون لهم بإحسان، فثبت يقينًا أنه غير كافر[١٩٤].

ب- أن الله (سبحانه وتعالى) سمى أهل الكبائر مؤمنين مع ارتكابهم لها في قوله (تعالى): ﴿**وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ**﴾ وقوله (تعالى): ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾ [الحجرات: ١٠].

قال ابن كثير (رحمه الله): فسماهم مؤمنين مع الاقتتال، وبهذا استدل البخاري وغيره على أنه لا يخرج عن الإيمان بالمعصية وإن عظمت لا كما يقوله الخوارج ومن تابعهم من المعتزلة ونحوهم[١٩٥]، ومثل هذه الآية أيضًا قوله (تعالى): ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنثَى بِالأُنثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاء إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ [البقرة: ١٧٨] قال ابن حزم (رحمه الله): فابتدأ الله (عز وجل) بخطاب أهل الإيمان من كان فيهم من قاتل أو مقتول ونص (تعالى) على أن القاتل عمدًا وولي المقتول إخوان، وقد قال (تعالى): ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ**﴾ فصح أن القاتل عمدًا مؤمن بنص القرآن وحكمه له بأخوة الإيمان، ولا يكون للكافر مع المؤمنين بتلك الأخوة[١٩٦]، فهذه بعض أدلة أهل السنة في ردهم على قول الخوارج في مرتكب الكبيرة، وقد استقر هذا المعتقد عند علماء أهل السنة وسطروه في كتبهم وإليك بعض أقوالهم:

٢- رأيهم في الإمامة:

قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: لا بد للناس من إمارة برة كانت أو فاجرة، قيل له: هذه البرة قد عرفناها، فما بال الفاجرة؟ قال: يؤمن بها السبيل ويقام بها الحدود، ويجاهد بها العدو ويقسم بها الفيء[١٩٧]، ولهذا كان حكم الإمامة واجبًا على الأمة الإسلامية، إذ لو بقوا بلا إمام لأثموا جميعًا لقوله (تعالى): ﴿**أَطِيعُواْ اللَّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ**﴾ [النساء: ٥٩] قال ابن كثير في الآية: الظاهر والله أعلم أن الآية عامة في جميع أولي الأمر من الأمراء والعلماء[١٩٨]، وهذا هو الراجح ووجه الاستدلال من هذه

(١٩٣) مجموع الفتاوى (٧/ ٦٧١).
(١٩٤) الخوارج للسعودي ص (١١٦، ١١٧).
(١٩٥) تفسير ابن كثير (٤/ ٢١١).
(١٩٦) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٣/ ٢٣٥).
(١٩٧) منهاج السنة (١/ ١٤٦).
(١٩٨) تفسير ابن كثير (٢/ ٣٠٣).

الآية، أنه (سبحانه) أوجب على المسلمين طاعة أولي الأمر منهم وهم الأئمة، والأمر بالطاعة دليل على وجوب نصب ولي الأمـر، لأن الله (تعالى) لا يأمر بطاعـة من لا وجود له، ولا يفرض طاعة من وجوده مندوب، فالأمر بطاعته يقتضي الأمر بإيجاده فدل على أن إيجاد إمام للمسلمـين واجب عليهم(١٩٩)، وقد قال رسول الله (ﷺ): «**من مات وليس في عنقـه بيعة مات ميتة جاهلية**»(٢٠٠)، أي بيعة الإمام، وهذا واضح الدلالة على وجوب نصب الإمام لأنه إذا كانت البـيعة واجبة فـي عنق المسلم، والبيعة لا تكون إلا لإمـام، فنصب الإمام واجب، وقد أجمع الصحابة رضوان الله عليهم، وكذلك من بعدهم على وجوب الإمامة، ومما يحتم بوجوب الإمـامة، ما وردت به الشريعـة من الأحكام الواجبة التي لا يتـولاها إلا الإمام ولا تصح بـدونه(٢٠١)، وذلك مثل الجهاد والحج وإقامـة الحدود ونحو ذلك، مما لا يتم إلا بالقوة والإمارة(٢٠٢).

وقد بينت الشريعة أن من حقوق الإمام السمع والطاعة في غير معصية الله (تعالى)، فقد قـال رسـول الله (ﷺ): «**من أطاعني فـقد أطاع الله ومن عصـاني فقد عـصى الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعص الأمير فقد عصاني**»(٢٠٣)، وقد أوجب الشارع طاعة الإمام ما لم يأمر بمعصيـة، فإن أمر بمعصية الله فلا يجـوز طاعته فيها، ولا إعـانته عليها، ويجب أن يعان على طاعة الله وأن يستعان به عليها ما أمكن ذلك(٢٠٤)، فيكون موقف المسلم النصيحة لولاة أمـور المسلمين،لقول الـنبي (ﷺ) في الحديث الصـحـيح عن أبي رقيـة تميم بن أوس الداري رضي الله عنه أن النبي (ﷺ) قال: «**الدين النصيحة**» **ثلاثًا**، قلنا: لمن يا رسول الله؟ قـال: «**لله (عز وجل) ولكتابه ولرسوله ولأئمـة المسلمين وعامتهم**»(٢٠٥)، قال ابن حـجر: والنصيحة لأئمة المسلمين إعانتهم على ما حملوا القيام به، وتنبيههم عند الغفلة، وسد خلتهم عند الهفوة، وجـمع الكلمة عليهم ورد القلوب النافرة إليـهم، ومن أعظم نصيحتـهم دفعهم عن الظلم بالتي هي أحسن، ومن جـملة أئمة المسلمين أئمة الاجـتهاد، وتقع النصيـحة لهم ببث علومهم ونشر مناقبهم وحسن الظن بهم(٢٠٦)، وقد خالف الخوارج ذلك المبدأ الرشيد، فرأوا الخـروج على أئمة المسلمين عند أتفه الأسـباب، وقد فعلوا ذلك مع أمـير المؤمنين علي رضي الله عنه وأرضاه، فسفكوا الدماء، وقطعوا السبل، وضيعوا الحقوق وسعوا في إضعاف المسلمين حتى تكالبت عليهم الأعداء، فهـذا من أضرار الخروج على أمير المؤمنين علي رضي

(١٩٩) الإمامة العظمى للدميجي ص(٤٧).
(٢٠٠) مسلم، كتاب الإمامة (١٤٧٨/٣).
(٢٠١) أصول الدين للبغدادي ص(٢٧٢).
(٢٠٢) السياسة الشرعية لابن تيمية ص(١٢).
(٢٠٣) البخاري، كتاب الجهاد، فتح الباري (١١٦/٦).
(٢٠٤) منهاج السنة (١٤٧/١).
(٢٠٥) مسلم، كتاب الإيمان ،شرح النووي (٣٧/٢).
(٢٠٦) فتح الباري (١٣٨/١).

الله عنه ، وقد خالفت الخوارج ما كان عليه جمهور المسلمين من اشتراط النسب القرشي في الإمام، وقالوا: إنه لا خصوصية لقريش فيها ولا مزية لهم عن سواهم، بل كل من صار أهلاً لها جاز توليته من دون أي نظر إلى نسبه(٢٠٧)، وقد احتجوا لمذهبهم بما يلي:

أ- قالوا: لأن اشتراط القرشية يخالف المعقول، إذ لا يمنع العقل أن يوجد في غيرهم من هو أفضل منهم.

ب- لم يجعل الله النبوة في قوم خاصين، فكيف يجعل الإمامة كذلك؟.

جـ- أن القرآن لا يدل على ذلك لقول الله (تعالى): **﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾** [الحجرات: ١٣].

د- استدلوا بقوله (ﷺ): «**لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى**»(٢٠٨).

هـ- واستدلوا بقوله (ﷺ): «**وإن أُمِّرَ عليكم عبد حبشي مجدوع الأنف، فاسمعوا وأطيعوا ما أقام فيكم كتاب الله**»(٢٠٩).

و- لم يثبت الأنصار القرشية في الإمامة، ولو أثبتوها لما طالبوا في الإمامة ولرد عليهم المهاجرون بها(٢١٠).

ز- أن رسول الله (ﷺ) قد ولى على الأمم من غير قريش والولايات والإمارات عن الإمارة العظمى، فما جاز فيها جاز في فروعها، وما امتنع فيها امتنع في فروعها(٢١١).

وجوه الرد على الخوارج:

أ- أما احتجاجهم بالعقل، فهو مردود لأنه لا حجة فيه مع ثبوت النص والإجماع.

ب- وأما احتجاجهم بأن الله لم يجعل النبوة خاصة بقوم فلا حجة في ذلك؛ لأن الله يصطفي للنبوة والرسالة أصلح الناس لها، والخلق لا يستطيعون القطع على أن فلانًا أصلح من غيره، ولا يقارن اختيار المخلوق مع اختيار الخالق، وأما الميزة لقريش فهي على جهة العموم لما كانت تحتله من المكانة الدينية والاجتماعية في قلوب الناس.

جـ- وأما استدلالهم بقوله (تعالى): **﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾** وقوله (ﷺ): «**لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى**» ، فالجواب على هذا من وجهين:

١- أن يراد بالآية والحديث المفاضلة بين الناس عامة، فلا شك أن من فضل على صاحبه

---

(٢٠٧) الفصل (٤/ ٨٩)، مقالات الإسلاميين (١/ ٢٠٤).

(٢٠٨) مسند أحمد (٥/ ٤٤١).

(٢٠٩) مسلم، شرح النووي (١٢/ ٢٢٧).

(٢١٠) الخوارج للسعودي ص(١٥٥).

(٢١١) المصدر نفسه ص(١٥٥).

بزيادة في التقوى فهو أكرم منه وأفضل عند الله، وهذا بغض النظر عن الإمامة، وهذا هو المراد بالآية والحديث لأن دلالة كل منهما عامة.

٢- وأما من جهة الإمامة فلا شك أيضًا أن من زاد على غيره بالعدل والتقوى والصلاح مع توفر باقي شروط الإمامة فيه، فهو أولى، لكن لا ننسى أن النسب القرشي شرط، ولا تعارض بين تلك الشروط.

د- وأما احتجاجهم بما ورد في وجوب السمع والطاعة وإن كان الأمير عبدًا حبشيًا، فهذا الأمر لا إشكال فيه، وقد ورد فيه عدة روايات منها قوله (ﷺ): **«اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة»**(٢١٢)، وهذا لا يمنع اشتراط الإمامة في قريش، وهو عند أهل السنة مخرج على ثلاثة أمور:

١- أن يكون العبد مستعملاً من جهة الإمام القرشي وليس هو الإمام الأعظم.

٢- قد قيل: إن العبد الحبشي إنما ذكره على وجه ضرب المثل وإن لم يصح وقوعه، كما قال (ﷺ) فيمن بنى مسجدًا: **«ولو كمفحص قطاة»**(٢١٣)، ومفحص القطاة لا يمكن أن يكون مسجدًا(٢١٤).

٣- أنه أطلق على طريق المبالغة في وجوب السمع والطاعة أو باعتبار ما كان قبل العتق(٢١٥).

هـ- وأما دعواهم أن الأنصار لم يثبتوا أحقية قريش في الخلافة، فهذا غير صحيح، بل الصحيح أنهم أذعنوا لذلك وحصل الإجماع على أحقية قريش في الخلافة، قال الإمام الأشعري (رحمه الله): اجتمعت الأنصار في سقيفة بني ساعدة بمدينة رسول الله (ﷺ) وأرادوا عقد الإمامة لسعد بن عبادة، وبلغ ذلك أبا بكر وعمر (رضوان الله عليهما) فقصدا نحو مجتمع الأنصار في رجال من المهاجرين، فأعلمهم أبو بكر أن الإمامة لا تكون إلا في قريش واحتج عليهم بقول النبي (ﷺ): **«الأئمة من قريش»**(٢١٦)، فأذعنوا لذلك منقادين، ورجعوا إلى الحق طائعين، بعد أن قالت الأنصار: منا أمير ومنكم أمير، وبعد أن جرد الحباب بن المنذر سيفه وقال: أنا جذيلها المحكك، وعذيقها المرجب؟... ثم بايعوا أبا بكر رضوان الله عليه، واجتمعوا على إمامته، واتفقوا على خلافته، وانقادوا لطاعته(٢١٧).

و- أما احتجاجهم بفعل النبي (ﷺ)، حيث ولى على بعض الأمصار أو الجيوش من

---

(٢١٢) البخاري، كتاب الأحكام، فتح الباري (١٢/١٢١).
(٢١٣) فتح الباري (١٢/١٢٢)، جامع العلوم والحكم ص(٢٣٠).
(٢١٤) الخوارج للسعودي ص(١٥٧).
(٢١٥) فتح الباري (١٣/١٢٢).
(٢١٦) المصنف لابن أبي شيبة (٥/٥٤٤)، البخاري بلفظ آخر رقم (٧١٤٠).
(٢١٧) مقالات الإسلاميين (١/٣٩- ٤١)، شرح النووي (١٢/ ٢٠٠) الفصل (٤/٨٩).

غيـر قريش، فلا حجـة لهم في هذا ؛ لأنه ليس في الإمامة العـظمى، ولا نسلم لهم أن ما جاز في الفرع جاز في الأصل[٢١٨]، قال ابن حجر (رحمه الله): وأما ما احتج به من أنه لم يعين الخلافة في قريش من تأمـير عبد الله بن رواحة بن حارثة وأسامـة وغيرهم في الحروب فليس من الإمامـة العظمى في شيء، بل فيه أنه يجوز اسـتنابة غير القرشي فـي حياته[٢١٩] والله أعلم.

أدلة أهل السنة القائلين باشتراط النسب القرشي:

أ- قـوله: «**إن هذا الأمر في قريش لا يعـاديهم أحد إلا كبه الله في النار على وجـهه، ما أقاموا الدين**»[٢٢٠].

ب-قـوله (ﷺ): «**لا يزال هذا الأمر في قـريش ما بقي منهم اثنان**»[٢٢١]، وفي روايـة لمسلم: «**ما بقي من الناس اثنان**»[٢٢٢].

جـ- وقوله (ﷺ): «**الناس تبع لقريش**»[٢٢٣].

د- انعقاد الإجماع، فقد حكاه غير واحد من العلماء منهم: النووي حيث قال في شرحه الحديث: «**الناس تبع لقريش**».. إلخ: هذه الأحاديث وأشباهها دليل ظاهر على أن الخلافة مخـتصة بـقريش لا يجوز عـقدها لأحد مـن غيرهم، وعلى هذا انعـقد الإجـماع في زمن الصحابة والتابعين فمن بعـدهم بالأحاديث الصحيحة[٢٢٤]، ومنهم القاضي عيـاض فقد نقل عنه النووي قوله: اشتراط كونه -أي الإمام- قرشيًا هو مذهب العلماء كافة، قال: وقد احتج به أبو بكر وعمر رضي الله عنهـما على الأنصار يوم سقيفة فلم يـنكره أحد، قال القاضي: وقد عدها العلماء في مـسائل الإجماع، ولم ينقل عن أحد من السلف فيـها قول ولا فعل، يخالف ما ذكرنا، وكذلك من بعدها في جمـيع الأعصار، قال: ولا اعتداد بقول النظام ومن وافقه من الخوارج وأهل البدع أنه يجوز كونه من غير قريش، ولا سخافة ضرار بن عمر وفي قوله: إن غير القرشي من النبط وغيرهم يقـدم على القرشي لهوان خلعه إن عرض منه أمر، وهذا الذي قاله من باطـل القول وزخرفه مـع ما هو عليه من مـخالفة إجـماع المسلمين والله أعلم[٢٢٥]، وممن حكى هذا الإجماع أيضًا الماوردي[٢٢٦] والإيجي[٢٢٧]، وابن خلدون[٢٢٨]،

---

(٢١٨) الخوارج للسعودي ص(١٥٨). (٢١٩) فتح الباري (١٣/ ١١٩).
(٢٢٠) البخاري، كتاب الأحكام ، فتح الباري (١٣/ ١١٤).
(٢٢١) البخاري، كتاب الأحكام ، فتح الباري (١٣/ ١١٤).
(٢٢٢) مسلم، كتاب الإمارة، شرح النووي (١٣/ ٢٠١).
(٢٢٣) البخاري، كتاب المناقب، فتح الباري (٦/ ٥٢٦).
(٢٢٤) شرح النووي على صحيح مسلم (١٢/ ٢٠٠) الإمامة العظمى للدميجي ص(٢٧٣).
(٢٢٥) شرح النووي على صحيح مسلم (١٢/ ٢٠٠).
(٢٢٦) الأحكام السلطانية ص(٦).
(٢٢٧) المواقف ص(٣٩٨). (٢٢٨) المقدمة ص(١٩٤).

والغـــزالي[٢٢٩]، ومن المحدثين محمـد رشيد رضا، حيث قال: أما الإجـماع على اشتراط القرشيـة قد ثبت بالنقل والفعل، رواه ثقات المحـدثين واستدل به المتكلمون وفقـهاء مذاهب السنة كلهم، وجـرى عليه العمل بتـسليم الأنصار وإذعـانهم لبني قريش، ثم إذعـان السواد الأعظم من الأمة عدة قرون[٢٣٠]، ولكن الحافظ ابن حجر اعترض على هذا الإجماع بقوله: ويحتاج من نقل الإجمـاع إلى تأويل ما جاء عن عمر من ذلك، فقد أخرج أحـمد عن عمر بسند رجاله ثقات أنه قال: إن أدركني أجلي وقد مات أبو عبيدة استخلفت معاذ بن جبل.. الحديث ومعاذ بـن جبل أنصاري لا نسب له في قريش، إن الأثر المنسوب إلى عمـر ضعيف لانقطاعـه كمـا بين بعض أهل العلم[٢٣١]، ومال الإمـام الجويني إلى عدم اشـتراط النسب القـــرشـي[٢٣٢]، وقد اخـتلف قول أبي بكـر الباقلاني، فـاشتـرط القرشـية في كـتاب «الإنصاف»[٢٣٣]، ولم يشترطها في كتابه «التمهيد»[٢٣٤]، وإلى نفي اشتراط القرشية ذهب أكثر المحدثين منهم: محمد أبو زهرة فـي كتابه المذاهب الإسلامية، وذهب إلى أن الأحاديث الواردة مجـرد أخبار لا تفيـد حكمًا[٢٣٥]، ومنهم العـقـاد[٢٣٦]، ومنهم د/علـي حـسني الخربوطلي في كتابه «الإسلام والخلافة»[٢٣٧]، وتجرأ على رمي الأحاديث المذكورة بالوضع، ومنهم د/ صـلاح الدين دبوس في كـتـابه «الخليـفة توليـتـه وعـزله»، وذهب على أن هذه الأحاديث مجرد أخبار[٢٣٨]، ومنهم الأستاذ محمد المبارك (رحمه الله)، فقد اعتبرها من باب السياسة الشرعية المتغيرة بتغير العوامل[٢٣٩]، والراجح هو ما ذهب إليه جمهور المسلمين من اشتراط النسب القرشي للإمامة[٢٤٠]، لورود الأدلة الصريحة في أحقيتهم ولإجماع الصحابة، ومن بعدهم على ذلك، وأدلة المخـالفين ليس فيهـا حجة على عـدم الاشتراط، لكن أحقـية قريش في الخلافة لا بد فيها من شرطين:

الأول: إقامتهم للدين لقـوله عليه الصلاة والسلام: «إن هذا الأمر في قـريش لا يعاديهم أحد إلا كبه الله في النار على وجهه ما أقاموا الدين»[٢٤١].

---

(٢٢٩) الباطنية ص(١٨٠).
(٢٣٠) الخلافة أو الإمامة العظمى لمحمد رشيد رضا ص(١٩).
(٢٣١) الإمامة العظمى ص(٢٨٤).
(٢٣٢) غياث الإمام للجويني ص(١٦٣).
(٢٣٣) الإنصاف للباقلاني ص(٦٩).
(٢٣٤) التمهيد نقلاً عن الإمامة العظمى ص(٢٧٥).
(٢٣٥) المذاهب الإسلامية (١/ ٩٠).
(٢٣٦) الديمقراطية في الإسلام ص(٦٩).
(٢٣٧) الإسلام والخلافة ص(٤٢).
(٢٣٨) الخليفة توليته وعزله ص(٢٧٠).
(٢٣٩) نظام الإسلام في الحكم والدولة ص(٧١).
(٢٤٠) الأحكام السلطانية لأبي يعلي ص(٢٠)، الخوارج للسعوي ص(١٥٩).
(٢٤١) البخاري، كتاب الأحكام، باب الأمراء من قريش، فتح الباري (١٣/ ١١٤).

الثاني: ألا يكون هناك إمام قائم، فإن كان ثمة إمام فلا أحقية لهم فيها، فيكون اشتراط النسب القرشي في ابتداء الولاية وعند الاختيار لا في استمرارها، إذ أن الإمام القائم لا تجوز منازعته ولا الخروج عليه لا من قريش ولا من غيرها[٢٤٢]، ما دام قائمًا بأمر الله، ولم ينحرف عن شرعه، ولم نر منه كفرًا بواحًا، أما إذا خرج منه كفر بواح فالأمر منوط بالقدرة، وخاضع لفقه المصالح والمفاسد.

تاسعًا: طعنهم في بعض الصحابة، وتكفيرهم لعثمان وعلي رضي الله عنهما:

امتاز الخوارج عن الشيعة الرافضة بإثباتهم إمامة الصديق والفاروق رضي الله عنهما، فهم يعتقدون أن إمامة أبي بكر وعمر إمامة شرعية، لا شك في صحتها ولا ريب عندهم في شرعيتها، إذ أن إمامتهما كانت برضا المؤمنين ورغبتهم، وأنهما سارا على الطريق المستقيم الذي أمر الله به لم يغيرا ولم يبدلا حتى توفاهما الله (تعالى) على ما يرضيه من العمل الصالح والنصح للرعية، وهذا الاعتقاد منهم حق وصدق، فلقد كانا رضي الله عنهما كذلك، ولا يشك في هذا إلا من فتن بمعتقد الرافضة ، وهذا المعتقد للخوارج تجاه الشيخين حالفهم فيه السداد والصواب، وكانوا موفقين فيه، لكنهم هلكوا فيمن بعدهما حيث قادهم الشيطان وأخرجهم عن الحق والصواب في اعتقادهم في عثمان وعلي رضي الله عنهما، فلقد حملهم على إنكار إمامة عثمان رضي الله عنه في المدة التي نقم عليه أعداؤه فيها، كما أنكروا إمامة علي أيضا بعد التحكيم، بل أدى بهم سوء معتقدهم إلى تكفيرهما وتكفير طلحة والزبير ومعاوية وعمرو بن العاص وأبي موسى الأشعري وعبد الله بن عباس وأصحاب الجمل وصفين، وقد وجه الخوارج إلى هؤلاء الأخيار من الصحابة طعنًا عامًا يشملهم جميعًا، ووجهوا إلى بعضهم طعنًا على وجه الخصوص، فطعنهم فيهم على وجه عام أنهم يعتقدون فيهم أنهم كفروا، وقد دون أهل العلم هذا المعتقد السيئ عنهم في كتبهم[٢٤٣]، فقد قال الإمام أبو الحسن الأشعري رحمه الله: والخوارج بأسرها يثبتون إمامة أبي بكر وعمر وينكرون إمامة عثمان في وقت الأحداث التي نقم عليه من أجلها، ويقولون بإمامة علي قبل أن يحكم ، وينكرون إمامته لما أجاب إلى التحكيم ويكفرون معاوية وعمرو ابن العاص، وأبا موسى الأشعري[٢٤٤]، وقال ابن تيمية رحمه الله: وكان شيطان الخوارج مقموعًا لما كان المسلمون مجتمعين في عهد الخلفاء الثلاثة أبي بكر وعمر وعثمان، فلما افترقت الأمة في خلافة علي رضي الله عنه وجد شيطان الخوارج موضع الخروج، فخرجوا وكفروا عليًا ومعاوية ومن والاهما فقاتلهم أولى الطائفتين بالحق علي بن أبي طالب[٢٤٥]،

(٢٤٢) الخوارج للسعودي ص(١٥٩)، الإمامة العظمى ص(٢٩٥).
(٢٤٣) عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام (١١٥٧/٣).
(٢٤٤) مقالات الإسلاميين (١/ ٢٠٤).
(٢٤٥) مجموع الفتاوي (١٩/ ٨٩).

وقال الشهرستاني بعد تعداده لكبائر فرق الخوارج: ويجمعهم القول بالتبري من عثمان وعلي رضي الله عنهما ويقدمون ذلك على كل طاعة، وقال في المحكمة الأولى: وطعنوا في عثمان رضي الله عنه للأحداث التي عدوها عليه، وطعنوا في أصحاب الجمل وأصحاب صفين[٢٤٦]، وقال في الأزارقة بعد أن ذكر أنهم يعتقدون كفر علي رضي الله عنه قال: وعلى هذه البدعة مضت الأزارقة وزادوا عليه تكفير عثمان وطلحة والزبير وعائشة وعبد الله بن عباس رضي الله عنهم، وسائر المسلمين معهم وتخليدهم في النار[٢٤٧]، وهذا المعتقد واضح البطلان بمجرد سماعه، واعتقاده ضلال وغواية وترك للحق جانبًا، والخوارج استهواهم الشيطان بمعتقدهم هذا، فكانوا له تبعًا ،فاعتقادهم بكفر من تقدم ذكرهم من أصحاب رسول الله (ﷺ) باطل لأمور عدة:

الأمر الأول: أن الله (تعالى) أخبر بأنهم خير أمة أخرجت للناس، وكذا رسوله (ﷺ) أخبر بأنهم أفضل أمته، فقد قال (تعالى): **﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾** [آل عمران: ١١٠].

فقد نوه (سبحانه وتعالى) في هذه الآية الكريمة بأنهم خير أمة أخرجت للناس، وذلك لقيامهم الكامل بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وما ذلك إلا لما بلغوا إليه من كمال الإيمان وقوة اليقين ولأنهم حققوا صفات الخيرية المنوه عنها في هذه الآية ، فقد روى أبو عبد الله الحاكم بإسناده إلى ابن عباس رضي الله عنهما في قوله (عز وجل): **﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾** قال: هم الذين هاجروا مع رسول الله (ﷺ) من مكة إلى المدينة[٢٤٨]، وقال (ﷺ): «**خيرَ الناس القرن الذي أنا فيه، ثم الثاني، ثم الثالث**»[٢٤٩]، وإنما كان قرنه خير الناس لأنهم آمنوا به حين كفر به الناس، وصدقوه حين كذبوه، ونصروه حين خذلوه، وجاهدوا وآووا[٢٥٠] وأفراد الصحابة الذين يعتقد الخوارج المارقون كفرهم هم من الذين هاجروا مع رسول الله من مكة إلى المدينة، وفي مقدمة من يتناوله هذا الثناء العالي الرفيع هم هؤلاء، فهم من أهل الهجرة ومن الذين آمنوا بالنبي (ﷺ) حين كفر به الناس وهم من الذين جاهدوا معه ونصروه، واتبعوا النور الذي أنزل معه، فالآية والحديث فيهما شهادة الله ورسوله للصحابة عمومًا بأنهم خير أمة محمد (ﷺ)[٢٥١]، وأبرز الصحابة الذين تكفرهم الخوارج كعلي والزبير وطلحة وغيرهم وردت أحاديث في حقهم بأنهم من أهل الجنة وقد بشرهم رسول الله بذلك.

الأمر الثاني: شهادة الله لهم بالإيمان الحقيقي الثابت في مواضع كثيرة من كتابه العزيز،

---

(٢٤٦) الملل والنحل (١/١١٧). (٢٤٧) المصدر نفسه (١/١٢١).
(٢٤٨) المستدرك (٢/٢٩٤)، صححه الحاكم، وأقره الذهبي.
(٢٤٩) مسلم (٤/١٩٦٥).
(٢٥٠) فيض القدير للمناوي (٣/٤٧٨).
(٢٥١) عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام (٣/١١٦٠).

قال (تعالى): ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَـٰذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ [آل عمران: ٦٨] فكلمة: والذين آمنوا في هذه الآية أول ما ينطلق هذا اللفظ على الصحابة الكرام رضوان الله عليهم أجمعين، إذ أنهم أول وأفضل من دخل في هذا الخطاب بلا نزاع، ولكن الخوارج أزاغ الله قلوبهم لم يهتدوا إلى شهادة العليم الخبير بحقيقة الإيمان للصحابة الذين كفروهم أو تبرؤوا منهم(٢٥٢).

الأمر الثالث: أن الرب (تبارك وتعالى) أخبر في محكم كتابه العزيز أنه رضي عن الصحابة ورضوا عنه، وأنه وعدهم بالخلود في الجنات والفوز العظيم، قال (تعالى): ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

ففي هذه الآية صرح (تعالى) أنه قد رضي عن السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، وهو دليل قرآني صريح في أن من يعتقد كفرهم فهو ضال مخالف لله (جل وعلا) حيث كفر من رضي الله عنه ولا شك أن تكفير من رضي الله عنه مضادة له (جل وعلا)، وتمرد وطغيان، وهذه صفة الرافضة والخوارج المارقة(٢٥٣)، وقال (تعالى): ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ١٨] وفي هذه الآية أعلن الله رضاه عن جيش الإيمان الذين حضروا الحديبية من صحابة رسول الله (ﷺ) والذين كان منهم علي وطلحة والزبير، وعثمان رضي الله عنه كان في مكة رسولاً لرسول الله (ﷺ) فبايع له النبي (ﷺ)، وجعل يده عن يده، فكانت خيرًا له من يده(٢٥٤).

الأمر الرابع: أن الكفر بعيد الوقوع من قوم أخبر الله (جل وعلا) أنه بغض إليهم الكفر والفسوق والعصيان، وجعلهم من الراشدين، قال (تعالى): ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾ [الحجرات: ٧].

وأما في هذه الآية فقد أخبر (تعالى) فيها أنه جعل الإيمان أحب الأشياء إليهم، فلا يقع منهم إلا ما يوافقه ويقتضيه من الأمور الصالحة، فاستحقوا بذلك أن يكونوا هم الراشدين، كما نطقت بذلك الآية الكريمة، فكيف يكفر أولئك الخيرة على زعم الرافضة والخوارج المارقة، وعليهم تتلى آيات الله وفيهم رسوله؟ بل كيف يكفرون وقد كره الله إليهم الكفر وجعلهم راشدين؟ فلقد زاغ الخوارج الجهلاء بزعمهم كفر عثمان وعلي وطلحة والزبير وابن

(٢٥٢) المصدر نفسه (٣/ ١١٦١).
(٢٥٣) المصدر نفسه (٣/ ١١٦٣).
(٢٥٤) عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام (٣/ ١١٦٣).

عباس وعائشة وعمرو بن العاص وأبي موسى الأشعري ومعاوية وأصحاب الجمل وصفين من الصحابة الكرام[٢٥٥].

عاشراً: من سمات الخوارج ونزعاتهم في العصر الحديث:

بدأت سمات الخوارج ونزعاتهم تظهر بين طوائف من أبناء المسلمين اليوم، وبأشكال ومظاهر مختلفة من جماعات وأفراد ودعوات وحركات واتجاهات، وشعارات، ومناهج وأساليب ومواقف وتصرفات، ونزعات فردية وجماعية، ونحو ذلك من أمور تنذر بخطر، وتنبئ عن بدايات ظهور البذور العقدية والفكرية والسلوكية للخوارج[٢٥٦]، ومن هذه السمات والمظاهر: التشدد في الدين على النفس والتعسير على الآخرين، والتعالم والغرور، وتصدر الأحداث، وقلة الصبر، وضعف الحكمة، والاستبداد بالرأي وتجهيل الآخرين، والطعن في العلماء وسوء الظن فيهم، وتحقيرهم، والتنفير منهم، والحدية في التعامل مع الآخرين، وصعوبة مد جسور التفاهم معهم، وقابلية الانشطار والتفرق، وسهولة اتهام الآخرين، وصعوبة التجمع والتوحد، والتكفير وغير ذلك من مظاهر الغلو التي ساهم في ظهورها مجموعة من الأسباب منها:

١- الجهل بالعلوم الشرعية:

فالمتأمل لواقع أكثر أصحاب التوجهات التي يميل أصحابها إلى سمات الخوارج يجد أنهم يتميزون بالجهل وضعف الفقه في الدين، وضحالة الحصيلة في العلوم الشرعية، فحين يتصدرون للأمور الكبار والمصالح العظمى يكثر منهم التخبط والخلط والأحكام المتسرعة والمواقف المتشنجة[٢٥٧]، بسبب عدم قدرتهم على استيعاب فقه المصالح والمفاسد، والعلم بمراتبها، فوق جهلهم بآحاد النصوص الحاكمة على القضايا المعينة، إذ ليست المنكرات العامة المتعلقة بالسياسة الشرعية وهي في الغالب سبب الفتن كمسائل الطهارة والصلاة والحج والأحوال الشخصية يقوم فيها الحق -غالبًا- على الأدلة التفصيلية، بل قيام العلم في ذلك على أسس منها:

أ- الأدلة الشرعية العامة والقواعد التي يدخل تحتها أمور كثيرة:

ب- مقاصد الشريعة.

جـ- الموازنة بين المصالح والمفاسد.

د- الأدلة التفصيلية.

ولا يمكن للعوام، بل ولصغار العلم فهم القضايا الكلية العامة، وإن كان يمكنهم فهم

---

(٢٥٥) المصدر نفسه (٣/ ١١٦٥).

(٢٥٦) الخوارج، ناصر العقل ص(١٢٠).

(٢٥٧) المصدر نفسه ص(١٢٧).

النصوص الجزئية، وكذلك فهم مقاصد الشريعة لا يكون إلا باستقراء مجمل النصوص، وتصرفات الشارع، ففقه المقاصد فقه عزيز، لا يناله كل أحد، بل لا يصل إليه إلا من ارتقى في مدارج العلم، واطلع على واقع الحال وقلب النظر في الاحتمالات التي يظن حدوثها، والموازنة بين المصالح والمفاسد تحتاج إلى فهم للشريعة ومقاصدها، وفهم للواقع ومراتب المفاسد والمصالح وهذا كله لا يكون إلا للعلماء(٢٥٨).

إن تصدر العامة أنصاف العلماء الذين لا يفهمون كتاب الله وسنة رسوله (ﷺ) يشتت المسلمين ويفرق وحدتهم، لأن العوام لا يتصور اتفاقهم على أمر إذا لم يكن لهم سراة يصدرون عن رأيهم، ولذلك كان الرد إلى أهل الحل والعقد.

٢- القراءة من الكتب بدون معلم:

ومن الأسباب التي أسهمت في تشكيل فكر الغلو، طلب العلم من غير بابه، والإقبال بنهم على كتب العلم، دون معلم يعين ولا موجه يرشد، وأخذ الطلاب يستخرجون الأحكام في المسائل العضال قبل أن ترسخ أقدامهم في العلم بالكتاب والسنة، فزلت بهم القدم وقد حدث هذا من نوعين من الشباب:

- شباب عاش في السجون، ولقي المحن والتعذيب.
- وشباب لم يدخلوا السجون، ولم يتعرضوا لمحن وكانت النتيجة حصاداً مرا من البلبلة الفكرية ، وبلاء الغلو، شتت شمل المسلمين المشتت، وزاد تمزيقهم تمزيقًا وقد حدث هذا لأسباب منها:

أ- الإعراض عن العلماء، ولقد سلك الغلاة هذا المنهج الخاطئ بسبب وقوع بعض الانحرافات ممن ينتسبون للعلم من أهل الهوى، فبدؤوا بسحب الثقة في أهل الهوى، وفي أقوالهم ولو كانت حقًا، ثم غلب على هؤلاء سوء الظن، فوسعوا دائرة الإعراض، وأدخلوا فيها العلماء العاملين الصادقين، وسحبوا الثقة فيهم أيضًا، وكلما خالفهم عالم مجاهد في رأي رأوه، أو مالوا إليه، سحبوا الثقة منه وأعرضوا عنه، وهنا يكمن الخطر ويوجد الشطط، قال أحد العلماء الذين حاوروا الشباب أثناء لقائه بهم: الذي أخشاه أن فقد الثقة بالعلماء سيحملكم على أحد الأمرين أو الأمرين معًا، وهما: الاجتهاد من غير استعداد كاف ومعرفة تؤهل لذلك، أو العودة للكتب والأخذ عنها دون الاستعانة بأحد، وفي الاثنين من المخاطر ما فيهما.

قال أحد الشباب: لقد وقعنا في الاثنين معًا(٢٥٩).

ب- الغلو في ذم التقليد:

(٢٥٨) قواعد في التعامل مع العلماء ص(١٢١).

(٢٥٩) التكفير جذوره وأسبابه ص(١٤، ١٥) ظاهرة الغلو في الدين ص(٣١٣).

لقد ذم القرآن الكريم التقليد وأهله، وحذر السلف من هذا المسلك، قال (تعالى): ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلاَ يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٠] ومن أقوال الأئمة: قول الشافعي: مثل الذي يطلب العلم بلا حجة كمثل حاطب ليل، يحمل حزمة حطب وفيه أفعى تلدغه وهو لا يدري(٢٦٠)، وقال أحمد: لا تقلدني، ولا تقلد مالكًا ولا الثوري ولا الأوزاعي وخذ من حيث أخذوا(٢٦١)، وقال أبو يوسف: لا يحل لأحد أن يقول مقالتنا حتى يعلم من أين قلنا(٢٦٢)، وقرأ الشباب هذا، وقرؤوا أن المقلد مع العالم كالصبي في حجر أمه، وأن لا فرق بين المقلد والبهيمة(٢٦٣)، فأنفوا من تقليد غيرهم من العلماء، وبالغوا في النفور من التقليد وذمه، فظنوا أن الاهتداء بإزاء السابقين من الصحابة والتابعين والعلماء الصادقين، والاستفادة من مناهجهم، والاسترشاد بفتاويهم المدعمة بأدلة، ظنوا أن ذلك من التقليد المذموم، فأباحوا لأنفسهم إصدار الفتاوى ولم يتأهلوا لها بعد، وأكبوا على الكتب يستخرجون منها الأحكام، ويستنبطون الآراء العجاب، وتوغلوا في هذا الميدان وهم ليسوا فرسانه، فشطوا وتجاوزوا الحدود، إن هؤلاء الشباب لم يحسنوا تمييز الأمور وتفصيلها، ولم يعرفوا صحيح الأقوال من سقيمها، ولم يجيدوا إنزال النصوص منازلها، فعمموا حيث لا تعميم، وأعرضوا حيث يجب الإقبال، وأقدموا حيث يجب الإحجام، فالنصوص التي تذم التقليد ليست عامة، إنما لها حالات تتنزل عليها(٢٦٤)، فابن عبد البر بعد أن ذكر الآثار المروية في ذم التقليد قال في نهاية الباب: وهذا كله لغير العامة، فإن العامة لا بد لها من تقليد علمائها عند النازلة تنزل بها، لأنها لا تتبين موقع الحجة ولا تقبل بعدم الفهم إلى علم ذلك لأن العلم درجات لا سبيل منها إلى أعلاها إلا بنيل أسفلها، وهذا هو الحائل بين العامة وبين طلب الحجة والله أعلم، ولم تختلف العلماء أن العامة عليها تقليد علمائها، وأنهم المرادون بقول الله (عز وجل): ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٧] .... فكذلك من لا علم له ولا بصر بمعنى ما يدين به لا بد له من تقليد عالمه، وكذلك لم يختلف العلماء أن العامة لا يجوز لها الفتيا وذلك -والله أعلم- لجهلها بالمعاني التي يجوز منها التحليل والتحريم والقول في العلم(٢٦٥).

وعامة هؤلاء الشباب عوام في علوم الشريعة ولوازمها، وأنفوا من سؤال العلماء واستفسارهم، فكانت النتيجة حصادًا مريرًا من الفوضى الفكرية.

---

(٢٦٠) أعلام الموقعين (٢/ ٢٠٠).
(٢٦١) المصدر نفسه (٢/ ٢٠٠).
(٢٦٢) المصدر نفسه (٢/ ٢٠١).
(٢٦٣) أعلام الموقعين (٢/ ٢٠١)، جامع بيان العلم وفضله (٢/ ١١٤).
(٢٦٤) ظاهرة الغلو في الدين ص(٣١٦).
(٢٦٥) جامع بيان العلم وفضله (٢/ ١١٤- ١١٥).

جـ- التطبيق الخاطئ لكلمات صدق:

إن هذه آفة خطيرة، من اتقاها نجا، فمشكلة من وقع في غلو الخوارج اليوم وأمس، ليست فيما يستدلون به، ولكن في تطبيق ما يستدلون به على واقعه ومراده، فعندما انقلب الخوارج على أمير المؤمنين علي ورموه بالكفر. وقالوا: لا حكم إلا لله، فقال: كلمة حق أريد بها باطل[٢٦٦]، وبعض أبناء العصر الحديث وقعوا فيما وقع فيه غيرهم، حيث أساؤوا تطبيق كلمات صدق وعدل، فكانت النتيجة اجتراء على الأحكام، والخروج بآراء حائدة عن الاعتدال، ومن هذه الكلمات على سبيل المثال:

- التقليد مذموم:

هذه كلمة حق دل عليها القرآن والسنة، ونهى عن تقليد الأئمة العلماء الأفاضل، وهناك أمور هامة ينبغي التنبيه عليها هنا لنضع الكلمة في واقعها المراد:

- إن التقليد الباطل المذموم هو: قبول قول الغير بلا حجة[٢٦٧].

-إن التقليد مذموم في حق القادر على الاجتهاد جائز في حق العاجز عن الاجتهاد[٢٦٨].

- قراءة كتب العلماء السابقين والاستفادة من آرائهم بلا تعصب ليس من التقليد المذموم، بل ينبغي لطالب العلم أن يعرف ما قاله السابقون في المسألة قبل أن يحكم فيها ليسترشد بآرائهم وفهمهم[٢٦٩].

قال عطاء: لا ينبغي لأحد أن يفتي الناس حتى يكون عالمًا باختلاف الناس، فإنه إن لم يكن كذلك رد من العلم ما هو أوثق من الذي في يديه[٢٧٠]، وقال قتادة: من لم يعرف الاختلاف لم يشم الفقه بأنفه[٢٧١]، وقال يحيى بن سلام: لا ينبغي لمن لا يعرف الاختلاف أن يفتي، ولا يجوز لمن لا يعلم الأقاويل أن يقول: هذا أحب إلي[٢٧٢]، لكن بعض أبناء العصر الحديث أخطؤوا في تطبيق قاعدة عدم جواز التقليد، فحملوا على العوام والعلماء على السواء، ولم يفرقوا بين القادر والعاجز، ولا بين الأصول والفروع، ثم ماذا؟ الإعراض عن أقوال العلماء، بل بلغ الحد ببعضهم إلى تسفيه الآراء، و طرح لمناهجهم؛ لأن هذا تقليد مذموم، ثم اجتراء على الفتوى، واستخراج الأحكام مباشرة من القرآن والسنة دون إلمام

(٢٦٦) تاريخ الطبري (٥/ ٦٨٨).
(٢٦٧) الفتاوى (٢٠/ ١٥).
(٢٦٨) المصدر نفسه (٢٠/ ٢٠٣، ٢٠٤).
(٢٦٩) ظاهرة الغلو في الدين ص(٣١٨).
(٢٧٠) جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٤٦، ٤٧).
(٢٧١) المصدر نفسه (٢/ ٤٧).
(٢٧٢) المصدر نفسه (٢/ ٤٧).

بالعلوم التي تيسر لهم ذلك[٢٧٣].

- هم رجال ونحن رجال:

كلمة رائعة أعجبت بعض أبناء العصر، لأن فيها اعتداد بالنفس، وأنفة في الانقياد للغير، وهذا ما تميل إليه بعض نفوس الناس، هذه الكلمة قالها إمام فقيه هو أبو حنيفة (رحمه الله) لكن بعض الناس نسوا قائلها وخصائصه، ومناسبتها، وانطلقوا يخطفون الأحكام خطفًا بمجرد قراءة الآية أو الحديث، وقلّ وقوفهم عند شرح وفهم الأئمة والعلماء للآيات والأحاديث، ولا مانع من إهدارها عندهم، فإذا قيل لهؤلاء الناس: ماذا تفعلون؟ اصبروا وتريثوا، وتأنوا في أحكامهم، وانظروا أولا إلى فهم علمائهم. قالوا: هم رجال ونحن رجال، نعم أنتم متساوون من حيث البنية الجسدية، والطباع البشرية، أتدرون من صاحب هذه العبارة؟ وما مناسبتها؟ إنه إمام عالم فقيه منّ الله عليه بفهم ثاقب، وعلم غزير، وتقوى القلب، ولقد قالها في معرض بيان أصوله حيث قال: إذا كان القرآن أو السنة فأقدمهما، وإذا كان قول الصحابي فلا أخرج عنه، وإذا كان قول تابعي، فهم رجال ونحن رجال[٢٧٤]، فينبغي أن يعلم موضع القول ومناسبته حتى لا نشرد في التطبيق، نعم هم رجال علماء مجتهدون، فهل أنتم كذلك[٢٧٥]؟.

- منهج الصحابة: التلقي المباشر من القرآن والسنة:

قام بعض أبناء العصر يحددون منهج الصحابة الكرام، بعد أن اندرس في الأنام، وأقبلوا على القرآن والسنة لاستخراج الأحكام، وأعرضوا عن الاستنارة بفهم علماء الإسلام، وقالوا: يكفينا القرآن والسنة ولا حجة لنا بأفهام الأموات، فهما النبع الصافي فلا نكدره بشيء، وهنا أخطأت رميتهم، وطاش سهمهم[٢٧٦]، لأن التلقي المباشر، والتعامل المباشر مع القرآن والسنة له حدود وقيود، فلكل مسلم أن يتعامل مع القرآن والسنة مباشرة للتعرف على أصول العقائد والأخلاق، والعظات، والعبر الجلية، فهذه أمور قد جلاها الله (سبحانه وتعالى) وبينها أتم بيان بحيث لا يجد المرء عسرًا في فهمها ما دام يعرف لغة القرآن ، أما التعرف على دقائق الأمور في العقائد والأحكام، فدائرته تضيق عن سابقه لتسع أصحاب الكفاءة والقدرة وحدهم أولئك الذين تزودوا بعلوم أوسع من اللغة والأصول والحديث . . تمكنهم من حسن الفهم، ودقة الاستنباط، وتمنعهم من الشطط عند المتشابهات والأمور الخفية، وعلى أساس هذه التفرقة الواعية سار الصحابة الكرام، فقد كانت تنزل بهم المسائل، وتعرض لهم الأمور، فإن كانت من القسم الأول عرفوها بكل يسر وسهولة وإن كانت من

(٢٧٣) ظاهرة الغلو في الدين ص(٣١٩).
(٢٧٤) المصدر نفسه (٣١٩).
(٢٧٥) المصدر نفسه (٣٢٠).
(٢٧٦) ظاهرة الغلو في الدين ص(٣٢١).

القسم الثاني لم يتجرؤوا حتى يسألوا علماءهم وفقهاءهم، وهذا المنهج هو الذي ينبغي اتباعه، فهو منهج العقل والحكمة الذي يحمي من الجمود ويقي من الفوضى والبلبلة(٢٧٧).

إن تفقيه بعضهم بدون معلم قد نتج عنه آثار سيئة ومخاطر جسيمة، من أهمها نبذ تراث السلف من العلوم والفنون المختلفة، التطاول على العلماء، الاتجاه الظاهري في فهم النصوص، التجرؤ على الفتيا، أفكار غالية(٢٧٨).

ولقد علمنا الإسلام أن للعلم أبوابًا كما أن له آدابًا والسعيد من طرقه من أبوابه، وتحلي بآدابه، فما علمنا على مدار التاريخ أن أحد أتى مباشرة إلى القرآن والسنة ، وأخذ يعمل فكره ويستنبط الأحكام في أولى خطواته، ويؤخر النظر في أقوال من سبق أو يعرض عنها ما علمنا هذا عن أحد اللهم إلا الخوارج الأعراب البدو الجهال المجردين من الفقه، والخالين من الفقهاء، والخوارج ومن حذا حذوهم(٢٧٩)، ولقد كثر زجر العلماء عن تلقي العلم من الكتب مباشرة دون الاستنارة بآراء وأفهام أهل العلم، لأن هذا باب إلى التحريف والتصحيف، وتبديل الأحكام والقول على الله بلا علم، وتحليل الحرام، وتحريم الحلال، قال ابن جماعة وهو يذكر آداب طالب العلم التي أولها الاستخارة في اختيار الشيخ الذي يأخذ العلم عنه، ويكتسب الأخلاق منه: وليجتهد على أن يكون الشيخ ممن له على العلوم الشرعية تمام الاطلاع، وله مع من يوثق به من مشائخ عصره كثرة بحث وطول اجتماع، لا ممن أخذ عن بطون الأوراق ولم يعرف بصحبة المشايخ الحذاق. قال الشافعي رضي الله عنه: من تفقه من بطون الكتب ضيع الأحكام، وكان بعضهم يقول من أعظم البلية الصحفية، أي الذين تعلموا من الصحف(٢٨٠)، ولله در القائل:

من يأخذ العلم عن شيخ مشافهة	**يكن الزيغ والتصحيف في حرم**
ومن يكن آخذًا للعلم من صحف	**فعلمه عند أهل العلم كالعدم**

وقال علماء السلف: لا تقرؤوا القرآن على المصحفيين، ولا تأخذوا العلم من الصحفيين(٢٨١).

وقال أبو زرعة: لا يفتي الناس صحفي، ولا يقرئهم مصحفي(٢٨٢)، وقال (تعالى): **﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾** [الأنبياء ٧] وقد أنكر الله على من يبادر إلى الأمور قبل تحققها فيخبَر بها ويفشيها وينشرها، وقد لا يكون لها صحة(٢٨٣) وليس معنى هذا

(٢٧٧) المصدر نفسه ص(٣٢٣).
(٢٧٨) المصدر نفسه ص(٣٢٣).
(٢٧٩) المصدر نفسه ص(٣٢٤).
(٢٨٠) تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم ص(٨٧).
(٢٨١) الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي (٢/ ٩٧).
(٢٨٢) المصدر نفسه ص(٢/ ٩٧).
(٢٨٣) تفسير ابن كثير.

أن نمنع الناس أن يدرسوا ويتعلموا فطلب العلم فريضة ، وهو مطلوب من المهد إلى اللحد، لكن نقول: إنهم مهما درسوا، فسيظلون في حاجة إلى أهل الاختصاص، فإن للعلم الشرعي أدوات لم يتوفروا على تحصيلها، وأصولاً لم يتمرسوا بمعرفتها، واستيعابها، وفروعًا ومكملات لم تسعفهم أوقاتهم ولا أعمالهم أن يتفرغوا لها(٢٨٤)، فلا جراءة وانطلاقة مندفعة غير منضبطة، ولا كسل وخمول وتجميد للفكر والنظر وحظر للبحث وحجر للعقل، إنما نريد جدًا وسعيًا مع التأني والتثبت والتروي والتأكد، والسؤال عما أشكل، وخير الأمور أوسطها(٢٨٥).

٢- تخلي كثير من العلماء عن القيام بواجبهم:

العلماء هم ورثة الأنبياء، ولذلك ينبغي أن يكونوا هم أصحاب القيادة والتوجيه في المجتمع، وعليهم أن يفرضوا وجودهم الأدبي والعلمي والمرجعي بين الناس، بأخلاقهم وجهدهم وعلمهم، وعليهم أن يتحركوا بهذا الدين وبالعلم الذي يعلمونه من هذا الدين لصياغة المجتمع صياغة صحيحة، ووضع كل من الحاكم والمحكوم في وضعه الصحيح برد الحاكم إلى الالتزام بشريعة الله، فيزول من ثم ما هو واقع في المجتمع من ظلم سياسي واجتماعي واقتصادي، ورد المحكومين إلى الالتزام بأوامر الله ونواهيه، فيزول من ثم ما وقع في المجتمع من فساد خلقي وروحي وسلوكي أو الجهاد في سبيل هذا الأمر على الأقل، فيتحقق من الإصلاح بقدر ما يخلص الناس نياتهم لله، وبمقدار ما يبذلون من الجهد اللازم للإصلاح، لقد كان للعلماء دور القيادة والريادة في المجتمع دائمًا وأبدًا، وكان الناس يعرفون لهم ذلك حكامًا ومحكومين، ولم تظهر الزعامات السياسية العلمانية عند المسلمين إلا عندما تخلى العلماء عن دورهم في قيادة الأمة وتوجيهها ،بل ما كان الناس يرضون بغير علمائهم بديلاً أبدًا، وكانت الأمة الإسلامية في كل أصقاع الدولة تحب علماءهم وتجلهم وتلتف حولهم، وتفزع إليهم بعد الله (سبحانه وتعالى) كلما حزبها أمر أو حلت بها مصيبة ، لمعرفة الناس بمكانة العلماء وبقدرتهم على التحرك، وبالتصدي لكل ما يصيبهم من السوء، وكذلك، كان الحكام يعرفون للعلماء قدرهم، إما رغبة فيهم أو رهبة منهم، وما كان علماء المسلمين يعرفون بالانقطاع إلى الدرس والتحصيل بل كانوا هم في مقدمة المجاهدين المقاتلين، وفي مقدمة الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، وكانوا يشاركون أمتهم أفراحها وأتراحها، وقد لاقى بعضهم من جراء ذلك ما لاقى ولكن لم يثنهم ذلك عن القيام بواجبهم(٢٨٦)؛ لأنهم فهموا معنى ورثة الأنبياء.

إن العلماء هم فقهاء الإسلام، ومدار الفتيا على أقوالهم بين الأنام الذين خصوا باستنباط

(٢٨٤) الصحوة الإسلامية ص(٣٠٦).
(٢٨٥) ظاهرة الغلو في الدين ص(٣٢٦).
(٢٨٦) ظاهرة التكفير، الأمين الحاج محمد أحمد، ص(١٨١).

الأحكام، وعنوا بضبط قواعد الحلال والحرام[٢٨٧]، والعلماء هم: أئمة الدين، نالوا هذه المنزلة العظيمة بالاجتهاد والصبر واليقين ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤] والعلماء هم ورثة الأنبياء، ورثوا عنهم العلم، فهم يحملونه في صدورهم، وينطبع في الجملة على أعمالهم، ويدعون الناس إليه، والعلماء هم الفرقة التي نفرت من هذه الأمة لتتفقه في دين الله، ثم تقوم بواجب الدعوة ومهمة الإنذار، فعليهم أن يكونوا بين الناس، ويقوموا بواجبهم، كورثة للأنبياء، ويتخلوا عن انزوائهم وابتعادهم عن الناس ومشاكلهم والاكتفاء بواجب البلاغ والإنذار، بل يتصدروا لتربية الناس وتهذيبهم وتوجيههم وترشيدهم والصبر على مخالطتهم، وحل مشاكل الناس الفكرية والنفسية والاجتماعية والسياسية.. إلخ، وفق شرع الله (تعالى)، فالعلماء هم هداة الناس الذين لا يخلو زمان منهم حتى يأتي أمر الله، فهم رأس الطائفة المنصورة إلى قيام الساعة يقول الرسول (ﷺ): «**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين بأمر الله لا يضرهم من خذلهم، أو خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون على الناس**»[٢٨٨]، فلا ينبغي أن يتخلى الكثير من العلماء عن واجبهم تجاه دعوة الله (تعالى)، ويتركون الناس بدون قيادة تقودهم نحو الخير والفلاح.

٤- شيوع الظلم والتحاكم للقوانين الوضعية:

من أهم العوامل التي تؤدي إلى بروز ظاهرة الغلو: الكبت السياسي، من ظلم الأفراد والشعوب، وظلم الناس مما ينافي مقاصد الشريعة وما أمر الله به وأمر به رسوله (ﷺ)، من تحقيق العدل ونفي الظلم[٢٨٩].

٥- التأويلات الخاطئة لبعض آراء المفكرين المسلمين المعاصرين:

فكما أن الخوارج انطلقوا إلى بعض الآيات التي نزلت في الكفار ففصلوها زورًا وبهتانًا على طائفة من خيار الصحابة نجد كذلك نفرًا من الشباب المتحمس والذي ينقصه العلم الشرعي والفقه في الدين في هذا العصر حملوا بعض آراء المفكرين المسلمين المعاصرين أكثر مما تحمل وركبوا بسبب ذلك مركبًا صعبًا[٢٩٠].

٦- انتشار الفساد بين الناس:

من أكبر النكايات التي أصابت الأمة الإسلامية في هذا العصر الفساد العقدي والانحراف الكبير عن منهج أهل السنة والجماعة، وظهور البدع بين المسلمين، ولم يعد الكثير منهم يفقه حقيقة الشهادة التي يرددونها صباح مساء: لا إله إلا الله محمد رسول الله، وما ترمي إليه هذه الكلمة، وما هي شروطها وحقيقتها، ولقد حاول أعداء الإسلام أن يفرغوا كلمة التوحيد

---

(٢٨٧) أعلام الموقعين (١/٧).

(٢٨٨) البخاري، كتاب الاعتصام رقم (٧٣١١).

(٢٨٩) الخوارج، ناصر العقل ص(١٢٦).

(٢٩٠) المصدر نفسه ص(١٥٥)، ظاهرة التكفير، الأمين الحاج ص(١٤٦).

من محتـواها الكامل، ويحصر الإسـلام في النطق بالشهادتين فقط، أو في التلفظ بـهما مع إقامة الشعـائر، ويزوي الدين كله في جانب قصي من الحياة لكي يعيش المسلمون حينئذ في وهن وذل وخضـوع وانهزام نفسي أمـام الطغيان المادي وبهرج الحـياة الزائف، كمـا هو حال المسلـمين اليـوم(٢٩١)، وانتشـر الفساد الخلقي بـين الناس، وأشرف على هذا الإفسـاد أعداء الإسلام، وقد استشرى الفساد وعم بصـورة جعلت بعض الأخيار ييئسون من الإسلام، ومن ثم ولد هذا اليأس والقنوط في نفوس بعض الشـباب الذي كان متحمسًا للعمل الإسلامي، ردود فعل عنيفة، ردود الفعـل هذه لها صور مختلفة ومتباينة فـمنهم من انحرف مع التيار، ومنهم من اتخذ لنفسه موقفًا عدائيًـا سلبيًا، وقنع أن هذا المجتمع الذي أصيب بهذا القدر من الفساد العقدي والأخلاقي لا خير فيه البتة، وربما حكم عليه بعضهم بأنه مجتمع كافر(٢٩٢).

٧- عدم تزكية النفوس:

إن من الأسباب الرئيـسية لتولد بدعة التكفـير عدم تزكية النفوس بسـبب ضعف الجانب التربوي مما يؤدي إلى الغرور والاستبـداد ويجعل المرء يشتغل بعيوب غيره، أكـثر من اهتمامه واشتـغاله بعـيوب نفـسه، وعـدم تزكيـة النفوس يتـولد منه أمراض خطيـرة منها العـجلة، والاستـعلاء بالطـاعة، والهـوى، واحتقـار الناس، وعدم احـترامـهم، وربما إخراجـهم من الملة(٢٩٣).

هذه بعض الأسباب التي أدت لبروز ظاهرة الغلو في العصر الحديث:

أهم مظاهر الغلو في العصر الحديث:

إن مظاهر الغلو في العصر الحديث كثيرة منها:

١- التشدد في الدين على النفس والتعسير على الآخرين:

من مظاهر الغلو في هذا العصر الخروج عن منهج الاعـتدال في الدين، الذي كان عليه النبي (ﷺ)، وقد حـذر النبي (ﷺ) من ذلك في الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه، قـال رسـول الله (ﷺ): «**إن هذا الدين يسـر، ولن يشاد الدين أحـد إلا غلبه**»(٢٩٤) والتشـدد في الدين كثيرًا ما ينشأ عن قلة الفقه في الدين، وهما من أبرز سمات الخوارج أعني: التشدد في الدين وقلة الفقـه وأغلب الذين يـتزعـون إلى خصـال الخـوارج اليـوم تجـد فـيـهم هاتين الخصلتين(٢٩٥)، ومن مظاهر الغلو التعسير وترك التيسير، فأصحاب الغلو يطالبون الناس بما

---

(٢٩١) ظاهرة التكفير ص(١٥٢).
(٢٩٢) المصدر نفسه .
(٢٩٣) المصدر نفسه ص(١٨٥).
(٢٩٤) البخاري كتاب الإيمان، فتح الباري (١/ ٩٣).
(٢٩٥) الخوارج ، ناصر العقل ص(١٣٠).

يطيقون ، ويلزمونهم بما لا يلزمهم به الشرع السهل، ولا يراعون قدراتهم وتفاوتها، وطاقاتهم واستطاعتهم وتباينها، وأفهامهم واختلافها، فيخاطبونهم بما لا يفهمون، ويطالبونهم بما لا يستطيعون، ومن أسباب التعسير الورع الفاسد، والجهل بمراتب الأحكام، والجهل بمراتب الناس، وأما مجالاته وصوره وأشكاله، إيجاب النظر والاستدلال على الجميع، وتحديث الناس بما لا يعرفون، وترك الرخص والإلزام بما لم يلزم به الشرع[٢٩٦].

٢- التعالي والغرور وما يؤدي إليه من تصدر الأحداث:

من السمات البارزة في ظاهرة الغلو في الوقت المعاصر: التعالم والغرور، وادعاء العلم في حين أنك تجد أحدهم لا يعرف بدهيات العلم الشرعي ، والأحكام وقواعد الدين، أو قد يكون عنده علم قليل بلا أصول ولا ضوابط ولا فقه ورأي سديد، ويظن أنه بعلمه القليل وفهمه السقيم قد حاز علوم الأولين والآخرين، فيستقل بغروره عن العلماء، عن مواصلة طلب العلم فيهلك بغروره ويُهلك، وهكذا كان الخوارج الأولون يدعون العلم والاجتهاد ويتطاولون على العلماء وهم من أجهل الناس[٢٩٧]، وأدى التعالم والغرور إلى تصدر حدثاء الأسنان وسفهاء الأحلام للدعوة بلا علم ولا فقه، فاتخذ بعض الناس منهم رؤساء جهالاً، فأفتوا بغير علم وحكموا في الأمور بلا فقه، وواجهوا الأحداث الجسام بلا تجربة ولا رأي، ولا رجوع إلى أهل العلم والفقه والتجربة والرأي، بل كثير منهم يستنقص العلماء والمشايخ، ولا يعرف لهم قدرهم، وإذا أفتى بعض المشايخ على غير هواه ومذهبه، أو بخلاف موقفه أخذ يلمزهم إما بالقصور أو التقصير، أو الجبن والمداهنة، أو بالسذاجة وقلة الوعي والإدراك، ونحو ذلك مما يحصل بإشاعته الفرقة والفساد العظيم وغرس الغل على العلماء والحط من قدرهم، ومن اعتبارهم وغير ذلك مما يعود على المسلمين بالضرر البالغ من دينهم ودنياهم[٢٩٨].

٣- الاستبداد بالرأي وتجهيل الآخرين:

من أبرز معالم الغلو حديثًا التعصب للرأي، وعدم الاعتراف برأي الآخرين، وإنكار ما عنده من الحق ما دام خالفه في الرأي ، ومن الأسباب التي تولد التعصب للرأي، والانحياز له، قلة العلم، مصادفة الرأي لذهن خال، الإعجاب بالرأي، اتباع الهوى.

إن آفة الإعجاب بالرأي والتعصب له هوت بأصحابها إلى دركات خطيرة، في أزمنة قبلنا، فما الذي هوى بذي الخويصرة الجهول، يقول ابن الجوزي: وآفته أنه رضي برأي نفسه، ولو وقف لعلم أنه لا رأي فوق رأي رسول الله (ﷺ)[٢٩٩]، والذي هوى بأصحاب

---

(٢٩٦) ظاهرة الغلو في الدين ص(٢٤١-٢٤٩).
(٢٩٧) الخوارج ، ناصر العقل ص(١٢٩).
(٢٩٨) الخوارج ،د. ناصر العقل ص(١٢٩).
(٢٩٩) تلبيس إبليس ص(٩٠).

ذي الخويصرة غير إعجابهم برأيهم، وظن السوء في غيرهم، وكانت الخوارج تتعبد، إلا أن اعتقادهم أنهم أعلم من علي رضي الله عنه وهذا مرض صعب[٣٠٠]، إن هؤلاء المساكين وقعوا أسرى لألفاظ لم يحسنوا فهمها، ولم يستمعوا لمن يجليها لهم، ويفهمهم إياها، لأن الصواب هو رأيهم وما عداه خطأ، يقول محمد أبو زهرة: أولئك استولت عليهم ألفاظ الإيمان، ولا حكم إلا لله، والتبرؤ من الظالمين وباسمها أباحوا دماء المسلمين وخضبوا الدماء الإسلامية وشنوا الغارة في كل مكان[٣٠١]، إن هذا التعصب المقيت قد صدهم عن الاستجابة للحق بعد وضوحه، فقد ناظرهم أمير المؤمنين علي رضي الله عنه وناظرهم ابن عباس رضي الله عنهما وأزالوا أعذارهم، ودحضوا شبهاتهم، وأقاموا عليهم الحجج الدامغة، وأفحموهم بالبراهين الساطعة، فلم يستجب إلا بعضهم واندفع الكثير لاستباحة دماء المسلمين[٣٠٢]، إن التعصب للرأي وتجهيل الآخرين يتنافى مع مبادئ هامة في الإسلام كالشورى والتناصح.

٤- الطعن في العلماء العاملين:

شاهد عصرنا حملة غريبة وظاهرة عجيبة ألا وهي الاعتداء على هيبة العلماء العاملين، وطعنهم بخناجر الزيغ والضلال، ولقد شهدت الصحف والمجلات ، والكتب والمقالات، وقاعات الدروس والحلقات نماذج كثيرة من تلك الحملات، فجلب على أمة الإسلام أبلغ الأضرار، فشتت الشمل المشتت، وفرق الجمع المفرق، وعمق الشقائق الغائرة، ولا شك أن للطعن في العلماء أسباب منها: التعلم بدون معلم، الفهم الخاطئ لبعض عبارات العلماء، واتباع الهوى، والحسد، وقد لجأ بعض الشباب إلى أسلوب سيئ ألا وهو تتبع عورات العلماء وزلاتهم، وتصيد أقوالهم، وشواذ آرائهم، وتحريف كلمهم عن مقصودهم، فعلوا ذلك ليبرروا حملتهم الشعواء في الطعن في العلماء قديمًا وحديثًا ممن يخالف آرائهم، ولا يقر مناهجهم الحائدة عن الاعتدال، ولقد كان فعلهم هذا وبالاً على الإسلام، وقرة عين لأعداء الإسلام من بني صهيون وعابدي الأوثان، وإن هذا المسلك المشين الذي يدل على جهل صاحبه أو مرضه وحقده قد حذر منه العلماء لخطورته على المسلمين، ولأنه تنفيذ لمخطط أعداء الدين، وتحقيق لأغراضهم بلا تعب ولا نصب[٣٠٣]، يقول ابن تيمية (رحمه الله) وهو ينهي عن رواية الأقوال الضعيفة عن الأئمة والعلماء: ومثل هذه المسألة الضعيفة، ليس لأحد أن يحكيها عن إمام من أئمة المسلمين لا على وجه القدح فيه، ولا على وجه المتابعة له فيها، فإن ذلك ضربًا من الطعن في الأئمة واتباع الأقوال الضعيفة، وبمثل ذلك صار وزير التتار يلقي الفتنة بين مذاهب أهل السنة حتى يدعوهم إلى الخروج عن السنة والجماعة ويوقعهم في

(٣٠٠) المصدر نفسه ص(٩١).

(٣٠١) تاريخ المذاهب الإسلامية، محمد أبو زهرة ص(٦١)،

(٣٠٢) ظاهرة الغلو في الدين ص(١٨٥).

(٣٠٣) ظاهرة الغلو في الدين ص(٢١٥- ٢٢٣).

مذهب الرافضة وأهل الإلحاد[٣٠٤]، إن الذين يطعنون في علماء الأمة العاملين يخدمون المخططات اليهودية والنصرانية والطاغوتية والاستخباراتية سواء شعروا بذلك أم لا، والذين لا يزالون يطعنون في علماء الأمة بفعلهم هذا يكونون قد ابتعدوا عن منهج أهل السنة والجماعة الذي يقول به علماء السلف من السابقين ومن بعدهم من التابعين أهل الخير والأثر، وأهل الفقه والنظر، لا يذكرون إلا بالجميل، ومن ذكرهم بسوء فهو على غير السبيل[٣٠٥]، وليعلم الذين يطعنون في علماء الأمة العاملين أن لحوم العلماء مسمومة، وعادة الله في هتك منتقصهم معلومة، وما يدري هذا المتعلم أن الاعتبار في الحكم على الأشخاص بكثيرة الفضائل، قال ابن القيم: ومن له علم بالشرع والواقع يعلم قطعًا أن الرجل الجليل الذي له في الإسلام قدم صالح وآثار حسنة وهو من الإسلام وأهله بمكان قد تكون منه الهفوة والزلة هو فيها معذور، بل مأجور لاجتهاده، فلا يجوز أن يتبع فيها، ولا يجوز أن تهدر مكانته وإمامته في قلوب المسلمين[٣٠٦]، فمن يبقى لأمة الإسلام إذا طعن في علمائهم؟ أيبقى شباب أحداث، يحسنون التلاوة، ولا تستقيم لهم لغة، وليس له باع طويلة ولا قصيرة في كثير من علوم الشرع؟

إن أسلوب الطعن في العلماء قرة عين لأعداء الإسلام؛ لأنه ينشئ جيلاً بلا قادة، وهل رأيتم جيلاً بلا قادة قد أفلح؟

إن أسوأ ما في الأمم السابقة علماؤهم وأحبارهم فقد كثر فيهم الضالون المضلون قال (تعالى): ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّ كَثِيراً مِّنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ﴾ [التوبة: ٣٤].

وأفضل ما في الإسلام علماؤه الربانيون العاملون، قال الشعبي: كل أمة علماؤها شرارها إلا المسلمون، فإن علماؤهم خيارهم[٣٠٧]، ووضح ذلك ابن تيمية فقال: وذلك أن كل أمة غير المسلمين فهم ضالون، وإنما يضلهم علماؤهم، فعلماؤهم شرارهم، والمسلمون على هدى وإنما يتبين الهدى بعلمائهم، فعلماؤهم خيارهم[٣٠٨].

٥- سوء الظن:

لقد كثر هذا المرض واستشرى ضرره في عصرنا، وكانت هذه الآفة أداة فتك وتدمير، ووسيلة هدم وتخريب، وقد ترتب عليها نتائج خطيرة، ومفاسد عظيمة، ولهذه الآفة أسباب ودوافع منها: الجهل، فالجهل بتفهم حقيقة ما يرى وما يسمع وما يقرأ ومرمى ذلك، وعدم

---

(٣٠٤) الفتاوي (٣٢/ ١٣٧).
(٣٠٥) شرح الطحاوية (٢/ ٧٤٠).
(٣٠٦) أعلام الموقعين (٣/ ٢٨٣).
(٣٠٧) الفتاوي (٧/ ٢٨٤).
(٣٠٨) الفتاوي (٧/ ٢٨٤).

إدراك حكم الشرع الدقيق في هذه المواقف خصوصًا إذا كانت المواقف غريبة، تحتاج إلى فقه دقيق، ونظر بعيد، يجعل صاحبه يبادر إلى سوء الظن، والاتهام بالعيب، والانتقاص من القدر، ومنها الهوى؛ وهو آفة الآفات، فيكفي أن يرى المرء أو يقرأ أو يسمع ما لا يعجبه، ولا يرضاه، ولا يوافق عليه ومبتغاه. يكفي ذلك لأن يطلق للظن السيئ الحبال، ويرخي له العنان فيرتع ويصول ويجول، ولا يزن الأمور بميزان الشرع الدقيق، ولا يحاول أن يلتمس المعاذير، ولا يراجع نفسه فضلاً عن أن يتهم فهمه، فالهوى يصده عن ذلك، ومنها العجب والغرور، فإحسان المرء ظنه بنفسه، وغروره بفهمه، وإن كان ذا فهم، وإعجابه برأيه يدفعه لأن يزكي نفسه ويحتقر غيره فهو الصواب والكل خطأ وهو الحق والكل باطل، وهو الهدى والجميع ضلال، وقد رأينا أناسًا بلغ بهم سوء الظن مبلغًا غريبًا عجيبًا، حتى خرجوا جميع الناس عداهم، أحياء وأمواتًا، فرموهم بالزيغ والضلال، وفساد الاعتقاد، فالجميع في عقيدته دخن ودخل وهم وحدهم المخلصون، الجميع هالكون وهم الناجون، إن الظن السيئ آفة، ولكل آفة آثار وخطورة، فمن آثاره السيئة والسيئ لا يلد إلا سيئًا.

إنه يدفع صاحبه لتتبع العورات، والبحث عن الزلات، والتنقيب عن السقطات، وهو بذلك يعرض نفسه لغضب الله وعقابه، لأن ذلك من صفات مرض القلوب الذي توعدهم رسول الله (ﷺ) -بالفضيحة فقال: **«يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فإنه من تتبع عوراتهم تتبع الله عورته، ومن يتتبع الله عورته يفضحه في بيته»**(٣٠٩).

- كما يدفع صاحبه إلى الغيبة، ونهش أعراض الآخرين، والتشفي فيهم.
- وأخيرًا فالظن السيئ يزرع الشقاق بين المسلمين، ويقطع حبال الأخوة، ويمزق وشائج المحبة، ويزرع العداء والبغضاء والشحناء.

ولما كانت هذه الآفة ذات خطورة عظيمة كما تبين، فقد كان موقف الإسلام حاسمًا، فقد دعا وأمر باجتناب أكثر الظن، لأن الوقائع والأحداث أثبتت أن الجري وراءه واتباعه عاقبته وخيمة وأضراره عظيمة(٣١٠)، قال (تعالى): **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾** [الحجرات: ١٢] قال ابن كثير: يقول (تعالى) ناهيًا عباده المؤمنين عن كثير من الظن، وهو: التهمة والتخون للأهل والأقارب والناس في غير محله، لأن بعض ذلك يكون إثمًا محضًا، فليجتنب كثير منه احتياطًا(٣١١)، ومما يدفع سوء الظن التماس العذر لأخيك، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ولا تظنن بكلمة خرجت من أخيك المؤمن إلا خيرًا، وأنت تجد لها في الخير محملاً(٣١٢).

---

(٣٠٩) مسند أحمد (٤/ ٤٢١-٤٢٤).
(٣١٠) ظاهرة الغلو في الدين ص(٢٠١-٢١١).
(٣١١) تفسير ابن كثير (٤/ ٢١٢).
(٣١٢) تفسير ابن كثير (٤/ ٢١٢).

٦- الشدة والعنف مع الآخرين:

من مظاهر الغلو حديثًا الشدة والعنف في التعامل مع الآخرين، واستخدامهما في غير محلهما، وكأن الأصل في التعامل مع الغير هو العنف والغلظة لا الرفق والرحمة، وهذه الشدة أصبحت هي الطبع الغالب على سلوك بعض الشباب وقد تجاوز العنف حدود القول إلى العمل، فسفكت دماء بريئة بسببه ودمرت منشآت، ولقد تسبب هذا العنف في أضرار فادحة على أصحابه وعلى الأمة، وقد كانت هناك جملة أسباب رئيسية وراء استخدام بعض الشباب للعنف والشدة، والقسوة والغلظة ، نستطيع أن نجملها فيما يلي:

- المحن: فكثير من هؤلاء الشباب تعرضوا لمحن شتى، أثرت في نفوسهم وكان لذلك رد فعل شديد، فقابلوا العنف بالعنف، وغلب ذلك على طباعهم.

- الجهل بفقه الاحتساب: فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أعظم الواجبات التي كلف الله بها هذه الأمة، وينبغي للقائم بها أن يكون فقيهًا فيها ليتمكن من تحقيق المصلحة واجتناب المفسدة بأيسر طريق، فهناك أمور ينبغي فقهها والعلم بها لمن يؤدي هذا الواجب منها: أن هذا الواجب قد يؤدي تارة بالقلب وتارة باللسان، وتارة باليد، والقلب واجب في كل حال، وبعض الناس قد يقع هنا في خطأ فمنهم من يريد أن يأمر وينهي إما بلسانه وإما بيده مطلقًا، من غير فقه وحلم وصبر، ونظر فيما يصلح من ذلك وما لا يصلح، وما يقدر عليه وما لا يقدر فيأتي بالأمر والنهي معتقدًا أنه مطيع في ذلك لله ولرسوله، وهو معتد في حدوده[٣١٣]، فلا بد من العلم بالمعروف والمنكر والتمييز بينهما ولا بد من العلم بحال المأمور والمنهي، ومن الصلاح أن يأتي بالأمر والنهي بالصراط المستقيم، وهو أقرب الطرق إلى حصول المقصود ولا بد في ذلك من الرفق ولا بد أيضًا أن يكون حليمًا صبورًا على الأذى، فإنه لا بد أن يحصل له أذى، فإن لم يحلم ويصبر كان ما يفسد أكثر مما يصلح، فلا بد من هذه الثلاثة: الحلم، والرفق، والصبر، والحلم قبل الأمر والنهي، والرفق معه والصبر بعده، وإن كان كل من الثلاثة مستصحبًا في هذه الأحوال، وقد ذكر القاضي أبو يعلى: لا يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر إلا من كان فقيهًا فيما يأمر به، فقيهًا فيما ينهي عنه[٣١٤]، تلك بعض أمور من فقه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قد أدى الجهل بها وعدم مراعاتها إلى سلوك سبيل الشدة والعنف في الدعوة.

ولقد استخدم بعض الشباب أسلوب الغلظة والقسوة في إرشاد الناس ومحاورتهم لهم، ودعوتهم لإقلاعهم عما يخالف الشرع وظنوا أن طريق الشدة هي المجدية والرادعة، وغاب عنهم أن أسلوب الرفق هو الأصل ولا يترك إلا بعد أن تستنفذ وسائله، لأنه هو المجدي النافع، المؤثر في النفس، أما الشدة فإنها تنفر في غالب الأحيان، وتحمل المخالف على

(٣١٣) الفتاوي (٢٨/ ١٢٧-١٢٨).
(٣١٤) الفتاوي (٢٨/ ١٣٦-١٣٧).

الإصرار ، ومن العجب أن هؤلاء لم يفرقوا بين المخالف على علم والجاهل الذي لا يدري، ولا بين الداعية للبدعة والضحية المضلل المخدوع، ولا بين المنكر المختلف فيه والمتفق عليه، ومن الأسباب الغليظة التي يسلكها بعض هؤلاء الخشونة في معاملة الوالدين، فلا يقيم لهما حرمة، ولا يعاونهما ولا يخدمهما، لقد نسي هؤلاء أن الوالدين لها خصوصيات عن سائر الناس لا سيما في دعوتهما وإرشادهما ولا يعني ذلك التنازل عن الالتزام والتمسك بأمر من أمور الدين أو ارتكاب معصية إرضاء لهواهما.. كلا.. كلا.. إنما نريد الأدب في المعاملة، واللين في القول، وحسن العشرة، والصبر عليهم والشفقة والرحمة بهم، قال (تعالى): ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ * وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [لقمان: ١٤- ١٥].

ولقد رأينا بعض الشباب يتخاذل عن معاونة الناس الذين خلطوا عملاً صالحًا وآخر سيئًا، فهؤلاء في نظرهم لا يستحقون أي خدمة، ولا كلمة طيبة، ولا مساعدة نافعة، فهؤلاء الشباب لم يتضح عندهم مفهوم الولاء والبراء وحدود كل منهما، فيطغى عندهم البراء على الولاء ونسوا أن الخدمات الاجتماعية وسيلة ناجحة من وسائل الدعوة، لأنها عملية، فهي أبلغ تأثيرًا في النفس من القول ونسوا أن خشونتهم في المعاملة، وتخليهم عن المساعدة، يعمق الهوة بينهم، ويذهب بهؤلاء الناس إلى صفوف المنحرفين أعداء الدين، ومن مظاهر العنف البالغة ما يفعله بعض هؤلاء من مجاوزة الغلظة بالقول إلى القتل وسفك الدم، دم العلماء، أو الجنود الأبرياء، أو المواطنين العزل، وأخيرًا فلا تعجب إذا علمت بعد ذلك أن أصحاب العنف هؤلاء، كثيرًا ما انقلب بعضهم على بعض، وتطاولت الألسنة وأحيانًا الأيادي، وذلك ليس بغريب إذا رجع الإنسان قليلاً لدراسة أحوال الفرق التي تركت كتاب الله وسنة رسوله ومنهج السلف الصالح، فقد تناحرت تلك الفرق فيما بينها وضلل بعضها بعضًا وكفر بعضها بعضًا، وهكذا مصير من ترك المنهج الذي جاء به خاتم الأنبياء (ﷺ)، إن الإسلام موقفه صريح من العنف والشدة في الدعوة ومعاملة الناس، قال (تعالى) -آمرًا موسى وأخاه هارون: ﴿اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ [طه: ٤٣-٤٤] تلك هي توجيهات ربنا لموسى وهارون عليهما السلام عند دعوة فرعون الطاغية، القول اللين في بيان الحق لأنه أجدى وأقرب لقبول الذكرى وإحداث الخشية، وقال (سبحانه): ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ * وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٤- ٣٥].

إن الداعية قد يلقى في طريقه ما يغضبه ويضايقه وهو لاقيه لا محالة فلا بد أن يوطن نفسه بالصبر، ويحصنها بكظم الغيظ، والعفو عن الناس ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧].

وينبغي للداعية أن يتجنب أسلوب الإثارة والاستفزاز، فيبتعد عن السباب والشتم ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٠٨].

ولقد كثرت النصوص النبوية التي تؤكد وتركز على الالتزام بقاعدة الرفق، والبعد عن الشدة والعنف، قال (ﷺ): «**إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه**»[٣١٥].

والرفق هو الأصل في الدعوة ليس معنى ذلك إلغاء الشدة بالكلية، لا، فالشدة مواضعها بعد استنفاذ وسائل الرفق والصبر، والموفق من وفقه الله لإنزال كل في منزله وعصمه من هواه[٣١٦].

٧- التكفير:

تلك هي قمة الغلو وذروته ولقد بدأت ظاهرة التكفير في عام (١٩٦٥م)، وأخذت تتسع شيئًا مع عام (١٩٦٧م) نتيجة لبعض المحن، وأخذ هذا الفكر ينتشر رويدًا رويدًا حتى شكل ظاهرة بارزة، وقد رأينا كثيرًا ممن يتصدون لتكفير الناس، قد غاب عنهم مبادئ هامة، فوقعوا فيما وقعوا فيه، ومن هذه المبادئ:

القاعدة الأولى: الذنوب: كبائر وصغائر، يقول ابن القيم: والذنوب تنقسم إلى صغائر وكبائر، بنص القرآن والسنة، وإجماع السلف وبالاعتبار[٣١٧]، قال (تعالى): ﴿إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ [النساء: ٣١] وقال (تعالى): ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ﴾ [النجم: ٣٢] والجمهور على أن اللمم ما دون الكبائر، وفي الصحيح عن النبي (ﷺ) أنه قال: «**الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان، مكفرات لما بينهن، إذا اجتنبت الكبائر**»[٣١٨] فالذنوب متفاوته في الإثم.

القاعدة الثانية: الكفر نوعان: أكبر وأصغر، لقد دلت النصوص على أن الكفر نوعان ينبغي التمييز بينهما، فالكفر الأكبر: منها التكذيب بما جاء به الرسول والجحود والإعراض، والأصغر، ذنوب توجب استحقاق الوعيد دون الخلود، كقوله (ﷺ): «**لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض**»[٣١٩]، وقال (تعالى): ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾ الحجرات: ٩] فقد وصف الله الطائفتين المقتتلين بالإيمان، فدل ذلك على أن وصف الكفر بهذا لا ينقل عن الملة، وذلك هو الكفر الأصغر، يقول ابن القيم: والقصد أن المعاصي كلها من نوع الكفر الأصغر، فإنها ضد الشكر الذي هو العمل بالطاعة[٣٢٠].

---

(٣١٥) مسند أحمد (٤/ ٣٦٢).
(٣١٦) ظاهرة الغلو في الدين ص(٢٣١- ٢٣٧).
(٣١٧) مدارج السالكين (١/ ٢٣٧).
(٣١٨) مسلم (١/ ٢٠٩) رقم : (٢٣٣).
(٣١٩) مسلم (١/ ٨٢) رقم: (٦٦).
(٣٢٠) مدارج السالكين (١/ ٢٥٣).

القاعدة الثالثة: تفاوت البدع:

لقد ذم الإسلام البدع بجميع أنواعها، وردها على صاحبها: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»[٣٢١]، وقال (ﷺ): «إن أحسن الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد (ﷺ)، وشر الأمور محدثاتها»[٣٢٢]، غير أن بعض الناس قد وقعوا في البدعة لغلبة أهوائهم، وسيطرة الشبهات عليهم فاستحقوا بذلك الذم غير أنهم متفاوتون في الإثم لتفاوت البدع فمثلاً: بدعة التكفير ليست كبدعة صوم النصف من شعبان، فقبل إصدار أي حكم ينبغي النظر إلى البدعة والمبتدع الجاهل المقلد غير الداعية فلا يستوي الأول والثاني، كذلك المجاهر والمسر.

القاعدة الرابعة: للتكفير شروط وموانع:

هذه القاعدة من أهم القواعد، وقد تخفي على كثير، فينبغي التنبه لها، ومراعاتها في كل حكم، فقد يرتكب المرء ذنبًا هو كفر، وقد يقول قولاً هو كفر، وقد يعتقد اعتقادًا هو كفر، فهل بمجرد اقترافه لهذا القول أو الفعل أو الاعتقاد يصبح كافرًا حلال الدم والمال؟

أجاب العلماء بأن هذا الشخص المعين لا يكون كافرًا حلال الدم والمال إلا إذا توفرت فيه عدة شروط، وانتفت عنه عدة موانع، حينئذ يجوز الحكم عليه بالكفر، أما إذا انتفى أي شرط أو وجد أي مانع فلا يجوز أن يحكم عليه بالكفر، وليس معنى هذا إعفاءه من العقوبة تمامًا، بل يعاقب على حسب حاله، إنما الممنوع الحكم عليه بالكفر لا مطلق العقوبة.

شروط التكفير:

هناك شروط ثلاثة لا بد من اجتماعها فيمن عمل عملاً يستحق عليه الوعيد كاللعن والكفر، وإذا سقط شرط منها فيمتنع لعن الشخص وتكفيره وهذه الشروط هي:

الشرط الأول: العلم: فلكي يحكم على شخص بالكفر لأنه عمل عملاً، أو قال قولاً، واعتقد اعتقادًا هو كفر، لا بد قبل الحكم من التأكد من معرفة هذا الشخص بأن ما يفعله كفر، وأنه مخالف لما يجب فعله من الحق والصواب، فإذا كان جاهلاً بالحق والصواب فلا تشرع عقوبته قبل بيان الحق والصواب بيانًا شافيًا، فالله (سبحانه وتعالى) لم يشرع العقوبة قبل إقامة الحجة[٣٢٣]، قال (عز وجل): ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥]، وقال (تعالى): ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٦٥] وقال (تعالى): ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا﴾ [القصص: ٥٩].

---

(٣٢١) البخاري (٣/ ٢) رقم: (٢٦٩٧).
(٣٢٢) البخاري رقم: (٧٢٧٧).
(٣٢٣) ظاهرة الغلو في الدين ص(٢٦٥- ٢٦٧).

قال (تعالى): ﴿كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ * قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ﴾ [الملك: ٨-٩] وقال (تعالى): ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَى﴾ [طه: ١٣٤] فهذه النصوص القرآنية تفيد أن الله (تعالى) لا يؤاخذ عباده إلا بعد قيام الحجة عليهم، وعلمهم بالحق والصواب، وقد ثبت في نصوص أخرى أن الله لا يؤاخذ الجاهل، ولو كان جهله بمسائل في العقيدة(٣٢٤)، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي (ﷺ) قال: «**كان رجل يسرف على نفسه، فلما حضره الموت قال لبنيه: إذا أنا مت فأحرقوني، ثم اطحنوني، ثم ذروني في الريح، فوالله لئن قدر الله علي ليعذبني عذابًا ما عذبه أحدًا، فلما مات فعل به ذلك، فأمر الله الأرض فقال: اجمعي ما فيك منه، ففعلت، فإذا هو قائم، فقال: ما حملك على ما صنعت؟ قال: يا رب خشيتك، فغفر له**»(٣٢٥)، وفي رواية: «**مخافتك يا رب**».

هذا الحديث متواتر عن النبي (ﷺ)، رواه أصحاب الحديث والأسانيد من حديث أبي سعيد، وحذيفة وعقبة بن عمرو، وغيرهم عن النبي (ﷺ) من وجوه متعددة، يعلم أهل الحديث أنها تفيد العلم اليقيني، وإن لم يحصل ذلك لغيرهم ممن لم يشركهم في أسباب العلم، فهذا الرجل كان قد وقع له الشك والجهل في قدرة الله (تعالى) على إعادة ابن آدم، بعدما أحرق وذرى، وعلى أنه يعيد الميت ويحشره إذا فعل به ذلك، وهذان أصلان عظيمان:

أحدهما: متعلق بالله (تعالى)، وهو الإيمان بأن الله على كل شيء قدير.

والثاني: متعلق باليوم الآخر، وهو الإيمان بأن الله يعيد هذا الميت ويجزيه على أعماله.

مع هذا فلما كان مؤمنًا بالله في الجملة، ومؤمنًا باليوم الآخر في الجملة، وهو أن الله يثيب ويعاقب بعد الموت، وقد عمل صالحًا، وهو خوفه من الله أن يعاقبه على ذنوبه، غفر الله له بما كان منه في الإيمان بالله واليوم الآخر، والعمل الصالح(٣٢٦)، والأدلة من السنة كثيرة.

الشرط الثاني: العمد: بعد استيفاء شرط العلم، وبيان دليل الحق والصواب للمخالف، والتأكد من وصوله إليه، إن ظل على فعله أو قوله أو اعتقاده الذي يجلب الكفر أو اللعن، لا يجوز الحكم عليه بالكفر إلا بعد استيفاء شرط آخر، وهو العمد، فنرى هل تعمد نصرة القول الباطل، ومخالفة الحق بعد وصوله إليه ووضوحه أو هو مخطئ متأول قد عرضت له بعض الشبه؟ لا بد من توفر شرط العمد، لأن الله (تعالى) قد رفع الإثم والمؤاخذة عن المخطئ والمتأول(٣٢٧)، قال (تعالى): ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَكِن مَّا تَعَمَّدَتْ

---

(٣٢٤) ظاهرة الغلو في الدين ص(٢٦٧).

(٣٢٥) البخاري رقم: (٣٤٧٨).

(٣٢٦) الفتاوى (١٢/ ٤٩١)، الفصل في الملل والنحل لابن حزم (٣/ ٢٩٦).

(٣٢٧) ظاهرة الغلو في الدين ص(٢٧٠).

قُلُوبُكُمْ﴾ [الأحزاب: ٥]، وقال (سبحانه): ﴿رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦] وقد ثبت عن أبي هريرة عن النبي (ﷺ): «أن الله (تعالى) قال: قد فعلت»، لما دعا النبي (ﷺ) والمؤمنون بهذا الدعاء، وقد قال (ﷺ): «أعطيت فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش، وأنه لم يقرأ بحرف منها إلا أعطيتها»[٣٢٨]، وقال (ﷺ): «إن الله تجاوز لي عن أمتي الخطأ والنسيان»[٣٢٩]، وقال ابن تيمية: وذلك يعم الخطأ في المسائل الخبرية القولية والمسائل العملية، وما زال السلف يتنازعون في كثير من هذه المسائل، ولم يشهد أحد منهم على أحد لا بكفر ولا بفسق ولا بمعصية[٣٣٠].

الشرط الثالث: الاختيار والقدرة:

إذا علم المرء الحق وقال بخلافه ولم يكن متأولاً هل يكفي ذلك للحكم عليه؟ هنا ننتقل إلى الشرط الثالث، فننظر في حال هذا الشخص، وهل قال هذا القول الباطل وهو مختار قادر أو لا؟ وهذا الشرط لا بد من توفره؛ لأن النصوص والوقائع بينت أن الله (تعالى) لا يؤاخذ المكره والعاجز عن الاختيار[٣٣١]، قال (تعالى): ﴿مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النحل: ١٠٦].

موانع التكفير المعين: الخطأ والجهل والعجز والإكراه[٣٣٢]:

موانع لحوق الوعيد بالشخص المعين:

قد بين ابن تيمية (رحمه الله) أن موانع لحوق الوعيد بالشخص المعين عشرة هي: التوبة والاستغفار، الحسنات الماحية، دعاء المؤمنين، ما يعمل للميت من دعاء البر، شفاعة النبي وغيره في أهل الذنوب يوم القيامة، المصائب التي يكفر الله بها الخطايا في الدنيا، ما يحصل في القبر من الفتنة والضغطة والروعة فإن هذا مما يكفر الله به الخطايا، أهوال يوم القيامة وكربها وشدائدها، رحمة الله وعفوه ومغفرته بلا سبب من العباد، تلك أسباب عشرة تمنع من لحوق الوعيد بالشخص المعين إذا تلبس ما يوجب الوعيد[٣٣٣]، فإذا عدمت هذه الأسباب كلها ولن تعدم إلا في حق من عتا وتمرد، وشرد على الله شراد البعير على أهله فهنالك يلحق الوعيد به، فإن قيل فما فائدة الوعيد إذًا؟ فالإجابة: ذلك أن حقيقة الوعيد بيان أن هذا العمل سبب في هذا العذاب فيستفاد من ذلك تحريم الفعل وقبحه، أما إن كل شخص قام به

(٣٢٨) مسلم رقم: (١٧٣، ٨٠٦).

(٣٢٩) سنن ابن ماجة رقم: (٢٠٤٣)، صححه الألباني في صحيح ابن ماجه (١/٣٤٧).

(٣٣٠) الفتاوى (٣/٢٢٩).

(٣٣١) ظاهرة الغلو في الدين ص(٢٧٤).

(٣٣٢) منهج ابن تيمية في مسألة التكفير (٢/ ٢٣٠- ٢٦٦).

(٣٣٣) ظاهرة الغلو في الدين ص(٢٨١- ٢٨٤).

ذلك السبب يجب وقوع ذلك المسبب به، فهـذا باطل قطعًا، لتوقف ذلك المسبب على وجود الشرط وزوال جميع الموانع[٣٣٤].

معنى من لم يكفر الكافر فهو كافر:

من العبارات التي اشتـهرت على ألسنة من يلهبون الناس بسياط التـكفير قولهم: من لم يكفر الكافر فهو كافر، وجعلوا هذه القاعدة مسـوغًا لتكفير من يخالفهم في رأيهم، وحقيقة إن هؤلاء الناس لم يحسنوا إنزال هذا القـول منزله، ولم يجيدوا فهمـه، فالمراد بالكافر الذي من لا يكفره يكون مثله، هو الشخص المقطوع بكفره الذي توفرت فيه جميع الشروط وانتفت عنه جميع الموانع، ومن كـان كافرًا من البداية ولم يدخل في الإسلام أبدًا مـثل فرعون، أبي جهل، أبي لهب، ماركس... إلخ فمن لم يكفر هؤلاء وأمثالهم فهو مثلهم، وأما الشخص الخفي حاله لإظهاره الإسـلام مثلاً وإبطانه الكفر وكراهيته الإسـلام، فمثل هذا الشخص من اطلع على حاله وعرف حقيقته في مجالسه الخاصة وللقرب منه، وتحقق من وجود الشروط، وانتفاء الموانع وجب عليه اعـتقاد تكفيره، ومن لم يطلع، وشهـد له بالإسلام، فلا إثم عليه لأنه شهد بما علمه، ولنا الظاهر والله يتولى السرائر، وقد كان المنافقون يعاملون بما يعامل به المسلمون لأنهم كانوا يظهرون الإسلام ولا يعلنون كـفرهم بل يبطنونه، وقد دلت أعمال أئمة السلف على أن المراد بالكافـر هو المقطوع بكفره لا المختلف فـيه، إذ المختلف في تكفـيره لا يكفر من لم يكـفره ودليل ذلك: أن الإمام أحـمد كان يرى كـفر تارك الصلاة وكـان الأئمة الثلاثة لا يرون كفره وقد دارت مناقشة بين الإمـام الشافعي والإمام أحمد حول هذه المسألة، فهل حكم أحمد على الشافعي بالكفر لـعدم تكفيره تارك الصلاة؟ بالطبع لا، وقد حقق ابن تيميـة ما نسب إلى الإمام أحـمد من المحكم على من لا يكفر أهل البدع، فـقال: وعنه في تكفيـر من لا يكفر روايتان أصـحهمـا: لا يكفر[٣٣٥]، وهذا في حق من لـم يكفـر الكافـر المختلف في كفره، أما المقطوع بكفره فلا، ومـا نسب إلى الشيخ محمد بن عبد الوهاب من تكفير من لا يـستحق ذلك، فهذه نبـذة في أقواله توضح منهجه في الدعـوة، وينفي بها عن نفسه ما نسب إليـه زورًا وبهتانًا من تكفير من لا يستحق ذلك، قال (رحـمه الله) في رسالته للشريف: وأما الكذب والبـهتان مثل قولهم: أنكفر بالعمـوم، ونوجب الهجرة إلينا على من قدر إظهار دينه، وإنا نكفر من لم يكفر ومن لم يقاتل ومثل هذا وأضعاف أضعافه، وكل هذا من الكذب والبهتان الذي يصدون به النـاس عن دين الله ورسوله، وإذا كنا لا نكفر من عبد الصنم الذي على عبـد القادر، والصنم الذي على أحمد البـدوي، وأمثالهمـا لأجل جهلهم وعدم من ينبـههم، فكيف نكفر من لم يشـرك بالله إذا لم يهاجر إلينا ولم يكفـر، ويقاتل؟ سبـحانك هذا بهـتان عظيم[٣٣٦]، وفي رده في رسالتـه إلى السويدي البغدادي يقـول: وما

(٣٣٤) الفتاوى (٢٠/ ٢٥٤- ٢٥٥).

(٣٣٥) الفتاوى (١٢/ ٤٨٦).

(٣٣٦) مصباح الظلام، عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ ص(٤٣).

ذكرت أني أكفر جميع الناس إلا من اتبعني وأزعم أن أنكحتهم غير صحيحة، فيا عجبًا، فكيف يدخل هذا عقل عاقل؟ هل يقول هذا مسلم أو كافر أو عارف أو مجنون؟ إلى أن قال: وأما التكفير: فأنا أكفر من عرف دين الإسلام ثم بعدما عرفه سبه، ونهى الناس عنه وعادى من فعله وهذا هو الذي أكفره، وأكثر الأمة ولله الحمد ليسوا كذلك(٣٣٧).

تلك قواعد هامة ينبغي مراعاتها قبل النظر في مسألة التكفير، وهي قواعد اتفق عليها العلماء واعتبروها في أحكامهم، لذلك عصمتهم من الزلل، ووقتهم من السقوط في هاوية التكفير، وثبتتهم على الصراط المستقيم، والطريق السوي، والسبيل القويم الذي لا عوج فيه ولا انحراف، ومن أراد المزيد في بحث هذه المسألة فليراجع منهج ابن تيمية في مسألة التكفير للدكتور عبد المجيد المشعبي، وظاهرة التكفير للأمين الحاج محمد أحمد، وظاهرة الغلو في الدين في العصر الحديث لمحمد عبد الحكيم حامد، والغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة لعبد الرحمن بن معلا اللويجف، وشبهات حول الفكر الإسلامي المعاصر، سالم البهنساوي، الحكم وقضية تكفير المسلم، لسالم البهنساوي.

●●●

---

(٣٣٧) المصدر نفسه ص(٤٣).

المبحث الثاني
أمير المؤمنين علي وفكر الشيعة

أولاً: الشيعة في اللغة والاصطلاح، الرفض في اللغة والاصطلاح:

١- الشيعة في اللغة:

شيعة الرجل: أتباعه وأنصاره ويقال: شايعه كما يقال: والاه من الولي... وتشيع الرجل أي: ادعى دعوى الشيعة، وتشايع القوم صاروا شيعًا، وكل قوم أمرهم واحد يتبع بعضهم رأي بعض فهم شيع، وقوله (تعالى): ﴿كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ﴾ [سبأ: ٥٤] أي بأمثالهم من الأمم الماضية(٣٣٨) وجاء في المصباح المنير: والشيعة الأتباع والأنصار، وكل قوم اجتمعوا على أمر فهم شيعة، ثم صارت الشيعة نبزًا- أي وصفًا- بجماعة مخصوصة والجمع شيع مثل سدرة وسدر والأشياع جمع الجمع وشيعت رمضان بست من شوال أتبعته بها(٣٣٩) فالشيعة: من حيث مدلولها اللغوي تعني: القوم والصحب والأتباع والأعوان، وقد ورد هذا المعنى في بعض آيات القرآن الكريم كما في قوله (تعالى): ﴿فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلانِ هَذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ﴾ [القصص: ١٥] وقوله (تعالى): ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ﴾ [الصافات: ٨٣] فلفظ الشيعة في الأولى تعني القوم، وفي الثانية: تشير إلى الأتباع الذين يوافقون على الرأي والمنهج ويشاركون فيهما.

٢- تعريف الشيعة في الاصطلاح:

إن تعريف الشيعة مرتبط أساسًا بأطوار نشأتهم، ومراحل التطور العقدي لهم، ذلك أن من الملحوظ أن عقائد الشيعة وأفكارها في تغير وتطور مستمر، فالمتشيع في العصر الأول غير المتشيع فيما بعده، ولهذا كان في الصدر الأول لا يسمى شيعيًا إلا من قدم عليًا على عثمان، ولذلك قيل: شيعي وعثماني، فالشيعي من قدم عليًا على عثمان(٣٤٠)، فعلى هذا يكون التعريف للشيعة في الصدر الأول: أنهم الذين يقدمون عليًا على عثمان فقط(٣٤١)، ولهذا ذكر ابن تيمية: أن الشيعة الأولى الذين كانوا على عهد علي كانوا يفضلون أبا بكر وعمر(٣٤٢) وقد منع شريك بن عبد الله -وهو ممن يوصف بالتشيع- إطلاق اسم التشيع على

---

(٣٣٨) الصحاح للجوهري، ولسان العرب: شيع.
(٣٣٩) المصباح المنير: شيع.
(٣٤٠) أصول الشيعة الإمامية (١/ ٦٤).
(٣٤١) فتاوى ابن تيمية (٣/ ١٥٣)، فتح الباري (٧/ ٣٤).
(٣٤٢) منهاج السنة (٢/ ٦٠).

من يفضل عليًّا على أبي بكر وعمر، وذلك لمخالفته لما تواتر عن علي في ذلك، والتشيع يعني المناصرة والمتابعة لا المخالفة والمنابذة[٣٤٣]، وروي ابن بطة عن شيخه المعروف بأبي العباس بن مسروق قال: حدثنا محمد بن حميد، حدثنا جرير، عن سفيان، عن عبد الله بن زياد بن جرير قال: قدم أبو إسحاق السبيعي الكوفة، قال لنا شهر بن عطية: قوموا إليه، فجلسنا إليه، فتحدثوا ، فقال أبو إسحاق: خرجت من الكوفة وليس أحد يشك، في فضل أبي بكر وعمر وتقديمهما، وقدمت الآن وهم يقولون، ولا والله ما أدري ما يقولون[٣٤٤]، قال محب الدين الخطيب: هذا نص تاريخي عظيم لتحديد تطور التشيع ، فإن أبا إسحاق السبيعي كان شيخ الكوفة وعالمها[٣٤٥]. ولد في خلافة أمير المؤمنين عثمان قبل شهادته بثلاث سنين، وعمّر حتى توفي سنة (١٢٧هـ) وكان طفلاً في خلافة أمير المؤمنين علي، وهو يقول عن نفسه: رفعني أبي حتى رأيت علي بن أبي طالب يخطب، أبيض الرأس واللحية، ولو عرفنا متى فارق الكوفة، ثم عاد فزارها، لتوصلنا إلى معرفة الزمن الذي كان فيه شيعة الكوفة يرون ما يراه إمامهم من تفضيل أبي بكر، وعمر، ومتى أخذوا يفارقون عليًّا ويخالفونه فيما كان يؤمن من يؤمن به، ويلعنه على منبر الكوفة من أفضلية أخويه، صاحبي رسول الله (ﷺ) ووزيريه وخليفتيه على أمته في أنقى وأطهر أزمانها[٣٤٦]، وقال ليث بن أبي سليم : أدركت الشيعة الأولى وما يفضلون على أبي بكر وعمر أحدًا[٣٤٧]، وذكر صاحب مختصر التحفة: إن الذين كانوا في وقت خلافة الأمير رضي الله عنه من المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان، كلهم عرفوا له حقه، وأ حلوه من الفضل محله، ولم ينتقضوا أحدًا من إخوانه أصحاب رسول الله (ﷺ) عن إكفاره وسبه[٣٤٨]، ولكن لم يظل التشيع بهذا النقاء والصفاء، والسلامة والسمو، بل إن مبدأ التشيع تغير. فأصبحت الشيعة شيعًا وصار التشيع قناعًا يتستر به كل من أراد الكيد للإسلام والمسلمين من الأعداء الموتورين الحاسدين . . ولهذا نسمي الطاعنين بالشيخين الرافضة، لأنهم لا يستحقون وصف التشيع[٣٤٩]، ومن عرف التطور العقدي لطائفة الشيعة لا يستغرب وجود طائفة من أعلام المحدثين، وغير المحدثين من العلماء والأعلام أطلق عليهم لقب الشيعة، وقد يكونون من أعلام السنة، لأن التشيع في زمن السلف مفهومًا وتعريفًا غير المفهوم والتعريف المتأخر للشيعة ولهذا قال الذهبي في معرض الحديث عمن رمي ببدعة التشيع، أو قال: إن البدعة

---

(٣٤٣) أصول الشيعة الإمامية الاثنى عشرية (١/ ٦٥).
(٣٤٤) المنتقى ص(٣٦٠).
(٣٤٥) انظر ترجمته في تهذيب التهذيب (٨/ ٦٣) الخلاصة ص(٢٩١).
(٣٤٦) حاشية المنتقى ص(٣٦٠- ٣٦١).
(٣٤٧) المنتقى ص(٣٦٠- ٣٦١).
(٣٤٨) مختصر التحفة الاثنى عشرية ص(٣).
(٣٤٩) أصول الشيعة الإمامية الاثنى عشرية (١/ ٦٦، ٦٧).

على ضربين، فبدعة صغرى، كغلو التشيع، أو كالتشيع بلا غلو، فهذا كثير في التابعين، وأتباعهم مع الدين والورع والصدق، فلو رد حديث هؤلاء لذهب جملة من الآثار النبوية، وهذه مفسدة بينة، ثم بدعة كبرى كالرفض الكامل، والغلو فيه، والحط على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، والدعاء إلى ذلك، فهذا النوع لا يحتج بهم ولا كرامة أيضًا فما أستحضر الآن في هذا الضرب رجلاً صادقًا، ولا مأمونًا، بل الكذب شعارهم، والتقية والنفاق دثارهم، فكيف يقبل نقل من هذا حاله، حاشا وكلا، فالشيعي الغالي في زمان السلف وعرفهم هو من تكلم في عثمان والزبير وطلحة ومعاوية، وطائفة ممن حارب عليًا رضي الله عنه وتعرض لسبهم والغالي في زماننا وعرفنا هو الذي يكفر هؤلاء السادة ويتبرأ من الشيخين فهذا ضال مفتر[٣٥٠]، وإذًا التشيع درجات، وأطوار، ومراحل، كما أنه فرق وطوائف، وقبل أن ندع الحديث حول تعريف الشيعة نشير إلى أنه يلحظ على تعريفات الشيعة الواردة في معظم كتب المقالات، أنها دأبت على القول في التعريف للشيعة الإمامية بأنهم أتباع علي... إلخ.

وهذا يؤدي إلى نتيجة خاطئة تخالف إجماع الأمة كلها هذه النتيجة أن يكون علي شيعيًا يرى ما يراه الشيعة، وعلي رضي الله عنه بريء مما تعتقده الشيعة فيه وفي بنيه ولذلك لا بد من وضع قيد واحتراز في التعريف رفعًا للإبهام، فيقال: هم الذين يزعمون اتباع علي، حيث إنهم لم يتبعوا عليًا على الحقيقة، وليس أمير المؤمنين على ما يعتقدون[٣٥١]، أو يقال: بأنهم المدعون التشيع لعلي، أو الرافضة، ولذلك عبر عنهم بعض أهل العلم بقوله: الرافضة المنسوبون إلى شيعة علي[٣٥٢]، فهم أيضًا ليسوا على منهج شيعة علي المتبعين له، بل هم أدعياء ورافضة[٣٥٣].

٣- الرفض في اللغة:

هو الترك يقال: رفضت الشيء: أي تركته[٣٥٤] فالرفض في اللغة معناه الترك والتخلي عن الشيء.

٤- الرافضة في الاصطلاح:

هي إحدى الفرق المنتسبة للتشيع لآل البيت، مع البراءة من أبي بكر وعمر وسائر أصحاب النبي (ﷺ) إلا القليل منهم، وتكفيرهم لهم وسبهم إياهم[٣٥٥] قال الإمام أحمد

---

(٣٥٠) ميزان الاعتدال للذهبي (١/ ٥ ـ ٦)، لسان الميزان (١/ ٩-١٠).
(٣٥١) أصول الشيعة الإمامية الاثني عشرية (١/ ٦٨).
(٣٥٢) منهاج السنة (٢/ ١٠٦).
(٣٥٣) أصول الشيعة الإمامية الاثني عشرية (١/ ٦٩).
(٣٥٤) القاموس المحيط للفيروزأبادي (٢/ ٣٣٢)و مقاييس اللغة (٢/ ٤٤٢).
(٣٥٥) الانتصار للصحب والآل ص(٢٥).

(رحمه الله): الرافضة هم الذين يتبرؤون من أصحاب محمد رسول الله (ﷺ) ويسبونهم وينتقصونهم[٣٥٦]، وقال عبد الله بن أحمد (رحمه الله): سألت أبي عن الرافضة؟ فقال: الذين يشتمون -أو يسبون- أبا بكر وعمر رضي الله عنهما[٣٥٧]، وقال أبو القاسم التيمي الملقب بقوام السنة في تعريفهم: وهم الذين يشتمون أبا بكر وعمر رضي الله عنهما ورضي عن محبهما[٣٥٨]، وقد انفردت الرافضة من بين الفرق المنتسبة للإسلام بمسبة الشيخين أبي بكر وعمر، دون غيرها من الفرق الأخرى، وهذا من عظيم خذلانهم قاتلهم الله[٣٥٩]، يقول ابن تيمية (رحمه الله): فأبو بكر وعمر أبغضتهما الرافضة ولعنتهما، دون غيرهم من الطوائف[٣٦٠]، وقد جاء في كتب الرافضة ما يشهد لهذا: وهم جعلهم محبة الشيخين وتوليهما من عدمهما هي الفارق بينهم وبين غيرهم ممن يطلقون عليهم النواصب، فقد روى الدرازي عن محمد بن علي بن موسى قال كتبت إلى علي بن محمد عليه السلام[٣٦١] عن الناصب هل يحتاج في امتحانه إلى أكثر من تقديمه الجبت والطاغوت[٣٦٢]، واعتقاد إمامتهما؟ فرجع الجواب: من كان على هذا فهو ناصب[٣٦٣].

٥- سبب تسميتهم رافضة:

يرى جمهور المحققين أن سبب إطلاق هذه التسمية على الرافضة ، لرفضهم زيد بن علي وتفرقهم عنه بعد أن كانوا في جيشه، حين خروجه على هشام بن عبد الملك، ، في سنة إحدى وعشرين ومائة وذلك بعد أن أظهروا البراءة من الشيخين فنهاهم عن ذلك، يقول أبو الحسن الأشعري: وما كان زيد بن علي يفضل علي بن أبي طالب على سائر أصحاب رسول الله (ﷺ) ويتولى أبا بكر وعمر، ويرى الخروج على أئمة الجور، فلما ظهر في الكوفة في أصحابه الذين بايعوه سمع من بعضهم الطعن في أبي بكر وعمر، فأنكر ذلك على من سمعه منه فتفرق عنه الذين بايعوه فقال لهم: رفضتموني. فيقال: إنهم سموا رافضة لقول زيد لهم: رفضتموني[٣٦٤]، وبهذا القول قال قوام السنة[٣٦٥]، والرازي[٣٦٦]،

---

(٣٥٦) طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى (١/ ٣٣).

(٣٥٧) السنة للخلال رقم: (٧٧٧)، وقال المحقق: إسناده صحيح.

(٣٥٨) الحجة في بيان المحجة (٢/ ٤٧٨). (٣٥٩) الانتصار للصحب والآل ص(٢٦).

(٣٦٠) مجموع الفتاوي (٤/ ٤٣٥).

(٣٦١) هو أحد الأئمة الاثنى عشرية عند الإمامية، وفيات الأعيان (٣/ ٢٧٢).

(٣٦٢) يعنون بهما: أبا بكر وعمر رضي الله عنهما كما جاء ذلك في تفسير العياشي (١/ ٢٤٦)، وهو من أهم كتب التفسير عندهم، عند قوله (تعالى): ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ [النساء: ٥١].

(٣٦٣) المحاسن النفسانية لمحمد آل عصفور الدرازي ص(١٤٥).

(٣٦٤) مقالات الإسلاميين (١/ ٣٧). (٣٦٥) الحجة في بيان المحجة (٢/ ٤٧٨).

(٣٦٦) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص(٥٢).

والشهرستاني[٣٦٧] وابن تيمية[٣٦٨] (رحمهم الله) وذهب الأشعري في قول آخر: إلى أنهم سموا بالرافضة لرفضهم إمامة الشيخين، قال: وإنما سموا رافضة لرفضهم إمامة أبي بكر وعمر[٣٦٩].

٦- رافضة اليوم:

والرافضة اليوم يغضبون من هذه التسمية ولا يرضونها، ويرون أنها من الألقاب التي ألصقها بهم مخالفوهم، يقول محسن الأمين: الرافضة لقب ينبذ به من يقدم عليًا رضي الله عنه في الخلافة وأكثر ما يستعمل للتشفي والانتقام[٣٧٠]، ولهذا يتسمون اليوم الشيعة وقد اشتهروا بهذه التسمية عند العامة وقد تأثر بذلك بعض الكتاب والمثقفين، فنجدهم يطلقون عليهم هذه التسمية، وفي الحقيقة أن الشيعة مصطلح عام يشمل كل من شايع عليًا رضي الله عنه[٣٧١]، وقد ذكر أصحاب الفرق والمقالات أنهم ثلاثة أصناف:

أ- غالية: وهم الذين غلوا في علي وادعوا فيه الألوهية أو النبوة.

ب- ورافضة: وهم الذين يدعون النص على استخلاف علي ويتبرؤون من الخلفاء قبله وعامة الصحابة.

جـ- وزيدية: وهم أتباع زيد بن علي، الذين كانوا يفضلون عليًا على سائر الصحابة ويتولون أبا بكر وعمر[٣٧٢]، فإطلاق الشيعة على الرافضة من غير تقييد لهذا المصطلح غير صحيح، لأن هذا المصطلح يدخل فيه الزيدية[٣٧٣]، وهم يتولون أبا بكر وعمر رضي الله عنهما، بل إن تسميتهم بالشيعة يوهم التباسهم بالشيعة القدماء الذين كانوا في عهد علي رضي الله عنه ومن بعدهم فإن هؤلاء مجمعون على تفضيل الشيخين على علي رضي الله عنه وإنما كانوا يرون تفضيل علي على عثمان وهؤلاء كان فيهم كثيرًا من أهل العلم ومن هو منسوب إلى الخير والفضل ويقول ابن تيمية (رحمه الله): ولهذا كانت الشيعة المتقدمون الذين صحبوا عليا، أو كانوا في ذلك الزمان، لم يتنازعوا في تفضيل أبي بكر وعمر، وإنما كان نزاعهم في تفضيل علي وعثمان[٣٧٤]، ولذا فإن تسمية «الرافضة» بالشيعة من الأخطاء البينة الواضحة التي وقع فيها بعض المعاصرين تقليدًا للرافضة في سعيهم للتخلص من هذا الاسم لما رأوا من كثرة ذم السلف لهم، ومقتهم إياهم، فأرادوا التخلص من ذلك الاسم تمويهًا

---

(٢٦٧) «الملل والنحل» (١/ ١٥٥).

(٣٦٨) منهاج السنة (١/ ٨)، مجموع الفتاوي (١٣/ ٣٦).

(٣٦٩) مقالات الإسلاميين (١/ ٨٩).

(٣٧٠) أعيان الشيعة (١/ ٢٠).

(٣٧١) مقالات الإسلاميين (١/ ٦٥)، الملل والنحل للشهرستاني (١/ ١٤٤).

(٣٧٢) المصدر نفسه (١/ ٣٧، ٦٦، ٨٨) المصدر نفسه (١/ ٢٥).

(٢٧٣) الانتصار للصحب والآل ص(٢٩).

(٣٧٤) منهاج السنة(١/ ١٣).

وتدليسًا على من لا يعرفهم بالانتساب إلى الشيعة على وجه العموم، فكان من آثار ذلك ما وقع فيه بعض الطلبة المبتدئين ممن لم يعرفوا حقيقة هذه المصطلحات من الخلط الكبير بين أحكام الرافضة وأحكام الشيعة، لما تقرر عندهم إطلاق مصطلح التشيع على الرافضة، فظنوا أن ما ورد في كلام أهل العلم المتقدمين في حق الشيعة أنه يتنزل على الرافضة في حين أن أهل العلم يفرقون بينهما في كافة أحكامهم[٣٧٥]، وعليه فإن من الواجب، أن يسمى هؤلاء الروافض بمسماهم الحقيقي الذي اصطلح عليه أهل العلم وعدم تسميتهم بالشيعة على وجه الإطلاق، لما في ذلك من اللبس والإبهام، وإذا ما أطلق عليهم مصطلح «التشيع» فينبغي أن يقيد بما يدل عليهم خاصة، كأن يقال «الشيعة الإمامية» إو «الشيعة الاثنى عشرية» على ما جرت بذلك عادة العلماء عند ذكرهم [٣٧٦] والله (تعالى) أعلم.

ثانيا: نشأة الشيعة الرافضة وبيان دور اليهود في نشأتهم:

أول من دعا إلى أصول عقائد الشيعة الرافضة التي انبنت عليها عقائدهم الأخرى: رجل يهودي اسمه عبد الله بن سبأ من يهود اليمن، أسلم في عهد الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه وأخذ يتنقل بين أمصار المسلمين للدعوة لهذا المعتقد الفاسد، وهذا نص ما ذكره الطبري في تاريخه قال: كان عبد الله بن سبأ يهوديًا من أهل صنعاء أمه سوداء فأسلم زمان عثمان، ثم تنقل في بلدان المسلمين يحاول ضلالتهم فبدأ بالحجاز، ثم البصرة، ثم الكوفة، ثم الشام، فلم يقدر على ما يريد عند أحد من أهل الشام، فأخرجوه حتى أتى مصر فاعتمر فيهم فقال لهم فيما يقول: لعجب ممن يزعم أن عيسى يرجع، ويكذب بأن محمدًا يرجع وقد قال الله: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ﴾ [القصص: ٨٥]، فمحمد أحق بالرجوع منَ عيسَى، قال: فقبل ذلك عنه، ووَضع لهمُ الرجعة فتكلموا فيها، ثم قال لهم بعد ذلك: إنه كان ألف نبي ولكل نبي وصي، وكان علي وصي محمد، ثم قال: محمد خاتم الأنبياء، وعلي خاتم الأوصياء ثم قال لهم بعد ذلك: من أظلم ممن لم يجز وصية رسول الله (ﷺ) ووثب على وصي رسول الله (ﷺ) وتناول أمر الأمة، ثم قال لهم بعد ذلك: إن عثمان أخذها بغير حق، وهذا وصي رسول الله (ﷺ) فانهضوا في الأمر فحركوه، وابدؤوا الطعن على أمرائكم وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تستميلوا الناس وادعوهم إلى هذا الأمر، فبث دعاته وكاتب من كان استفسده في الأمصار وكاتبوه، ودعوه في السر إلى ما عليه رأيهم[٣٧٧]، وهكذا كانت بداية الرفض، وما زالت تلك العقائد التي دعا إليها ابن سبأ تسير في نفوس أناس من أهل الزيغ والضلال وتتشربها قلوبهم وعقولهم حتى كان من ثمارها مقتل الخليفة الراشد ذي النورين عثمان بن عفان رضي الله عنه على يد هذه الشرذمة الفاسدة حتى إذا ما جاء عهد علي بن أبي طالب بدأت تلك العقائد

---

(٣٧٥) الانتصار للصحب والآل ص(٣٠).

(٣٧٦) المصدر نفسه ص(٣٢).

(٣٧٧) تاريخ الطبري (٥/٣٤٧).

تظهر إلى الوجود أكثر من ذي قبل، إلى أن بلغت عليًا رضي الله عنه فأنكرها أشد ما يكون الإنكار وتبرأ منها ومن أهلها، ومما صح في ذلك عن علي رضي الله عنه ما رواه ابن عساكر عن عمار الدهني قال: سمعت أبا الطفيل يقول: رأيت المسيب بن نجبة أتى به ملببه يعني -ابن السوداء- وعلي على المنبر فقال علي ما شأنه؟ فقال: يكذب على الله ورسوله[٣٧٨]، وعن يزيد بن وهب عن علي قال: ما لي ولهذا الحميت[٣٧٩] الأسود[٣٨٠]، ومن طريق يزيد بن وهب أيضًا عن سلمة عن شعبة قال علي بن أبي طالب: ما لي ولهذا الحميت الأسود - يعني عبد الله بن سبأ- وكان يقع في أبي بكر وعمر[٣٨١]، وهذه الروايات ثابتة عن علي رضي الله عنه بأسانيد صحيحة[٣٨٢]، وحكى المؤرخون وأصحاب الفرق والمقالات: إن ابن سبأ ادعى الربوبية في علي رضي الله عنه -فأحرقه علي هو وأصحابه- بالنار[٣٨٣]، يقول الجرجاني: السبئية من الرافضة ينسبون إلى عبد الله بن سبأ وكان أول من كفر من الرافضة، وقال: علي رب العالمين، فأحرقه علي وأصحابه بالنار[٣٨٤]، ويقول الملطي في معرض حديثه عن السبئية: هم أصحاب عبد الله بن سبأ. قالوا لعلي رضي الله عنه: أنت، قال: ومن أنا؟ قالوا: الخالق الباري. فاستتابهم فلم يرجعوا، فأوقد لهم نارًا ضخمة وأحرقهم وقال مرتجزًا:

لما رأيت الأمر أمرًا منكرًا أججت ناري ودعوت قنبرا[٣٨٥]

وذهب بعض المؤرخين إلى أن عليًا رضي الله عنه لم يحرق ابن سبأ وإنما نفاه إلى المدائن. ثم ادعى بعد موت علي رضي الله عنه أن عليًا لم يمت، وقال لمن نعاه: لو جئتمونا بدماغه في سبعين صرة ما صدقنا موته[٣٨٦]، ولعل القول الأول هو الصحيح ويشهد له ما جاء في صحيح البخاري عن عكرمة قال: أتي علي رضي الله عنه بزنادقة فأحرقهم فبلغ ذلك ابن عباس فقال: لو كنت أنا لم أحرقهم لنهي رسول الله (ﷺ): «لا تعذبوا بعذاب الله» ولقتلتهم لقول رسول الله (ﷺ): «من بدل دينه فاقتلوه»[٣٨٧]، قال ابن حجر في شرح

---

(٣٧٨) تاريخ دمشق، الانتصار للصحب والآل ص(٣٥).
(٣٧٩) الحميت: هو وعاء سمن الذي متن بالرب، ويطلق على المتن من كل شيء، وفي حديث وحشي: كأنه حميت قال ابن حجر: «أي زق كبير وأكثر ما قال ذلك إذا كان مملوءًا» فتح الباري (٧/ ٣٦٨).
(٣٨٠) فتح الباري (٧/ ٣٦٨).
(٣٨١) فتح الباري (٧/ ٣٦٨).
(٣٨٢) عبد الله بن سبأ للعودة ص(٩٨)، الأسانيد حكم عليها الألباني.
(٣٨٣) الانتصار للصحب والآل ص(٣٦).
(٣٨٤) التعريفات ص(١٠٣).
(٣٨٥) التنبيه على أهل الأهواء والبدع ص(٨).
(٣٨٦) الفصل لابن حزم (٥/ ٣٦)، التبصير في الدين للإسفراييني.
(٣٨٧) البخاري، كتاب استتابة المرتدين رقم: (٦٩٢٢).

الحديث بعد أن ذكر بعض الروايات في هؤلاء المحرقين وفيها: أنهم أناس كانوا يعبدون الأصنام، وفي بعضها أنهم قوم ارتدوا عن الإسلام، وعلى اختلاف بين الروايات في تعيينهم قال بعد ذلك: وزعم أبو المظفر الإسفراييني في «الملل والنحل» أن الذين أحرقهم علي طائفة من الروافض ادعوا فيه الإلهية وهم السبئية، وكان كبيرهم عبد الله بن سبأ يهوديًا أظهر الإسلام، وابتدع هذه المقالة، وهذا يمكن أن يكون أصله ما رويناه . . . من حديث أبي طاهر المخلص من طريق عبد الله بن شريك العامري قال: قيل لعلي: إن هنا قومًا على باب المسجد يدعون أنك ربهم، فدعاهم: ويلكم ما تقولون؟ قالوا: أنت ربنا خالقنا ورازقنا[٣٨٨]، ثم ساق بقية الرواية وفيها: أن عليًا رضي الله عنه استتابهم ثلاثًا فلم يرجعوا، فحرقهم بالنار في أخاديد قد حفرت لهم وقال:

لما رأيت الأمر أمرًا منكرًا أججت ناري ودعوت قنبرا

قال ابن حجر: وهذا سند حسن[٣٨٩]، والمقصود هنا هو ظهور عقائد الشيعة الرافضة المتمثلة في الغلو في علي رضي الله عنه في تلك الفترة الزمنية، وإمعان علي رضي الله عنه في عقوبتهم حتى قال ابن عباس ما قال، كما ثبت إنكار علي رضي الله عنه لكل العقائد الأخرى التي ظهرت في عهده، وانتظمت في سلك التشيع له -كتفضيله على عامة الصحابة وتقديمه على الشيخين ـ وكان انتشار سب الصحابة والإزراء عليهم بين أولئك الضلال، قال ابن تيمية (رحمه الله) ولما أحدثت البدع الشيعة في خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ردها وكانت ثلاث طوائف غالية وسبابة، ومفضلة، فأما الغالية فإنه حرقهم بالنار فإنه خرج ذات يوم من باب كندة فسجد له أقوام فقال: ما هذا؟ فقالوا: أنت هو الله فاستتابهم ثلاثًا فلم يرجعوا ، فأمر في الثالث بأخاديد فخدت وأضرم فيها النار، ثم قذفهم فيها. . . وأما السبابة: فإنه لما بلغه من سب أبا بكر وعمر طلب قتله، فهرب منه إلى قرقيسيا وكلم فيه أمراءه، وكان علي يداري أمراءه، لأنه لم يكن متمكنًا ولم يكن يطيعونه في كل ما يأمرهم به، وأما المفضلة: فقال: لا أوتي بأحد يفضلني على أبي بكر وعمر إلا جلدته حد المفترين فقال : وروي عنه من أكثر من ثمانين وجهًا أنه قال: خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر[٣٩٠]، وعلى كل حال فعقائد الرافضة مع ظهورها في عهد علي رضي الله عنه إلا أنها بقيت محصورة في أفراد لا تمثلها طائفة أو فرقة، حتى انقضى عهد علي رضي الله عنه وهي على تلك الحال، وقد أفرد الدكتور سعدي الهاشمي عقيدة ابن سبأ والبدع التي نادى بها في رسالته «ابن سبأ حقيقة لا خيال»، وذكرها في كتابه «الرواة الذين تأثروا بابن سبأ» وأهم البدع التي نادى بها ابن سبأ: القول بالوصية، وهو أول من قال بوصية رسول الله (ﷺ) لعلي، وأنه خليفته على أمته من بعده بالنص، وأول من أظهر البراءة من أعداء علي

---

(٣٨٨) فتح الباري (١٢/ ٢٧٠).

(٣٨٩) فتح الباري (١٢/ ٢٧٠).

(٣٩٠) مجموع الفتاوي (٣٥/ ١٨٤- ١٨٥).

رضي الله عنه بزعمه، وكاشف مخالفيه، وحكم بكفرهم، وأول من قال بألوهية وربوبية علي رضي الله عنه، وكان أول من ادعى النبوة من فرق الشيعة الغلاة، وكان أول من أحدث القول برجعة علي رضي الله عنه إلى الدنيا بعد موته وبرجعة رسول الله (ﷺ)، وأول من ادعى أن عليًا رضي الله عنه هو دابة الأرض، وأنه هو الذي خلق الخلق وبسط الرزق، وقالت السبئية: إنهم يموتون وإنما يطيرون بعد مماتهم وسموا بالطيارة، وقال قوم منهم -السبئية- بانتقال روح القدس في الأئمة، وقالوا: بتناسخ الأرواح، وقالت السبئية: هدينا لوحي ضل عنه الناس، وعلم خفي عنهم، وقالوا: إن عليًا في السحاب، وإن الرعد صوته، والبرق سوطه، هذه أبرز البدع التي كان يعتقد بها ابن سبأ وأتباعه وصاروا بها من الغلاة[٣٩١].

إن فرق الشيعة الرافضة ، كفكر وعقيدة لم تولد فجأة، بل إنها أخذت طورًا زمنيًا، ومرت بمراحل، ولكن طلائع العقيدة الشيعية الرافضة وأصل أصولها ظهرت على يد السبئية باعتراف كتب الشيعة التي قالت بأن ابن سبأ أول من شهد بالقول بفرض إمامة علي، وأن عليًا وصي محمد -كما مر- وهذه عقيدة النص على علي بالإمامة، وهي أساس التشيع الرافضي كما يراه شيوخ الشيعة الروافض، ومن ذلك ما جاء في الكافي عن أبي الحسن قال: ولاية علي مكتوبة في جميع صحف الأنبياء، ولن يبعث الله رسولاً إلا بنبوة محمد (ﷺ) ووصية علي رضي الله عنه[٣٩٢]، وشهدت كتب الشيعة الروافض كما سيأتي تفصيله بإذن الله أن ابن سبأ وجماعته هم أول من أظهر الطعن في أبي بكر وعمر وعثمان أصهار رسول الله (ﷺ) وأرحامه وخلفائه، وأقرب الناس إليه رضي الله عنهم والطعن في الصحابة الآخرين، وهذه عقيدة الشيعة الروافض في الصحابة كما هي في كتبهم المعتمدة، كما أن ابن سبأ قال برجعة علي[٣٩٣]، والرجعة من أصول الشيعة الروافض كما سيأتي بإذن الله ، كما أن ابن سبأ قال بتخصيص علي وأهل البيت بعلوم سرية خاصة ، كما أشار إلى ذلك الحسن بن محمد ابن الحنفية[٣٩٤] في رسالة الإرجاء[٣٩٥]، وهذه المسألة أصبحت من أصول الاعتقاد عند الشيعة، وقد ثبت في صحيح البخاري ما يدل على أن هذه العقيدة ظهرت في وقت مبكر، وأن عليًا رضي الله عنه سئل عنها، وقيل له: هل عندكم شيء مما ليس في القرآن أو مما ليس عند الناس؟ فنفى ذلك نفيًا قاطعًا[٣٩٦]، هذه من أهم الأصول التي تدين بها الشيعة

---

(٣٩١) الرواة الذين تأثروا بابن سبأ، د/ سعدي الهاشمي ص(١٩، ٢٠).

(٣٩٢) أصول الكافي (١/٤٣٧)، أصول الشيعة الإمامية (١/٧١).

(٣٩٣) المقالات والفرق للقمي ص(٢١)، فرق الشيعة للنوبختي ص(٢٣)، أصول الشيعة الإمامية (١/٩٦).

(٣٩٤) تهذيب التهذيب (٢/ ٣٢).

(٣٩٥) رسالة الإرجاء ضمن كتاب الإيمان لمحمد العدني ص(٢٥٠ ـ٢٩٤).

(٣٩٦) البخاري، كتاب العلم مع الفتح (١/٢٠٤).

الرافضة[٣٩٧]، وقد وجدت إثر مقتل عثمان رضي الله عنه وفي عهد علي رضي الله عنه ولم تأخذ مكانها في نفوس فرقة معينة معروفة، بل إن السبئية ما كادت تطل برأسها حتى حاربها علي رضي الله عنه كما مر معنا، ولكن ما تلا ذلك من أحداث هيأ جوًا صالحًا لظهور هذه العقائد ، وتمثله في جماعة كمعركة صفين، وحادثة التحكيم التي أعقبتها، ومقتل علي، ومقتل الحسن، . . . كل هذه الأحداث دفعت القلوب والعواطف إلى التشيع لآل البيت ، فتسلل الفكر الوافد من نافذة التشيع لعلي وآل بيته، وصار التشيع وسيلة لكل من أراد هدم الإسلام من ملحد ومنافق وطاغوت، ودخلت إلى المسلمين أفكار ومعتقدات أجنبية اكتست بثوب التشيع وتيسر دخولها تحت غطائه، وبمرور الأيام كانت تتسع البدعة ويتعاظم خطرها، حيث وجد لابن سبأ خلفاء كثيرون، ولم يكن استعمال لقب الشيعة في عهد علي رضي الله عنه إلا بمعنى الموالاة والنصرة، ولا يعني بحال الإيمان بعقيدة من عقائد الشيعة الرافضة اليوم[٣٩٨].

إن التشيع لآل البيت وحبهم أمر طبيعي، وهو حب لا يفرق بين الآل، ولا يغلو فيهم، ولا ينتقص أحدًا من الصحابة، كما تفعل الفرق المنتسبة للتشيع، وقد نما الحب وزاد للآل بعدما جرى عليهم من المحن والآلام بدءًا من مقتل علي ثم الحسين. . . إلخ ، هذه الأحداث فجرت عواطف المسلمين، فدخل الحاقدون من هذا الباب، ذلك أن آراء ابن سبأ لم تجد الجو الملائم؛ لتنمو وتنتشر إلا بعد تلك الأحداث. . . لكن التشيع بمعنى عقيدة النص على علي رضي الله عنه، والرجعة، والبداء، والغيبة، وعصمة الأئمة. . . إلخ، فلا شك أنها عقائد ما أنزل الله بها من سلطان، دخيلة على المسلمين رجع أصولها لعناصر مختلفة، ذلك أنه قد ركب مطية التشيع كل من أراد الكيد للإسلام وأهله، وكل من احتال ليعيش في ظل عقيدته السابقة باسم الإسلام، من يهودي، ونصراني، ومجوسي، وغيرهم، فدخل في التشيع كثير من العقائد الفاسدة، كما سيتبين ذلك عند دراسة أصول عقائدهم،ولهذا ذهب ابن تيمية (رحمه الله) إلى أن المتنسبين للتشيع قد أخذوا من مذاهب الفرس والروم، واليونان، والنصارى، واليهود، وغيرهم أمورًا مزجوها بالتشيع، ويقول: وهذا تصديق لما أخبر به النبي (ﷺ)، وساق بعض الأحاديث الواردة في أن هذه الأمة ستركب سنن من قبلها. . .، وقال بأن هذا بعينه صار في المتنسبين للتشيع[٣٩٩].

ثالثًا: المراحل التي مرت بها الشيعة الرافضة:

مرت الشيعة الرافضة في نشأتها بعدة مراحل حتى أصبحت فرقة مستقلة متميزة بعقيدتها واسمها عن سائر فرق الأمة ويمكن إبراز ذلك من خلال أربع مراحل رئيسية:

---

(٣٩٧) أصول الشيعة الإمامية الاثنى عشرية (١/ ٩٧).

(٣٩٨) المصدر نفسه (١/ ٩٨).

(٣٩٩) منهاج السنة (٤/ ١٤٧)، أصول الشيعة الإمامية (١/ ١٠٩).

المرحلة الأولى:

دعوة عبد الله بن سبأ على ما دعا إليه من الأصول التي انبنت عليها عقيدة الرافضة، كدعوته لعقيدة الرجعة، وإحداثه القول بالوصية لعلي رضي الله عنه، والطعن في الخلفاء السابقين لعلي في الخلافة، وقد ساعد ابن سبأ في ترويج فكره الضال البعيد عن روح الإسلام أمران:

أ- اختيار ابن سبأ البيئة المناسبة لدعوته، حيث بث دعوته في بلدان مصر، والعراق، بعد أن أكثر التنقل بين هذه الأمصار، كما مر في كلام الطبري[٤٠٠]،فنشأت هذه الدعوة في مجتمعات لم تتمكن من فهم الإسلام الفهم الصحيح، وتترسخ أقدامها في العلم الشرعي والفقه بدين الله (تعالى)، وذلك لقرب عهدها بالإسلام فإن تلك الأمصار إنما فتحت في عهد عمر رضي الله عنه، هذا بالإضافة إلى بعدها عن مجتمع الصحابة في الحجاز وعدم التفقه والتتلمذ والتربية على أيديهم.

ب- إن ابن سبأ مع اختياره لدعوته تلك المجتمعات، فإنه زيادة في المكر والخديعة، أحاط دعوته بستار من التكتم والسرية، فلم تكن دعوته موجهة لكل أحد، وإنما لمن علم أنهم أهل لقبولها من جهلة الناس، وأصحاب الأغراض الخبيثة، ممن لم يدخلوا في الإسلام إلا كيدًا لأهله بعد أن قوضت جيوش الإسلام عروش ملوكهم، ومزقت ممالكهم، وقد تقدم كلام الطبري السابق عن ابن سبأ: فبث دعاته، وكاتب من كان استفسده في الأمصار، وكاتبوه، ودعوا في السير إلى ما عليه رأيهم[٤٠١] يقول في سياق وصفهم: وأوسعوا في الأرض إذاعة وهم يريدون غير ما يظهرون[٤٠٢].

المرحلة الثانية:

إظهار هذا المعتقد والتصريح به، وذلك بعد مقتل عثمان رضي الله عنه، وانشغال الصحابة رضوان الله عليهم بإخماد الفتنة التي حصلت بمقتله، فوجد هؤلاء الضلال متنفسًا في تلك الظروف، وقويت تلك العقائد الفاسدة في نفوسهم، إلا أنه مع كل ذلك بقيت هذه العقائد محصورة في طائفة مخصوصة، ممن أصلهم ابن سبأ، وليست لهم شوكة ولا كلمة مسموعة عند أحد سوى من ابتُلي بمصيبتهم في مقتل عثمان رضي الله عنه، وشاركهم في دمه من الخوارج المارقين، ومما يدل على ذلك ما نقله الطبري: وتكلم ابن السوداء فقال: يا قوم إن عزكم في خلطة الناس فصانعوهم[٤٠٣]، وهذا القول لا يقوله صاحب شوكة ومنعة، ومع هذا فإنه لا ينكر دور هؤلاء السبئية وقتلة عثمان في إشعال نار الحرب بين الصحابة، بل

(٤٠٠) تاريخ الطبري (٥/٣٤٧).
(٤٠١) تاريخ الطبري (٥/٣٤٧).
(٤٠٢) المصدر نفسه (٥/٣٤٨).
(٤٠٣) المصدر نفسه (٥/٥٢٦).

ذلك مقرر عند أهل التحقيق للفتنة وأحداثها، يقول ابن حزم مقررًا ذلك: وبرهان ذلك أنهم اجتمعوا ولم يقتتلوا ولا تحاربوا، فلما كان الليل عرف قتلة عثمان الإذاعة والتدبير عليهم، فبيتوا عسكر طلحة والزبير، وبذلوا السيوف فيهم، فدفع القوم عن أنفسهم(٤٠٤).

المرحلة الثالثة:

اشتداد أمرهم وقوتهم واجتماعهم تحت قيادة واحدة، وذلك بعد مقتل الحسين رضي الله عنه للأخذ بثأر الحسين والانتقام له من أعدائه، يقول الطبري في حوادث سنة أربع وستين للهجرة: وفي هذه السنة تحركت الشيعة بالكوفة، وأعدوا الاجتماع بالنخيلة سنة خمس وستين للمسير لأهل الشام للطلب بدم الحسين بن علي وتكاتبوا في ذلك(٤٠٥)، وكان مبدأ أمرهم ما ذكره الطبري من رواية عبد الله بن عوف بن الأحمر الأزدي أنه قال: لما قتل الحسين بن علي ورجع ابن زياد من معسكره بالنخيلة، فدخل الكوفة، تلاقت الشيعة بالتلاوم والتندم، ورأت أنها قد أخطأت خطأ كبيرًا بدعائهم الحسين إلى النصرة وتركهم إجابته، وقتله إلى جانبهم، وأنهم لم ينصروه، ورأوا أنه لا يغسل عارهم والإثم عنهم في مقتله إلا بقتل من قتله، أو القتل فيه، ففزعوا بالكوفة إلى خمسة نفر من رؤوس الشيعة: إلى سليمان ابن صرد الخزاعي، وكانت له صحبة مع النبي (ﷺ)، وإلى المسيب بن نجبة الرازي، وكان من أصحاب علي وخيارهم، وإلى عبد الله بن سعد بن نفيل الأزدي، وإلى عبد الله وآل التيمي، وإلى رفاعة بن شداد البجلي، ثم إن هؤلاء النفر الخمسة اجتمعوا في منزل سليمان ابن صرد وكانوا من خيار أصحاب علي، ومعهم أناس من الشيعة وخيارهم ووجوههم(٤٠٦)، وكان هذا الاجتماع عام يشمل كافة الشيعة، وقد اجتمع إلى سليمان بن صرد نحو من سبعة عشر ألفًا، ثم لم تعجب سليمان قلتهم، فأرسل حكيم بن منقذ فنادى في الكوفة، وخرج الناس معهم فكانوا قريبًا من عشرين ألفًا(٤٠٧)، ثم إنه في هذه الأثناء قدم المختار بن أبي عبيد الثقفي إلى الكوفة فوجد الشيعة قد التفت على سليمان بن صرد وعظموه تعظيمًا زائدًا، وهم معدون للحرب، فلما استقر المختار عندهم بالكوفة دعا إلى إمامة المهدي محمد بن علي بن أبي طالب وهو محمد ابن الحنفية، ولقبه بالمهدي فاتبعه على ذلك كثير من الشيعة، وفارقوا سليمان بن صرد، وصارت الشيعة فرقتين، الجمهور منهم مع سليمان، يريدون الخروج على الناس ليأخذوا بثأر الحسين، وفرقة أخرى مع المختار يريدون الخروج للدعوة إلى إمامة محمد ابن الحنفية، وذلك عن غير أمر ابن الحنفية ورضاه، وإنما يتقولون عليه ليروجوا على الناس به، وليتوصلوا إلى أغراضهم الفاسدة(٤٠٨)، فكان هذا بداية اجتماع

---

(٤٠٤) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٤/ ٢٣٩).

(٤٠٥) تاريخ الطبري (٦/ ٤٨٧-٥٠١).

(٤٠٦) تاريخ الطبري (٦/ ٤٨٧-٥٠١).

(٤٠٧) البداية والنهاية (٨/ ٢٥٤).

(٤٠٨) المصدر نفسه (٨/ ٢٥٤).

الشيعة، ثم يذكر المؤرخون خروج سليمان بن صرد بمن كان معه من الشيعة إلى الشام، فالتقوا مع أهل الشام عند عين تسمى «عين الوردة» واقتتلوا قتالاً عظيمًا لمدة ثلاثة أيام، يقول ابن كثير: لم ير الشيب والمراد منه لا يحجز بينهم إلا أوقات الصلوات إلى الليل[٤٠٩]، ثم انتهى القتال بينهم بقتل سليمان بن صرد رحمه الله وكثير من أصحابه، وهزيمتهم، وعودة من بقي من أصحابه إلى الكوفة[٤١٠]، وأما المختار بن أبي عبيد الثقفي فلما رجع من بقي من جيش سليمان إلى الكوفة وأخبروه بما كان من أمرهم، وما حل بهم فترحم على سليمان ومن كان قتل معه، وقال: وبعد فأنا الأمير المأمون قاتل الجبارين والمفسدين، إن شاء الله، فأعدوا واستعدوا وأبشروا[٤١١]، يقول ابن كثير: وقد كان قبل قدومهم أخبر الناس بهلاكهم عن ربه، الذي كان يأتي إليه من الشيطان، فإنه قد كان يأتي إليه شيطان فيوحي إليه قريبًا مما كان يوحي شيطان مسيلمة له[٤١٢]، ثم إن المختار بعث الأمر إلى النواحي والبلدان، والرساتيق من أرض العراق وخراسان وعقد الألوية والرايات . . ثم شرع المختار يتتبع قتلة الحسين من شريف ووضيع فيقتله[٤١٣].

المرحلة الرابعة:

انشقاق الشيعة الرافضة عن الزيدية، وباقي فرق الشيعة، وتميزها بسماها وعقيدتها، وكان ذلك على وجه التحديد في سنة إحدى وعشرين ومائة عندما خرج زيد بن علي بن الحسين على هشام بن عبد الملك[٤١٤]، فأظهر بعض من كان في جيشه من الشيعة الطعن على أبي بكر وعمر فمنعهم من ذلك، وأنكر عليهم فرفضوه، فسموا بالرافضة، وسميت الطائفة الباقية معه بالزيدية[٤١٥]، يقول ابن تيمية رحمه الله: إن أول ما عرف لفظ الرافضة في الإسلام، عند خروج زيد بن علي في أوائل المائة الثانية، فسئل عن أبي بكر وعمر، فتولاهما فرفضه قوم فسموا رافضة[٤١٦]،وقال: من زمن خروج زيد افترقت الشيعة إلى رافضة وزيدية، فإنه لما سئل عن أبي بكر وعمر فترحم عليهما رفضه قوم فقال لهم: رفضتموني، فسموا رافضة لرفضهم إياه، وسمي من لم يرفضه من الشيعة زيدية لانتسابهم إليه[٤١٧]، ومنذ ذلك التاريخ تميزت الرافضة عن باقي فرق الشيعة، فأصبحت فرقة مستقلة باسمها ومعتقدها [٤١٨]، والله (تعالى) أعلم.

---

(٤٠٩) المصدر نفسه (٨/ ٢٥٧).
(٤١٠) المصدر نفسه (٨/ ٢٥٦- ٢٥٧).
(٤١١) المصدر نفسه (٨/ ٢٥٨).
(٤١٢) البداية والنهاية (٨/ ٢٥٧).
(٤١٣) المصدر نفسه(٨/ ٢٧١).
(٤١٤) تاريخ الطبري (٧/ ١٦٠)، الانتصارات للصحب والآل ص(٤٧).
(٤١٥) الانتصار للصحب والآل ص(٤٧).
(٤١٦) مجموع الفتاوي (١٣/ ٣٦).
(٤١٧) منهاج السنة (١/ ٣٥).
(٤١٨) الانتصار للصحب والآل ص(٤٨).

هذا وقد تحدث علماء الفرق عن الفرق المنسوبة للشيعة، فذكروا منها: السبئية، والغرابية، والبياتية، والمغيرية، والهاشمية، والخطابية، والعلبائية، والكيسانية، والزيدية الجارودية، والسليمانية، والصالحية، والبترية، وبعض هذه الفرق غالت غلوا عظيمًا، والبعض الآخر أقل غلوا، ومن أراد الاستزادة فليراجع «مقالات الإسلاميين» لأبي الحسن الأشعري، «والملل والنحل» للشهرستاني، و«الفرق بين الفرق» لأبي الطاهر البغدادي، و«فرق معاصرة» للدكتور غالب بن علي عواجي وهو من أفضل من اطلعت عليه من المعاصرين.

المبحث الثالث

من أهم عقائد الشيعة الرافضة «الإمامة»

يعتقد الشيعة الرافضة الاثني عشرية أن الإمامة ركن عظيم من أركان الإسلام، وأصل أصيل من أصول الإيمان، لا يتم إيمان المرء إلا باعتقادها، ولا يقبل منه عمل إلا بتحقيقها، وأول من تحدث عن مفهوم الإمامة بالصورة الموجود عند الشيعة الرافضة هو ابن سبأ، الذي بدأ يشيع القول بأن الإمامة هي وصاية من النبي ومحصورة بالوصي، وإذا تولاها سواه يجب البراءة منه وتكفيره، فقد اعترفت كتب الشيعة بأن ابن سبأ، كان أول من أشهر القول بفرض إمامة علي، وأظهر البراءة من أعدائه، وكاشف مخالفيه، وكفرهم[٤١٩]، لأنه كان يهودي الأصل، يرى أن يوشع بن نون وصي موسى، فلما أسلم أظهر هذه المقالة في علي بن أبي طالب[٤٢٠]، وهذا ما تعارف عليه شيوخ الشيعة الرافضة، فابن بابويه القمي يسجل عقائد الشيعة في القرن الرابع ويقول بأنهم يعتقدون بأن لكل نبي وصيا أوصى إليه بأمر الله (تعالى)[٤٢١]، ويذكر أن عدد الأوصياء مائة ألف وصي، وأربعة وعشرون ألف وصي[٤٢٢]، كما ذكر المجلسي في أخباره: أن عليا هو آخر الأوصياء[٤٢٣]، وجاء في بعض عناوين الأبواب في «الكافي» باب أن الإمامة عهد من الله (عز وجل) معهود من واحد إلى واحد[٤٢٤]، وباب ما نص الله (عز وجل) ورسوله على الأئمة واحدًا فواحدًا[٤٢٥]، وقد ضمنها مجموعة من أخبارهم التي يعدونها من الأدلة التي لا يرقي إليها الشك.

ولهذا قال شيخهم مقداد الحلي ت ٨٢١ بأن مستحق الإمامة عندهم لا بد أن يكون شخصًا معهودًا من الله (تعالى) ورسوله لا أي شخص اتفق[٤٢٦]، ويقرر كاشف الغطاء أحد مراجع الشيعة الاثني عشرية في هذا العصر: أن الإمامة منصب إلهي كالنبوة، فكما أن الله (سبحانه) يختار ما يشاء من عباده للنبوة والرسالة ويؤيده بالمعجزة التي هي كنص من الله عليه.. فكذلك يختار للإمامة من يشاء ويأمر نبيه بالنص عليه، وأن ينصبه إمامًا للناس من بعده[٤٢٧]، فأنت ترى أن مفهوم الإمامة عندهم كمفهوم النبوة، فكما يصطفي الله (سبحانه) من خلقه أنبياء، يختار (سبحانه) أئمة، وينص عليهم، ويعلم الخلق بهم، ويقيم بهم الحجة، ويؤيدهم بالمعجزات، وينزل عليهم الكتب، ويوحي إليهم، ولا يقولون أو يفعلون إلا بأمر

---

(٤١٩) رجال الكشي ص(١٠١) المقالات والفرق للقمي ص(٢٠).

(٤٢٠) رجال الكشي ص(١٠١) أصول الشيعة (٢/ ٧٩٢).

(٤٢١) عقائد الصدوق ص(١٠٦).

(٤٢٢) المصدر السابق.

(٤٢٣) بحار الأنوار (٣٩/ ٣٤٢).

(٤٢٤) أصول الكافي(١/ ٢٢٧).

(٤٢٥) المصدر السابق(١/ ٢٨٦).

(٤٢٦) النافع يوم الحشر ص(٤٧).

(٤٢٧) أصول الشيعة وأصولها ص(٥٨).

الله ووحيه.. أي أن الإمامة هي النبوة، والإمام هو النبي، والتغيير في الاسم فقط، ولذلك قال المجلسي: إن استنباط الفرق بين النبي والإمامة من تلك الأخبار لا يخلو من إشكال(٤٢٨)، ثم قال: ولا نعرف جهة لعدم اتصافهم بالنبوة إلا رعاية خاتم الأنبياء ولا يصل عقولنا فرق بين النبوة والإمامة(٤٢٩)، هذا قولهم في مفهوم الإمامة، ويكفي في نقده أنه لا سند لهم فيه إلا ابن سبأ اليهودي(٤٣٠).

أولاً: منزلة الإمامة عندهم وحكم من جحدها:

مسألة الإمامة عند أهل السنة ليست من أصول الدين التي لا يسع المكلف الجهل بها، كما قرره جمع من أهل العلم(٤٣١).. ولكنها عند الشيعة الرافضة لها شأن آخر، ففي الكافي روايات تجعل الإمامة أعظم أركان الإسلام، روي الكليني بسنده عن أبي جعفر قال: بني الإسلام على خمس: على الصلاة والزكاة والصوم والحج والولاية، ولم يناد بشيء كما نودي بالولاية، فأخذ الناس بأربع وتركوا هذا - يعني الولاية-(٤٣٢)، فأنت ترى أنهم أسقطوا الشهادتين من أركان الإسلام، ووضعوا مكانهما الولاية، وعدوها من أعظم الأركان، كما يدل عليه قولهم: ولم يناد بشيء كما نودي بالولاية، وكما يدل عليه حديثهم الآخر، وقد ذكر فيه نص الرواية السابقة وزاد: قلت «الراوي»: وأي شيء من ذلك أفضل؟ فقال: الولاية أفضل(٤٣٣).

ويقول المجلسي: ولا ريب في أن الولاية والاعتقاد بإمامة الأئمة عليهم السلام والإذعان لهم من جملة أصول الدين، وأفضل من جميع الأعمال البدنية لأنها مفتاحهن(٤٣٤).

ويقول المظفر - من علمائهم المعاصرين -: نعتقد أن الإمامة أصل من أصول الدين، لا يتم الإيمان إلا بالاعتقاد بها، ولا يجوز فيها تقليد الآباء والأهل والمربين، مهما عظموا، بل يجب النظر فيها، كما يجب النظر في التوحيد والنبوة(٤٣٥)، بل وصلت الأخبار إلى أكثر من هذا حينما قالت: عرج بالنبي (ﷺ) بالولاية لعلي والأئمة من بعده أكثر مما أوصاه بالفرائض(٤٣٦).

هذه الروايات الشيعية الرافضية ومثيلاتها في كتب الشيعة الروافض كانت كفيلة بأن تجعل

---

(٤٢٨) بحار الأنوار (٢٦/ ٨٢).
(٤٢٩) المصدر نفسه (٢٦/ ٨٢).
(٤٣٠) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٧٩٤).
(٤٣١) غاية المرام للآمدي ص(٣٦٣) الاقتصاد للغزالي ص(١٣٤).
(٤٣٢) أصول الكافي (٢/ ١٨) رقم (٣).
(٤٣٣) المصدر نفسه(٢/ ١٨).
(٤٣٤) مرآة العقول (٧/ ١٠٢).
(٤٣٥) عقائد الإمامية ص(١٠٢).
(٤٣٦) بحار الأنوار (٢٣/ ٦٩).

الإمامة هي الحكم على إيمان الرجل أو كفره، وأن تجعل المسلم معرضًا للاتهام بالكفر لمجرد اختلافه مع الشيعة الإمامية في عقيدة الإمامة التي يعتقدونها، ولذا رأينا بعض كبار علماء الشيعة الإمامية السابقين واللاحقين يصرحون بهذه الحقيقة المرة، يقول ابن بابويه القمي في رسالته الاعتقادات: واعتقادنا فيمن جحد إمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أنه كمن جحد نبوة جميع الأنبياء، واعتقادنا فيمن أقر بأمير المؤمنين وأنكر واحدًا من بعده من الأئمة أنه بمنزلة من أقر بجميع الأنبياء، وأنكر نبوة محمد (ﷺ)[٤٣٧]، ويقول يوسف البحراني في موسوعته «الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة»: وليت شعري أي فرق بين من كفر بالله (سبحانه وتعالى) ورسوله وبين من كفر بالأئمة عليهم السلام مع ثبوت كون الإمامة من أصول الدين[٤٣٨]، ويقول المجلسي: اعلم أن إطلاق لفظ الشرك والكفر على من لم يعتقد إمامة أمير المؤمنين والأئمة من ولده عليهم السلام وفضل عليهم غيرهم يدل أنهم مخلدون في النار[٤٣٩].

وقال ابن المطهر الحلي: الإمامة لطف عام، والنبوة لطف خاص لإمكان خلو الزمان من نبي حي بخلاف الإمام، وإنكار اللطف العام شر من إنكار اللطف الخاص[٤٤٠].

فهو يجعل من لم يؤمن بأئمتهم أشد كفرًا من اليهود والنصارى، وقد بني على ذلك أن الزمان لا يخلو من إمام، وهو إشارة إلى عقيدتهم بالإيمان بوجود إمامهم المنتظر الغائب، والذي أنكره طوائف من الشيعة وقرر المحققون من علماء النسب والتاريخ أنه لم يولد أصلاً، ولكن شيخ الشيعة الرافضة يرى أن إنكاره أعظم من الكفر[٤٤١]، وينقل شيخهم المفيد اتفاقهم على هذا المذهب في تكفير أمة الإسلام فيقول: اتفقت الإمامية على أن من أنكر أحد من الأئمة وجحد ما أوجبه الله (تعالى) له من فرض الطاعة فهو كافر ضال مستحق للخلود في النار[٤٤٢]، وبلغ الأمر بشيخهم نعمة الله الجزائري أن يعلن انفصال الشيعة عن المسلمين بسبب قضية الإمامة فيقول: لم نجتمع معهم على إله ولا نبي ولا على إمام، وذلك أنهم يقولون: إن ربهم هو الذي كان محمد (ﷺ) نبيه، وخليفته بعده أبو بكر، ونحن لا نقول بهذا الرب ولا بذلك النبي، بل نقول: إن الرب الذي خليفة نبيه أبو بكر ليس ربنا ولا ذلك النبي نبينا[٤٤٣].

إن الإمامة صنو النبوة أو أعظم، وهي أصل الدين وقاعدته الأساسية عندهم، لهذا جاء حكم الشيعة الاثنى عشرية على من أنكر إمامة واحد من أئمتهم الاثنى عشر مكملاً لهذا

(٤٣٧) الاعتقادات ص(١٠٣) ثم أبصرت الحقيقة، محمد الخضر ص(١٢٧).

(٤٣٨) الحدائق الناضرة (١٨/ ١٥٣).

(٤٣٩) بحار الأنوار (٢٣/ ٣٩٠).

(٤٤٠) الألفين ص (٣)، أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٨٦٧).

(٤٤١) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٨٦٧).

(٤٤٢) المسائل للمفيد، وقد نقل ذلك عنه المجلسي في البحار (٨/ ٣٦٦).

(٤٤٣) الأنوار العلمانية (٢/ ٢٧٩).

الغلو، حيث حكموا عليه بالكفر والخلود في النار، وخصصوا بـاللعن والحكم بالردة جميع فئات المسلمين ما عدا الاثنى عشرية، فتناول تكفيرهم:

١- الصحابة رضوان الله عليهم:

كـتب الشيـعة الرافـضة مليـئـة باللعن والتكفيـر لمن رضي الله عنهم ورضـوا عنه، من المهاجرين والأنصار، وأهل بدر وبيعة الرضوان، وسـائر الصحابة أجمعين، ولا تستثني منهم إلا النزر اليسـير الذي لا يبلغ عـدد أصابع اليد، وأصـبحت هذه المسألة بعـد ظهور كتـبهم وانتشارها من الأمور التي لا تحـجب بالتقية[٤٤٤]، كما أن من أهل العلم وأصحاب المقالات من اطلع على هذا الأمر عند الشيـعة الإمامية، قال القاضـي عبد الجبار: وأما الإمامـية فقد ذهبت إلى أن الطريق إلى إمـامة الاثنى عـشر النص الجلي، الذي يكفـر من أنكره، ويجب تكفيـره، فكفروا لذلك صـحابة النبي (ﷺ)[٤٤٥]، وقريب من هذا المعـنى قال عبـد القاهر البغدادي: وأما الإمامـيـة فقد زعم أكثرهم[٤٤٦] أن الصحابة ارتدت بـعد النبي (ﷺ) سوى علي وابنيه ومقدار ثلاثة عشر منهم[٤٤٧]، ويقول ابن تيمية (رحمه الله): إن الرافضة تقول: إن المهاجرين والأنصـار كتموا النص، فكفروا إلا نفـرًا قليلاً.. إما بضعة عشـر أو أكثر، ثم يقولون: إن أبا بكر وعمر ونحوهما ما زالا منافقين، وقد يقولون: بل آمنوا ثم كفروا، وتقول كتب الاثنى عـشرية أن الصحابـة بسبب توليتهم لأبي بـكر قد ارتدوا إلا ثلاثة، وتزيد بعض رواياتهم ثلاثة أو أربعة آخرين رجـعوا إلى إمامة علي، ليصبح المجمـوع سبعة، ولا يزيدون عن ذلك، ولقد تداولت الشيعة أنباء هذه الأسطورة في المعتـمد من كتبها، فسجلوا ذلك في أول كتـاب ظهر لهم وهو كتـاب «سليم بن قيس»[٤٤٨]، ثم تتابعت كـتبهـم في تقرير ذلك وإشاعتـه وعلى رأسها «الكافي» أوثق كتبـهم الأربعة، و «رجال الكشي»[٤٤٩] عمـدتهم في كتب الرجال وغيـرها من مصادرهم[٤٥٠]، وسيأتي الحديث عن موقف الشـيعة الرافضة من الصحابة مفصلاً بإذن الله (تعالى).

٢- تكفيرهم أهل البيت:

إن الروايات التي تحكم بالردة على ذلك المجتمع المثالي الفريد، ولا تسـتثني منهم جميعًا إلا سبعة في أكثر تقديراتها، ولا تذكر من ضمن هؤلاء السبعة أحدًا من أهل بيت رسول الله

(٤٤٤) أصول الشيعة الإمامية (٢/٨٦٨).
(٤٤٥) شرح الأصول الخمسة ص(٧٦١).
(٤٤٦) تلحظ أن عبد القاهر لا يعمم هذا المذهب على الإمامية كلها.
(٤٤٧) الفرق بين الفرق ص(٣٢١).
(٤٤٨) كتاب سليم بن قيس ص(٧٤-٧٥).
(٤٤٩) رجال الكشي ص(٦، ٧، ٨، ٩، ١١).
(٤٥٠) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٧٨٠).

باستثناء بعض روايات عندهم جاء فيها استثناء علي فقط، وهي رواية الفضيل بن يسار عن أبي جعفر، قال: صار الناس كلهم أهل جاهلية إلا أربعة: علي، والمقداد، وسلمان، وأبو ذر، فقلت: فعمار؟ فقال: إن كنت تريد الذين لم يدخلهم شيء فهؤلاء الثلاثة[٤٥١]، فالحكم بالردة في هذه النصوص شامل للصحابة، وأهل البيت النبوي من زوجات رسول الله (ﷺ) وقرابته، مع أن واضعها يزعم التشيع لأهل بيت رسول الله (ﷺ)، فهل هذا إلا دليل واضح على أن التشيع إنما هو ستار لتنفيذ أغراض خبيثة ضد الإسلام وأهله، وأن واضعي هذه الروايات أعداء للصحابة وللقرابة[٤٥٢]، وقد خصت الشيعة الرافضة بالطعن والتكفير جملة من أهل بيت رسول الله، كعم النبي العباس، حتى قالوا بأنه نزل فيه قوله (سبحانه): ﴿وَمَن كَانَ فِي هَـٰذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلاً﴾ [الإسراء: ٧٢]، وكابنه عبد الله بن عباس حبر الأمة وترجمان القرآن الذي خصصوه باللعن وبأنه سخيف العقل[٤٥٣]، كما جاء في «الكافي»، وفي «رجال الكشي»: اللهم العن ابني فلان واعم أبصارهما، كما عميت قلوبهما.. واجعل عمى أبصارهما دليلاً على عمى قلوبهما[٤٥٤]، وعلق على هذا شيخهم حسن المصطفوي فقال: هما عبد الله بن عباس وعبيد الله بن عباس[٤٥٥]، وبنات النبي (ﷺ) يشملهن سخط الشيعة الاثنى عشرية وحنقهم، فلا يذكرون فيمن استثنى من التكفير، بل ونفى بعضهم أن يكن بنات للنبي (ﷺ) ما عدا فاطمة[٤٥٦] رضي الله عنهن، فهل يحب رسول الله (ﷺ) من يقول فيه وفي بناته هذا القول[٤٥٧]؟ وقد نص صاحب الكافي في رواياته على أن كل من لم يؤمن بالاثنى عشر فهو كافر، وإن كان علويًا فاطميًا[٤٥٨]، وهذا يشمل في الحقيقة التكفير لجيل الصحابة ومن بعدهم بما فيه الآل والأصحاب؛ لأنهم لم يعرفوا فكرة الاثنى عشر التي لم توجد إلا بعد سنة (٢٦٠ هـ)، كما باؤوا بتكفير أمهات المؤمنين أزواج رسول الله (ﷺ)، إذ لم يستثنوا واحدة منهن في نصوصهم، ولكنهم يخصون منهن عائشة[٤٥٩]، وحفصة رضي الله عنهن أجمعين، بالذم واللعن والتكفير[٤٦٠]، وقد عقد

---

(٤٥١) تفسير العياشي (١/ ١٩٩)، البرهان (١/ ٣١٩)، تفسير الصافي (١/ ٣٨٩) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٨٩١).

(٤٥٢) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٨٩١).

(٤٥٣) أصول الكافي (١/ ٢٤٧).

(٤٥٤) رجال الكشي ص(٥٢).

(٤٥٥) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٨٩٢).

(٤٥٦) كشف الغطاء لجعفر النجفي ص(٥)، أصول الشيعة (٢/ ٨٩٢).

(٤٥٧) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٨٩٢).

(٤٥٨) أصول الكافي (١/ ٣٧٢-٣٧٤).

(٤٥٩) أصول الكافي (١/ ٣٠٠) رجال الكشي ص(٥٧- ٦٠).

(٤٦٠) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٨٩٣).

شيخهم المجلسي بابا بعنوان «باب أحوال عائشة وحفصة» ذكر فيه ١٧ رواية(٤٦١)، وأحال في بقية الروايات إلى أبواب أخرى(٤٦٢)، وقد آذوا فيها رسول الله (ﷺ) في أهل بيته أبلغ الإيذاء، حتى اتهموا في أخبارهم من برأها الله من سبع سماوات، عائشة بنت الصديق بالفاحشة، فقد جاء في أصل أصول التفاسير عندهم، تفسير القمي(٤٦٣) قذف شنيع متضمن تكذيب القرآن العظيم، قال ابن كثير في تفسير سورة النور: أجمع أهل العلم (رحمهم الله) قاطبة على أن من سبها ورماها بما رماها به المنافقون بعد هذا الذي ذكر في الآية ، فإنه كافر؛ لأنه معاند للقرآن(٤٦٤)، وقال القرطبي: فكل من سبها مما برأها الله منه مكذب لله، ومن كذب الله فهو كافر(٤٦٥).

٣- تكفيرهم خلفاء المسلمين وحكوماتهم:

في دين الشيعة الرافضة الإمامية أن كل حكومة غير حكومة الإمامية الرافضية باطلة، وصاحبها ظالم طاغوت يعبد من دون الله، ومن يبايعه فإنما يعبد غير الله، وقد أثبت الكليني هذا المعنى في عدة أبواب مثل: باب من ادعى الإمامة وليس لها بأهل، ومن جحد الأئمة أو بعضهم، ومن أثبت الإمامة لمن ليس لها بأهل، وذكر فيه اثنى عشر حديثًا عن أئمتهم(٤٦٦)، وباب فيمن دان الله (عز وجل) بغير إمام من الله (جل جلاله)، وفيه خمسة أحاديث(٤٦٧) وكل خلفاء المسلمين ما عدا عليًا والحسن طواغيت -حسب اعتقادهم- وإن كانوا يدعون إلى الحق، ويحسنون لأهل البيت، ويقيمون دين الله، ذلك أنهم يقولون: كل راية ترفع قبل راية القائم(٤٦٨) رضي الله عنه صاحبها طاغوت(٤٦٩)، قال شارح الكافي: وإن كان رافعها يدعو إلى الحق(٤٧٠)، وحكم المجلسي على هذه الرواية بالصحة(٤٧١)، حسب مقاييسهم(٤٧٢).

---

(٤٦١) بحار الأنوار (٢٢/ ٢٢٧-٢٤٧).

(٤٦٢) بحار الأنوار (٢٢/ ٢٤٥).

(٤٦٣) تفسير القمي (٢/ ٣٧٧).

(٤٦٤) تفسير ابن كثير (٣/ ٢٨٩- ٢٩٠)، الصارم المسلول ص(٥١).

(٤٦٥) تفسير القرطبي (١٢/ ٢٠٦).

(٤٦٦) الكافي (١/ ٣٧٢-٣٧٤).

(٤٦٧) المصدر السابق (١/ ٣٧٤- ٣٧٦).

(٤٦٨) هو : المهدي المنتظر.

(٤٦٩) الكافي: بشرحه للمازندراني (١٢/ ٣٧١)، بحار الأنوار (٢٥/ ١١٣)، أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٨٩٦).

(٤٧٠) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٨٩٦).

(٤٧١) مرآة العقول(٤/ ٣٧٨).

(٤٧٢) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٨٩٦).

٤- الحكم على الأمصار الإسلامية بأنها دار كفر:

جاء في أخبارهم تخصيص كثير من بلاد المسلمين بالسب، وتكفير أهلها على وجه التعيين، ويخصون منها غالبًا ما كان أكثر التزامًا بالإسلام واتباعًا للسنة، فقد صرحوا بكفر أهالي مكة والمدينة في القرون المفضلة، ففي عصر جعفر الصادق كانوا يقولون عن أهل مكة والمدينة : أهل الشام شر من أهل الروم «يعني شر من النصارى»، وأهل المدينة شر من أهل مكة، وأهل مكة يكفرون بالله جهرة[٤٧٣]، وقالوا: إن أهل مكة ليكفرون بالله جهرة، وإن أهل المدينة أخبث من أهل مكة، أخبث منهم سبعين ضعفًا[٤٧٤]، ومن المعلوم أن أهل المدينة كانوا -ولا سيما في القرون المفضلة- يتأسون بأثر رسول الله أكثر من سائر الأمصار، وقد ظل أهل المدينة متمسكين بمذهبهم المالكي منتسبين إليه إلى أوائل المائة السادسة أو قبل ذلك أو بعد، فإنه قدم إليهم من رافضة المشرق من أفسد مذهب كثير منهم[٤٧٥]، وقالوا أيضًا عن مصر وأهلها: أبناء مصر لعنوا على لسان داود عليه السلام، فجعل الله منهم القردة والخنازير[٤٧٦]، وما غضب الله على بني إسرائيل إلا أدخلهم مصر، ولا رضي عنهم إلا أخرجهم منها إلى غيرها[٤٧٧]، وقالوا: بئس البلاد مصر، أما إنها سجن من سخط الله عليه من بني إسرائيل[٤٧٨]، وقالوا: انتحوا من مصر ولا تطلبوا المكث فيها لأنه يورث الدياثة[٤٧٩]، وجاءت عندهم عدة روايات في ذم مصر، وهجاء أهلها، والتحذير من سكناها، ونسبوا هذه الروايات إلى رسول الله، وإلى محمد الباقر، وإلى علي الباقر، وهذا رأي الروافض في مصر في تلك العصور الإسلامية الزاهرة، وقد عقب المجلسي على هذه النصوص بقوله: بأن مصر صارت من شر البلاد في تلك الأزمنة، لأن أهلها صاروا من أشقى الناس وأكفرهم[٤٨٠]، ولا يبعد أن هذه النصوص هي تعبير عن حقد الرافضة وغيظهم على مصر وأهلها بسبب سقوط دولة إخوانهم الإسماعيليين العبيديين على يد صلاح الدين الذي طهر أرض الكنانة من دنسهم ورجسهم، وأين هذه الكلمات المظلمة في مصر وأهلها من الباب الذي عقده مسلم في صحيحه «باب وصية النبي بأهل مصر»[٤٨١] وجاء عندهم ذم كثير من بلدان الإسلام وأهلها[٤٨٢]، ولم يستثن من ديار المسلمين إلا من يقول بمذهبهم وهي

---

(٤٧٣) أصول الكافي (٢/ ٤٠٩).

(٤٧٤) المصدر السابق (٢/ ٤١٠).

(٤٧٥) الفتاوي (٢٠/ ٢٩٩-٣٠٠).

(٤٧٦) بحار الأنوار (٦٠/ ٢٠٨)، تفسير القمي ص(٥٩٦).

(٤٧٧) تفسير العياشي (١/ ٣٠٤)، البرهان (١/ ٤٥٦).

(٤٧٨) تفسير العياشي (١/ ٣٠٥)، البرهان (١/ ٤٥٧).

(٤٧٩) بحار الأنوار (٦٠/ ٢١١)، أصول الشيعة (٢/ ٩٠٠).

(٤٨٠) بحار الأنوار (٥/ ٢٠٨).

(٤٨١) مسلم (٢/ ٢٩٧٠).

(٤٨٢) بحار الأنوار (٦٠/ ٢٠٦)، أصول الشيعة (٢/ ٩٠١).

قليلة في تلك الأزمان، حتى جاء عنهم: إن الله عرض ولايتنا على أهل الأمصار فلم يقبلها إلا أهل الكوفة(٤٨٣).

٥- قضاة المسلمين:

تعد أخبارهم قضاة المسلمين طواغيت لارتباطهم بالإمامة الباطلة بزعمهم، فقد جاء في الكافي عن عمر بن حنظلة قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام، عن رجلين من أصحابنا بينهما منازعة في دين أو ميراث فتحاكما إلى السلطان وإلى القضاء، أيحل ذلك؟ قال: من تحاكم إليهم في حق أو باطل فإنما تحاكم إلى الطاغوت، ومن يحكم له فإنما يأخذ سحتًا، وإن كان حقًا ثابتًا له، لأنه أخذ بحكم الطاغوت، وقد أمر الله أن يكفر به(٤٨٤)، قال (تعالى): ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُواْ إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُواْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِ﴾[النساء: ٦٠]، وهذه الرواية تحكم على القضاء، والقضاة في عصر جعفر الصادق، كما يظهر من إسنادهم للرواية إلى جعفر، فإذا كان هذا نظرهم في قضاة المسلمين في القرون المفضلة، فما بالك فيمن بعدهم(٤٨٥)؟

٦- أئمة المسلمين وعلماؤهم:

حذروا من التلقي عن شيوخ المسلمين وعلمائهم، وعدوهم كملل أهل الشرك، عن هارون بن خارجة قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إنا نأتي هؤلاء المخالفين(٤٨٦)، فنسمع منهم الحديث يكون حجة لنا عليهم؟ قال: لا تأتهم ولا تسمع منهم، لعنهم الله ولعن مللهم المشركة(٤٨٧)، وجاء في الكافي عن سدير عن أبي جعفر قال: ... يا سدير أأريك الصادين عن دين الله؟ ثم نظر إلى أبي حنيفة وسفيان الثوري في ذلك الزمان وهم حلق في المسجد، فقال: هؤلاء الصادون عن دين الله بلا هدى من الله ولا كتاب مبين، إن هؤلاء الأخباث لو جلسوا في بيوتهم فجال الناس، فلم يجدوا أحدًا يخبرهم عن الله (تبارك وتعالى) وعن رسوله (ﷺ) حتى يأتونا فنخبرهم عن الله (تبارك وتعالى) وعن رسوله (ﷺ)(٤٨٨).

وقد بين ابن تيمية (رحمه الله) موقفهم من سلف الأمة وأئمتها والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان، الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه وكفروا جماهير أمة محمد (ﷺ) من المتقدمين والمتأخرين فيكفرون كل من اعتقد في أبي بكر وعمر والمهاجرين والأنصار العدالة، أو ترضى عنهم كما رضي الله عنهم، أو يستغفر لهم كما أمر الله بالاستغفار لهم، ولهذا

---

(٤٨٣) بحار الأنوار (٦٠/٢٠٦)، أصول الشيعة (٢/٩٠١).
(٤٨٤) أصول الشيعة الإمامية (٢/٩٠٢)، أصول الكافي (١/٦٧).
(٤٨٥) أصول الشيعة الإمامية (٢/٩٠٢).
(٤٨٦) هذا اللقب يطلق على أهل السنة، وقد يتناول كل مخالف.
(٤٨٧) بحار الأنوار (٢/٢١٦)، أصول الشيعة الإمامية (٢/٩٠٥).
(٤٨٨) أصول الكافي (١/٣٩٢-٣٩٣)، أصول الشيعة (٢/٩٠٥).

يكفرون أعلام الملة، مثل سعيد بن المسيب، وأبي مسلم الخولاني، وأويس القرني، وعطاء ابن أبي رباح، وإبراهيم النخعي، ومثل مالك، والأوزاعي، وأبي حنيفة، وحماد بن زيد، وحماد بن سلمة، والثوري، والشافعي، وأحمد بن حنبل، وفضيل بن عياض، وأبي سليمان الداراني، ومعروف الكرخي، والجنيد بن محمد، وسهل بن عبد الله التستري، وغير هؤلاء، ويرون أن كفرهم أغلظ من كفر اليهود والنصارى، لأن أولئك عندهم كفار أصليون، وهؤلاء مرتدون، وكفر الردة أغلظ بالإجماع من الكفر الأصلي إلى أن قال: وأكثر محققيهم -عندهم- يرون أبا بكر وعمر وأكثر المهاجرين والأنصار، وأزواج النبي (ﷺ) مثل عائشة، وحفصة، وسائر أئمة المسلمين وعامتهم ما آمنوا بالله طرفة عين قط، لأن الإيمان الذي يتعقبه الكفر عندهم يكون باطلاً من أصله.. ومنهم من يرى أن فرج النبي (ﷺ) الذي جامع به عائشة وحفصة لا بد أن تمسه النار ليطهر بذلك من وطء الكوافر على زعمهم، لأن وطء الكوافر حرام عندهم[(٤٨٩)].

هذا التكفير العام الشامل الذي لم ينج منه أحد، هل يحتاج إلى نقد؟ إن بطلانه أوضح من أن يبين، وكذبه أجلى من أن يكشف، وتكفير الأمة امتداد لتكفير الصحابة، والسبب واحد لا يختلف، ومن الطبيعي أن من يحقد على صحابة رسول الله ويسبهم ويكفرهم يحقد على الأمة جميعًا ويكفرها، كما قال بعض السلف: لا يغل قلب أحد على أحد من أصحاب رسول الله (ﷺ) إلا كان قلبه على المسلمين أغل[(٤٩٠)].

فإذا لم يرض عن أبي بكر وعمر وعثمان، وأهل بدر وبيعة الرضوان، والمهاجرين والأنصار وهم في الذروة في الفضل والإحسان، فهل يرضى بعد ذلك عن أحد بعدهم؟ ومبنى هذا الموقف هو دعوى الروافض أن الصحابة رضوان الله عليهم أنكروا النص، وسيأتي بيان بطلان النص بالنقل والعقل وبالأمور المتواترة المعلومة -بإذن الله- وما بني على الباطل فهو باطل، ولقد كان حكمهم بردة جيل الصحابة من الظواهر الواضحة على بطلان مذهب الشيعة الرافضة من أساسه[(٤٩١)]، ولذلك قال أحمد الكسروي الإيراني والشيعي الأصل: وأما ما قالوا من ارتداد المسلمين بعد موت النبي (ﷺ) فاجتراء منهم على الكذب والبهتان، فلقائل أن يقول: كيف ارتدوا وهم كانوا أصحاب النبي آمنوا به حين كذبه الآخرون، ودافعوا عنه واحتملوا الأذى في خلافة أبي بكر ليرتدوا عن دينهم لأجله؟ فأي الأمرين أسهل احتمالا: أكذب رجلاً أو رجلين من ذوي الأغراض الفاسدة، أو ارتداد بضع مئات من خلص المسلمين؟ فأجيبونا إن كان لكم جواب[(٤٩٢)].

---

(٤٨٩) مجموع الفتاوي (٢٨/ ٢٦١-٢٦٢).
(٤٩٠) الإبانة لابن بطة ص(٤١).
(٤٩١) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٩١٦).
(٤٩٢) التشيع والشيعة ص(٦٦)، أصول الشيعة (٢/ ٩١٦).

إن القرآن الكريم بين فيه رب العزة أصول العقائد وحقائقها وهو التبيان لكل شيء، قال (تعالىٰ): ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٨٩] ويقول واصفًا كتبه بأنه لم يفرط في قضية يقوم عليها الدين بقوله: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨] فإن كان الأمر كذلك فإن المرء ليتساءل عن سند هذه العقيدة، فكتاب الإسلام العظيم «القرآن الكريم»يذكر فيه مرات الصلاة والصيام، والزكاة والحج، ولا ذكر فيه لشأن الأئمة الاثنى عشرية أو الإمامة من بعد الرسول رغم كون الإمامة كما تقول النظرية الشيعية الرافضية أعظم أركان الدين!! أو ليس من العجيب أن يذكر القرآن تفاصيل طريقة الوضوء ويصنف أنواع المحرمات من الطعام والشراب ويتحدث عن الجهاد تارة وعن السلم تارة أخرىٰ ويناقش القضايا الأخلاقية ثم يتجاهل إمامة الاثنى عشر التي يصفها آل كاشف الغطاء بأنها «منصب إلهي كالنبوة» إن هذه النصوص القرآنية قد شهدت بكل وضوح بأن القرآن الكريم لم يفرط في قضية يحتاج إليها البشر، فكيف يفرط في قضية الإمامة النصية التي تذكرها الشيعة الإمامية ثم يتركها لعلمائهم لكي يصيغوها ويحددوا معالمها مع كون النص علىٰ الأئمة من الله لا منهم(٤٩٣).

ثانيًا: العصمة عند الشيعة الرافضة:

إن عصمة الإمام عند الشيعة الرافضة الإمامية شرط من شروط الإمامة وهي من المبادئ الأولية في كيانهم العقدي ولها أهمية كبرىٰ عندهم، ونتيجة لما أضفاه الشيعة علىٰ الأئمة من صفات وقدرات ومواهب علمية غير محدودة ، ذهبوا إلىٰ أن الإمام ليس مسؤولاً أمام أحد من الناس، ولا مجال للخطأ في أفعاله مهما أتىٰ من أفعال، بل يجب تصديقه والإيمان بأن كل ما يفعله من خير لا شر فيه لأن عنده من العلم ما لا قبل لأحد بمعرفته، ومن هنا قرر الشيعة للإمام ضمن ما قرروا العصمة، فذهبوا علىٰ أن الأئمة معصومون في كل حياتهم لا يرتكبون صغيرة ولا كبيرة ولا يصدر عنهم أي معصية، ولا يجوز عليهم خطأ ولا نسيان(٤٩٤)، وقد نقل الإجماع علىٰ ذلك شيخهم المفيد، فقال: إن الأئمة القائمين مقام الأنبياء في تنفيذ الأحكام وإقامة الحدود وحفظ الشرائع وتأديب الأنام معصومون كعصمة الأنبياء، وأنهم لا يجوز منهم كبيرة ولا صغيرة وأنه لا يجوز منهم سهو في شيء من الدين ولا ينسون شيئًا من الأحكام، وعلىٰ هذا مذهب سائر الإمامية إلا من شذ منهم، وتعلق بظواهر روايات لها تأويلات علىٰ خلاف ظنه الفاسد من هذا الباب(٤٩٥)، وقال ابن المطهر الحلي: ذهبت الإمامية والإسماعيلية إلىٰ أن الإمام يجب أن يكون معصومًا وخالف فيه جميع الفرق(٤٩٦).

---

(٤٩٣) ثم أبصرت الحقيقة، محمد سالم ص(١٣٠).

(٤٩٤) دراسات عن الفرق، د. أحمد جلي ص(٢٠٣)، مسألة التقريب (١/ ٣٢٢).

(٤٩٥) أوائل المقالات للمفيد ص(٣٥).

(٤٩٦) كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد ص (٩٠).

وقد نص على ذلك المجلسي بقوله: اعلم أن الإمامية رضي الله عنهم اتفقوا على عصمة الأئمة عليهم السلام من الذنوب صغيرها وكبيرها فلا يقع منهم ذنب أصلاً لا عمدًا ولا نسيانًا ولا لخطأ في التأويل، ولا للإسهاء من الله (سبحانه)[٤٩٧].

وروى الصدوق بسنده إلى ابن عباس -كذبًا وزورًا- أنه قال: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: «**أنا وعلي والحسن والحسين وتسعة من ولد الحسين معصومون**»[٤٩٨]، وقال أيضًا في تقرير ذلك: اعتقادنا في الأنبياء والرسل والأئمة أنهم معصومون مطهرون من كل دنس وأنهم لا يذنبون لا صغيرًا ولا كبيرًا ولا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، ومن نفى عنهم العصمة في شيء من أحوالهم فقد جهلهم، ومن جهلهم فهو كافر[٤٩٩].

ولم تكن هذه العقيدة مقصورة على سلف الرافضة، بل شاركهم المعاصرون في ذلك، وفي ذلك يقول محمد رضا المظفر: ونعتقد أن الإمام كالنبي يجب أن يكون معصومًا من جميع الرذائل والفواحش ما ظهر منها وما بطن من سن الطفولة إلى الموت عمدًا وسهوًا، كما يجب أن يكون معصومًا من السهو والخطأ والنسيان[٥٠٠]، وقد نص على ذلك الزيجاني في«عقائد الإمامية»[٥٠١]، كما نص عليه أيضًا علي البحراني في «منار الهدى»[٥٠٢]، والسيد مرتضى العسكري في «معالم المدرستين»[٥٠٣]،إلا أن هناك آثارًا في المذهب الشيعي الإمامي تخالف ما ذهبوا إليه، ولذلك احتار المجلسي وهو يرى النصوص تخالف إجماع أصحابه، فقال: المسألة في غاية الإشكال، لدلالة كثير من الأخبار والآيات عن صدور السهو عنهم، وإطباق الأصحاب إلا من شذ منهم على عدم الجواز[٥٠٤]، وهذا اعتراف من المجلسي بأن إجماع الشيعة المتأخرين على عصمة الأئمة بإطلاق يخالف رواياتهم، وهذا دليل واقعي واعتراف صريح في أنهم يجمعون على ضلالة، وعلى غير دليل حتى من كتبهم[٥٠٥].

ويبدو أن فكرة العصمة قد مرت بأطوار مختلفة أو أن الشيعة قد اختلفت عقائدهم في تحديدها -في أول الأمر- فمثلاً في عصر أبي جعفر بن بابويه القمي ت(٣٨١هـ) وشيخه محمد بن الحسن القمي كان رأى جمهور الشيعة أن أول درجة في الغلو هي نفي السهو عن النبي (ﷺ)[٥٠٦]، فكانوا يعدون من ينفي السهو عن النبي (ﷺ) من الشيعة الغلاة ولكن

---

(٤٩٧) بحار الأنوار (٩/ ٢٠٥).
(٤٩٨) إكمال الدين للصدوق ص(٤٧٤).
(٤٩٩) نقل ذلك عن الزنجاني في عقائد الإمامية الاثنى عشرية (٢/ ١٥٧).
(٥٠٠) عقائد الإمامية ص(١٠٤).
(٥٠١) العقيدة في أهل البيت ص(٣٧١).
(٥٠٢) منار الهدى ص(١٠٢).
(٥٠٣) معالم المدرستين ص(١٥٩).
(٥٠٤) البحار (٢٥/ ٣٥١).
(٥٠٥) مسألة التقريب (١/ ٣٣٠).
(٥٠٦) شرح عقائد الصدوق للمفيد ص(١٦٠، ١٦١).

بعد ذلك تبدلت الحال وأصبح نفي السهو والنسيان عن الأئمة هو خروج بهم إلى منزلة من لا تأخذه سنة ولا نوم وقد كانت العصمة بهذه الصورة الغالية من نفي السهو والنسيان عن الأئمة معتقد فئة شيعية مجهولة في الكوفة، ففي «البحار» للمجلسي: أنه قيل للرضا- إمام الشيعة الثامن: إن في الكوفة قومًا يزعمون أن النبي (ﷺ) لم يقع عليه السهو في صلاته. فقال: كذبوا لعنهم الله إن الذي لا يسهو هو الله لا إله إلا هو[٥٠٧]، فهذا يدل على أن عقيدة نفي السهو كانت معتقد قوم غير معنيين لشذوذهم في هذا الاعتقاد، وأنهم كانوا ينفون السهو عن النبي (ﷺ) الذي هو أفضل الأئمة ولم يقولوا بذلك للأئمة، ثم تطور هذا الاعتقاد ليشمل أئمة الشيعة الاثنى عشر وليعم طائفة الشيعة الإمامية كلها، فهذا شيخ الشيعة المعاصر وآيتها العظمى عبد الله الممقاني: يؤكد أن نفي السهو عن الأئمة أصبح من ضرورات المذهب الشيعي[٥٠٨]، وهو لا ينكر أن شيوخهم السابقين كانوا يعدون ذلك غلوًا، لكنه يقول: إن ما يعتبر غلوًا في الماضي أصبح اليوم من ضرورات المذهب الشيعي[٥٠٩]، وإذ كان دعوى عصمة الأئمة تعني مضاهاتهم للرسول فإن نفي السهو عنهم تأليه لهم كما أشار إلى ذلك إمام الشيعة الثامن علي الرضا ولذا قرر ابن بابويه القمي وغيره أن هذا الاعتقاد هو الفيصل بين الغلاة وغيرهم[٥١٠]، وإذا كان شيخهم المعاصر الممقاني يرى أن نفي السهو عن الأئمة من ضرورات المذهب الشيعي ومنكر الضروري كافر عندهم كما يؤكده شيخهم المعاصر محسن الأمين[٥١١]، فمعنى هذا أن متأخريهم يكفرون متقدميهم ومتقدميهم يكفرون متأخريهم، وإذا كان الممقاني يرى أن نفي السهو عن الأئمة من ضرورات المذهب الشيعي، وبعضهم ينقل الإجماع على ذلك[٥١٢] فإننا نجد في بعض الكتابات الموجهة لديار السنة[٥١٣]، القول بأن الاعتقاد بأن الأئمة يسهون هو مذهب جميع الشيعة[٥١٤]، وهكذا يكفر بعضهم بعضًا، ويناقض بعضهم بعضًا وكل يزعم أن ما يقوله هو مذهب الشيعة[٥١٥]، وقد كان معتقد العصمة من أسباب نشوء عقيدة البداء والتقية -كما سيأتي بيانه بإذن الله (تعالى) - وذلك أن واقع الأئمة لا يتفق بحال ودعوى عصمتهم فإذا حصل اختلاف وتناقض في

(٥٠٧) البحار (٢٥/ ٣٥٠).
(٥٠٨) تنقيح المقال (٣/ ٢٤٠).
(٥٠٩) المصدر نفسه (٣/ ٣٤٠)، مسألة التقريب (٢/ ٩٧).
(٥١٠) مسألة التقريب (٢/ ٩٨).
(٥١١) كشف الارتياب المقدمة الثانية ومهذب الأحكام (١/ ٣٨٨-٣٩٣).
(٥١٢) صراط الحق (٣/ ١٢١)، مسألة التقريب (٢/ ٩٨).
(٥١٣) مسألة التقريب (٢/ ٩٨).
(٥١٤) الشيعة في الميزان، محمد جواد ص(٢٧٢ -٢٧٣).
(٥١٥) مسألة التقريب (٢/ ٩٨).

أقوالهم، قالوا: هذا بداء أو تقية كما اعترف بهذا بعض الشيعة(٥١٦).

إن من أخطر الآثار العلمية لدعوى العصمة اعتبارهم أن ما يصدر عن أئمتهم الاثنى عشر هو كقول الله ورسوله؛ ولذلك فإن مصادرهم في الحديث تنتهي معظم أسانيدها إلى أحد الأئمة ولا تصل إلى رسول الله (ﷺ)، والشيعة زعمت لأئمتها عصمة لم تتحقق لأنبياء الله ورسله، كما يدل على ذلك صريح القرآن والسنة والإجماع(٥١٧).

١- استدلالهم على عصمة أئمتهم من القرآن الكريم:

رغم أن كتاب الله (سبحانه وتعالى) ليس فيه ذكر للاثنى عشر أصلاً -كما مر- فضلاً عن عصمتهم، إلا أن الاثنى عشر تتعلق بالقرآن لتقرير العصمة ويتفق شيوخهم على الاستدلال بقوله (سبحانه): ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤] وبهذه الآية صدر المجلسي بابه الذي عقده في بحاره بشأن العصمة بعنوان: باب... لزوم عصمة الإمام(٥١٨) وجملة من شيوخ الشيعة المعاصرين يجعلون هذه الآية أصل استدلالهم من القرآن ولا يستدلون بسواها مثل محسن الأمين(٥١٩)، ومحمد حسن آل كاشف الغطاء، والذي يقول بأن هذه الآية صريحة في لزوم العصمة(٥٢٠)، ويتولى صاحب مجمع البيان سياق وجهة استدلال أصحابه بهذه الآية على مرادهم فيقول: استدل أصحابنا بهذه الآية على أن الإمام لا يكون إلا معصومًا من القبائح؛ لأن الله (سبحانه) نص أنه لا ينال عهده -الذي هو الإمامة(٥٢١)- ظالم، ومن ليس بمعصوم فقد يكون ظالمًا إما لنفسه وإما لغيره، فإن قيل: إنما نفي أن ينال ظالم في حالة ظلمه، فإذا تاب فلا يسمى ظالمًا فيصح أن يناله، والجواب: أن الظالم وإن تاب فلا يخرج من أن تكون الآية قد تناولته في حال كونه ظالمًا، فإذا نفي أن يناله فقد حكم عليه بأنه لا ينالها، والآية مطلقة غير مقيدة بوقت دون وقت فيجب أن تكون محمولة على الأوقات كلها، فلا ينالها الظالم، وإن تاب فيما بعد(٥٢٢).

نقد استدلالهم:

أ- اختلف السلف في معنى العهد على أقوال: قال ابن عباس والسدي: إنه النبوة،

---

(٥١٦) مسألة التقريب (١/ ٣٢٩).

(٥١٧) المصدر نفسه (١/ ٣٢٤).

(٥١٨) بحار الأنوار (٢٥/ ١٩١).

(٥١٩) أعيان الشيعة (١/ ٤٥٨).

(٥٢٠) أصل الشيعة ص(٥٩).

(٥٢١) اختلف السلف في معنى العهد -كما سيأتي- ولكن الروافض يأخذون بما يوافق هواهم ويقطعون به بلا دليل.

(٥٢٢) مجمع البيان للطبرسي (١/ ٢٠١)، التبيان للطوسي (١/ ٤٤٩).

قـال: ﴿لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالمين﴾ أي نبوتي، وقال مجاهد: الإمـامة، أي لا أجعل إمامًا ظالمًا يقتدي به، وقـال قتادة وإبراهيم النخعي وعطاء والحسن وعكرمـة: لا ينال عهد الله في الآخرة الظالمين فأما في الدنيا فقد ناله الظالم، فأمن به وأكل وعاش... قال الزجاج: وهذا قـول حسـن، أي لا ينال أمـاني الظالمـين، أي: لا أؤمنهم من عـذابي، والمـراد بالظالم: المشرك.. وقال الربيع بن أنس والضـحاك: عهد الله الذي عهد إلى عـباده: دينه، يقول: لا ينال دينه الظالمين، ألا ترى أنه قال: ﴿وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ﴾ [الصافات: ١١٣]، يقول: ليس كل ذريتك يا إبراهيم على الحق.. وروي عن ابن عـباس أيضـا: ﴿لاَ يَنَالُ عَـهْدِي الظَّالمين﴾ قال: ليس لـلظالمين عهد، وإن عـاهدته فـانقضـه(٥٢٣)، فالآية كما تـرى، اختلف السلف في تأويلها فهي ليست في مـسألة الإمامة أصلاً في قول أكثرهم، والذين فسروها بالإمامـة قصدوا إمامة العلم والصلاح والاقتداء، لا الإمامة بمفهوم الرافضة(٥٢٤).

ب- لو كانت الآية في الإمامة فهي لا تدل على عـصمة بحال؛ إذ لا يمكن أن يقال بأن غيـر الظالم معـصوم لا يخطئ ولا ينسي ولا يسـهو.. إلخ كمـا هو مفهـوم العصـمة عند الشيـعة، إذ يكون قـياس مـذهبهم من سـها فهـو ظالم ومن أخطأ فهـو ظالم... وهذا لا يوافقهم عليه أحد ولا يتفق مع أصول الإسلام، فبين إثبات العصمة، ونفي الظلم فرق كبير؛ لأن نفي الظلم إثبات للعدل لا للعصمة الشيعية(٥٢٥).

جـ- لا يسلم لهم أن من ارتـكب ظلمًا ثم تـاب منه لحقـه وصف الظلم ولازمـه، ولا تجدي التوبة فـي رفعه، فإن أعظم الظلم الشـرك، قال (تعالى): ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: ٨٢]، ثم فسر الظلم بقوله: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]، ومع هذا قال (جل شـأنه) في الكفار: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾ [الأنفال: ٣٨]، لكن قياس قول هؤلاء أن من أشرك ولو لحظة، أو ارتكب معصية ولو صغـيرة فـهو ظالم لا ينفك عنه وصف الظلم، ومـؤدي هذا أن المشرك ولو أسلم فـهو مشرك لأن الظلم هو الشرك(٥٢٦)، فصاروا بهذا أشد من الخوارج الوعيدية؛ لأن الخوارج لا يثبتون الوعيد لصاحب الكبيـرة إلا في حالة عدم توبته، ومن المعلوم في بداهة العقول فضلاً عن الشرع والعـرف واللغة: أن من كفر أو ظلم ثم تاب وأصـلح لا يصح أن يطلق عليه أنه

(٥٢٣) المحرر الوجيز لابن عطية (١/ ٢٥٠)، أصول الشيعة (٢/ ٩٥٣).
(٥٢٤) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٩٥٣).
(٥٢٥) المصدر نفسه (٢/ ٩٥٣).
(٥٢٦) هم يعنون بالظلم الشرك؛ لأن مرادهم إبطال خلافة أبي بكر وعمر، ؛ لأنهما قد أسلما بعد شرك، والشرك لم ينفك عنهما بعد إيمانهمـا في زعمهم، ولذلك قال الكليني: هذه الآية أبطلت إمامة كل ظالم، أصول الكافي (١/ ١٩٩).

كافر أو ظالم.. وإلا جاز أن يقال: صبي لشيخ، ونائم لمستيقظ، وغني لفقير، وجائع لشبعان، وحي لميت، وبالعكس، وأيضًا لو اطرد ذلك يلزم من حلف لا يسلم على كافر فسلم على إنسان مؤمن في الحال إلا أنه كان كافرًا قبل سنين متطاولة أن يحنث، ولا قائل به(٥٢٧)، ومن المعروف أنه قد يكون التائب من الظلم ممن لم يقع فيه، ومن اعتقد أن كل من لم يكفر ولم يقتل ولم يذنب أفضل من كل من آمن بعد كفره واهتدى بعد ضلاله، وتاب بعد ذنوبه، فهو مخالف لما علم بالاضطرار من دين الإسلام، فمن المعلوم أن السابقين أفضل من أولادهم، وهل من يشبه أبناء المهاجرين والأنصار بآبائهم عاقل(٥٢٨)، كما أن استدلالهم هذا يؤدي إلى أن جميع المسلمين وكذلك الشيعة وأهل البيت -إلا من تعتقد الشيعة عصمتهم- جميعهم ظلمة لأنهم غير معصومين، وقد قال شيخهم الطوسي بأن الظلم اسم ذم فلا يجوز أن يطلق إلا على مستحق اللعن لقوله (تعالى): ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [هود: ١٨].

د- ما قرره أحد علماء الشيعة الزيدية في نقض استدلال الشيعة الاثنى عشرية بهذه الآية، حيث قال: احتج الرافضة بالآية على أن الإمامة لا يستحقها من ظلم مرة، ورام الطعن في إمامة أبي بكر وعمر، وهذا لا يصح لأن العهد إن حمل على النبوة فلا حجة، وإن حمل على الإمامة فمن تاب من الظلم فلا يوصف بأنه ظالم، ولم يمنعه (تعالى) من نيل العهد إلا حال كونه ظالمًا(٥٢٩).

١- آية التطهير وحديث الكساء:

آية التطهير هي قول الله (عز وجل): ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب ٣٣] وهي كما هو معلوم جزء من قوله (تعالى): ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا * وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٢-٣٣] وقد تعمد علماء الشيعة الاثنى عشرية اقتطاع آية التطهير من السياق القرآني الذي جاءت فيه والذي خاطب الله به نساء النبي (ﷺ) إغفالاً لنساء النبي (ﷺ) من الخطاب، ثم ضموا إلى ذلك حديث الكساء الذي رواه مسلم في صحيحه عن أم المؤمنين عائشة(٥٣٠)، قالت: خرج النبي (ﷺ) غداة وعليه مرط(٥٣١) مرحل(٥٣٢) من شعر أسود

(٥٢٧) روح المعني للألوسي (١/ ٣٧٧).
(٥٢٨) منهاج السنة (١/ ٣٠٢- ٣٠٣).
(٥٢٩) الثمرات اليانعة، يوسف بن أحمد الزيدي، مخطوطة نقلاً عن أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٩٥٥).
(٥٣٠) عائشة التي يدعون أنها تبغض علي هي التي تروي هذا الفضل لعلي ولفاطمة.
(٥٣١) مرط: يعني كساء.
(٥٣٢) مرحل: وهو الموشي المنقوش عليه صور رجال الإبل.

فجاء الحسن بن علي، فأدخله ثم جاء الحسين فدخل معه، ثم جاءت فاطمة فأدخلها ثم جاء علي فأدخله ثم قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣] وحديث أم المؤمنين أم سلمة لما نزلت هذه الآية على النبي (ﷺ) ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣] قالت أم سلمة: وأنا معهم يا نبي الله؟ قال: «أنت على مكانك، وأنت على خير»(٥٣٣). لتثبيت المعنى الذي يريدونه من الاستدلال بهذه الآية الكريمة(٥٣٤)، ويرى علماء الشيعة الاثنى عشرية أن في آية التطهير دلالة على عصمة أصحاب الكساء علي وفاطمة والحسن والحسين، من الخطايا والذنوب صغيرها وكبييرها، بل ومن الخطأ والسهو البشري(٥٣٥).

● **نقد لاستدلالهم من وجوه:**

أ- حديث أم سلمة المذكور آنفًا قد ورد بعدة صيغ:

فروي عن أم سلمة أنها قالت: كان النبي (ﷺ) عندي وعلي وفاطمة والحسن والحسين، فجعلت لهم خزيرة، فأكلوا وناموا، وغطى عليهم عباءة أو قطيفة، ثم قال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي، أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهير»، وفي رواية أخرى أنه (ﷺ) أجلسهم على كساء، ثم أخذ بأطرافه الأربعة بشماله، فضمه فوق رؤوسهم، وأومأ بيده اليمنى إلى ربه، فقال: «هؤلاء أهل بيتي، فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا»، وهاتان الروايتان تتفقان مع رواية مسلم عن السيدة عائشة في دخول الخمسة الآية، ولكن هذا لا يحتم عدم دخول غيرهم(٥٣٦)، وقد وردت روايات عن أم سلمة فيها زيادات تشير إلى عدم دخولها مع أهل الكساء، لا يخلو أكثرها من الضعف لكن صح منها من جملتها هذه الرواية: لما نزلت هذه الآية على النبي (ﷺ) ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب ٣٣] في بيت أم سلمة فدعا فاطمة وحسنًا وحسينًا فجللهم بكساء وعلي خلف ظهره فجلله بكساء، ثم قال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا»، قالت أم سلمة: وأنا معهم يا نبي الله؟ قال: «أنت على مكانك وأنت على خير»(٥٣٧)، وهناك رواية هامة جدًا رويت بإسناد حسن تشير إلى أن أم سلمة قد دخلت في الكساء بعد خروج أهل الكساء منه(٥٣٨)، ولعل التعليل في ذلك أنه لا يصح أن تدخل أم سلمة مع علي بن أبي طالب تحت كساء واحد فلذلك أدخلها رسول الله (ﷺ) بعد خروج

---

(٥٣٣) سنن الترمذي، كتاب المناقب رقم: (٣٧٨٨).
(٥٣٤) ثم أبصرت الحقيقة ص(١٧٦).
(٥٣٥) المصدر نفسه ص(١٧٦).
(٥٣٦) ثم أبصرت الحقيقة ص(١٧٧).
(٥٣٧) فضائل الصحابة (٢/ ٧٢٧) رقم: (١٩٩٤)، إسناده فيه ضعف وله طرق تقويه.
(٥٣٨) ثم أبصرت الحقيقة ص(١٧٧).

أهل الكساء منه، فعن شهر قال: سمعت أم سلمة زوج النبي (ﷺ) حين جاء نعي الحسين ابن علي، لعنت أهل العراق، فقالت: قتلوه قتلهم الله، غروه وذلوه لعنهم الله، فإني رأيت رسول الله (ﷺ) جائته فاطمة غدية ببرمة قد صنعت له فيها عصيدة تحملها في طبق لها، حتى وضعتها بين يديه، فقال: لها: «أين ابن عمك؟» قالت: هو في البيت، قال: «اذهبي فادعيه وائتني بابنيه»، قالت: فجاءت تقود ابنيها كل واحد منهما بيد، وعلي يمشي في إثرهما، حتى دخلوا على رسول الله (ﷺ) فأجلسهما في حجره وجلس علي على يمينه وجلست فاطمة على يساره، قالت أم سلمة: فاجتبذ كساء خيبريا كان بساطا لنا على المنامة في المدينة فلفه رسول الله (ﷺ) جميعًا فأخذ بشماله طرفي الكساء وألوى بيده اليمنى إلى ربه (عز وجل)، وقال: «اللهم أهل بيتي أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا، اللهم أهل بيتي أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا»، قلت: يا رسول الله! ألست من أهلك؟ قال: «بلى فادخلي في الكساء»، فدخلت في الكساء بعد ما قضى دعاءه لابن عمه علي وابنيه وابنته فاطمة[٥٣٩]، فشهد رسول الله (ﷺ) لأم سلمة أنها من أهل بيته وأدخلها في الكساء بعد دعائه لهم[٥٤٠].

ب- ومما يدل على أن الآية ليست دالة على العصمة والإمامة أن الخطاب في الآيات كله لأزواج النبي (ﷺ) حيث بدأ بهن وختم بهن:

قال (تعالى): ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلاً * وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا * يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا * وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُّؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا * يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْرُوفًا * وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا * وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢٨-٣٤].

فالخطاب كله لأزواج النبي (ﷺ) ومعهن الأمر والنهي والوعد والوعيد، لكن لما تبين ما في هذا من المنفعة التي تعمهن وتعم غيرهن من أهل البيت جاء التطهير بضمير المذكر، لأنه إذا اجتمع المذكر والمؤنث غلب المذكر، حيث تناول أهل البيت كلهم، وعلي وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم أخص من غيرهم بذلك، لذلك خصهم النبي (ﷺ)

---

(٥٣٩) فضائل الصحابة (٢/ ٨٥٢) رقم: (١١٧٠) إسناده حسن.

(٥٤٠) ثم أبصرت الحقيقة ص(١٧٨).

بالدعاء لهم، كما أن زوج الرجل من أهل بيته، وهذا شائع في اللغة كما يقول الرجل لصاحبه: كيف أهلك؟ أي امرأتك ونساؤك، فيقول: هم بخير، وقد قال (تعالى): ﴿ قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ ﴾ [هود: ٧٣] والمخاطب بهذه الآية بالإجماع هي سارة زوجة إبراهيم عليه السلام، وهذا دليل على أن زوجة الرجل من أهل البيت(٥٤١).

وقوله (تعالى): ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِن جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾ [القصص: ٢٩] والمخاطب هنا أيضًا زوجة موسى عليه السلام.

وقوله (تعالى): ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا * وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴾ [مريم: ٥٤-٥٥] فمن أهله الذين كان يأمرهم بالصلاة؟ وهذا كقوله (تعالى) مخاطبًا النبي (ﷺ): ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾ [طه: ١٣٢]، ولا شك في دخول زوجاته أو خديجة رضي الله عنها على أقل تقدير في الأهل، باعتبار أن السورة مكية(٥٤٢).

وقوله (تعالى): ﴿ وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [يوسف: ٢٥]، فالمخاطب هنا عزيز مصر، وقولها: ما جزاء من أراد بأهلك سوءًا؟ أي زوجتك، وهذا بين(٥٤٣).

جـ- إذهاب الرجس لا يعني في اللغة العربية ولا في لغة القرآن معنى العصمة: يقول الراغب الأصفهاني في مفردات ألفاظ القرآن مادة رجس، الرجس الشيء القذر، قال: رجل رجسي، ورجال أرجاس، قال (تعالى): ﴿ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ﴾ [المائدة: ٩٠]. والرجس من جهة الشرع الخمر والميسر.. وجعل الكافرين رجسًا من حيث إن الشرك بالعقل أقبح الأشياء، قال (تعالى): ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ ﴾ [التوبة: ١٢٥] وقوله (تعالى): ﴿ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [يونس: ١٠٠] قيل الرجس: النتن، وقيل: العذاب، وذلك كقوله: ﴿ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ ﴾ [التوبة: ٢٨] وقال: ﴿ أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ ﴾ [الأنعام: ١٤٥]. وبالجملة لفظ «الرجس» أصله القذر يطلق ويراد به الشرك كما في قوله (تعالى): ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ [الحج: ٣] ويطلق ويراد به الخبائث المحرمة كالمطعومات والمشروبات ونحو قوله: ﴿قُل لَّا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَن يَكُونَ

---

(٥٤١) الإمامة والنص، فيصل نور صـ٣٨٦.

(٥٤٢) المصدر نفسه صـ٣٩١.

(٥٤٣) المصدر نفسه صـ٣٩٣.

(٥٤٤) ثم أبصرت الحقيقة صـ١٨١.

مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خنزير فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا﴾ [الأنعام: ١٤٥] وقوله: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾ [المائدة: ٩٠] ولم يثبت أن استخدام القرآن لفظ «الرجس» بمعنى مطلق الذنب بحيث يكون في إذهاب الرجس عن أحد إثبات لعصمته(٥٤٤).

د- التطهير من الرجس لا يعني إثبات العصمة لأحد: فكما أن كلمة «الرجس» لا يراد بها ذنوب الإنسان وأخطاءه في الاجتهاد وإنما يراد بها القذر والنتن والنجاسات المعنوية والحسية فإن كلمة التطهير لا تعني العصمة، فإن الله (عز وجل) يريد تطهير كل المؤمنين وليس أهل البيت فقط، وإن كان أهل البيت هم أولى الناس وأحقهم بالتطهير، فقد قال الله (تعالى) في كتابه الكريم عن صحابة رسوله: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ﴾ [المائدة: ٦] وقال (عز من قال): ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣] وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]. فكما أخبر الله (عز وجل) بأنه يريد تطهير أهل البيت أخبر كذلك بأنه يريد تطهير المؤمنين، فإن كان في إرادة التطهير وقوع للعصمة لحصل هذا للصحابة ولعموم المؤمنين، الذين نصت الآيات على إرادة الله (عز وجل) تطهيرهم، وقد قال (تعالى) عن رواد مسجد قباء من الصحابة: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾ [التوبة: ١٠٨] ولم يكن هؤلاء معصومين من الذنوب بالاتفاق، وقال (تعالى) عن أهل بدر وهم ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا: ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّن السَّمَاء مَاء لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ﴾ [الأنفال: ١١] ولم يكن في ذلك إثبات لعصمته مع أنه لا فرق يذكر في الألفاظ بين قول الله (تعالى) عن أهل البيت ﴿لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣] وبين قوله في أهل بدر: ﴿وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ﴾ فالرجز والرجس متقاربان، ويطهركم في الآيتين واحد، لكن الهوى هو الذي جعل في الآية الولى دليلا على العصمة دون الأخرى والعجيب في علماء الشيعة أنهم يتمسكون بالآية ويصرفونها إلى أصحاب الكساء، ثم يصرفون معناها من إرادة التطهير إلى إثبات عصمة أصحاب الكساء ثم يتناسون في الوقت نفسه آيات أخرى نزلت في إرادة الله (عز وجل) لتطهير الصحابة، بل هم بالمقابل يقدحون فيهم، ويقولون بانقلابهم على أعقابهم مع أن الله (عز وجل) نص على إرادة تطهيرهم بنص الآية(٥٤٥): **﴿ومن لم يجعل الله له نورًا فما له من نور﴾**.

هـ- الإرادة في الآية إرادة شرعية، وهي غير الإرادة القدرية، يعني يحب الله أن يذهب عنكم الرجس، وقد تحدث علماء أهل السنة عن الإرادتين الشرعية الدينية، والإرادة القدرية الكونية، فقالوا:

- إرادة شرعية دينية: وهي تتضمن معنى المحبة والرضا، كقوله (تعالى): ﴿يُرِيدُ اللَّهُ

(٥٤٥) ثم أبصرت الحقيقة صـ١٨٢.

بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥] وقوله (تعالى): ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيمًا * يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٧-٢٨]

- إرادة قدرية كونية خلقية: وهي التي بمعنى المشيئة الشاملة لجميع الموجودات، وذلك مثل الإرادة في قوله (تعالى): ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، وقوله: ﴿لاَ يَنفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ﴾ [هود: ٣٤] فالمعاصي إرادة كونية قدرية فهو لا يحبها ولا يرضاها ولا يأمر بها، بل يبغضها ويسخطها، ويكرهها وينهي عنها، هذا قول السلف والأئمة قاطبة، فيفرقون بين إرادته التي تتضمن محبته ورضاه وبين إرادته ومشيئته الكونية القدرية التي لا يلزم منها المحبة والرضا(٥٤٦) . ولا شك أن الله (عز وجل) أذهب الرجس عن فاطمة والحسن والحسين وعلى وزوجات النبي (ﷺ) ولكن الإرادة في هذه الآية إرادة شرعية، ولذلك جاء في الحديث أن النبي (ﷺ) لما جللهم بالكساء قال: « اللهم هؤلاء أهل بيتي، اللهم أذهب عنهم الرجس» (٥٤٧).

و- دعاء النبي (ﷺ) يحسم القضية: آية التطهير لو كان فيها ما يدل على وقوع التطهير لأهل الكساء لما قام رسول الله (ﷺ) بتغطيتهم بالكساء والدعاء لهم بقوله: «اللهم إن هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس» (٥٤٨)، بل في هذا دلالة واضحة على أن الآية نزلت في نساء النبي (ﷺ)، وأن رسول الله (ﷺ) أراد أن ينال أصحاب الكساء هذا الإخبار الرباني عن التطهير ، فجمعهم وجللهم بالكساء ودعا لهم فتقبل الله دعاءه لهم(٥٤٩)، فطهرهم الله كما طهر نساء النبي بنص الآية.

ر- من الردود الدالة على عدم دلالة الآية على الإمامة والعصمة: ومنها: أن ما اختص به أمير المؤمنين علي، والحسن رضي الله عنهم من الآية بزعم القوم ثبت للسيدة فاطمة رضي الله عنها، وخصائص الإمامة لا تثبت للنساء، فلو كان هذا دليلاً لكان من يتصف بما في الآية يستحق العصمة والإمامة، وفاطمة رضي الله عنها كذلك وبذات الاعتبار، فدل على أن الآية لا يراد بها الإمامة ولا العصمة، ومنها خروج تسعة من الأئمة لعدم شمول الآية لهم، حيث اختصت الآية بثلاثة منهم(٥٥٠).

٣- أدلتهم من مروياتهم:

إن الاثنى عشرية تقيم معتقدها في العصمة وغيرها بما يرويه صاحب الكافي، وإبراهيم القمي، والمجلسي وأضرابهم من روايات منكرة في متنها فضلاً عن إسنادها، تثبت لهؤلاء

---

(٥٤٦) وسطية أهل السنة بين الفرق، محمد با عبد الله ص(٣٨٧).
(٤٥٧) سنن الترمذي، كتاب مناقب أهل البيت رقم: (٣٧٨٧).
(٥٤٨) سنن الترمذي، كتاب مناقب أهل البيت رقم: (٣٧٨٧)، صححه الألباني.
(٥٤٩) ثم أبصرت الحقيقة ص(١٨٢). (٥٥٠) الإمامة والنص ص (٣٨٧).

الاثنى عشرية العصمة المزعومة، وقد ساق المجلسي في بابه الذي عقده في شأن العصمة ثلاثًا وعشرين رواية من روايات شيوخه كالقمي، والعياشي والمفيد وغيرهم، وقد ذكرها بعد استدلاله بآية البقرة، التي تبين أن استدلالهم فيها باطل، أما الكليني في الكافي فقد عقد مجموعة من الأبواب في معنى العصمة المزعومة، ساق فيها أخبارًا بسنده عن الاثنى عشر يدعون فيها أنهم معصومون بل وشركاء في النبوة، بل ويتصفون بصفات الألوهية، وتجد ذلك في الكافي في باب اعتقادهم في أصول الدين، وفي باب: أن الأئمة هم أركان الأرض، وأثبت فيه ثلاث روايات تقول بأن الأئمة الاثنى عشر كرسول الله في وجوب الطاعة، وفي الفضل، وفي التكاليف، فعلي جرى له من الطاعة بعد رسول الله (ﷺ) ما لرسول الله (ﷺ)[٥٥١]، ثم ما تلبث أن ترفعهم عن مقام رسول الله (ﷺ) إلى مقام رب العالمين، حيث تقول بأن عليًا قال: أعطيت خصالاً لم يعطهن أحد قبلي: علمت علم المنايا والبلايا.. فلم يفتني ما سبقني ولم يعزب عني ما غاب عني[٥٥٢]، والذي يعلم المنايا والبلايا هو الله (سبحانه) ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ [لقمان: ٣٤] والذي لا يعزب شيء، ولا يفوته شيء هو الخالق (جلا وعلا) قال (تعالى): ﴿لا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ﴾ [سبأ: ٣٠] ومن تتبع أبواب الكافي في هذا المعنى، يلاحظ بأنها لا تخرج عن دعاوي المتنبئين والملحدين على مدار التاريخ سوى أنهم نسبوا هذه المفتريات إلى جملة أهل البيت الأطهار[٥٥٣].

١- أدلتهم العقلية على مسألة العصمة:

قالوا: إن الأمة لا بد لها من رئيس معصوم يسدد خطاها، فلو جاز الخطأ عليه لزم له آخر يسدده فيلزم التسلسل فحينئذ يلزم القول بعصمة الإمام؛ لأن الثقة عندهم بالإمامة لا بالأمة.. وقالوا بأنه هو الحافظ للشرع، ولا اعتماد على الكتاب والسنة والإجماع بدونه.. إلخ[٥٥٤].

والحقيقة غير هذا تمامًا، فالأمة معصومة بكتاب ربها وسنة نبيها (ﷺ)، ولا تجتمع الأمة على ضلالة، وعصمة الأمة مغنية عن عصمة الإمام، وهذا مما ذكره العلماء في حكمة عصمة الأمة قالوا: لأن من كان من الأمم قبلنا كانوا إذا بدلوا دينهم بعث الله نبيًا يبين الحق، وهذه الأمة لا نبي بعد نبيها، فكانت عصمتها تقوم مقام النبوة، فلا يمكن أحد منهم أن يبدل شيئًا من الدين إلا أقام الله من يبين خطأه فيما بدله، ولذلك فإن الله (سبحانه) قرن سبيل المؤمنين

(٥٥١) أصول الكافي (١/ ١٩٨).
(٥٥٢) المصدر السابق (١/ ١٩٧).
(٥٥٣) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٩٥٨).
(٥٥٤) كشف المراد لابن المطهر ص(٣٩٠-٣٩١) نهج المسترشدين ص(٦٣)، الشيعة في عقائدهم ص(٣٦٨-٣٦٩).

بطاعة رسوله في قوله (عز وجل): ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥] فعصمة الأمة وحفظها من الضلال -كما جاءت بذلك النصوص الشرعية- تخالف تمامًا من يوجب عصمة واحد من المسلمين، ويجوز على مجموع المسلمين -إذا لم يكن فيهم معصوم الخطأ-(٥٥٥)، وكل ما سطروه ملؤوا به الصفحات من أدلة عقلية تؤكد الحاجة إلى معصوم قد تحققت بالرسول (ﷺ) ولذلك فإن الأمة ترد عند التنازع إلى ما جاء به الرسول من الكتاب والسنة ولا ترد إلى الإمام ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩] قال العلماء: إلى كتاب الله، وإلى نبيه (ﷺ)، فإن قبض فإلى سنته(٥٥٦)، وهي بهدي الكتاب والسنة لا تجتمع على ضلالة ؛ لأنها لن تخلو من متمسك بهما إلى أن تقوم الساعة، ولهذا فإن الحجة على الأمة قامت بالرسل، قال (تعالى): ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ﴾ [النساء: ١٦٣] إلى قوله: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥] ولم يقل (سبحانه): «والأئمة» وهذا يبطل قول من أحوج الخلق إلى غير الرسول كالأئمة(٥٥٧)، كما أن دعوى العصمة عندهم ليس عليها دليل إلا زعمهم بأن الله لم يخل العالم من أئمة معصومين، لما في ذلك من المصلحة واللطف، ومن المعلوم المتيقن أن هذا المنتظر الغائب المفقود لم يحصل به شيء من المصلحة واللطف، وكذلك أجداده المتقدمون لم يحصل بهم المصلحة واللطف الحاصلة من إمام معصوم ذي سلطان كما كان النبي (ﷺ) بعد الهجرة، فإنه كان إمام المؤمنين الذي يجب عليهم طاعته، ويحصل بذلك سعادتهم، ولم يحصل بعده أحد له سلطان تدعي له العصمة إلا علي رضي الله عنه، ومن المعلوم أن المصلحة واللطف الذي كان المؤمنون فيها زمن الخلفاء الثلاثة أعظم من المصلحة واللطف الذي كان في خلافة علي زمن القتل والفتنة والافتراق(٥٥٨) أما من دون علي فإنما كان يحصل للناس من علمه ودينه مثل ما يحصل من نظرائه، وكان علي بن الحسين وابنه أبو جعفر، وابنا جعفر بن محمد يعلمون الناس ما علمهم الله كما علمه علماء زمانهم، وكان في زمانهم من هو أعلم منهم وأنفع للأمة، وهذا معروف عند أهل العلم، ولو قدر أنهم كانوا أعلم وأدين فلم يحصل من أهل العلم والدين ما يحصل من ذوي الولاية من القوة والسلطان، وإلزام الناس بالحق ومنعهم باليد عن الباطل، وأما من بعد الثلاثة كالعسكريين فهؤلاء لم يظهر عليهم علم تستفيده الأمة، ولا كان لهم يد تستعين بها الأمة، بل كانوا كأمثالهم من الهاشميين لهم حرمة ومكانة، وفيهم من معرفة ما يحتاجون إليه في الإسلام والدين ما في أمثالهم، وهو ما يعرفه كثير من عوام المسلمين.. ولذلك لم يأخذ عنهم أهل العلم كما أخذوا عن أولئك الثلاثة(٥٥٩).

(٥٥٥) المنتقى ص(٤١٠)، أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٩٥٨، ٩٥٩).
(٥٥٦) التمهيد لابن عبد البر (٤/ ٢٦٤).
(٥٥٧) الفتاوى (١٩/ ٦٦).
(٥٥٨) منهاج السنة (٢/ ١٠٤). (٥٥٩) منهاج السنة (٣/ ٢٤٨).

٥- نقد عام لمبدأ عصمة الأئمة:

دعوى العصمة للأئمة تضاهي المشاركة في النبوة، فإن المعصوم يجب اتباعه في كل ما يقول، ولا يجوز أن يخالف في شيء، وهذه خاصة الأنبياء، ولهذا أمرنا أن نؤمن بما أنزل إليهم فقال (تعالى): ﴿قُولُواْ آمَنَّا بِاللّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالأسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٦] فأمرنا أن نقول: آمنا بما أوتي النبيون، فالإيمان بما جاء به النبيون مما أمرنا أن نقوله ونؤمن به، وهذا ما اتفق عليه المسلمون.. فمن جعل بعد الرسول معصومًا يجب الإيمان بكل ما يقوله فقد أعطاه معنى النبوة، وإن لم يعطه لفظها[٥٦٠]، وهذا مخالف لدين الإسلام، للكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة وأئمتها.

أما القرآن فقال (سبحانه): ﴿أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩] فلم يأمرنا بالرد عند التنازع إلا إلى الله والرسول، ولو كان للناس معصوم غير الرسول (ﷺ) لأمرهم بالرد إليه؛ فدل القرآن أن لا معصوم إلا الرسول (ﷺ)[٥٦١].

وقال (تعالى): ﴿وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَـئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَـئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩] وقال: ﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ [الجن: ٢٣] فدل القرآن -في غير موضع- على أن من أطاع الرسول كان من أهل السعادة، ولم يشترط في ذلك طاعة معصوم آخر، ومن عصى الرسول كان من أهل الوعيد، وإن قدر أنه أطاع من ظن أنه معصوم. وقد اتفق أهل العلم على أن كل شخص -سوى الرسول (ﷺ)- فإنه يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله (ﷺ) فإنه يجب تصديقه في كل ما أخبر، واتباعه فيما أمر واجتناب ما نهى عنه وزجر، وألا يعبد الله إلا بما شرع، فإنه المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى[٥٦٢].

والسنة المطهرة دلت على ذلك، ولكنهم لا يرجعون إلا إلى أقوال أئمتهم، وإليك ما ينقض مذهبهم بما ثبت عندهم من أقوال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، فقد جاء في نهج البلاغة الذي تعتمده الشيعة، ما يهدم كل ما بنوه من دعاوي في عصمة الأئمة، حيث قال أمير المؤمنين -كما يروي صاحب النهج: لا تخالطوني بالمصانعة، ولا تظنوا بي استثقالاً في حق قيل لي، ولا التماس إعظام النفس، فإنه من استثقل الحق أن يقال له أو العدل أن يعرض عليه، كان العمل بهما أثقل عليه، فلا تكفوا عن مقالة بحق، أو مشورة بعدل، فإني

---

(٥٦٠) منهاج السنة (٣/ ١٧٤).

(٥٦١) منهاج السنة (٢/ ١٠٥).

(٥٦٢) منهاج السنة (٣/ ١٧٥).

لست في نفسي بفوق أن أخطئ ولا آمن ذلك من فعلي(٥٦٣)، فهو هنا لم يدع ما تزعم الشيعة فيه من أنه لا يخطئ بل أكد أنه لا يأمن على نفسه من الخطأ، كما لم يعلن استغناءه عن مشورة الرعية بل طلب منهم المشورة بالحق والعدل، لأن الأمة لا تجتمع على ضلالة، كل فرد لوحده معرض للضلالة، فعلم أن دعوى العصمة من غلاة الشيعة(٥٦٤)، وجاء في نهج البلاغة» أيضًا : لا بد للناس من أمير بر أو فاجر يعمل في إمرته المؤمن، ويجمع به الفيء، ويقاتل به العدو، وتأمن به السبل، ويؤخذ به للضعيف من القوي(٥٦٥)، فأنت ترى أنه لم يشترط العصمة في الأمير، ولم يشر لها من قريب أو بعيد، بل رأى أنه لا بد من نصب أمير تناط به مصالح العباد والبلاد، ولم يقل أنه لا يلي أمر الناس إلا إمام معصوم، وكل راية تقوم غير راية المعصوم فهي راية جاهلية -كما تقول كتب الشيعة- ولم يحصر الإمارة في الاثنى عشر المعصومين عند الشيعة ويكفر من تولاها من خلفاء المسلمين كما تذهب إليه الشيعة، بل رأى ضرورة قيام الإمام ولو كان فاجرًا، وجعل إمارته شرعية بدليل أنه أجاز الجهاد في ظل إمارة الفاجر، فأين هذا مما تقره الشيعة بمنع الجهاد حتى يخرج المنتظر(٥٦٦) . . . لأن الإمامة الشرعية محصورة في الاثنى عشر؟ ! وكان الأئمة يعترفون بالذنوب ويستغفرون الله منها، فأمير المؤمنين علي رضي الله عنه في دعائه في «نهج البلاغة» : اللهم اغفر لي ما أنت أعلم به مني، فإن عدت فعد علي بالمغفرة، اللهم اغفر لي ما وأيت(٥٦٧) من نفسي ولم تجد له وفاء عندي، اللهم اغفر لي ما تقربت به إليك بلساني ثم خالفه قلبي، اللهم اغفر لي رمزات الألحاظ، وسقطات الألفاظ، وشهوات الجنان، وهفوات اللسان(٥٦٨)، فأنت ترى الإقرار بالذنب ، وبالعودة إليه بعد التوبة، والاعتراف بسقطات الألفاظ وشهوات الجنان، ومخالفة القلب للسان. . كل ذلك ينفي ما تدعيه الشيعة من العصمة، إذ لو كان علي والأئمة معصومين لكان استغفارهم من ذنوبهم عبثًا وكل أئمتهم قد نقلت عنهم كتب الشيعة الاستغفار إلى الله (سبحانه) من الذنوب والمعاصي، ولو كانوا معصومين لما كانت لهم ذنوب(٥٦٩)، ولقد احتار شيوخ الشيعة في توجيه مثل هذه الأدعية والتي تتنافى ومقرراتهم في العصمة(٥٧٠).

وهناك أمر آخر يبطل دعوى العصمة ومن كتب الشيعة نفسها؛ ذلك هو الاختلاف

---

(٥٦٣) نهج البلاغة ص(٣٣٥).
(٥٦٤) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٩٦٤).
(٥٦٥) نهج البلاغة ص(٨٢).
(٥٦٦) فصل الغيبة والمهدية ص(٨٢٤).
(٥٦٧) وأيت: وعدت.
(٥٦٨) نهج البلاغة ص(١٠٤).
(٥٦٩) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٩٦٥).
(٥٧٠) المصدر نفسه (٢/ ٩٦٦).

والتناقض حيال بعض المواقف والمسائل، وأعمال المعصومين لا تتناقض ولا تختلف بل يصدق بعضها بعضًا ويشهد بعضها لبعض، والاختلاف ناقض للعصمة التي هي شرط للإمامة عندهم، وهو ناقض بالتالي لأصل الإمامة نفسها، ولذلك فإن ظاهرة الاختلاف في أعمال الأئمة كانت سببًا مباشرًا لخروج بعض الشيعة من نطاق التشيع حيث رابهم أمر هذا التناقض، ومن أمثلة ذلك ما ذكره القمي والنوبختي من أنه بعد قتل الحسين حارت فرقة من أصحابه وقالت: قد اختلف علينا فعل الحسن وفعل الحسين رضي الله عنهما، لأنه إن كان الذي فعله الحسن حقًا واجبًا صوابًا من موادعته معاوية وتسليمه له عند عجزه عن القيام بمحاربته مع كثرة أنصار الحسن وقوتهم، فما فعله الحسين من محاربته يزيد بن معاوية مع قلة أنصار الحسين وضعفهم، وكثرة أصحاب يزيد حتى قتل وقتل أصحابه جميعًا باطل غير واجب، لأن الحسين كان أعذر في القعود من محاربة يزيد وطلب الصلح والموادعة من الحسن في القعود عن محاربة معاوية، وإن كان ما فعله الحسين حقًا واجبًا صوابًا من مجاهدته يزيد حتى قتل ولده وأصحابه فقعود الحسن وتركه مجاهدة معاوية وقتاله ومعه العدد الكثير باطل، فشكوا في إمامتهما ورجعوا فدخلوا في مقالة العوام[٥٧١]، وأما الأمثلة على الاختلاف والتناقض في أقوال الأئمة فهو باب واسع، وكان هو الآخر من أسباب انصراف بعض الشيعة من التشيع، وقد شهد بذلك شيخ الطائفة الطوسي، وقال بأن أخبارهم متناقضة متباينة حتى لا يوجد خبر إلا بإزائه ما يضاده، ولا رواية إلا ويوجد ما يخالفها، وعد ذلك من أعظم الطعون على المذهب الشيعي، ومن أسباب مفارقة بعض الشيعة الإمامية للمذهب، كتابا التهذيب والاستبصار -وهما المصدران المعتمدان من المصادر الأربعة عند الشيعة- يشهدان بهذا التناقض والاختلاف عبر روايتهما الكثير، وقد حاول الطوسي درء هذا الاختلاف ومعالجة هذا التناقض بحمله على التقية فما أفلح إذ زاد الطين بلة، علمًا بأن الطوسي هو الذي كان يوجه الروايات فيقول هذا الحديث تقية، وهذه الرواية ليست بتقية، وعليها العمل والمتفق عليه أن الطوسي نفسه ليس بمعصوم، بالضرورة سوف يخطئ في توجيه بعض هذه الروايات فيجعل ما ليس بتقية تقية والشيعة يتبعونه في توجيه هذا، وبالتالي يتضح أن الشيعة يتبعون في تدينهم أمثال الطوسي، ولا يتبعون المعصوم في دينهم، وقد أوجد الشيعة الرافضة عقيدة التقية والبداء -وسيأتي بيانهما بإذن الله- لتغطية هذا الاختلاف في أخبار الأئمة وأعمالهم.. فاكتشف بعض الشيعة هذه المحاولة، وعرف سبب وضع هاتين العقيدتين، فترك التشيع وقال: إن أئمة الرافضة وضعوا لشيعتهم مقالتين لا يظهرون معهما من أئمتهم على كذب أبدًا، وهما القول بالبداء وإجازة التقية.

وهناك أمر آخر يبطل دعوى العصمة وهو أن المعصوم الذي يدعون اتباعه لم يعصمهم من الخلاف في أصل الدين عندهم وأساسه وهو الإمامة، فتجدهم مختلفين متنابذين

---

(٥٧١) المقالات والفرق للقمي ص(٢٥)، فرق الشيعة للنوبختي ص(٢٥، ٢٦).

متلاعنين يكفر بعضهم بعضًا لاختلافهم في عدد الأئمة، وفي تحديد أعيانهم، وفي الوقف وانتظار عودة الإمام، أو المضي إلى إمام آخر... هذا عدا الروايات المختلفة المتناقضة في الكثير من أمور الدين -أصوله وفروعه- فما منعت العصمة المزعومة أهل الطائفة من الاختلاف.. وعدم وجود أثرها يدل على انعدام أصلها، وقد يقال بأن اعتقادهم في عصمة الأئمة أمر لا يؤثر اليوم، لأن الأئمة قد انتهى وجودهم الفعلي منذ عام (٢٦٠هـ).. ولم يبق إلا الانتظار للغائب الموعود إلا أن هذه العقيدة لها آثارها اليوم في واقع الشيعة، ويتمثل في جوانب منها:

١- عملهم بما يؤثر عن الأئمة الاثني عشر كما يعمل سائر المسلمين بالقرآن والسنة.

٢- غلوهم في قبورهم وأضرحتهم، فالغلو في عصمتهم إلى حد وصفهم بصفات الألوهية تحول إلى غلو في قبورهم ومشاهدهم فيطاف بها وتدعى من دون الله.

٣- أن المجتهد الشيعي أصبح له شيء من هذه الصفة، فهم يرون الراد عليه كالراد على الله وهو كحد الشرك بالله، وهذه من الخطورة بمكان.

٤- حمل هذا الاعتقاد الفاسد والدينونة به[٥٧٢] الذي ليس له علاقة بأمير المؤمنين علي وأولاده وأحفاده الأطهار رضي الله عنهم.

ثالثًا: النص من شروط الإمامة عند الشيعة الإمامية الاثنى عشرية:

يعتقد الشيعة الرافضة أن الإمامة كالنبوة لا تكون إلا بالنص من الله (عز وجل) على لسان رسوله (ﷺ)، وأنها مثلها لطف من الله (عز وجل)، ولا يجب أن يخلو عصر من العصور من إمام مفروض الطاعة منصوب من الله (تعالى)، وليس للبشر حق اختيار الإمام وتعيينه، بل وليس للإمام نفسه حق تعيين من يأتي بعده، وقد وضعوا على لسان أئمتهم عشرات الروايات في ذلك، منها ما نسبوه إلى الإمام محمد الباقر (رحمه الله) أنه قال: أترون أن هذا الأمر إلينا نجعله حيث يشاء؟ لا والله ما هو إلا عهد من ر سول الله رجل فرجل مسمى حتى تنتهي إلى صاحبها[٥٧٣].

ويعتقد الشيعة الاثنا عشرية أن الرسول (ﷺ) قد نص على الأئمة من بعده وعينهم بأسمائهم وهم اثنا عشر إمامًا لا ينقصون ولا يزيدون وهم:

١- علي بن أبي طالب رضي الله عنه المرتضي ت (٤٠هـ).

٢- الحسن بن علي رضي الله عنه الزكي ت (٥٠هـ).

٣- الحسين بن علي رضي الله عنه سيد الشهداء ت(٦١هـ).

٤- علي بن الحسين زين العابدين ت (٩٥هـ).

---

(٥٧٢) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٩٦٩-٩٧٣).

(٥٧٣) الإمامة والنص، فيصل نور ص(٨).

٥- محمد بن علي الباقر ت (١١٤هـ).
٦- جعفر بن محمد الصادق ت (١٤٨هـ).
٧- موسى بن جعفر الكاظم ت (١٨٣هـ).
٨- علي بن موسى الرضا ت (٢٠٢هـ).
٩- محمد بن علي الجواد ت (٢٢٠هـ).
١٠- علي بن محمد الهادي ت (٢٥٤هـ).
١١- الحسن بن علي العسكري ت (٢٦٠هـ).
١٢- محمد بن الحسن المهدي ت (٢٥٦هـ).

كان ابن سبأ ينتهي بأمر الوصية عند علي رضي الله عنه، ولكن جاء فيمن بعد من عممها في مجموعة من أولاده، وكانت الخلايا الشيعية تعمل بصمت وسرية، ومع ذلك فقد تصل بعض هذه الدعاوي إلى بعض أهل البيت، فينفون ذلك نفيًا قاطعًا، كما فعل جدهم أمير المؤمنين علي، ولذلك اخترع أولئك الكذابون على أهل البيت «عقيدة التقية» حتى يسهل نشر أفكارهم وهم في مأمن من تأثر الأتباع بمواقف أهل البيت الصادقة والمعلنة للناس[٥٧٤]، إن من أخطر الأمور التي ابتدعها الشيعة الوصية وهي أن رسول الله (ﷺ) أوصى بالخلافة بعد وفاته مباشرة إلى علي رضي الله عنه، وأن من سبقه مغتصبين لحقه كما جاء في كتابهم «الكافي»: من مات ولم يعرف إمامه مات ميتة جاهلية، وكان رسول الله (ﷺ) وكان عليًا عليه السلام[٥٧٥]، ولكن بالاستقراء التاريخي لتاريخ الخلفاء الراشدين، لا نجد للوصية ذكرًا في خلافة أبي بكر ولا في عمر رضي الله عنهما، وإنما نجد بداية ظهورها في السنوات الأخيرة من خلافة عثمان رضي الله عنه، عند بزوغ قرن الفتنة، وقد استنكر الصحابة هذا القول؛ عندما وصل إلى أسماعهم، وبينوا كذبه، ومن أشهر هؤلاء علي بن أبي طالب، وأم المؤمنين عائشة رضي الله عنهما، ثم نرى هذا القول يتبلور في فكرة موجهة، وعقيدة تدعو إلى الإيمان بها والدعوة إليها، وذلك في خلافة علي رضي الله عنه، وهذه الوصية التي تدعيها الرافضة قد أثبت علماؤهم أنها من وضع عبد الله بن سبأ كما ذكر ذلك النوبختي والكشي - وقد مر ذلك معنا - ويكفي في الرد على زعمهم ما ورد بالنقل الصحيح عن عدد من الصحابة رضي الله عنهم ومنهم علي رضي الله عنه نفسه، والأدلة كثيرة منها:

١- ذكر عند عائشة أن النبي (ﷺ) أوصى إلى علي: فقالت: من قاله؟ لقد رأيت النبي (ﷺ) وإني لمسندته إلى صدري، فدعا بالطست، فانخنث، فمات، فما شعرت فكيف

(٥٧٤) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٨٠٠).
(٥٧٥) أصول الكافي (٢/١٦- ١٧).

أوصى إلى علي؟[٥٧٦].

وتصريح عائشة رضي الله عنها أن النبي (ﷺ) لم يوص لعلي من أعظم الأدلة على عدم الوصية، فإن النبي (ﷺ) توفي في حجرها ولو كانت هناك وصية لكانت هي أدرى الناس بها[٥٧٧].

٢- وعن ابن عباس قال: إن عليًا بن أبي طالب رضي الله عنه خرج من عند رسول الله (ﷺ) في وجعه الذي توفي فيه، فقال الناس: يا أبا الحسن، كيف أصبح رسول الله (ﷺ)؟ فقال: أصبح بحمد الله بارئًا، فأخذ بيده العباس بن عبد المطلب، فقال له: أنت والله بعد ثلاث عبد العصا، وإني والله لأرى رسول الله (ﷺ) سوف يتوفي في وجعه هذا، وإني لأعرف وجوه بني عبد المطلب عند الموت، اذهب بنا إلى رسول الله، فلنسأله فيمن هذا الأمر، إن كان فينا علمنا ذلك، وإن كان في غيرنا علمنا فأوصى بنا، فقال علي: إنا والله لئن سألناها رسول الله فمنعناها، لا يعطيناها الناس من بعده، وإني والله لا أسألها رسول الله (ﷺ)[٥٧٨]، وفي قوله رضي الله عنه شهادة للصحابة -رضوان الله عليهم- على مدى التزامهم بتنفيذ أمر رسول الله (ﷺ)، فلو كانت هناك وصية لما تخلف أحد عنه، ولما عبرت الأنصار رأيها -في السقيفة- بحرية وشجاعة وصدق: منا أمير ومنكم أمير[٥٧٩]، ولبايعوا من عهد إليه الوصية، أو على الأقل سيذكر بعضهم، ولو كان هناك نص قبل ذلك لقال علي للعباس: كيف نسأله عن هذا الأمر فيمن يكون وهو قد أوصى لي بالخلافة ، وقد توفي رسول الله (ﷺ) في نفس اليوم، فلما لم يوجد شيء من ذلك تبين ما يدعي من النص دعوى لا أساس لها من الصحة، وكل ما أوردوه في ذلك من التنصيص على علي مردود، لمخالفته هذا النص الصريح من علي رضي الله عنه؛ لأن كل أدلتهم السمعية إما أنها لا تدل على المدعي، وإما نصوص تدل على ذلك ولكنها موضوعة[٥٨٠].

٣- سئل علي رضي الله عنه :أخصكم رسول الله (ﷺ) بشيء فقال: ما خصنا رسول الله بشيء لم يعم به الناس كافة، إلا ما كان في قراب سيفي هذا، قال: فأخرج صحيفة مكتوب فيها: **«لعن الله من ذبح لغير الله، ولعن الله من سرق منار الأرض، ولعن الله من لعن والده، ولعن الله من آوى محدثًا»**[٥٨١]، قال ابن كثير: وهذا الحديث الثابت في الصحيحين وغيرهما عن علي رضي الله عنه يرد على فرقة الرافضة من زعمهم أن رسول الله أوصى إليه بالخلافة، ولو كان الأمر كما زعموا لما رد ذلك أحد من الصحابة فإنهم كانوا أطوع لله

---

(٥٧٦) البخاري رقم: (١٤٧١)، كتاب الوصايا.

(٥٧٧) بذل المجهود في إثبات مشابهة الرافضة لليهود (١/ ١٩٠).

(٥٧٨) البخاري، كتاب المغازي رقم: (٤٤٤٧).

(٥٧٩) البخاري، كتاب الحدود رقم: (٦٨٣٠).

(٥٨٠) الإمامة والرد على الرافضة، تحقيق علي ناصر فقيهي ص(٢٣٨).

(٥٨١) مسلم (٣/ ١٥٦٧) رقم: (١٩٧٨).

ورسوله في حياته وبعد وفاته من أن يفتأتوا عليه فيقدموا غير من قدمه، ويؤخروا من قدمه بنصه، حاشا وكلا! ومن ظن بالصحابة رضوان الله عليهم ذلك فقد نسبهم بأجمعهم إلى الفجور والتواطؤ على معاندة الرسول (ﷺ)، ومضادتهم من حكمه ونصه، ومن وصل من الناس إلى هذا المقام فقد خلع ربقة الإسلام، وكفر بإجماع الأئمة الأعلام[٥٨٢]، قال النووي: فيه إبطال ما تزعمه الرافضة والشيعة والإمامية بالوصية لعلي وغير ذلك من اختراعاتهم[٥٨٣].

٤- وعن عمرو بن سفيان قال: لما ظهر علي يوم الجمل قال: أيها الناس إن رسول الله (ﷺ) لم يعهد إلينا من هذه الإمارة شيئًا حتى رأينا من الرأي أن نستخلف أبا بكر، فأقام واستقام حتى مضى لسبيله[٥٨٤].

٥- روى أبو بكر البيهقي بإسناده إلى شقيق بن سلمة، قال: قيل لعلي بن أبي طالب: ألا تستخلف علينا؟ فقال: ما استخلف رسول الله (ﷺ)، فأستخلف؟ ولكن إن يرد الله بالناس خيرًا فسيجمعهم بعدي على خيرهم، كما جمعهم بعد نبيهم على خيرهم[٥٨٥]، فهذا دليل واضح من أن دعوى النص عليه رضي الله عنه إنما هو من اختلاق الرافضة الذين ملئت قلوبهم بالبغض والحقد لأصحاب رسول الله (ﷺ) بما فيهم علي وأهل بيته، وإنما يدعون حبهم تسترًا ليتسنى لهم الكيد للإسلام وأهله[٥٨٦].

بهذه النصوص القطعية يتضح بجلاء أن لا أصل للوصية المزعومة وأن ما اعتمد عليه الرافضة هو من وضع عبد الله بن سبأ، الذي هو أول من أحدث الوصية ثم وضعت بعد ذلك أسانيد وركبت متون نسبوها زورًا وبهتانًا إلى النبي (ﷺ)، وهدفهم من ذلك الطعن في الصحابة رضوان الله عليهم، بمخالفتهم أمر الرسول (ﷺ) وإجماعهم على ذلك ومن ثم الطعن ورد ما نقلوه إلى أجيال المسلمين من قرآن وحديث[٥٨٧]، قال ابن تيمية (رحمه الله) في رده على الحلي: وأما النص على علي فليس في شيء من كتب أهل الحديث المعتمدة، وأجمع أهل الحديث على بطلانه، حتى قال أبو محمد بن حزم: ما وجدنا قط رواية عند أحد في هذا النص المدعي إلا رواية إلى مجهول يكنى أبا الحمراء لا نعرف من هو في الخلق[٥٨٨]، وقال في موضع آخر: فعلم أن ما تدعيه الرافضة من النص هو مما لم يسمعه

---

(٥٨٢) البداية والنهاية (٥/ ٢٢١).

(٥٨٣) شرح صحيح مسلم (١٣/ ١٥١).

(٥٨٤) الاعتقاد ص (١٨٤)، وقال البيهقي في دلائل النبوة: سنده حسن.

(٥٨٥) الاعتقاد ص (١٨٤)، إسناده جيد.

(٥٨٦) عقيدة أهل السنة في الصحابة (٢/ ٦٢٠).

(٥٨٧) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد ص (٦٥).

(٥٨٨) المنهاج (٨/ ٣٦٢)، الفصل (٤/ ١٦١).

أحد من أهل العلم بأقوال رسول الله (ﷺ) قديمًا ولا حديثًا، ولهذا كان أهل العلم بالحديث يعلمون بالضرورة كذب هذا النقل، كما يعلمون كذب غيره من المنقولات[٥٨٩]، وقد جاء من الغلاة فيما بعد من أحيا نظرية ابن سبأ في أمير المؤمنين علي ثم عمموها على آخرين من سلالة علي والحسين في إثارة مشاعر الناس وعواطفهم، والدخول إلى قلوبهم، لتحقيق أغراضهم ضد الدولة الإسلامية في ظل هذا الستار، وأول من بدأ يشيع القول بأن الإمامة محصورة بأناس مخصوصين في آل البيت، شيطان الطاق الذي تلقبه الشيعة مؤمن الطاق[٥٩٠]، وأنه حينما علم بذلك زيد بن علي بعث إليه ليقف على حقيقة الإشاعة، فقال له زيد : بلغني أنك تزعم أن في آل محمد إمامًا مفترض الطاعة؟ قال شيطان الطاق: نعم، وكان أبوك علي بن الحسين أحدهم ، فقال: وكيف وقد كان يؤتي بلقمة وهي حارة فيبردها بيده ثم يلقمنيها، أفترى أنه كان يشفق علي من حر اللقمة، ولا يشفق علي من حر النار؟ قال شيطان الطاق: قلت له: كره أن يخبرك فتكفر، فلا يكون له فيك الشفاعة[٥٩١]، وهذه القصة المروية في أوثق كتب الرجال عندهم تبين أن هذه النظرية كانت سرية التداول لدرجة أنها خفيت على إمام من أئمة أهل البيت وهو الإمام زيد، وقد بين محب الدين الخطيب أن شيطان الطاق هو أول من اخترع هذه العقيدة الضالة وحصر الإمامة والتشريع وادعى العصمة لأناس مخصوصين من آل البيت[٥٩٢]، وقد شارك شيطان الطاق رجل آخر هو هشام بن الحكم المتوفى (١٧٩ هـ)[٥٩٣]، ويبدو أن عقيدة حصر الإمامة بأناس معينين سرت في الكوفة[٥٩٤]، بسعي مجموعة من أتباع هشام وشيطان الطاق، ففكرة حصر الأئمة بعدد معين قد وضع جذورها في القرن الثاني زمرة ممن يدعي الصلة بأهل البيت أمثال شيطان الطاق وهشام ابن الحكم[٥٩٥].

ولقد اختلفت اتجاهات الشيعة وتباينت مذاهبهم في عدد الأئمة قال في مختصر التحفة: اعلم أن الإمامية قائلون بانحصار الأئمة ، ولكنهم مختلفون في مقدارهم ، فقال بعضهم : خمسة، وبعضهم سبعة بعضهم: ثمانية ، وبعضهم : اثنا عشر ، وبعضهم ثلاثة عشر[٥٩٦]. وكتب الشيعة نقلت صورة هذا التباين والتناقض سواء كانت من كتب الإسماعيلية بمسائل الإمامة للناشئ الأكبر أو «الزينة» لأبي حاتم الرازي، أو من كتب الاثنى عشرية مثل «المقالات والفرق» للأشعري القمي ، و«فرق الشيعة» للنوبختي ، وقضية الإمامة عندهم

(٥٨٩) المنهاج (٧/ ٥٠).
(٥٩٠) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٨٠٠).
(٥٩١) رجال الكشي ص (١٨٦).
(٥٩٢) مجلة الفتح ص ٥، العدد (٨٦٢) عام: (١٣٦٧ هـ).
(٥٩٣) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٨٠٣).
(٥٩٤) بحار الأنوار(١٠٠/ ٢٥٩)، أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٨٠٥).
(٥٩٥) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٨٠٦).
(٥٩٦) مختصر التحفة ص(١٩٣).

ليست بالأمر الفرعي الذي يكون فيه الخلاف أمرًا عاديًا، بل هي أساس الدين وأصله المتين، ولا دين لمن لم يؤمن بإمامهم ولذلك يكفر بعضهم بعضًا، بل إن أتباع الإمام الواحد يكفر بعضهم بعضًا ويلعن بعضهم بعضًا(٥٩٧) أما الاثنا عشرية فقد استقر قولها - فيما بعد - بحصر الإمامة في اثنى عشر إمامًا، ولم يكن في العترة النبوية بني هاشم على عهد رسول الله (ﷺ) وأبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم من يقول بإمامة الاثنى عشرة(٥٩٨) إنما عرف الاعتقاد باثنى عشر إمامًا بعد وفاة الحسن العسكري(٥٩٩).

وحصر الأئمة بعدد معين عقيدة فاسدة باطلة، أمير المؤمنين علي وأولاده وأحفاده براء منها، في كتب الشيعة المعتمدة في «نهج البلاغة»، عن علي رضي الله عنه قال: دعوني والتمسوا غيري فإنا مستقبلون أمرًا له وجوه وألوان، لا تقوم له القلوب، ولا تثبت عليه العقول(٦٠٠)، وإن الآفاق قد أغامت(٦٠١)، والمحجة(٦٠٢)،قد تنكرت، واعلموا أني إن أجبتكم ركبت لكم ما أعلم، ولم أصغ إلى قول القائل وعتب العاتب، وإن تركتموني فأنا كأحدكم ولعلي أسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه أمركم، وأنا لكم وزيرًا خير لكم مني أميرًا(٦٠٣) فلو كانت إمامة علي منصوصًا عليها من الله (عز وجل) لما جاز لعلي بن أبي طالب تحت أي ظرف من الظروف أن يقول للناس: دعوني والتمسوا غيري، ويقول: (أنا لكم وزيرا خيرًا مني أميرًا) كيف والناس تريده وجاءت تبايعه(٦٠٤). ويقول في النهج كلامًا أكثر صراحة وأشد وضوحًا حين يقول: إنه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان على ما بايعوهم عليه، فلم يكن للشاهد أن يختار، ولا للغائب أن يرد وإنما الشورى للمهاجرين والأنصار، فإن اجتمعوا على رجل وسموه إمامًا كان ذلك لله رضا، فإن خرج عن أمرهم خارج بطعن أو بدعة ردوه إلى ما خرج منه، فإن أبي قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين وولاه الله ما تولى(٦٠٥). وقد أشار أمير المؤمنين بهذه العبارة إلى حقائق جديرة بالاهتمام حيث جعل:

أ- الشورى للمهاجرين والأنصار من أصحاب رسول الله (ﷺ) وبيدهم الحل والعقد.

ب- اتفاقهم على شخص سبب لمرضاة الله وعلامة لموافقته (سبحانه وتعالى) إياهم.

---

(٥٩٧) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٨٠٧).
(٥٩٨) منهاج السنة (٢/ ١١١).
(٥٩٩) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٨٠٨).
(٦٠٠) لا تصبر له ولا تطيق احتماله.
(٦٠١) أغامت: غطيت بالغيم.
(٦٠٢) المحجة: الطريق المستقيمة.
(٦٠٣) نهج البلاغة خطبة رقم (٩٢) ص (٢٣٦).
(٦٠٤) ثم أبصرت الحقيقة ص (١٥٨).
(٦٠٥) نهج البلاغة: كتاب إلى معاوية رقم ٦ ص (٥٢٦).

جـ- لا تنعقد الإمامة في زمانهم دونهم، وبغير اختيارهم.

د- لا يرد قولهم ولا يخرج عن حكمهم إلا المبتدع الباغي المتبع غير سبيل المؤمنين. فأين هم الشيعة الاثنى عشرية عن هذه التصريحات الهامة(٦٠٦).

إن مسألة النص لا تثبت بأي وجه من الوجوه، ومسألة حصر الأئمة بعدد معين مردودة بالكتاب والسنة، كما أنه لا يقبلها العقل ولا منطق الواقع، إذ بعد انتهاء العدد المعين هل تظل الأمة بدون إمام؟ ولذلك فإن عصر الأئمة الظاهرين عند الاثنى عشرية لا يتعدى قرنين ونصف إلا قليلاً، وقد اضطر الشيعة للخروج عن حصر الأئمة بمسألة نيابة المجتهد عن الإمام، واختلف قولهم في حدود النيابة(٦٠٧) وفي هذا العصر اضطروا للخروج نهائيًا عن هذا الأصل الذي هو قاعدة دينهم، فجعلوا رئاسة الدولة تتم عن طريق الانتخاب ولكنهم خرجوا عن حصر العدد إلى حصر النوع فقصروا رئاسة الدولة على الفقيه الشيعي(٦٠٨).

- ما يحتج به الاثنا عشرية في أمر تحديد عدد الأئمة بما جاء في كتب السنة:

عن جابر بن سمرة قال: يكون اثنا عشر أميرًا. فقال كلمة لم أسمعها، فقال أبي: إنه قال: كلهم في قريش(٦٠٩) وفي مسلم عن جابر قال: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: «لا يزال الإسلام عزيزًا إلى اثني عشرة خليفة». ثم قال كلمة لم أفهمها. فقلت لأبي: ما قال؟ فقال: «كلهم من قريش»(٦١٠). وفي لفظ: «لا يزال هذا الدين عزيزًا منيعًا إلى اثني عشر خليفة»(٦١١) وفي لفظ آخر: «لايزال أمر الناس ماضيًا ما وليهم اثنا عشر رجلاً»(٦١٢). وعند أبي داود: «لا يزال هذا الدين قائمًا حتى يكون عليكم اثنا عشر خليفة، كلهم تجتمع عليهم الأمة»(٦١٣). وأخرجه أبو داود أيضًا من طريق الأسود بن سعيد عن جابر بنحو ما مضى قال: وزاد فلما رجع إلى منزله أتته قريش فقالوا: ثم يكون ماذا قال: «الهرج»(٦١٤). يتعلق الاثنا عشرية بهذا النص ويحتجون به على أهل السنة، لا لإيمانهم بما جاء في كتب السنة(٦١٥)، ولكن للاحتجاج عليهم بما يسلمون به، وبالتأمل في النص بكل حيدة وموضوعية نجد أن هؤلاء الاثنى عشر وصفوا بأنهم يتولون الخلافة، وأن الإسلام في عهدهم يكون في عزة

(٦٠٦) ثم أبصرت الحقيقة ص (١٦١).
(٦٠٧) الحكومة الإسلامية للخميني ص (٢٤٨)، أصول الشيعة (٢/ ٨١٤).
(٦٠٨) الحكومة الإسلامية للخميني ص (٢٤٨)، أصول الشيعة (٢/ ٨١٤).
(٦٠٩) البخاري، ك الأحكام، باب الاستخلاف (٨/ ١٢٧).
(٦١٠) مسلم، ك الإمارة، (٢/ ١٤٥٣).
(٦١١) المصدر نفسه (٢/ ١٤٥٣).
(٦١٢) المصدر نفسه (٢/ ١٤٥٢).
(٦١٣) سنن أبي داود، ك المهدي (٤/ ٤٧١).
(٦١٤) سنن أبي داود (٤/ ٤٧٢)، فتح الباري (١٣/ ٢١١).
(٦١٥) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٨١٥).

ومنعة، وأن الناس تجتمع عليهم ولا يزال أمر الناس ماضيًا وصالحًا في عهدهم ، وكل هذه الأوصاف لا تنطبق على من تدعي الاثنا عشرية فيهم الإمامة ، فلم يتول الخلافة منهم إلا أمير المؤمنين علي والحسن مدة قليلة ، كما لم يقم أمر الأمة في مدة أحد من هؤلاء الاثنى عشر- في نظر الشيعة أنفسهم - بل ما زال أمر الأمة فاسدًا . . . ويتولى عليهم الظالمون بل الكافرون(٦١٦) وأن الأئمة أنفسهم كانوا يتسترون في أمور دينهم بالتقية(٦١٧) وأن عهد أمير المؤمنين علي وهو على كرسي الخلافة عهد تقية، كما صرح بذلك شيخهم المفيد(٦١٨) فلم يستطع أن يظهر القرآن ، ولا أن يحكم بجملة من أحكام الإسلام، كما صرح بذلك شيخهم الجزائري(٦١٩)، واضطر إلى ممالأة الصحابة ومجاراتهم على حساب الدين، كما أقر بذلك شيخهم المرتضى (٦٢٠). فالحديث في جانب ومزاعم هؤلاء في جانب آخر ، ثم إنه ليس في الحديث حصر للأئمة بهذا العدد، بل نوه منه بأن الإسلام لا يزال عزيزًا في عصر هؤلاء، وكان عصر الخلفاء الراشدين وبني أمية عصر عزة ومنعة (٦٢١) ولهذا قال ابن تيمية: إن الإسلام وشرائعه في زمن بني أمية أظهر وأوسع مما كان بعدهم، ثم استشهد بحديث: «لا يزال هذا الأمر عزيزًا إلى اثنى عشر خليفة كلهم من قريش». ثم قال: وهكذا كان، فكان الخلفاء أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، ثم تولى من اجتمع الناس عليه وصار له عز ومنعة معاوية وابنه يزيد ثم عبد الملك وأولاده الأربعة وبينهم عمر بن عبد العزيز وبعد ذلك حصل من النقص ما هو باق إلى الآن. ثم شرح ذلك(٦٢٢).

ثم إنه قال في الحديث: «كلهم من قريش»(٦٢٣)، وهذا يعني أنهم لا يختصون بعلي وأولاده ، ولو كانوا مختصين بعلي وأولاده لذكر ما يميزون به، ألا ترى أنه لم يقل: كلهم من ولد إسماعيل ولا من العرب ، فلو امتازوا بكونهم من بني هاشم ، أو من قبيل علي لذكروا بذلك ، فلما جعلهم من قريش مطلقًا علم أنهم من قريش، بل لا يختصون بقبيلة ، بل بنو تيم وبنو عدي، وبنو عبد شمس، وبنو هاشم ، فإن الخلفاء الراشدين كانوا من هذه القبائل(٦٢٤)، فإذن لم يبق من الأوصاف التي تنطبق على ما يريدون إلا مجرد العدد، والعدد لا يدل على شيء(٦٢٥).

---

(٦١٦) منهاج السنة (٤/ ٢١٠) ، المنتقى ص (٥٣٣).
(٦١٧) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٨١٦).
(٦١٨) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٨١٦).
(٦١٩) المصدر السابق (٢/ ٨١٦).
(٦٢٠) المصدر السابق (٢/ ٨١٦).
(٦٢١) المصدر السابق (٢/ ٨١٦).
(٦٢٢) منهاج السنة (٤/ ٢٠٦) .
(٦٢٣) مسلم (٢/ ١٤٥٣)
(٦٢٤) منهاج السنة (٤/ ٢١١).
(٦٢٥) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٨١٨).

أدلتهم من القرآن على النص:

إن الشيعة الرافضة لما لم يجدوا ما يستدلون به من الشرع لتقرير عقيدة الإمامة بالنص عمدوا إلى آيات من كتاب الله فيها ثناء ومدح لعباده الصالحين وأوليائه المتقين، فجعلوها خاصة بأمير المؤمنين علي رضي الله عنه وأولوها على حسب هذا المعتقد الفاسد، كما اختلقوا أحاديث كثيرة لتأييد هذه البدعة الشنيعة، وذلك لإيقاع جهلة المسلمين ومن قل نصيبه من العلم في ذلك وما أوردوه في هذا الشأن واضح البطلان، ولذلك استدلالهم لا يخرج عن أمرين:

أ- إما أن يكون فيما استدلوا به دليل على تلك الدعوى، كآية التطهير والمباهلة، وحديث الراية، وحديث غدير خم وغيرها من الأحاديث.

ب- أو أن تكون أحاديث موضوعة، والموضوع لا تقوم به حجة ولهذا اشتهر بين أهل العلم أن الرافضة أكذب الفرق المنتسبة للإسلام، وقد ذكر ابن تيمية: اتفاق أهل العلم بالنقل والرواية والإسناد على أن الرافضة أكذب الطوائف والكذب فيهم قديم ولهذا كان أئمة الإسلام يعلمون امتيازهم بالكذب (٦٢٦) وإليك بعض الأمثلة في استدلالهم بالقرآن:

١- آية الولاية، قال (تعالى): ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ [المائدة:٥٥]. ذكروا في تفسير هذه الآية ما يدل على زعمهم بأنها في إمامة علي، قال شيخ الطائفة - كما يلقبونه- الطوسي: وأما النص على إمامته من القرآن، فأقوى ما يدل عليه قوله: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾[المائدة ٥٥] (٦٢٧). وقال الطبرسي: وهذه الآية من أوضح الدلائل على صحة إمامة علي بعد النبي بلا فصل(٦٢٨) ويكاد شيوخهم يتفقون على أن هذا أقوى دليل عندهم حيث يجعلون له الصدارة في مقام الاستدلال في مصنفاتهم(٦٢٩)، وأما كيف يستدلون بهذه الآية على مبتغاهم؟ فإنهم يقولون: اتفق المفسرون والمحدثون من العامة والخاصة أنها نزلت في علي لما تصدق بخاتمه على المسكين في الصلاة بمحضر في الصحابة وهو مذكور في الصحاح الستة(٦٣٠)، و ﴿إِنَّمَا﴾ للحصر باتفاق أهل اللغة، والولي بمعنى الأولى بالتصرف المرادف للإمام والخليفة(٦٣١)، فأنت ترى أنهم يعتمدون في استدلالهم بالآية بما روي في سبب نزولها، لأنه ليس في نصها ما يدل على مرادهم،

---

(٦٢٦) منهاج السنة (١/ ٥٩).

(٦٢٧) تلخيص الشافي (٢/ ١٠) نقلاً عن أصول مذهب الشيعة الإمامية (٢/ ٨٢٢).

(٦٢٨) مجمع البيان (٢/ ١٢٨) نقلاً عن أصول الشيعة الإمامية (٢/ ١٢٨).

(٦٢٩) عقائد الإمامية الاثنى عشرية (١/ ٨١ -٨٢)، أصول مذهب الشيعة (٢/ ١٢٨).

(٦٣٠) أصول مذهب الشيعة (٢/ ٨٢٣).

(٦٣١) عقائد الإمامية الاثنى عشرية (١/ ٨١ -٨٢)، نقلاً عن المرجع السابق(٢/ ٨٢٣).

فصار استدلالهم بالرواية لا بالقرآن، فهل الرواية ثابتة، وهل وجه استدلالهم سليم، يتبين هذا بالوجوه التالية:

أ- إن زعمهم بأن أهل السنة أجمعوا على أنها نزلت في علي هو من أعظم الدعاوى الكاذبة، بل أجمع أهل العلم بالنقل أنها لم تنزل في علي بخصوصه، وأن عليًا لم يتصدق بخاتمه في الصلاة، وأجمع أهل العلم بالحديث على أن القصة المروية في ذلك من الكذب الموضوع(٦٣٢). وقوله: إنها مذكورة في الصحاح(٦٣٣) الستة، كذب، إذ لا وجود لهذه الرواية في الكتب الستة وقد ساق ابن كثير الآثار التي تروي في أن هذه الآية نزلت في علي حين تصدق بخاتمه، وعقب عليها: وليس يصح شيء منها بالكلية لضعف أسانيدها، وجهالة رجالها(٦٣٤)، وقال عبد العزيز الدهلوي: وأما القول بنزولها في حق علي بن أبي طالب ورواية قصة السائل وتصدقه بالخاتم عليه في حالة الركوع فإنما هو للثعالبي(٦٣٥) فقط، وهو متفرد به ولا يعد المحدثون من أهل السنة روايات الثعالبي قدر شعيرة ولقبوه بحاطب ليل، فإنه لا يميز الرطب من اليابس وأكثر رواياته عن الكلبي عن أبي صالح وهو من أوهى ما يروي في التفسير عندهم(٦٣٦)، وسبب نزول هذه الآية الصحيح هو أنه لما خانت بنو قينقاع الرسول (ﷺ) ذهبوا إلى عبادة بن الصامت كما أخرج ذلك ابن جرير في تفسيره، وأرادوه أن يكون معهم فتركهم وعاداهم وتولى الله ورسوله، فأنزل الله قوله (جلا وعلا): ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ [المائدة: ٥٦]، وأي الحال أنهم خاضعون في كل شئونهم لله (تبارك وتعالى) ولذلك قال الله (تبارك وتعالى) في أول الآيات: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١]، يعني عبد الله بن أبي بن سلول، لأنه كان مواليًا لبني قينقاع ولما حصلت الخصومة بينهم وبين النبي (ﷺ) والاهم ونصرهم ووقف معهم وذهب إلى النبي (ﷺ) يشفع لهم، أما عبادة بن الصامت رضي الله عنه وأرضاه فإنه تبرأ منهم وتركهم فأنزل الله (تبارك وتعالى): ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي

---

(٦٣٢) منهاج السنة (٤/٤).

(٦٣٣) أصول مذهب الشيعة (٢/١٢٨).

(٦٣٤) تفسير ابن كثير (٢/ ٧٦ -٧٧).

(٦٣٥) مختصر التحفة الاثنى عشرية ص (١٤١- ١٤٢).

(٦٣٦) المصدر نفسه ص (١٤١- ١٤٢) ، عقيدة أهل البيت بين الإفراط والتفريط ص (٤٧٣).
وانظر : أسباب النزول للواحدي تحقيق أيمن شعبان ص (١٦٣).
وانظر: اليهود في السنة المطهرة (١/ ٢٨٢)، ويبقى الخبر الذي رواه ابن إسحاق بإسناد مرسل يتقوى مع المتابعات والشواهد وانظر مختصر تفسير القرآن العظيم المسمى عمدة التفاسير عن الحافظ ابن كثير لأحمد محمد شاكر (١/ ٧٠١) فقد قال أحمد شاكر فيمن قال: نزلت في علي رضي الله عنه: بل هي من أكاذيب الشيعة الذين يلعبون بتأويل القرآن.

الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [المائدة : ٥١] ثم عقب (تبارك وتعالى) بذكر صفة المؤمنين، وهو عبادة بن الصامت وَمَن اتبعه ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا ﴾، أمثال عبادة وغيره، فهذه الآية نزلت في عبادة بن الصامت[٦٣٧].

إن الآيات الكريمة جاءت بالأمر بموالاة المؤمنين، والنهي عن موالاة الكافرين، وهذا المعنى يدرك أيضًا- بعد معرفة سبب النزول الحقيقي - بوضوح من سياق الآيات، إذ قبل هذه الآية الكريمة جاء قوله (سبحانه) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [المائدة : ٥١]، فهذا نهي صريح عن موالاة اليهود والنصارى بالود والمحبة والنصرة . . . . ولا يراد بذلك باتفاق الجميع الولاية بمعنى الإمارة، وليس هذا بوارد أصلاً، ثم أردف ذلك بذكر من تجب موالاته وهو الله ورسوله والمؤمنون، فواضح من ذلك أن موالاة المحبة والنصرة التي نهى عنها في الأولى هي بعينها التي أمر بها المؤمنون في هذه الآية بحكم المقابلة كما هو بين جلي من لغة العرب[٦٣٨]، قال الرازي : لما نهى في الآيات المتقدمة عن موالاة الكفار، أمر في هذه الآية بموالاة من تجب موالاته[٦٣٩] وقال ابن تيمية: إنه من المعلوم المستفيض عند أهل التفسير خلفًا عن سلف أن هذه الآية نزلت في النهي عن موالاة الكفار، والأمر بموالاة المؤمنين[٦٤٠].

ب- إن الله (تعالى) لا يثني على الإنسان إلا بما هو محمود عنده، إما واجب وإما مستحب، والتصدق أثناء الصلاة ليس بمستحب باتفاق علماء الملة، ولو كان مستحبًا لفعله الرسول (ﷺ) ولحض عليه، ولكرر فعله، وإن في الصلاة لشغلاً، وإعطاء السائل لا يفوت، إذ يمكن للمتصدق إذا سلم أن يعطيه، بل إن الاشتغال بإعطاء السائلين يبطل الصلاة كما هو رأي جملة من أهل العلم[٦٤١].

جـ- أنه لو قدر أن هذا مشروع في الصلاة لم يختص بالركوع، فكيف يقال: لا ولي إلا الذين يتصدقون في حال الركوع، فإن قيل: هذه أراد بها التعريف بعلي، قيل له : أوصاف علي التي يعرف بها كثيرة ظاهرة، فكيف يترك تعريفه بالأمور المعروفة ويعرف بهذا

---

(٦٣٧) رواه ابن هشام في السيرة في أمر بني قينقاع (٢/ ٤٩) عن عبادة بن الوليد ورواه ابن جرير في تفسيره في تأويل قوله (تعالى): ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ . . . ﴾ (تفسير الطبري ٦/ ١٧٨) ورجال إسناده من طريق ابن جرير موثوقون، وقد صرح ابن إسحاق بالتحديث عن والده لكنه مرسل، فإن عبادة بن الوليد تابعي جليل روى عن أبيه وجده وغيرهما وهو ثقة (التهذيب ٥/ ١١٤).

(٦٣٨) أصول مذهب الشيعة (٢/ ٨٢٦).

(٦٣٩) تفسير الفخر الرازي (١٢/ ٢٥).

(٦٤٠) منهاج السنة (٤/ ٥).

(٦٤١) منهاج السنة (١/ ٢٠٨) (٤/ ٥).

الأمر الذي لا يعرفه إلا من سمعه وصدق به؟ وجـمهور الأمة لا تسمع هذا الخبر ولا هو في شيء من كتب المسلمين المعتمدة(٦٤٢).

د- وقولهم: إن عليًا أعطى خاتمه زكاة في حال ركوعه فنزلت الآية مخالفة للواقع، ذلك أن عليًا رضي الله عنه لم يكن ممن تجب عليه الزكاة على عهد النبي (ﷺ)، فإنه كان فقيرًا، وزكاة الفضة إنما تجب على من ملك النصاب حولاً وعلي لم يكن من هؤلاء(٦٤٣).

هـ- إن الأصل في الزكاة أن يبدأ المزكي، لا أن ينتظر حتى يأتيه الطالب، أيهما أفضل أن تبادر أنت بدفع الزكاة أو أن تجلس في بيتك وزكاتك عندك، ثم تنتظر الناس حتى يطرقوا عليك الباب ثم تعطيهم زكاة أموالك؟ لا شك أن الأول الأفضل(٦٤٤).

و- قولهم: إن المراد بقوله ﴿إنما وليكم الله﴾ الإمارة لا يتفق مع قوله سبحانه: ﴿إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا﴾، فإن الله (سبحانه) لا يوصف بأنه متول على عباده، وأنه أمير عليهم، فإنه خالقهم ورازقهم وربهم ومليكهم له الخلق والأمر، لا يقال: إن الله أمير المؤمنين كما يسمى المتولي مثل علي وغيره أمير المؤمنين(٦٤٥)، وأما الولاية المخالفة للعداوة فإنه يتولى عباده المؤمنين فيحبهم ويحبونه، ويرضى عنهم ويرضون عنه، ومن عادى له وليًا فقد بارزه بالمحاربة(٦٤٦)، فهذه الولاية هي المقصودة في الآية. وقوله: ﴿وهم راكعون﴾ أي خاضعون لربهم منقادون لأمره، والركوع في أصل اللغة بمعنى الخضوع، أي يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة في حال الركوع وهو الخشوع والإخبات والتواضع لله(٦٤٧)، وهذا كما قال الله (تبارك وتعالى) عن داود عليه السلام: ﴿وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ [ص: ٢٤] وهو خر ساجدًا، وإنما سماه راكعًا للذل والخضوع لله (تبارك وتعالى)، وما قال الله (تبارك وتعالى): ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لا يَرْكَعُونَ﴾ [المرسلات: ٤٨] أي اخضعوا واستسلموا لأمر الله (تبارك وتعالى)(٦٤٨).

ز- وأما استدلالهم بأداة الحصر ﴿إنما﴾ وأن المراد علي رضي الله عنه بالخصوص فهذا الدليل كما يدل على نفي إمامة الأئمة المتقدمين كما قرر يدل على سلب الإمامة من الأئمة المتأخرين بذلك التقرير بعينه، فلزم أن السبطين ومن بعدهما من الأئمة الأطهار مسلوبة منهم الإمامة، فإن أجابوا عن النقض بأن المراد حصر الولاية في بعض الأوقات أعني وقت إمامته

(٦٤٢) منهاج السنة (٤/ ٥)، أصول مذهب الشيعة (٢/ ٨٢٥).
(٦٤٣) أصول مذهب الشيعة (٢/ ٨٢٥).
(٦٤٤) حقبة من التاريخ ص (١٩٣).
(٦٤٥) أصول مذهب الشيعة (٢/ ٨٢٧).
(٦٤٦) المصدر نفسه (٢/ ٨٢٧).
(٦٤٧) الكشاف للزمخشري (١/ ٦٢٤) تفسير الرازي (١٢/ ٢٥).
(٦٤٨) حقبة من التاريخ ص (١٩٤).

لا وقت إمامة من بعده. وافقوا أهل السنة في أن الولاية العامة كانت له وقت كونه إمامًا لا قبله(٦٤٩)، وإذا كانت هذه أقوى أدلتهم - كما يقول شيوخهم - تبين أنهم ليسوا على شيء، ذلك أن الأصل أن يستعمل في هذا الأمر العظيم - والذي هو عند الروافض أعظم أمور الدين، ومنكره في عداد الكافرين- صيغة واضحة جلية، يفهمها الناس بمختلف طبقاتهم، يدركها العامي، كما يدركها العالم، ويفهمها اللاحق، كما يفهمها الحاضر، ويعرفها البدوي، كما يعرفها الحضري، فلما لم يستعمل مثل ذلك في كتاب الله دل أنه لا نص كما يزعمون(٦٥٠) وهذه أقوى آية يستدلون بها من كتاب الله، ويسمونها آية الولاية ولهم تعلق بآيات أخرى ذكرها ابن المطهر الحلي، وأجاب عليها ابن تيمية بأجوبة جامعة(٦٥١):

١- آية المباهلة:

إن آية المباهلة التي نزلت في وفد نجران تعتبر دليل آخر عند الشيعة الاثنى عشرية على الإمامة، وهي قول الله (عز وجل) ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ [آل عمران: ٦١] . ووجه دلالة الآية على إمامة علي بن أبي طالب عند الطوسي وغيره من علماء الشيعة أنها دلت على أفضليته من وجهين:

أحدهما: أن موضوع المباهلة ليتميز المحق من المبطل وذلك لا يصح أن يفعل إلا بمن هو مأمون الباطن مقطوع على صحة عقيدته أفضل الناس عند الله.

الثاني: أنه (ﷺ) جعله مثل نفسه بقوله: ﴿وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ﴾ لأنه أراد بقوله: ﴿أَبْنَاءَنَا﴾ الحسن والحسين عليهما السلام وبقوله: ﴿نِسَاءَنَا﴾ فاطمة وبقوله: ﴿أَنفُسَنَا﴾ نفسه ونفس علي عليهما السلام .. وإذا جعله مثل نفسه وجب ألا يدانيه ولا يقاربه في الفضل أحد(٦٥٢).

وقد سميت آية المباهلة بهذا الاسم، لأن كل محق يود لو أهلك الله المبطل المناظر له، ولا سيما إذا كان في ذلك حجة له في بيان حقه وظهوره، وكانت المباهلة بالموت، لأن الحياة عندهم عزيزة عظيمة لما يعلمون من سوء مآلهم بعد الموت وآية المباهلة لا مستند فيها على ما يدعيه الشيعة الاثنى عشرية في موضوع الإمامة لعدة أسباب:

أ- إنه على كثرة المعاني والمرادفات لكلمة «نفسي» التي استدل بها الإمامية على دلالة النص في خلافة علي بن أبي طالب لا يوجد معنى حقيقي أو مجازي يدل على الخلافة،

---

(٦٤٩) أصول مذهب الشيعة ص (٢/ ٨٢٥).

(٦٥٠) أصول مذهب الشيعة الإمامية (٢/ ٨٢٩).

(٦٥١) وقد قام الدكتور علي السالوس بدراسة مستفيضة حول الآيات التي يستدل بها الإمامية لقولهم بالإمامة وانتهى من ذلك إلى أن استدلالاتهم تنبني على روايات متصلة بأسباب النزول وتأويلات انفردوا بها لم يصح شيء من هذا ولا ذاك، مع الشيعة الاثنى عشرية (١/ ٥٥، ١١١).

(٦٥٢) تفسير التبيان للطوسي (٣/ ٤٨٥).

ولكن ما استدل به أهل السنة على أنها تدل على دعوة النبي (ﷺ) بحضوره بنفسه أو المقاربة في الدين أو النسب فهو مذكور في اللغة موافقًا للدين قال الزبيدي: قال ابن خالويه: النفس الأخ، قال ابن بري: وشاهده قوله (تعالى): ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنفُسِكُمْ﴾ [النور :٦١] وفسر ابن عرفة قوله (تعالى): ﴿ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ [النور ١٢] أي بأهل الإيمان وأهل شريعتهم [٦٥٣] وقال الدهلوي: معنى «ندع أنفسنا» نحضر أنفسنا، وأيضًا لو قرنا الأمير – أي الإمام علي – من قبل النبي (ﷺ) لمصداق «أنفسنا» فمن نقرره من قبل الكفار لمصداق «أنفسكم» في أنفس الكفار مع أنهم مشتركون في صيغة «ندع» ولا معنى لدعوة النبي إياهم وأبنائهم بعد قوله «تعالوا» [٦٥٤].

وقوله (تعالى): ﴿وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ﴾ مثل قوله (تعالى): ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ [النور ١٢] . نزلت في أم المؤمنين عائشة في حادثة الإفك، فإن الواحد من المؤمنين أنفس المؤمنين والمؤمنات ، وكذلك قوله (تعالى): ﴿فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ﴾ [البقرة: ٥٤] أي يقتل بعضكم بعضًا . ومنه قوله (تعالى): ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَارِكُمْ﴾ [البقرة: ٨٤]. أي لا يخرج بعضكم بعضًا، فالمراد بالأنفس الإخوان: إما في النسب وإما في الدين [٦٥٥].

وقد قال الله (عز وجل) في رسوله الكريم: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة:١٢٨].وفي هذه الآية حجة بالغة على من يستدل بقوله (تعالى): ﴿أَنفُسَنَا﴾ على معنى المماثلة والتطابق ، فهذه الآية تتكلم عن رسول الله وعن كفار مكة ، وتقول: ﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ فمن ذا الذي يقول بأن نفس رسول الله ونفس كفار مكة – عياذا بالله [٦٥٦]– ؟!!

وهنا تظهر المزاجية في تفسير آية المباهلة حين يتجاهل علماء الشيعة كل هذه النصوص ثم يأتون إلى هذه الآية الكريمة فيبالغون في معناها إلى حد قولهم بأن عليًا هو نفس محمد (ﷺ) سوى النبوة، وحتى بعض الروايات الشيعية تشير إلى أن إطلاق لفظ أنفسنا على الأخ أو القريب أو أرباب الفئة الواحدة شيء متعارف عليه بين العرب ، فعن أبي عبد الله عليه السلام قال: بعث أمير المؤمنين عليه السلام عبد الله بن العباس إلى ابن الكواء وأصحابه وعليه قميص رقيق وحلة، فلما نظروا إليه قالوا: يا ابن عباس، أنت خيرنا في أنفسنا وأنت تلبس هذا اللباس، وقال: وأنا أول ما أخاصمكم فيه: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ وقال: ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: ٣١] فهل

---

(٦٥٣) تاج العروس (١٦/ ٥٧٠)، ثم أبصرت الحقيقة ص (١٨٨).

(٦٥٤) مختصر التحفة الاثنى عشرية ص (١٥٦).

(٦٥٥) مختصر منهاج السنة (١/ ١٦٧ –١٦٨).

(٦٥٦) ثم أبصرت الحقيقة ص (١٨٨).

بعد هذه الدلائل القرآنية وبعد هذه الرواية الشيعية من كلمة يقولها المغالي(٦٥٧)؟

ب- اعترف أحد أقطاب الشيعة وهو الشريف الرضي أن قوله (تعالى): ﴿أَنفُسَنَا﴾ لا يعني أن عليًا رضي الله عنه هو نفس رسول الله كما يقول الشيعة ، يقول الشريف الرضي: قال بعض العلماء : إن للعرب في لسانهم أن تخبر عن ابن العم اللاصق والقريب والمقارب بأنه نفس ابن عمه، وأن الحميم نفس حميمه، ومن الشاهد على ذلك قول الله (تعالى): ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾ [الحجرات : ١١] أراد (تعالى): ولا تعيبوا إخوانكم المؤمنين ، فأجرى الأخوة بالديانة مجرى الأخوة في القرابة ، وإذا وقعت النفس عندهم على البعيد النسب كانت أخلق أن تقع على القريب النسب، وقال الشاعر:

كأنا يوم قرّى إنما نقتل إيانا

أراد كأنما نقتل أنفسنا بقتلنا إخواننا، فأجرى نفوس أقاربه مجرى نفسه، لشوابك العصم ونوائط اللحم وأطيط الرحم، ولما يخلج من القربى القريبة، ويتحرك من الأعراق الوشيجة، فأما قول الله (تعالى) في سورة النور: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنفُسِكُمْ﴾ [النور: ٦١] فيمكن أن يجري هذا المجرى ، لأنه جاء في التفسير: أن معنى ذلك فليسلم بعضكم على بعض لاستحالة أن يسلم الإنسان على نفسه، وإنما ساغ القول، لأن نفوس المؤمنين تجري مجرى النفس الواحدة، للاجتماع في عقد الديانة، والخطاب بلسان الشريعة، فإذا سلم الواحد منهم على أخيه كان كالمسلم على نفسه لارتفاع الفروق واختلاط النفوس(٦٥٨).

وبهذا يتضح أنه لا حجة لدى الشيعة في دعواهم أن في هذه الآية ما ينص على مساواة بين رسول الله وعلي رضي الله عنه وأرضاه ، فلفظ (النفس) يطلق في لغة العرب على البعيد النسب، فإطلاقه على القريب من باب أولى وليس في ذلك دلالة على الإمامة من قريب ولا بعيد(٦٥٩).

جـ- إن المباهلة إنما تحصل الرغبة والرهبة والشعور بصدق الداعي بجمعه نفسه وأهله الذين تحن إليهم النفوس بطبيعة الحال ما لا نحن إلى غيرهم من الأبعدين في الهلاك(٦٦٠)، فكونه (ﷺ) يدعو ألصق الناس به وأقربهم إليه دليل واضح على صحة نبوته ولهذا لما رأى نصارى نجران خافوا على أنفسهم وتخلوا عن مباهلته ،ولكن الروافض المبتدعة لما ابتلوا بدفع الحق وعدم التسليم له أصيبوا بعدم فهم ما تدل عليه آيات الكتاب العزيز(٦٦١).

---

(٦٥٧) ثم أبصرت الحقيقة ص (١٨٩).
(٦٥٨) ثم أبصرت الحقيقة ص (١٨٩).
(٦٥٩) ثم أبصرت الحقيقة ص (١٩٠).
(٦٦٠) منهاج السنة (٧/ ١٢٥ -١٢٦).
(٦٦١) عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة (٢/ ٥٦٤ -٥٦٥).

د- قول الشيعة الإمامية: إن الآية تدل على المساواة بينه وبين النبي (ﷺ) إلا النبوة، كلام لا يسلم له أبدًا، إذ إن النبي (ﷺ) لا يساويه أحد في أمور الدين لا علي ولا غيره، فأين مقام رسول الله وكماله البشري من سائر الناس؟.

إن أمير المؤمنين علي نفسه لا يرضى ما يقول الشيعة الإمامية عنه، والمنصف العاقل يدرك هذه القضية بكل وضوح(٦٦٢)، فمقام النبوة له هيبته ومكانته عند أمير المؤمنين وقد تحدثنا عنه في هذا الكتاب.

هـ- إن قضايا الاعتقاد الكبرى ومهمات الدين وأساسياته العظمى لابد لإثباتها من الأدلة القرآنية الصريحة القطعية الدلالة على المعنى المطلوب كدلالة قوله (تعالى): ﴿اللَّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ على التوحيد، ودلالة «محمد رسول الله» على نبوة محمد (ﷺ)، ودلالة قوله (تعالى): ﴿أقيموا الصلاة﴾ على فريضة الصلاة ومشروعيتها(٦٦٣)... إلخ.

١-قوله (تعالى): ﴿قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ [الشورى: ٢٣]وقد أورد الشيعة الإمامية في تفسير هذه الآية حديثًا عزوه إلى النبي (ﷺ) حدد فيه القربى بعلي وفاطمة وأبنائهم الأمر الذي يدل في رأي الشيعة على أفضليتهم ووجوب مودتهم ومن ثم وجوب طاعتهم واتخاذهم أئمة دون غيرهم(٦٦٤).

والإجابة على ما سبق كالآتي:

أ- إن هذه الآية في سورة الشورى وهي مكية باتفاق أهل السنة(٦٦٥) ومن المعلوم أن عليًا إنما تزوج فاطمة بعد غزوة بدر والحسن ولد في السنة الثالثة للهجرة، والحسين في السنة الرابعة، فتكون هذه الآية قد نزلت قبل وجود الحسن والحسين بسنين متعددة، فكيف يفسر النبي (ﷺ) بوجوب قرابة لا تعرف ولم تخلق بعد(٦٦٦).

ب- إن تفسير الآية الذي في الصحيح يناقض ذلك فقد روى البخاري بإسناده إلى ابن عباس رضي الله عنهما أنه سئل عن قوله: ﴿إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ فقال سعيد بن جبير: قربى آل محمد (ﷺ) فقال ابن عباس: عجلتَ، إن النبيَ (ﷺ) لم يكن بطن في قريش إلا كان له فيهم قرابة فقال: إلا أن تصلوا ما بيني وبينكم من القرابة(٦٦٧)، وقال ابن تيمية -رحمه الله- : فهذا ابن عباس ترجمان القرآن، وأعلم أهل البيت بعد علي، يقول: ليس معناها مودة ذوي القربى، لكن معناها: لا أسألكم يا معشر العرب ويا معشر قريش عليه أجرًا، ولكن أسألكم أن تصلوا القرابة التي بيني وبينكم فهو سأل الناس الذين أرسل إليهم

---

(٦٦٢) ثم أبصرت الحقيقة ص (١٩١).

(٦٦٣) آية التطهير وعلاقتها بعصمة الأئمة، عبد الهادي الحسيني ص (٥).

(٦٦٤) مجمع البيان للطبرسي (٢٥/ ٤٩ -٥١)، مختصر التحفة الاثني عشرية ص (١٥٣ :١٥٥).

(٦٦٥) تفسير البغوي (٤/ ١١٩) العقيدة في أهل البيت ص (٣٦٤).

(٦٦٦) منهاج السنة (٧/ ٩٩)، دراسة عن الفرق وتاريخ المسلمين، جلي ص (١٩٠).

(٦٦٧) البخاري، ك التفسير، رقم (٤٨١٨).

أولا أن يصلوا رحمه، فلا يعتدوا عليه حتى يبلغ رسالة ربه[٦٦٨].

جـ- إن الحديث الذي جعلوه مفسرًا للآية كذب وموضوع باتفاق أهل المعرفة بالحديث وهم المرجوع إليهم في هذا، وقد نص على ذلك ابن تيمية[٦٦٩]، وقد تتبع ابن كثير أيضًا الأحاديث الواردة في تفسير هذه الآية وبين أن الأحاديث التي تنص على أن أولي القربى هم فاطمة وولداها ضعيفة الإسناد، وأورد رواية عن ابن أبي حاتم قال: حدثنا رجل سماه حدثنا حسين الأشقر عن قيس عن الأعمش عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنه قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ -الآية- قالوا يا رسول الله من هؤلاء الذين أمر الله بمودتهم؟ قال: «**فاطمة وولدها رضي الله عنهم**» وهذا إسناد ضعيف فيه متهم لا يعرف، عن شيخ شيعي محترق وهو حسين الأشقر ولا يقبل خبره في هذا المحل، وذكر نزول الآية في المدينة بعيد فإنها مكية ولم يكن إذ ذاك لفاطمة رضي الله عنها أولاد بالكلية فإنها لم تتزوج بعلي إلا بعد بدر في السنة الثانية من الهجرة، والحق تفسير هذه الآية بما فسر به حبر الأمة وترجمان القرآن عبد الله بن عباس رضي الله عنه وقد تحدث ابن حجر عن ضعف الروايات المذكورة ومخالفتها للحديث الصحيح[٦٧٠].

- **أدلتهم من السنة:**

١- خطبة غدير خم:

غدير خم هو موقع بين مكة والمدينة بالجحفة[٦٧١]، ويقع شرق رابغ بما يقرب من ٢٦ ميلاً، ويسمونه اليوم الغربة[٦٧٢]، ويذكر أنه في هذا الموقع خطب النبي (ﷺ) في الناس، وذكر فضل علي رضي الله عنه، واتخذ الروافض هذه الحادثة أساسًا يعتمدون عليه في تشيعهم الغالي له من جهة، واعتمدوا عليها في أحقية علي بالخلافة من جهة أخرى، فأعطوا لهذه الحادثة من الأهمية ما لم يعطوه لغيرها في عصر النبوة[٦٧٣] حتى ألف فيه كتاب من أحد عشر مجلدًا وهو كتاب الغدير ملأه مؤلفه بالأحاديث الموضوعة والضعيفة والصحيح ما أخرجه الإمام مسلم في صحيحه من حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه أنه قال: قام رسول الله (ﷺ) فينا خطيبًا بماء يدعى خما بين مكة والمدينة، فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكر ثم قال: «**أما بعد ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب وأنا تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به**»، فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال: «**وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل**

(٦٦٨) منهاج السنة (٧/ ١٠٠).
(٦٦٩) المصدر السابق (٧/ ١٠٠).
(٦٧٠) تفسير ابن كثير (٤/ ١١٢)، فتح الباري (٨/ ٥٦٤).
(٦٧١) معجم البلدان (٢/ ٢٨٩).
(٦٧٢) على طريق الهجرة، عاتق البلاد ص (٦١).
(٦٧٣) أثر التشيع على الروايات التاريخية، عبد العزيز محمد نور ولي ص (٢٩٩).

بيتي أذكركم الله في أهل بيتي». قال له حصين - أي الراوي عن زيد بن أرقم: ومن أهل بيته يا زيد؟ أليس نساؤه من أهل بيته؟.

قال: نعم، ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده. قال: ومن هم؟ قال: هم آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس قال: كل هؤلاء حرم الصدقة؟. قال: نعم[٦٧٤]. وجاء عند غير مسلم كالترمذي[٦٧٥]، وأحمد[٦٧٦]، والنسائي في الخصائص[٦٧٧]، والحاكم[٦٧٨]، وغيرهم جاءت بأسانيد صحيحة عن النبي (ﷺ): «من كنت مولاه فعلي مولاه»[٦٧٩] وأما الزيادات الأخرى كقوله: «اللهم وال من والاه وعاد من عاداه» فهذه الزيادات صححها بعض أهل العلم والصحيح أنها لا تصح وأما زيادة: «انصر من نصره وأخذل من خذله، وأدر الحق معه حيث دار»، فهذه زيادة مكذوبة على النبي (ﷺ)[٦٨٠].

وخطبة النبي (ﷺ) في غدير خم لها سبب وجيه، فعن بريدة بن الحصيب رضي الله عنه قال: بعث النبي (ﷺ) عليًا إلى خالد بن الوليد في اليمن ليخمس الغنائم ويقبض الخمس، فلما خمس الغنائم كانت في الغنائم وصيفة هي أفضل ما في السبي، فصارت في الخمس، ثم إن عليًا خرج ورأسه مغطى وقد اغتسل، فسألوه عن ذلك، فأخبرهم أن الوصيفة التي كانت في السبي صارت له فتسرّى بها. فكره البعض ذلك منه، وقدم بريدة بن الحصيب بكتاب خالد إلى النبي (ﷺ) وكان ممن يبغض عليًا فصدق على كتاب خالد الذي تضمن ما فعله علي، فسأله النبي (ﷺ): «لا تبغضه فإن له في الخمس أكثر من ذلك»[٦٨١]، فلما كانت حجة الوداع رجع علي من اليمن ليدرك الحج مع النبي (ﷺ) وساق معه الهدي[٦٨٢]، وقد تعجل علي ليلقي الرسول (ﷺ) بمكة واستخلف رجلاً من أصحابه على الجند، فكسا ذلك الرجل الجند حللاً من البز[٦٨٣]، الذي كان مع علي فلما دنا الجيش من مكة خرج علي ليلقاهم، فإذا عليهم الحلل، فقال لنائبه: ويلك ما هذا؟! قال: كسوت القوم ليتجملوا به إذا قدموا في الناس، قال: ويلك، انزع قبل أن تنتهي به إلى رسول الله

---

(٦٧٤) مسلم رقم (٢٤٠٨).
(٦٧٥) سنن الترمذي رقم (٣٧١٣).
(٦٧٦) مسند أحمد الموسوعة الحديثية رقم (٦٧٠) صحيح لغيره.
(٦٧٧) خصائص علي رقم (٧٩) صحيح رجاله ثقات.
(٦٧٨) المستدرك (٣/ ١١٠).
(٦٧٩) حقبة من التاريخ ص (١٨٢).
(٦٨٠) انظر: السلسلة الصحيحة للألباني رقم: (١٧٥٠).
(٦٨١) مجمع الزوائد (٩/ ١٢٧) قال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح غير عبد الجليل بن عطية وهو ثقة صرح بالسماع وفيه لين.
(٦٨٢) مسلم رقم (١٢٨١).
(٦٨٣) البز: الثياب، أو متاع البيت من الثياب.

(ﷺ)، فانتزع الحلل وردها إلى البز، فـأظهر الجيش شكواه لما صنع بهم علي[٦٨٤]، فلما اشتكى الناس عليًا قام رسول الله (ﷺ) في الناس خطيبًـا، قال ابن كثير: إن عليًا رضي الله عنه لما كـثر فـيه القـيل والقال من ذلك الجـيش بسبب منعـه إياهم استـعمـال إبل الصـدقة وإسترجاعه منهم الحلل التي أطلقـها لهم نائبه لذلك، والله أعلم، لما رجع رسول الله (ﷺ) من حجته وتفرغ من مناسكه وفي طريقه إلى المدينة مر بغـدير خم فقام في الناس خطيبًا فبرأ ساحة علي ورفع من قدره ونبه على فضله ليزيل ما وقر في قلوب كثير من الناس[٦٨٥].

إن النبي (ﷺ) أخـر الكلام إلى أن رجع إلى المدينة ولم يتكلم وهو في مكة في حـجة الوداع أو في يوم عرفـة وإنما أجل الأمر إلى أن رجع، فهذا يدل على أن الأمـر خاص بأهل المدينة لأن الذين تكلموا في علي رضي الله عنه من أهل المدينـة فهم الذين كانوا مع علي في الغزو، وغدير خم في الجـحفة وهي تبعد عن مكة تقـريبًا مائتين وخمسين كـيلو مترًا والذي يقول: إنه مفتـرق الحجيج فهذا غير صـحيح، لأن مجتمع الحجيج مكة، فـلا يكون مفترق الحجيج بعيدًا عن مكة أكثر من مائتين وخـمسين كيلو مترًا أبدًا، فإن أهل مكة يبقون في مكة وأهل الطائف يرجعون إلى الطائف وأهل اليمن إلى اليمن وأهل العراق إلى العراق ، وهكذا كل من من أنهى حجـه ، فإنه يرجع إلى بلده، وكذلك القبـائل العربية ترجع إلى مـضاربها فلم يكن مع النبي (ﷺ) إلا أهل المدينة ومن كان على طريق المدينة فقط، وهم الذين خطب فيهم النبي (ﷺ)، والاختلاف بين أهل السنة والشيـعة الروافض في مفهوم قول النبي (ﷺ) لا في الثبوت ، فالروافض يقولون : **«من كنت مولاه فعلي مولاه»** أي من كنت واليه فعلي واليه، وأهل السنة يقـولون إن مفهـوم قول النبي (ﷺ) **«من كنت مـولاه فـعلي مـولاه»** أي الموالاة التي هي النصرة والمحبة وعكسها المعاداة وذلك لأمور:

أ- للزيادة التي وردت وصححها بعض أهل العلم وهي قول النبي (ﷺ) : **«اللـهم وال من ولاه وعاد مـن عاداه»**[٦٨٦] . والمعاداة هي شـرح لقوله : **«فعلـي مولاه»** فهي في مـحبة الناس لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه وأرضاه.

ب- كلمـة مولاه تدل على مـعاني مـتعـددة . قـال ابن الأثيـر: المولى يقع على الرب والمالك والمنعم والناصر والمحب والحليف والعبـد والمعتق وابن العم والصهر[٦٨٧]، كل هـذه الكلمات تطلقها العرب على كلمة مولى.

جـ- الحديث ليس فيه دلالة على الإمامة لأن النبي (ﷺ) لو أراد الخلافة لم يأت بكلمة

---

(٦٨٤) البداية والنهاية (٥/ ٩٥)، السيرة النبوية لابن هشام (٤/ ٢٥٩) قـال ابن كثير: هذا السياق أقرب من سيـاق البيهقي (دلائل النـبوة ٥/ ٣٩٨) رغم أنه قال عن رواية البيـهقي هذا إسناد جيـد على شرط النسائي.

(٦٨٥) البداية والنهاية (٥/ ٩٥).

(٦٨٦) السلسلة الصحيحة للألباني رقم (١٧٥٠).

(٦٨٧) النهاية في غريب الحديث (٥/ ٢٢٨).

تحتمل هذه المعاني التي ذكرها ابن الأثير، والنبي (ﷺ) هو أفصح العرب ولكان يقول علي خليفتي من بعدي أو علي الإمام من بعدي، أو إذا أنا مت فاستمعوا وأطيعوا لعلي بن أبي طالب، ولكن لم يأت النبي (ﷺ) بهذه الكلمة الفاصلة التي تنهي الخلاف إن وجد أبدًا، وإنما قال: «من كنت مولاه فعلي مولاه»[٦٨٨].

د- قال الله (تعالى): ﴿مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [الحديد: ١٥] فسماها مولى لشدة الملاصقة والاتحاد مع الكفار والعياذ بالله.

هـ- الموالاة وصف ثابت لعلي في حياة رسول الله (ﷺ) وبعد وفاته وبعد وفاة علي رضي الله عنه، فعلي كان مولى المؤمنين بعد وفاة رسول الله (ﷺ) وهو مولى المؤمنين بعد وفاته رضي الله عنه فهو الآن مولانا كما قال الله (تبارك وتعالى): ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ [المائدة: ٥٥]. وعلي رضي الله عنه من سادة الذين آمنوا.

و- قال الإمام الشافعي (رحمه الله) عن حديث زيد: يعني بذلك ولاء الإسلام كما قال الله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لا مَوْلَى لَهُمْ﴾ [محمد: ١١][٦٨٩]. فالحديث لا يدل على أن عليًا رضي الله عنه هو الخليفة بعد رسول الله (ﷺ)، وإنما يدل على أن عليًا من أولياء الله (تبارك وتعالى) تجب له الموالاة وهي المحبة والنصرة والتأييد[٦٩٠].

وعمومًا فإن هذه الخطبة التي خطبها النبي (ﷺ) في غدير خم أراد بها تبرئة ساحة علي رضي الله عنه ورفع مكانته والتنبيه على فضله ليزيل ما كان وقر في نفوس الناس من أصحابه الذين كانوا معه في اليمن وأخذوا عليه بعض الأمور، والرسول (ﷺ) لم يرد أن يفعل ذلك أثناء موسم الحج لأن الحادثة رغم انتشارها بقيت محدودة في أهل المدينة، كما أنه لم يؤخره حتى وصوله إلى المدينة حتى لا يمكن المنافقين من استغلال مثل هذه الحادثة في مكايدهم[٦٩١]، ومما يدل على أن النبي (ﷺ) أراد من خطبته هذه بيان فضل علي للذين لم يعرفوا فضله، أنه عندما قام عنده بريدة بن الحصيب ينتقص في علي- وكان قد رأى من علي جفوة - تغير وجه النبي (ﷺ) وقال: «يا بريدة ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟» فقال بريدة: بلى يا رسول الله. قال: «من كنت مولاه فعلي مولاه»[٦٩٢].

وهناك بحث قيم في هذا الموضوع قام به الدكتور محمد علي السالوسي، فتحدث عن خطبة الغدير والوصية بالكتاب والسنة وقام بدراسة لروايات التمسك بالكتاب والعترة وناقشها وحكم عليها ثم قال: مما سبق نرى أن حديث الثقلين الذي صح سنده صح متنه، وأن الروايات الثمانية التي تأمر بالتمسك بالعترة إلى جانب الكتاب الكريم لم تخل واحدة منها

---

(٦٨٨) حقبة من التاريخ ص (١٨٥).

(٦٨٩) النهاية في غريب الحديث (٥/٢٢٨).

(٦٩٠) حقبة من التاريخ ص (١٨٧).

(٦٩١) أضواء على دراسة السيرة النبوية، صالح الشامي ص (١١٣-١١٤).

(٦٩٢) السلسلة الصحيحة (٤/٣٣٦) قال الألباني: وهذا إسناد صحيح على شرط الشيخين.

من ضعف في السند(٦٩٣)،وفي متن هذه الروايات نجد الإخبار بأن الكتاب وأهل البيت لن يفترقا حتى يردا الحوض على رسول الله (ﷺ)، ومن أجل هذا وجب التمسك بهما، ولكن الواقع يخالف هذه الأخبار، فمن المتشيعين لأهل البيت من ضل وأضل، وأكثر الفرق التي كادت للإسلام وأهله وجدت من التشيع لآل البيت ستارًا يحميها، ووجدت من المنتسبين لآل البيت من يشجعها لمصالح دنيوية، كأخذ خمس ما يغنمه الأتباع، إن عدم الضلال يأتي من التمسك بالكتاب والسنة، وإذا تمسك أهل البيت بهما كان لهم فضل الانتساب مع فضل التمسك واستحقوا أن يكونوا أئمة هدى يقتدى بهم كما قال (تعالى): ﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤] أي أئمة نقتدي بمن قبلنا، ويقتدي بنا من بعدنا، ولا يختص هذا بأهل البيت ولكن بكل من يعتصم بالكتاب والسنة، فالروايات التي ضعف سندها لا يستقيم متنها كذلك، وهذا ضعف آخر، ومع هذا كله فلو صحت هذه الروايات فإنها لا تدل من قريب ولا بعيد على وجوب إمامة الأئمة الاثنى عشر وأحقيتهم للخلافة(٦٩٤).

قال العلامة المناوي في فقه روايات الحديث: إن ائتمرتم بأوامر كتابه، وانتهيتم بنواهيه، واهتديتم بهدي عترتي، واقتديتم بسيرتهم، اهتديتم فلم تضلوا(٦٩٥).

وقال ابن تيمية بعد أن بين أن الحديث ضعيف لا يصح: وقد أجاب عنه طائفة بما يدل على أن أهل بيته كلهم لا يجتمعون على ضلالة. قالوا : ونحن نقول بذلك كما ذكر ذلك القاضي أبو يعلي وغيره. وقال أيضًا : إجماع الأمة حجة بالكتاب والسنة والإجماع، والعترة بعض الأمة ،فيلزم من ثبوت إجماع الأمة إجماع العترة(٦٩٦).

إن حديث الثقلين، في قوله (ﷺ): «تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبدًا، كتاب الله(٦٩٧) وعترتي».فيه كلام من حيث صحته وثبوته عن النبي (ﷺ) والثابت عند مسلم أن الأمر كان بالتمسك بكتاب الله، والوصية بأهل البيت كما مر من حديث زيد بن أرقم في مسلم، فأوصى بكتاب الله، وحث على التمسك به ثم قال: «وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي»، فالذي أمر بالتمسك به كتاب الله وأما أهل بيت النبي (ﷺ) فأمر برعايتهم وإعطائهم حقوقهم التي أعطاهم الله (تبارك وتعالى) إياها(٦٩٨) وردًا على فهم الشيعة الروافض المنحرف لحديث الثقلين من وجوه:

---

(٦٩٣) ومع هذا الضعف جاء في كتاب المراجعات للموسوي بأنها متواتر ص (٥١) ونسب للشيخ سليم البشري أنه تلقى هذا القول بالقبول ص (٤٥) وأنه طلب المزيد وذكر صاحب المراجعات روايات أخرى أشد ضعفًا . مع الشيعة الاثنى عشرية (١/ ١٣٦).

(٦٩٤) مع الشيعة الاثنى عشرية (١/ ١٣٦).

(٦٩٥) فيض القدير (٣/ ١٤).

(٦٩٦) منهاج السنة النبوية (٤/ ١٠٥).

(٦٩٧) سنن الترمذي ، ك المناقب رقم (٣٧٨٦) وفيه زيد الأنماطي والحديث له أكثر من طريق لا يخلو طريق منها من كلام مع اختلاف المتون.

(٦٩٨) حقبة من التاريخ ص (٢٠٣).

أ- إن عترة الرجل هم أهل بيته، وعترة النبي (ﷺ) هم كل من حرمت عليه الزكاة وهم بنو هاشم، هؤلاء هم عترة النبي (ﷺ)، فالروافض ليس لهم أسانيد إلى الرسول (ﷺ) وهم يقرون بهذا أنهم ليس عندهم أسانيد في نقل كتبهم ومروياتهم وإنما هي كتب وجدوها وقالوا: ارووها فإنها حق[٦٩٩]، أما أسانيدهم كما يقول الحر العاملي وغيره من أئمة الشيعة الروافض: إنه ليس عند الشيعة أسانيد أصلاً ولا يعولون على الأسانيد[٧٠٠]، فأين لهم ما يروونه في كتبهم ثابت عن عترة النبي (ﷺ)؟ بل أهل السنة هم أتباع عترة النبي (ﷺ) والذين أعطوهم حقهم، ولم يزيدوا ولم ينقصوا كما قال النبي (ﷺ) في حق نفسه: « **لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم ولكن قولوا عبد الله ورسوله**»[٧٠١].

ب- إمام العترة علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وبعده يأتي في العلم عبد الله بن عباس الذي هو حبر الأمة، وكان يقول بإمامة أبي بكر وعمر قبل علي رضي الله عنه، بل إن علي بن أبي طالب قد ثبت عنه بالتواتر أنه قال: أفضل الناس بعد رسول الله (ﷺ) أبو بكر وعمر[٧٠٢]. فعلي يقر بفضل الشيخين وهو إمام العترة[٧٠٣].

جـ- هذا الحديث مثل قوله (ﷺ): «**تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبدًا، كتاب الله وسنتي**»[٧٠٤] وقال النبي (ﷺ) «**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ**»[٧٠٥]، فأمر بالعض عليها بالنواجذ. وقال (ﷺ): «**اقتدوا باللذين من بعدي، أبي بكر وعمر**»[٧٠٦]. وقال: «**اهتدوا بهدي عمار وتمسكوا بعهد ابن مسعود**»[٧٠٧]، ولم يدل هذا على الإمامة أبدًا، وإنما دل على أن أولئك على هدي الرسول (ﷺ)، كما أن عترة الرسول (ﷺ) لا تجتمع على ضلالة أبدًا[٧٠٨].

د- إن الشيعة الروافض يطعنون في العباس[٧٠٩]، ويطعنون في عبد الله ابنه، ويطعنون في أولاد الحسن، وقالوا: إنهم يحسدون أولاد الحسين، ويطعنون كذلك في أبناء الحسين نفسه من غير الأئمة الذي يدعونهم كزيد بن علي[٧١٠]، وكذلك إبراهيم أخي الحسن

---

(٦٩٩) حقبة من التاريخ ص (٢٠٣).
(٧٠٠) حقبة من التاريخ ص (٢٠٣).
(٧٠١) البخاري رقم (٣٤٤٥).
(٧٠٢) البخاري رقم (٣٦٧١).
(٧٠٣) حقبة من التاريخ ص (٢٠٤).
(٧٠٤) مستدرك الحاكم (١/٩٣).
(٧٠٥) سنن أبي داود (٤/٢٠١).
(٧٠٦) صحيح سنن الترمذي للألباني (٣/٢٠٠).
(٧٠٧) سنن الترمذي رقم (٣٨٠٥).
(٧٠٨) حقبة من التاريخ ص (٢٠٥).
(٧٠٩) رجال النجاشي ص (٥٢) نقلاً عن حقبة من التاريخ ص (٢٠٥).
(٧١٠) بحار الأنوار (٤٦/١٩٤) اتهموه أنه كان يشرب الخمر، حقبة من التاريخ ص (٢٠٥).

العسكري[٧١١]، وغيرهم، فهم ليسوا بأولياء للنبي (ﷺ) وعترته، بل أولياء النبي وعترته هم الذين مدحوهم وأثنوا عليهم وأعطوهم حقهم ولم ينقصوهم[٧١٢].

هـ- فهم صحابة رسول الله (ﷺ) للنص: فهم الصحابة رضي الله عنهم أن المراد بالمولى أو الولي هو الحب والولاء والطاعة، ولذلك عبروا عن طاعتهم وإجلالهم لسيد أهل البيت علي بن أبي طالب بمناداته يا مولانا، فعن رياح الحارث قال: جاء رهط إلى علي بالرحبة فقالوا: السلام عليك يا مولانا، فقال: كيف أكون مولاكم وأنتم قوم عرب؟ قالوا: سمعنا رسول الله (ﷺ) يقول يوم غدير خم: «من كنت مولاه فهذا مولاه» قال رياح: فلما مضوا اتبعتهم فسألت من هؤلاء؟ قالوا: نفر من الأنصار فيهم أبو أيوب الأنصاري[٧١٣]. إن أهم ما يستفاد من هذا الحديث هو أن علي بن أبي طالب نفسه لم يكن يفهم من لفظ (مولى) معنى الإمامة والإمارة، فمن الملاحظ أن أمير المؤمنين عليًا قد استنكر منهم مناداته بـ(يا مولانا)، ولو كان أمير المؤمنين علي العربي الفصيح يراها مرادفة يا أميرنا أو يا إمامنا لما استنكر على القائلين تلك المناداة[٧١٤].

و- روت كتب الشيعة الاثنى عشرية أقوالا لبعض أهل البيت ينفون فيها أن يكون المراد بحديث الغدير النص على إمامة علي من بعد رسول الله (ﷺ)، فقد قيل للإمام الحسين بن علي كان كبير الطالبيين في عهده وكان وصي أبيه وولي صدقة جده: ألم يقل رسول الله «من كنت مولاه فعلي مولاه؟» فقال: بلى ولكن والله- لم يعن رسول الله بذلك الإمامة والسلطان، ولو أراد ذلك لأفصح لهم به وكان ابنه الإمام عبد الله يقول: ليس لنا في هذا الأمر ما ليس لغيرنا، وليس في أحد من أهل البيت إمام مفترض الطاعة من الله وكان ينفي أن تكون إمامة أمير المؤمنين من الله[٧١٥]. فإذا كان هذا كلام أهل البيت وهم أبناء علي والناصرون له، فما ترى غيرهم يقولون[٧١٦]؟

٢-حديث الاستخلاف على المدينة في تبوك:

كان في رجب سنة تسع من الهجرة غزوة تبوك، وكانت لها أهمية كبيرة في السيرة النبوية، وتحقق منها غايات كانت بعيدة الأثر في نفوس المسلمين والعرب، ومجرى الحوادث في تاريخ الإسلام[٧١٧]، واستعمل رسول الله (ﷺ) على المدينة عليًا، فوجد المنافقون فرصة

---

(٧١١) الكافي (١/ ٥٠٤) اتهموه بأنه فاجر ماجن شريب للخمور، حقبة من التاريخ ص (٢٠٥).
(٧١٢) حقبة من التاريخ ص (٢٠٥).
(٧١٣) فضائل الصحابة (٢/ ٧٠٢) حديث رقم (٩٦٧).
(٧١٤) ثم أبصرت الحقيقة ص (٢٠٠).
(٧١٥) ثم أبصرت الحقيقة ص (٢٠١) كذلك الرواية في كتب أهل السنة، الاعتقاد للبيهقي ص (١٨٢-١٨٣)، ومن كتب الشيعة، بصائر المؤمنين للصفار ص (١٥٣-١٥٦).
(٧١٦) ثم أبصرت الحقيقة ص (٢٠١).
(٧١٧) المرتضى للندوي ص (٥٥).

للتنفيس مما بداخلهم من حقد ونفاق فأخذوا يتكلمون في علي رضي الله عنه بما يسيء إليه، فمن ذلك قولهم: ما تركه إلا لثقله عليه، وهذا القول منهم في حقه، علامة بارزة واضحة على نفاقهم، ففي الحديث الصحيح أن عليًا رضي الله عنه قال: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، إنه لعهد النبي الأمي (ﷺ) ألا يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق(٧١٨).

عند ذلك أدرك علي الجيش وأراد الغزو معهم قائلاً: يا رسول الله أتخلفني في الصبيان والنساء، فقال رسول الله (ﷺ): «**ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي**»(٧١٩) وليس في هذا الحديث ما يستدل به الشيعة على كون أمير المؤمنين علي بن أبي طالب خليفة لرسول الله والرد عليهم من وجوه:

أ- الحديث المذكور له سبب هام لا ينبغي أن يغفل وأن يفهم الحديث دونه، فقد طعن المنافقون في علي رضي الله عنه، فبين رسول الله مكانته وفضله، وكذب المنافقين.

ب- من الثابت أن هارون عليه السلام كانت وفاته قبل موسى عليه السلام والاستدلال بالحديث على إمامة علي بعد رسول الله بالتالي غير منطبق، ولو أراد رسول الله (ﷺ) النص على علي بن أبي طالب رضي الله عنه لقال له مثلاً: أنت مني بمنزلة يوشع من موسى، لأن نبي الله يوشع استخلف على بني إسرائيل بعد وفاة موسى عليه السلام، لكن ذكر رسول الله (ﷺ) لهارون عليه السلام الذي كان خليفة موسى عليه السلام في حياة موسى لا بعد وفاته ليس له إلا معنى واحد هو الترضية لعلي الذي أحزنه إبقاء الرسول له في المدينة مستخلفًا على الضعفاء والنساء والأطفال والمتخلفين عن الغزوة، فبين له النبي (ﷺ) أنه كما استخلف موسى عليه السلام أخاه هارون عليه السلام على قومه وذهب للطور للقاء ربه (تبارك وتعالى) فاستخلافي لك من هذا الباب، فموسى لم يستخلف هارون عليهما السلام استخفافًا به وتنقيصًا له وإنما ائتمانًا له وثقة به وكذلك الحال معك يا علي بن أبي طالب رضي الله عنك.

جـ- هارون عليه السلام لم يكن وصيًا لموسى عليه السلام بل نبيًا ووزيرًا بنص القرآن، وقياس حال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه الذي هو عند الشيعة وصي وليس بنبي قياسًا مع الفارق علمًا بأنهم يرفضون القياس أصلاً.

د- الاستدلال بكون هارون عليه السلام وزيرًا لموسى عليه السلام على وزارة أمير المؤمنين علي لرسول الله (ﷺ) أعجب من الأولى، ذلك لأن الله (تعالى) الذي جعل هارون عليه السلام وزيرًا لنبيه موسى عليه السلام قال معكم كتابه عن طلب موسى عليه السلام: **﴿وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾** [طه: ٢٩-٣٢] فهل يرى من يدعي التطابق بين الاثنين كون علي رضي الله عنه مشاركًا لرسول الله

(٧١٨) مسلم.
(٧١٩) البخاري رقم (٤٤٠٤).

(ﷺ) في نبوته كما هو الحال في مشاركة هارون لموسى عليه السلام في أمره؟!! من يعتقد ذلك فلا شك في كفره وخروجه من ملة الإسلام(٧٢٠).

هـ- لقد استخلف النبي (ﷺ) على المدينة غير علي بن أبي طالب ، ففي غزوة بدر استخلف عبد الله بن أم مكتوم، واستخلف في غزوة سليم، سباع بن عرفطة الغفاري ، أو ابن أم مكتوم على اختلاف في ذلك، واستخلف في غزوة السويق، بشير بن عبد المنذر، واستعمل على المدينة في غزوة بني المصطلق، أبا ذر الغفاري، وفي غزوة الحديبية، نميلة بن عبد الله الليثي كما استعمله أيضًا في غزوة خيبر، وفي عمرة القضاء استعمل عويف بن الأضبط الديلي ، وفي فتح مكة، كلثوم بن حصين بن عتبة الغفاري، وفي حجة الوداع، أبا دجانة الساعدي ذكر هذا ابن هشام في مواقف متفرقة من السير(٧٢١)، إضافة إلى أن استخلاف علي على المدينة لم يكن الأخير، فقد استخلف النبي (ﷺ) على المدينة في حجة الوداع غير علي، وهذا منهج النبي (ﷺ) في تربية القادة كما حدث عندما أمر أبا بكر على الحج، واختصه أيضًا بإمامة الصلاة وحده(٧٢٢).

و- وأما تشبيه النبي (ﷺ) لعلي بهارون فهذه فضيلة ، كما أن النبي (ﷺ) شبه أبا بكر وعمر بأعظم من هارون ففي غزوة بدر، لما كانت قضية الأسرى واستشار النبي (ﷺ) أبا بكر، فرأى أن يعفو عنهم وأن يفادوهم قومهم، ورأى عمر أن يقتلهم، فقال النبي (ﷺ) لأبي بكر: «**إن مثلك كمثل إبراهيم يوم قال: ﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾** [إبراهيم: ٣٦] **ومثلك كمثل عيسى إذ قال: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾** [المائدة :١١٨]. ثم التفت إلى عمر فقال: «**يا عمر إن مثلك مثل نوح لما قال: ﴿رَّبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾** [نوح: ٢٦]، **ومثلك مثل موسى لما قال: ﴿رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الأَلِيمَ﴾** [يونس: ٨٨](٧٢٣) فشبه أبا بكر بإبراهيم وعيسى وشبه عمر بنوح وموسى، وأولئك من أولي العزم وهم خير البشر بعد رسول الله (ﷺ) ، وهم أفضل من هارون بدرجات صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وتشبيه النبي (ﷺ) لعلي بهارون تكريم له كما كرم النبي أبا بكر وعمر عندما شبههما بإبراهيم وعيسى وموسى ونوح(٧٢٤) عليهم السلام.

---

(٧٢٠) ثم أبصرت الحقيقة ص (٢١٥).
(٧٢١) السيرة النبوية لابن هشام (٢، ٦٥٠، ٤، ٨٠٤، ٨٠٦).
(٧٢٢) ثم أبصرت الحقيقة ص (٢١٥).
(٧٢٣) مسند أحمد (١/ ٣٨٣) إسناده صحيح.
(٧٢٤) حقبة من التاريخ ص (٢٠٠).

ز - من أقوال العلماء في شرح الحديث:

* قال النووي (رحمه الله) : وهذا الحديث لا حجة فيه لأحد منهم، بل فيه إثبات فضيلة لعلي ولا تعرض فيه لكونه أفضل من غيره أو مثله، وليس فيه دلالة لاستخلافه بعده، لأن النبي (ﷺ) إنما قال هذا لعلي حين استخلفه في المدينة في غزوة تبوك ويؤيد هذا أن هارون المشبه به لم يكن خليفة بعد موسى ، بل توفي في حياة موسى، وقبل وفاة موسى بنحو أربعين سنة على ما هو مشهور عند أهل الأخبار والقصص، قالوا: وإنما استخلفه حين ذهب لميقات ربه للمناجاه(٧٢٥) .

* وقال ابن حزم (رحمه الله) بعد أن ذكر احتجاج الرافضة بالحديث: وهذا لا يوجب له فضلاً على من سواه ولا استحقاق الإمامة بعده لأن هارون لم يل أمر بني إسرائيل بعد موسى عليهما السلام، وإنما ولي الأمر بعد موسى (عليه السلام) يوشع بن نون فتى موسى وصاحبه الذي سافر معه في طلب الخضر عليهما السلام، كما ولي الأمر بعد رسول الله (ﷺ) صاحبه في الغار الذي سافر معه إلى المدينة، وإذ لم يكن علي نبيا كما كان هارون نبيا، ولا كان هارون خليفة بعد موت موسى على بني إسرائيل فصح أن كونه رضي الله عنه من رسول الله بمنزلة هارون من موسى إنما هو في القرابة فقط، وأيضًا فإنما قال له رسول الله (ﷺ) هذا القول إذ استخلفه على المدينة في غزوة تبوك... ثم قد استخلف (ﷺ) قبل تبوك وبعد تبوك في أسفاره رجالاً سوى علي رضي الله عنه فصح أن هذا الاستخلاف لا يوجب لعلي فضلاً على غيره ، ولاية الأمر بعده، كما لم يوجب ذلك لغيره من المستخلفين(٧٢٦) .

* وقال ابن حجر (رحمه الله): واستدل بحديث الباب على استحقاق علي للخلافة دون غيره من الصحابة، فإن هارون كان خليفة موسى وأجيب بأن هارون لم يكن خليفة موسى إلا في حياته لا بعد موته لأنه مات قبل موسى باتفاق أشار إلى ذلك الخطابي(٧٢٧) .

* وقال ابن تيمية (رحمه الله) في سياق رده على الشيعة الرافضة في استدلالهم بهذا الحديث: وقول القائل هذا بمنزلة هذا، وهذا مثل هذا، هو كتشبيه الشيء بالشيء يكون بحسب ما دل عليه السياق ، لا يقتضي المساواة- المطلقة- في كل شيء، وكذلك هنا بمنزلة هارون وهذا الاستخلاف يسمى من خصائص علي، بل ولا هو مثل استخلافاته فضلاً أن يكون أفضل منها، وقد استخلف من هو علي أفضل منه في كثير من الغزوات ، ولم تكن تلك الاستخلافات توجب تقديم المستخلف على علي إذا قعد معه، فكيف يكون موجبًا لتفضيله على علي؟ قد استخلف على المدينة غير واحد، وأولئك المستخلفون منه بمنزلة هارون من موسى من جنس استخلاف علي بل كان ذلك الاستخلاف مع كون علي أكثر

---

(٧٢٥) شرح صحيح مسلم (١٣/ ١٧٤).

(٧٢٦) الفصل (٤/١٥٩-١٦٠).

(٧٢٧) فتح الباري (٧/ ٧٤) الانتصار للصحب والآل ص (٥٤٠).

وأفضل ممن استخلف عليه عام تبوك وكانت الحاجة إلى الاستخلاف أكثر، فإنه كان يخاف من الأعداء على المدينة، فأما عام تبوك فإنه كان قد أسلمت العرب بالحجاز، وفتحت مكة وظهر الإسلام وعز، ولهذا أمر الله نبيه أن يغزو، ولهذا لم يدع النبي (ﷺ) عند علي أحدًا من المقاتلة، كما كان يدع النبي (ﷺ) بها في سائر الغزوات بل أخذ المقاتلة [٧٢٨] كلهم.

حـ - الحكمة في عدم تخصيص رسول الله (ﷺ) من بعده أحدًا ليتولى أمر الأمة: إن الحكمة في عدم تخصيص رسول الله (ﷺ) من بعده أحدًا ليتولى أمر الأمة تتضح في إدراكنا لحقيقة الإسلام كدين رباني للبشرية، وأنه لو حدد الرسول (ﷺ) رجلاً من بعده، فإنه يكون قد أعطى المسوغ الشرعي ليدعي المدعون وقد فعلوا بدون برهان بأن قيادة الأمة من حق أسرة بعينها، ويصبح الحكم الوراثي هو الحكم السائد في الإسلام، ولكن رسول الله (ﷺ) أراد - وهو لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى- أن يترك هذا الأمر مطلقًا للمسلمين أن يختاروا أصلحهم وأخيرهم، وإن كان لمح ببعض التلميحات إلى أبي بكر - وكان بمقدوره عليه السلام أن يصرح، ولكنه لم يفعل لهذا القصد- إلا أن التلميح لا يعطي شرعية التولية المباشرة، ولو كانت هناك وصية لأحد من الخلق لما حصل اختلاف في سقيفة بني ساعدة في بداية الأمر، ولما استشار أبو بكر الناس في تولية عمر، ولما ترك عمر الخلافة بيد ستة من المهاجرين. . . إلخ، ولو كانت المسألة وراثة لكان بنو هاشم أول من ينالون هذا الأمر[٧٢٩].

إن هذا الدين للبشرية، ولا يصح بأي حال من الأحوال أن يكون محصورًا في أسرة حاكمة واحدة، ويظل متوارثًا، كالمتاع، وإذا كانت العصور التالية فعلت ذلك، كعصر بني أمية، وبني العباس وغيرهم، فإن هذا خلاف القاعدة الشرعية، وما كان خلاف القاعدة، فهو طارئ وغريب على دين الله، وينبغي أن ينحى هذا المفهوم القاصر كلية من الفكر الإسلامي حتى يصبح ناصعًا نقيًا[٧٣٠].

بعض الأحاديث الضعيفة والموضوعة التي يستدلون بها في الإمامة:

١- حديث الطائر:

ومن أهم أدلة الشيعة الإمامية كذلك حديث الطائر المشوي روى الحاكم في المستدرك عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كنت أخدم رسول الله (ﷺ)، فقدم لرسول الله فرخ مشوي فقال: «اللهم! ائتني بأحب خلقك إليك يأكل معي من هذا الطير»، قال: فقلت اللهم اجعله رجلاً من الأنصار، فجاء علي رضي الله عنه فقلت: إن رسول الله على حاجة ثم جاء فقال رسول الله (ﷺ): «افتح»، فدخل، فقال رسول الله (ﷺ): «ما حبسك يا علي؟» فقال: إن هذه آخر ثلاثة كرات يردني أنس، يزعم أنك على حاجة، فقال: «ما حملك على

(٧٢٨) منهاج السنة (٧/ ٣٣٠-٣٣٢)، مجموع الفتاوي (٤/ ٤١٦).
(٧٢٩) دراسات في عهد النبوة للشجاع ص (٢٧٠).
(٧٣٠) دراسات في عهد النبوة للشجاع ص (٢٧٠).

ما صنعت؟»، فقلت: يا رسول الله، سمعت دعاءك، فأحببت أن يكون رجلاً من قومي، فقال رسول الله (ﷺ): «إن الرجل قد يحب قومه»(٧٣١). روي هذا الحديث بأسانيد لا تخلو من ضعف، بالإضافة إلى أن كثرة الروايات المسندة إلى أنس بن مالك رضي الله عنه وعدم صحة سند واحد منها أمر يدعو للعجب والدهشة، فأين أصحاب أنس عن هذا الحديث وقد صحبوه السنين الطوال؟ لم نر أي واحد منهم قد روى هذا الحديث، وهم من هم في الثقة والضبط، كأمثال الحسن البصري، وثابت البناني، وحميد الطويل، وحبيب بن أبي ثابت، وبكر بن عبد الله المزني، وسعد بن سهل بن حنيف، وإسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة، وأبان بن صالح وإبراهيم بن ميسرة وغيرهم كثير ممن يروي عن أنس ولا يعرف كثير: ثم وقفت على مجلد كبير في رده وتضعيفه- أي حديث الطير- سندًا ومتنًا للقاضي أبي بكر الباقلاني(٧٣٢)، وقال ابن الجوزي: قد ذكره ابن مردويه من نحو عشرين طريقًا كلها مظلم، وفيها مطعن، فلم أر الإطالة بذلك(٧٣٣)، وقال ابن تيمية: حديث الطائر من المكذوبات والموضوعات عند أهل العلم والمعرفة بحقائق النقل(٧٣٤)، وقال الزيلعي: كم من حديث كثرت رواته وتعددت طرقه، وهو حديث ضعيف(٧٣٥).

٢- حديث الدار:

ومن الأحاديث التي يستدل بها الشيعة الاثنا عشرية على نصية الإمامة حديث الدار، حيث يرى الشيعة أن رسول الله (ﷺ) نص على إمامة علي منذ بداية البعثة وأثناء عرضه الإسلام على كفار مكة منذ مطالبته إياهم بترك الأوثان وإفراد الواحد القهار بالعبادة لما نزلت هذه الآية على رسول الله **﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾** [الشعراء: ٢١٤]. دعاني رسول الله (ﷺ) فقال: **«يا علي إن الله أمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين فضقت بذلك ذرعًا وعرفت أني متى أبادئهم بهذا الأمر أرى منهم ما أكره فصمت عليه حتى جاء جبرائيل، فقال: يا محمد إنك إلا تفعل ما تؤمر به يعذبك ربك فاصنع لنا صاعًا من الطعام واجعل عليه رجل شاة واملأ لنا عسا من لبن، ثم اجمع لي بني عبد المطلب حتى أكلمهم وأبلغهم ما أمرت به»** ففعلت ما أمرني به ثم دعوتهم له وهم يومئذ أربعون رجلاً يزيدون رجلاً أو ينقصونه، فيهم أعمامه أبو طالب وحمزة والعباس وأبو لهب، فلما اجتمعوا إليه دعاني بالطعام الذي صنعت لهم فجئت به فلما وضعته تناول رسول الله خدية من اللحم فشقها بأسنانه ثم ألقاها في نواحي الصفحة، ثم قال: «خذوا باسم الله»، فأكل القوم حتى ما لهم بشيء حاجة، وما

---

(٧٣١) المستدرك (٣/ ١٣٠ -١٣١) ضعيف من حيث السند والمتن.
(٧٣٢) البداية والنهاية (٧/ ٣٥٤).
(٧٣٣) العلل المتناهية (١/ ٢٢٥ -٢٣٤).
(٧٣٤) منهاج السنة (٤/ ٩٩).
(٧٣٥) تحفة الأحوذي (١٠/ ٢٢٤).

أرى إلا موضع أيديهم وايم الله الذي نفسي بيده، إن كان الرجل الواحد منهم يأكل ما قدمت لجميعهم، ثم قال: «اسق القوم» فجئتهم بذلك العس فشربوا حتى رووا منه جميعًا، وايم الله إن كان الرجل الواحد منهم ليشرب مثله، فلما أراد رسول الله أن يكلمهم بدره أبو لهب إلى الكلام فقال: لقد سحركم صاحبكم فتفرق القوم ولم يكلمهم رسول الله، فقال: «الغد يا علي، إن هذا الرجل سبقني إلى ما قد سمعت من القول فتفرق القوم قبل أن أكلمهم فعد لنا من الطعام بمثل ما صنعت، ثم اجمعهم إلي» فقال: ففعلت، ثم جمعتهم ثم دعاني بالطعام فقربته لهم ففعل كما فعل بالأمس فأكلوا حتى ما لهم بشيء حاجة، ثم قال: «اسقهم» فجئتهم بذلك العس فشربوا حتى رووا منه جميعًا، ثم تكلم رسول الله ، فقال: «يا بني عبد المطلب ، إني والله ما أعلم شابًا في العرب جاء قومه بأفضل مما جئتم به، إني قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني الله (تعالى) أن أدعوكم إليه فأيكم يؤازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم» قال: فأحجم القوم عنها جميعًا وقلت: وإني لأحدثهم سنًا وأرمصهم عينًا وأعظمهم بطنًا وأحمشهم ساقًا(٧٣٦): أنا يا رسول الله أكون وزيرك عليه، فأخذ برقبتي ، ثم قال: «إن هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا» ، فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع، وفي سياق آخر .... فلم يجبه أحد منهم فقام علي وقال: أنا يا رسول الله قال: «اجلس» ثم عاد القول على القوم ثانيًا: فصمتوا، فقام علي، وقال: أنا يا رسول الله، فقال: «اجلس» ثم أعاد القول على القوم ثالثًا فلم يجبه أحد منهم، فقام علي فقال : أنا يا رسول الله، فقال: «اجلس أنت أخي» (٧٣٧).

وهذا الحديث باطل سندًا ومتنًا، أما سندًا ففي سنده عبد الغفار بن القاسم وعبد الله بن عبد القدوس، فأما عبد الغفار بن القاسم فهو متروك لا يحتج به، قال عنه علي بن المديني: كان يضع الحديث، وقال يحيى بن معين: ليس بشيء وروى عباس بن يحيى: ليس بشيء، وقال البخاري: ليس بالقوي عندهم - أي عند علماء الجرح والتعديل - وقال عنه ابن حبان: يقلب الأخبار ولا يجوز الاحتجاج به، تركه أحمد بن حنبل ويحيى بن معين(٧٣٨)، وقال النسائي: متروك الحديث(٧٣٩)، وليس عبد الله بن عبد القدوس بأحسن حالاً من سابقه، بل هو مجروح أيضًا عند عامة علماء الحديث، قال النسائي: ليس بثقة، وقال الدارقطني: ضعيف(٧٤٠).

(٧٣٦) مع أن عمره آنذاك ما يقارب عشر سنوات.
(٧٣٧) المراجعات (١/ ٣٥٠) من كتاب الحجج الدامغات لنقض كتاب المراجعات أبو مريم ابن محمد الأعظمي.
(٧٣٨) المجروحين لابن حبان ص (١٤٣).
(٧٣٩) الضعفاء والمتروكين للنسائي ص (٢١٠).
(٧٤٠) ميزان الاعتدال (٢/ ٤٥٧).

وأما من ناحية المتن فالحديث واضح البطلان لأسباب وهي:

أ- هذه الرواية معارضة لرواية أخرى اتفق أهل الحديث على صحتها وثبوتها، فقد أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما نزلت ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]. صعد النبي (ﷺ) على الصفا، فجعل ينادي: «يا بني فهر، يا بني عدي»، لبطون قريش حتى اجتمعوا فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر ما هو ، فجاء أبو لهب وقريش فقال: «أرأيتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي»، قالوا : نعم ما جربنا عليك إلا صدقًا، قال: «فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد»، فقال أبو لهب: تبا لك سائر اليوم، ألهذا جمعتنا، فنزلت: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ * مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾(٧٤١) [المسد: ١، ٢].

ب- الشيعة الاثنا عشرية طالما ادعوا النص الصريح على خلافة علي وأنه هو الوصي والمستحق الوحيد لهذا المنصب، وأن النصوص متضافرة في إثبات ذلك، وهذا الحديث يدحض قولهم إذ فيه أن النبي (ﷺ) دعا قومه لنصرته وأن من يقبل نصرته فسيصبح أخاه ووصيه وخليفته من بعده ولم يخص عليًا بذلك بل وأعرض عنه ثلاث مرات، ولما لم يجد ناصرًا غير علي قال له ما قال، وهذا يدل على أن عليًا لا يستحق هذا المنصب ابتداء، وأن النبي (ﷺ) اضطر مع إحجام قومه أن يجعل هذا الأمر في علي، فهل هذا يتوافق مع ما يدعيه القوم من أن عليًا منصوص عليه من قبل السماء(٧٤٢).

٣- حديث «أنا مدينة العلم وعلي بابها» وأحاديث أخرى موضوعة:

والأحاديث الموضوعة في هذا الباب كثيرة، ومن ذلك ما رواه جابر بن عبد الله عن النبي (ﷺ) أنه قال: «**أنا مدينة العلم وعلي بابها**». فهذا الخبر مطعون فيه ، إذ أنكره البخاري وقال عنه يحيى بن معين: لا أصل له وذكره ابن الجوزي في الموضوعات، وقال النووي والذهبي: إنه موضوع(٧٤٣). ويقول الألباني: وحديث أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد العلم فليأت الباب، موضوع رواه العقيلي في الضعفاء وابن عدي في الكامل، والطبراني والحاكم عن ابن عباس ورواه ابن عدي والحاكم عن جابر رضي الله عنه(٧٤٤)، وكذلك في الكبير حديث «**من ناصب عليًا بالخلافة فهو كافر**» فلا أثر له بوجه في كتب أهل السنة أصلاً(٧٤٥)، وهذه النماذج تكشف عن ضعف ما استند إليه الروافض من حجج اختصاص علي رضي الله عنه وتعيينه دون غيره للخلافة، ويؤيد هذا ما ذهب إليه ابن خلدون من أن ما استدل به الشيعة الروافض من نصوص إنما هي نصوص ينقلونها ويؤولونها على مقتضى

---

(٧٤١) البخاري رقم (٤٤٩٢).

(٧٤٢) ثم أبصرت الحقيقة ص (٢٢٤).

(٧٤٣) الفوائد الموضوعة في الأحاديث الموضوعة ص (٧١) رقم (٢٥٧) الفتاوي (٤/ ٤١٠).

(٧٤٤) ضعيف الجامع الصغير (٢/ ١٣) رقم (١٤١٦).

(٧٤٥) منهاج السنة (٤/ ١٠٧، ١٠٨) دراسة عن الفرق، جلي ص (١٩٥).

مذهبهم، لا يعرفها جهابذة السنة ولا نقلة الشريعة، بل أكثرها موضوع أو مطعون في طريقه أو بعيد عن تأويلاتهم[٧٤٦]، وما أورده ابن حزم من أن سائر الأحاديث التي تتعلق بها الرافضة، فموضوعة يعرف ذلك من له أدنى علم بالأخبار ونقلها[٧٤٧]، ويعترف الكاتب الشيعي ابن أبي الحديد بأثر الشيعة في وضع الأحاديث لتأييد مذهبهم في الإمامة فيقول: إن أصل الأكاذيب في أحاديث الفضائل كان من جهة الشيعة، فإنهم وضعوا في مبدأ الأمر أحاديث مختلقة في صاحبهم حملهم على وضعها عداوة خصومهم، فلما رأت البكرية (يريد بعض السنيين) ما صنعت الشيعة وضعت لصاحبها (أبي بكر) أحاديث في مقابلة هذه الأحاديث ... فلما رأت الشيعة ما قد وضعت البكرية أوسعوا في وضع الأحاديث، ولقد كان الفريقان في غنية عما اكتسباه ، ولقد كان في فضائل علي الثابتة الصحيحة وفضائل أبي بكر المحققة المعلومة ما يغني عن تكلف العصبية[٧٤٨]،ورغم ضعف هذه الحجج وعدم قوتها فإننا نجد أن بعض الشيعة المعاصرين لا زالوا يرددونها في كتاباتهم ويستشهدون بها لإثبات معتقداتهم في الإمامة، وهذا أحد أئمتهم يذهب إلى أن الرسول يعتبر غير مبلغ للرسالة لو لم يعين عليًا خليفة من بعده[٧٤٩]، ويقول : إن الرسول الكريم قد كلمه الله وحيًا أن يبلغ ما أنزل الله إليه، فيمن يخلفه في الناس ويحكم هذا الأمر فقد اتبع ما أمر به وعين أمير المؤمنين عليًا للخلافة[٧٥٠]. وقولهم هذا يناقض كل ما يدعونه من آيات وأحاديث يستدلون بها بالإمامة لأنه يلزم من قولهم هذا إلى واقعة حديث غدير خم لم يكن الله (سبحانه وتعالى) ورسوله نصا على إمامة علي .

ويكفي في نقد نظرية الإمامة عند الشيعة الإمامية أنه لا سند لهم فيها إلا عبد الله بن سبأ اليهودي الذي بدأ يشيع القول بأن الإمامة هي وصية من النبي (ﷺ)، ومحصورة بالوحي، وإذا تولاها سواه يجب البراءة منه وتكفيره، فقد اعترفت كتب الشيعة بأن ابن سبأ، كان أول من أشهر القول بفرض إمامة علي، وأظهر البراءة من أعدائه، وكاشف مخالفيه وكفرهم[٧٥١]، لأنه كان يهودي الأصل يرى أن يوشع بن نون هو وصي موسى ، فلما أسلم أظهر هذه المقالة في علي بن أبي طالب رضي الله عنه[٧٥٢].

---

(٧٤٦) المقدمة ابن خلدون ص (١٩٧).
(٧٤٧) الفصل (ابن حزم) (١٤٨/٤).
(٧٤٨) شرح نهج البلاغة (٤٨/١١ -٥٠) نقلاً عن دراسة عن الفرق، لشيخي الدكتور أحمد جلي ص (١٩٥-١٩٦).
(٧٤٩) دراسة عن الفرق ص (١٩٦).
(٧٥٠) الحكومة الإسلامية للخميني ص (٤٢، ٤٣) دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين ص (١٩٦).
(٧٥١) رجال الكشي ص (١٠٨، ١٠٩)، أصول مذهب الشيعة الإمامية (٧٩٢/٢).
(٧٥٢) أصول مذهب الشيعة الإمامية (٧٩٢/٢).

رابعًا: التوحيد والشيعة الاثنا عشرية:

جعل الشيعة العقيدة في الإمام أساسًا لمذهبهم وركنًا من أركان الدين، وأصبح الإمام عندهم جزءًا من العقيدة وينسب الشيعة إلى بعض أئمتهم القول بأن من أصبح من هذه الأمة لا إمام له أصبح ضالاً تائهًا إن مات على هذا الحال مات ميتة جاهلية(٧٥٣)، ذلك لأن الإمام في تصور الشيعة يختلف اختلافًا كليًا عن تصور المسلمين جميعًا لخليفتهم، إذ أن المسلمين يعدون الإمام أو خليفة المسلمين شخصًا عاديًا في تكوينه ومعارفه، وأن دوره لا يتجاوز دور المنفذ لشرع الله وأنه يعرض عليه الخطأ والانحراف، كما يعرض لسائر الناس فيقوم ويعارض إذا خالف أمر الله، وفوق هذا، فإن الخليفة يختار وينتخب من قبل الجماعة المسلمة وفقًا لمبدأ الشورى(٧٥٤). وخلافًا لهذا التصور يذهب الشيعة إلى أن الأئمة كانوا قبل هذا العالم أنوارًا، وأن لهم ولاية تكوينية إلى جانب الولاية الحكمية، وقد نسبوا إلى رسول الله حديثًا أسندوه إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه(٧٥٥)، ويقول أحد أئمة الشيعة المعاصرين: وثبوت الولاية والحاكمية للإمام، لا يعني تجرده من منزلته التي هي له عند الله ولا تجعله مثل من عداه من الحكام، فإن للإمام مقامًا محمودًا ودرجة سامية وخلافة تكوينية تخضع لولايتها وسيطرتها جميع ذرات هذا الكون، وإن من ضروريات مذهبنا أن لأئمتنا مقامًا لا يبلغه ملك مقرب ولا نبي مرسل، وبموجب ما لدينا من الروايات والأحاديث ، فإن الرسول الأعظم (ﷺ) والأئمة (عليهم السلام)، كانوا قبل هذا العالم أنوارًا، فجعلهم الله بعرشه محدقين ، وجعل لهم من المنزلة والزلفى ما لا يعلمه إلا الله، وقد قال جبرائيل - كما ورد في روايات المعراج: لو دنوت أنملة لاحترقت. وقد ورد عنهم عليهم السلام أن لنا مع الله حالات لا يسعها ملك مقرب ولا نبي مرسل(٧٥٦)، وبناء على هذا التصور للإمام فإن دوره لا يقف عند تنفيذ شرع الله بل له هيمنة على شؤون الكون ومجرياته، فعلي عندهم الحاكم المهيمن الشرعي على شئون البلاد والعباد وأن الملائكة تخضع له، ويخضع له الناس حتى الأعداء منهم، لأنهم يخضعون للحق في قيامه وقعوده وفي كلامه وصمته وفي خطبه وصلواته وحروبه(٧٥٧)،وقد أثر اعتقاد الشيعة في الأئمة على عقيدتها في توحيد الله (سبحانه) بسبب الغلو، وإليك بيان ذلك:

١- نصوص التوحيد جعلوها في ولاية الأئمة:

فأول ما نفاجأ به أن نصوص القرآن التي تأمر بعبادة الله وحده ، غيروا معناها إلى

---

(٧٥٣) دراسة الفرق وتاريخ المسلمين ص (١٩٧).
(٧٥٤) النظام السياسي للدولة الإسلامية ص (١٤٧- ٢٣٦).
(٧٥٥) دراسة الفرق وتاريخ المسلمين ص (١٩٨).
(٧٥٦) الحكومة الإسلامية، آية الله الخميني ص (٩٣، ٩٤).
(٧٥٧) دراسة في الفرق في تاريخ المسلمين ص (٢٠٠).

الإيمان بإمامة علي والأئمة، والنصوص التي تنهى عن الشرك جعلوا المقصود بها الشرك في ولاية الأئمة، ففي قوله (تعالى): ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر: ٦٥].

جاء في الكافي(٧٥٨) -أصح كتاب عندهم في الرواية - وفي تفسير القمي(٧٥٩)- عمدة تفاسيرهم- وفي غيرهما من مصادرهم المعتمدة(٧٦٠)، تفسيرها بما يلي: يعني إن أشركت في الولاية غيره(٧٦١)، وفي لفظ آخر: لئن أمرت بولاية أحد مع ولاية علي من بعدك ليحبطن عملك(٧٦٢) وقد ساق صاحب البرهان في تفسير القرآن أربع روايات لهم في تفسير الآية السابقة بالمعنى المذكور(٧٦٣)، وقد جاء في سبب نزولها عندهم: إن الله (عز وجل) حيث أوحى إلى نبيه (ﷺ) أن يقيم عليًا للناس علمًا اندس إليه معاذ بن جبل فقال: أشرك في ولايته الأول والثاني (يعنون أبا بكر وعمر)، حتى يسكن الناس إلى قولك ويصدقوك فلما أنزل الله (عز وجل): ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ [المائدة: ٦٧] شكا رسول الله إلى جبرائيل فقال: إن الناس يكذبوني ولا يقبلون مني، فأنزل الله (عز وجل) ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥] وحتى يدرك القارئ مدى تحريفهم لآيات الله وتآمرهم لتغيير الآية وما قبلها وما بعدها وتتبع ذلك بيان معناها قال (تعالى): ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ * وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ * بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٤ -٦٦]. فالآية كما هو واضح من سياقها تتعلق بتوحيد الله في عبادته، فهم غيروا الأمر فاعتبروا الآية متعلقة بعلي، مع أنه ليس له ذكر في الآية أصلاً، فكأنهم جعلوه هو المعبر عنه بلفظ الجلاله (الله) وجعلوا (العبادة) هي الولاية. والآية واضحة المعنى بينة الدلالة، ليس بين معناها وتأويلهم المذكور أدنى صلة(٧٦٤)، قال أهل العلم في تفسيرها: إن الله (سبحانه) أمر نبيه أن يقول هذا للمشركين لما دعوه إلى ما هم عليه من عبادة الأصنام، وقالوا: هو دين آبائك(٧٦٥). والمعنى: قل يا محمد لمشركي قومك: أتأمرونني بعبادة غير الله أيها الجاهلون بالله ولا تصلح العبادة لشيء سواه (سبحانه)، ولما كان الأمر بعبادة غير الله لا يصدر إلا عن غبي جاهل ناداهم بالوصف المقتضي ذلك فقال: ﴿أَيُّهَا

---

(٧٥٨) أصول الكافي (١/ ٤٢٧) رقم (٧٦).
(٧٥٩) تفسير القمي (٢/ ٢٥١).
(٧٦٠) البرهان (٤/ ٨٣) وتفسير الصافي (٤/ ٣٢٨).
(٧٦١) هذا لفظ الكليني في الكافي، أصول الشيعة (٢/ ٥١٩).
(٧٦٢) أصول الشيعة (٢/ ٥١٩).
(٧٦٣) البرهان (٤/ ٨٣)، أصول الشيعة (٢/ ٥١٩).
(٧٦٤) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٥٢٠).
(٧٦٥) تفسير ابن كثير (٤/ ٦٧)، تفسير البغوي (٤/ ٢٨٤)

الْجَـاهِلُونَ﴾ [الزمر: ٦٤]. ثم بين (سبحانه) أنه قـد أوحى إلى نبيه وإلى الرسل من قبله: لئن أشركت بالله ليبطلن عـملك. وهذا في بيان خطر الشرك وشناعتـه، وكونه بحيث ينهى عنه من لا يكاد يباشره فكيف بمن عداه؟ ثم قـال (سبحانه): ﴿بَلِ اللَّهَ فَاعْـبُدْ﴾ لا تعبـد ما أمرك به المشركون بل اعبد الله وحده دون كل ما سواه من الآلهة والأوثان[٧٦٦]. فالمعنى كما ترى واضح جلي، لا يلتـبس إلا على صـاحب هوى مـغـرض، قد أعـمـاه هواه عن رؤية الحق.. فهذه الزمـرة التي وضعت هذه الروايات كان جل همها، وغاية قـصدها البحث عن سند لدعواهم في الإمامة في القرآن الكريم حتى ولو حرفوا آيات الله، فكانت تخبط في هذا الأمر خـبط عشـواء، لا تستند في الاستـدلال إلى أصل في لغة أو عـقل فضـلاً عن الشرع والدين، كمـا يظهر في النص الإساءة للنـبي (ﷺ) بتصويره في مـوقف الخائف الوجل من قومه، المتردد في تنفـيذ أمر ربه، حتى إنه لم يفارق هذا الموقف إلا حينمـا نزل عليه التهديد بإحباط عمله[٧٦٧].

٢- الولاية أصل قبول الأعمال عندهم:

قالوا: إن الله (عز وجل) نصب عليًـا علمًا بينه وبين خلقه فمن عرفـه كان مؤمنًا، ومن أنكره كان كافرًا، ومن جهله كان ضالاً، ومن نصب معه شيئًا كان مشركًا، ومن جاء بولايته دخل الجـنة[٧٦٨]، وقالوا: فإن من أقـر بولايتنا ثم مات عليها قبلت منه صـلاته، وصومه، وزكاته، وحجه، وإن لم يقر بولايتنا بين يدي الله (جل جلاله) لم يقبل الله (عز وجل) شيئًا من أعمـاله[٧٦٩]، وزعموا أن جبرائيل عليه السـلام نزل على النبي (ﷺ) فقال: «يا محمد، السلام يقـرئك السلام ويقـول: خلقت السمـاوات السبع وما فـيهن، والأرضين السـبع وما عليهن، ومـا خلقت موضعًـا أعظم من الركن والمقام، ولو أن عبـدًا دعاني هناك منذ خلقت السماوات والأرضين ثم لقيني جاحدًا لولاية علي لأكببته في سقر»[٧٧٠]، والروايات في هذا المعنى كـثيرة وكلـها باطلة لا يصح منهـا شيء، وكل هذه الروايات ليست فـي الإسلام في شيء، فأمامنا كتـاب الله (سبحانه) ليس فيه مما يدعـون شيء، وهو الفيصل الأول، والمرجع الأول في كل خلاف، فالقرآن الكريم ذكر أن أصل قبول الأعمال هو التوحيد وسبب الحرمان هو الشـرك، قـال (تعـالى): ﴿إِنَّهُ مَن يُشْـرِكْ بِاللَّهِ فَقَـدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَـأْوَاهُ النَّارُ﴾ [المائدة: ٧٢] وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨، ١١٦] وكل ما ذكر من مـبالغات الشيعـة تكذبها آيات القرآن، فالله (سبـحانه) يقول:

---

(٧٦٦) تفسـير الطبـري (٢٤/ ٢٤)، تفسـير القـرطبي (١٥/ ٢٧٦ -٢٧٧)، فتح القـدير (٤/ ٤٧٤)، روح المعاني للألوسي (٢٤/ ٢٣- ٢٤).

(٧٦٧) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٥٢٢).

(٧٦٨) أصول الكافي (١/ ٤٣٧).

(٧٦٩) أمالي الصدوق ص (١٥٤- ١٥٥).

(٧٧٠) أمالي الصدوق ص (٢٩٠)، بحار الأنوار (٢٧/ ١٦٧).

﴿مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٦٢] ولم يذكر (سبحانه) من ضمن ذلك الولاية، وكذلك قال (سبحانه): ﴿مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وعَمِلَ صَالِحًا فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [المائدة: ٦٩]، وهم يزعمون أن ولاية الاثنا عشر أعظم من الصلاة وسائر أركان الإسلام، والصلاة ذكرت في القرآن بلفظ صريح واضح في أكثر من ثمانين موضعًا، ولم تذكر ولايتهم مرة واحدة، فهل أراد (جل شأنه) ضلال عباده، أو لم يبين لهم طريق الوصول إليه (سبحانه) هذا بهتان عظيم: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ﴾ [التوبة: ١١٥]. وقد جاء في رواياتهم ما ينقض ما قالوه، وإن كانت لا تلبث تأويلاتهم، أو تقيتهم من وأد مثل هذه النصوص المعتدلة، ولكن نذكر ذلك لعل عاقلاً يتعظ أو غافلاً ينتبه، أو نائمًا يستقيظ، ولإقامة الحجة على المعاند من كتبه، وبيان ما عليه نصوصهم من تناقض.. جاء في تفسير فرات: قال علي بن أبي طالب: سمعت رسول الله يقول لما نزلت: ﴿قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ [الشورى: ٢٣]: قال جبرائيل: يا محمد إن لكل دين أصلاً ودعامة، وفرعًا وبنيانًا، وإن أصل الدين ودعامته قول: لا إله إلا الله، وإن فرعه وبنيانه محبتكم أهل البيت وموالاتكم فيما وافق الحق ودعا إليه[٧٧١]. فهذا النص يخالف ما تذهب إليه أخبارهم، حين يجعل أصل الدين شهادة التوحيد، لا الولاية، ويعد محبة أهل البيت هي الفرع وهي مشروطة بمن وافق الحق منهم ودعا إليه[٧٧٢].

٣- اعتقادهم أن الأئمة هم الواسطة بين الله وخلقه:

يقول الشيعة الإمامية: إن الأئمة الاثنى عشرية هم الواسطة بين الله وخلقه قال المجلسي عن أئمته: فإنهم حجب الرب والوسائط بينه وبين الخلق[٧٧٣]، وعقد لذلك بابًا بعنوان: باب أن الناس لا يهتدون إلا بهم، وأنهم الوسائل بين الخلق وبين الله، وأنه لا يدخل الجنة إلا من عرفهم[٧٧٤]، وجاء في كتاب عقائد الإمامية أن الأئمة الاثنى عشر هم أبواب الله والسبل إليه.... إنهم كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق[٧٧٥] ومن المسائل الموجودة في كتبهم ومصادرهم والتي هي تصب في هذه المعاني:

أ- قولهم: لا هداية للناس إلا بالأئمة:

قال أبو عبد الله - على حد زعمهم: بلية الناس عظيمة، إن دعوناهم لم يجيبونا، وإن تركناهم لم يهتدوا بغيرنا[٧٧٦] وتقول أخبارهم: قال أبو جعفر: بنا عُبِدَ اللهُ، وبنا عُرِفَ اللهُ،

(٧٧١) تفسير فرات ص (١٤٨ -١٤٩)، بحار الأنوار (٢٣/ ٢٤٧).
(٧٧٢) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٥٣٥).
(٧٧٣) بحار الأنوار(٢٣/ ٩٧).
(٧٧٤) المصدر السابق (٢٣/ ٩٧).
(٧٧٥) عقائد الإمامية للمظفر ص (٩٨-٩٩).
(٧٧٦) أمالي الصدوق ص (٣٦٣)، أصول الشيعة (٢/ ٥٣٩).

وبنا وحد الله[٧٧٧]، فهذه النصوص لا تنفي الهداية عن الأمة، ولكن تجعل مصدرها الأئمة والحق أن الهداية بمعنى التوفيق إلى الحق وقبوله، لا يملكها إلا رب العباد، ومقلب القلوب والأبصار والذي يحول بين المرء وقلبه، والذي إذا قال لـلشيء: كن فيكون... والشيعة في إطلاقها هذه العبارات بلا أي قيد تجعل لأئمتها مشاركة لله في هذه الهداية، والله (سبحانه) هو الهادي وحده لا شريك له[٧٧٨]، قال (تعالى): ﴿مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ [الكهف: ١٧] ويقول لنبيه ﴿إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ [القصص: ٥٦]، أما هداية الدلالة على الحق والإرشاد إليه فهذه وظيفة الرسل ومن تبعهم بإحسان، ولا تنحصر في الاثني عشر: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [يوسف: ١٠٨]، وإطلاق القول بأن هداية العباد لا تتم إلا بالأئمة جرأة على الله[٧٧٩].

ب- قولهم: لا يقبل الدعاء إلا بأسماء الأئمة:

قالوا: لا يفلح من دعا بغير الأئمة، ومن فعل ذلك فقد هلك، جاء في أخبارهم عن الأئمة: من دعا الله بنا أفلح، ومن دعا بغيرنا هلك واستهلك[٧٨٠]، وبلغت جرأتهم في هذا الباب أن قالوا: إن دعاء الأنبياء استجيب بالتوسل والاستشفاع بهم صلوات الله عليهم أجمعين[٧٨١]. هذا ما تقوله الشيعة الرافضة وتفتريه، ولكن الله يقول: ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، ولم يقل (سبحانه): فادعوه بأسماء الأئمة ومقامات الأئمة أو مشاهدهم. كما قال (جل شأنه): ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]، ولو كان أساس قبول الدعاء ذكر أسماء الأئمة لقال: ادعوني بأسماء الأئمة أستجب لكم، بل إن هذا الأمر الذي تدعيه الشيعة وتفتريه من أسباب رد الدعاء وعدم قبوله، لأن الإخلاص في الدعاء لله أصل في الإجابة والقبول. قال (تعالى): ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [غافر: ١٤] ﴿وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [الأعراف: ٢٩] وهؤلاء الأئمة من سائر البشر ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٤] ولم يجعل الله (عز وجل) بينه وبين خلقه في عبادته ودعائه وليًا صالحًا ولا ملكًا مقربًا، ولا نبيًا مرسلاً، بل الجميع عباد الله ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْداً لِّلَّهِ وَلاَ الْمَلآئِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ [النساء: ١٧٢] وقوله: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ [مريم: ٩٣].

وأما دعوى أن دعاء الأنبياء استجيب بالتوسل بالأئمة فهي دعوى باطلة، إنما الأنبياء

(٧٧٧) بحار الأنوار (٢٣/١٠٣).

(٧٧٨) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٥٤٠).

(٧٧٩) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٥٤٠).

(٧٨٠) وسائل الشيعة (٤/ ١١٤٢)، أصول الشيعة (٢/ ٥٤١).

(٧٨١) وهذا أحد أبواب بحار الأنوار(٢٦/ ٣١٩).

دعوا الله (عز وجل) باسمه (سبحانه) وبوحدانيته (جل شأنه)، وأيوب عليه السلام توسل بأسماء الله الحسنى قال الله: (تعالى): ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣، ٨٤] وأما يونس عليه السلام فتوسل لله بوحدانيته، قال (تعالى): ﴿وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء ٨٧، ٨٨].

والكلمات التي قالها آدم عليه السلام وزوجه هي كما قال الله (سبحانه): ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣].

وهذه المقالة من الشيعة معلوم فسادها من الدين بالضرورة وقد نقلت كتب الشيعة نفسها ما يناقض هذه الدعوى عن الأئمة في مناجاتهم لله ودعائهم له، وما من إمام إلا قد رووا عنه الكثير من الدعاء ومناجاته وقد أتى على أكثره المجلسي في بحاره[٧٨٢].

جـ- قولهم: إن الحج إلى المشاهد أعظم من الحج إلى بيت الله:

قولهم: إن الحج إلى المشاهد أعظم من الحج إلى بيت الله العتيق: قال ابن تيمية: حدثني الثقات أن فيهم من يرى الحج إلى المشاهد أعظم من الحج إلى البيت العتيق، فيرون الإشراك بالله أعظم من عبادة الله وحده، وهذا من أعظم الإيمان بالطاغوت[٧٨٣]، وجاء في الكافي وغيره: إن زيارة قبر الحسين تعدل عشرين حجة، وأفضل من عشرين عمرة وحجة[٧٨٤]، وخصت الروايات الشيعية الموضوعة زيارة الحسين يوم عرفة بفضل خاص، تقول: من أتى قبر الحسين عارفًا بحقه في غير يوم عيد كتب الله له عشرين حجة وعشرين عمرة مبرورات مقبولات.. ومن أتاه في يوم عيد كتب الله له مائة حجة ومائة عمرة، ومن أتاه يوم عرفة عارفًا بحقه كتب الله ألف حجة وألف عمرة مبرورات متقبلات، وألف غزوة مع نبي مرسل أو إمام عادل[٧٨٥]، وليست زيارة قبر الحسين عند هؤلاء أفضل من الحج فحسب، بل هي أفضل الأعمال، جاء في رواياتهم: إن زيارة قبر الحسين أفضل ما يكون من الأعمال[٧٨٦]، وفي رواية أخرى: من أحب الأعمال زيارة قبر الحسين[٧٨٧]. وهكذا تنسى شرائع الإسلام وأوامره، ويهتم بالقبور والأضرحة ويجعلونها من أفضل الأعمال بلا دليل إلا ما صنعته أوهامهم وأوحاه لهم شيطانهم، ليشرعوا من الدين ما لم يشرعه الله[٧٨٨].

---

(٧٨٢) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٥٤٥). (٧٨٣) منهاج السنة (٢/ ١٢٤).
(٧٨٤) ثواب الأعمال، ابن بابويه ص (٥٢)، تهذيب الأحكام للطوسي (٢/ ١٦).
(٧٨٥) فروع الكافي (١/ ٣٢٤) للكليني، من لا يحضره الفقيه، بابويه(١/ ١٨٢).
(٧٨٦) كامل الزيارات ص (١٤٦) ،أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٥٦١).
(٧٨٧) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٥٦١). (٧٨٨) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٥٦١).

وقد جعل هؤلاء القوم زيارة الأضرحة فريضة من فرائض مذهبهم ووضعوا لها مناسك كمناسك الحج إلى بيت الله الحرام، قال ابن تيمية (رحمه الله) وقد صنف شيخهم ابن النعمان المعروف عندهم بالمفيد كتابًا سماه (مناسك المشاهد) جعل قبور المخلوقين تحج كما تحج الكعبة البيت الحرام الذي جعله الله قيامًا للناس، وهو أول بيت وضع للناس، فلا يطاف إلا به ولا يصلى إلا إليه ولم يأمر إلا بحجه[٧٨٩]، ومن رجع إلى مصادر الشيعة الرافضة التي تتحدث عن المشاهد يرى العجب العجاب، والانحراف عن كتاب الله وهدي الرسول (ﷺ)، ومن أراد التوسع فلينظر إلى كتاب أصول مذهب الشيعة الإمامية[٧٩٠].

إن للمسلمين كعبة واحدة يتجهون إليها في صلاتهم ودعائهم، ويحجون إليها، ويطوفون بها، أما الشيعة فلهم مزارات ومشاهد عبارة عن أضرحة الموتى من الأئمة[٧٩١]، وهذا كله مما نهى الله عنه ورسوله، وكل ما نهى الله عنه ورسوله فهو مذموم منهي عنه سواء كان فاعله منتسبًا إلى السنة أو إلى التشيع، وقد علم بالاضطرار من دين الإسلام أن النبي (ﷺ) لم يأمر بما ذكروه من أمر المشاهد ولا شرع لأمته مناسك عند قبور الأنبياء والصالحين، بل هذا من دين المشركين الذي قال الله (تعالى) فيهم: ﴿**وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا**﴾ [نوح: ٢٣].

قال ابن عباس وغيره: وهؤلاء ... أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصابًا وسموها بأسمائهم، ففعلوا، فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك وتنسخ العلم عبدت[٧٩٢].

وقد قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه لأبي الهياج الأسدي: ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله(ﷺ)؟ «**ألا تدع تمثالاً إلا طمسته، ولا قبرًا مشرفًا إلا سويته**»[٧٩٣].

وهذا المعنى أقرت به بعض روايات الشيعة، فقد روى الكليني عن أبي عبد الله، قال أمير المؤمنين: بعثني رسول الله (ﷺ) إلى المدينة فقال: «**لا تدع صورة إلا محوتها ولا قبرًا إلا سويته**»[٧٩٤]، وعن أبي عبد الله قال: نهى رسول الله (ﷺ) أن يصلى على قبر أو يقعد عليه أو يبنى عليه[٧٩٥]، وعن أبي عبد الله قال: لا تبنوا على القبور... فإن رسول

---

(٧٨٩) منهاج السنة (١/ ١٧٥) مجموع الفتاوى (١٧/ ٤٩٨).
(٧٩٠) أصول مذهب الشيعة الإمامية (٢/ ٥٥٠-٥٨٦).
(٧٩١) المصدر نفسه (٢/ ٥٨٠).
(٧٩٢) البخاري، فتح الباري (٨/ ٦٦٧) موقوف على ابن عباس من حكم المرفوع قاله الألباني في شرح العقيدة الطحاوية ص (٨٠).
(٧٩٣) مسلم، ك الجنائز رقم (٩٦٩).
(٧٩٤) فروع الكافي (٢/ ٢٢٧)، وسائل الشيعة (٢/ ٨٦٩).
(٧٩٥) تهذيب الأحكام للطوسي (١/ ١٣٠) وسائل الشيعة (٢/ ٨٦٩).

الله(ﷺ) كره ذلك[٧٩٦]، وعنه أيضًا عن آبائه عن رسول الله نهى أن تجصص المقابر[٧٩٧]. وقد زعم الحر العاملي أن هذا النهي يشمل كل قبر، غير قبر النبي (ﷺ) والأئمة عليهم السلام وأن هذا النهي لمجرد الكراهة[٧٩٨]. وصيغة العموم واضحة في هذه الروايات. كما أن دلالة التحريم بينة، ولا دليل عند العاملي سوى ما شذت به طائفته في واقعها وفي جملة من رواياتها، والشذوذ دليل على البطلان لمخالفته لكتاب الله وسنة رسوله وإجماع الأمة بما فيهم أهل البيت الذين أثر عنهم التحذير من ذلك، لأن ذلك وسيلة للشرك بالله، ثم إن الحكمة التي ورد من أجلها النهي لا تفرق بين قبر وقبر، وقد يكون الخطر في قبور الأئمة أشد لعظيم الافتتان بهم، ولهذا كان أصل الشرك هو الغلو في الصالحين[٧٩٩].

٤- قولهم: إن الإمام يحرم ما يشاء ويحل ما يشاء:

تزعم الشيعة الإمامية في رواياتها أن الله (سبحانه وتعالى): خلق محمدًا وعليًا وفاطمة فمكثوا ألف دهر ثم خلق جميع الأشياء فأشهدهم خلقها وأجرى طاعتهم عليها وفوض أمورهم إليها، فهم يحلون ما يشاؤون ويحرمون ما يشاؤون[٨٠٠]، وشرح شيخهم المجلسي النص السابق فقال: وأجرى طاعتهم عليها، أي أوجب وألزم على جميع الأشياء طاعتهم حتى الجمادات من السماويات والأرضيات، كشق القمر وإقبال الشجر وتسبيح الحصى وأمثالها مما لا يحصى، وفوض أمورها إليهم من التحليل والتحريم والعطاء والمنع[٨٠١]... وجاءت الرواية عندهم صريحة بهذا فيما ذكره المفيد في الاختصاص، والمجلسي في البحار وغيرهما عن أبي جعفر قال: من أحللنا له شيئًا أصابه من أعمال الظالمين[٨٠٢] فهو حلال لأن الأئمة منا مفوض إليهم، فما أحلوا فهو حلال، وما حرموا فهو حرام[٨٠٣]. ومن المعلوم في كتاب الله وسنة رسوله (ﷺ) أن من أصول التوحيد الإيمان بأن الله (سبحانه) هو المشرع وحده (سبحانه) يحل ما يشاء ويحرم ما يشاء، لا شريك له في ذلك، ورسل الله يبلغون شرع الله لعباده، ومن ادعى أن له إمامًا يحل ما يشاء ويحرم ما يشاء فهو داخل في قوله (سبحانه): ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١].

إن حق التشريع لا يملكه إلا رب العباد والرسل عليهم الصلاة والسلام إنما هم مبلغون عن الله سبحانه لا يحرمون ولا يحلون إلا ما يأمرهم الله به، ويوحيه إليهم قد قال الله (جل

---

(٧٩٦) تهذيب الأحكام (١/ ٣٠)، المحاسن للبرقي ص (٦١٢).

(٧٩٧) من لا يحضره الفقيه (٢/ ١٩٤) ابن بابويه، وسائل الشيعة (٢/ ٨٧٠).

(٧٩٨) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٥٨٤).

(٧٩٩) تيسير العزيز الحميد لشرح كتاب التوحيد ص (٣٠٥).

(٨٠٠) أصول الكافي (١/ ٤٤١) بحار الأنوار(٢٥/ ٣٤٠).

(٨٠١) بحار الأنوار (٢٥/ ٣٤١- ٣٤٢).

(٨٠٢) الظالمون في معتقدهم هم خلفاء الدولة الإسلامية، ما عدا أمير المؤمنين عليًا وابنه الحسين (رضي الله عنهما)، لأن بقية أئمتهم لم يتولوا الخلافة ولا يومًا واحدًا وكل خليفة من غيرهم هو ظالم وغاصب لحق الأئمة على حد زعمهم.

شأنه) فيمن اتبع مشايخه فيما يحلون ويحرمون من دون شرع الله وحكمه قال (سبحانه): ﴿اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١] فجعل سبحانه أتباعهم فيما يحلون من الحرام ويحرمون من الحلال كما جاء في تفسير الآية (٨٠٤) عبادة لهم، حيث تلقوا الحلال والحرام من جهتهم وهو أمر لا يتلقى إلا من جهة الله (عز وجل)(٨٠٥).

٥- قولهم: بأن الدنيا والآخرة كلها للإمام يتصرف بها كيف يشاء:

عقد صاحب الكافي لهذا بابًا بعنوان: باب أن الأرض كلها للإمام(٨٠٦)، ومما جاء فيه عن أبي بصير عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: أما علمت أن الدنيا والآخرة للإمام يضعها حيث يشاء ويدفعها إلى من يشاء جائز له ذلك من الله(٨٠٧).

فهذا النص شرك في ربوبية الله سبحانه، لأن الله (جل شأنه) يقول: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [البقرة: ١٠٧] ويقول (سبحانه): ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [المائدة: ١٨] ويقول (جل شأنه): ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ﴾ [المائدة: ١٢٠] وقال: ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ﴾ [الفرقان: ٢]، وقال (سبحانه) ﴿فَلِلَّهِ الآخِرَةُ وَالأُولَى﴾ [النجم: ٢٥] كما قال (سبحانه): ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللَّهُ﴾ [سبأ: ٢٤] وقال (سبحانه): ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ﴾ [فاطر: ٣] وقال: ﴿فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [العنكبوت: ١٧] فهو سبحانه قد تفرد بالملك والرزق والتدبير لا شريك له في ذلك(٨٠٨).

٦- إسناد الحوادث الكونية إلى الأئمة:

عن سماعة بن مهران قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام، فأرعدت السماء وأبرقت فقال أبو عبد الله عليه السلام: أما إنه ما كان من هذا الرعد ومن هذا البرق فإنه من أمر صاحبكم، قلت: من صاحبنا؟ قال: أمير المؤمنين (عليه السلام)(٨٠٩). يعني كل ما وقع من رعد وبرق فهو من أمر علي، لا من أمر الله الواحد القهار، فماذا يستنبط المسلم المنصف من هذه الرواية، والله (جل شأنه) يقول: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ﴾ [الرعد: ١٢] أليست هذه السبئية قد أطلت برأسها المشوه من خلال كتب الاثني عشرية؟ أليس هذا ادعاء لربوبية علي رضي الله عنه، أو أن له شركًا في الربوبية؟

---

(٨٠٣) الاختصاص ص (٣٣٠)، و بحار الأنوار (٢٥/ ٣٣٤).

(٨٠٤) تفسير الطبري (١/ ١١٣-١١٤) تفسير ابن كثير (٢/ ٣٧٣-٣٧٤).

(٨٠٥) تفسير ابن عطية(٨/ ١٦٦).

(٨٠٦) أصول الكافي (١/ ٤٠٧-٤١٠).

(٨٠٧) المصدر السابق(١/ ٤٠٩).

(٨٠٨) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٦٢٢).

(٨٠٩) الاختصاص للمفيد ص (٣٢٧)، بحار الأنوار (٢٧/ ٣٣).

كيف يتجرأ قلم المجلسي ومن قبله المفيد على كتابة هذه الأسطورة ونسبتها إلى جعفر؟ فإن هذا الإيحاء لا يخفي على أمثالهم، ولا يؤمن بهذا ويدعو إليه إلا كل زنديق وملحد، والعجب من قوم يستقون دينهم من كتب حوت هذا الغثاء، ويعظمون شيوخًا يجاهرون بهذا البلاء، أليس في هذه الطائفة من صاحب عقل ودين يعلن الصيحة والنكير على هذا الضلال المنتشر، والكفر المبين ويبرئ أهل البيت الأطهار من هذا الدرن القاتل وينقي ثوب التشيع ممن لطخه به شيوخ الدولة الصفوية من كفر وضلال أم أن كل صوت صادق إما أن يعاجل بالقتل كما فعلوا مع الكسروي، أو يحمل قوله على التقية كما صنعوا في كثير من رواياتهم، وطائفة من أقوال شيوخهم، فهل وصل هذا المذهب في سبيل دعوته إلى نور الحق إلى طريق مسدود(٨١٠)؟

٧- الجزء الإلهي الذي حل في الأئمة:

وترد روايات عند الشيعة الإمامية تدعي بأن جزءًا من النور الإلهي حل بعلي(٨١١)، قال أبو عبد الله: ثم مسحنا بيمينه فأفضى نوره فينا(٨١٢). ولكن الله خلطنا بنفسه(٨١٣). وهذا الجزء الإلهي الذي في الأئمة - كما يزعمون- أعطوا به قدرات مطلقة، ولذلك فإن من يقرأ ما يسمونه معجزات الأئمة- وتبلغ مئات الروايات- يلاحظ أن الأئمة أصبحوا كرب العالمين- (تعالى وتقدس) عما يقولون- في الإحياء والإماتة والخلق والرزق(٨١٤). إلا أن رواياتهم تربط هذا بأنه من الله كنوع من التلبيس والإيهام، ويكفي في فساده مجرد تصوره، إذ هو مخالف للنقل والعقل والسنن الكونية، كما هو منقوض بواقع الأئمة وإقراراتهم، حيث يزعم الشيعة أن الأئمة عاشوا مظلومين ومضطهدين، ورسول الهدى (ﷺ) يقول- كما أمره ربه-: ﴿قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلاَ ضَرًا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ [الأعراف: ١٨٨].

ومن الطريف أن كتب الشيعة مع تعظيم الأئمة والغلو فيهم تروي ما يخالف هذا، لتثبت تناقضها فيما تقول، كالعادة في كل كذب وباطل، فقد جاء في رجال الكشي أن جعفر بن محمد قال: فوالله ما نحن إلا عبيد الذي خلقنا واصطفانا، ما نقدر على ضر ولا نفع، وإن رحمنا فبرحمته، وإن عذبنا فبذنوبنا، والله ما لنا على الله حجة ، ولا معنا من الله براءة، وإنا لميتون ومقبورون، ومنشورون، ومبعوثون، وموقوفون، ومسؤولون، ويلهم، ما لهم لعنهم الله فقد آذوا الله وآذوا رسوله (ﷺ) في قبره، وأمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين وعلي بن الحسن ومحمد بن علي صلوات الله عليهم .... أشهدكم أني امرؤ ولدني رسول الله (ﷺ) وما معي براءة من الله، إن أطعته رحمني وإن عصيته عذبني عذابًا

---

(٨١٠) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٦٢٤).
(٨١١) المصدر السابق (٢/٦٢٨).
(٨١٢) أصول الكافي (١/ ٤٤٠)، المصدر السابق (١/ ٤٤١-٤٤٢).
(٨١٣) أصول الكافي (١/ ٤٣٥).
(٨١٤) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٦٢٨).

شـديدًا[٨١٥]، ولكن شيوخ الشيعة يعدون مثل هذه الإقرارات من باب التقية، فأضلوا قومهم سواء السبيل، وأصبح مذهب الشيعة مذهب الشيوخ لا مذهب الأئمة[٨١٦].

٨- قولهم: إن الأئمة يعلمون علم ما كان وما يكون وأنه لا يخفي عليهم الشيء:

عقـد لذلك صاحب الكافي بابًا بعنوان (باب أن الأئمـة يعلمون علم ما كـان وما يكون وأنه لا يخفى عليهم الشيء)[٨١٧]. وضمه طائفة من رواياتهم، وعقد بابًا آخر بعنوان (باب أن الأئمة إذا شاؤوا أن يعلـموا علموا)[٨١٨]، وذكر فيه جـملة من أحاديثهم ، ومن روايات هذه الأبـواب[٨١٩]. قال أبو عبد الله - كمـا يكذبون-: إني لأعلم ما في السماوات وما في الأرض وأعلم ما في الجنة وأعلم ما في النار، وأعلم مـا كان وما يكون[٨٢٠]. وعن سـيف التمـار قال: كنا مع أبي عبد الله رضي الله عنه جـماعة من الشيـعة في الحجر فـقال: علينا عين؟ فالتـفتنا يمنة ويسـرة فلم نر أحدًا، فقلنا: ليس علـينا عين. فقال: ورب الكعـبة ورب البنية- ثلاث مرات- لو كنـت بين موسى والخضر لأخبرتـهما أني أعلم منهما ولأنبـأتهما بما ليس في أيديهما، لأن موسى والخـضر عليهما السلام أعطيا علم مـا كان ولم يعطيا علم ما يكون وما هو كائن حتى تقوم الساعة ، وقد ورثناه من رسول الله وآله وراثة[٨٢١].

فهـذا نموذج من غلو الشيـعة الرافضـة وهذا بعض ما عندهم، فـالغلو أساس مـذهبهم وأصله، وقد نهى الله (عـز وجل) وحذر من الغلو لما فيـه من منافاة التوحيـد وأصل الشرك قديمًا وحديثـًا قال (تعالى): ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ﴾ [المائـدة: ٧٧] قال ابن كثير في تفسـيره عند هذه الآية: أي لا تجاوز الحد في اتباع الحق ولا تطروا من أمرتم بتعظيمه فتـبالغوا فيه حتى تخـرجوه من حيز النـبوة إلى مقام الإلـهية كمـا صـنعتم فـي المسيح وهو نبي من الأنبـياء فجعلتمـوه إلهًا من دون الله، وما هذا إلا لاقتدائـكم بشيوخكم شيوخ الضـلال الذين هم سلفكم ممن ضل قديمًا ﴿وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَاء السَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٧٧] فهم خرجوا عن طريق الاستقـامة والاعتدال إلى طريق الغواية والضلال[٨٢٢]، وقال (تعالى): ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ إِلاَّ الْحَقِّ﴾ [النساء: ١٧١] فالله (عز وجل) في هاتين الآيتين ينهى عن الغلو والإطراء وتجاوز الحد وفيه رد صريح على الشيعـة الرافضة وكل من سلك هذا المسلك تجاه من يعظمهم، وقـد أمر الله (عز وجل) نبيه محـمدًا (ﷺ) أن يبين للناس أنه لا يملك لنفسه شيئـًا وأن النفع والضر بيد الله وأن علم

(٨١٥) رجال الكشي ص (٢٢٥-٢٢٦).
(٨١٦) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٦٣٠).
(٨١٧) أصول الكافي (١/ ٢٦٠-٢٦٢).
(٨١٨) المصدر السابق (١/٢٥٨) .
(٨١٩) أصول الشيعة الإمامية (٢/٦٧٩).
(٨٢٠) أصول الكافي (١/ ٢٦١) .
(٨٢١) أصول الكافي (١/ ٢٦٠-٢٦١).
(٨٢٢) تفسير ابن كثير (٢/ ٨٥).

الغيب لا يعلمه إلا الله قال (تعالى): ﴿قُل لاَّ أَقُولُ لَكُمْ عندي خَزَائنُ اللَّه وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ لَكُمْ إنِّي مَلَكٌ إنْ أَتَّبِعُ إلاَّ مَا يُوحَى إلَيَّ﴾ [الأنعام: ٥٠] وقال (تعالى): ﴿قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلاَ ضَرًا إلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إنْ أَنَا إلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٨]. فالله (عز وجل) أمره أن يفوض الأمور إليه وأن يخبرهم عن نفسه أنه لا يعلم غيب المستقبل ولا اطلاع له على شيء من ذلك[٨٢٣]. كل ذلك سدًا للطرق الموصلة إلى الغلو فيه (ﷺ) وتحذيرًا لأمته أن يغلو فيه كما غلت اليهود والنصارى في أنبيائهم، فإذا كان هذا في حق سيد الخلق، وأعظمهم منزلة عند الله فغيره من باب أولى، وبهذا يظهر بطلان دعوى الرافضة في الأئمة وزعمهم أنهم يعلمون الغيب ويعلمون ما كان وما سيكون، وجعلهم شركاء لله في الخلق والإحياء وفي الأسماء والصفات وكيف يستقيم لهم ذلك مع قوله (تعالى) أيضًا في غير ما آية من كتابه العزيز، قال (تعالى): ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ [لقمان: ٣٤]، وقال (تعالى): ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لاَ عِلْمَ لَنَا إنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١٠٩].

وقال (تعالى): ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَى وَمَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ﴾ [الرعد: ٨] وقال (تعالى): ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى﴾ [الحج: ٦] وقال (تعالى): ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إلاَّ هُوَ﴾ [الأنعام: ٥٩] وقوله (تعالى): ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٨٩]، وقوله (تعالى): ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك: ١]. وغير ذلك من الآيات الواردة في هذا الباب والتي تثبت تفرده (جل وعلا) بعلم الغيب والتصرف بالكون، فمن نسب شيئًا من ذلك إلى أحد من المخلوقين فقد نازع الله في ربوبيته وألوهيته وهوى في الشرك، فأنى له الإسلام مع ذلك، قال (تعالى): ﴿إنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ به وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨] وقال: ﴿إنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢] وذلك أن الله (عز وجل) خلق الخلق لعبادته قال (تعالى): ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] أي ليوحدوه فأرسل الرسل وأنزل الكتب من أجل إفراده بالعبادة قال (تعالى): ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦] والغلو ينافي تحقيق العبادة[٨٢٤]، وكما حذر الله (عز وجل) من الغلو بكل مظاهره وصوره، فقد حذر النبي (ﷺ) أيضًا حماية لتوحيد الله وسدًا لكل ذريعة تكون سببًا في نقص توحيده، لأن الغلو مطية الشرك ووسيلته وما دب في أمة إلا أهلكها، فقال (ﷺ) محذرًا أمته من هذا الداء: «إياكم والغلو فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في

(٨٢٣) تفسير القرآن العظيم (٢/ ٣٧٣).
(٨٢٤) العقيدة في أهل البيت ص (٣٩٨).

الديـن»(٨٢٥)، وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سمع عمر رضي الله عنه يقول على المنبر سمعت النبي (ﷺ) يقول: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم ، فإنما أنا عبده فقولوا عبـد الله ورسوله»(٨٢٦)، فالنبي (ﷺ) يحذر أمته من الغلو ومجـاوزة الحد في مدحه ، كما فعلت النـصارى في عيـسى عليه السـلام ويأمر (ﷺ) أن يوصف بصفـة العبـودية والتي قد وصفه الله بها فـي الإسراء فقال: ﴿**سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً**﴾ [الإسراء: ١]، كـما وصفه بذلك في مقـام الدعوة إليه فقال: ﴿**وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا**﴾ [الجن: ١٩]. وكذلك وصفه عند إنزال الكتاب ونزول الملك إليه فقال: ﴿**تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ**﴾ [الفرقان: ١] فتلك ثلاث مقامات من أشرف المقامات وصفه ومدحه ربه (جل وعلا) فيـهاَ بصفة العبـودية له، فأين الشيعة الرافـضة من تلك الآيات والأحاديث الواردة في النهي عن الغلو والتحذير منه، الداعية إلى تحقيق العبودية؟

إن الناظر إلى أقوال أمير المؤمنين علي وأبنائه رضي الله عنهم يجـد فيها الرد البليغ على هذا الغلو والإفراط وبراءتهم من أقوال الشيعة الرافضـة وكل من غالى فيهم، كما تبين كذب تلك الروايات وضلالها المنسوبة إليهم (٨٢٧)، فقد روى الإمام مسلم في صحيحه من حديث أبي الطفـيل عامـر بن واثلة رضي الله عنه قـال: كنت عند علي بن أبي طالب: فـأتاه رجل فقال: ما كان النبي (ﷺ) يسر إليك؟ قال: فغضب وقال: ما كان النبي (ﷺ) يسر إلي شيئًا يكتمه للناس، غيـر أنه قد حدثني بكلمات أربع، قال: فقال: مـا هن يا أمير المؤمنين؟ قال: «**لعن الله من لعن والده، ولعن الله من مـن ذبح لغيـر الله، ولعن الله من آوى محـدثًا، ولعن الله من غيـر منار الأرض**». وفي رواية : أخصكم رسول الله (ﷺ)؟ فقال: ما خصنا رسول الله بشيء(٨٢٨).

وفي رواية عند الإمام أحـمد : . . . ما عـهد إلي رسول الله (ﷺ) شـيئًا خـاصة دون الناس(٨٢٩)، وروى البخاري في صحيحه عن أبي جحيفة رضي الله عنه قال: قلت لعلي : هل عندكم كـتاب؟ قـال: لا إلا كـتاب الله، أو فـهم أعطيـه رجل مسلم، أو مـا في هذه الصحيـفة. قال :قلت: فما هذه الصحـيفة؟ قال: العقل، وفكاك الأسيـر، ولا يقتل مسلم بكافر(٨٣٠). وفي رواية: هل عندكم شيء من الوحي إلا ما في كتاب الله؟ قال: لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، ما أعلمه إلا فهمًا يعطيه الله(٨٣١). . . قال ابن حجر: وإنما سأله أبو جحيفة عن ذلك لأن جـماعة من الشيعة كانوا يزعمون أن عند أهـل النبي – لا سيما عليًا –

(٨٢٥) صحيح سنن ابن ماجة (٢/ ١٧٧) صححه الألباني.
(٨٢٦) البخاري ، ك أحاديث الأنبياء رقم (٣٤٤٥).
(٨٢٧) العقيدة في أهل البيت ص (٣٩٩).
(٨٢٨) مسلم ، ك الأضاحي رقم (١٩٧٨).
(٨٢٩) المسند (١/ ١١٩).
(٨٣٠) البخاري ، ك العلم رقم (١١١).
(٨٣١) البخاري ، ك الجهاد رقم (٣٠٤٧).

أشياء من الوحي خصهم النبي (ﷺ) بها لم يطلع غيرهم عليها[٨٣٢]، وقال ابن تيمية عقب إبراده لهذا الحديث: والكتب المنسوبة إلى علي، أو غيره من أهل البيت في الإخبار بالمستقبلات كلها كذب مثل كتاب الجفر والبطاقة وغير ذلك، وكذلك ما يضاف إليه من أنه عنده علم من النبي (ﷺ) خصه به دون غيره من الصحابة، وكذلك ما ينقل عن غير علي من الصحابة، أن النبي (ﷺ) خصه بشيء من علم الدين الباطن كل ذلك باطل[٨٣٣] ومما يبين بطلان ذلك، ما روى ابن سعد عن علي بن الحسين زين العابدين أنه قال عن سعيد بن جبير رحمهما الله. . : ذلك كان رجل يمر بنا فنسأله عن الفرائض وأشياء مما ينفعنا الله بها، إنه ليس عندنا ما يرمينا به هؤلاء وأشار بيده إلى العراق[٨٣٤]، وجاء عن محمد ابن الحنفية محذرًا الشيعة الرافضة مما تنسبه إليهم من علم خصهم به رسول الله (ﷺ) حيث قال: إنا والله ما ورثنا من رسول الله (ﷺ) إلا ما بين اللوحين[٨٣٥]، وقد تواتر عن آل البيت أنهم كانوا يقولون لشيعتهم: أيها الناس أحبونا حب الإسلام، فما برح بنا حبكم حتى صار علينا عارًا[٨٣٦] وزيادة على ذلك فقد جاء في كتب الشيعة الرافضة التحذير من الغلو وبراءة آل البيت من ذلك، فقد روى المجلسي بسنده عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: إياكم والغلو فينا قالوا إنا عبيد مربوبون[٨٣٧] وروي عن علي رضي الله عنه أنه قال: اللهم إني بريء من الغلاة كبراءة عيسى ابن مريم من النصارى، اللهم اخذلهم أبدًا ولا تنصر منهم أحدًا[٨٣٨].

وروى الكليني بسنده عن سدير قال: كنت أنا وأبو بصير ويحيى البزار وداود بن كثير في مجلس أبي عبد الله إذ خرج إلينا وهو مغضب، فلما أخذ في مجلسه قال: يا عجبا لأقوام يزعمون أنا نعلم الغيب، ما يعلم الغيب إلا الله (عز وجل) لقد هممت بضرب جاريتي فلانة فهربت مني فما علمت في أي بيوت الدار هي[٨٣٩] وروى الكشي عن أبي بصير قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إنهم يقولون: قال، وما يقولون: قلت، يقولون: تعلم قطر المطر وعدد النجوم وورق الشجر ووزن ما في البحر وعدد التراب فرفع يده إلى السماء وقال سبحان الله سبحان الله، لا والله ما يعلم هذا إلا الله[٨٤٠] فهذه أقوال أئمة آل البيت الطيبين الطاهرين، كما صرحت بذلك كتب الشيعة الرافضة وهم براء مما

---

(٨٣٢) فتح الباري (١/ ٢٠٤) .
(٨٣٣) منهاج السنة (٨/ ١٣٦).
(٨٣٤) الطبقات الكبرى (٥/ ٢١٦).
(٨٣٥) المصدر السابق (٥/ ١٠٥).
(٨٣٦) البداية والنهاية (٩/ ١١٠).
(٨٣٧) بحار الأنوار (٢٥/ ٢٧٠).
(٨٣٨) المصدر السابق (٢٥/ ٢٨٤).
(٨٣٩) أصول الكافي (١/ ٢٥٧).
(٨٤٠) رجال الكشي ص (١٩٣) ، العقيدة في أهل البيت ص (٤٠٢).

ترميهم به الشيعة الرافضة، إذ الرافضة من أكذب خلق الله، فالنفاق دينهم والكذب ديدنهم، ولذلك قال بن تيمية (رحمه الله): إنهم من أكذب الناس في النقليات ومن أجهل الناس في العقليات[٨٤١].

إن روايات الشيعة تكشف نفسها بنفسها وتتناقض نصوصها، وقول الأئمة إنهم مصدر الرزق وإنزال الغيث ... إلخ والذي يرويه شيوخ الاثنى عشرية هو من مخلفات غلاة الشيعة، والذين أنكر الأئمة مذهبهم، فقد جاء عن أخبارهم أن أبا عبد الله قال حينما قيل له: إن المفضل بن عمر يقول: إنكم تقدرون أرزاق العباد. فقال: والله ما يقدر أرزاقنا إلا الله ولقد إحتجت إلى الطعام لعيالي فضاق صدري وأبلغت إليّ الفكرة في ذلك حتى أحرزت قوتهم، فعندها طابت نفسي، لعنه الله وبرئ منه[٨٤٢]، ولكن هذه الروايات هي كالشعرة البيضاء في الثور الأسود، وفي التقية متسع لكل نص تضيق به نفوس شيوخ الشيعة، وإليك مثالاً على ذلك فاسمع ما يقوله شارح «الكافي» تعقيبًا على قول أبي عبد الله الذي نقلناه آنفًا، والذي يتعجب فيه أبو عبد الله من قوم نسبوا له العلم بالغيب، ويذكر للرد عليهم بأن جاريته قد اختلفت في داره فلم يدر أين هي، فكيف يقال عنه: إنه يعلم ما كان وما يكون؟ قال شارح الكافي: ... الغرض من هذا التعجب وإظهاره هو ألا يتخذه الجهال إلهًا، أو يدفع عن وهم بعض الحاضرين المنكر لفضله ما نسبوه إليه من العلم بالغيب حفظًا لنفسه، وإلا فهو رضي الله عنه كان عالمًا بما كان وما يكون، فكيف يخفي عليه مكان الجارية؟ فإن قلت: إخباره بذلك على هذا يوجب الكذب، قلت: إنما يوجب الكذب لو لم يقصد التورية وقد قصدها، فإن المعنى ما علمت به علمًا غير مستفاد منه (تعالى) بأنها في أي بيوت الدار[٨٤٣]، انظر التكلف العجيب في رد هذه الرواية لإثبات أن الإمام يعلم ما كان وما يكون حتى ارتكب في سبيل ذلك نسبة الإمام إلى الكذب ، وهدم أصلاً من أصولهم وهو العصمة[٨٤٤]، وأما شيخهم الآخر الشعراني المعلق على الشرح فلم يعجبه هذا التكلف في تأويل الرواية، ورام ردها بأقصر طريق وهو الحكم بأن الرواية كذب، وهكذا يشيعون عن علماء أهل البيت مثل هذه الإشاعات الكاذبة، فإذا أنكروا على هؤلاء الكذابين فريتهم، وفضحوا باطلهم أمام الملأ حمل شيوخ الشيعة هذا التكذيب والإنكار على التقية.. فصارت التقية حيلة بيد غلاة الشيعة لإبقاء التشيع في دائرة الغلو، ورد الحق والإساءة لأهل البيت[٨٤٥]، وقد ادعى زرارة بن أعين أن جعفر بن محمد يعلم أهل الجنة، وأهل النار، فأنكر ذلك جعفر لما بلغه ذلك، وكفر من قاله، ولكن زرارة حينما نقل له موقف جعفر قال لمحدثه: لقد عمل معك بالتقية[٨٤٦].

---

(٨٤١) منهاج السنة (١/ ٣).

(٨٤٢) رجال الكشي ص (٢٧٤)، أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٦٨٥).

(٨٤٣) شرح جامع علي الكافي (٦/ ٣٠-٣١) للمازندراني.

(٨٤٤) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٦٨٦).

(٨٤٥) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٦٨٦).

(٨٤٦) ميزان الاعتدال (٢/ ٦٩-٧٠).

٩- الغلو في الإثبات (التجسيم):

اشتهرت ضلالة التجسيم بين اليهود ، ولكن أول من ابتدع ذلك بين المسلمين هم الشيعة الروافض ولهذا قال الرازي: اليهود أكثرهم مشبهة، وكان بدء ظهور التشبيه في الإسلام من الروافض مثل هشام بن الحكم، وهشام بن سالم الجواليقي ويونس بن عبد الرحمن القمي وأبي جعفر الأحول(٨٤٧)، وكل هؤلاء الرجال المذكورين هم ممن تعدهم الاثنا عشرية في الطليعة من شيوخها، والثقات من نقلة مذهبها(٨٤٨). وقد حدد ابن تيمية أول من تولى كبر هذه الفرية من هؤلاء ، فقال: وأول من عرف في الإسلام أنه قال : إن الله جسم هو هشام ابن الحكم(٨٤٩)، وقد نقل أصحاب الفرق كلمات مغرقة في التشبيه والتجسيم منسوبة إلى هشام بن الحكم وأتباعه تقشعر من سماعها جلود المؤمنين، يقول عبد القاهر البغدادي: زعم هشام بن الحكم أن معبوده جسم ذو حد ونهاية وأنه طويل عريض عميق وأن طوله مثل عرضه(٨٥٠)، وقد استفاض عن هشام بن الحكم ومن تبعه أمر الغلو في التجسيم في كتب الفرق وغيرها(٨٥١) فقد كان تشبيه الله (سبحانه) بخلقه كان في اليهود ، وتسرب إلى التشيع، وأول من تولى كبره هشام بن الحكم، ثم تعدى أثره إلى آخرين عرفوا بكتب الفرق بمذاهب ضالة غالية منسوبة إليهم(٨٥٢)، ولكن شيوخ الاثني عشرية يدافعون عن هؤلاء الضلال الذين استفاض خبر فتنتهم، واستطار شرهم، ويتكلفون تأويل كل بائقة منسوبة إليهم أو تكذيبها(٨٥٣)، وقد كان لهشام بن الحكم وهشام بن سالم الجواليقي بالذات دور ظاهر في اتجاه التجسيم عند الشيعة كما تذكر ذلك مجموعة من رواياتهم(٨٥٤)، وكان الأئمة يتبرؤون منهما ومن قولهما، وحينما جاء بعض الشيعة إلى إمامهم وقال له: إني أقول بقول هشام. قال إمامهم أبو الحسن علي بن محمد: ما لكم بقول هشام: إنه ليس منا من زعم أن الله جسم، ونحن منه براء في الدنيا والآخرة(٨٥٥)، وتفصح بعض رواياتهم عما قالوه في الرب (جل شأنه) وتقدست أسماؤه، فهذا أحد رجالهم(٨٥٦)، ينقل لأبي عبد الله- كما تقول الرواية – ما عليه طائفة من الشيعة من التجسيم فيقول: إن بعض أصحابنا يزعم أن الله

---

(٨٤٧) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص (٩٧).

(٨٤٨) أعيان الشيعة (١/ ١٠٦) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٦٤١) .

(٨٤٩) منهاج السنة (١/ ٢٠).

(٨٥٠) الفرق بين الفرق ص (٦٥) .

(٨٥١) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٦٤٢) .

(٨٥٢) المصدر نفسه (٢/ ٦٤٣).

(٨٥٣) بحار الأنوار (٣/ ٢٩٠-٢٩٢) دفاع المجلسي عن هؤلاء.

(٨٥٤) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٦٤٦) .

(٨٥٥) التوحيد ص (١٠٤) ابن بابويه، أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٦٤٦) .

(٨٥٦) سمته الرواية: يعقوب السراج وهو من ثقاتهم ، الفهرست للطوسي ص (٢١٤).

صورة مثل الإنسان ، وقال آخر: إنه في صورة أمرد جعد قطط، فخر أبو عبد الله عليه السلام ساجدًا ثم رفع رأسه فقال: سبحان الذي ليس كمثله شيء ولا تدركه الأبصار ولا يحيط به علم[٨٥٧] . فأنت ترى أن كبار متكلميهم قد غلوا في الإثبات، حتى شبهوا الله (جل شأنه) بخلقه وهو كفر بالله (سبحانه)، لأنه تكذيب لقوله (سبحانه): ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١] وعطلوا صفاته اللائقة به سبحانه فوصفوه بغير ما وصف به نفسه، وإمامهم كان ينكر عليهم هذا المنهج الضال، ويأمر بالالتزام في وصف الله، كما وصف به نفسه، ورواياتهم في هذا الباب كثيرة[٨٥٨]، فهذا الاتجاه إلى الغلو في الإثبات، قد طرأ على الإثبات الحق الذي عليه علماء أهل البيت ، وأصبح المذهب يتنازعه اتجاهان: اتجاه التجسيم الذي يتزعمه هشام، واتجاه التنزيه الذي عليه أهل البيت كما تشير إليه روايات الشيعة نفسها، وكما هو ثابت مستفيض في كتب أهل العلم[٨٥٩] .

١٠- التعطيل عندهم:

بعد هذا الغلو في الإثبات بدأ تغير المذهب في أواخر المائة الثالثة حيث تأثر بمذهب المعتزلة في تعطيل البارئ (سبحانه) من صفاته الثابتة له في الكتاب والسنة، وكثر الاتجاه إلى التعطيل عندهم في المائة الرابعة لما صنف لهم المفيد وأتباعه كالموسوي الملقب بالشريف المرتضى، وأبي جعفر الطوسي، واعتمدوا في ذلك على كتب المعتزلة[٨٦٠] وكثير مما كتبوه في ذلك منقول عن المعتزلة نقل المسطرة، وكذلك ما يذكرونه في تفسير القرآن العظيم في آيات الصفات والقدر ونحو ذلك هو منقول من تفاسير المعتزلة[٨٦١]، ولهذا لا يكاد القارئ لكتب متأخري الشيعة يلمس بينها وبين كتب المعتزلة في باب الأسماء والصفات فرقًا، فالعقل - كما يزعمون- هو عمدتهم فيما ذهبوا إليه، والمسائل التي يقررها المعتزلة في هذا الباب أخذ بها شيوخ الشيعة المتأخرون، كمسألة خلق القرآن، ونفي رؤية المؤمنين لربهم في الآخرة. وإنكار الصفات، بل إن الشبهات التي يثيرها المعتزلة في هذا هي الشبهات التي يثيرها شيوخ الشيعة المتأخرون والفرق الذي قد يلمسه القارئ في هذه المسألة هو أن الشيعة أسندوا روايات إلى الأئمة تصرح بنفي الصفات وتقول بالتعطيل، فقد جاؤوا بروايات كثيرة في الأئمة يسندون بها مذهبهم في التعطيل ويفترون على أمير المؤمنين علي رضي الله عنه وبعض علماء أهل البيت كمحمد الباقر وجعفر الصادق بأنهم يقولون بالتعطيل، واعتبر بعض شيوخهم المعاصرين أن هذا هو عمدتهم في نفي الصفات، حيث قال تحت عنوان طريقة معرفة الصفات: هل يبقى مجال للبحث عن الصفات وهل له طريقة إلا الإذعان، بكلمة أمير

(٨٥٧) التوحيد ص (١٠٣، ١٠٤) ، ابن بابويه، أصول الشيعة (٢/ ٦٤٧) .

(٨٥٨) أصول الكافي (١/ ١٠٤-١٠٦) ، أصول الشيعة (٢/ ٦٤٧) .

(٨٥٩) أصول الشيعة (٢/ ٦٤٨) .

(٨٦٠) منهاج السنة (١/ ٢٢٩).

(٨٦١) المصدر السابق (١/ ٣٥٦).

المؤمنين رضي الله عنه: كمال الإخلاص نفي الصفات عنه(٨٦٢).

وهذا والثابت عن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه وأئمة أهل البيت إثبات الصفات لله، والنقل بذلك ثابت مستفيض في كتب أهل العلم(٨٦٣)، وهذا أيضًا ما تعترف به بعض روايات لهم موجودة وسط ركام هائل من التعطيل، إن مجموعة من رواياتهم وصفت رب العالمين بالصفات السلبية التي ضمنوها نفي الصفات الثابتة له (سبحانه)، وليس هذا بجديد فهو سبيل من زاغ وحاد عن منهج الرسل عليهم السلام من المتفلسفة والجهمية وغيرهم.

إن الله (سبحانه) بعث رسله في صفاته بإثبات مفصل، ونفي مجمل، ولهذا يأتي الإثبات للصفات في كتاب الله مفصلاً والنفي مجملاً (٨٦٤). قال (تعالى): ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]. فالنفي جاء مجملاً ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ وهذه طريقة القرآن في النفي غالبًا. قال (تعالى): ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]. أي نظير يستحق مثل اسمه، ويقال: مساميًا يساميه(٨٦٥). وهذا معنى ما يروى عن ابن عباس: هل تعلم له مثلاً أو شبيهًا(٨٦٦)، وقال (سبحانه): ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٤]. وأما الإثبات فيأتي التفصيل: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]. وكآخر سورة الحشر: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ * هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ * هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحشر: ٢٢-٢٤]. وشواهد هذا كثيرة(٨٦٧).

إن الشيعة تروي عن أئمتها: أن الخالق لا يوصف إلا بما وصف به نفسه(٨٦٨) ولكنها تعرض عن ذلك كما أعرضت عن كتاب الله (سبحانه)، وعن مقتضى العقل والفطرة، وتؤثر في ذلك التقليد المحض، والأخذ من (نفايات) الفلسفات البائدة وإلا فكيف يتجرأ عاقل على الاعتماد في أمر غيبي لا سبيل للوصول إلى المعرفة فيه على سبيل التفصيل إلا بخبر السماء على العقل القاصر العاثر، وتحكيم خيالات البشر المتناقضة، وتصوراتهم المتعارضة(٨٦٩)؟

أ- مسألة خلق القرآن:

القرآن كلام الله منزل غير مخلوق، وعلى هذا دل الكتاب والسنة، وإجماع السلف(٨٧٠)، والاثنا عشرية حذت حذو الجهمية في القول بخلق القرآن، فقد عقد شيخ

(٨٦٢) عقائد الإمامية الاثنى عشرية للزنجاني ص (٢٨).
(٨٦٣) منهاج السنة (٢/ ١٤٤).
(٨٦٤) شرح الطحاوية ص (٤٩)، التدمرية لابن تيمية ص (٨).
(٨٦٥) التدمرية ص (٨).
(٨٦٦) تفسير الطبري (١٦/ ١٠٦).
(٨٦٧) انظر التدمرية لابن تيمية ص (٨) وما بعدها.
(٨٦٨) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٦٥٦). (٨٦٩) المصدر نفسه (٢/ ٦٥٦).
(٨٧٠) الرد على الزنادقة للإمام أحمد، خلق أفعال العباد للبخاري.

الشيعة في زمن المجلسي في البحار في كتاب القرآن بابًا بعنوان: باب أن القرآن مخلوق[٨٧١]، أورد فيه إحدى عشرة رواية، ومعظم هذه الروايات تخالف ما ذهب إليه، ولكن لشيوخ الشيعة مسلكًا في تأويلها، سنذكره بعد قليل- بإذن الله (تعالى)- ويقول آية الشيعة محسن الأمين: قالت الشيعة والمعتزلة: القرآن مخلوق[٨٧٢]، وهذا بناء على إنكارهم لصفة الكلام لله وزعمهم أن الله (سبحانه) يوجد الكلام في بعض مخلوقاته كالشجرة حين كلم موسى، وكجبرائيل حين أنزله بالقرآن[٨٧٣]، هذا بعض ما يقوله شيوخهم في هذا الأمر[٨٧٤]، وإذا رجعت إلى الروايات التي ينقلونها في (آل البيت)، وجدتها تخالف في أكثرها ما يذهب إليه هؤلاء، فمن ذلك: ما جاء في تفسير العياشي: عن الرضا أنه سئل عن القرآن فقال: إنه كلام الله غير مخلوق[٨٧٥]. وفي التوحيد لابن بابويه القمي قيل لأبي الحسن موسى رضي الله عنه : يا ابن رسول الله ما تقول في القرآن، فقد اختلف فيه من قبلنا فقال قوم: إنه مخلوق، وقال قوم: إنه غير مخلوق؟ فقال رضي الله عنه: أما إني لا أقول في ذلك ما يقولون، ولكن أقول: إنه كلام الله (عز وجل)[٨٧٦]، وفي هذا المعنى روايات كثيرة عندهم[٨٧٧]. ولكن يلاحظ أن شيخ الشيعة في زمنه ابن بابويه القمي قد ذهب في تأويل هذه النصوص إلى اتجاه آخر، فأثبت أن قول الأئمة : القرآن غير مخلوق يعني أنه غير مخلوق أي غير مكذوب لا يعني به أنه غير محدث[٨٧٨]. وقال: وإنما امتنعنا من إطلاق المخلوق عليه لأن المخلوق في اللغات قد يكون مكذوبًا، ويقال: كلام مخلوق أي مكذوب[٨٧٩]. وقد قال علماء السلف ردًا عليهم: إنه غير مخلوق ولم يريدوا بذلك أنه غير مكذوب، بل هذا كفر ظاهر يعلمه كل مسلم، وإنما قالوا: إنه مخلوق خلقه في غيره فرد السلف هذا القول، . كما تواترت الآثار عنهم بذلك، وصنف في ذلك مصنفات متعددة[٨٨٠]، وفي كتاب تفسير الصراط المستقيم لآيتهم البروجردي نقل نصًا عن ابن بابويه -أيضًا- يحيل فيه النصوص التي فيها المعنى السابق على التقية فقال: ولعل المنع من إطلاق الخلق على القرآن إما للتقية مماشاة مع العامة، أو لكونه موهمًا لمعنى آخر أطلق الكفار عليه بهذا المعنى في قولهم: إن هذا إلا اختلاق[٨٨١]، فلم يجد هؤلاء الشيوخ ما يلوذون به إلا

---

(٨٧١) بحار الأنوار (٩٢/١١٧-١٢١).
(٨٧٢) أعيان الشيعة (١/٤٦١).
(٨٧٣) المصدر نفسه (١/٤٥٣).
(٨٧٤) أصول الشيعة الإمامية (٢/٦٥٨) .
(٨٧٥) تفسير العياشي (١/٨).
(٨٧٦) التوحيد، ابن بابويه ص (٢٢٤).
(٨٧٧) البحار (٩٢/١١٧-١٢١)، أصول الشيعة (٢/٦٥٩) .
(٨٧٨) البحار (٩٢/١١٩)، أصول الشيعة (٢/٦٥٩) .
(٨٧٩) أصول الشيعة (٢/٦٥٩).
(٨٨٠) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١٢/٣٠١).
(٨٨١) تفسير الصراط المستقيم (١/٣٠٤).

القول (بالتقية) أو ما ماثلها. . وهذا المنهج يثبت أنهم ليسوا على شيء، وأن احتمال التقية في كل نص قد أفسد عليهم أمرهم وأضاع حقيقة المذهب، فأصبح دينهم دين المجلسي أو الكليني أو ابن بابويه القمي لا روايات الأئمة(٨٨٢)، وهكذا يضيع العلم والحق بهذه الطريقة الماكرة، ويكتب على الأمة الفرقة والخلاف بهذه الأساليب التي هي من وحي الشيطان ومكره، ولو أحسن محسن للشيعة وأراد بها الخير من شيوخها لسلك بها طريق الجماعة وأخذ من رواياتهم ما يتفق مع كتاب الله، وسنة رسوله (ﷺ) وهدي الصحابة الكرام وعلماء أهل السنة والجماعة، وتخلص من مكر القمي والكليني والمجلسي، ولا سيما، والأئمة تشتكي من كثرة الكذابين عليها حتى قالوا: بأن الناس أولعوا بالكذب علينا(٨٨٣) ولو أردت أن تطبق هذه النظرية- أي ما تتفق فيه روايات أهل السنة مع روايات الشيعة عن أهل البيت في هذه المسألة لوجدت أن كتب الشيعة روت كما سبق روايات عن أهل البيت بأن كلام الله منزل غير مخلوق، وكتب أهل السنة روت هذا، فقد أخرج البخاري في كتاب أفعال العباد(٨٨٤). وابن أبي حاتم(٨٨٥)، وأبو سعيد الدارمي، والآجري في الشريعة(٨٨٦). والبيهقي في الاعتقاد(٨٨٧)، والأسماء والصفات(٨٨٨). واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة(٨٨٩)، وأبو داود في مسائل الإمام أحمد(٨٩٠)، عن جعفر الصادق أنه قال حينما سئل عن القرآن، قال: ليس بخالق ولا مخلوق. قال ابن تيمية إنه قد استفاض ذلك عن جعفر(٨٩١)، فلماذا لا يؤخذ بالمعنى المتفق عليه ويترك الباطل الذي لا يسنده إلا أقوال شيوخ يبغون في الأمة الفرقة والخلاف، وينشدون الشذوذ والعزلة ليتسنى لهم تحصيل الأموال الطائلة باسم الخمس، وتتحقق لهم الوجاهة الاجتماعية، والمنزلة (المقدسة) باسم النيابة عن الإمام الغائب؟ ولهذا ما برحوا يؤكدون على القول: إن ما خالف العامة ففيه الرشاد(٨٩٢)- ويقصدون بذلك أهل السنة والجماعة - إن الروايات الواردة في كتب الشيعة والتي تنص على أن القرآن منزل غير مخلوق قد تمثل مذهب قدماء الشيعة الذين كانوا على هذا الاعتقاد كما أشار إلى ذلك أهل العلم(٨٩٣)، لأن القول بأن القرآن مخلوق هو إحداث متأخري

---

(٨٨٢) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٦٦٠).
(٨٨٣) رجال الكشي ص (١٣٥-١٣٦).
(٨٨٤) خلق أفعال العباد ص (٣٦) تحقيق البدر.
(٨٨٥) منهاج السنة لابن تيمية (٢/ ١٨٧-١٨٨).
(٨٨٦) الشريعة ص (٧٧).
(٨٨٧) الاعتقاد ص (٣٦).
(٨٨٨) الأسماء والصفات ص (٢٤٧).
(٨٨٩) شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٢/ ٢٣٨، ٢٤١-٢٤٢).
(٨٩٠) مسائل الإمام أحمد ص (٢٦٥).
(٨٩١) منهاج السنة (١/ ٢٧٨).
(٨٩٢) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٦٦٢).
(٨٩٣) منهاج السنة (١/ ٢٩٦) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٦٦٤).

الشيعة[٨٩٤]. كما أن الاعتقاد بأن القرآن منزل غير مخلوق، هو الثابت عن أهل البيت، إذ ليس من أئمة أهل البيت مثل علي بن الحسين وأبي جعفر الباقر وابنه جعفر بن محمد من يقول بخلق القرآن، ولكن الإمامية تخالف أهل البيت في عامة أصولهم[٨٩٥]، وبعد أليس يكفي في بيان فساد مذهبهم أنه خلاف ما عليه أهل البيت، وخلاف ما اتفقت فيه روايات لهم مع ما جاء عند أهل السنة، وأن رواياتهم كلها متعارضة متناقضة[٨٩٦]؟

إن معتقد أهل السنة والجماعة في هذه المسألة هو : إن القرآن كلام الله، منه بدأ بلا كيفية قولاً، وأنزله على رسوله وحيًا، وصدقه المؤمنون على ذلك حقًا، وأيقنوا أنه كلام الله (تعالى) بالحقيقة، ليس بمخلوق ككلام البرية، فمن سمعه فزعم أنه كلام البشر، فقد كفر، وقد ذمه الله وعابه وأوعده بسقر حيث قال (تعالى): ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾ [المدثر: ٢٦]. فلما أوعد الله بسقر لمن قال: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ [المدثر: ٢٥]، علمنا وأيقنا أنه قول خالق البشر، ولا يشبه قول البشر[٨٩٧].

ب- مسألة الرؤية:

ذهبت الشيعة الإمامية بحكم مجاراتهم للمعتزلة إلى نفي الرؤية وجاءت روايات عديدة ذكرها ابن بابويه في كتابه التوحيد، وجمع أكثرها صاحب البحار تنفي ما جاءت به النصوص من رؤية المؤمنين لربهم في الآخرة، فتفتري - مثلاً- على أبي عبد الله جعفر الصادق بأنه سئل عن الله (تبارك وتعالى) هل يرى في المعاد؟ فقال: سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا.. إن الأبصار لا تدرك إلا ما له لون وكيفية، والله خالق الألوان والكيفية[٨٩٨]، وقال شيخهم وآيتهم جعفر النجفي صاحب كاشف الغطا: ولو نسب إلى الله بعض الصفات: ... كالرؤية حكم بارتداده[٨٩٩]، وجعل الحر العاملي نفي الرؤية من أصول الأئمة، وعقد لذلك بابًا بعنوان أن الله (سبحانه) لا تراه عين ولا يدركه بصر في الدنيا ولا في الآخرة[٩٠٠]، فنفيهم لرؤية المؤمنين لربهم في الآخرة خروج عن مقتضى النصوص الشرعية، وهو أيضًا خروج عن مذهب أهل البيت، وقد اعترفت بعض رواياتهم بذلك، فقد روى ابن بابويه القني عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: أخبرني عن الله (عز وجل) هل يراه المؤمنون يوم القيامة؟ قال: نعم[٩٠١] والرؤية حق لأهل الجنة يرونه بغير إحاطة ولا كيفية، كما نطق به كتاب ربنا مثل قوله (تعالى): ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا

(٨٩٤) مقالات الإسلاميين للأشعري (١/ ١١٤).
(٨٩٥) منهاج السنة (١/ ٢٩٦).
(٨٩٦) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٦٦٨).
(٨٩٧) المنحة الإلهية في تهذيب شرح الطحاوية، عبد الآخر الغنيمي ص (١٠٩).
(٨٩٨) بحار الأنوار (٤/ ٣١).
(٨٩٩) كشف الغطا ص (٤١٧)، أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٦٧٠).
(٩٠٠) أصول الشيعة (٢/ ٦٧٠).
(٩٠١) الفصول المهمة في أصول الأئمة ص (١٢).

نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣] وقوله (تعالى): ﴿لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق: ٣٥] قال أنس بن مالك: هو النظر إلى وجه الله (عز وجل) (٩٠٢)، وقوله (تعالى): ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] فالحسنى: الجنة، والزيادة، هي النظر إلى وجهه الكريم، فسرها بذلك رسول الله (ﷺ) والصحابة بعده، كما روى مسلم في صحيحه عن صهيب قال: قرأ رسول الله (ﷺ) ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، نادى منادٍ: يا أهل الجنة، إن لكم عند الله موعدًا ويريد أن ينجزكموه، فيقولون: ما هو؟ ألم يثقل موازيننا ويبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة ويجرنا من النار؟ فيكشف الحجاب، فينظرون إليه، فما أعطاهم شيئًا أحب إليهم من النظر إليه وهي الزيادة»(٩٠٣). وقال (تعالى): ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥]. احتج الشافعي رحمه الله وغيره من الأئمة بهذه الآية على الرؤية لأهل الجنة، ذكر ذلك الطبري وغيره عن المزني عن الشافعي. وقال الحاكم: حدثنا الأصم حدثنا الربيع بن سليمان قال: حضرت محمد بن إدريس الشافعي، وقد جاءت رقعة من الصعيد فيها: ما تقول في قول الله (عز وجل): ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥] فقال الشافعي: لما أن حجب في السخط، كان في هذا دليل على أن أولياءه يرونه في الرضا(٩٠٤)، وأما الأحاديث عن النبي (ﷺ) وأصحابه الدالة على الرؤية فمتواترة ورواها أصحاب الصحاح والمسانيد والسنن(٩٠٥)، وقد قال بثبوت الرؤية الصحابة والتابعون، وأئمة الإسلام المعروفون بالإمامة في الدين، وسائر طوائف أهل الكلام المنسوبين إلى السنة والجماعة(٩٠٦).

١١- تفضيلهم الأئمة على الأنبياء والرسل:

الرسل أفضل البشر وأحقهم بالرسالة، حيث أعدهم الله (تعالى) لكمال العبودية والتبليغ والدعوة والجهاد ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٤]. فهم قد امتازوا برتبة الرسالة عن سائر الناس(٩٠٧) وقد أوجب الله على الخلق متابعتهم. قال (تعالى): ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ﴾ [النساء: ٦٤] ولا يفضل أحد من البشر عليهم. قال الطحاوي في بيان اعتقاد أهل السنة: ولا نفضل أحدًا من الأولياء على أحد من الأنبياء عليهم السلام ونقول: نبي واحد أفضل من جميع الأولياء(٩٠٨)، وتفضيل الأئمة على الأنبياء هو مذهب

---

(٩٠٢) مجمع الفوائد (٧/ ١١٢).
(٩٠٣) مسلم رقم (١٨١).
(٩٠٤) مناقب الشافعي (١/ ٤١٩) للبيهقي.
(٩٠٥) شرح الطحاوية ص(١٥١).
(٩٠٦) شرح الطحاوية ص (١٤٦).
(٩٠٧) المنهاج في شعب الإيمان للحليمي (١/ ٢٣٨).
(٩٠٨) شرح الطحاوية ص (٤٩٣).

غلاة الروافض، كما نبه على ذلك عبد القاهر البغدادي[٩٠٩] والقاضي عياض[٩١٠]، وابن تيمية[٩١١]، وهذا المذهب بعينه قد غدا من أصول الاثني عشرية، فقد قرر صاحب الوسائل أن تفضيل الأئمة على الأنبياء من أصول مذهب الشيعة التي نسبها للأئمة[٩١٢]، وقال بأن الروايات عندهم في ذلك أكثر من أن تحصى[٩١٣]، وفي بحار الأنوار للمجلسي عقد بابًا بعنوان: باب تفضيلهم عليهم السلام على الأنبياء وعلى جميع الخلق وأخذ ميثاقهم عنهم وعن الملائكة وعن سائر الخلق وأن أولي العزم إنما صاروا أولي العزم بحبهم صلوات الله عليهم[٩١٤]، و هذا المذهب الذي استقر عليه مذهب الاثني عشرية مر بتغيرات وتطورات نحو الغلو، فإن الشيعة في مسألة تفضيل الأنبياء على الأئمة كانوا ثلاث فرق- كما يقول الأشعري:

- فرقة: يقولون بأن الأنبياء أفضل من الأئمة، غير أن بعض هؤلاء جوزوا أن يكون الأئمة أفضل من الملائكة.

- الفرقة الثانية: يزعمون أن الأئمة أفضل من الأنبياء والملائكة.

- والفرقة الثالثة: وهم القائلون بالاعتزال والإمامة، يقولون: إن الملائكة والأنبياء أفضل من الأئمة[٩١٥].

ويضيف المفيد في أوائل المقالات مذهبًا رابعًا لهم وهو أفضلية الأئمة على سائر الأنبياء ما عدا أولي العزم[٩١٦]. ثم لا يبوح بذكر المذهب الذي يعتمده من هذه المذاهب بل يذكر توقفه للنظر في ذلك[٩١٧]، ولكن يظهر أن كل هذه المذاهب تلاشت بسعي شيوخ الدولة الصفوية ومن تبعهم واستقر المذهب على الغلو في الأئمة، حتى أن المجلسي يقول في عنوان الباب الذي عقده في بحاره لهذا الغرض: إن أولي العزم إنما صاروا أولي عزم بحبهم صلوات الله عليهم[٩١٨]. إن من يرجع إلى كتاب الله (سبحانه) يجد أنه ليس لأئمتهم الاثني عشر ذكر، فضلاً عن أن يقدموا على أنبياء الله ورسله، كما أنه يلاحظ: أن الأنبياء لكونهم أرفع رتبة يقدمون بالذكر على غيرهم من صالحي عباد الله قال (تعالى): ﴿فَأُولَـٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ﴾ [النساء: ٦٩].

(٩٠٩) أصول الدين ص (٢٩٨).
(٩١٠) الشفاء ص (١٠٧٨).
(٩١١) منهاج السنة (١/ ١٧٧).
(٩١٢) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٧٤٥).
(٩١٣) المصدر نفسه (٢/ ٧٤٥).
(٩١٤) بحار الأنوار (٢٦/ ٢٦٧).
(٩١٥) مقالات الإسلاميين (١/ ١٢٠).
(٩١٦) أوائل المقالات ص (٤٢-٤٣).
(٩١٧) المصدر السابق ص (٤٣)
(٩١٨) بحار الأنوار (٢٦/ ٢٦٧).

فرتب الله (سبحانه) عباده السعداء المنعم عليهم أربع مراتب[٩١٩]. وكتاب الله يدل في جميع آياته على اصطفاء الأنبياء واختيارهم على جميع العالم[٩٢٠]، وقد أجمع أهل القرون الثلاثة على تفضيل الأنبياء على من سواهم، فالإجماع حجة، وقال ابن تيمية: اتفق سلف الأمة وأئمتها وسائر أولياء الله (تعالى) عل: أن الأنبياء أفضل من الأولياء الذين ليسوا بأنبياء[٩٢١]، والعقل يدل صريحًا على أن جعل النبي واجب الطاعة وجعله آمرًا وناهيًا وحاكمًا على الإطلاق والإمام نائبًا وتابعًا له لا يعقل بدون فضيلة النبي عليه، ولما كان هذا المعنى موجودًا في حق كل نبي مفقودًا في حق كل إمام لم يكن إمام أفضل من نبي أصلاً، بل يستحيل[٩٢٢]. ثم قد ورد في كتب الشيعة نفسها ما يتفق مع النص والإجماع والعقل، وينفي ذلك الشذوذ، وهو ما رواه الكليني عن هشام الأحول عن زيد بن علي أن الأنبياء أفضل من الأئمة، وأن من قال غير ذلك فهو ضال[٩٢٣]، وروى ابن بابويه عن الصادق ما ينص على أن الأنبياء أحب إلى الله من علي[٩٢٤].

خامسًا: موقف الشيعة الإمامية من القرآن الكريم:

قد كان لمعتقد الشيعة في الإمامة ومحاولة الدفاع عنه أثر كبير في دفع بعض الشيعة إلى تبني أفكار خطيرة حول القرآن والسنة، والصحابة رضوان الله عليهم، فشككوا في القرآن، وأنكروا كثيرًا من الأحاديث الثابتة ، وطعنوا في الصحابة رضي الله عنهم وجرحوهم ونسبوا إليهم تعمد الكذب وتحريف كتاب الله (تعالى).

١-اعتقاد بعضهم في تحريف كتاب الله (عز وجل) والرد عليهم:

فقد زعم بعض الشيعة الرافضة أن القرآن الكريم قد حرف وأسقطت منه بعض السور وكثير من الآيات التي أنزلت في فضائل أهل البيت والأمر باتباعهم، والنهي عن مخالفتهم وإيجاب محبتهم وأسماء أعدائهم والطعن فيهم ولعنهم وقد اتهم الشيعة الصحابة رضوان الله عليهم، بأنهم أسقطوا من القرآن جملة ما أسقطوه «وجعلنا عليًا صهرك» من سورة (الشرح) والتي تشير إلى تخصيص علي بمصاهرة الرسول (ﷺ) دون عثمان. وقد جهل هؤلاء أن هذه السورة مكية، وأنها حين نزلت لم يكن عليًا صهرًا للرسول (ﷺ) ، إذ أن عليًا تزوج فاطمة

---

(٩١٩) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٧٤٩).
(٩٢٠) الفتاوى (١١/ ٢٢١).
(٩٢١) الفتاوى (١١/ ٢٢١).
(٩٢٢) مختصر التحفة ص(١٠١).
(٩٢٣) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٧٥٣) مختصر التحفة ص(١٠٠).
(٩٢٤) مختصر التحفة ص(١٠١).
(٩٢٥) دراسات عن الفرق وتاريخ المسلمين ص (٢٢٦).
(٩٢٦) تفسير الصافي ص (١٣) ، الإمام الصادق لأبي زهرة ص (٣٣٣).
(٩٢٧) أصول الكافي (١/ ٤١٤).

بالمدينة وبعد غزوة بدر، كما سبق أن أشرنا، ويذهب الشيعة أيضًا إلى أنه من بين ما أسقط من (القرآن) سورة الولاية ويزعمون أنها سورة طويلة قد ذكر فيها فضائل أهل البيت[٩٢٥]، وهكذا تدور معظم مزاعم هذا النفر من الشيعة في القرآن حول هذه القضايا، إذ أنهم لم ينكروا حكمًا من أحكامه أو قاعدة، ولكن تدور آراؤهم حول إسقاط بعض الآيات إلى ولاية علي ومن بعده من الأئمة وقد ردد هذه الافتراءات على القرآن الكريم العديد من علماء الشيعة الإمامية وعلى رأسهم حجتهم المشهور أبو جعفر محمد بن يعقوب الكليني ت ٣٢٩ هـ صاحب كتاب الكافي الذي يعتبر في حجيته لدى الشيعة في مرتبة كتاب البخاري عند أهل السنة، وقد ذكر صاحب تفسير الصافي الشيعي: إن الظاهر من ثقة الإسلام محمد بن يعقوب الكليني طاب ثراه أنه كان يعتقد أيضًا في التحريف والنقصان في القرآن لأنه روى روايات في هذا المعنى في كتابه «الكافي» ولم يتعرض بقدح فيها، على أنه ذكر في أول كتابه أنه يثق بما رواه فيه[٩٢٦]، وكتاب الكليني هذا مليء بهذه المزاعم المنحرفة، والتي تهدف في الأساس إلى إثبات إمامة علي بن أبي طالب رضي الله عنه والأئمة من بعده. ومن ذلك ما رواه الكليني عن أبي بصير عن أبي عبد الله في قول الله (عز وجل) **﴿ومن يطع الله ورسوله﴾** عن ولاية علي والأئمة بعده **﴿فقد فاز فوزًا عظيمًا﴾** هكذا نزلت [٩٢٧]، ويروي أيضًا عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: قلت له: لم سمي (علي بن أبي طالب) أمير المؤمنين؟ قال: الله سماه وهكذا أنزل في كتابه: **﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾** [الأعراف : ١٧٢] (وأن محمداً رسولي وأن عليًا أمير المؤمنين)[٩٢٨]. ويروي الكليني عن أحمد بن محمد بن أبي نصر قال: رفع إلي أبو الحسن عليه السلام مصحفًا وقال: لا تنظر فيه، ففتحته وقرأت فيه (لم يكن الذين كفروا) فوجدت فيهم سبعين رجلاً من قريش بأسمائهم وأسماء آبائهم قال: فبعث إليّ بالمصحف[٩٢٩]، وقد زعم الكليني أنه لم يجمع القرآن كله إلا الأئمة، وأنهم (أي الأئمة) يعلمون علمه كله، فما جمعه وحفظه كما أنزل إلا علي بن أبي طالب والأئمة من بعده[٩٣٠]، وقد ردد هذه الفرية التي ربطت جمع القرآن بعلي رضي الله عنه، وقد ذهب صاحب الاحتجاج إلى: أنه لما توفي الرسول (ﷺ)، جمع علي (عليه السلام) القرآن وجاء به إلى المهاجرين والأنصار وعرضه عليهم لما قد أوصاه بذلك رسول الله (ﷺ)، فلما فتحه أبو بكر خرج في أول صفحة فتحها فضائح القوم فوثب عمر وقال: يا علي اردده فلا حاجة لنا فيه، فأخذه عليه السلام وانصرف، ثم أحضروا زيد بن ثابت وكان قارئًا للقرآن، فقال له عمر: إن عليًا جاء بالقرآن وفيه فضائح المهاجرين والأنصار وقد رأينا أن نؤلف القرآن ونسقط منه ما كان فيه فضيحة وهتك للمهاجرين والأنصار، فأجابه زيد إلى ذلك ثم قال: فإن أنا

---

(٩٢٨) أصول الكافي (١/ ٤١٢)، السنة والشيعة، إحسان إلهي ص (١٠٣).
(٩٢٩) أصول الكافي (١/ ٦٣١) السنة والشيعة ص (٨٧).
(٩٣٠) أصول الكافي (١/ ٢٢٨).

فرغت من القرآن على ما سألتم وأظهر على القرآن الذي ألفه أليس قد بطل كل ما عملتم؟ قال عمر فما الحيلة؟ قال زيد: أنتم أعلم بالحيلة فقال عمر: فما حيلته دون أن نقتله ونستريح منه فدبر في قتله على يد خالد بن الوليد، فلم يقدر على ذلك[٩٣١] ولا شك أن مثل هذه الرواية من نسيج خيال مريض فاسد أراد أن يتهم الصحابة بتحريف القرآن، والتآمر على حرمان علي من إمامة المسلمين وهو إذ يمدح علي يذمه إذ يصفه بالسكوت السلبي حينما رفض الصحابة الأخذ بقرآنه، فكيف يتفق هذا مع مواقف علي رضي الله عنه البطولية في سبيل الدفاع عن الإسلام، ويرد على مثل هذه الترهات قول علي رضي الله عنه: أعظم الناس أجرًا في المصحف أبو بكر، رحمة الله على أبي بكر، هو أول من جمع بين اللوحين[٩٣٢]، ولم يكتف الكليني بهذا ، بل نسب هذه الافتراءات والمزاعم الباطلة حول التحريف في القرآن إلى جعفر الصادق، إذ ينسب إليه أنه قال: إن القرآن الذي نزل به الوحي على محمد سبعة آلاف آية، والآيات التي نتلوها ثلاث وستون ومائتان وست آلاف فقط، والباقي مخزون عند آل البيت[٩٣٣]، وزعم الكليني أن الصادق قال عن القرآن الذي جمعه علي بن أبي طالب في زعمه: قيل : هو مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد[٩٣٤]، ويقولون: إن فاطمة رضي الله عنها مكثت بعد النبي خمسة وسبعين يومًا، صبت عليها مصائب من الحزن لا يعلمها إلا الله، فأرسل الله إليها جبرائيل يسليها ويعزيها ويحدثها عن أبيها، وعما يحدث لذريتها، وكان علي يستمع ويكتب ما يسمع حتى جاء به مصحف قدر القرآن ثلاث مرات ليس فيه شيء من حلال وحرام ولكن فيه علم ما يكون[٩٣٥].

-ويرد عالم شيعي آخر وهو علي بن إبراهيم القمي نفس المزاعم التي ذهب إليها الكليني ويورد عنه محمد محسن الملقب بالفيض الكاشي في تفسيره فيقول: المستفاد من الروايات عن طريق آل البيت أن القرآن الذي بين أظهرنا ليس بتمامه كما أنزل على محمد بل منه ما هو خلاف ما أنزل الله، ومنه ما هو مغير محرف وأنه قد حذف منه أشياء كثيرة منها اسم علي في كثير من المواضع ومنها لفظ (آل محمد) غير مرة، ومنها أسماء المنافقين في مواضعها، ومنها غير ذلك وأنه ليس على الترتيب المرضي عند الله ورسوله. وبه - أي بهذا الرأي- قال علي بن إبراهيم المسمى بالقمي له تفسير مليء بهذه الدعاوي والغلو فيها. وأخذ يخلط ويزعم أن هناك آيات في ولاية علي حذفت[٩٣٦].

---

(٩٣١) الاحتجاج للطبرسي ص (٢٢٥، ٢٢٨) ، دراسات عن الفرق في تاريخ المسلمين ص (٢٢٨).
(٩٣٢) كتاب المصاحف للسجستاني (١/ ٥).
(٩٣٣) الإمام الصادق ص (٣٢٣).
(٩٣٤) أصول الكافي (١/ ٢٣٩).
(٩٣٥) أصول الكافي (١/ ٢٤٠) بحار الأنوار (٢٦/ ٤٤) ، بصائر الدرجات ص (٤٣).
(٩٣٦) دراسات عن الفرق في تاريخ المسلمين ص (٢٢٩، ٢٣٠).

– وقال صاحب كتاب بصائر الدرجات الصفار بسنده عن أبي جعفر – على حد زعمه – ما يستطيع أحد أن يدعي أنه جمع القرآن كله وظاهره وباطنه غير الأوصياء[٩٣٧]، وعنه أيضًا: ما من أحد من الناس يقول أنه جمع القرآن كله كما أنزل الله إلا كذاب، وما جمعه وما حفظه كما أنزل إلا علي بن أبي طالب والأئمة من بعده[٩٣٨].

– وفي تفسير العياشي عن أبي عبد الله: لو قرأ القرآن كما أنزل لألفيتنا فيه مسمين[٩٣٩]، وفيه عن أبي جعفر: لولا أنه زيد في كتاب الله ونقص منه ما خفي حقنا على ذي حجى[٩٤٠]. والروايات في كتب الشيعة الرافضة المصرحة بتحريف القرآن كثيرة جدًا، وقد أخبر عن استفاضتها وتواترها عندهم كبار علمائهم ومحققيهم، يقول المفيد: إن الأخبار جاءت مستفيضة عن أئمة الهدى من آل محمد (ﷺ) باختلاف القرآن، وما أحدثه بعض الظالمين فيه من الحذف والنقصان[٩٤١].

– ويقول هاشم البحراني[٩٤٢] – أحد كبار مفسريهم: اعلم أن الحق الذي لا محيص عنه بحسب الأخبار المتواترة الآتية وغيرها أن هذا القرآن الذي في أيدينا قد وقع فيه بعد رسول الله (ﷺ) شيء من التغييرات وأسقط الذي جمعوه بعده كثيرا من الكلمات والآيات[٩٤٣]، ويقول أيضًا: وعندي في وضوح صحة هذا القول – أي تحريف القرآن – بعد تتبع الأخبار وتفحص الآثار بحيث يمكن الحكم بكونه من ضروريات مذهب التشيع وأنه من أكبر مقاصد الخلافة[٩٤٤].

– ويقول نعمة الله الجزائري[٩٤٥]: إن الأخبار الدالة على هذا التحريف تزيد على ألفي حديث، وادعى استفاضتها جماعة كالمفيد والمحقق والداماد، والعلامة المجلسي[٩٤٦]، فهذه أقوال أئمتهم ومحققيهم الكبار تقطع بتواتر واستفاضة الروايات في كتبهم بدعوى تحريف القرآن وتبديله، وأنها تبلغ الآلاف مما جعل بعض هؤلاء العلماء يقطع بأن هذه العقيدة من ضروريات المذهب عندهم وأكبر مقاصد الإمامة، وزيادة على ما جاء في كتبهم من آلاف الروايات الدالة على دعوى تحريف القرآن، فإن أقوال علمائهم ومنظريهم، وأهل الاجتهاد

---

(٩٣٧) بصائر الدرجات ص (٢١٣).
(٩٣٨) المصدر نفسه ص (٢١٣).
(٩٣٩) تفسير العياشي (١/١٣).
(٩٤٠) المصدر نفسه (١/١٣).
(٩٤١) أوائل المقالات ص (٩١).
(٩٤٢) هاشم بن سليمان البحراني، توفي سنة (١١٠٧هـ).
(٩٤٣) مقدمة تفسير البرهان في تفسير القرآن ص (٣٦).
(٩٤٤) المصدر نفسه ص (٤٩).
(٩٤٥) متوفي سنة (١١١٢ هـ) قال عنه الحر العاملي: فاضل عالم محقق جليل القدر، أمل الآمال (٢/٣٣٦).
(٩٤٦) فصل الخطاب ص (٢٤٨)، الانتصار.

فيهم، جاءت مؤكدة لتلك العقيدة الفاسدة، ولعل المقام هنا لا يتسع لنقل كلامهم هنا وإنما أذكر من نقل إجماعهم على ذلك من كبار علمائهم، يقول المفيد ناقلاً إجماعهم على ذلك واتفقوا (أي الإمامية) أن أئمة الضلال خالفوا في كثير من تأليف القرآن، وعدلوا فيه عن موجب التنزيل وسنة النبي (ﷺ) . وأجمعت المعتزلة، والخوارج والمرجئة، وأصحاب الحديث على خلاف الإمامية في جميع ما عددناه[٩٤٧].

وقد قام النوري الطبرسي، أحد كبار علمائهم المتأخرين الهالك في سنة (١٣٢٠) هـ بتأليف كتاب ضخم في إثبات دعوى تحريف القرآن عند الشيعة الرافضة، سماه، فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب[٩٤٨]، صدَّره بثلاث مقدمات يتبعها بابان:

الأول: في الأدلة على تحريف القرآن بزعمه.

الثاني: في الرد على القائلين بصحة القرآن في الأمة. وقد أودع الطبرسي في كتابه هذا آلاف الروايات الدالة على تحريف القرآن بزعمهم، حيث أورد في الفصلين الآخيرين فقط من الباب الأول المكون من اثني عشر فصلاً (١٦٠٢) رواية هذا غير ما أورده في الفصول الأخرى من هذا الباب و المقدمات الثلاث والباب الثاني وقال معتذرًا عن قلة ما جمعه: ونحن نذكر منها ما يصدق دعواهم مع قلة البضاعة[٩٤٩]،وقال موثقًا هذه الروايات: واعلم أن تلك الأخبار منقولة من الكتب المعتبرة التي عليها معول أصحابنا في إثبات الأحكام الشرعية والآثار النبوية[٩٥٠]، وقال بعد أن سرد حشدًا هائلاً من أسماء علمائهم القائلين بالتحريف استغرقت خمس صفحات من كتابه: ومن جميع ما ذكرنا ونقلنا، بتتبعي القاصر، يمكن دعوى الشهرة العظيمة بين المتقدمين وانحصار المخالفين فيهم بأشخاص معينين يأتي ذكرهم[٩٥١]، ثم ذكر أن هؤلاء المخالفين هم الصدوق، والمرتضى، وشيخ الطائفة الطوسي، قال: ولم يعرف من القدماء موافق لهم[٩٥٢].

وذكر أنه تبعهم الطبرسي صاحب كتاب مجمع البيان، وقال: وإلى طبقته لم يعرف الخلاف صريحًا إلا من هؤلاء المشايخ الأربعة[٩٥٣] ثم اعتذر بعد ذلك عن بعض هؤلاء العلماء في عدم قولهم بتحريف القرآن بأن الذي حملهم على ذلك التقية والمداراة للمخالفين، قال معتذرًا عن الطوسي عما أورده في كتابه (التبيان) من القول بعدم التحريف: ثم لا يخفي على المتأمل في كتاب التبيان أن طريقته فيه على نهاية المداراة والمماشاة مع

(٩٤٧) أوائل المقالات ص (٤٩).
(٩٤٨) الانتصار للصحب والآل ص (٦١).
(٩٤٩) فصل الخطاب ص (٢٤٩)، الانتصار للصحب والآل ص (٦٢).
(٩٥٠) المصدر نفسه ص (٢٤٩).
(٩٥١) فصل الخطاب ص (٣٠).
(٩٥٢) المصدر نفسه ص(٣٢).
(٩٥٣) المصدر نفسه ص(٣٤).

المخالفين... وهو بمكان من الغرابة لو لم يكن على وجه المماشاة[٩٥٤].

وقد سبق النوري الطبرسي في الاعتذار لهؤلاء العلماء: نعمة الله الجزائري حيث قال بعد أن نقل إجماع علماء الإمامية على عقيدة التحريف: نعم قد خالف فيها المرتضى والصدوق والشيخ الطبرسي، وحكوا أن ما بين دفتي هذا المصحف هو القرآن لا غير، ولم يقع فيه تحريف ولا تبديل، والظاهر أن هذا القول صدر منهم لأجل مصالح كثيرة: منها سد باب الطعن فيها، بأنه إذا جاز هذا في القرآن، فكيف جاز العمل بقواعده وأحكامه، مع جواز لحوق التحريف لها، كيف هؤلاء الأعلام رووا في مؤلفاتهم أخبارًا كثيرة تشتمل على وقوع تلك الأمور في القرآن وأن الآية هكذا أنزلت ثم غيرت إلى هذا[٩٥٥]، وبهذا يظهر أن القول بتحريف القرآن واعتقاد تغييره وتبديله هو محل إجماع علماء الشيعة الرافضة قاطبة، كما حقق ذلك الطبرسي في فصل الخطاب، ودلت عليه النقول السابقة عن كبار علمائهم، وأنه لم يخالف في هذه العقيدة أحد من علمائهم، حتى وقت تأليف فصل الخطاب إلا أربعة منهم حملهم على ذلك التقية والمدارارة للمخالفين، على ما نص على ذلك الطبرسي ومن قبله نعمة الله الجزائري. وكما أثبتت ذلك البحوث المعاصرة التي بحثت هذه المسألة وأيدت ذلك بذكر شواهد كثيرة من الروايات الدالة على التحريف الواردة في كتب هؤلاء المشايخ الأربعة[٩٥٦] مما يدل على اعتقادهم مضمونها وموافقتهم لسائر علماء الشيعة الرافضة فيما ذهبوا إليه، من اعتقاد تحريف القرآن وتبديله وإن أظهروا تقية ونفاقًا وخداعًا لأهل السنة[٩٥٧]، ومما يدل على ما ذهبت إليه أنه لم يتعرض واحد من هؤلاء الذين زعموا التحريف في القرآن إلى نقد من قبل الشيعة، إذ ظل الكليني موضع الثقة والتبجيل والإكرام والمرجع الأول عند جميع الشيعة اليوم ورغم أن الشيعة المعاصرين أكدوا نفي التحريف عن القرآن زيادة ونقصًا، فإننا لا نجد أحدًا منهم يرد على الكليني ردًا صريحًا أو يظهر عدم الثقة به أو يرفض ما ذهب إليه، بل إن البعض حاول بطريقة ملتوية أن يدافع عنه ويجد له المعاذير[٩٥٨] وإن كان هؤلاء القوم صادقين، فعليهم أن يتبرؤوا ممن قال بتحريف القرآن الكريم، ولا يترددون في تكفير من أنكر كلمة واحدة من القرآن، وأن يبينوا أن جحود البعض كجحود الكل، لأن ذلك طعن صريح فيما ثبت عن النبي (ﷺ) بضرورة الدين واتفاق المسلمين أن القرآن الكريم هو الكتاب الإلهي الذي لم يتطرق عليه التحريف والتبديل وذلك لأن الله (تبارك وتعالى) تعهد وتكفل بحفظه، بخلاف التوراة والإنجيل فإن الله لم يتكفل بحفظهما، بل استحفظ عليهما أهلهما فضيعوهما، حكى الشاطبي عن أبي عمر الداني عن أبي الحسن المنتاب قال: كنت يومًا عند القاضي أبي إسحاق إسماعيل بن إسحاق،

(٩٥٤) المصدر نفسه ص(٣٤).

(٩٥٥) الأنوار النعمانية (٢/٣٢٨-٣٥٩).

(٩٥٦) الشيعة والقرآن لإحسان إلهي ظهير ص (٦٨-٧١).

(٩٥٧) الانتصار للصحب والآل ص (٦٥).

(٩٥٨) أضواء على خطوط، محب الدين ص (٤٢) وما بعدها.

فقيل له: لم جاز التبديل على أهل التوراة، ولم يجز على أهل القرآن؟ فقال القاضي: قال الله (عز وجل) في أهل التوراة: ﴿بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ﴾ [المائدة: ٤٤] فوكل الحفظ إليهم، فجاز التبديل عليهم، وقال في القرآن: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩] فلم يجز التبديل عليهم، قال علي: فمضيت إلى أبي عبد الله المحاملي فذكرت له الحكاية، فقال: ما سمعت كلامًا أحسن من هذا[٩٥٩]، وقد أجمعت الأمة على مر العصور والدهور على أن القرآن الكريم الذي أنزله الله (تعالى) على نبيه محمد (ﷺ) هو القرآن الموجود الآن بأيدي المسلمين ليس فيه زيادة أو نقصان ولا تغيير فيه أو تبديل ولا يمكن أن يتطرق إليه شيء من ذلك لوعد الله بحفظه وصيانته، ولم يخالف في هذا إلا الشيعة الرافضة حيث زعموا أن القرآن الكريم قد حدث فيه تحريف وتغيير وتبديل، وزعموا أن الصحابة هم الذين حرفوا القرآن من أجل مصالحهم الدنيوية، وعقيدتهم هذه باطلة ودل على بطلانها الأدلة من القرآن الكريم، وأقوال الأئمة من أهل البيت، والعقل وإليك بيان ذلك:

أ- الأدلة من القرآن الكريم:

- الآيات الصريحة الدالة على تكفل الله (تعالى) بحفظ القرآن وأنه لا يمكن أن يتطرق إليه التحريف أو التبديل والآيات في هذا الشأن كثيرة منها:

* قوله (تعالى): ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

* قوله (تعالى): ﴿وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ [الكهف: ٢٧].

* قوله (تعالى): ﴿لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢].

* قوله (تعالى): ﴿الم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١، ٢].

* قوله (تعالى): ﴿الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: ١].

* قوله (تعالى): ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلا نَبِيٍّ إِلاَّ إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الحج: ٥٢].

* قوله (تعالى): ﴿لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ [القيامة: ١٦، ١٧].

فقد دلت هذه الآيات الكريمة على حفظ الله لكتابه الكريم وإحكامه لآياته، وأنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ﴿وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلاً﴾ [النساء: ١٢٢] وهذه الآيات في صراحتها على حفظ الله لكتابه وصيانته من التحريف، والتبديل حيث لا يحتاج إلى شرح أو توضيح، كما أن ثناء الله (تعالى) في القرآن الكريم على الصحابة

(٩٥٩) الموافقات (٢/ ٥٩).

رضوان الله عليهم مما يؤكد كذب ما نسبته إليهم الشيعة الرافضة من دعوى تحريف القرآن[٩٦٠] قال (تعالى): ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

وقوله (تعالى): ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ١٨] وغير ذلك من الآيات في مدح الصحابة التي سيأتي شرحها وبيانها في موضعه- بإذن الله (تعالى).

وبعد إيراد هذه الآيات بقسميها المتقدمين نقول للشيعة الرافضة إن قولكم بتحريف القرآن تعارضه هذه الآيات الكريمات، التي أكد الله (تعالى) فيها أن هذا القرآن لم يحرف ولن يحرف لأنه هو الذي تكفل بحفظه وصيانته عن التحريف والتبديل، كما أثنى على صحابة نبيه(ﷺ) الذين اتهمتموهم بالتحريف، ووصفهم بالصدق، والإيمان بالله ورسوله، وزكاهم أعظم تزكية فليلزمكم تجاه هذه الآيات، إما أن تعترفوا وتقروا أن هذه الآيات جاءت من الله (تعالى)، فعند ذلك لا يسعكم إلا قبول واعتقاد ما دلت عليه، من سلامة القرآن الكريم من التحريف والتبديل وإما أن تنكروا أنها من الله فهذا كفر بالله بإجماع المسلمين إذ من أنكر آية واحدة في القرآن واعتقد عدم صحة نسبتها إلى الله، فهو كافر بإجماع المسلمين[٩٦١].

ب-الأدلة من أقوال أئمتهم:

فقد جاءت روايات كثيرة عن أئمتهم الذي يعتقدون عصمتهم يحثون فيها الشيعة على التمسك بكتاب الله ورد كل شيء إلى الكتاب والسنة ومن هذه الروايات: ما جاء عن موسى ابن جعفر أنه سئل: أكل شيء في كتاب الله وسنة نبيه أم تقولون فيه؟ فقال: بل كل شيء في كتاب الله وسنة نبيه[٩٦٢]، وجاء عن أبي عبد الله أنه قال: من خالف كتاب الله وسنة نبيه محمد (ﷺ) فقد كفر[٩٦٣]، وعن أبي جعفر أنه قال: إن الله (تبارك وتعالى) لم يدع شيئًا تحتاج إليه الأمة إلا أنزله في كتابه وبينه لرسوله(ﷺ)، وجعل لكل شيء حدًا وجعل عليه دليلاً يدل عليه[٩٦٤]، وعن أبي عبد الله قال: ما من شيء إلا وفيه كتاب أو سنة[٩٦٥].

والمتأمل لهذه الروايات يخرج بفائدتين مهمتين:

- أن الأئمة من آل البيت كانوا يعتقدون كغيرهم من سلف الأمة صحة القرآن الكريم وإلا لم يطلبوا من تلاميذهم التمسك بكتاب الله وسنة نبيه (ﷺ) ونبذ ما سواهما، ثم إخبارهم إياهم أنه ما من شيء إلا وهو في كتاب الله والسنة وأنه ليس عندهم إلا ما فيهما.

---

(٩٦٠) بذل المجهود (١/ ٤٣٤) عبد الله الجميلي.

(٩٦١) بذل المجهود (١/ ٢٣٥).

(٩٦٢) الأصول للكافي (١/ ٦٢).

(٩٦٣) أصول الكافي (١/ ٧٠). (٩٦٤) المصدر نفسه ص(١/ ٥٩).

(٩٦٥) المصدر نفسه.

– أن الروايات المنسوبة إليهم من القول لتحريف القرآن لم يقولوا بها بل هم برءاء منها وممن افتراها[٩٦٦].

جـ- الأدلة العقلية:

وكما دل النقل على البطلان دعوى الرافضة في تحريف القرآن الكريم، فإن العقل يدل على بطلان دعواهم تلك، وذلك لما يترتب على القول بتحريف القرآن من المفاسد العظيمة التي يستلزم منها الطعن في الله (تبارك وتعالى)، وفي النبي (ﷺ)، وصحابته رضوان الله عليهم، والأئمة من آل البيت الأطهار، فالقول بتحريف القرآن يستلزم الطعن في الله (تعالى) واتهامه بعدم الوفاء بوعده بحفظ القرآن من التحريف (تعالى) الله عن ذلك علوا كبيرا، ويستلزم الطعن في النبي (ﷺ) حيث أنه لم يبلغ القرآن الكريم البلاغ الكامل بل خص عليًا رضي الله عنه بكثير من الآيات التي لم يطلع عليه غيره ويستلزم الطعن في الصحابة الذين حرفوا القرآن من أجل مصالحهم الخاصة على حسب ما يدعيه الشيعة الرافضة، ويستلزم الطعن في علي والأئمة من بعده وذلك لأنهم لم يسلموا القرآن الذي معهم -على حد زعم الشيعة الرافضة- إلى الناس ويدعوهم إليه، وهذا كتم لكتاب الله وقد توعد ذلك بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦] ولو كان للشيعة الرافضة اعتراف بالأدلة العقلية، لكانت هذه اللوازم الفاسدة المترتبة على تلك العقيدة الخبيثة أكبر رادع لهم للإقلاع على هذه العقيدة والتوبة إلى الله من كل ما افتروه عليه وعلى نبيه (ﷺ) وصحابة نبيه الكرام، وأهل البيت الأطهار[٩٦٧].

٢- اعتقادهم أن القرآن ليس حجة إلا بقيم:

قال الكليني صاحب أصول الكافي والذي هو عندهم كصحيح البخاري عند أهل السنة[٩٦٨]، ويروي ما نصه: .. أن القرآن لا يكون حجة إلا بقيم: وأن عليًا كان قيم القرآن وكانت طاعته مفترضة، وكان الحجة على الناس بعد رسول الله[٩٦٩]، كما توجد هذه المقالة في طائفة من كتبهم المعتمدة كرجال الكشي[٩٧٠]، وعلل الشرائع[٩٧١]، والمحاسن[٩٧٢]، ووسائل الشيعة[٩٧٣]، وغيرها، وكيف يقال مثل هذا في كتاب أنزله الله (سبحانه) ليكون هداية للناس ﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩].

---

(٩٦٦) بذل المجهود (١/ ٤٣٧).
(٩٦٧) بذل المجهود (١/ ٤٣٧).
(٩٦٨) أصول الشيعة الإمامية (١/ ١٥٥).
(٩٦٩) أصول الكافي (١/ ١٨٨).
(٩٧٠) رجال الكشي ص (٤٢٠).
(٩٧١) الصدوق علل الشرائع ص (١٩٢).
(٩٧٢) المحاسن للبرقي ص(٢٦٨).
(٩٧٣) وسائل الشيعة للحر العاملي (١٨/ ١٤١).

قال الخليفة الراشد علي- رضي الله عنه-: كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو الحبل المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسن، ولا تنقضي عجائبه، ولا يشبع منه العلماء، من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم(٩٧٤)، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: تضمن الله لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه ألا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة، ثم قرأ هذه الآية: ﴿ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ [طه: ١٢٣](٩٧٥).

وقد جاء في كتب الشيعة نفسها عن أهل البيت ما ينقض هذه المقولة في بعض مصادرهم المعتمدة، فقد جاء فيها: . . . فإذا التبست عليكم الفتن كقطع الليل المظلم، فعليكم بالقرآن، فإنه شافع مشفع، من جعله أمامه قاده إلى الجنة، ومن جعله خلفه ساقه إلى النار، وهو الدليل يدل على خير سبيل(٩٧٦) وفي نهج البلاغة المنسوب لعلي - رضي الله عنه- وهو الذي عند الشيعة من أوثق المراجع جاء النص التالي: فالقرآن آمر زاجر، وصامت ناطق، حجة الله على خلقه(٩٧٧)، ولهذه النصوص شواهد أخرى وهي تكشف لنا مدى التناقض والاضطراب الواقع في مصادر هؤلاء القوم، فرواياتهم- كما ترى- يعارض بعضها بعضًا، لكنهم في حالة التناقض تلك قد وضعوا لهم منهجًا خطيرًا وهو الأخذ بما خالف العامة- وهم أهل السنة عندهم - والمتأمل لتلك المقالة التي تواترت في كتب الشيعة يلاحظ أنها من وضع عدو حاقد أراد أن يصد الشيعة عن كتاب الله (سبحانه)، ويضلهم عن هدي الله، فما دامت تلك المقالة ربطت حجية القرآن بوجود القيم، والقيم هو أحد الأئمة الاثنى عشر، لأن القرآن فسر لرجل واحد وهو علي وقد انتقل علم القرآن من علي إلى سائر الأئمة الاثنى عشر، كل إمام يعهد بهذا العلم إلى من بعده، حتى انتهى إلى الإمام الثاني عشر، وهو غائب مفقود عند الاثنى عشرية منذ ما يزيد على أحد عشر قرنًا، ومعدوم عند طوائف من الشيعة وغيرهم، فما دامت هذه المقالة ربطت حجية القرآن بهذا الغائب أو المعدوم فكأن نهايتها أن الاحتجاج بالقرآن متوقف لغياب قيمه أو عدمه، وأنه لا يرجع إلى كتاب الله ، ولا يعرج عليه في مقام الاستدلال، لأن الحجة في قول الإمامة فقط، وهو غائب فلا حجة فيه حينئذ، وحسبك بهذا الضلال، والإضلال عن صراط الله، وتلك ليست نهاية التآمر على كتاب الله، وعلى الشيعة، ولكنها حلقة من حلقات ومؤامرة ضمن سلسلة مؤامرات، تريد أن

(٩٧٤) فضائل القرآن لابن كثير ص (١٥) موقوف أمير المؤمنين علي.

(٩٧٥) تفسير الطبري (١٦/ ٢٢٥).

(٩٧٦) تفسير العياشي (١/ ٢)، البحار (٩٢/ ١٧).

(٩٧٧) نهج البلاغة ص (٢٦٥)، أصول الشيعة الإمامية (١/ ١٦٠).

تبعد الشيعة عن كتاب الله (عز وجل)[٩٧٨].

إن مما علم من الإسلام بالضرورة أن علم القرآن الكريم لم يكن سرًا تتوارثه سلالة معينة، ولم يكن لعلي اختصاص بهذا دون سائر صحابة رسول الله (ﷺ) وأن الصحابة رضوان الله عليهم هم الطليعة الأولى الذين حازوا شرف تلقي هذا القرآن عن رسول البشرية محمد (ﷺ) ونقله إلى الأجيال كافة، ولكن الشيعة تخالف هذا الأصل، وتعتقد أن الله (سبحانه) قد اختص أئمتهم الاثني عشر بعلم القرآن كله، وأنهم اختصوا بتأويله وأن من طلب علم القرآن من غيرهم فقد ضل[٩٧٩]، وتذكر بعض مصادر أهل السنة بأن بداية هذه المقالة، وجذورها الأولى ترجع لابن سبأ فهو القائل بأن القرآن جزء من تسعة أجزاء وعلمه عند علي[٩٨٠]، وقد استفاض ذكر هذه المقالة في كتب الشيعة الإمامية الاثني عشرية بألوان الأخبار وصنوف الروايات.

أ- جاء في أصول الكافي في خبر طويل عن أبي عبد الله قال: إن الناس يكفيهم القرآن لو وجدوا له مفسرًا، وإن رسول الله (ﷺ) فسره لرجل واحد، فسر للأمة شأن ذلك الرجل وهو علي بن أبي طالب[٩٨١]، وجاء في طائفة من مصادر الشيعة المعتمدة لديهم أن رسول الله (ﷺ) قال: «**إن الله أنزل علي القرآن وهو الذي من خالفه ضل، ومن يبتغ علمه عند غير علي هلك**»[٩٨٢]، وزعمت أيضًا كتب الشيعة أن أبا حعفر قال: يا قتادة أنت فقيه أهل البصرة؟ فقال: هكذا يزعمون، قال أبو جعفر -رضي الله عنه-: بلغني أنك تفسر القرآن؟ فقال له قتادة: نعم إلى أن قال: ويحك يا قتادة إنما يعرف القرآن من خوطب به[٩٨٣]، ورواياتهم في هذا الباب كثيرة جدًا، وربما تستغرق مجلدًا وكلها تحوم حول معنى واحد وهو اختصاص الأئمة الاثني عشر بعلم القرآن وأنه مخزون عندهم وبه يعلمون كل شيء[٩٨٤]، والرد على ذلك كما قال الله (تعالى) لمن طلب آية تدل على صدق الرسول: ﴿**أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ**﴾ [العنكبوت: ٥١] فالقرآن الكريم العظيم هو الشاهد والدليل والحجة ومن ابتغى علم القرآن من القرآن، أو من سنة المصطفى (ﷺ)، أو من صحابة رسول الله (ﷺ) بما فيهم علي فقد اهتدى، والقول بأن من طلب علم القرآن عند غير علي هلك ليس من دين الإسلام، وهو مما علم بطلانه من الإسلام بالضرورة، فلم يخص النبي (ﷺ) أحدًا من الصحابة بعلم الشريعة دون الآخرين، قال (تعالى): ﴿**وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ**﴾ [النحل: ٤٤]، فالآية تدل على أن البيان للناس

(٩٧٨) أصول الشيعة الإمامية (١/ ١٦١).
(٩٧٩) المصدر نفسه (١/ ١٦٢).
(٩٨٠) أحوال الرجال ص (٣٨) للجوزجاني، أصول الشيعة الإمامية (١/ ١٦٢).
(٩٨١) أصول الكافي (١/ ٢٥)، وسائل الشيعة (١٨/ ١٣١).
(٩٨٢) أمالي الصدوق ص (٤٠)، وسائل الشيعة (١٨/ ١٣٨).
(٩٨٣) بحار الأنوار (٢٤/ ٢٣٧-٢٣٨) أصول الشيعة(١/ ١٦٣).
(٩٨٤) أصول الشيعة الإمامية (١/ ١٦٦).

وليس لفرد أو طائفة منهم ولو كانوا أهل بيته، وقد نفى أمير المؤمنين علي أن يكون خصه رسول الله (ﷺ) بعلم دون الناس[٩٨٥]. وقد خاطب النبي (ﷺ) الصحابة ومن بعدهم، ورغبهم في تبليغ سنته ولم يخص أحدًا منهم، فقال (ﷺ) :**«نضر الله امرءا سمع منا حديثًا فحفظه حتى يبلغه غيره، فإنه رب حامل فقه ليس بفقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه»**[٩٨٦]. وقد روت هذا الحديث كتب الشيعة الاثنى عشرية المعتمدة[٩٨٧]، فيكون حجة عليهم. وأما الدعوة بأن القرآن الكريم لم يخاطب به سوى الأئمة الاثنى عشر، ومن هنا فلا يعرف القرآن سواهم، إنما يعرف القرآن من خوطب به[٩٨٨] وبهذا الفهم السقيم يعتبر صحابة رسول الله، والتابعون وأئمة الإسلام على امتداد العصور قد هلكوا وأهلكوا -على حد زعمهم- بقيامهم بتفسير القرآن وفق أصوله، أو اعتقادهم أن في كتاب الله ما لا يعذر أحد بجهالته، ومنه ما تعرفه العرب من كلامها، ومنه ما لا يعرفه إلا العلماء ومنه ما لا يعلمه إلا الله[٩٨٩]،فالشيعة تزعم أنه لا يعرف القرآن سوى الأئمة، وأنهم يعرفون القرآن كله وهذه دعوة تفتقر إلى الدليل، وزعم يكذبه العقل والنقل فمما يجب أن يعلم أن النبي (ﷺ) بين لأصحابه معاني القرآن، كما بين لهم ألفاظه، فقوله (تعالى): ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤] . يتناول هذا وهذا. وقد قال أبو عبد الرحمن السلمي: حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن - كعثمان بن عفان، وعبد الله بن مسعود وغيرهما - إنهم كانوا إذا تعلموا من النبي (ﷺ) عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل، قالوا: فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعًا[٩٩٠].ولهذا كانوا يبقون مدة في حفظ السورة، وذلك أن الله (تعالى) قال: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ﴾ [ص: ٢٩] وقال: ﴿فَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ [النساء: ٨٢]، وقال: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ﴾ [المؤمنون: ٦٨]. وتدبر القرآن بدون فهم معانيه لا يمكن، وكذلك قال (تعالى) : ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: ٢] . وعقل القرآن متضمن لفهمه، ومن المعلوم أن كل كلام فالمقصود منه فهم معانيه دون مجرد ألفاظه، فالقرآن أولى.

ولهذا لم تعد فئة من الشيعة تهضم هذه المقالة، وخرجت عن القول بكل ما فيها، فقالت بأن ظواهر القرآن لا يختص بعلمها الاثنا عشر بل يشركهم غيرهم فيها، أما بواطن الآيات فمن اختصاص الأئمة. وقام خلاف كبير حول حجية ظواهر القرآن بين الإخباريين الأصوليين، فالفئة الأولى ترى أنه لا يعلم تفسير القرآن كله ظاهره وباطنه إلا الأئمة ،

---

(٩٨٥) مسلم رقم (١٩٧٨).
(٩٨٦) سلسلة الأحاديث الصحيحة (١/ ٦٨٩- ٦٩٠).
(٩٨٧) أصول الكافي (١/ ٤٠٣) وسائل الشيعة للحر العاملي (١٨/ ٦٣).
(٩٨٨) بحار الأنوار (٢٤/ ٢٣٧-٢٣٨) أصول الشيعة(١/ ١٦٣).
(٩٨٩) تفسير الطبري (١/ ٧٦) كلام لابن عباس.
(٩٩٠) مجموع الفتاوي (١٣/ ٣٣١).

والأخرى ترى حجية ظواهر القرآن لعموم الأدلة في الدعوة لتدبر القرآن وفهمه[٩٩١].

إن دعوى القرآن لم يفسر إلا لعلي مخالفة لقول الله (سبحانه وتعالى) ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤]. فالبيان للناس لا لعلي وحده - كما سبق- فليس لمن قال هذه المقالة إلا أحد طريقين: إما القول بأن الرسول لم يبلغ ما أنزل إليه، وإما أن يكذب القرآن، وهي مخالفة للعقل وما علم من الإسلام بالضرورة، ودعوى أن علم القرآن اختص به الأئمة ينافيه اشتهار عدد كبير من صحابة رسول الله (ﷺ) بتفسير القرآن كالخلفاء الأربعة، وابن مسعود، وابن عباس، وزيد بن ثابت وغيرهم. وكان علي رضي الله عنه يثني على تفسير ابن عباس[٩٩٢]. وقال ابن تيمية (رحمه الله): وهذا ابن عباس نقل عنه من التفسير ما شاء الله بالأسانيد الثابتة ليس في شيء منها ذكر علي، وابن عباس يروي عن غير واحد من الصحابة، يروي عن عمر، وأبي هريرة، وعبد الرحمن بن عوف، وعن زيد بن ثابت، وأبي بن كعب، وأسامة بن زيد وغير واحد من المهاجرين والأنصار وروايته عن علي قليلة جدًا، ولم يخرج أصحاب الصحيح شيئًا من حديثه عن علي، وخرجوا حديثه عن عمر وعبد الرحمن بن عوف وأبي هريرة وغيرهم . . . وما يعرف بأيدي المسلمين تفسير ثابت عن علي، وهذه كتب الحديث والتفسير مملوءة بالآثار عن الصحابة والتابعين، والذي منها عن علي قليل جدًا، وما ينقل من التفسير عن جعفر الصادق عامته كذب على جعفر[٩٩٣]، وقد تحدث جعفر بولع الناس بالكذب عليه إن قولهم بأن علم القرآن انفرد بنقله علي يفضي إلى الطعن في تواتر شريعة القرآن من الصحابة إلى سائر الأجيال، لأنه لم ينقلها- على حد زعمهم- عن رسول الله إلا واحد وهو علي رضي الله عنه فهذه المقالة مؤامرة، الهدف منها الصد عن كتاب الله (سبحانه) والإعراض عن تدبره، واستلهام هديه، والتفكر في عبره، والتأمل في معانيه ومقاصده فالقرآن في دين الشيعة لا وسيلة لفهم معانيه إلا من طريقة الأئمة الاثنى عشر، أما غيرهم فمحروم من الانتفاع به، وهي محاولة أو حيلة مكشوفة الهدف، مفضوحة القصد، لأن كتاب الله نزل بلسان عربي مبين وخوطب به الناس أجمعون ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: ٢]، ﴿هَـٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٨]، وأمر الله عباده بتدبره، والاعتبار بأمثاله، والاتعاظ بمواعظه، ومحال أن يقال لمن لا يفهم ما يقال له ولا يعقل تأويله: اعتبر بما لا فهم لك به ولا معرفة لك به من البيان والكلام[٩٩٤]، وهي محاولة للصد عن ذلك العلم العظيم في تفسير القرآن، والذي نقله إلينا صحابة رسول الله والسلف والأئمة، فهذه الكنوز العظيمة لا عبرة بها ولا قيمة لها في دين الشيعة، لأنها ليست واردة

---

(٩٩١) البيان للخوئي ص (٢٦٣)، أصول الفقه للمظفر (٣/ ١٣٠).

(٩٩٢) تفسير ابن عطية (١/ ١٩)، تفسير ابن جزي (١/ ٩).

(٩٩٣) منهاج السنة (٤/ ١٥٥)

(٩٩٤) تفسير الطبري (١/ ٨٢).

عن الأئمة الاثني عشر، وقد صرح بذلك بعض شيوخهم المعاصرين فقال: إن جميع التفاسير الواردة عن غير أهل البيت لا قيمة لها ولا يعتد بها(٩٩٥)، لقد حاولت كتب التفسير المعتمدة عندهم كتفسير القمي والعياشي والصافي والبرهان وكتب الحديث كالكافي والبحار تأويلات لكتاب الله منسوبة لآل البيت تكشف في الكثير الغالب عن جهل فاضح بكتاب الله، وتأويل منحرف لآياته، وتعسف بالغ في تفسيره، ولا يمكن أن تصح نسبتها لعلماء آل البيت، فهي تأويلات لا تتصل بمدلولات الألفاظ، ولا بمفهومها ولا بالسياق القرآني -كما سيأتي أمثلة على ذلك بإذن الله - وبناء على هذه العقيدة أن هذا هو مبلغ علم علماء آل البيت، وفي ذلك من الزراية عليهم ونسبة الجهل إليهم الشيء الكثير من قوم يزعمون محبتهم والتشيع لهم(٩٩٦).

٣-اعتقادهم بأن للقرآن معاني باطنة تخالف الظاهر:

ذهب الشيعة إلى أن للقرآن ظاهرًا وباطنًا، وأن الناس لا يعلمون إلا الظاهر، وأما الباطن فلا يعلمه إلا الأئمة ومن يستقي منهم وبمثل هذه الأفكار فتح الشيعة الباب للزنادقة والملحدين وأصحاب الأهواء والمذاهب الهدامة لكي يتلاعبوا بالقرآن، وحاولوا جميعًا الكيد له وأرادوا أن يطفئوا نور الإسلام بأفواههم ولكن الله متم نوره ولو كره الكافرون وقد استغل الشيعة فكرة الظاهر والباطن هذه وحاولوا بها تفسير القرآن لكي يوافق معتقداتهم ويخدم مذهبهم في الإمامة، كما اتخذوا القرآن تكأة للهجوم على الصحابة رضي الله عنهم وتجريحهم في الوقت الذي يمجدون فيه أهل البيت وينسبون إليهم أشياء يدفعونها هم عن أنفسهم، وقد أتى الشيعة الرافضة في هذا الباب بآراء تخالف كل ما أثر في تفسير القرآن، ولا يسندها أثر ولا عقل ولا لغة ولا منطق(٩٩٧).

إن جذور التأويل الباطني نبت في أورقة السبئية، لأن ابن سبأ حاول أن يجد لقوله بالرجعة مستندًا من كتاب الله بالتأويل الباطل وذلك حينما قال: العجب ممن يزعم أن عيسى يرجع ويكذب أن محمدًا يرجع. وقد قال الله (عز وجل): ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ﴾ [القصص: ٨٥](٩٩٨). وقد نقلت لنا بعض كتب أهل السنة نماذج من تأويلات الشيعة لكتاب الله، ولكن ما انكشف لنا اليوم أمر خطير على عقائد الناس وفكرهم وثقافتهم، فقد تحدث الإمام الأشعري(٩٩٩)، والبغدادي(١٠٠٠)، والشهرستاني(١٠٠١)، وغيرهم يحكون عن المغيرة بن سعيد أحد الغلاة باتفاق السنة والشيعة والذي تنسب إليه الطائفة

(٩٩٥) الشيعة والرجعة ص (١٩) محمد رضا النجفي.
(٩٩٦) أصول الشيعة الإمامية (١/ ١٧٦).
(٩٩٧) دراسة عن الفرق وتاريخ المسلمين ص (٢٣٣، ٢٣٤).
(٩٩٨) تاريخ الطبري (٥/ ٣٤٧).
(٩٩٩) مقالات الإسلاميين (١/ ٧٣).
(١٠٠٠) الفرق بين الفرق ص (٢٤٠).
(١٠٠١) الملل والنحل (١/ ١٧٧).

المغيرية أنه ذهب في تأويل الشيطان في قول الله (جل شأنه): ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ اكْفُرْ﴾ [الحشر: ١٦]. بعمر بن الخطاب – رضي الله عنه. وهذا التأويل بعينه قد ورثته الاثنا عشرية، ودونته في مصادرها المعتمدة، حيث جاء في تفسير العياشي[١٠٠٢]، والصافي[١٠٠٣]، والقمي[١٠٠٤]، والبرهان[١٠٠٥]، وبحار الأنوار[١٠٠٦]، عن أبي جعفر في قول الله (تعالى): ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ﴾ [إبراهيم: ٢٢] قال: هو الثاني، وليس في القرآن شيء: وقال الشيطان إلا وهو الثاني، فكان كتب الاثنى عشرية تزيد على المغيرية بوضع هذا الانحراف في كتاب الله قاعدة مطردة[١٠٠٧].

فهذه الروايات التي تسندها كتب الشيعة الاثنى عشرية إلى أبي جعفر الباقر هي من أكاذيب المغيرة بن سعيد وأمثاله، فقد ذكر الذهبي عن كثير النواء[١٠٠٨]، أن أبا جعفر قال: برئ الله ورسوله من المغيرة بن سعيد، وبيان بن سمعان فإنهما كذبا علينا أهل البيت[١٠٠٩]، وروى الكشي في رجاله عن أبي عبد الله قال: لعن الله المغيرة بن سعيد كان يكذب علينا[١٠١٠]، وساق الكشي روايات عديدة في هذا الباب[١٠١١]. ويلاحظ أنه اتفق كل من الأشعري، والبغدادي وابن حزم، ونشوان الحميري على أن جابر الجعفي الذي وضع أول تفسير للشيعة على ذلك النهج الباطني كان خليفة المغيرة بن سعيد[١٠١٢] الذي قال: بأن المراد بالشيطان في القرآن هو أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه فهي عناصر خطرة يستقي بعضها من بعض عملت على فساد التشيع[١٠١٣].

وحين احتج شيخ الشيعة في زمنه – والذي إذا أطلق لقب العلامة عندهم انصرف إليه (ابن المطهر الحلي) على استحقاق علي للإمامة بقوله: (البرهان الثلاثون قوله (تعالى): ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ * بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ﴾ [الرحمن: ١٩، ٢٠] قال: علي وفاطمة ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ﴾ النبي (ﷺ) ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾ الحسن والحسين، فحينما احتج ابن المطهر بذلك قال ابن تيمية (رحمه الله): إن هذا وأمثاله إنما يقوله من لا يعقل ما يقول، وهذا بالهذيان أشبه منه بتفسير القرآن وهو من جنس تفسير الملاحدة

(١٠٠٢) تفسير العياشي (٢/ ٢٢٣). (١٠٠٣) تفسير الصافي (٣/ ٢٢٣).
(١٠٠٤) تفسير القمي (٣/ ٨٤).
(١٠٠٥) البرهان (٢/ ٣٠٩). (١٠٠٦) بحار الأنوار (٣/ ٣٧٨).
(١٠٠٧) أصول الشيعة الإمامية (١/ ٢٠٦).
(١٠٠٨) كثير النواء: شيعي وروي أنه رجع عن تشيعه.
(١٠٠٩) ميزان الاعتدال (٤/ ١٦١).
(١٠١٠) رجال الكشي ص (١٩٥).
(١٠١١) المصدر نفسه ص (١٩٥).
(١٠١٢) مقالات الإسلاميين (١/ ٧٣)، الفرق بين الفرق ص (٢٤٢)، المحلي (٥/ ٤٤) أصول الشيعة (١/ ٢٠٧).
(١٠١٣) أصول الشيعة (١/ ٢٠٨).

والقرامطة الباطنية للقرآن، بل هو شر من كثير منه، والتفسير بمثل هذا طريق للملاحدة على القرآن والطعن فيه، بل تفسير القرآن بمثل هذا من أعظم القدح فيه والطعن فيه(١٠١٤)، وهذه أمثلة من تحريف الشيعة الرافضة لآيات القرآن الكريم، وذلك بفتحهم التفسير الباطني للقرآن الكريم على مصراعيه:

أ- تحريفهم معنى التوحيد الذي هو أصل الدين إلى معنى آخر هو ولاية الإمامة: فعن أبي جعفر أنه قال: ما بعث الله نبيًا قط إلا بولايتنا والبراءة من عدونا(١٠١٥)، وذلك قول الله في كتابه: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

ب- تحريفهم معنى الإله إلى معنى الإمام: ففي قوله (تعالى): ﴿وَقَالَ اللّهُ لاَ تَتَّخِذُواْ إِلـهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلهٌ وَاحِدٌ﴾ [النحل: ٥١] قال أبو عبد الله: يعني بذلك: ولا تتخذوا إمامين إنما هو إمام واحد(١٠١٦).

جـ- تحريفهم معنى الرب في القرآن الكريم إلى معنى الإمام: ففي تفسير قول الله (تعالى): ﴿وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيراً﴾ [الفرقان: ٥٥] قال القمي في تفسيره: الكافر: الثاني (يعني عمر بن الخطاب رضي الله عنه)، كان على أمير المؤمنين عليه السلام ظهيرًا(١٠١٧). وقال الكاشاني في البصائر الباقر عليه السلام أنه سئل عن تفسير هذه الآية فقال: إن تفسيرها في بطن القرآن: علي هو ربه في الولاية(١٠١٨).

د- تحريفهم معاني الكلمة إلى معاني الأئمة: فقالوا في تفسير قول الله: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ٢١]. الكلمة: الإمام(١٠١٩)، وقوله (سبحانه): ﴿لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللّهِ﴾ [يونس: ٦٤] قالوا: لا تفسير للإمامة(١٠٢٠).

هـ- تحريفهم معاني المسجد والكعبة والقبلة إلى معاني الأئمة: فقالوا في تفسير قول الله (تعالى): ﴿وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: ٢٩] قال: يعني الأئمة(١٠٢١)، وفي رواية: ﴿خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: ٣١] قال يعني الأئمة. وفي قوله (تعالى): ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً﴾ [الجن: ١٨]. قال: إن الإمام من آل محمد فلا تتخذوا من غيرهم إمامًا(١٠٢٢)، ويقول الصادق عنهم: .. نحن البلد الحرام

(١٠١٤) منهاج السنة (٤/ ٦٦).
(١٠١٥) تفسير العياشي (٢/ ٢٦١)، البرهان (٢/ ٣٧٣).
(١٠١٦) البرهان (٢/ ٣٧٣) أصول الشيعة (١/ ٢٠٩).
(١٠١٧) تفسير القمي (٢/ ١١٥).
(١٠١٨) تفسير نور الثقلين (٤/ ٢٥).
(١٠١٩) تفسير القمي (٢/ ٢٧٤)، بحار الأنوار(٢٤/ ١٧٤).
(١٠٢٠) تفسير القمي (١/ ٣١٤)، بحار الأنوار(٢٤/ ١٧٥).
(١٠٢١) تفسير العياشي (٢/ ١٢)، أصول الشيعة (١/ ٢١٦).
(١٠٢٢) تفسير العياشي (٢/ ١٣)، أصول الشيعة (١/ ٢١٦).

ونحن كعبة الله ونحن قبلة الله(١٠٢٣)، والسجود: هو ولاية الأئمة وبهذا يفسرون قول الله (تعالى): ﴿وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ﴾ [القلم: ٤٣] حيث قالوا: يدعون إلى ولاية علي في الدنيا(١٠٢٤).

و- تحريفهم معاني التوبة في القرآن الكريم إلى الرجوع عن ولاية أبي بكر وعمر وعثمان إلى ولاية علي وحده:

ففي قوله (سبحانه): ﴿فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ﴾ [غافر: ٧] جاء تأويلها عندهم في ثلاث روايات، تقول الأولى: ﴿فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا﴾ من ولاية فلان وفلان (يعنون أبا بكر وعمر وبني أمية)، وتقول الرواية الثانية: ﴿فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا﴾ من ولاية الطواغيت الثلاثة (يعنون أبا بكر وعمر وعثمان) من بني أمية، ﴿وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ﴾ يعني: ولاية علي، وتقول الثالثة: ﴿فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا﴾ من ولاية هؤلاء وبني أمية ﴿وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ﴾ هو أمير المؤمنين(١٠٢٥)، وكل الروايات الثلاثة المذكورة منسوبة لأبي جعفر محمد الباقر، وعلمه ودينه ينفيان صحة ذلك(١٠٢٦) وهذا قليل من كثير من تأويلاتهم الباطلة، فقد قامت مصادرهم في التفسير غالبا على هذا المنهج الباطني في التأويل الذي استقته من أبي الخطاب وجابر الجعفي والمغيرة بن سعيد وغيرهم من الغلاة، ويلاحظ أنه في القرن الخامس بدأ اتجاه التفسير عندهم يحاول التخلص من تلك النزعة المغرقة في التأويل الباطني، حيث بدأ شيخ الطائفة عندهم أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي يؤلف لهم كتابًا في التفسير، ويحاول فيه أن يتخلص أو يخفف من ذلك الغلو الظاهر في تفسير القمي والعياشي وفي أصول الكافي وغيرها، وهو وإن كان يدافع عن أصول طائفته ويقرر مبادئهم المبتدعة، إلا أنه لا يهبط ذلك الهبوط الذي نزل إليه القمي ومن تأثر به ومثل الطوسي في هذا النهج الفضل بن الحسن الطبرسي في مجمع البيان، وقد أشار ابن تيمية إلى ذلك حيث يقول: الطوسي ومن معه في تفسيرهم يأخذون من تفسير أهل السنة وما في تفاسيرهم من علم يستفاد إنما هو مأخوذ من تفاسير أهل السنة(١٠٢٧).

سادسًا: موقف الشيعة الإمامية من الصحابة الكرام:

يقف الشيعة الرافضة من أصحاب النبي (ﷺ) موقف العداوة والبغضاء والحقد والضغينة، يبرز ذلك من خلال مطاعنهم الكبيرة على الصحابة التي تزخر بها كتبهم القديمة والحديثة، فمن ذلك اعتقادهم كفرهم وردتهم إلا نفرًا يسيرًا منهم. على ما جاء مصرحًا بذلك في بعض الروايات في أصح كتبهم وأوثقها عندهم، فقد روى الكليني عن أبي جعفر

(١٠٢٣) البرهان (٤/ ٣٩٣) أصول الشيعة (١/ ٢١٦).
(١٠٢٤) بحار الأنوار (٢٤/ ٣٠٣).
(١٠٢٥) تفسير القمي (٢/ ٣٨٣)، مرآة الأنوار ص (١٧٦).
(١٠٢٦) تفسير الصافي (٤/ ٣٣٥)، تفسير القمي (٢/ ٢٥٥).
(١٠٢٧) أصول الشيعة (١/ ٢١٨).

أنه قال: كان الناس أهل ردة بعد النبي (ﷺ) إلا ثلاثة: فقلت: ومن الثلاث؟ فقال: المقداد بن الأسود، وأبو ذر الغفاري، وسلمان الفارسي، رحمة الله وبركاته عليهم ثم عرف أناس بعد يسير وقال: هؤلاء الذين دارت عليهم الرحا وأبوا أن يبايعوا حتى جاؤوا بأمير المؤمنين مكرهًا فبايع(١٠٢٨).

- وقال نعمة الله الجزائري: الإمامية قالوا بالنص الجلي على إمامة علي، وكفروا الصحابة، ووقعوا فيهم، وساقوا الإمامة إلى جعفر الصادق وبعده إلى أولاده المعصومين عليهم السلام، ومؤلف هذا الكتاب من هذه الفرقة وهي الناجية إن شاء الله(١٠٢٩) وقدح الشيعة الرافضة في الصحابة لا يقف عند هذا الحد من اعتقاد تكفيرهم وردتهم ، بل يعتقدون أنهم شر خلق الله، وأن الإيمان بالله ورسوله لا يكون إلا بالتبرؤ منهم، وخاصة الخلفاء الثلاثة أبا بكر وعمر وعثمان، وأمهات المؤمنين(١٠٣٠).

- يقول محمد باقر المجلسي: وعقيدتنا في التبرؤ: أننا نتبرأ من الأصنام الأربعة: أبي بكر، وعمر ، وعثمان، ومعاوية، والنساء الأربع: عائشة، وحفصة، وهند، وأم الحكم، ومن جميع أشياعهم وأتباعهم، وأنهم شر خلق الله على وجه الأرض، وأنه لا يتم الإيمان بالله ورسوله والأئمة إلا بعد التبرؤ من أعدائهم(١٠٣١). وقد بلغ من حقد هؤلاء على أصحاب النبي (ﷺ): استباحة لعنهم بل تقربهم إلى الله بذلك أمرًا يفوق الوصف، فقد روى الملا كاظم عن أبي حمزة الثمالي- افتراء على زين العابدين رحمه الله - أنه قال: من لعن الجبت والطاغوت لعنة واحدة كتب الله له سبعين ألف ألف حسنة ومحا عنه ألف ألف سيئة، ورفع له سبعون ألف ألف درجة ومن أمسى يلعنهما لعنة واحدة كتب له مثل ذلك، قال: فمضى مولانا علي بن الحسين، فدخلت على مولانا أبي جعفر محمد الباقر، فقلت: يا مولاي حديث سمعته من أبيك قال: هات يا ثمالي،فأعدت عليه الحديث، فقال: نعم يا ثمالي، أتحب أن أزيدك؟ فقلت: بلى يا مولاي. فقال: من لعنهما لعنة واحدة في كل غداة لم يكتب عليه ذنب في ذلك اليوم حتى يمسي، ومن أمسى لعنهما لعنة واحدة لم يكتب عليه ذنب في ليلته حتى يصبح(١٠٣٢). ومن الأدعية المشهورة عندهم الواردة في كتب الأذكار: دعاء يسمونه دعاء صنمي قريش (يعنون بهما أبا بكر وعمر) وينسبون هذا الدعاء ظلمًا وزورًا لعلي رضي الله عنه وهو يتجاوز صفحة ونصف وفيه: اللهم صل على محمد وآل محمد والعن صنمي قريش وجبتيهما وطاغوتيهما وإفكيهما، وابنتيهما اللذين خالفا أمرك، وأنكرا وحيك وجحدا إنعامك ، وعصيا رسولك، وقلبا دينك، وحرفا كتابك... إلى أن جاء في

(١٠٢٨) منهاج السنة (٣/ ٢٤٦).

(١٠٢٩) الروضة من الكافي (٨/ ٢٤٥-٢٤٦) الانتصار للصحب والآل ص (٧٦).

(١٠٣٠) الأنوار النعمانية (٢/ ٢٤٤).

(١٠٣١) الانتصار للصحب والآل ص(٧٧) .

(١٠٣٢) حق اليقين ص (٥١٩) (فارسي) وقد قام بترجمة النص ونقله إلى العربية الشيخ محمد عبد الستار التونسوي في كتابه بطلان عقائد الشيعة ص (٥٣).

آخره: اللهم العنهما في مكنون السر، وظاهر العلانية، لعنًا كثيرًا أبدًا، دائمًا سرمدًا، لا انقطاع لأمره ولا نفاذ لعدده، لعنًا يعود أوله ولا يروح آخره، لهم ولأعوانهم، وأنصارهم ومحبيهم ومواليهم، والمسلمين لهم، والمائلين إليهم، والناهضين باحتجاجهم، والمقتدين بكلامهم، والمصدقين بأحكامهم، (قل أربع مرات): اللهم عذبهم عذابًا يستغيث منه أهل النار، آمين رب العالمين(١٠٣٣). هذا الدعاء مرغب فيه عندهم، حتى إنهم رووا في فضله نسبة إلى ابن عباس أنه قال: إن عليًا - عليه السلام - كان يقنت بهذا الدعاء في صلواته، وقال: إن الداعي به كالرامي مع النبي (ﷺ) في بدر، وأحد وحنين، بألف ألف سهم(١٠٣٤). ولهذا كان هذا الدعاء محل عناية علمائهم، حتى إن أغا بزدك الطهراني ذكر أن شروحه بلغت العشرة(١٠٣٥)، فهذا ما جاء في كتبهم القديمة وعلى ألسنة علمائهم المتقدمين أما المعاصرون منهم فهم على عقيدة سلفهم سائرون وبها متمسكون، فهذا إمامهم المقدس وآيتهم العظمى الخميني - يقول في كتابه كشف الأسرار: إننا هنا لا شأن لنا بالشيخين، وما قاما به من مخالفات للقرآن، ومن تلاعب بأحكام الإله، وما حللا وحرما من عندهما، ومارساه من ظلم ضد فاطمة ابنة النبي (ﷺ) وضد أولاده، ولكننا نشير إلى جهلهما بأحكام الإله والدين(١٠٣٦)، ويقول عن الشيخين رضي الله عنهما: وهنا نجد أنفسنا مضطرين على إيراد شواهد من مخالفتهما الصريحة للقرآن لنثبت بأنهما كان يخالفان ذلك(١٠٣٧). ويقول متهمهما بتحريف القرآن: لقد ذكر الله ثمان فئات تستحق سهمًا من الزكاة، لكن أبا بكر أسقط واحدة من هذه الفئات، بإيعاز من عمر ولم يقل المسلمون شيئًا(١٠٣٨)، ويقول: الواقع أنهم أعطوا الرسول حق قدره... الرسول الذي كد وجد وتحمل المصائب من أجل إرشادهم وهدايتهم وأغمض عينيه وفي أذنيه كلمات ابن الخطاب القائمة على الفرية والنابعة من أعمال الكفر والزندقة(١٠٣٩).

وقد خرجت أصوات شيعية معاصرة تدعو للتقارب بين الشيعة وأهل السنة وتزعم أنها تقدر الصحابة، كالخنيزي وأحمد مغنية والرفاعي، ومحمد جواد مغنية، فعليهم أن يعلنوا موقفهم في تقديمهم للصحابة في الأوساط الشيعية، وأن يعملوا على تنقية التراث الشيعي من كل ما يخالف كتاب الله وسنة رسوله وأن يتصدوا لمشايخ الشيعة المعاصرين الذين لا يزالون

(١٠٣٣) أجمع الفضائح لملا كاظم ص (٥١٣) نقلاً عن الشيعة وأهل البيت ص (١٥٧).

(١٠٣٤) مفتاح الجنان في الأدعية والزيارات والأذكار ص (١١٣-١١٤) وتحفة عوام مقبول ص (٢١٤-٢١٥) وهذا الكتاب الأخير موثق من كبار علمائهم المعاصرين ورد ذكر أسمائهم على غلاف الكتاب ومنهم الخميني.

(١٠٣٥) علم اليقين في أصول الدين لمحسن الكاشاني (٢/ ١٠١).

(١٠٣٦) الذريعة إلى تصانيف الشيعة(٨/ ١٩٢).

(١٠٣٧) كشف الأسرار ص (١٢٦).

(١٠٣٨) المرجع نفسه ص (١٣١).

(١٠٣٩) المرجع نفسه ص (١٣٥).

يهذون في هذا الضلال، وألا يتجاهلوا ما جاء في كتبهم قديمًا وحديثا وما يجري في واقعهم من عوامهم وشيوخهم وأن يصدقوا ولا يتناقضوا، حتى يقبل منهم موقفهم(١٠٤٠) إن عقيدة الشيعة الرافضة في الصحابة موجودة في أصول كتبهم التي يقوم عليها المذهب من مطاعن وسباب، وشتائم بذيئة يتنزه أصحاب المروءة والدين عن إطلاقها على أكفر الناس بينما تنشرح بها صدور الشيعة الرافضة، وتسارع بها ألسنتهم في حق أصحاب رسول الله وخلفائه ووزرائه وأصهاره، ويعدون ذلك دينا يرجون عليه من الله أعظم الأجر والمثوبة، وفي الحقيقة إن المسلم إذا ما تأمل حال هؤلاء الناس وما هم عليه من بعد وضلال فإنه لا بد له من موقفين:

أ - موقف استشعار نعمة الله، وعظم لطفه، وسابغ كرمه أن أنقذه من هذا الضلال الأمر الذي يستوجب شكرًا لله على ذلك.

ب- موقف الاتعاظ والاعتبار، بما بلغ بهؤلاء القوم من زيغ وانحراف، يعلمه من له أدنى ذرة من عقل، كتقربهم إلى الله بلعن أبي بكر وعمر صباحًا ومساءً، وزعمهم أن من لعنهما لعنة واحدة لم تكتب عليه خطيئة يومه وذلك أن عامة العقلاء من هذه الأمة، بل ومن أصحاب الملل السماوية يذكرون إدراكًا ضروريًا من دين الله، أن الله ما تعبد أمة من الأمم بلعن أحد من الكفار، ولو كان من أكفر الناس، بل ما تعبدهم بلعن إبليس اللعين المطرود من رحمة الله صباحًا ومساء، في أوراد مخصوصة تقربنا إلى الله كما تتقرب الشيعة الرافضة بلعن أبي بكر وعمر . بل إني لا أعلم(١٠٤١)- فيما اطلعت عليه من كتب الرافضة أنفسهم - أنها تضمنت دعاء مخصوصًا أو غير مخصوص في لعن أبي جهل، أو أمية بن خلف، أو الوليد بن المغيرة الذين هم أشد الناس كفرًا بالله وتكذيبًا لرسوله (ﷺ) بل ولا في لعن إبليس في حين أن كتبهم تمتلأ بالروايات في لعن أبي بكر وعمر، كما في دعاء صنمي قريش وغيره، ففي هذا عبرة لكل معتبر فيما يبلغ بالعبد من الضلال إن هو أعرض عن شرع الله، واتبع الأهواء والبدع كيف يزين له سوء عمله وقبيح أفعاله حتى يصبح لا يعرف معروفًا من منكر، ولا يميز حقًا من باطل بل يتخبط في الظلمات، ويعيش سكرة الشهوات، وهذا ما أخبر الله عنه في كتابه وبين حال أصحابه(١٠٤٢) في قوله: ﴿**أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ**﴾ [فاطر: ٨] . وقال: ﴿**الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا**﴾ [الكهف: ١٠٤] وقال (تعالى): ﴿**قُلْ مَن كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَٰنُ مَدًّا حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا**﴾ [مريم: ٧٥].

١- نماذج للمزاجية في تفسير الآيات عند الشيعة الرافضة: المتعلقة بردة الصحابة - على حد زعمهم- والرد على باطلهم:

(١٠٤٠) المرجع نفسه ص (١٣٧).

(١٠٤١) أصول الشيعة الإمامية (٣/١٣١٩-١٣٤٢).

(١٠٤٢) هو الدكتور إبراهيم الرحيلي صاحب كتاب الانتصار للصحب والآل ص (٨٥).

أ - آية آل عمران:

استدل الشيعة الرافضة بقول الله (تعالى) في كتابه العزيز: ﴿ **وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ * وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ**﴾ [آل عمران: ١٤٣، ١٤٤]. أن هذه الآية يزعمون أنها صريحة في الدلالة على انقلاب الصحابة بعد رسول الله، وعد الصحابة المنقلبين على أعقابهم هم الكثرة الغالبة من الصحابة فما ثبت من الصحابة قلة قليلة وهي الفئة التي ترى الشيعة الرافضة ثبوتها على الإسلام، وهؤلاء الثابتون هم الشاكرون ولا يكونون إلا قلة كما قال (تعالى): ﴿**وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ**﴾ [سبأ: ١٣] والمهم عندهم أن آية الانقلاب تقصد الصحابة مباشرة، الذين يعيشون مع رسول الله في المدينة وترمى إلى الانقلاب مباشرة بعد وفاته دون فعل [(١٠٤٣)]، وقد حولوها وطبقوها على ما حدث في سقيفة بني ساعدة عندما انتخب الصحابة الكرام أبا بكر الصديق رضي الله عنهم والرد على هذا الكذب العظيم كالآتي: روى الطبري في تفسيره بسنده عن الضحاك قال في قوله (تعالى): ﴿**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ**﴾[آل عمران: ١٤٤] : ناس من أهل الارتياب والمرض والنفاق، قالوا يوم فر الناس عن نبي الله (ﷺ)، وشج فوق حاجبه، وكسرت رباعيته: قتل محمد فالحقوا بدينكم الأول، فذلك قوله: ﴿**أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ**﴾ [آل عمران: ١٤٤] [(١٠٤٤)].

وروى أيضا عن ابن جريج قال: قال أهل المرض والارتياب والنفاق، حين فر الناس عن النبي (ﷺ): قد قتل محمد، فالحقوا بدينكم الأول فنزلت هذه الآية [(١٠٤٥)]، فالمقصود بالانقلاب على الأعقاب في الآية هو: ما قاله المنافقون لما أشيع في الناس أن رسول الله (ﷺ) قتل، وهو قولهم: ارجعوا إلى دينكم الأول. ولم تكن هذه الآية فيمن ارتد بعد موت النبي (ﷺ) وإن كانت هي حجة عليهم، مع أنها كانت فيمن ارتد بعد موت النبي (ﷺ) لكانت أظهر في الدلالة على براءة صحابة النبي (ﷺ) من المرتدين، فإنهم هم الذين قاتلوهم، وأظهر الله دينه على أيديهم، وخذل المرتدين بحربهم لهم، فرجع منهم من رجع إلى الدين، وهلك من هلك على ردته، وظهر فضل الصديق والصحابة بمقاتلتهم لهم، ولهذا ثبت عن علي رضي الله عنه أنه كان يقول في قوله (تعالى): ﴿**وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ**﴾ [آل عمران: ١٤٤]: الثابتين على دينهم أبا بكر وأصحابه [(١٠٤٦)]، وكان يقول: كان أبو بكر أمين الشاكرين وأمين أحباء الله وكان أشكرهم وأحبهم إلى الله [(١٠٤٧)]. لقد كانت لموقعة «أحد» ظروفها الخاصة وملابساتها ولذلك جاءت الآيات الكريمة في سورة آل عمران وفقا

(١٠٤٣) الانتصار للصحب والآل صـ٨٥ .

(١٠٤٤) ثم اهتديت للتيجاني صـ١١٤ ، ١١٥ .

(١٠٤٥) تفسير الطبري (٣/ ٤٥٨).

(١٠٤٦) الانتصار للصحب والآل ٣٢٢ .

(١٠٤٧) تفسير الطبري (٣/ ٤٥٥) .

لتلك الظروف والملابسات واستخدام الآية الكريمة للاستدلال على وقائع أخرى كحادثة السقيفة أو موقعة الجمل لا يخلو من غرابة ومن مزاجية، لا تمت بصلة للمنهجية العلمية، وتعتبر هذه الآية من أكبر الدلائل على عظم إيمان أبي بكر وحكمته وتفانيه في الدفاع عن دين الله، فموقفه الثابت يوم أن توفي رسول الله (ﷺ) خير شاهد على ذلك.. يوم أن وقف وقفته الثابتة مخاطبا الناس بعدما أصابهم الوهن والضعف على فقد رسول الله فقال: إن الله (عز وجل) يقول: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠] ويقول: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىَ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤]، فمن كان يعبد الله (عز وجل) فإن الله (عز وجل) حي لا يموت، ومن كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات (١٠٤٨)، وموقفه الصارم من الذين ارتدوا على أعقابهم واستبدلوا الإيمان بالكفر، فاتبعوا مسيلمة، وسجاح وطليحة بن خويلد والأسود العنسي وأمثالهم ومن الذين قالوا: نصلي ولا نزكي، فأسقطوا شعائر الإسلام بالهوى، لأروع مثال على عظمة أبي بكر والصحابة وعلى حرصهم على الدين (١٠٤٩)، وقد وقف أمير المؤمنين علي بجانب الخليفة الراشد الصديق في جهاده ضد المرتدين ومانعي الزكاة، أما التيجاني وشرف الدين الموسوي وفلان وفلان من أئمة علماء الشيعة الاثني عشرية فلا زالوا يدندنون حول قضية مانعي الزكاة محاولين تبرئة ساحتهم ورمي أبي بكر والصحابة بالمقابل بالأباطيل والردة، فأي ضلال ينطق به هؤلاء حين يطعنون في أصحاب رسول الله، ويجعلون من الذين جاهدوا (١٠٥٠) في سبيل رفعة هذا الدين رموزا للكفار والردة والنفاق ولذلك لا نعجب إن علمنا مدى إكبار وإجلال الإمام أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب لأبي بكر الصديق، يذكر الأربلي - في كتاب - كشف الغمة في معرفة الأئمة - عن عروة بن عبد الله أنه قال: سألت أبا جعفر محمد بن علي عن حلية السيوف، فقال: لا بأس به، قد حلى أبو بكر الصديق رضي الله عنه سيفه، قلت: فتقول: الصديق؟ قال: فوثب وثبة واستقبل القبلة وقال: نعم الصديق، نعم الصديق، فمن لم يقل له الصديق فلا صدق الله له قولا في الدنيا ولا في الآخرة (١٠٥١) فرحم الله الإمام أبا جعفر، ورحم الله كلماته التي طوتها صحف الأمس ولم تنطق بها ضمائر اليوم (١٠٥٢).

ب- آية سورة المائدة:

وقد استدل بعض المتنطعين على ردة الصحابة وانقلابهم على أعقابهم بقول الله (تعالى): ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ

(١٠٤٨) تفسير الطبري (٣/ ٤٥٥).
(١٠٤٩) البخاري، فضائل الصحابة رقم ٣٦٦٨.
(١٠٥٠) ثم أبصرت الحقيقة صـ٣٠٢.
(١٠٥١) ثم أبصرت الحقيقة صـ٣٠٢، ٣٠٣.
(١٠٥٢) كشف الغمة (٢/ ١٤٧).

أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لاَئِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٥٤].

إن هذه الآية التي بين أيدينا والتي يستدل بها علماء الشيعة الاثنى عشرية، على ردة الصحابة وانقلابهم على أعقابهم لهي أعظم دليل على عظمة هؤلاء الصحابة وتفانيهم في الدفاع عن الإسلام لا على ردتهم وانقلابهم على أعقابهم (١٠٥٣)، فقد روى الطبري بسنده عن علي رضي الله عنه أنه قال في قوله (تعالى): ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾: بأبي بكر وأصحابه، وعن الحسن البصري قال: هذا والله أبو بكر وأصحابه، وعن الضحاك قال: هو أبو بكر وأصحابه، لما ارتد من ارتد من العرب عن الإسلام جاهدهم أبو بكر وأصحابه حتى ردهم إلى الإسلام. وبهذا قال قتادة وابن جريج وغيره من أئمة التفسير(١٠٥٤).

إن الآية الكريمة تحدثت عن صفات جيل التمكين، وبأن أهل الإيمان سيحالفهم النصر والتمكين فينالوا العزة والكرامة بينما سيحيق بأهل الردة مكرهم السيئ وتغشاهم الزلة، وهذه حقيقة يلمسها كل من قرأ التاريخ الصحيح وتجلت له عزة الصحابة وعلى رأسهم الخليفة الراشد أبي بكر، وذل زعماء الردة، كمسيلمة والعنسي وسجاح وخيبتهم (١٠٥٥).

إن هذه الصفات المذكورة في هذه الآية الكريمة أول من تنطبق عليه أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وجيوشه من الصحابة الذين قاتلوا المرتدين، فقد مدحهم الله بأكمل الصفات وأعلى المبرات فالله (سبحانه وتعالى) ذكر بأنه يحبهم ويحبونه، أذلة على المؤمنين، أعزة على الكافرين، يجاهدون في سبيل الله، ولا يخافون لومة لائم، وقد شرحت هذه الصفات في كتابي «الانشراح ورفع الضيق» في سيرة أبي بكر الصديق (١٠٥٦) فمن أراد المزيد فليرجع إليه.

جـ- آية سورة التوبة:

قال (تعالى): ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُواْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ * إِلاَّ تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلاَ تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التوبة: ٣٨، ٣٩]، فقد قال بعض علماء الشيعة الرافضة: هذه الآية صريحة في أن الصحابة تثاقلوا عن الجهاد، واختاروا الركون إلى الحياة الدنيا، رغم علمهم بأنها متاع قليل، حتى استوجبوا توبيخ الله (سبحانه)، وتهديده إياهم بالعذاب الأليم، واستبدال غيرهم من المؤمنين الصادقين، وقد جاء هذا التهديد باستبدال غيرهم في العديد من الآيات،

(١٠٥٣) ثم أبصرت الحقيقة صـ٣٠٤.
(١٠٥٤) المصدر نفسه صـ٣١١
(١٠٥٥) تفسير الطبري (٤/٦٢٣- ٦٢٤).
(١٠٥٦) ثم أبصرت الحقيقة صـ٣١٢.

مما يدل دلالة واضحة على أنهم تثاقلوا عن الجهاد في مرات عديدة ، فقد جاء في قول الله (تعالى): ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم﴾ [محمد : ٣٨] عند صاحب كتاب «ثم اهتديت»: ومن البديهي المعلوم أن الصحابة تفرقوا بعد النبي (ﷺ) واختلفوا ، وأوقدوا نار الفتنة ، حتى وصل بهم الأمر إلى القتال والحرب الدامية ، التي سببت انتكاس المسلمين وتخلفهم وأطمعت فيهم أعداءهم (١٠٥٧) ، والرد على هذا الشيعي الرافضي كالآتي : إنه ليس في هاتين الآيتين مطعن على أصحاب النبي (ﷺ) ، وإنما فيهما حث الله (تعالى) الصحابة على الجهاد، وذلك عندما أمر النبي (ﷺ) أصحابه في غزوة تبوك بغزو الروم ، وكان ذلك في زمن عسرة وفاقة من أصحاب النبي (ﷺ) مع شدة الحر وبعد السفر ، فشق ذلك على بعضهم ، فنزلت الآيات في الترغيب في الجهاد في سبيل الله والتحذير من التثاقل عنه، فاستجاب أصحاب النبي لأمر ربهم . قال الطبري في تفسير قوله (تعالى) : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ﴾ [التوبة : ٣٨] . وهذه الآية حث من الله (جل ثناؤه) للمؤمنين به من أصحاب رسوله على غزو الروم ، وذلك غزوة رسول الله (ﷺ) تبوك (١٠٥٨) ولا شك أن هاتين الآيتين تضمنتا نوع عتاب من الله (عز وجل) لبعض من ثقل عليهم الخروج في الجهاد ، وهذا قطعا لا يرد على عامة أصحاب النبي (ﷺ) الذين استجابوا لله ورسوله بالمسارعة في الخروج في سبيل الله وهم غالب الصحابة وأكثرهم (١٠٥٩) ، وقال ابن كثير : هذا شروع في عتاب من تخلف عن رسول الله في غزوة تبوك (١٠٦٠) . ومعلوم أنه لم يتخلف عن النبي (ﷺ) في غزوة تبوك أحد من أصحابه من غير أهل الأعذار ، إلا ثلاثة نفر كما دل على ذلك حديث كعب بن مالك المشهور في الصحيحين (١٠٦١) ، وهم كعب بن مالك ، وهلال ابن أمية ، ومرارة بن الربيع ومع هذا فقد ثبت بنص كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه أن الله تاب على الجميع ، وأنزل في توبته على سائر الصحابة وحيا يتلى في كتابه في قوله (تعالى) : ﴿لَقَد تَّابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۞ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [التوبة : ١١٧ ، ١١٨] ، وتضمنت هذه الآيات إخبار الله (تعالى) عن توبته على المهاجرين والأنصار الذين اتبعوا الرسول (ﷺ) في غزوة تبوك، والتي تسمى غزوة العسرة

(١٠٥٧) الانشراح ورفع الضيق في سيرة أبي بكر الصديق صـ٢٨٨- ٢٩١ المؤلف .

(١٠٥٨) ثم اهتديت صـ١١٥ .

(١٠٥٩) تفسير الطبري (٦/ ٣٧٢) .

(١٠٦٠) الانتصار للصحب والآل صـ٣٢٧ .

(١٠٦١) تفسير ابن كثير (٢/ ٣٧٢) .

فلم يتخلفوا عنه مع ما أصابهم فيها من الجهد والشدة والفقر، حتى جاء في بعض الروايات أن النفر منهم كانوا يتناولون التمر بينهم يمصها هذا ثم يشرب عليها ثم يمصها هذا ثم يشرب عليها حتى تأتي على آخرهم [(١٠٦٢)] ، كما تضمنت توبة الله على الثلاثة المخلفين، الذين تأخروا عن رسول الله (ﷺ) في تلك الغزوة بعد هجر النبي (ﷺ) لهم ، وندمهم ندما عظيما حتى ضاقت عليهم الأرض بما رحبت [(١٠٦٣)] ، فلم يبق بعد ذلك عذر لأحد في النيل من أصحاب النبي (ﷺ) أو غمزهم بشيء مما قد يقع منهم ، بعد مغفرة الله لهم وتوبته عليهم ، وثنائه عليهم الثناء العظيم في كتابه وتزكية الرسول (ﷺ) لهم في سنته رضي الله عنهم [(١٠٦٤)] ، وأما اقتتال الصحابة رضي الله عنهم فقد نشأ في عهد علي رضي الله عنه وقد تقدم الحديث عن أسباب الاختلاف بين الصحابة في الفتنة ، وبيان وجهة كل فريق وبراءتهم من كل ما يلصق بهم من ذلك ، وأن عامة ما صدر منهم إنما كانوا مجتهدين فيه ، ليس لأحد أن يذمهم بشيء منه وإنما الإمساك عن ما شجر بينهم والترحم عليهم هو السبيل الأمثل ، والمنهج الأقوم في حقهم ، فرضي الله عنهم أجمعين [(١٠٦٥)] .

د- حديث المذادة عن الحوض :

قال رسول الله (ﷺ) : «**بينما أنا قائم فإذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال : هلم ، فقلت : إلى أين ؟ فقال : إلى النار ، والله ، قلت : وما شأنهم ؟ قال : إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقرى ثم إذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم ، قال : هلم قلت : أين ؟ قال : إلى النار ، والله ، قلت : ما شأنهم ؟ قالوا : إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقرى ، فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم**» [(١٠٦٦)] . فقال (ﷺ) : «**إني فرطكم على الحوض من مر علي شرب ، ومن شرب لم يظمأ أبدا ليردن علي أقوام أعرفهم ويعرفونني ثم يحال بيني وبينهم ، فأقول : أصحابي ، فيقال : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك فأقول سحقا سحقا لمن غير بعدي**» [(١٠٦٧)] .

يقول بعض الشيعة : فالمتمعن في هذه الأحاديث العديدة التي أخرجها علماء أهل السنة في صحاحهم ومسانيدهم لا يتطرق إليه الشك في أن أكثر الصحابة قد بدلوا وغيروا ، بل ارتدوا على أدبارهم بعده (ﷺ) إلا القليل الذين عبر عنه بهمل النعم ، ولا يمكن بأي حال من الأحوال حمل هذه الأحاديث على القسم الثالث : وهم المنافقون لأن النص يقول : «**فأقول أصحابي**» ولأن المنافقين لم يبدلوا بعد النبي (ﷺ) ، وإلا فأصبح المنافق بعد وفاة

(١٠٦٢) البخاري رقم ٤١١٨ ، مسلم ٢٧٦٩ .

(١٠٦٣) تفسير الطبري (٦/ ٥٠٢)، تفسير البغوي (٢/ ٣٣٣) .

(١٠٦٤) الانتصار للصحب والآل صـ٣٢٩ .

(١٠٦٥) المصدر نفسه صـ٣٢٨ .

(١٠٦٦) المصدر نفسه صـ ٣٣٠

(١٠٦٧) البخاري ، ك الرقاق رقم ٦٥٨٤ ، ٦٥٨٧ .

النبي (ﷺ) مؤمنا [١٠٦٨] . والرد على هذه الشبهة كالتالي: إن أصحاب النبي (ﷺ) مما لا يقبل النزاع في عدالتهم أو التشكيك في إيمانهم بعد تعديل العليم الخبير لهم في كتابه ، وتزكية رسوله لهم في سنته ، وثناء الله ورسوله عليهم أجمل الثناء ، ووصفهم بأحسن الصفات ، مما هو معلوم ومتواتر من كتاب الله وسنة رسوله (ﷺ) - ويأتي بيان ذلك بإذن الله :

ولهذا اتفق شراح الحديث من أهل السنة ، على أن الصحابة غير معنيين بهذه الأحاديث وأنها لا توجب قدحا فيهم ، قال ابن قتيبة - في معرض رده على الشيعة الرافضة في استدلالهم بالحديث على ردة الصحابة : فكيف يجوز أن يرضى الله (عز وجل) عن أقوام ويحمدهم ، ويضرب لهم مثلا في التوراة والإنجيل ، وهو يعلم أنهم يرتدون على أعقابهم بعد رسول الله (ﷺ) إلا أن يقولوا : إنه لم يعلم. وهذا هو شر الكافرين [١٠٦٩] ، وقال الخطابي : لم يرتد من الصحابة أحد ، وإنما ارتد من جفاة العرب ، ممن لا نصرة له في الدين وذلك لا يوجب قدحا في الصحابة المشهورين ، ويدل القول : «**أصيحابي**» على قلة عددهم [١٠٧٠] . وقال النووي في شرح بعض روايات الحديث عند قوله (ﷺ) : هل تدري ما أحدثوا بعدك ؟ هذا مما اختلف العلماء فيه المراد به على أقوال :

أ - إن المراد به المنافقون والمرتدون ، فيجوز أن يحشروا بالغرة والتحجيل ، فيناديهم النبي (ﷺ) للسيما التي عليهم ، فيقال : ليس هؤلاء مما وعدت بهم ، إن هؤلاء بدلوا بعدك : أي لم يموتوا على ما ظهر من إسلامهم .

ب- إن المراد من كان في زمن النبي (ﷺ) ثم ارتد بعده فيناديهم النبي (ﷺ) إن لم يكن عليكم سيما الوضوء لما كان يعرفه (ﷺ) في حياته من إسلامهم ، فيقال : ارتدوا بعدك .

جـ - إن المراد به أصحاب المعاصي والكبائر الذين ماتوا على التوحيد ، وأصحاب البدع الذين لم يخرجوا ببدعتهم عن الإسلام وعلى هذا لا يقطع بهؤلاء الذين يذادون بالنار ، يجوز أن يذادوا عقوبة لهم، ثم يرحمهم الله (سبحانه وتعالى) فيدخلهم الجنة بغير عذاب[١٠٧١] ونقل هذه الأقوال ، أو قريبا منها ، القرطبي وابن حجر (رحمهما الله تعالى)[١٠٧٢] .

ولا يمتنع أن يكون أولئك المذادون عن الحوض هم من مجموع تلك الأصناف المذكورة ،

(١٠٦٨) مسلم ، ك الفضائل (٤/ ١٧٩٣) .
(١٠٦٩) ثم اهتديت صـ١١٩ .
(١٠٧٠) تأويل مختلف الحديث صـ٢٧٩ .
(١٠٧١) فتح الباري (١١/ ٢٨٥) .
(١٠٧٢) شرح صحيح مسلم (٣/ ١٣٦- ١٣٧) .

فإن الروايات محتملة لكل هذا ، ففي بعضها يقول النبي (ﷺ) : «**فأقول أصحابي أو أصيحابي**» - بالتصغير - وفي بعضها يقول : «**سيؤخذ أناس من دوني فأقول يا ربي مني ومن أمتي**». وفي بعضها يقول : «**ليردن علي أقوام أعرفهم ويعرفوني**» (١٠٧٣) وظاهر ذلك أن المذادين ليسوا طائفة واحدة ، وهذا هو الذي تقتضيه الحكمة ، فإن العقوبات في الشارع تكون بحسب الذنوب ، فيجتمع في العقوبة الواحدة كل من استوجبها من أصحاب ذلك الذنب (١٠٧٤) ، وإذا كان النبي (ﷺ) قد بين سبب الذود عن الحوض هو الارتداد ، كما في قوله : «**إنهم ارتدوا على أدبارهم**» ، أو الإحداث في الدين ، كما في قوله : «**إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك**» (١٠٧٥) ، فمقتضى ذلك هو أن يذاد عن الحوض كل مرتد عن الدين سواء أكان ممن ارتد بعد موت النبي (ﷺ) من الأعراب ، أو من كان بعد ذلك ، يشاركهم في هذا أهل الإحداث وهم المبتدعة ، وهذا ما ذهب إليه بعض أهل العلم ، قال ابن عبد البر : كل من أحدث في الدين فهو من المطرودين عن الحوض ، كالخوارج والروافض ، وسائر أصحاب الأهواء ، قال : وكذلك الظلمة المسرفون في الجور وطمس الحق ، والمعلنون بالكبائر ، قال : وكل هؤلاء يخاف عليهم أن يكونوا ممن عنوا بهذا الخبر والله أعلم (١٠٧٦)، وقال القرطبي في التذكرة : قال علماؤنا - رحمة الله عليهم أجمعين -: فكل من ارتد عن دين الله ، أو أحدث فيه ما لا يرضاه ، ولم يأذن به الله ، فهو من المطرودين عن الحوض المبعدين عنه ، وأشدهم طردا من خالف جماعة المسلمين وفارق سبيلهم ، كالخوارج على اختلاف فرقها ، والروافض على تباين ضلالها ، والمعتزلة على أصناف أهوائها ، فهؤلاء كلهم مبدلون (١٠٧٧) .

وإذا ما تقرر هذا ظهرت براءة الصحابة من كل ما يرميهم به الشيعة الرافضة ، فالذود عن الحوض ، إنما هو بسبب الردة أو الإحداث في الدين ، والصحابة من أبعد الناس عن ذلك ، بل هم أعداء الدين المرتدين ، الذين قاتلوهم وحاربوهم في أصعب الظروف وأحرجها بعد موت النبي (ﷺ) ، على ما روى الطبري في تاريخه بسنده عن عروة بن الزبير عن أبيه ، قال : قد ارتدت العرب إما عامة وإما خاصة في كل قبيلة ، ونجم النفاق ، واشرأبت اليهود والنصارى والمسلمون كالغنم في الليلة المطيرة الشاتية لفقد نبيهم (ﷺ) وقلتهم وكثرة عدوهم (١٠٧٨) .

ومع هذا تصدى أصحاب النبي (ﷺ) لهؤلاء المرتدين وقاتلوهم قتالا عظيما وناجزوهم حتى أظهرهم الله عليهم ، فعاد للدين من أهل الردة من عاد ، وقتل منهم من قتل ، وعاد

(١٠٧٣) المفهم للقرطبي (١/ ٥٠٤)، فتح الباري (١١/ ٣٨٥) .
(١٠٧٤) الروايات في البخاري ، ك الرقاق ، فتح الباري (١١/ ٤٦٣ ـ ٤٦٥) .
(١٠٧٥) الانتصار للصحب والآل صـ٣٥٤.
(١٠٧٦) مسلم ك الفضائل ، إثبات الحوض (٤/ ١٧٩٢- ١٠٨٢) .
(١٠٧٧) شرح النووي على صحيح مسلم (٣/ ١٣٧).
(١٠٧٨) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة (١/ ٣٤٨).

للإسلام عزه ومجده وهيبته على أيدي الصحابة رضي الله عنهم وكذلك أهل البدع كان الصحابة - رضوان الله عليهم - أشد الناس إنكارا عليهم ، ولهذا لم تشتد البدع وتقوى إلا بعد انقضاء عصرهم ، ولما ظهرت بعض بوادر البدع في عصرهم أنكروها وتبرءوا منها ومن أهلها ، فعن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال لمن أخبره عن مقالة القدرية : إذا لقيت هؤلاء فأخبرهم أن ابن عمر منهم بريء . وهم منه براء (ثلاث مرات) (١٠٧٩) ،ويقول البغوي ناقلا إجماع الصحابة وسائر السلف على معاداة أهل البدع : وقد مضت الصحابة والتابعون وأتباعهم وعلماء السنة على هذا مجمعين متفقين على معاداة أهل البدع ومهاجرتهم (١٠٨٠) وهذه المواقف العظيمة للصحابة من أهل الردة وأهل البدع، من أكبر الشواهد الظاهرة على صدق تدينهم ، وقوة إيمانهم وحسن بلائهم في الدين، وجهادهم أعداءه بعد موت رسول الله (ﷺ) حتى أقام الله بهم السنة وقمع البدع ، الأمر الذي يظهر به كذب الرافضة في رميهم لهم بالردة والإحداث في الدين والذود عن حوض النبي (ﷺ) ، بل هم أولى الناس بحوض نبيهم لحسن صحبتهم له حياته وقيامهم بأمر الدين بعد وفاته ، ولا يشكل على هذا قول النبي (ﷺ) : «**ليردن علي ناس من أصحابي الحوض حتى إذا عرفتهم اختلجوا دوني**» (١٠٨١) ، فهؤلاء هم من مات النبي (ﷺ) وهم على دينه ، ثم ارتدوا بعد ذلك كما ارتدت كثير من قبائل العرب بعد موت النبي (ﷺ) فهؤلاء في علم النبي (ﷺ) من أصحابه ، لأنه مات وهم على دينه ، ثم ارتدوا بعد وفاته ولذا يقال له «**إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك**» وفي بعض الروايات : «**إنك لا علم لك بما أحدثوا بعدك إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقرى**» (١٠٨٢) فظاهر أن هذا في حق المرتدين بعد موت النبي (ﷺ) ، وأين أصحاب النبي (ﷺ) الذين قاموا بأمر الدين بعد نبيهم خير قيام ، فقاتلوا المرتدين وجاهدوا الكفار والمنافقين ، وفتحوا بذلك الأمصار حتى عم دين الله كثيرا من الأمصار ، من أولئك المنقلبين على أدبارهم وهؤلاء المرتدون لا يدخلون عند أهل السنة في الصحابة ، ولا يشملهم مصطلح الصحبة إذا ما أطلق ، فالصحابي كما عرفه العلماء المحققون : من لقي النبي (ﷺ) مؤمنا به ومات على الإسلام (١٠٨٣) . وأما قول النبي (ﷺ): «**فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم**» (١٠٨٤) ، احتجاج الشيعة الرافضة به على تكفير الصحابة إلا القليل منهم فالحجة له فيه ، لأن الضمير في قوله (منهم) إنما يرجع على أولئك القوم الذين يدنون من الحوض ثم يذادون عنه ، فلا يخلص منهم إلا القليل وهذا ظاهر من سياق الحديث فإن نصه : «**بينما أنا قائم فإذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال**

(١٠٧٩) الانتصار للصحب والآل صـ ٣٥٦ نقلا عن تاريخ الطبري (٣/ ٢٢٥).
(١٠٨٠) السنة لعبد الله بن أحمد (٢/ ٤٢٠).
(١٠٨١) شرح السنة البغوي (١/ ١٩٤).
(١٠٨٢) البخاري رقم ٦٥٨٢ .
(١٠٨٣) مسلم، الفضائل، (٤/ ١٧٩٦).
(١٠٨٤) الإصابة في تمييز الصحابة (١/ ٧).

هلم فقلت أين ؟ قال : إلى النار، والله قلت : وما شأنهم ؟ **قال إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقرى ، ثم إذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم ، فقال : هلم ،** قلت : أين قال : إلى النار والله قلت : ما شأنهم ؟ قالوا : **إنهم ارتدوا علي أدبارهم القهقرى فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم»** [١٠٨٥] ، فليس في الحديث للصحابة ذكر وإنما ذكر زمرا من الرجال يذادون من دون الحوض ثم لا يصل إليه منهم إلا القليل [١٠٨٦]، قال ابن حجر في شرح الحديث عند قوله : (فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم) : يعني من هؤلاء الذين دنوا من الحوض وكادوا يردونه فصدوا عنه ، والمعنى: لا يرده منهم إلا القليل؛ لأن الهمل في الإبل قليل بالنسبة لغيره [١٠٨٧] ، ولهذا يظهر بطلان احتجاج الشيعة الرافضة وتلبيسهم وبراءة الصحابة من طعنهم وتجريحهم [١٠٨٨] .

١ـ عدالة الصحابة :

إن تعريفات أهل العلم للعدالة في الاصطلاح ترجع إلى معنى واحد وهو أن العدالة ملكة في النفس تحمل صاحبها على ملازمة التقوى والمروءة ولا تتحقق للإنسان إلا بفعل المأمور وترك المنهي وأن يبعد عما يخل بالمروءة ، ولا تتحقق إلا بالإسلام والبلوغ ، والعقل ، والسلامة من الفسق ، ولم تتحقق العدالة في أحد تحقيقها في أصحاب رسول الله (ﷺ) ، فجميعهم رضي الله عنهم عدول تحققت فيهم صفة العدالة [١٠٨٩] ، والمراد بها رواياتهم للحديث عن رسول الله ، وحقيقتها التجنب عن تعمد الكذاب في الرواية والانحراف فيها قال العلامة الدهلوي : ولقد تتبعنا سيرة الصحابة كلهم من دخل منهم في الفتنة والمشاجرات، فوجدناهم يعتقدون الكذب على النبي (ﷺ) أشد الذنوب ، ويحترزون عنه غاية الاحتراز كما لا يخفى على أهل السير [١٠٩٠] .

ولقد تضافرت الأدلة في كتاب الله وسنة رسوله (ﷺ) على تعديل الصحابة الكرام رضي الله عنهم، مما لا يبقى معها الشك لمرتاب في تحقيق عدالتهم، فكل حديث له سند متصل بين من رواه وبين المصطفى (ﷺ) لم يلزم العمل به إلا بعد أن تثبت عدالة رجاله، ويدب النظر في أحوالهم سوى الصحابي الذي رفعه للنبي (ﷺ) لأن عدالة الصحابة ثابتة معلومة بتعديل الله لهم وإخباره عن طهارتهم واختياره لهم بنص القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه [١٠٩١] .

(١٠٨٥) البخاري، رقم ٦٥٨٤ ـ ٦٥٨٧ .

(١٠٨٦) المصدر نفسه رقم ٦٥٨٤ .

(١٠٨٧) الانتصار للصحب والآل صـ٣٥٩.

(١٠٨٨) فتح الباري (١١/ ٤٧٤-٤٧٥).

(١٠٨٩) الانتصار للصحب والآل صـ٣٦٠.

(١٠٩٠) عقيدة أهل السنة في الصحابة الكرام (٢/ ٧٩٩).

(١٠٩١) ظفر الأماني في مختصر الجرجاني اللكنوي صـ٥٠٦، ٥٠٧ .

أ- قوله (تعالى): ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣] ووجه الاستدلال بهذه الآية على عدالة الصحابة رضي الله عنهم أن وسطا بمعنى: عدولا خيارا (١٠٩٢) لأنهم المخاطبون بهذه الآية مباشرة.

ب ـ قوله (تعالى): ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠] ووجه دلالة هذه الآية على عدالة الصحابة رضي الله عنهم أنها أثبتت الخيرية المطلقة لهذه الأمة على سائر الأمم قبلها وأول من يدخل في هذه الخيرية المخاطبون بهذه الآية مباشرة عند النزول وهم الصحابة الكرام رضي الله عنهم وذلك يقتضي استقامتهم في كل حال، وجريان أحوالهم على الموافقة دون المخالفة. ومن البعيد أن يصفهم الله (عز وجل) بأنهم خير أمة ولا يكونوا أهل عدل واستقامة، وهل الخيرية إلا ذلك؟ (١٠٩٣).

جـ- قوله (تعالى): ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠]. ووجه دلالة هذه الآية على عدالتهم رضي الله عنهم أن الله تعالى أخبر فيها برضاه عنهم ولا يثبت الله رضاه إلا لمن كان أهلا للرضا، ولا توجد الأهلية لذلك إلا لمن كان من أهل الاستقامة في أموره كلها عدلا في دينه ومن أثني الله تعالى عليه بهذا الثناء كيف لا يكون عدلا وإذا كان التعديل يثبت بقول اثنين من الناس فكيف لا يثبت عدالة صفوة الخلق وخيارهم بهذا الثناء الصادر من رب العالمين؟! (١٠٩٤).

د- قوله (تعالى): ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ٢٩] فهذا الوصف الذي وصفهم الله به في كتبه، هذا الثناء الذي أثني به عليهم لا يتطرق إلى النفس معه شك في عدالتهم؟ قال القرطبي (رحمه الله) عند تفسير هذه الآية: فالصحابة كلهم عدول - أولياء الله (تعالى) وأصفياؤه وخيرته من خلقه بعد أنبيائه ورسله - هذه الأمة، وقد ذهبت شرذمة لا مبالاة بهم إلى أن حال الصحابة كحال غيرهم، فيلزم البحث عن عدالتهم، ومنهم من فرق بين حالهم في بداءة الأمر، فقال: إنهم كانوا على العدالة إذا ذاك، ثم تغيرت بهم الأحوال، فظهرت فيهم الحروب وسفك الدماء، فلا بد من البحث وهذا مردود فإن خيار الصحابة وفضلاءهم كعلي وطلحة والزبير وغيرهم رضي الله عنهم ممن أثني الله عليهم وزكاهم ورضي عنهم وأرضاهم ووعدهم الجنة بقوله

(١٠٩٢) عقيدة أهل السنة في الصحابة الكرام (٢/ ٨٠٠).

(١٠٩٣) الكفاية الخطيب البغدادي صـ ٦٤.

(١٠٩٤) عقيدة أهل السنة في الصحابة (٢/ ٨٠٢).

(تعالى): ﴿مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾، وخاصة العشرة المقطوع لهم بالجنة بإخبار الرسول هم القدوة مع علمهم بكثير من الفتن والأمور الجارية عليهم بعد نبيهم بإخباره لهم بذلك وذلك غير مسقط من مرتبتهم وفضلهم إذا كانت تلك الأمور مبنية على الاجتهاد (١٠٩٥).

هـ- قوله (تعالى): ﴿لِلْفُقَرَاء الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ * وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٨-٩]. فالصادقون هم المهاجرون، والمفلحون هم الأنصار بهذا فسر أبو بكر الصديق هاتين الكلمتين من الآيتين حيث قال في خطبته يوم السقيفة مخاطبا الأنصار: إن الله سمانا (الصادقين) وسماكم (المفلحين)، وقد أمركم أن تكونوا حيثما كنا، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩].

فهذه الصفات الحميدة في هاتين الآيتين كلها حققها المهاجرون والأنصار من أصحاب رسول الله (ﷺ) واتصفوا بها ولذلك ختم صفات المهاجرين بالحكم بأنهم صادقون وختم صفات الذين آزروهم ونصروهم وآثروهم على أنفسهم بالحكم لهم بأنهم مفلحون، وهذه الصفات العالية لا يمكن أن يحققها قوم ليسوا بعدول فهذه الآيات التي أسلفناها من الآيات البينة الدالة على عدالة الصحابة رضي الله عنهم، فعدالتهم ثابتة بنص القرآن الكريم (١٠٩٦).

وأما دلالة السنة على تعديلهم رضي الله عنهم:

فقد وصفهم النبي (ﷺ) في أحاديث يطول تعدادها وأحسن الثناء عليهم بتعديلهم ومن تلك الأحاديث:

ما رواه الشيخان في صحيحيهما من حديث أبي بكرة أن النبي (ﷺ) قال: «... **ألا ليبلغ الشاهد منكم الغائب**» (١٠٩٧) وجه دلالة الحديث على عدالتهم رضي الله عنهم أن هذا القول صدر من النبي (ﷺ) في أعظم جمع من الصحابة في حجة الوداع وهذا من أعظم الأدلة على ثبوت عدالتهم حيث طلب منهم أن يبلغوا ما سمعوه منه من لم يحضر ذلك الجمع دون أن يستثني منهم أحدا (١٠٩٨). قال ابن حبان: وفي قوله (ﷺ): «**ألا ليبلغ الشاهد منكم الغائب**» أعظم دليل على أن الصحابة كلهم عدول ليس فيهم مجروح ولا ضعيف إذ لو كان فيهم أحد غير عدل لاستثنى في قوله (ﷺ) وقال: ألا يبلغ فلان منكم الغائب، فلما أجملهم في الذكر بالأمر بالتبليغ من بعدهم دل ذلك على أنهم كلهم عدول

(١٠٩٥) المصدر نفسه (٢/ ٨٠٤).
(١٠٩٦) تفسير القرطبي (١٦/ ٢٩٩).
(١٠٩٧) الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان (١/ ٩١).
(١٠٩٨) عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة (٢/ ٨٠٧).

وكفى بمن عدله رسول الله (ﷺ) شرفا [(١٠٩٩)].

ب - روى البخاري بإسناده إلى أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال النبي (ﷺ): **«لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه»** [(١١٠٠)].

وجه الاستدلال بهذا الحديث على عدالة الصحابة رضي الله عنهم: أن الوصف لهم بغير العدالة سب لا سيما وقد نهى (ﷺ) بعض من أدركه وصحبه عن التعرض لمن تقدمه لشهود المواقف الفاضلة فيكون من بعدهم بالنسبة لجميعهم من باب أولى [(١١٠١)]، فالصحابة كلهم عدول بتعديل الله لهم وثنائه عليهم، وثناء رسول الله (ﷺ) عليهم، فليسوا بحاجة إلى تعديل أحد من الخلق [(١١٠٢)].

ولو لم تكن عدالتهم منصوصا عليها في كتاب الله وسنة رسوله (ﷺ) لجزم أهل العقول الصحيحة والقلوب السليمة بعدالتهم استنادا إلى ما تواترت به الأخبار عنهم من الأعمال الجليلة والخيرات الوفيرة التي قدموها لنصرة دين الله الحنيف، فقد بذلوا ما أمكنهم بذله في سبيل نصرة الحق، ورفع رايته وإرساء قواعده ونشر أحكامه في جميع الأقطار (رضي الله عنهم أجمعين)، والعدالة المرادة هنا ليس المقصود بها عدم الوقوع في الذنوب والخطايا فإن هذا لا يكون إلا لمعصوم [(١١٠٣)]، قال ابن الأنباري: وليس المقصود بعدالتهم ثبوت العصمة لهم واستحالة المعصية منهم، وإنما المراد قبول رواياتهم من غير تكلف البحث عن أسباب العدالة وطلب التزكية إلى أن يثبت ارتكاب قادح ولم يثبت ذلك ولله الحمد والمنة فنحن على استصحاب ما كانوا عليه في زمن رسول الله (ﷺ) حتى يثبت خلافه، ولا التفات إلى ما يذكره أهل السير، فإنه لا يصح وما صح فله تأويل صحيح [(١١٠٤)].

الإجماع على عدالتهم:

أجمع أهل السنة والجماعة على أن الصحابة جميعهم عدول بلا استثناء من لابس الفتن وغيرها ولا يفرقون بينهم الكل عدول إحسانا للظن بهم ونظرا لما أكرمهم الله به من شرف الصحبة لنبيه - عليه الصلاة والسلام - ولما لهم من المآثر الجليلة من مناصرتهم للرسول (ﷺ) والهجرة إليه والجهاد بين يديه والمحافظة على أمور الدين والقيام بحدوده فشهاداتهم ورواياتهم مقبولة دون تكلف بحث عن أسباب عدالتهم بإجماع من يعتد بقوله، وقد نقل الإجماع عل عدالتهم جم غفير من أهل العلم، ومن تلك النقول:

قال الخطيب البغدادي - رحمه الله -: بعد أن ذكر الأدلة من كتاب الله وسنة رسوله (ﷺ) التي دلت على عدالة الصحابة وأنهم كلهم عدول، قال: هذا مذهب كافة

(١٠٩٩) الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان (١/ ٩١).
(١١٠٠) البخاري (٢/ ٢٩٢).
(١١٠١) فتح المغيث شرح ألفية الحديث (٣/ ١١٠ - ١١١).
(١١٠٢) عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة (٢/ ٨٠٩).
(١١٠٣) المصدر نفسه (٢/ ٨٠٩).
(١١٠٤) فتح المغيث (٣/ ١١٥).

العلماء ومن يعتد بقوله من الفقهاء (١١٠٥).

وقال أبو عمر بن عبد البر - رحمه الله -: ونحن وإن كان الصحابة رضي الله عنهم قد كفينا البحث عن أحوالهم لإجماع أهل الحق من المسلمين وهم أهل السنة والجماعة على أنهم كلهم عدول فواجب الوقوف على أسمائهم (١١٠٦).

جـ - وحكى الإجماع على عدالتهم إمام الحرمين الجويني - رحمه الله - وعلل حصول الإجماع على عدالتهم بقوله: ولعل السبب فيه أنهم نقلة الشريعة، فلو ثبت توقف في رواياتهم لانحصرت الشريعة على عصر الرسول (ﷺ) ولما استرسلت على سائر الأعصار (١١٠٧).

د- ذكر ابن الصلاح أن الإجماع على عدالة الصحابة خصيصة فريدة تميزوا بها عن غيرهم، فقد قال: للصحابة بأسرهم خصيصة وهي أنه لا يسأل عن عدالة أحد منهم، بل ذلك أمر مفروغ منه لكونهم على الإطلاق معدلين بنصوص الكتاب والسنة وإجماع من يعتد به الإجماع من الأمة وقال - أيضا -: إن الأمة مجمعة على تعديل جميع الصحابة ومن لابس الفتن منهم، فكذلك بإجماع العلماء الذين يعتد بهم في الإجماع إحسانا للظن بهم ونظرا إلى ما تمهد لهم من المآثر، وكأن الله - (سبحانه وتعالى) - أتاح الإجماع على ذلك كونهم نقلة الشريعة (١١٠٨) والله أعلم.

هـ - قال الإمام النووي - رحمه الله - بعد أن ذكر أن الحروب التي وقعت بينهم كانت عن اجتهاد وأن جميعهم معذورون رضي الله عنهم فيما حصل بينهم، وقال: ولهذا اتفق أهل الحق ومن يعتد به في الإجماع على قبول شهاداتهم ورواياتهم وكمال عدالتهم رضي الله عنهم (١١٠٩)، وقال في التقريب: الصحابة كلهم عدول من لابس الفتن وغيرهم بإجماع من يعتد به (١١١٠).

و- وقال الحافظ ابن كثير : والصحابة كلهم عدول عند أهل السنة والجماعة لما أثنى الله عليهم في كتابه العزيز ، وبما نطقت به السنة النبوية في المدح لهم في جميع أخلاقهم وأفعالهم وما بذلوه من الأموال والأرواح بين يدي رسول الله (ﷺ) ورغبة فيما عند الله من الثواب الجزيل والجزاء الجميل (١١١١).

ز - وقال العراقي في شرح ألفيته بعد ذكره لبعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية

(١١٠٥) الكفاية صـ٦٧.

(١١٠٦) الاستيعاب على حاشية الإصابة (١/ ٨).

(١١٠٧) فتح المغيث شرح ألفية الحديث (٣/ ١١٢)، وذكره السيوطي في تدريب الراوي (٢/ ٢١٤).

(١١٠٨) مقدمة ابن الصلاح صـ١٤٦ ـ ١٤٧.

(١١٠٩) شرح النووي على صحيح مسلم (١٥/ ١٤٩).

(١١١٠) تقريب النواوي مع شرح تقريب الراوي (٢/ ٢١٤).

(١١١١) الباعث الحثيث صـ١٨١ ـ ١٨٢.

الدالة على عدالة الصحابة: إن جميع الأمة مجمعة على تعديل من لم يلابس الفتن منهم، وأما من لابس الفتن منهم وذلك من حين مقتل عثمان، فأجمع من يعتد به - أيضا -: في الإجماع على تعديلهم وإحسانا للظن بهم وحملا لهم في ذلك على الاجتهاد (١١١٢).

ح - وقال الحافظ ابن حجر - رحمه الله تعالى - مبينا أن أهل السنة مجمعون على عدالة الصحابة فقال: اتفق أهل السنة على أن الجميع عدول، ولم يخالف في ذلك إلا شذوذ من المبتدعة (١١١٣) فهذه النقول المباركة للإجماع من هؤلاء الأئمة كلها فيها بيان واضح ودليل قاطع على أن ثبوت عدالة الصحابة عموما أمر مفروغ منه ومسلم فلا يبقى لأحد شك ولا ارتياب بعد تعديل الله ورسوله وإجماع الأمة على ذلك (١١١٤).

٢ - وجوب محبتهم والدعاء والاستغفار لهم:

من عقائد أهل السنة والجماعة وجوب محبة أصحاب رسول الله (ﷺ) وتعظيمهم وتوقيرهم وتكريمهم والاحتجاج بإجماعهم والاقتداء بهم، وحرمة بغض أحد منهم لما شرفهم الله به من صحبة رسوله (ﷺ) والجهاد معه لنصرة دين الإسلام، وصبرهم على أذى المشركين والمنافقين، والهجرة عن أوطانهم وأموالهم وتقديم حب الله ورسوله (ﷺ) على ذلك كله، قال (تعالى) ﴿وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠] هذه الآية دليل على وجوب محبة الصحابة لأنه جعل لمن بعدهم حظا في الفيء ما أقاموا على محبتهم وموالاتهم والاستغفار لهم وأن من سبهم أو أحدا منهم أو اعتقد فيه شرا أنه لاحق له في الفيء روي ذلك عن الإمام مالك وغيره، قال مالك: من كان يبغض أحدا من أصحاب محمد (ﷺ) أو كان في قلبه عليهم غل فليس له حق في فيء المسلمين، ثم قرأ ﴿وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِن بَعْدِهِمْ﴾ (١١١٥). وقد فهم متقدمو أهل السنة والجماعة ومتأخروهم أن المراد من الآية السابقة الأمر بالدعاء والاستغفار لهم من اللاحق للسابق، ومن الخلف للسلف، الذين هم أصحاب رسول الله، روى مسلم بإسناده إلى هشام بن عروة عن أبيه قال: قالت لي عائشة: يا ابن أختي أمروا أن يستغفروا لأصحاب النبي (ﷺ) فسبوهم (١١١٦).

وروى ابن بطة وغيره من حديث أبي بدر، قال: حدثنا عبد الله بن زيد عن طلحة بن مصرف عن مصعب بن سعد بن أبي وقاص قال: الناس على ثلاث منازل، فمضت منزلتان،

(١١١٢) شرح ألفية العراقي المسماة بالتبصرة والتذكرة (٣/١٣ - ١٤).
(١١١٣) الإصابة (١/١٧).
(١١١٤) عقيدة أهل السنة في الصحابة (٢/٨١٣).
(١١١٥) تفسير القرطبي (١٨/٣٢).
(١١١٦) مسلم (٤/٢٣١٧).

وبقيت واحدة، فأحسن ما أنتم عليه كائنون أن تكونوا بهذه المنزلة التي بقيت ثم قرأ: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾ هؤلاء المهاجرون وهذه منزلة قد مضت، ثم قرأ ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾، ثم قال: هؤلاء الأنصار وهذه منزلة قد مضت ثم قرأ: ﴿وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠]، قد مضت هاتان وبقيت هذه المنزلة التي بقيت أن تستغفروا لهم[١٢١٧]. ولا يتردد من له أدنى علم في أن الشيعة الرافضة خارجون من هذه المنزلة لأنهم لم يترحموا على الصحابة ولم يستغفروا لهم بل سبوهم وحملوا لهم الغل في قلوبهم فحرموا من تلك المنزلة التي يجب على المسلم أن يكون فيها ولا يحيد عنها بحال حتى يلقى ربه[١١١٨].

وقد قال ابن تيمية – رحمه الله –: وهذه الآيات تتضمن الثناء على المهاجرين والأنصار وعلى الذين جاءوا من بعدهم يستغفرون لهم ويسألون الله ألا يجعل في قلوبهم غلا لهم وتتضمن أن هؤلاء الأصناف هم المستحقون للفيء، ولا ريب أن هؤلاء الرافضة خارجون من الأصناف الثلاثة، فإنهم لم يستغفروا للسابقين وفي قلوبهم غل عليهم، ففي الآيات الثناء على الصحابة وعلى أهل السنة الذين يتولونهم وإخراج الرافضة من ذلك وهذا ينقض مذهب الرافضة[١١١٩].

٣- تحريم سب الصحابة (رضي الله عنهم) في الكتاب والسنة:

أ- قال(تعالى): ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٧] وهذه الآية تضمنت التهديد والوعيد بالطرد والإبعاد من رحمة الله والعذاب المهين لمن آذاه – جل وعلا – بمخالفة أوامره وارتكاب زواجره وإصراره على ذلك, وإيذاء رسوله[١١٢٠] يشمل كل أذية قولية أو فعلية من سب وشتم أو تنقص له أو لدينه, أو ما يعود إليه بالأذى[١١٢١] ومما يؤذيه (ﷺ) سب أصحابه وقد أخبر (ﷺ) أن إيذاءهم إيذاء له, ومن آذاه فقد آذى الله[١١٢٢] وأي أذيه للصحابة أبلغ من سبهم والآية فيها إشارة قوية ظاهرة إلى أنه يحرم سبهم رضي الله عنهم.

(١١١٧) منهاج السنة (١/ ١٥٣)، المستدرك (٢/ ٤٨٤) وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(١١١٨) عقيدة أهل السنة (٢/ ٧٧٠).

(١١١٩) منهاج السنة (١/ ١٥٣)، عقيدة أهل السنة (٢/ ٧٧٢).

(١١٢٠) عقيدة أهل السنة في الصحابة (٢/ ٨٣٢).

(١١٢١) تفسير السعدي (٦/ ١٢١).

(١١٢٢) مسند أحمد (٤/ ٨٧).

ب- قوله (تعالى): ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٨]. وهذه الآية فيها التحذير من إيذاء المؤمنين والمؤمنات بما ينسب إليهم مما هم منه براء لم يعملوه، ولم يفعلوه، والبهت الكبير أن يحكي أو ينقل عن المؤمنين والمؤمنات ما لم يفعلوه على سبيل العيب والتنقص لهم [(١١٢٣)]. ووجه دلالة الآية على تحريم سب الصحابة رضي الله عنهم أنهم في صدارة المؤمنين فإنهم المواجهون بالخطاب في كل آية مفتتحة بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [البقرة: ١٠٤]، ومثل قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [الكهف: ١٠٧]. في جميع القرآن فالآية دلت على تحريم سب الصحابة لأن لفظ المؤمنين أول ما ينطبق عليهم لأن الصدارة في المؤمنين لهم رضي الله عنهم وسبهم والنيل منهم من أعظم الأذى، وأن من نال منهم بذلك فقد آذى خيار المؤمنين بما لم يكتسبوا وأن من اتخذ شتمهم والنيل منهم دينا له فإن الوعيد المذكور في الآية يصيبه [(١١٢٤)].

قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ عند هذه الآية: ومن أكثر من يدخل في هذا الوعيد الكفرة بالله ورسوله، ثم الرافضة الذين يتنقصون الصحابة ويعيبونهم بما قد برأهم الله منه، يصفونهم بنقيض ما أخبر الله عنهم، فإن الله (عز وجل) ـ قد أخبر أنه قد رضي عن المهاجرين والأنصار ومدحهم هؤلاء الجهلة الأغبياء يسبونهم وينتقصونهم ويذكرون عنهم ما لم يكن ولا فعلوه أبدا فهم في الحقيقة منكسو القلوب يذمون الممدوحين ويمدحون المذمومين [(١١٢٥)].

جـ ـ قوله (تعالى): ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾ [الفتح: ٢٩]. ووجه دلالة الآية على تحريم سب الصحابة رضي الله عنهم أنه لا يسبهم شخص إلا لما وجد في قلبه من الغيظ عليهم، وقد بين (تعالى) في هذه الآية إنما يغاظ بهم الكفار، فدلت على تحريم سبهم، والتعرض لهم بما وقع بينهم على وجه العيب.

د ـ وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله (ﷺ): **«لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه»** [(١١٢٦)]. فهذا الحديث اشتمل على النهي والتحذير من سب الصحابة رضي الله عنهم، وفيه التصريح بتحريم سبهم [(١١٢٧)] والأحاديث في هذا الباب كثيرة.

(١١٢٣) تفسير ابن كثير (٣/ ٥٢٥).
(١١٢٤) عقيدة أهل السنة في الصحابة (٢/ ٨٣٣).
(١١٢٥) عقيدة أهل السنة نقلا عن تفسير ابن كثير.
(١١٢٦) مسلم (٤/ ١٦٩٧ ـ ١٦٩٨).
(١١٢٧) عقيدة أهل السنة في الصحابة (٢/ ٨٣٨).

• **نهي السلف عن سب الصحابة:**

إن النصوص الواردة عن سلف الأمة وأئمتها من الصحابة ومن جاء بعدهم من التابعين لهم بإحسان التي تقضي بتحريم سب الصحابة والدفاع عنهم كثيرة جدا منها:

أ ـ قال أحمد بن حنبل ـ رحمه الله ـ «... إذا رأيت رجلا يذكر أحدا من صحابة رسول الله بسوء فاتهمه على الإسلام» (١١٢٨).

ب ـ قال أبو زرعة الرازي ـ رحمه الله ـ: إذا رأيت الرجل ينتقص أحدا من أصحاب رسول الله (صلى الله علية وسلم)، فاعلم أنه زنديق، وذلك أن الرسول (ﷺ) عندنا حق، والقرآن حق، وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنن، أصحاب رسول الله (ﷺ) وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى وهم زنادقة (١١٢٩).

جـ – وقد ذكر الإمام الشوكاني ، إجماع أهل البيت رضي الله عنهم ، على تحريم سب الصحابة (رضوان الله عليهم) ، من اثنى عشر طريقا (١١٣٠) ، وقد روى أبو عبد الله محمد ابن عبد الواحد المقدسي بإسناده إلى محمد بن علي بن الحسين بن علي أنه قال لجابر الجعفي : يا جابر! بلغني أن قوما بالعراق يزعمون أنهم يحبوننا ويتناولون أبا بكر وعمر، ويزعمون أني آمرهم بذلك، فأبلغهم عني أني إلى الله منهم بريء، والذي نفس محمد بيده لو وليت لتقربت إلى الله بدمائهم لا نالتني شفاعة محمد (ﷺ) إن لم أكن أستغفر لهما وأترحم عليهما. إن أعداء الله لغافلون عن فضلهما، فأبلغهم أني بريء منهم وممن تبرأ من أبي بكر وعمر (رضي الله عنهما) (١١٣١) وروى – أيضا – بسنده إلى عبد الله بن الحسن بن علي أنه قال: ما أرى رجلا يسب أبا بكر وعمر تيسر له توبة أبدا (١١٣٢).

٥- حب أمير المؤمنين علي وأبنائه الصحابة:

الصورة الحقيقية الناصعة البياض تبقى وما سواها يزول إنها تتجلى في أهم كتاب عند الشيعة الاثنى عشرية «نهج البلاغة»، تلك النصوص كفيلة بهدم الأطروحة القائمة على لعن وسب صحابة رسول الله والقول بردتهم وانقلابهم على أعقابهم من بعده، فهذا أمير المؤمنين علي يصور لنا بنفسه صحابة رسول الله كما رآهم وعاينهم، إذ يقول: لقد رأيت صحابة محمد فما أرى أحدا يشبههم لقد كانوا يصبحون شعثا غبرا، وقد باتوا سجدا وقياما يراوحون بين جباههم وخدودهم، ويقفون على مثل الجمر من ذكر معادهم، كأن بين أعينهم ركب المعزى من طول سجودهم، إذا ذكر الله هملت أعينهم حتى تبل جيوبهم، ومادوا كما يميد

(١١٢٨) مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي صـ١٦٠.
(١١٢٩) الكفاية في علم الرواية صـ٦٧.
(١١٣٠) إرشاد الغبي إلى مذهب أهل البيت في صحب النبي صـ٥٠ ـ ٦٤.
(١١٣١) البداية والنهاية (٩/ ٣٤٩).
(١١٣٢) عقيدة أهل السنة في الصحابة (٢/ ٨٥١).

الشجر يوم الريح العاصف خوفا من العقاب ورجاء الثواب (١١٣٣) وهو يتحسر على فراقهم ويرثيهم بعد موتهم كحال أي محب فارق من يحبه فيقول: أين القوم الذين دعوا إلى الإسلام فقبلوه، وقرءوا القرآن فأحكموه، وسلبوا السيوف أغمادها وأخذوا بأطراف الأرض أطرافها زحفا زحفا وصفا صفا، مره العيون من البكاء، خمص البطون من الصيام، ذبل الشفاه من الدعاء، صفر الألوان من السهر، على وجوههم غبرة الخاشعين، أولئك إخواني الذاهبون، فحق لنا أن نظمأ إليهم، ونعض الأيدي على فراقهم (١١٣٤).

فيا أحباب أمير المؤمنين علي (رضي الله عنه)، تأملوا في نظرته إلى أصحاب رسول الله (ﷺ).

وأما الإمام علي بن الحسين - زين العابدين - رحمه الله - فكان يذكر أصحاب رسول الله (ﷺ) ويدعو لهم في صلاته بالرحمة والمغفرة لنصرتهم سيد الخلق في نشر دعوة التوحيد وتبليغ رسالة الله إلى خلقه، فيقول: فاذكرهم منك بمغفرة ورضوان، اللهم! وأصحاب محمد خاصة، الذين أحسنوا الصحبة، والذين أبلوا البلاء الحسن في نصره، وكانفوه وأسرعوا إلى وفادته، وسابقوا إلى دعوته، واستجابوا له حيث أسمعهم حجة رسالته، وفارقوا الأزواج والأولاد في إظهار كلمته، وقاتلوا الآباء والأبناء في تثبيت نبوته، والذين هجرتهم العشائر إذا علقوا بعروته، وانتفت منهم القرابات إذا سكنوا في قرابته، اللهم! ما تركوا لك وفيك، وأرضهم من رضوانك وبما حاشوا الحق عليك، وكانوا من ذلك لك وإليك، واشكرهم على هجرتهم فيك ديارهم وخروجهم من سعة العيش إلى ضيقه ومن كثره في اعتزاز دينك إلى أقله، واللهم ! وأوصل إلى التابعين لهم بإحسان الذين يقولون ربنا اغفر لإخواننا الذين سبقونا بالإيمان خير جزائك، والذين قصدوا سمتهم، وتحروا جهتهم، ولو مضوا إلى شاكلتهم لم يثنهم ريب في بصيرتهم، ولم يختلجهم شك في قفو آثارهم والائتمام بهداية منارهم مكانفين وموازرين لهم، يدينون بدينهم، ويهتدون بهديهم، يتفقون عليهم ولا يتهمونهم فيما أدوا إليهم (١١٣٥). فهذا موقف أئمة أهل البيت (رضوان الله عليهم) من الصحابة لا ما يدعيه المندسون من الرافضة والمتسترون بستار التشيع أعداء القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة وأئمة أهل البيت الأطهار.

سابعا: موقف الشيعة من السنة النبوية:

معنى السنة النبوية في اصطلاح الأصوليين: ما نقل عن النبي (ﷺ) من قول أو فعل أو تقرير (١١٣٦) ولقد اهتم علماء أهل السنة بتدوين السنة الصحيحة وبذلوا جهودا عظيمة من

(١١٣٣) نهج البلاغة صـ١٨٢ ـ ١٨٩، ثم أبصرت الحقيقة صـ٣٢٤.
(١١٣٤) نهج البلاغة صـ٢٣٥، ثم أبصرت الحقيقة صـ٣٢٥.
(١١٣٥) صحيفة كاملة لزين العابدين صـ١٣ نقلا عن ثم أبصرت الحقيقة صـ٣٢٩.
(١١٣٦) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي صـ٤٧.

أجل حمايتها من الوضع والوضاعين وقد بذلوا جهدا لا مزيد عليه، وقد سلكوا طرقا هي أقوم الطرق العلمية للنقد والتمحيص، حتى لنستطيع أن نجزم بأن علماءنا - رحمهم الله - هم أول من وضعوا قواعد النقد العلمي الدقيق للأخبار والمرويات بين أمم الأرض كلها، وأن جهدهم في ذلك جهد تفاخر به الأجيال وتتيه به على الأمم وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم.

وقد سار أهل علماء السنة على الخطوات التالية في سبيل النقد حتى أنقذوا السنة مما دبر لها من كيد، ونظفوها مما علق بها من أوحال [١١٣٧]:

١- إسناد الحديث: لم يكن صحابة رسول الله (ﷺ) بعد وفاته يشك بعضهم في بعض، ولم يكن التابعون يتوقفون عن قبول أي حديث يرويه صحابي عن رسول الله، حتى وقعت الفتنة وقام اليهودي الخاسر عبد الله بن سبأ بدعوته الآثمة التي يتبناها على فكرة التشيع الغالي القائل بألوهية علي (رضي الله عنه)، وأخذ الدس على السنة يربو عصرا بعد عصر، عندئذ بدأ العلماء من الصحابة والتابعين يتحرون في نقل الأحاديث ولا يقبلون منها إلا ما عرفوا طريقها ورواتها واطمأنوا إلى ثقتهم وعدالتهم. يقول ابن سيرين فيما يرويه عنه الإمام مسلم في مقدمة صحيحه: لم يكونوا يسألون عن الإسناد فلما وقعت الفتنة قالوا سموا لنا رجالكم، فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم، وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم وقد ابتدأ هذا التثبيت منذ عهد صغار الصحابة الذين تأخرت وفاتهم عن زمن الفتنة، فقد روى مسلم في مقدمة صحيحه عن مجاهد أن بشيرا العدوي جاء إلى ابن عباس فجعل يحدث ويقول: قال رسول الله كذا، فجعل ابن عباس لا يأذن لحديثه ولا ينظر إليه، فقال: يا ابن عباس! ما لي أراك لا تسمع لحديثي، أحدثك عن رسول الله ولا تسمع؟ فقال ابن عباس: إنا كنا مرة إذا سمعنا رجلا يقول: قال رسول الله ابتدرته أبصارنا وأصغينا إليه بآذاننا، فلما ركب الناس الصعب والذلول لم نأخذ من الناس إلا ما نعرف ثم أخذ التابعون في المطالبة بالإسناد حين فشا الكذب، يقول أبو العالية: كنا نسمع الحديث من الصحابة فلا نرضى حتى نركب إليهم فنسمعه منهم، ويقول ابن المبارك: الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء، ويقول ابن المبارك - أيضا -: بيننا وبين القوم القوائم. يعني الإسناد[١١٣٨].

٢- التوثق من الأحاديث وذلك بالرجوع إلى الصحابة والتابعين وأئمة هذا الفن، فلقد كان من عناية الله بسنة نبيه أن مد في أعمار عدد من أقطاب الصحابة وفقهائهم ليكونوا مرجعا يهتدي الناس بهديهم، فلما وقع الكذب لجأ الناس إلى هؤلاء الصحابة يسألونهم ما عندهم أولا، ويستفتونهم فيما يسمعونه من أحاديث وآثار، ولهذا الغرض كثرت رحلات

(١١٣٧) المصدر نفسه صـ٩٠.
(١١٣٨) مقدمة صحيح مسلم (١/ ١٠).

التابعين بل بعض الصحابة أيضا من مصر إلى مصر ليسمعوا الأحاديث الثابتة من الرواة الثقات ولذلك سافر جابر بن عبد الله إلى الشام وأبو أيوب إلى مصر لسماع الحديث.

٣ - نقد الرواة، وبيان حالهم من صدق وكذب، وهذا باب عظيم وصل منه العلماء إلى تمييز الصحيح من المكذوب والقوي من الضعيف وقد أبلوا فيه بلاء حسنا، وتتبعوا الرواة ودرسوا حياتهم وتاريخهم وسيرتهم وما خفي من أمرهم وما ظهر ولم تأخذهم في الله لومة لائم [(١١٣٩)].

وقد وضعوا لذلك قواعد ساروا عليها فيمن يؤخذ منه ومن لا يؤخذ ومن يكتب عنه ومن لا يكتب ومن أهم أصناف المتروكين الذين لا يؤخذ حديثهم:

أ- الكذابون على رسول الله (ﷺ)، وقد أجمع أهل العلم على أنه لا يؤخذ حديث من كذب على النبي، كما أجمعوا على أنه من أكبر الكبائر، واختلفوا في كفره: فقال به جماعة، وقال آخرون بوجوب قتله واختلفوا في توبته هل تقبل أم لا ؟

ب- الكذابون في أحاديثهم العامة ولو لم يكذبوا على رسول الله، وقد اتفقوا على أن من عرف عنه الكذب ولو مرة واحدة ترك حديثه.

جـ - أصحاب البدع والأهواء: وكذلك اتفقوا على أنه لا يقبل حديث صاحب البدعة إذا كفر ببدعته، وكذا إذا استحل الكذب وإن لم يكفر ببدعته، أما إذا لم يستحل الكذب فهل يقبل أم لا ؟ أو يفرق بين كونه داعية أو غير داعية ؟ قال ابن كثير في ذلك نزاع قديم وحديث، والذي عليه الأكثرون التفصيل بين الداعية وغيره [(١١٤٠)]، والذي يظهر لي أنهم يرفضون رواية المبتدع إذا روى ما يوافق بدعته، أو كان من طائفة عرفت بإباحة الكذب ووضع الحديث في سبيل أهوائها، ولهذا رفضوا رواية الرافضة، وقبلوا رواية المبتدع إذا كان هو أو جماعته لا يستحلون الكذب كعمران بن حطان [(١١٤١)].

د - الزنادقة والفساق والمغفلون الذين لا يفهمون ما يحدثون , وكل من لا تتوفر فيهم صفات الضبط والعدالة والفهم .

وقد وضع العلماء القواعد لمعرفة الصحيح والحسن والضعيف من أقسام الحديث، ووضعوا قواعد لمعرفة الموضوع وذكروا له علامات يعرف بها، كركاكة اللفظ، وفساد المعنى، ومخالفته لصريح القرآن ومخالفته لحقائق التاريخ المعروفة في عهد النبي (ﷺ) وغيرها من العلامات [(١١٤٢)].

وبتلك الجهود الموفقة استقام أمر الشريعة بتوطيد دعائم السنة التي هي ثاني مصادرها

(١١٣٩) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي صـ٩١.

(١١٤٠) السنة ومكانتها في التشريع صـ٩٣.

(١١٤١) المصدر نفسه صـ٩٤.

(١١٤٢) المصدر نفسه ٩٤، إلى ٩٧، ٩٨.

التشريعية، واطمأن المسلمون إلى حديث نبيهم فأقصى عنه كل دخيل، وميز بين الصحيح والحسن والضعيف وصان الله شرعه من عبث المفسدين ودس الدساسين وتآمر الزنادقة والشعوبيين، وقطف المسلمون ثمار هذه النهضة الجبارة المباركة التي كان من أبرزها تدوين السنة وعلم مصطلح الحديث، وعلم الجرح والتعديل، وعلوم الحديث [١١٤٣].

موقف الشيعة من السنة بسبب تكفيرهم للصحابة:

كانت لنظرة الشيعة ورأيهم في الإمامة أثر في تكفيرهم لمعظم الصحابة رضي الله عنهم وهذا التكفير الشنيع ترتب عليه إنكار الشيعة لكل الأحاديث التي وردت عن طريق الصحابة ولم يقلبوا إلا الأحاديث الواردة عن طريق الأئمة من أهل البيت أو ممن نسبوهم إلى التشيع كسلمان الفارسي، وعمار بن ياسر وأبي ذر والمقداد بن الأسود وقد شنوا هجوما عنيفا على رواة الحديث كأبي هريرة وسمرة بن جندب، وعروة بن الزبير، وعمرو بن العاص، والمغيرة ابن شعبة وغيرهم واتهموهم بالوضع والتزوير والكذب [١١٤٤] واعتبر الإمام عبد القاهر البغدادي الشيعة من المنكرين للسنة لرفضهم قبول مرويات صحابة رسول الهدى ـ عليه الصلاة والسلام [١١٤٥].

فالشيعة تحارب السنة، ولهذا فإن أهل السنة اختصوا بهذا الاسم لاتباعهم سنة المصطفى (ﷺ) [١١٤٦]، هذا ما جاء في بعض مصادر أهل السنة، ولكن الشيعة تروي عن أئمتها: أن كل شيء مردود إلى الكتاب والسنة وكل حديث لا يوافق كتاب الله فهو زخرف [١١٤٧]، وبهذا المعنى روايات أخر [١١٤٨] عندهم. وهو يفيد أن الشيعة لا تنكر سنة رسول الله (ﷺ)، بل تعتمد عليها، وتجعلها مع كتاب الله الميزان والحكم. والدارس لنصوص الشيعة وروايايتها ينتهي إلى الحكم بأن معظم رواياتهم وأقوالهم تتجه اتجاها مجانبا للسنة التي يعرفها المسلمون، في الفهم والتطبيق، وفي الأسانيد والمتون. ويتبين ذلك فيما يلي:

١ـ قول الإمام كقول الله ورسوله: فالسنة عندهم هي: كل ما يصدر عن المعصوم من قول أو فعل أو تقرير [١١٤٩] ومن لا يعرف طبيعة مذهبهم لا يلمح مدى مجانبتهم للسنة في هذا القول، إذ إن المعصوم هو رسول (ﷺ)، وتجعل كلامهم مثل كلام الله وكلام رسوله، وهم الأئمة الاثنى عشر، لا فرق عندهم في هذا بين هؤلاء الاثنى عشر وبين من لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى [١١٥٠] فهم: ليسوا من قبيل الرواة عن النبي والمحدثين عنه،

(١١٤٣) المصدر نفسه صـ١٠٣.

(١١٤٤) أضواء على محب الدين صـ٤٨، ٦٥، ٦٨.

(١١٤٥) الفرق بين الفرق صـ٣٢٢، ٣٢٧، ٣٤٦.

(١١٤٦) منهاج السنة (٢/ ١٧٥).

(١١٤٧) صحيح الكافي (١/ ١١) اليهودي، أصول الشيعة الإمامية (١/ ٣٧٣).

(١١٤٨) أصول الشيعة الإمامية (١/ ٣٧٣).

(١١٤٩) الأصول العامة الفقه المقارن صـ١٢٢، محمد تقي الحكيم صـ١٢٢.

(١١٥٠) أصول الشيعة الإمامية (١/ ٣٧٤).

ليكون قولهم حجة من جهة أنهم ثقات في الرواية، بل لأنهم هم المنصوبون من الله (تعالى) على لسان النبي لتبليغ الأحكام الواقعية، فلا يحكمون إلا عن الأحكام الواقعية عند الله (تعالى) كما هي [١١٥١].

ولا فرق في كلام هؤلاء الاثنى عشر بين سن الطفولة، وسن النضج العقلي، إذ إنهم - في نظرهم - لا يخطئون عمدا ولا سهوا ولا نسيانا طوال حياتهم - كما مر معنا في مسألة العصمة - ولهذا قال أحد شيوخهم المعاصرين: إن الاعتقاد بعصمة الأئمة جعل الأحاديث التي تصدر عنهم صحيحة دون أن يشترطوا إيصال سندها إلى النبي (صلى الله عليه وسيلم) كما هو الحال عند أهل السنة [١١٥٢]، فالسنة عندهم ليست سنة النبي فحسب، بل سنة الأئمة، وأقوال هؤلاء الأئمة كأقوال الله ورسوله، ولهذا اعترفوا بأن هذا مما ألحقته الشيعة بالسنة المطهرة قالوا: وألحق الشيعة الإمامية كل ما يصدر عن أئمتهم الاثنى عشر من قول أو فعل أو تقرير بالسنة الشريفة [١١٥٣].

وهم يقولون بهذا القول من منطلقين خطيرين، وقاعدتين أساسيتين عندهم في هذه المسألة وقد أشار أحد شيوخهم المعاصرين إليهما حينما ذكر أن قول الإمام عندهم مجرى قول النبي (ﷺ)، من كونه حجة على العباد واجب الاتباع ، وأنهم لا يحكمون إلا عن الأحكام الواقعية عند الله (تعالى) كما هي ، فبين أن ذلك يتحقق لهم من طريقين : من طريق الإلهام كالنبي من طريق الوحي ، أو من طريق التلقي عن المعصوم قبلهم [١١٥٤].

وهم يزعمون أن الأئمة هم خزنة علم الله ووحيه، وقد عقد صاحب الكافي بابا بهذا بعنوان: باب أن الأئمة - عليهم السلام - ولاة أمر الله وخزنة علمه [١١٥٥]، وضمن هذا الباب ست روايات في هذا المعنى، وبابا آخر بعنوان: إن الأئمة ورثوا علم النبي وجميع الأنبياء والأوصياء الذين من قبلهم [١١٥٦]، وفية سبع روايات، وبابا ثالثا بعنوان: أن الأئمة يعلمون جميع العلوم التي خرجت إلى الملائكة والأنبياء والرسل - عليهم السلام - [١١٥٧]، وفيه أربع روايات [١١٥٨]، وقد توسع الشيعة الرافضة في هذا الباب ونكتفي بهذا القدر من المصادر الوهمية التي تزعمها الرافضة، والتي يغني في بيان فسادها مجرد عرضها وتصورها ونتيجة لذلك التصور عن الأئمة، فإن الشيعة الرافضة لم يهتموا بصحة الإسناد وتقويم

(١١٥١) أصول الفقه المقارن (٣/ ٥١) أصول الشيعة (١/ ٣٧٤).

(١١٥٢) تاريخ الإمامية صـ١٤٠ عبد الله فياض .

(١١٥٣) سنة أهل البيت، محمد تقي الحكيم صـ٩٠ .

(١١٥٤) أصول الشيعة الإمامية (١/ ٣٧٧) .

(١١٥٥) أصول الكافي(١/ ١٩٢-١٩٣) .

(١١٥٦) المصدر نفسه (١/ ٢٢٣-٢٢٦).

(١١٥٧) أصول الشيعة (١/ ٣٨٥).

(١١٥٨) أصول الشيعة (١/ ٣٨٥، ٣٨٦) .

الرجـال، كمـا اهتم علماء الحـديث من أهل السنة، وفي الوقت الذي رفض فـيه الشـيعـة صحيحي البخـاري ومسلم وكتب السنة المعتمدة الموثقة، اعتمـدوا في أحاديثهم على ما نقله الكليني الذي سبق أن أوردنا أقـواله في كثيـر من عقائدهم واعـتبروه حجـة، ويعتبر كـتاب الكافي [١١٥٩] من أقدم كتب الشيعة في الحديث وأوثقها عندهم، ويصور أحد الشيعة مكانة هذا الكتاب لديهم فيقول: وقد اتفق أهل الإمامة وجـمهور الشيعة على تفضيل هذا الكتاب، والأخذ به والثقة بخبـره والاكتفاء بأحكامه وهم مجمعون عـلى الإقرار بارتفاع درجته وعلو قدره، على أنه القطب الذي عليه مدار روايات الثقـات المعروفين بالضبط والإتقان إلى اليوم، وعندهم أجل وأفضل من جميع أصول الأحاديث علـما بأن جل ما في الكافي كما يقول أبو زهرة: أخبار تنتهي عند الأئمة، ولا يصح أن نقـول أنه يذكر سندا متصلا بالنبي (ﷺ)، ولا أن يدعي أن هذه أقوال النبي (ﷺ)، إلا على أساس أن أقوال أئمتهم هي أقوال النبي (ﷺ) وأنها دين الله تعالى.. وأكثر ما يروى في الكافي واقف عند الصادق وقليل منه ما يعلو إلى أبيه الباقر وأقل من ذلك ما يعلو إلى أمير المؤمنين علي (رضي الله عنه)، ونادرا ما يقف عند النبي (ﷺ) [١١٦٠]، كما أن هناك كتاب: (من لا يحضره الفقيه) جمعه أبو جعفر محمد بن علي ابن موسى بن بابويه، الذي يلقبونه بالشيخ الصدوق، وهو - أيضا - من أكبر علمائهم بخـراسان (توفي ٣٨١ هـ) ومن الكتب المعتـمـدة عند الشيـعـة كتـابا (تهـذيب الأحكام) و(الاستبصار فيما اختلف من الأخبار) لمحمد بن الحسن الطوسي، وهذه الكتب الشيعية مليئة بعـشرات الألـوف من الأحاديث التـي لا يمكن إثبات صـحـتـها، بل مـعظمـهـا موضـوع مختلق [١١٦١]، مثل ما سبق أن أشرنا إليه، من الأحاديث التي اعتمدوا عليها في دفاعهم عن أحقيـة علي بالإمامة من هذا العرض لآراء الشـيعة ومعتـقداتهم، والشيعة يعـترفون أو على الأقل بعض منهم بأن في تلك الكتب بعض الروايات المـوضوعة كمـا أنهم أنفسهم جـرحوا بعض رواتهم، وإذا كان الأمر كذلك فيمكن أن يأخذ الشيعة بوصية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه عندما قال: الزموا دينكم واهتدوا بهدي نبيكم واتبعوا سنته، اعرضوا ما أشكل عليكم على القرآن فما عرفـه القرآن فالزموه، وما أنكره فردوه [١١٦٢]، وقـوله (رضي الله عنه): واقـتدوا بهـدي نبيكم (ﷺ)، فـإنه أفضل الهـدي واستنوا بسنتـه، فإنهـا أفضل السـنن [١١٦٣]، وأن يلتزموا بطريقة أمـير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه في فهم الأحكام من القرآن الكريم ومـعاني الآيات، فيلتـزموا بظاهر القرآن الكريم، وحـمل المجمل على المفسر، والمطلق على المقيد، وأن يراعـوا الناسخ والمنسوخ والنظر في لغة العرب، وفهم

(١١٥٩) أثر الإمامة في الفقه الجعفري وأصول للسالوس صـ ٢٧٤ - ٢٧٥.
(١١٦٠) الإمام الصادق أبو زهرة صـ ٤٢٩.
(١١٦١) الخطوط العريضة صـ ٤٩.
(١١٦٢) البداية والنهاية (٧/٢٤٦).
(١١٦٣) البداية والنهاية (٧/٣١٩).

النص بنص آخر، والسؤال عن مشكله، والعلم بمناسبة الآيات، وتخصيص العام، وأن يتعلموا من أمير المؤمنين علي رضي الله عنه كيف يحترموا مقام النبوة، ويتعاملوا مع سنة الرسول (ﷺ) وفق هديه الذي بينته في هذا الكتاب، ثم يعرضوا رواياتهم التي في كتبهم على العدلين، كتاب الله وسنة رسوله، فما وافق كتاب الله وسنة رسوله (ﷺ) قبلوه وما خالفها ينبذوه، ويحذروا أتباعهم منه، وخصوصا تلك الروايات التي تسيء إلى أئمتهم أنفسهم فضلا عن الإسلام.

إن دين الله كمل، قال (تعالى): ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣]، ورسول الله (ﷺ) بلغ جميع ما أنزل إليه وامتثل أمر ربه في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ [المائدة : ٦٧] .

وقد بلغ النبي (ﷺ) البلاغ المبين، وأقام الحجة على العالمين، وأعلن ذلك بين المسلمين، ولم يسر لأحد بشيء من الشريعة ويستكتمه إياه، قال (تعالى): ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ﴾ [آل عمران: ١٨٧]

فهو بيان للناس وليس لفئة معينة من أهل البيت، وقال (تعالى): ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاَّعِنُونَ * إِلاَّ الَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ﴾[البقرة، الآية: ١٥٩ - ١٦٠]، وقال: ﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلاَّ لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُواْ فِيهِ﴾ [النحل، الآية: ٦٤]. فالدين قد تم وكمل لا يزاد فيه ولا ينقص منه ولا يبدل [(١١٦٤)]، لا من إمام مزعوم، ولا من غائب موهوم [(١١٦٥)]، وقد ودع المصطفى الدنيا بعد أن بلغ الدين كله وبين جميعه كما أمره ربه، قال (ﷺ): **«تركتكم على مثل البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك»** [(١١٦٦)]، وقال أبو ذر رضي الله عنه لقد تركنا محمد (ﷺ) وما يحرك طائر جناحيه في السماء إلا ذكر لنا منه علما [(١١٦٧)].

ثامنا: التقية عند الشيعة:

١- وأما تعريفها عند الشيعة الرافضة فيقول شيخهم المفيد: التقية كتمان الحق، وستر الاعتقاد فيه، وكتمان المخالفين، وترك مظاهرتهم بما يعقب ضررا في الدين أو الدنيا [(١١٦٨)] ويقول يوسف البحراني - أحد كبار علمائهم في القرن الثاني عشر -: المراد بها إظهار موافقة أهل الخلاف فيما يدينون به خوفا [(١١٦٩)]، ويقول الخميني - التقية معناها: أن يقول الإنسان

(١١٦٤) المحلى (١/ ٢٦) .
(١١٦٥) أصول الشيعة الإمامية (١/ ٣٩٨) .
(١١٦٦) هذا المعنى صحح الألباني رحمه الله معظمها .
(١١٦٧) مسند أحمد (٥/ ١٥٣) .
(١١٦٨) تصحيح الاعتقاد صـ١١٥ .
(١١٦٩) الكشكول (١/ ٢٠٢) .

قولا مغـايرا للواقع أو يأتي بعمل مناقض لموازين الشريـعة وذلك حفاظا لدمـه أو عرضه أو ماله(١١٧٠).

فهذه ثلاثة تعريفات للتقية لثلاثة من كبـار علماء الشيعة الرافضة جاءوا في فترات زمنية مختلفة، وهذه التعريفات تدور حول أربعة أحكام رئيسية للتقية عندهم وهي:

أن معنى التقية أن يظهر الإنسان لغيره خلاف ما يبطن.

أن التقية تستعمل مع المخالفين ولا يخفى دخول كافة المسلمين تحت هذا العموم.

أن التقية تكون فيما يدين به المخالفون من أمور الدين.

أن التقـية إنما تكون عـند الخوف على الدين أو النفس أو المال، وهذه أربعـة أحكام هي محور عقيدة التقية عندهم (١١٧١).

٢- وأما مكانتها عند الشيعة الرافضة: فهي تحتل منزلة عظيمة ومكانة رفيعة، دلت عليها روايات عديدة جاءت في أمهات الكتب عندهم، فقد روى الكليني وغيره عن جعفر الصادق أنه قال: التقية من ديني ودين آبائي ولا إيمان لمن لا تقية له (١١٧٢).

وعن أبي عبد الله أنه قـال: إن تسعة أعشار الدين في التقيـة، ولا دين لمن لا تقية له، والتقية في كل شيء إلا في النبيذ والمسح على الخفين (١١٧٣).

وفي المحاسن: عن حبيب بن بشير، عن أبي عبد الله أنه قال: لا والله ما على الأرض شيء أحب إلي من التقـية، يا حبيب! إنه من كانـت له تقية رفعه الله ، يا حـبيب! من لم يكن له تقية وضعه الله (١١٧٤).

وفي أمالي الطوسي، عن جعفر الصادق أنه قال: " ليس منا من لم يلزم التقية ويصوننا عن سفلة الرعية " (١١٧٥).

وفي الأصول الأصيلة: عن علي بن مـحمد من مسائل داود الصـرمي قال: قال لي: يا داود! لو قلت لك إن تارك التقية كتارك الصلاة لكنت صادقا(١١٧٦).

وعن البـاقر أنه سـئل: من أكـمل الناس؟ قـال: أعلمهم بالـتقـية وأقـضـاهم لحقـوق إخوانه(١١٧٧).

(١١٧٠) كشف الأسرار صـ١٤٧ .
(١١٧١) بذل المجهود (٢/ ٦٣٨) .
(١١٧٢) أصول الكافي (٢/ ٢١٩) ، المحاسن صـ٢٥٥ .
(١١٧٣) أصول الكافي (٢/ ٢١٧) بذل المجهود (٢/ ٢٣٦) .
(١١٧٤) المحاسن للبرقي صـ٢٥٧ .
(١١٧٥) أمالي الطوسي صـ ٢٨٧ .
(١١٧٦) الأصول الأصيلة ، عبد الله شبر صـ ٣٢٠.
(١١٧٧) الأصول الأصيلة صـ٣٢٤.

وعنه - أيضا - أنه قال: أشرف أخلاق الأئمة الفاضلين من شيعتنا استعمال التقية(*).

فدلت هذه الروايات على مكانة التقية عندهم، ومنزلتها العظيمة في دينهم، إذ التقية عند الشيعة الرافضة من أهم أصول الدين، فلا إيمان لمن لا تقية له والتارك للتقية كالتارك للصلاة، بل إن التقية عندهم أفضل من سائر أركان الإسلام، فالتقية تمثل تسعة أعشار دينهم وسائر أركان الإسلام وفرائضه تمثل العشر الباقي (**)، وقد ذكر صاحب الكافي أخبارها في (باب التقية) (***)، و(باب الكتمان) (١١٧٨) و(باب الإذاعة) (١١٧٩) وذكر المجلسي في بحاره من رواياتهم فيها مائة وتسع روايات في باب عقده بعنوان (باب التقية والمداراة) (١١٨٠).

٣- وأما سبب هذا الغلو في أمر التقية فيعود إلى عدة أمور منها:

أ - أن الشيعة الرافضة تعد إمامة الخلفاء الثلاثة باطلة، وهم ومن بايعهم في عداد الكفار، مع أن عليا رضي الله عنه بايعهم وصلى خلفهم، وجاهد معهم وزوج عمر ابنته أم كلثوم وتسرى من جهاده مع أبي بكر ولما ولي الخلافة سار على نهجهم ولم يغير شيئا مما فعله أبو بكر وعمر، كما تعترف بذلك كتب الشيعة نفسها، وهذا يبطل مذهب الشيعة من أساسه فحاولوا الخروج من هذا التناقض المحيط بهم بالقول بالتقية (١١٨١)، واستخدموا مبدأ التقية لتفسير أحداث تاريخهم فذهبوا إلى سكوت علي عن أبي بكر وعمر - رضي الله عنهم جميعا - كان تقية، وتنازل الحسن بن علي عن الخلافة لمعاوية كان تقية، واختفاء أئمتهم وسترهم كان تقية منهم وهكذا يمكن تفسير كل الأحداث التي تناقض عقيدتهم بالتقية(١١٨٢).

ب - أنهم قالوا بعصمة الأئمة وأنهم يسهون ولا يخطئون ولا ينسون، وهذه الدعوى خلاف ما هو معلوم من حالهم، وحتى إن روايات الشيعة نفسها المنسوبة للأئمة مختلفة متناقضة حتى لا يوجد خبر منهم إلا وبإزائه ما يناقضه، كما اعترف بذلك شيخهم الطوسي (١١٨٣)، وهذا ينقض مبدأ العصمة من أصله، فقالوا بالتقية لتبرير هذا التناقض والاختلاف والتستر على كذبهم على الأئمة. روى صاحب الكافي عن منصور بن حازم قال: قلت لأبي عبد الله - عليه السلام -: ما بالي أسألك عن المسألة فتجيبني فيها بالجواب، ثم يجيئك غيري فتجيبه فيه بجواب آخر فقال: إنا نجيب الناس على الزيادة والنقصان (١١٨٤). قال شارح

(*) المصدر السابق صـ٣٢٣ .

(**) بذل المجهود (٢/ ٦٣٧).

(***) أصول الكافي (٢/ ٢١٧) .

(١١٧٨) المصدر السابق (٢/ ٢٢١) .

(١١٧٩) المصدر السابق (٢/ ٣٩٦) .

(١١٨٠) بحار الأنوار (٧٥/ ٣٩٣-٤٤٣) .

(١١٨١) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٩٨٤).

(١١٨٢) دراسات عن الفرق وتاريخ المسلمين صـ ٢١٧ .

(١١٨٣) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٩٨٥).

(١١٨٤) أصول الكافي (١/ ٦٥) .

الكافي: أي زيادة حكم عند التقية، ونقصانه عند عدمها. ولم يكن ذلك مستندا إلي النسيان والجهل بل لعلمهم بأن اختلاف كلمتهم أصلح لهم، وانفع لبقائهم إذ لو اتفقوا لعرفوا بالتشيع وصار ذلك سببا لقتلهم وقتل الأئمة عليهم السلام (١١٨٥).

جـ - تسهيل مهمة الكذابين على الأئمة ومحاولة التعتيم على حقيقة مذهب أهل البيت بحيث يوهمون الأتباع أن ما ينقله (واضعو مبدأ التقية) عن الأئمة هو مذهبهم، وأن ما اشتهر وذاع عنهم، وما يقولونه، ويفعلونه أمام المسلمين لا يمثل مذهبهم وإنما يفعلونه تقية فيسهل عليهم بهذه الحلية أقوال الأئمة، والدس عليهم وتكذيب ما يروي عنهم من حق، فتجدهم مثلا يردون كلام الإمام محمد الباقر أو جعفر الصادق الذي قاله أمام ملأ من الناس، أو نقله العدول من المسلمين بحجة أنه حضره بعض أهل السنة، فاتقى في كلامه، ويقبلون ما ينفرد بنقله الكذبة أمثال جابر الجعفي بحجة أنه لا يوجد أحد يتقيه في كلامه، وبحسبك أن تعرف أن الإمام زيد بن على وهو من أهل البيت يروي عن علي رضي الله عنه كما تنقله كتب الاثنى عشرية نفسها، أنه غسل رجليه في الوضوء، ولكن من يلقبونه بـ (شيخ الطائفة) لا يأخذ بهذا الحديث ولا يجد حجة يحتج بها سوى التقية، فهو يورد الحديث في الاستبصار عن زيد بن علي عن جده علي بن أبي طالب قال: جلست أتوضأ فأقبل رسول الله (ﷺ) حين ابتدأت الوضوء - إلى أن قال -: وغسلت قدمي، فقال لي: «**يا علي خلل بين الأصابع ولا تخلل بالنار**» (١١٨٦)، فأنت ترى أن عليا كان يغسل رجليه في وضوئه، وأن رسول الله (ﷺ) أكد عليه بأن يخلل أصابعه والشيعة تخالف سنة رسول الله (ﷺ) وهدي علي رضي الله عنه في ذلك، ولا تلتفت لمثل هذه الروايات، وإن جاءت في كتبها بروايات أئمة أهل البيت، ولا يكلف شيوخ الشيعة أنفسهم بالتفكر في أمر هذه الروايات ودراستها، فلديهم هذه الحجة الجاهزة (١١٨٧) (التقية).

ولهذا قال الطوسي: هذا الخبر موافق للعامة - يعني أهل السنة - وقد ورد مورد التقية لأن المعلوم الذي لا يتخالج منه الشك من مذاهب أئمتنا - عليهم السلام - القول بالمسح على الرجلين، ثم قال: إن رواة هذا الخبر كلهم عامة، ورجال الزيدية، وما يختصون به (١١٨٨) لا يعمل به. وفي النكاح جاءت عندهم روايات في تحريم المتعة، ففي كتبهم عن زيد بن علي عن آبائه عن علي عليه السلام - قال حرم رسول الله (ﷺ) يوم خيبر لحوم الحمر الأهلية ونكاح المتعة (١١٨٩)، وقال شيخهم الحر العاملي أقول: حمله الشيخ (١١٩٠) وغيره على التقية

(١١٨٥) شرح جامع للمازندراني (١/ ٦٥).

(١١٨٦) الاستبصار (١/ ٦٥، ٦٦).

(١١٨٧) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٩٨٧).

(١١٨٨) الاستبصار (١/ ٦٥، ٦٦).

(١١٨٩) تهذيب الأحكام للطوسي (٢/ ١٨٤).

(١١٩٠) إذ أطلق الشيخ في كتب الشيعة فالمراد به شيخهم الطوسي.

يعني في الرواية، لأن إباحة المتعة من ضروريات مذهب الإمامية (١١٩١). وفي قسمة المواريث أن المرأة لا ترث من العقار والدور والأرضين شيئا (١١٩٢)، ولما يأتي عندهم نص عن الأئمة يخالف ذلك وهو حديث أبي يعقوب عن أبي عبد الله قال: سألته عن الرجل هل يرث من دار امرأته أو أرضها من التربة شيئا ؟ أو يكون في ذلك في منزلة المرأة فلا يرث من ذلك شيئا؟ فقال يرثها وترثه من كل شيء ترك وتركت (١١٩٣) قال الطوسي: نحمله على التقية، لأن جميع من خالفنا يخالف في هذه المسألة، وليس يوافقنا عليها أحد من العامة، وما يجري هذا المجرى يجوز التقية فيه (*).

د ـ وضع مبدأ التقية لعزل الشيعة عن المسلمين لذلك جاءت أخبارهم فيها على هذا النمط يقول إمامهم (أبو عبد الله): ما سمعت مني يشبه قول الناس؛ فيه التقية،

وما سمعت مني لا يشبه قول الناس فلا تقية فيه (١١٩٤) وقد كان من آثار عقيدة التقية ضياع مذهب الأئمة عند الشيعة، حتى إن شيوخهم لا يعلمون في الكثير من أقوالهم أيها تقية وأيها حقيقة (١١٩٥)، ووضعوا لهم ميزانا، أخرج المذهب إلى دائرة الغلو، وهو أن من خالف العامة فيه الرشاد (١١٩٦). وقد اعترف صاحب الحدائق بأنه لم يعلم من أحكام دينهم إلا القليل بسبب التقية حيث قال: فلم يعلم من أحكام الدين على اليقين إلا القليل لامتزاج أخباره بأخبار التقية، كما قد اعترف بذلك ثقة الإسلام محمد بن يعقوب الكليني في جامعه الكافي، حتى إنه تخطأ العمل بالترجيحات المروية عند تعارض الأخبار والتجأ إلى مجرد الرد والتسليم للأئمة الأبرار (١١٩٧). وأما تطبيق التقية عندهم خير كاشف بأن تقيتهم غير مرتبطة بحالة الضرورة ، وقد اعترف يوسف البحراني بأن الأئمة : يخالفون بين الأحكام وإن لم يحضرهم أحد من أولئك الأنام فتراهم يجيبون في المسألة الواحدة بأجوبة متعددة ، وإن لم يكن بها قائل من المخالفين (١١٩٨) .

٥ـ مفهوم التقية عند أهل السنة:

إن مفهوم التقية في الإسلام غالبا، إنما هي مع الكفار، قال (تعالى): ﴿**إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَاةً**﴾ [آل عمران: ٢٨] قال ابن جرير الطبري: التقية التي ذكرها اللهَ في الآية إنما

(١١٩١) وسائل الشيعة (٧/ ٤٤١).
(١١٩٢) الاستبصار للطوسي (٤/ ١٥١ـ ١٥٥).
(١١٩٣) المصدر السابق (٤/ ١٥٤).
(*) المصدر السابق (٤/ ١٥٥) .
(١١٩٤) بحار الأنوار (٢/ ٢٥٢) .
(١١٩٥) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٩٨٩).
(١١٩٦) المصدر نفسه (٢/ ٩٨٩) .
(١١٩٧) الحدائق الناضرة يوسف البحراني (١/ ٥) .
(١١٩٨) الحدائق الناضرة (١/ ٥) .

هي تقية من الكفار لا غيرهم [(١١٩٩)]، ولهذا يرى بعض السلف أنه لا تقية بعد أن أعز الله الإسلام، قال معاذ بن جبل، ومجاهد: كانت التقية في جدة الإسلام قبل قوة المسلمين، أما اليوم فقد أعز الله المسلمين أن يتقوا منهم تقاة [(١٢٠٠)].

ولكن تقية الشيعة هي مع المسلمين ولا سيما أهل السنة حتى إنهم يرون عصر القرون المفضلة عهد تقية كما قرره شيخهم المفيد وكما تلحظ ذلك من نصوصهم التي ينسبونها للأئمة، لأنهم يرون أهل السنة أشد كفرا من اليهود والنصاري، لأن منكر إمامة الاثنى عشر أشد من منكر النبوة [(١٢٠١)] والتقية رخصة في حالة الاضطرار، ولذلك استثناها ـ (سبحانه) ـ من مبدأ النهي عن موالاة الكفار فقال ـ سبحانه: ـ ﴿لاَ يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُوْنِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ [آل عمران: ٢٨] فنهى اللهُ (سبحانه) ـ عن موالاة الكفار، وتوعد على ذلك أبلغ الوعيد فقال: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾ [آل عمران: ٢٨] أي من يرتكب نهي الله فقد برئ من الله، ثم قال سبحانه: ﴿إِلاَّ أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾ أي: إلا من خاف من بعض البلدان والأوقات من شرهم فله أن يتقيهم بظاهره لا بباطنه ونيته [(١٢٠٢)].

وأجمع أهل العلم على أن التقية رخصة في حال الضرورة، قال ابن المنذر: أجمعوا على من أكره الكفر حتى خشي على نفسه القتل، فكفر وقلبه مطمئن بالإيمان ألا يحكم عليه بالكفر [(١٢٠٣)]. ولكن من اختار العزيمة في هذا المقام فهو أفضل، قال ابن بطال: وأجمعوا على أن من أكره على الكفر واختار القتل أنه أعظم أجرا عند الله [(١٢٠٤)]، ولكن التقية عند الشيعة خلاف ذلك فهي عندهم ليست رخصة بل هي ركن من أركان دينهم [(١٢٠٤)]. والتقية في دين الإسلام دين الجهاد والدعوة لا تمثل نهجا عاما في سلوك المسلم، ولا سمة من سمات المجتمع الإسلامي، بل هي ـ غالبا ـ حالة فردية مؤقتة، مقرونة بالاضطرار، ومرتبطة بالعجز عن الهجرة، وتزول بزوال حالة الإكراه أما في المذهب الشيعي تعد طبيعة ذاتية في بنية المذهب، وحالة مستمرة وسلوك جماعي دائم [(١٢٠٦)]، وقد قرر أهل العلم من خلال معرفتهم بواقع الشيعة أن تقيتهم إنما هي الكذب والنفاق ليس إلا وقد فرق ابن تيمية ـ رحمه الله ـ بين تقية النفاق والتقية في الإسلام فقال: : ليست بأن أكذب وأقول بلساني ما ليس في قلبي فإن

(١١٩٩) تفسير الطبري (٦/ ٣١٦) .

(١٢٠٠) تفسير القرطبي (٤/ ٥٧) ، فتح القدير (١/ ٣٣١) .

(١٢٠١) المصدر نفسه (٢/ ٩٧٨) .

(١٢٠٢) تفسير ابن كثير (١/ ٣٧١) .

(١٢٠٣) فتح الباري (١٢/ ٤١٣) .

(١٢٠٤) المصدر السابق (١٢/ ٣١٧) .

(١٢٠٥) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٩٧٩) .

(١٢٠٦) المصدر نفسه (٢/ ٩٨١) .

هذا نفاق، ولكن أفعل ما أقدر عليه... فالمؤمن إذا كان بين الكفار والفجار ، ولم يكن عليه أن يجاهدهم بيده مع عجزه ، ولكن إن أمكنه بلسانه ، وإلا فبقلبه مع أنه لا يكذب ويقول بلسانه ما ليس في قلبه ، إما أن يظهر دينه وإما أن يكتمه ومع هذا لا يوافقهم على دينهم كله، بل غايته أن يكون كمؤمن آل فرعون ، حيث لم يكن موافقا لهم على جميع دينهم ولا كان يكذب ولا يقول بلسانه شيء ، وإظهار الدين الباطل شيء آخر ، فهذا لم يبحه الله قط إلا لمن أكره بحيث أتيح له النطق بكلمة الكفر فيعذره الله بذلك ، والمنافق والكذاب لا يعذر بحال، ثم إن المؤمن الذي يعيش بين الكفار مضطرا ويكتم إيمانه يعاملهم - بمقتضى الإيمان الذي يحمله - بصدق وأمانة ونصح وإرادة للخير بهم ، وإن لم يكن موافقًا لهم على دينهم، كما كان يوسف الصديق يسير في أهل مصر وكانوا كفارا بخلاف الرافض الذي لا يترك شرا يقدر عليه إلا فعله بمن يخالفه (١٢٠٧) .

ولقد لخص الشيخ سلمان العودة الفروق بين التقية عند أهل السنة والرافضة فقال : إن التقية عند أهل السنة استثناء مؤقت مخالف للأصل أما عند الشيعة فواجب مفروض حتى يقوم القائم من آل البيت ، وينتهي العمل بها عند أهل السنة بمجرد زوال السبب الداعي إليها أما عند الشيعة فواجب جماعي مستمر لا ينتهي العمل به حتى يخرج مهديهم الذي لا يخرج أبدا وتقية أهل السنة هي مع الكفار في الغالب ، وقد تكون مع الفساق الظلمة ، أما تقية الشيعة فهي أصلا مع المسلمين المخالفين لهم من أهل السنة ، إن التقية عند أهل السنة حالة ممقوتة يلجأ إليها المسلم دون رضى واطمئنان إليها ، أما عند الشيعة فقد أصبحت خلة ممدوحة مرضية ، جاء في مدحها من النصوص عن أئمتهم الكثير الكثير (١٢٠٨).

• • •

تاسعا: المهدي المنتظر بين الشيعة والسنة:

١- عقيدة المهدي المنتظر عند الشيعة:

من أبرز عقائد الشيعة الرافضة التي تكاد تمتلئ بها كتبهم عقيدة المهدي المنتظر، ويقصد الرافضة الإمامية بالمهدي المنتظر: محمد بن الحسن العسكري وهو الإمام الثاني عشر عندهم ويطلقون عليه الحجة، كما يطلقون عليه القائم (١٢٠٩)، ويزعمون أنه ولد سنة ٢٥٥هـ واختفى في سرداب (سر من رأى (١٢١٠)، سنة ٢٦٥هـ، وهم ينتظرون خروجه في آخر الزمان، لينتقم لهم من أعدائهم وينتصر لهم (١٢١١)، ولا زال الشيعة الرافضة يزورونه

(١٢٠٧) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ٩٩٥) .

(١٢٠٨) العزلة والخلطة، سلمان بن فهد العودة صـ١٤٩ .

(١٢٠٩) الإرشاد المفيد صـ ٣٦٣، كشف الغمة الأربلي (٢/ ٤٣٧) بذل المجهود (١/ ٢٣٧).

(١٢١٠) بذل المجهود (١/ ٢٣٧) معجم البلدان (٣/ ١٧٣) .

(١٢١١) المفيد صـ ٣٤٦، كشف الغمة صـ (١/ ٤٤٦) بذل المجهود (١/ ٢٣٧) .

بسرداب (سر من رأى) ويدعونه للخروج (١٢١٢)، وهذا المهدي الذي يدعيه الرافضة معدوم ولا وجود له: فالحسن العسكري الذي ينسبون إليه المهدي مات ولم يعقب أحدا، فقسم ميراثه بين أمه وأخيه جعفر، وقد صاحب عقيدة المهدي المنتظر عن الشيعة الرافضة، خرافات وأساطير كبيرة لا يصدقها عاقل، ويعتقدون أن المهدي من ولد الحسين (١٢١٣)، ويروون العجائب في ولادته (١٢١٤) ويقولون عندما يخرج يجتمع إليه الشيعة الرافضة من كل مكان(١٢١٥)، ويخرج الصحابة من قبورهم ويعذبهم (١٢١٦)، ويقتل العرب، وقريش(١٢١٧)، ويهدم الكعبة والمسجد النبوي وكل المساجد (١٢١٨)، ويدعو إلى دين جديد وكتاب جديد وقضاء جديد (١٢١٩) ويستفتح المدن بتابوت اليهود (١٢٢٠) وتنبع له عينان من ماء ولبن ويصير الرجل من الشيعة الرافضة بقوة أربعين رجلا ويمد لهم في أسماعهم وأبصارهم، ويحكم بحكم آل داود (١٢٢١).

وعقيدة الشيعة الرافضة في مهديهم المنتظر باطلة وقد دل على بطلانها عدة أوجه:

أ ـ ثبوت عدم ولادة هذا المهدي، فقد اقتضت حكمة العلي القدير أن يموت الحسن العسكري الإمام الحادي عشر عند الرافضة ولم يكن له ولد، فكانت فضيحة كبيرة وخذلان عظيم للشيعة الرافضة إذ كيف يموت الإمام ولا يوجد له من الأولاد من يخلفه في الإمامة، فعقيدة الشيعة الرافضة تنص على أن الذي يخلف الإمام بعد موته ولده، ولا يجوز أن تكون الإمامة في الإخوة بعد الحسن والحسين (١٢٢٢)، وعدم ولادة المهدي ثابتة في كتب الشيعة أنفسهم (١٢٢٣).

ب ـ لا معنى لاختفاء المهدي: لو سلمنا جدلا بولادة هذا المهدي، فإنه لا معنى لاختفائه هذه الفترة الطويلة في السرداب وإذا ما سئل الشيعة الرافضة عن الحكمة من اختفائه في السرداب وعدم خروجه للناس فإنهم يعللون ذلك بأنه يخشى على نفسه القتل (١٢٢٤)،

(١٢١٢) مصابيح الجنات، محسن العصفور صـ ٢٥٥.
(١٢١٣) الغيبة صـ ١١٥ بذل المجهود (١/ ٢٣٨).
(١٢١٤) بذل المجهود (١/ ٢٣٩).
(١٢١٥) بحار الأنوار (٥٢/ ٢٩١).
(١٢١٦) بحار الأنوار (٥٢/ ٣٨٦).
(١٢١٧) المصدر نفسه (٥٢/ ٣٥٥).
(١٢١٨) الرجعة للإحسائي صـ ١٨٤.
(١٢١٩) الغيبة صـ ١٥٤.
(١٢٢٠) بذل المجهود (١/ ٢٤٧).
(١٢٢١) بذل المجهود (١/ ٢٤٩).
(١٢٢٢) كمال الدين وتمام النعمة للصدوق صـ ٤١٤.
(١٢٢٣) أصول الكافي (١/ ٥٠٥) بذل المجهود (١/ ٢٦٧).
(١٢٢٤) (١٨٥) الغيبة صـ ١٩٩.

وهذه علة واهية قد دل على بطلانها عدة أدلة منها، أنه قد جاءت في كتبكم أنه سيكون منصورا ومؤيدا من الله (تعالى)، وأنه يملك مشارق الأرض ومغاربها فيملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا، ويعيش حتى زمن نزول عيسى ابن مريم (عليه السلام) (١٢٢٥)، كما أن قولكم هذا يترتب عليه أن المهدي لن يخرج حتى تذهب دول الجور والظلم والفساد ليأمن على نفسه من القتل، وعندئذ لا حاجة في خروجه، وهذه الدول تستطيع أن تحمي المهدي لو خرج، فلماذا لم يخرج؟ إن من لا يستطيع أن يحمي نفسه من القتل فمن باب أولى عجزه عن حماية غيره، فإن فاقد الشيء لا يعطيه، فكيف تنتظرون من هذه صفته أن ينتقم لكم من أعدائكم وينصركم عليهم نصرا مؤزرا وبهذا تكون قد بطلت دعواهم، بأن العلة من عدم خروج المهدي هو: الخوف من القتل، وبناء على هذا تبطل دعوى وجود المهدي أصلا إذ لا سبب يمنعه من الاستتار غير خوفه من القتل، كما صرح بذلك شيخ الطائفة الطوسي (١٢٢٦)، فتكون دعوى وجود المهدي باطلة بشهادة علمائهم، وهذا من توفيق الله وعظيم فضله (١٢٢٧).

جـ - أنه لم تحصل منفعة بهذا المهدي؛ ومما يدل على بطلان عقيدة الشيعة الرافضة في المهدي المنتظر: أن هذا المهدي الذي تدعيه الرافضة لم تحصل به مصلحة في شيء من أمور الدين أو الدنيا ولم ينتفع منه المسلمون بشيء لا الرافضة ولا غيرهم، قال ابن تيمية - رحمه الله - إن هذا المعصوم الذي يدعون في وقت ما قد ولد عندهم لأكثر من أربعمائة وخمسين سنة (١٢٢٨) فإنه دخل السرداب عندهم سنة ستين ومائتين، وله خمس سنين عند بعضهم وأقل من ذلك عند آخرين، ولم يظهر عنه شيء مما يفعله الإمام المعصوم، فأي منفعة للوجود في مثل هذا لو كان موجودا، فكيف إذا كان معدوما؟ والذين آمنوا بهذا المعصوم أي لطف وأي منفعة حصلت لهم به نفسه في دينهم أو دنياهم إلى أن قال: وهذا الذي تدعيه الرافضة إما مفقود عندهم، وإما معدوم عند العقلاء، وعلى التقديرين فلا منفعة لأحد به في دين ولا في دنيا (١٢٢٩) والشيعة الاثنى عشرية في هذا العصر نقضوا هذه العقيدة عمليا من خلال اعتقادهم بنظرية ولاية الفقيه وهي تجويز الحكم والولاية للمسلم العادي الغير معصوم أو عليه نص من الله ورسوله بشرط العلم والعدل.

عقيدة أهل السنة والجماعة في المهدي:

بينت الأحاديث الصحيحة أن الله (تعالى) يخرج في آخر الزمان رجلا من أهل البيت يؤيد الله به الدين، يملك سبع سنين يملأ الأرض عدلا وسلاما كما ملئت جورا وظلما، تنعم الأمة في عهده نعمة لم تنعمها قط، وتخرج الأرض نباتها، وتمطر السماء قطرها، ويعطى

(١٢٢٥) بحار الأنوار (٥٢/ ١٩١).

(١٢٢٦) الغيبة صـ ١٩٩، بذل المجهود (١/ ٢٧١).

(١٢٢٧) بذل المجهود (١/ ٢٧١).

(١٢٢٨) هذا بالنسبة لعصر ابن تيمية أما الآن فقد مضى عليه ما يزيد عن ألف ومائة وخمسين عاما.

(١٢٢٩) منهاج السنة (٨/ ٢٦١ - ٢٦٢).

المال بغير عدد ومن هذه الأحاديث:

أ- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله (ﷺ): «يخرج في آخر أمتي المهدي يسقيه الله الغيث وتخرج الأرض نباتها ويعطي المال صحاحا [(١٢٣٠)] وتكثر الماشية، وتعظم الأمة، ويعيش سبعا أو ثمانيا» [(١٢٣١)]، يعني حججا [(١٢٣٢)].

ب - عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله (ﷺ): «لا تقوم الساعة حتى تمتلئ الأرض ظلما وعدوانا»، قال: «ثم يخرج رجل من عترتي - أو من أهل بيتي - يملؤها قسطا، وعدلا، كما ملئت ظلما وعدوانا» [(١٢٣٣)].

جـ - وعن ثوبان قال: قال رسول الله (ﷺ): «يقتل عند كنزكم ثلاثة كلهم ابن خليفة، تطلع الرايات السود من قبل المشرق فيقتلونكم قتلا لم يقتله قوم - ثم ذكر شيئا لا أحفظه، فقال: - فإذا رأيتموه، فبايعوه، ولو حبوا على الثلج فإنه خليفة الله المهدي» [(١٢٣٤)] قال ابن كثير - رحمه الله -: والمراد بالكنز المذكور في هذا السياق كنز الكعبة، يقتتل عنده ليأخذه ثلاثة من أولاد الخلفاء حتى يكون آخر الزمان فيخرج المهدي، يكون ظهوره من بلاد المشرق، لا من سرداب سامراء كما يزعم جهلة الرافضة من أنه موجود فيه إلى الآن، وهم ينتظرون خروجه في آخر الزمان فإن هذا نوع من الهذيان، وقسط كبير من الخذلان شديد من الشيطان، إذ لا دليل على ذلك ولا برهان، لا من كتاب ولا من سنة، ولا معقول صحيح ولا استحسان إلى أن قال: ويؤيد بناس من أهل المشرق ينصرونه، ويقيمون سلطانه، ويشيدون أركانه، وتكون راياتهم سود - أيضا - وهو زي عليه الوقار؛ لأن راية رسول الله (ﷺ) كانت سوداء يقال لها العقاب إلى أن قال: والمقصود أن المهدي الممدوح الموعود بوجوده في آخر الزمان يكون أصل ظهوره، وخروجه من ناحية المشرق ويبايع له عند البيت كما دلت على ذلك بعض الأحاديث [(١٢٣٥)].

د - وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله (ﷺ): «كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم» [(١٢٣٦)].

هـ - وعن جابر بن عبد الله (رضي الله عنهما) قال: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول:

(١٢٣٠) بمعنى الصحيح، النهاية لابن الأثير (٣/ ١٢).

(١٢٣١) المستدرك (٤/ ٥٥٧- ٥٥٨) قال الألباني: سنده صحيح، رجاله ثقات، سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم ٧١١.

(١٢٣٢) المهدي وفق أشراط الساعة، محمد إسماعيل صـ ٣٣.

(١٢٣٣) السلسلة الصحيحة ١٥٢٩ وحكم الألباني بتواتره.

(١٢٣٤) سنن ابن ماجة (٢/ ١٣٦٧) مستدرك الحاكم (٤/ ٤٦٤)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي.

(١٢٣٥) النهاية، الفتن والملاحم (١/ ٣١).

(١٢٣٦) البخاري ك أحاديث الأنبياء(٦/ ٤٩١) مع الفتح.

«لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة إلى أن قال: فينزل عيسى ابن مريم (عليه السلام)، فيقول أميرهم: صل بنا فيقول: لا إن بعضكم على بعض أمراء تكرمة الله هذه الأمة» [(١٢٣٧)] والأحاديث التي وردت في الصحيحين تدل على أمرين:

أحدهما: أنه عند نزول عيسى ابن مريم (عليه الصلاة والسلام) من السماء يكون المتولي لإمرة المسلمين رجل منهم.

والثاني: أن حضور أميرهم للصلاة, وصلاته للمسلمين, وطلبه من عيسى (عليه السلام) عند نزوله أنه يتقدم ليصلي لهم يدل على صلاح هذا الأمير وهداه, وجاءت الأحاديث في السنن والمسانيد وغيرها مفسره لهذه الأحاديث التي في الصحيحين ودالة على أن ذلك الرجل الصالح يسمى: محمد بن عبد الله, ويقال له المهدي, والسنة يفسر بعضها بعضا.

و - فعن أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه قال: قال رسول الله (ﷺ) **«منا الذي عيسى ابن مريم يصلي خلفه»**[(١٢٣٨)].

ز - وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله (ﷺ): **«المهدي مني أجلى الجبهة أقنى الأنف, يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا ويملك سبع سنين»**[(١٢٣٩)] ولا توجد أي صله أو علاقة بين مهدي السنة ومهدي الشيعة الرافضة وهناك بعض الفوارق بينهما منها:

* أن المهدي عند أهل السنة اسمه (محمد بن عبد الله) فاسمه يوافق اسم النبي (ﷺ) واسم أبيه يوافق اسم أبيه, أما مهدي الشيعة الرافضة, فاسمه محمد بن الحسن العسكري.

* أن المهدي عند أهل السنة من ولد الحسن رضي الله عنه ومهدي الشيعة الرافضة من ولد الحسين.

* أن المهدي عند أهل السنة تكون ولادته ومدة حياته طبيعية ولم يوجد في الأحاديث ما يدل على أنه يمتاز عن غيره من الناس بشيء من ذلك, أما مهدي الشيعة الرافضة فإن حمله وولادته كانت في ليلة واحدة ودخل في السرداب وعمره تسع سنوات ومضى عليه الآن ما يزيد على ألف ومائة وخمسين سنة وهو في السرداب.

×أن المهدي عند أهل السنة يخرج لنصرة الإسلام والمسلمين ولا يفرق بين جنس وجنس, وأما مهدي الشيعة الرافضة فيخرج لنصرة الشيعة الرافضة خاصة والانتقام من أعدائهم, ويكره العرب وقريشا فلا يعطيهم إلا السيف ولا يكون من أتباعه عربي. كما دلت ذلك رواياتهم.

* أن مهدي السنة يحب صحابة النبي (ﷺ) ويترضى عنهم ويتمسك بسنتهم. كما

(١٢٣٧) مسلم ك الإيمان (٢/ ١٩٣) مع شرح النووي.

(١٢٣٨) رواه أبو نعيم في أخبار المهدي صححه الألباني صحيح الجامع (٥/ ٧١٧٠).

(١٢٣٩) سنن أبي داود ك المهدي رقم٤٢٦٥.

يحب أمهات المؤمنين ولا يذكرهن إلا بالثناء الحسن الجميل، أما مهدي الشيعة الرافضة فيبغض أصحاب النبي (ﷺ) ويخرجهم من قبورهم ويعذبهم ثم يحرقهم - على حد زعمهم - وكذلك يبغض أمهات المؤمنين، ويحد أحب نساء النبي (ﷺ) الصديقة بنت الصديق عائشة رضي الله عنها، على حد زعمهم.

* أن مهدي أهل السنة يعمل بسنة النبي (ﷺ) فلا يترك سنة إلا أقامها، ولا بدعة إلا قمعها أما مهدي الشيعة الرافضة فإنه يدعو إلى دين جديد وكتاب جديد.

* أن مهدي السنة يقيم المساجد ويعمرها، وأما مهدي الشيعة الرافضة فيهدم المساجد ويخربها، فيهدم المسجد الحرام والكعبة، ومسجد النبي (ﷺ) ولا يبقى مسجدا واحدا على وجه الأرض، كما صرحوا بذلك في رواياتهم.

* أن مهدي السنة يحكم بكتاب الله وسنة نبيه (ﷺ) أما مهدي الشيعة الرافضة فيحكم بحكم آل داود.

* أن مهدي السنة يخرج من المشرق، أما مهدي الشيعة الرافضة، فيخرج من سرداب سامراء.

* أن مهدي السنة حقيقة ثابتة دلت عليها أحاديث النبي (ﷺ) وأقوال العلماء قديما وحديثا، أما مهدي الشيعة الرافضة فوهم من الأوهام لم يخرج ولن يخرج في يوم من الأيام[١٢٤٠].

عاشرا: عقيدة الرجعة عند الشيعة الرافضة:

الرجعة من أصول المذهب الشيعي، فمن رواياتهم: ليس منا من لم يؤمن بكرتنا[١٢٤١] وقال ابن بابويه في الاعتقادات: واعتقادنا في الرجعة أنها حق[١٢٤٢] وقال المفيد: واتفقت الإمامية على وجوب رجعة كثير من الأموات[١٢٤٣] وقال الطبرسي والحر العاملي وغيرهما من شيوخ الشيعة: بأنها موضع إجماع الشيعة الإمامية[١٢٤٤] وأنها من ضروريات مذهبهم، وأنهم: مأمورون بالإقرار بالرجعة واعتقادها، وتجديد الاعتراف بها في الأدعية والزيارات ويوم الجمعة وكل وقت كالإقرار بالتوحيد والنبوة والإمامة والقيامة[١٢٤٥] ومعنى الرجعة: الرجوع إلى الدنيا بعد الموت[١٢٤٦] وقد ذهبت فرق شيعية كثيرة إلى القول برجوع أئمتهم إلى هذه الحياة ومنهم من يقر بموتهم ثم رجعتهم، ومنهم من ينكر موتهم ويقول بأنهم غابوا

(١٢٤٠) بذل المجهود(١/٢٥٦، ٢٥٧).

(١٢٤١) أصول الشيعة الإمامية (٢/١١٠٣).

(١٢٤٢) الاعتقادات صـ٩٠.

(١٢٤٣) أوائل المقالات صـ٥١.

(١٢٤٤) مجمع البيان (٥/٥٢) الإيقاظ من الهجمة صـ٣٣.

(١٢٤٥) المصدر السابق صـ٦٤.

(١٢٤٦) القاموس (٣/٢٨) مجمع البحرين (٤/٣٣٤).

وسيرجعون. وكان أول من قال بالرجعة ابن سبأ. إلا أنه قال بأنه غاب وسيرجع ولم يصدق بموته. وكانت عقيدة الرجعة خاصة برجعة الإمام عند السبئية. والكيسانية وغيرها، ولكنها صارت عند الاثنى عشرية عامة للإمام وكثير من الناس ويشير الألو سي إلى تحول مفهوم الرجعة عند الشيعة من رجعة الإمام فقط إلى ذلك المعنى العام كان في القرن الثالث(١٢٤٧) وأما المفهوم العام لمبدأ الرجعة عند الاثنى عشرية فهو يشمل ثلاثة أصناف:

١ - الأئمة الاثنى عشر. حيث يخرج المهدي من مخبئه. ويرجع من غيبته. وباقي الأئمة يحيون بعد موتهم ويرجعون لهذه الدنيا.

٢- ولاة المسلمين الذين اغتصبوا الخلافة- في نظرهم- من أصحابها الشرعيين (الأئمة الاثنى عشر) فيبعث خلفاء المسلمين وفي مقدمتهم أبو بكر وعمر وعثمان... ومن قبورهم يرجعون لهذه الدنيا - كما يزعم الشيعة الرافضة - للاقتصاص منهم بأخذهم الخلافة من أهلها فتجري عليهم عمليات التعذيب والقتل والصلب.

٣- عامة الناس. ويخص منهم: من محض الإيمان محضا. وهم الشيعة عموما. ولأن الإيمان خاص بالشيعة. كما تتفق على ذلك رواياتهم وأقوال شيوخهم ومن محض الكفر محضا وهم كل الناس ما عدا المستضعفين(١٢٤٨).

ولهذا قالوا في تعريف الرجعة إنها رجعة كثير من الأموات إلى الدنيا قبل يوم القيامة(١٢٤٩) وعودتهم إلى الحياة بعد الموت(١٢٥٠) في صورهم التي كانوا عليها(١٢٥١).

واتجه شيوخ الشيعة إلى كتاب الله (سبحانه) ليأخذوا منه الدليل على ثبوت الرجعة التي يتفردون بها عن سائر المسلمين، ولما لم يجدوا بغيتهم تعلقوا كعادتهم بالتأويل الباطني، وركبوا متن الشطط، وتعسفوا أيما تعسف في هذا السبيل، حتى أصبح استدلالهم حجة عليهم، ودليلا على زيف معتقدهم، وبرهانا على بطلان مذهبهم وإليك مثال على تفسيرهم للآيات: ويرى شيخ المفسرين عندهم أن من أعظم الأدلة على الرجعة قوله (سبحانه): ﴿وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لا يَرْجِعُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٥] حيث يقول ما نصه: هذه الآية من أعظم الأدلة على الرجعة، لأنَ أحدا من أهل الإسلام لا ينكر أن الناس كلهم - يرجعون - يوم القيامة من هلك ومن لم يهلك(١٢٥٢)، ومع أن الآية حجة عليهم، فهي تدل على نفي الرجعة على الدنيا، إذ معناها كما صرح به ابن عباس وأبو جعفر الباقر وقتادة وغير واحد: حرام على أهل كل قرية أهلكوا بذنوبهم أنهم يرجعون إلى الدنيا قبل يوم

(١٢٤٧) روح المعاني (٥/٢٧) ضحى الإسلام (٣/٢٣٧) أحمد أمين.

(١٢٤٨) أصول الشيعة الإمامية (٢/١١٠٥).

(١٢٤٩) أوائل المقالات صـ٥١.

(١٢٥٠) أصول الشيعة الإمامية (٢/١١٠٥).

(١٢٥١) أوائل المقالات صـ٩٥.

(١٢٥٢) تفسير القمي (٢/٧٦) وضع عنوان في أعلى الصفحة أعظم دليل على الرجعة.

القيامة[١٢٥٣]، وهذا كقوله (سبحانه): ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لاَ يَرْجِعُونَ﴾ [يس: ٣١]، وقوله: ﴿فَلا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلا إِلَى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾ [يس: ٥٠] وزيادة (لا) هنا لتأكيد معنى النفي من (حرام) وهذا من أساليب التنزيل البديعة النهاية في الدقة. وسر الإخبار بعد الرجوع مع وضوحه، هو الصدع بما يزعجهم ويؤسفهم، وفوات أمنيتهم الكبرى وهي حياتهم الدنيا [١٢٥٤]، وإذا كان المقصود إثبات الرجعة فيه رجعة للناس ليوم القيامة بلا ريب [١٢٥٥] أي ممتنع البتة عدم رجوعهم إلينا للجزاء [١٢٥٦].

إن فكرة الرجعة عن الشيعة الرافضة بعد الموت مخالفة صريحة لنص القرآن الكريم، وباطلة بدلالة آيات عديدة من كتاب الله (سبحانه)، قال (تعالى): ﴿قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلاَّ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ٩٩، ١٠٠] فقوله (سبحانه): ﴿وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ صريح في نفي الرجعة مطلقا [١٢٥٧]. وقال (تعالى): ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلاَ نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [الأنعام: ٢٧، ٢٨].

فهؤلاء جميعا يسألون الرجوع عند الموت، وعند العرض على الجبار (جل علاه)، وعند رؤية النار يجابون، لما سبق في قضائه أنهم إليها لا يرجعون ولذلك عد أهل العلم القول بالرجعة إلى الدنيا بعد الموت من أشد مراحل الغلو في بدعة التشيع [١٢٥٨] وقد جاء في مسند أحمد أن عاصم بن ضمرة: وكان من أصحاب علي رضي الله عنه قال للحسن بن علي: إن الشيعة يزعمون أن عليا يرجع. قال الحسن: كذب أولئك الكذابون ولو علمنا ذاك ما تزوج نساؤه ولا قسمنا ميراثه[١٢٥٩] والقول بالرجعة بعد الموت على الدنيا لمجازاة المسيئين وإثابة المحسنين ينافي طبيعة هذه الدنيا وأنها ليست دار جزاء ﴿وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥]. وقد كان لابن سبأ اليهودي دور التأسيس لمبدأ الرجعة، إلا أنها رجعة خاصة بعلي، كما أنه ينفي وقوع الموت عليه أصلا كحال الاثنى عشرية مع مهديهم الذي يزعمون وجوده، وعقيدة الرجعة عند الشيعة الإمامية خلاف ما علم من الدين بالضرورة من أنه لا حشر قبل يوم القيامة. أن الله كلما توعد كافرا أو ظالما إنما توعده بيوم القيامة، كما أنها خلاف الآيات والأحاديث المتواترة المصرحة بأنه لا رجوع إلى الدنيا قبل يوم القيامة [١٢٦٠].

(١٢٥٣) تفسير ابن كثير (٣/ ٢٠٥).
(١٢٥٤) تفسير القاسمي (١١/ ٢٩٣).
(١٢٥٥) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ١١١٢).
(١٢٥٦) فتح القدير(٣/ ٤٢٦).
(١٢٥٧) مختصر التحفة صـ٢٠١.
(١٢٥٨) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ١١٢٢).
(١٢٥٩) مسند أحمد (٢/ ٣١٢) قال أحمد شاكر إسناده صحيح.
(١٢٦٠) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ١١٢٤).

الحادي عشر: قولهم بالبداء على الله (سبحانه وتعالى):

من أصول الاثنى عشرية القول بالبداء على الله (سبحانه وتعالى) حتى بالغوا في أمره فقالوا: ما عبد الله بشيء مثل البداء [(١٢٦١)]، وما عظم الله (عز وجل) بمثل البداء [(١٢٦٢)]، ولو علم الناس ما في القول بالبداء من الأجر ما فتروا من الكلام فيه [(١٢٦٣)]، وما بعث الله نبيا قط إلا بتحريم الخمر وأن يقر لله بالبداء [(١٢٦٤)]، ويبدو أن الذي أرسى هذا المعتقد عند الاثنى عشرية هو الملقب عندهم بثقة الإسلام وهو شيخهم الكليني (ت ٣٢٨ أو ٣٢٩ هـ) حيث وضع هذا المعتقد في قسم الأصول من الكافي، وجعله ضمن كتاب التوحيد، وخصص له بابا بعنوان (باب البداء) وذكر فيه ستة عشر حديثا من الأحاديث المنسوبة للأئمة [(١٢٦٥)].

وإذا رجعت إلى اللغة العربية لتعريف معنى البدء تجد أن القاموس يقول: بدا بدوا وبداءة: ظهر. وبدا له في الأمر بدوا وبداء وبداة: نشأ له فيه رأي [(١٢٦٦)]، فالبداء في اللغة له معنيان:

١ـ الظهور بعد الخفاء تقول بدا سور المدينة، أي ظهر.

٢ـ نشأة الرأي الجديد. قال الفراء: بدا لي بداء أي: ظهر لي رأي آخر، قال الجوهري: بدا له في الأمر بداء أي نشأ له فيه رأي [(١٢٦٧)]. وكلا المعنيين ورد في القرآن، فمن الأول قوله (تعالى): ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٤].

ومن الثاني قوله: ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّن بَعْدِ مَا رَأَوُاْ الآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ﴾ [يوسف: ٣٥] وواضح أن البداء بمعنييه يستلزم سبقَ الجهل وحدوثَ الجهل وحدوثَ العلم وكلاهما محال على الله (سبحانه)، ونسبته إلى الله (سبحانه) من أعظم الكفر، فكيف تجعل الشيعة الاثنى عشرية هذا من أعظم العبادات وتدعي أنه ما عظم الله (عز وجل) بمثل البداء؟ سبحانك هذا بهتان عظيم [(١٢٦٨)]. هذا المعنى المنكر يوجد في كتب اليهود، فقد جاء في التوراة التي حرفها اليهود وفق ما شاعت أهواؤهم نصوص صريحة تتضمن نسبة معنى البداء إلى الله (سبحانه) [(١٢٦٩)]، ويبدو أن ابن سبأ اليهودي قد حاول إشاعة هذه المقالة، التي

(١٢٦١) أصول الكافي (١/ ١٤٦).

(١٢٦٢) المصدر نفسه (١/ ١٤٦).

(١٢٦٣) المصدر نفسه (١/ ١٤٨).

(١٢٦٤) المصدر نفسه (١/ ١٤٨).

(١٢٦٥) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ١١٣٣).

(١٢٦٦) القاموس المحيط (٤/ ٣٠٢).

(١٢٦٧) الصحاح (٦/ ٢٢٧٨)، لسان العرب (١٤/ ٦٦).

(١٢٦٨) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ١١٣٥).

(١٢٦٩) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ١١٣٦).

أخذها من (توراته) في المجتمع الإسلامي الذي حاول التأثير فيه باسم التشيع وتحت مظلة الدعوة إلى ولاية علي رضي الله عنه ذلك أن فرق السبئية كلهم يقولون بالبداء وأن الله تبدو له البداوات (١٢٧٠) ثم انتقلت هذه المقالة إلى فرقة (الكيسانية) أو المختارية أتباع المختار بن أبي عبيد الثقفي وهي الفرقة التي اشتهرت بالقول بالبداء والاهتمام به، والتزامه عقيدة (١٢٧١). وكان شيوخ الشيعة يمنون أتباعهم بأن الأمر سيعود إليهم، والدولة ستكون لهم، حتى إنهم حدوا ذلك بسبعين سنة في رواية نسبوها لأبي جعفر، فلما مضت السبعون ولم يتحقق شيء من تلك الوعود اشتكى الأتباع من ذلك فحاول مؤسسو المذهب الخروج من هذا المأزق بالقول: بأنه قد بدا لله (سبحانه) ما اقتضى تغيير هذا الوعد (١٢٧٢).

وقد دل القرآن الكريم على إثبات صفة العلم لله (تعالى)، وعلى بطلان ما نسبته الشيعة الرافضة من عقيدة البداء لله التي أفضت إلى نسبة الجهل إليه (تعالى) والآيات الدالة على إثبات صفة العلم لله (تعالى) كثيرة منها قوله (تعالى): ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ * وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ﴾ [الأنعام: ٥٩ ـ ٦٠].

وقال (تعالى): ﴿أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤].

قال ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: قد دلت هذه الآية على وجوب علمه بالأشياء من وجوه انتظمت... لأهل النظر والاستدلال القياسي العقلي أحدها: أنه خالق لها، والخلق هو الإبداع بتقدير، ذلك يتضمن تقديرها في العلم قبل تكونها في الخارج.

الثاني: أن ذلك مستلزم للإرادة والمشيئة، والإرادة مستلزمة لتصور المراد والشعور به.

الثالث: إنها صادرة عنه، وهو سببها التام، والعلم بأصل الأمر وسببه يوجب العلم بالفرع المسبب، فعلمه بنفسه مستلزم بكل ما يصدر عنه.

الرابع: أنه في نفسه لطيف يدرك الدقيق، خبير، يدرك الخفي، وهذا هو مقتضى العلم بالأشياء، مستغن بنفسه عنها، كما هو غني بنفسه في جميع صفاته (١٢٧٣)، وقد دلت الآيات كذلك على تقدير الله (تعالى) للكون قبل أن يخلقه، وذلك بناء على علمه السابق بهذا الكون قبل وجوده، قال (تعالى): ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً﴾ [الفرقان: ٢] وقال (تعالى): ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى * وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾ [الأعلى: ٢، ٣] فهذه الآيات الكريمات فيها أعظم رد على الشيعة الرافضة الذين زعموا أن الله (تعالى) لا يعلم الحوادث

(١٢٧٠) التنبيه والرد للملطي صـ ١٩.
(١٢٧١) أصول الشيعة الإمامية (٢/ ١١٣٦).
(١٢٧٢) تفسير العياشي (٢/ ٢١٨)، بحار الأنوار (٤/ ١١٤).
(١٢٧٣) الفتاوى (٢/ ٢١١).

إلا بعد حدوثها، وأنه قد يأمر بأمر ثم يتغير رأيه بناء على تجديد المصلحة، فالله (تعالى) قبل أن يخلق هذا الخلق قدره، وليس في العالم شيء يخرج عن تقديره، ولا تدبيره، ولا يتجاوز ما كتب الله في اللوح المحفوظ قبل خلق المخلوقات ووجود الكائنات ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون [١٢٧٤].

وقد دلت السنة على إثبات صفة العلم لله (تعالى)، روى البخاري أن رسول الله (ﷺ) قال: «**مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله لا يعلم ما في غد إلا الله، ولا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله، ولا يعلم متى يأتي المطر أحد إلا الله، ولا تدري نفس بأي أرض تموت ولا يعلم متى تقوم الساعة**»[١٢٧٥]، وهذه الأمور التي جاءت في الحديث أمور مستقبلية دل الحديث على علم الله بها قبل حدوثها، وقال النبي (ﷺ): «**قدر الله مقادير الخلق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء**»[١٢٧٦] وقد جاءت في كتب الشيعة في ذلك الركام الهائل من الأباطيل روايات قد تكون وثيقة الصلة بعلماء آل البيت لأنها تعبر عن المعنى الحق وهو ما يليق بأولئك الصفوة، وقد تكون من آثار الشيعة المعتدلة، فعن منصور بن حازم قال: سألت أبا عبد الله ـ عليه السلام ـ يكون اليوم شيء لم يكن في علم الله (تعالى) بالأمس ؟ فقال : من قال هذا فأخزاه الله، قلت: أرأيت ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة أليس في علم الله؟ قال : بلى ، قبل أن يخلق الخلق [١٢٧٧].

الثاني عشر: موقف أهل البيت من الشيعة الرافضة:

أئمة أهل البيت كسائر أهل السنة في موقفهم من الرافضة ومن عقائدهم، فهم يعتقدون ضلالهم وانحرافهم عن السنة، وبعدهم عن الحق، وهم من أشد الناس ذما ومقتا لهم وذلك لنسبتهم تلك العقائد الفاسدة إليهم، وكثرة كذبهم عليهم، وقد تعددت عبارات أهل البيت وتنوعت في ذم الشيعة الرافضة وبراءتهم من عقيدتهم، فمما جاء عنهم في براءتهم من عقائد الشيعة الرافضة وتأصيلهم عقيدة أهل السنة [١٢٧٨].

١ـ ما ثبت عن علي رضي الله عنه وتواتر عنه أنه قال وهو على منبر الكوفة:

خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر (رضي الله عنهما) [١٢٧٩]، وعنه رضي الله عنه قال: لا يفضلني أحد على الشيخين إلا جلدته حد المفتري [١٢٨٠]، وفي الصحيحين أنه قال في حق عمر عند تشييعه: ما خلق أحد أحب إلي من أن ألقى الله بمثل عمله منك وايم

(١٢٧٤) بذل المجهود (١/ ٣٤٠) .

(١٢٧٥) البخاري رقم ٤٦٩٧ .

(١٢٧٦) مسلم رقم ١٦ .

(١٢٧٧) التوحيد لابن بابويه صـ ٣٣٤، أصول الكافي (١/ ٤٨) رقم ١٠ .

(١٢٧٨) الانتصار للصحب والآل صـ ١١٢ .

(١٢٧٩) اللالكائي (٧/١٣٦٦ ـ ١٣٩٧).

(١٢٨٠) السنة لابن أبي عاصم صـ ٥٦١ .

الله إن كنت لأظن أن يجعلك الله مع صاحبيك وذلك أني كنت أسمع كثيرا رسول الله (ﷺ) يقول: «**ذهبت أنا وأبو بكر وعمر**» وإن كنت لأظن أن يجعلك الله معهما [١٢٨١]، وهذه الآثار - الثابتة عن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه تناقض عقيدة الشيعة في الشيخين، كما تقدم، وتدل على براءة علي رضي الله عنه من الشيعة الرافضة ومن عقيدتهم، وتوليه للشيخين وسائر أصحاب النبي (ﷺ) وحبه لهم - كما بينا سابقا - وإقراره للشيخين بالفضل عليه، وعقوبته من فضله عليهما، وتمنيه أن يلقى الله بمثل عمل عمر رضي الله عنه وعن سائر أصحاب النبي الطيبين المطهرين من كل ما ينسبه إليهم أهل البدع من الشيعة الرافضة والخوارج المارقين ثم من بعد علي رضي الله عنه جاءت أقوال أبنائه، وأهل بيته، في البراءة من الرافضة ومن عقيدتهم وانتقادهم لعقيدة أهل السنة [١٢٨٢].

٢- قول الحسن بن علي (رضي الله عنهما):

عن عمرو بن الأصم قال: قلت للحسن: إن الشيعة تزعم أن عليا مبعوث قبل يوم القيامة، قال: كذبوا والله ما هؤلاء بالشيعة لو علمنا أنه مبعوث، ما زوجنا نساءه، ولا اقتسمنا ماله [١٢٨٣].

وروى أبو نعيم: قيل للحسن بن علي (رضي الله عنهما) إن الناس يقولون: إنك تريد الخلافة، قال: كانت جماجم العرب في يدي، يحاربون من حاربت، يسالمون من سالمت، فتركتها ابتغاء وجه الله، وحقن دماء أمة محمد (ﷺ) [١٢٨٤].

٣- قول الحسين بن علي (رضي الله عنهما):

كان يقول في شيعة العراق - الذين كاتبوه ووعدوه بالنصر، ثم تفرقوا عنه وأسلموه إلى أعدائه - اللهم ! إن أهل العراق غروني، وخدعوني، صنعوا بأخي ما صنعوا، اللهم ! شتت عليهم أمرهم وأحصهم عددا [١٢٨٥] ثم كان نتيجة غدرهم وخذلانهم له استشهاده رضي الله عنه هو وعامة من كان معه من أهل بيته، بعد أن تفرق عنه هؤلاء الخونة، فكان مقتله رضي الله عنه معيبة عظيمة، ومأساة جسيمة يتفطر لها قلب كل مسلم [١٢٨٦].

٥ - قول علي بن الحسين - رحمه الله -:

ثبت عنه أنه قال: يا أهل العراق أحبونا حب الإسلام، ولا تحبونا حب الأصنام فما زال بنا حبكم حتى صار علينا شينا [١٢٨٧]، وعنه - رحمه الله -، انه جاءه نفر من أهل العراق،

(١٢٨١) البخاري، رقم ٣٦٨٥.
(١٢٨٢) الانتصار للصحب والآل صـ ١١٤ .
(١٢٨٣) سير أعلام النبلاء (٣/ ٢٦٣) .
(١٢٨٤) حلية الأولياء (٢/ ٣٧) .
(١٢٨٥) سير أعلام النبلاء (٤/ ٣٠٢) .
(١٢٨٦) سير أعلام النبلاء (٤/ ٣٠٢) .
(١٢٨٧) سير أعلا م النبلاء (٤/ ٣٩٠) .

فقالوا في أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم، فلما فرغوا قال لهم: ألا تخبروني أنتم المهاجرون الأولون الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون، قالوا: لا، قال: فأنتم الذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة، ومن يوق شح نفسه، فأولئك هم المفلحون، قالوا: لا، قال: أشهد أنكم لستم من الذين قال الله (عز وجل) فيهم: ﴿وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠] اخرجوا فعل الله بكم [١٢٨٨] ! !

٦- قول محمد بن علي (الباقر):

عن محمد بن علي أنه قال: أجمع بنو فاطمة على أن يقولوا في أبي بكر وعمر أحسن ما يكون من القول [١٢٨٩]، وعنه - رحمه الله - أنه قال لجابر الجعفي: إن قوما بالعراق يزعمون أني أمرتهم بذلك، فأخبرهم أني أبرأ إلى الله تعالى منهم ، والله بريء منهم ، والذي نفس محمد بيده لو وليت ، لتقربت إلى الله بدمائهم لا نالتني شفاعة محمد ، إن لم أكن أستغفر الله لهما، وأترحم عليهما، إن أعداء الله غافلون عنهما [١٢٩٠] ، وعن بسام الصيرفي قال : سألت أبا جعفر عن أبي بكر وعمر فقال : والله إني لأتولاهما ، وأستغفر لهما . وما أدركت أحدا من أهل بيتي إلا هو يتولاهما [١٢٩١] .

٧ - قول زيد بن علي - رحمه الله -:

عن زيد بن علي أنه قال: كان أبو بكر إمام الشاكرين. ثم تلا: (وسيجزي الله الشاكرين) [آل عمران: ١٤٤] ثم قال البراءة من أبي بكر هي البراءة من علي [١٢٩٢] رضي الله عنهما فإن شئت فتقدم، وإن شئت فتأخر [١٢٩٣] .

٨- قول جعفر بن محمد (الصادق):

عن عبد الجبار بن عباس الهمداني ، أن جعفر بن محمد أتاهم وهم يريدون أن يرحلوا من المدينة فقال : إنكم إن شاء الله من صالحي أهل مصركم ، فأبلغوا عني من زعم أني إمام معصوم مفترض الطاعة ، فأنا منه بريء [١٢٩٤] ، ومن زعم أني أبرأ من أبي بكر وعمر ، فأنا منه بريء وعن سالم عن أبي بكر وعمر فقال : يا سالم تولهما وابرأ من عدوهما ، فإنهما كانا إمامي هدى ، ثم قال جعفر أيسب الرجل جده ؟ أبو بكر جدي، لا نالتني

(١٢٨٨) الحلية (٣/١٣٧) .
(١٢٨٩) سير أعلام النبلاء (٤/٤٠٦) .
(١٢٩٠) الاعتقاد للبيهقي صـ٣٦١ . (١٢٩١) سير أعلام النبلاء (٤/٤٠٣) .
(١٢٩٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٧/١٣٠٢) .
(١٢٩٣) النهي عن سب الأصحاب المقدسي صـ٧٥.
(١٢٩٤) سير أعلام النبلاء (٦/٢٥٩) .

شفاعة محمد (ﷺ) يوم القيامة إن لم أكن أتولاهما وأبرأ من عدوهما [١٢٩٥] وعن جعفر بن محمد أنه كان يقول: ما أرجو من شفاعة علي شيئا، إلا وأنا أرجو من شفاعة أبي بكر مثله، لقد ولدني مرتين [١٢٩٦].

وعنه ـ رحمه الله ـ أنه سئل عن أبي بكر وعمر فقال إنك تسألني عن رجلين قد أكلا من ثمار الجنة [١٢٩٧] ـ وعنه أنه قال ـ برئ الله ممن تبرأ من أبي بكر وعمر [١٢٩٨]، قال الذهبي معقبا على هذا الأثر: قلت هذا القول متواتر عن جعفر الصادق، أشهد بالله أنه لبار في قوله غير منافق لأحد، فقبح الله الرافضة [١٢٩٩].

فهذه هي أقوال أئمة أهل البيت، الطيبين الطاهرين، الذين تدعي الشيعة الرافضة إمامتهم وولايتهم، وينسبون إليهم عقيدتهم موضحة ومبينة موقفهم من الشيعة الرافضة، ومن دينهم، وبراءتهم منهم ومن كل ما يفعلونه بهم من عقائدهم الفاسدة، ومطاعنهم على خيار الصحابة، وأمهات المؤمنين، وأن هؤلاء الأئمة من أهل البيت على عقيدة السنة، ظاهرا وباطنا، في كل كبير وصغير، فهي عقيدتهم التي بها يدينون، عليها يوالون ويعادون وأن من نسب لهم غير ذلك فهو كاذب عليهم ظالم لهم، فرحمهم الله رحمه واسعة وأخزى الله من ألصق بهم الأكاذيب [١٣٠٠].

الثالث عشر: وجهة نظر التقريب بين أهل السنة والشيعة:

لقد تبين لنا من خلال البحث مدى ما عند الشيعة الروافض من ضلال وبدع وانحراف عن كتاب الله وسنة رسوله والخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم ومدى الأخطار والأضرار الكبيرة التي احتوت عليها كتبهم المعتمدة في مجال التفسير والتوحيد والحديث وغيرها وأنها تصيب المسلمين في صميم دينهم، وفي أصول اعتقادهم، وكل دعوة تقريب تستلزم ضمنا الاعتراف بهذه الكتب التي لا يصل الكيد الاستشراقي والتبشيري إلى مستوى ما وصلت إليه من محاولات لتغيير دين الله وشرعه باسم الإسلام، بل إن الاستشراق والتبشير من معينها يرتوي وعلى شبهاتها وأساطيرها يعتمد في إفساده وتآمره على الدين وأهله، ولهذا فإن هناك علاقة وثيقة بل تشابها تاما بين شبهات المستشرقين والمبشرين وآراء الشيعة والروافض وليس هذا بجديد ـ وهذه العلاقة تستحق أن يفرد لها رسالة علمية خاصة ـ فمن قديم كان الأعداء يستخدمون (آراء) الشيعة الروافض تكأة لهم في محاربة الإسلام وأهله، بل كان جنود الشيعة الروافض أمضى سلاحا في يد الأعداء وكان التشيع الرافضي مأوى لكل من أراد هدم

(١٢٩٥) سير أعلام النبلاء (٦/ ٢٥٨).
(١٢٩٦) سير أعلام النبلاء (٦/ ٢٥٥).
(١٢٩٧) الانتصار للصحب والآل صـ١١٩.
(١٢٩٨) سير أعلام النبلاء (٦/ ٢٦٠).
(١٢٩٩) سير أعلام النبلاء (٦/ ٢٦٠).
(١٣٠٠) الانتصار للصحب والآل صـ١٢٠.

الإسلام من ملحد وحاقد وموتور، وأيام التاريخ مليئة بمؤامراتهم وخياناتهم ومؤازرتهم للأعداء ومن أبرز الأسباب في ذلك، أن هؤلاء الشيعة الروافض لا يؤمنون بشرعية حكومة إسلامية إلا حكومة المنتظر الذي غاب أكثر من أحد عشر قرنا، ولهذا وجد الأعداء مدخلا إلى قلوبهم من هذا الطريق (١٣٠١)، قال ابن تيمية: وكثير منهم يواد الكفار من وسط قلبه أكثر من مودته للمسلمين ولهذا لما خرج الترك الكفار من جهة المشرق وقتلوا المسلمين وسفكوا دماءهم ببلاد خراسان والعراق والشام والجزيرة وغيرها كانت الرافضة معاونة لهم على المسلمين، وكذلك كانوا بالشام وحلب وغيرها من الرافضة كانوا من أشد الناس معاونة لهم على قتال المسلمين، وكذلك النصارى الذين قاتلوا المسلمين بالشام كانت الرافضة من أعظم المعاونين لهم، فهم دائما يوالون الكفار - من المشركين والنصارى ويعاونوهم على قتال المسلمين ومعاداتهم (١٣٠٢) ويكفي للتأكيد على ذلك شواهد تاريخية منها:

١ - مؤامرة ابن العلقمي الرافضي في إسقاط بغداد ٦٥٦ هـ:

وملخص الحادثة أن ابن العلقمي كان وزيرا للخليفة العباسي المستعصم وكان الخليفة على مذهب أهل السنة، كما كان أبوه وجده، ولكن كان فيه لين وعدم تيقظ، فكان هذا الوزير الرافضي يخطط للقضاء على دولة الخلافة، وإبادة أهل السنة، وإقامة دولة على مذهب الشيعة الرافضة، فاستغل منصبه، وغفلة الخليفة لتنفيذ مؤامرته ضد الخلافة وكانت خيوط مؤامراته تتمثل في ثلاث مراحل:

أ- المرحلة الأولى: إضعاف الجيش، ومضايقة الناس، حيث سعى في قطع أرزاق عسكر المسلمين، وضعفهم. قال ابن كثير: وكان الوزير ابن العلقمي يجتهد في صرف الجيوش، وإسقاط اسمهم من الديوان فكانت العساكر في آخر أيام المستنصر قريبا من مائة ألف مقاتل.. فلم يزل يجتهد في تقليلهم، إلى أن لم يبق سوى عشرة آلاف (١٣٠٣).

ب- المرحلة الثانية: مكاتبة التتار، يقول ابن كثير: ثم كاتب التتار وأطمعهم في أخذ البلاد وسهل عليهم ذلك، وحكى لهم حقيقة الحال وكشف لهم ضعف الرجال (١٣٠٤).

جـ- المرحلة الثالثة: النهي عن قتال التتار وتثبيط الخليفة والناس: فقد نهى العامة عن قتالهم (١٣٠٥)، وأوهم الخليفة وحاشيته أن ملك التتار يريد مصالحتهم، وأشار على الخليفة بالخروج إليه والمثول بين يديه لتقع المصالحة على أن يكون نصف خراج العراق لهم، ونصفه للخليفة فخرج الخليفة إليه في سبعمائة راكب من القضاة والفقهاء، والأمراء والأعيان. فتم بهذه الحيلة قتل الخليفة ومن معه من قواد الأمة وطلائعها بدون أي جهد من التتار. وقد أشار

(١٣٠١) مسألة التقريب (٢/ ٢٦١ - ٢٧٨).
(١٣٠٢) منهاج السنة (٢/ ١٠٤).
(١٣٠٣) البداية والنهاية (١٣/ ٢٠٢).
(١٣٠٤) المصدر نفسه (١٣/ ٢٠٢).
(١٣٠٥) منهاج السنة (٣/ ٣٨).

أولئك الملأ من الشيعة الرافضة وغيرهم من المنافقين على هؤلاء ألا يصالح الخليفة وقال الوزير ابن العلقمي، متى وقع الصلح على المناصفة لا يستمر هذا إلا عامًا أو عامين ثم يعود الأمر إلى ما كانت عليه قبل ذلك، وحسنوا له قتل الخليفة، ويقال: إن الذي أشار بقتله: الوزير ابن العلقمي ونصير الطوسي [(١٣٠٦)] ، ثم مالوا على البلد فقتلوا جميع من قدروا عليه من الرجال والنساء والولدان والمشايخ والكهول والشباب ، ولم ينج منهم أحد سوى أهل الذمة من اليهود والنصارى ، ومن التجأ إليهم ، وإلى دار الوزير ابن العلقمي الرافضي، وقد قتلوا من المسلمين ما يقال إنه بضعة عشر ألف ألف إنسان أو أكثر أو أقل ، ولم ير الإسلام ملحمة مثل ملحمة الترك الكفار المسمين بالتتار ، وقتلوا الهاشميين ، وسبوا نساءهم من العباسيين ، وغير العباسيين فهل يكون مواليا لآل رسول الله (ﷺ) من يسلط الكفار على قتلهم وسبيهم وعلى سائر المسلمين [(١٣٠٧)]؟ وقتل الخطباء والأئمة حملة القرآن ، وتعطلت المساجد ، والجماعات ، مدة شهور ببغداد [(١٣٠٨)] . وكان هدف ابن العلقمي أن يزيل السنة بالكلية وأن يظهر البدعة الرافضة، وأن يبني للرافضة مدرسة هائلة ينشرون بها مذهبهم فلم يقدره الله على ذلك، بل أزال نعمته عنه وقصف عمره بعد شهور يسيرة من هذه الحادثة، وأتبعه بولده [(١٣٠٩)] .

١ـ الدولة الصفوية:

في الدولة الصفوية، والتي أسسها الشاه إسماعيل الصفوي فرض التشيع الاثنى عشرية على الإيرانيين قسرا، وجعل المذهب الرسمي لإيران وكان إسماعيل قاسيا متعطشا للدماء إلى حد لا يكاد يصدق [(١٣١٠)]، ويشيع عن نفسه أنه معصوم وليس بينه وبين المهدي فاصل ، وأنه لا يتحرك إلا بمقتضى أوامر الأئمة الاثنى عشر [(١٣١١)] ، ولقد تقلد سيفه وأعمله في أهل السنة ، وكان يتخذ سب الخلفاء الثلاثة وسيلة لامتحان الإيرانيين ، وقد أمر الشاه أن يعلن السب في الشوارع ، والأسواق وعلى المنابر منذرا المعاندين بقطع رقابهم ، وكان إذا فتح مدينة أرغم أهلها على اعتناق الرفض بقوة السلاح [(١٣١٢)] ، ولقد آزر شيوخ الروافض سلاطين الصفويين في الأخذ بالتشيع إلى مراحل من الغلو وفرض ذلك على مسلمي إيران بقوة الحديد والنار وكان من أبرز هؤلاء الشيوخ شيخهم علي الكركي [(١٣١٣)] ، الذي يلقبه

(١٣٠٦) كان النصير عند هولاكو قد استصحبه في خدمته لما فتح قلاع الأموات وانتزعها من أيدي الإسماعيلية. البداية والنهاية (١٣/٢٠١) .

(١٣٠٧) منهاج السنة (٣/٣٨) .

(١٣٠٨) البداية والنهاية (١٣/٢٠٣) .

(١٣٠٩) المصدر السابق (١٣/٢٠٢ـ ٢٠٣).

(١٣١٠) لمحات اجتماعية من تاريخ العراق. علي الوردي صـ ٥٦ .

(١٣١١) الفكر الشيعي والنزعات الصوفية، كامل الشيبي صـ ٤١٣ .

(١٣١٢) أصول الشيعة الإمامية (٣/١٤٧٥) .

(١٣١٣) المصدر نفسه (٣/١٤٧٦) .

الشيعة بالمحقق الثاني والذي لقبه الشاه طهماسب ، ابن الشاه إسماعيل وجعله الآمر المطاع في الدولة ، وكذلك كان من شيوخ الدولة الصفوية المجلسي ، والذي شارك السلطة في التأثير على المسلمين في إيران حتى يقال بأن كتابه حق اليقين كان سببا في تشيع سبعين ألف سني من الإيرانيين [١٣١٤] ، والأقرب أن هذا من مبالغات الشيعة ، فإن الرفض في إيران لم يجد مكانه إلا بالقوة والإرهاب لا بالفكر والإقناع[١٣١٥] .

ولا ينسى الجانب الآخر من أثر الدولة الصفوية ، وذلك في حروبها لدولة الخلافة الإسلامية العثمانية ، وتعاونها مع الأعداء من البرتغال ثم الإنجليز ضد المسلمين ، وتشجيعها لبناء الكنائس ودخول المبشرين والقسس ، مع محاربتهم للسنة وأهلها [١٣١٦] . هذه بعض آثار دولهم وأفرادهم في هذا المجال، ومن كلمات ابن تيمية ـ رحمه الله ـ الخالدة والمهمة في هذا الموضوع والتي إذا طبقتها على الواقع، وإذا استقرأت من خلالها وقائع التاريخ رأيت صدقها كالشمس قوله ـ رحمه الله ـ: فلينظر كل عاقل فيما يحدث في زمانه وما يقرب من زمانه من الفتن والشرور والفساد في الإسلام فإنه يجد معظم ذلك من قبل الرافضة، وتجدهم من أعظم الناس فتنا وشرا، وأنهم لا يقعدون عما يمكنهم من الفتن والشرور وإيقاع الفساد بين الأمة [١٣١٧] ونحن قد علمنا بالمعاينة والتواتر أن الفتن والشرور العظيمة التي لا تشابهها فتن، إنما تخرج عنهم [١٣١٨] . فمع من نتحد يا معشر أهل السنة ؟ مع من يطعن في قرآننا ويفسره على غير تأويله ويحرف الكلم عن مواضعه ويكفر الصديق والفاروق وأم المؤمنين وأحب نسائه إليه عائشة (رضي الله عنها) وطلحة والزبير وغيرهم من أجلة الصحابة (رضوان الله عليهم) ويخادع المسلمين باسم التقية [١٣١٩] .

١ـ من التجارب المعاصرة في التقريب:

أ ـ تجربة مصطفى السباعي:

بذل الدكتور مصطفى السباعي عدة مساع مع بعض علماء الشيعة في مسألة التقريب، وسعى لعقد مؤتمر إسلامي لدراسة السبل الكفيلة لإرساء دعائم الألفة والمودة والتقارب بين الفريقين، وكان يرى من أكبر العوامل في التقريب أن يزور علماء الفريقين بعضهم بعضا وأن تصدر الكتب والمؤلفات التي تدعو إلى التقارب، وكما يرى عدم إصدار الكتب التي تثير ثائرة أحد الطرفين، وقام مصطفى السباعي بزيارة أحد مراجع الشيعة الكبار ومن يعتبر عندهم من أكبر دعاة الوحدة الإسلامية والتقريب بين المذاهب والدعوة إلى توحيد الصف وجمع الكلمة

(١٣١٤) عقيدة الشيعة / دونلدسن صـ ٣٠٢ .

(١٣١٥) أصول الشيعة الإمامية (١٤٧٨/٢) .

(١٣١٦) المصدر نفسه (١٤٧٨/٢) .

(١٣١٧) منهاج السنة (٢٤٣/٣) .

(١٣١٨) المصدر السابق (٢٤٥/٣) .

(١٣١٩) مسألة التقريب (٢٨٠/٢) .

وهو شيخهم عبد الحسين شرف الدين الموسوي فلقيه متحمسا لهذه الفكرة ومؤمنا بها واتفق معه على عقد مؤتمر إسلامي بين علماء السنة والشيعة لهذا الغرض، كما قام السباعي بزيارة وجوه الشيعة من سياسيين وتجار وأدباء للغرض نفسه وخرج من هذه الاتصالات فرحا جدا لحصوله على تلك النتائج، وما كان يخطر ببال السباعي ـ رحمه الله ـ أو يدور بخلده ما تنطوي عليه نفوس القوم من أهداف، وما يرمون إليه من وراء دعوته التقريب من خطط، حتى فوجئ السباعي ـ كما يقول ـ بعد فترة بأن هذا الموسوي المتحمس للتقريب قام بإصدار كتاب في أبي هريرة رضي الله عنه مليء بالسباب والشتائم بل انتهى فيه إلى القول بأن أبا هريرة رضي الله عنه كان منافقا كافرا وأن الرسول قد أخبر عنه بأنه من أهل النار (١٣٢٠)، ثم يقول السباعي: لقد عجبت من موقف عبد الحسين في كلامه وفي كتابه معا ذلك الموقف الذي لا يدل على رغبة صادقة في التقارب ونسيان الماضي (١٣٢١)، ويذكر السباعي أن غاية ما قدم شيوخ الشيعة تجاه فكرة التقريب هي جملة من المجاملة في الندوات والمجالس مع استمرار كثير منهم في سب الصحابة وإساءة الظن بهم، واعتقاد كل ما يروى في كتب أسلافهم من تلك الروايات والأخبار (١٣٢٢)، ويذكر أنهم وهم ينادون بالتقريب لا يوجد لروح التقريب أثر لدى علماء الشيعة في العراق وإيران فلا يزال القوم مصرين على ما في كتبهم من ذلك الطعن الجارح والتصوير المكذوب لما كان بين الصحابة من خلاف، كأن المقصود من دعوة التقريب هي تقريب أهل السنة إلى مذهب الشيعة (١٣٢٣)، ويذكر السباعي، أن كل بحث علمي في تاريخ السنة أو المذاهب الإسلامية لا يتفق مع وجهة نظر الشيعة يقيم بعض علمائهم النكير على من يبحث في ذلك ويتسترون وراء التقريب ويتهمون صاحب هذا البحث بأنه متعصب معرقل لجهود المصلحين في التقريب، ولكن كتابا، ككتاب عبد الحسين شرف الدين في الطعن في أكبر صحابي موثوق في روايته للأحاديث في نظر أهل السنة لا يراه أولئك العاتبون أو الغاضبون عملا معرقلا لجهود الساعين إلى التقريب، ويقول: لست أحصر المثال بكتاب (أبي هريرة) المذكور، فهناك كتب تطبع في العراق وفي إيران وفيها من التشنيع على جمهور الصحابة ما لا يتحمل سماعه إنسان ذو وجدان وضمير مما يؤجج نيران التفرقة من جديد (١٣٢٤)، هذه تجربة الشيخ السباعي ـ رحمه الله ـ ومحاولته أفلست أمام تعصب شيوخ الشيعة وإصرارهم في عدوانهم على خير جيل وجد في خير القرون (١٣٢٥).

لقد أصبح التقريب في مفهوم الشيعة الرافضة، أن يتاح لهم المجال لنشر عقائدهم في ديار السنة، وأن يستمروا في نيلهم من أصحاب رسول الله (ﷺ)، وأن يسكت أهل السنة عن

(١٣٢٠) المصدر السابق صـ ٩.
(١٣٢١) المصدر السابق صـ ١٠.
(١٣٢٢) المصدر السابق صـ ٩ ـ ١٠.
(١٣٢٣) المصدر السابق صـ ٩ ـ ١٠.
(١٣٢٤) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي صـ ١٠.
(١٣٢٥) مسألة التقريب (١٩٨/٢).

بيان الحق، وإن سمع الروافض الحق يعلو هاجوا وماجوا قائلين: إن الوحدة في خطر[١٣٢٦].

ب- تجربة الشيخ موسى جار الله:

هذا الشيخ الجليل من علماء روسيا فهو موسى بن جار الله التركستاني القازاني الروسي شيخ مشايخ روسيا في نهاية العصر القيصري وبداية الحكم السوفيتي كان صاحب الكلمة الأولى والأخيرة في أمور مسلمي روسيا الذين كانوا يزيدون عن الثلاثين مليون نسمة، ثم هب عليه إعصار الشيوعية، فأصبح بعيدا عن دياره وأهله، له تأليف رسائل وكتب، تنقل بين الهند والحجاز ومصر والعراق وإيران، قال عن نفسه: كان بوسعي أن أعد كاتب روسيا الأول وأحد زعماء الطليعة فيها لو أنني تخليت عن إيماني، ولكنني آثرت أن أشتري الآخرة بالدنيا [١٣٢٧]. حاول هذا العالم الجليل أن يجمع شمل الأمة، وأن يوحد أهل السنة والشيعة وبذل جهودا في هذا الجانب عظيمة، فبدأ بدراسة كتب الشيعة وطالعها باهتمام كما يذكر أنه طالع " أصول الكافي وفروعه " " ومن لا يحضره الفقيه "، وكتاب " الوافي " و" مرآة العقول " و" بحار الأنوار " و" غاية المرام " وكتب كثيرة وغير هذه الكتب [*] ثم زار ديار الشيعة وعاش فيها أكثر من سبعة أشهر يزور معابدها ومشاهدها ومدارسها ويحضر محافلها وحفلاتها في العزاء والمآتم، ويحضر حلقات الدروس في البيوت والمساجد وصحونها، والمدارس وحجراتها ، وأقام بالنجف أيام الحرم ورأى كل ما تأتي به الشيعة أيام العزاء ويوم عاشوراء ، وخرج هذا العالم بنتيجة علمية ، فرأى ببصيرته النافذة وعلمه الغزير أن نقد عقائد الشيعة وواقعها هو أول مرحلة من تأليف قلوب الأمة لا تأليف بدونها ، وكان أول مساعيه في التقريب لقاؤه مع شيخ الشيعة محسن الأمين في طهران ، وجرى بينهما بعض الحديث ، ثم قدم له الشيخ موسى ورقة صغيرة كان تاريخ الرسالة ٢٦/ ٨/ ١٩٣٤ وأرسل منها نسخة إلى علماء النجف ، وأخرى إلى علماء الكاظمية ، فكتب فيها : أقدم هذه المسائل لأساتذة النجف الأشرف بيد الاحترام ، بأمل الاستفادة بقلب سليم صادق ، كله رغبة في تأليف عالمي الإسلام الشيعة الإمامية الطائفة المحقة - يعني على زعمهم[١٣٢٨] - وعامة أهل السنة والجماعة راجيا إجابة الأساتذة جميعا أو فرادى، وكل ببيانه البليغ، وبتوقيع يده مؤكدا بخاتمه ومهره ثم أورد في الرسالة ما في كتب الشيعة من أمور منكرة مشيرا إلى أرقام الصفحات في كل ما يذكره، فذكر عدة قضايا خطيرة في كتب الشيعة الرافضة تحول بين الأمة والائتلاف مثل:

تكفير الصحابة.

اللعنات على العصر الأول.

(١٣٢٦) المصدر نفسه (٢/ ١٩٨) .

(١٣٢٧) المصدر نفسه (٢/ ٢٠١) .

(*) الوشيعة صـ ١٩ ، مسألة التقريب (٢/ ١٩٩) .

(١٣٢٨) مسألة التقريب (٢/ ٢٠٥) .

تحريف القرآن الكريم.

حكومات الدول الإسلامية وقضاتها وكل علمائها طواغيت في كتب الشيعة.

كل الفرق الإسلامية كافرة ملعونة خالدة في النار إلا الشيعة.

الجهاد في كتب الشيعة مع غير الإمام المفترض طاعته حرام مثل حرمة الميتة حرمة الخنزير، ولا شهيد إلا في الشيعة، والشيعي شهيد ولو مات على فراشه والذين يقاتلون في سبيل الله من غير الشيعة فالويل يتعجلون. ثم قال الشيخ بعد ما نقل شواهد هذه المسائل من كتب الشيعة المعتمدة مخاطبا شيوخ الشيعة: هذه ست من المسائل، عقيدة الشيعة فيها يقين، فهل يبقى توحيد كلمة المسلمين في عالم الإسلام من أمل وهذه عقيدة الشيعة ؟

وهل يبقى بعد هذه المسائل، بعد هذه العقيدة لكلمة التوحيد في قلوب أهلها من أثر؟

وهل يمكن أن يكون للأمم الإسلامية ولهم هذه العقيدة في سبيل غلبة الإسلام في مستقبل الأيام من سعي ؟ ثم أردف ذلك بمسائل منكرة أخرى مثل:

- رد الشيعة لأحاديث الأمة ودعواهم أن كل ما خالف الأمة فيه الرشاد. ويرى أن هذا المبدأ هدم لدين الشيعة قبل أن يهدم في دين الإسلام.

- وما في كتب الشيعة من أبواب في آيات وسور نزلت في الأئمة والشيعة وفي آيات وسور نزلت في كفر أبي بكر وعمر وكفر من اتبعهما.

- وغلو الشيعة في التقية.

- ثم ذكر أباطيل أخرى شنيعة في كتب الشيعة مثل:

- أن عليا أمير المؤمنين طلق عائشة فخرجت من كونها أم المؤمنين.

- أن القائم إذا يقوم يقيم الحد على عائشة انتقاما لأمه ابنة النبي (ﷺ) فاطمة عليها وعلى أبيها وأولاده - الصلاة والسلام -.

- أن القائم إذا ظهر يهدم مساجد الإسلام.

- ثم ذكر أن دين الشيعة روحه العداء وأن ما في كتب الشيعة من حكايات العداء بين الصديق والفاروق، وبين علي كلها موضوعة.

- وذكر أن كتب الشيعة تقول على لسان بعض الأئمة: إن الأمة وإن كانت لها أمانة وصدق ووفاء، لا تكون مؤمنة لإنكارها الولاية. وأن الشيعة وإن لم يكن عندها شيء من الدين لا عتب لها لأنها تدين بولاية إمام عادل وذكر مسائل أخرى ثم قال: فتفضلوا أيها الأساتذة السادة بالإفادة حتى يتحد الإسلام وتجتمع كلمة المسلمين حول كتاب الله المبين، فماذا كان جواب الشيعة بهذه المسائل التي نقلتها من أمهات كتب الشيعة عرضا على سبيل الاستيضاح عملا بأمر الله في كتابه ﴿فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣، الأنبياء: ٧٠] ثم انتظرت سنة وزيادة ولم أسمع جواباً من أحد إلا من كبير مجتهدي

الشيعة بالبصرة قد قام بوظيفته وتفضل علي بكل أجوبته في كتاب تزيد صفحاته على تسعين بكلمات في الطعن في العصر الأول أشد وأجرح من كلمات كتب الشيعة ثم كتب الشيخ موسى كتابه «الوشيعة في نقد عقائد الشيعة» بعد أن لم ير استجابة من شيوخ الشيعة، ويقول إنني أدافع بذلك عن شرف الأمة وحرمة الدين، وأقضي به حقوق العصر الأول علي وعلى كل الأمة[١٣٢٩]. وإذا كان الشيخ موسى جار الله يرى في نشره كتاب (الوشيعة) وفي نصحه لشيوخ الشيعة أن ذلك أول تدبير في التأليف والتقريب فإن شيوخ الشيعة ترى أن ما كشفه الشيخ موسى يجب أن يكون دفينا ويستفزهم مثل هذا الكشف غاية الاستفزاز، والسبب في انزعاج شيوخ الشيعة من أي كشف لما في كتبهم من أباطيل أن في ذلك فضحا لأغراضهم ومآربهم، كشفا لاستغلالهم للجمهور البسطاء من الشيعة دينيا باسم النيابة عن المعصوم المنتظر، وماليا باسم خمس هذا المنتظر[١٣٣٠].

٤ـ المنهج السليم للتقريب:

هو أن يقوم علماء السنة بجهد كبير لنشر اعتقادهم الصحيح المنبثق من كتاب الله وسنة رسوله (ﷺ) وبيان صحته وتميزه عن مذاهب أهل البدع، وكشف مؤامرات الشيعة الرافضة وأكاذيبهم وما يستدلون به من كتب أهل السنة والرد على الشبهات الموجهة لأهل السنة بعلم وعدل وبرهان ولا بد من مصاحبة ذلك كله ببيان لانحرافات الشيعة الرافضة وكشف ضلالاتهم وأصولهم الفاسدة وإذا كان أئمة السنة قد شاركوا في ذلك فإنه يجب مضاعفة الجهد وأن يكون جهدا جماعيا مخططا له. إن المنهج الأصيل للتقريب هو بيان الحق وكشف الباطل وتقريب الشيعة إلى كتاب الله وسنة رسوله (ﷺ) وفهم الإسلام الصحيح، من خلال علماء أهل السنة وعلى رأسهم فقهاء وعلماء أهل البيت كأمير المؤمنين علي وأبنائه وأحفاده من العلماء ولا بد من الوقوف في وجه المد التبشيري الرافضي الذي يشين لأهل البيت الأطهار والذي ينشط اليوم بشكل قوي في العالم الإسلامي، وفي أوربا وأمريكا، وحتى يجتمع المسلمون على كلمة سواء (ويعتصموا بحبل الله جميعا ولا يتفرقوا).

وإذا كان لا يجدي مع بعض علماء الشيعة الرافضة الاحتجاج عليهم بالقرآن والسنة والإجماع، وبيان الحق بهذه الأصول لمخالفتهم لأهل السنة في ذلك، فلا يعني ذلك أن نتوقف عن بيان مذهب أهل السنة وصحته، وبطلان مذهب الشيعة وضلاله في تلك الأصول، فذلك سيحد من انتشار ـ عقيدة الروافض بين أهل السنة ـ بإذن الله (تعالى)ـ وعلينا أن نبحث عما يكشف باطلهم من كتبهم نفسها، وهذا المنهج لم يسلكه علماؤنا المتقدمون الذين اهتموا بالرد على الروافض وتفنيد حججهم ودحض دعاواهم ولعل السبب في ذلك أن كتب القوم لم يكن لها ذلك الذيوع والانتشار وكانت موضع التداول الخاص بهم أو أن السبب أن هناك بعض كتبهم الأساسية قد وضعت من المتأخرين ونسبت للمتقدمين أو

(١٣٢٩) الوشيعة صـ ٣٩، مسألة التقريب (٢/ ٢٠٨) .

(١٣٣٠) مسألة التقريب (٢/ ٢٠٨).

زيد عليها في العصور المتأخرة " الدولة الصفوية " أيا كان السبب هذا أو ذاك أو جميعا فإن كتب الروافض اليوم قد انتشرت ودان بقدسيتها وآمن بصحتها الكثير من الشيعة الرافضة فهم لا يؤمنون إلا بما جاء فيها ولا يحتجون إلا بها، ويردون بها السنة الصحيحة بل نصوص الكتاب الظاهرة بل منهم يصدق أساطيرها التي تمس كتاب الله العظيم، وتزعم الوحي للأئمة وعلم الغيب، فليكن تصحيح وضع الشيعة من كتبهم وكشف ضلالهم من رواياتهم ومطلق التقريب الصحيح من مدوناتهم [١٣٣١]، وقد قامت جهود مشكورة في هذا المجال وظهرت بعض الكتب، " كالإمامة والنص "، " لفيصل نور ثم أبصرت الحقيقة "، " محمد سالم الخضر، " وأصول الشيعة الإمامية الاثنى عشرية "، د. ناصر عبد الله بن علي القفاري ودراسة عن الفرق وتاريخ المسلمين للدكتور أحمد جلي. إن هذا المسلك ينبغي أن يدرس بعناية واهتمام فإن القارئ لكتب الشيعة يتلمس خيوطًا بيضاء وسط ركام هائل من الضلال ومن الممكن أن ينسج من هذه الخيوط العقيدة الحقة للأئمة الموافقة للكتاب والسنة الصحيحة من الضياع والتيه الذي يعيشونه، وهذه الخيوط كما تشمل الأصول تشمل الفروع وعلى ذلك يمكن اللقاء والتقارب [١٣٣٢]، كما أنه ينبغي التنويه وتشجيع الأصوات الإصلاحية الشيعية الصادقة واحترامهم وتقديرهم والوقوف معهم في نصيحة أقوامهم كالذي قام به السيد حسين الموسوي في كتبه لله ثم للتاريخ، كشف الأسرار وتبرئة الأئمة الأطهار، وكالجهد العلمي الذي قام به السيد أحمد الكاتب مشكورا في كتاب تطور الفكر السياسي الشيعي من الشورى إلى ولاية الفقيه، وعلينا أن نقف مع كل محب صادق لأهل البيت مقتفيا لآثارهم الصحيحة وهديهم الجميل في إرشاد الناس لكتاب الله وسنة نبيه عليه أفضل الصلاة والسلام، ونعاملهم بكل احترام وتقدير، ونأخذ بأيديهم نحو شواطئ الأمان ونبين لهم أن القرآن الكريم والسنة المطهرة مرجع كل مسلم في تعريف أحكام الإسلام، ويفهم القرآن الكريم طبقا لقواعد اللغة العربية من غير تكلف ولا تعسف، ويرجع في فهم السنة المطهرة إلى رجال الحديث الثقات[١٣٣٣] وأن كل أحد يؤخذ من قوله ويرد إلا المعصوم (ﷺ) وكل ما جاء عن السلف رضي الله عنهم موافقا للكتاب والسنة قبلناه وإلا فكتاب الله وسنة رسوله أولى بالاتباع، ولكننا لا نعرض للأشخاص فيما اختلفوا فيه بطعن أو تجريح، ونكلهم إلى نياتهم وقد أفضوا إلى ما قدموا [١٣٣٤] وكل بدعة في دين الله لا أصل لها استحسنها الناس بأهوائهم، سواء بالزيادة فيه أو بالنقص منه ضلالة تجب محاربتها [١٣٣٥] والقضاء عليها بأفضل الوسائل التي لا تؤدي إلى ما هو شر منها ومحبة الصالحين واحترامهم والثناء عليهم بما عرف من طيب أعمالهم قربة إلى الله (تبارك وتعالى) والأولياء هم المذكورون في قوله (تعالى) ﴿الَّذِينَ آمَنُواْ

(١٣٣١) مسألة التقريب (٢/ ٢٨٢ ، ٢٨٣) .

(١٣٣٢) مسألة التقريب (٢/٢٩٦) .

(١٣٣٣) النهج المبين لشرح الأصول العشرين د. عبد الله الوشلي صـ ١٢٦ .

(١٣٣٤) المصدر نفسه صـ ١٥٧ .

(١٣٣٥) المصدر نفسه ٢٤٣ .

﴿وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٣] والكرامة ثابتة لهم بشرائطها الشرعية مع اعتقاد أنهم رضوان الله عليهم لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا في حياتهم أو بعد مماتهم فضلا عن أن يهبوا شيئا من ذلك لغيرهم [١٣٣٦] وزيارة القبور أيا كانت سنة مشروعة بالكيفية المأثورة، ولكن الاستعانة بالمقبورين وطلب قضاء الحاجات منهم عن قرب أو بعد والنذر لهم وتشييد القبور وسترها والتمسح بها والحلف بغير الله وما يلحق بذلك من المبتدعات كبائر تجب محاربتها، ولا نتأول لهذه الأعمال سدا للذريعة[١٣٣٧]، والعرف الخاطئ لا يغير من حقائق الألفاظ الشرعية، بل يجب التأكد من حدود المعاني المقصود بها والوقوف عندها كما يجب الاحتراز من الخداع اللفظي في كل نواحي الدنيا والدين، فالعبرة بالمسميات لا بالأسماء [١٣٣٨] والإسلام يحرر العقل، ويحث على النظر في الكون، ويرفع قدر العلم والعلماء ويرحب بالصالح والنافع من كل شيء والحكمة ضالة المؤمن أين وجدها فهو أحق الناس بها [١٣٣٩]، ولا نكفر مسلما أقر بالشهادتين، وعمل بمقتضاهما وأدى الفرائض، برأي أو معصية إلا أن يكون أقر بكلمة الكفر، أو أنكر معلوما من الدين بالضرورة، أو كذب صريح القرآن، أو فسره على وجه لا تحتمله أساليب اللغة العربية بحال، أو عمل عملا لا يحتمل تأويلا غير الكفر [١٣٤٠].

إن مثل هذه الأصول والمفاهيم تعين الناس عموما في فهم الإسلام الصحيح المتمثل في كتاب الله وسنة ورسوله (ﷺ) ومنهج أهل السنة والجماعة، الذي أصل لأصوله، رسول الله (ﷺ) والخلفاء الراشدون المهديون ومن سار على نهجهم من العلماء والفقهاء. إن أهل الحق المتمسكين بنهج أهل السنة ليس عندهم بدع بحمد الله ومستندهم القرآن والسنة الصحيحة ولا يمكنهم التنازل عن شيء من ذلك مما قد يجعل الدين عرضة للمساومة، وأما الشيعة الرافضة فعندهم من البدع الشيء الكثير لا يمنعهم شيء من التنازل عنها إلا التعصب وأتباع الهوى والمصالح المادية لبعض شيوخهم المنحرفين عن هدي أمير المؤمنين علي وعلماء أهل البيت رضي الله عنهم جميعا, وذكر العلماء أن أهل السنة عليهم إنكار بدع المبتدعة وإن كان المبتدع متعبدا بها معتقدا صوابها, ولا بأس أن نقيد إنكارنا على هذه البدع بالقيد المصلحي وفق قاعدة الترجيح بين المفاسد والمصالح المتعارضة, بأن نحتمل المفسدة اليسيرة من أجل درء المفسدة الكبيرة, ونحتمل تفويت المعروف الأصغر حرصا على جلب المعروف الأكبر, وهذه قاعدة صحيحة عند الفقهاء, والعمل بهذه القاعدة قد يجعلنا نسكت عن إنكار بدعة الشيعة الرافضة في وقت من الأوقات أو في مكان من الأمكنة سدا للذريعة وخروجا عن أصل

(١٣٣٦) المصدر نفسه صـ ٢٥٩.
(١٣٣٧) المصدر نفسه صـ ٢٧٩.
(١٣٣٨) النهج المبين لشرح الأصول العشرين صـ ٣٠٥.
(١٣٣٩) المصدر نفسه صـ ٣٢٣.
(١٣٤٠) المصدر نفسه صـ ٣٤٣.

الإنكار إذا كان الإنكار يؤدي إلى هياج الفتن وإراقة الدماء والاقتتال بين أهل بلد يتكافأ فيه عدد الشيعة مع عدد أهل السنة وإما في الأحوال الاعتيادية التي لا تكون هناك مفسدة تصاحب هذا الإنكار يكون مستساغا أو واجبا [١٣٤١].

وعلى علماء السنة أن يلتزموا أسلوب البحث العلمي الهادئ في مناقشة بدع المبتدعة وأن يترفقوا معهم وقد يكون من تمام الترفق زيارتهم ومعاونتهم في الحدود التي لا خلاف فيها أو نجدتهم في الملمات وأيام المصاعب أو نصرهم إذا كانوا في نزاع مع كافر أو ظالم, وفق السياسة الشرعية الخاضعة للمصالح والمفاسد، إلا أن هذا الأصل في التعاون وحسن العلاقة وهدوء البحث لا يمكن أن يطرد دائما ليشمل من يأتي من الشيعة الرافضة بغلو قد يكون في السكوت عنه تحريك الغوغاء والدهماء بل الواجب أن ننكر على أهل الغلو الشديد والأقوال الشاذة في كل الأحوال, والحد المميز بين الطائفتين الأولى التي نترفق معها في الكلام والثانية التي نغلظ لها الكلام إنما يكون كامنًا في مدى اعتماد القائل على نص شرعي يتكون من شبهة له أو على تأويل قد تميل إليه بعض الأذهان، وأن ما يتبع غرائب النقول عن المجاهيل والمتأخرين ومَن لا تأويل له فالإنكار من تجاهه أولى، وربما كان الإغلاظ له أوجب[١٣٤٢].

إن أهل الحل والعقد من أهل السنة في المجتمعات الطائفية هم الذين يقدرون المواقف السياسية، والتحالفات الحزبية مع الطوائف الأخرى وفق فقه المصالح والمفاسد الذي تضبطه قواعد السياسة الشرعية، وهذا لا يمنع العلماء والدعاة من تعليم المسلمين أصول منهج أهل السنة وتربيتهم عليه، والتحذير من العقائد المنحرفة المندسة في أوساط المسلمين حتى لا يتأثروا بتلك الأفكار الفاسدة التي يجتهد دعاتها في نشرها بالليل والنهار والسر والإعلان، بدون ملل ولا كلل، ولقد قام رسول الله (ﷺ) إبان هجرته للمدينة بعقد المعاهدات ـ مع اليهود ـ التي تؤمن لهم حياة كريمة في ظل الدولة الإسلامية وكان القرآن الكريم في نفس الوقت يتحدث عن عقائد اليهود وتاريخهم وأخلاقهم حتى يعرف المسلمون حقيقة الشخصية اليهودية فلا ينخدعوا بها.

• • •

(١٣٤١) مسألة التقريب (٢/ ٣٦٠) .
(١٣٤٢) المصدر نفسه (٢/ ٣٦١).

المبحث الثالث

الأيام الأخيرة في حياة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب واستشهاده رضي الله عنه

أولا: في أعقاب النهروان:

كان قتال أمير المؤمنين رضي الله عنه لهذه الفرقة الخارجة المارقة دليلا قويا وحجة ظاهرة في أنه مصيب في قتاله لأهل الشام وأنه أولى بالحق من معاوية، فقد جاء عن رسول الله (ﷺ) أنه قال: «**تمرق مارقة عند فرقة من المسلمين يقتلها أولى الطائفتين بالحق**»[(١٣٤٣)] فالقارئ يتوقع أن الجيش سيكون أشد عزيمة في قتال أهل الشام لما تيقن لديهم بهذه البراهين وغيرها مما سبق، كمقتل عمار بن ياسر رضي الله عنه إلا أنه بالرغم من ذلك أن الذي حدث عكس ما هو متوقع منهم، فالخطة التي رسمها أمير المؤمنين علي رضي الله عنه هي الذهاب إلى الشام بعد الانتهاء من قتال الخوارج، لأن إدخال الشام تحت خلافته وإعادة وحدة الأمة هدف يجب تحقيقه وغاية يسعى إلى الوصول إليها وما حربه للخوارج إلا تأمينا للجبهة الداخلية خشية أن يقعوا بمن في العراق من الذراري أثناء غيابه - كما ذكر ذلك في خطبته - ولكن تجري الرياح بما لا تشتهي السفن، إذ لم يستطع رضي الله عنه، غزو الشام حتى استشهد [(١٣٤٤)]، فلقد كان لخروج الخوارج أثر في إضعاف جيش أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، كما أن الحروب في الجمل وصفين والنهروان، تسببت في ملل أهل العراق للحرب ونفورهم منها، وخاصة أهل الشام في صفين، فإن حربهم ليس كحرب غيرهم، فمعركة صفين الطاحنة لم تفارق مخيلتهم، فكم يتمت الأطفال ورملت نساء، بدون أن يتحقق مقصودهم ولولا الصلح أو التحكيم الذي رحب به أمير المؤمنين علي وكثير من أصحابه لكانت مصيبة على العالم الإسلامي لا يتخيل آثارها السيئة، فكان هذا التخاذل عن المسير مع علي رضي الله عنه إلى الشام مرة أخرى أحب إليهم، وتميل إليه نفوسهم وإن كانوا يعلمون أن عليا على حق[(١٣٤٥)]، ومن المعضلات التي أوهنت جانب أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، خروج فرقة تغالي في تعظيم أمير المؤمنين علي وترفعه إلى مقام الألوهية، حتى بدا للبعض أن هذا رد فعل للخوارج الذين يتبرءون من علي ويكفرونه[(١٣٤٦)]، ولكن هؤلاء كان مقصدهم سيئا وهو إدخال معتقدات فاسدة على المسلمين لهدم الدين وإضعاف المسلمين عامة وليس جيش علي فقط [(*)]، ولقد تصدى لهم أمير المؤمنين علي رضي الله عنه- كما بينا-

---

(١٣٤٣) مسلم (٢ / ٧٤٥ ، ٧٤٦).

(١٣٤٤) خلافة علي بن أبي طالب ، عبد الحميد علي صـ ٣٤٥ .

(١٣٤٥) المصدر نفسه صـ ٣٤٥ .

(١٣٤٦) نظام الخلافة في الفكر الإسلامي صـ ١٥ ، ١٦ مصطفى حلمي.

(*) خلافة علي بن أبي طالب ، عبد الحميد علي صـ ٣٥٠ .

بحزم وقوة ولا شك أن مباينة الخوارج وقتلهم أضعف جانب علي كثيرا، ثم تتابعت الفتوق على علي من بعد، فخرج الخريت بن راشد، وقيل: اسمه الحارث بن راشد في قومه من بني ناجية، وكان من ولاة علي على الأهواز، فدعا إلى خلع علي، فأجابه خلق كثير واحتوى على البلاد وجبى الأموال، فبعث إليه علي جيشا بقيادة معقل بن قيس الرياحي فهزمه وقتله[(١٣٤٧)] وطمع أهل الخراج في ناحية علي في كسر الخراج، وانتفض أهل الأهواز، ولا بد أن عليا واجه من أجل ذلك بعض الصعوبات المالية والعسكرية وقد روي عن الشعبي في هذا الخصوص قوله: لما قتل علي أهل النهروان، خالفه قوم كثير، وانتفضت عليه أطرافه، وخالفه بنو ناجية، وقدم ابن الحضرمي البصرة، وانتفض أهل الأهواز، وطمع أهل الخراج في كسره وأخرجوا سهل بن حنيف عامل علي بن أبي طالب من فارس[(١٣٤٨)].

وفي الجانب الآخر كان معاوية رضي الله عنه يعمل بشتى الوسائل سرا وعلانية على إضعاف جانب أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، واستغل ما أصاب جيشه من تفكك وخلاف، فأرسل جيشا إلى مصر بقيادة عمرو بن العاص رضي الله عنه سيطر عليها وضمها إليه وقد ساعده على ذلك عدة عوامل منها:

* انشغال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه بالخوارج.

* عامل أمير المؤمنين علي رضي الله عنه على مصر محمد بن أبي بكر لم يكن على قدر من الدهاء كسلفه قيس بن سعد بن عبادة الساعدي الأنصاري، فدخل في حرب مع المطالبين بدم عثمان ولم يسايسهم كما كان يصنع الوالي السابق فهزموه.

* اتفاق معاوية مع المطالبين بدم عثمان في مصر في الرأي فساعده في السيطرة عليها[(١٣٤٩)].

* بعد مصر عن مركز أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، وقربها من الشام.

* طبيعتها الجغرافية فهي متصلة بأرض الشام عن طريق سيناء وتمثل امتدادًا طبيعيًا، وقد أضافت مصر قوة كبيرة لمعاوية رضي الله عنه قوة بشرية واقتصادية كبيرة، وكذلك أرسل معاوية بعوثه إلى شمال الجزيرة العربية، ومكة والمدينة وإلى اليمن ولكن لم تلبث هذه البعوث أن ردت على أعقابها عند ما أرسل أمير المؤمنين علي من يصدها[(١٣٥٠)] وعمل معاوية رضي الله عنه على استمالة كبار أعيان القبائل وعمال علي رضي الله عنه - فقد حاول سحب قيس بن سعد رضي الله عنه عامل علي على مصر إليه فلم يستطع، ولكنه استطاع أن يثير شك حاشية علي ومستشاروه فيه فعزله[(١٣٥١)] وكان عزل قيس بن سعد مكسباً كبيراً

(١٣٤٧) تاريخ الطبري (٦/ ٢٧ - ٤٧).

(١٣٤٨) تاريخ الطبري (٦/ ٥٣).

(١٣٤٩) مصنف عبد الرزاق، الطبقات لابن سعد (٣/ ٨٣)، خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد علي صـ ٣٥١ بسند صحيح.

(١٣٥٠) تاريخ خليفة صـ ١٩٨ بدون سند. (١٣٥١) ولاة مصر صـ ٤٥ - ٤٦.

لمعاويــة، كما حــاول سحب زياد بن أبيــه عامل علي رضي الله عــنه على فارس ففــشل في ذلك[١٣٥٢]، وقد استطاع معاوية رضي الله عنه أن يؤثر على بعض الأعيان والولاة بسبب ما يمنيهم ويعدهم به، و لما يروه من علو أمر معاوية، وتفرق أمر علي رضي الله عنه إذ يقول في إحدى خطبــه : ألا إن بسرا قد أطلع من قبــل معاوية، ولا أرى هؤلاء القوم إلا سـيظهرون عليكم باجتماعهم عــلى باطلهم وتفرقكم عن حقكم وبطاعتهم أميرهم ومعـصيتكم أميركم، وبأدائهم الأمانة وبخيانتكم، استعملت فلانًا فـغل وغدر وحمل المال إلى معاوية، واستعملت فلانًا فخان وغــدر وحمل المال إلى معاوية، حتى لو ائتمنت أحــدهم على قدح خشيت على علاقته، اللهم أني أبغضتهم وأبغضوني فأرحهم مني وأرحني منهم [١٣٥٣].

ثانيا: استنهاض أمير المؤمنين علي همة جيشه ثم الهدنة مع معاوية :

لم يستسلم أمــير المؤمنين علي رضي الله عنه لهذه المصائب، وهذا التقــاعس والتخاذل، فقد بذل جهده في استنهاض همة جيشــه بكل ما أوتي من علم وحجة وفصاحة وبيان فخطبه الحماسية المشهورة التي اشتهرت عنه وتعــتبر من عيون التراث لم يقلها من فراغ أو خيال، بل مر تجرعه وواقع أليم عاصره، فمن خطبه التي قــالها لما أغير على أطرافه قال : أما بعد، فإن الجهــاد باب من أبواب الجنة فتحــه الله لخاصة أوليائه وهو لبــاس التقوى ودرع الله الحــصينة وجنتــــه [١٣٥٤] الوثيقــة . فمن تركه رغبــة عنه ألبسه الله ثوب الذل وشــمله البلاء، وديث بالصغار والقماءة [١٣٥٥]، وضرب على قلبه بالأسداد [*]، وأديل [١٣٥٦] الحق منه بتضييع الجهاد وسـيم الخسف [١٣٥٧] ومنع الــنصف [١٣٥٨] . ألا وإني قد دعوتكــم إلى قتال هؤلاء القوم ليلا ونهاراً وسرا وإعلانا، وقلت لكم اغزوهم قبل أن يغزوكم، فوالله ما غزي قوم في عقر دارهم[١٣٥٩] إلا ذلوا، فتواكلتم وتخاذلتم، حتى شنت عليكم الغارات، وملكت عليكم الأوطان، وهذا أخو غامد قد وردت خيله الأنبار [١٣٦٠]، وقد قتل حسان بن حسان البكري، وأزال خيلكم عن مسالحها [١٣٦١]، ولقد بلغني أن الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة والأخرى المعــاهدة [١٣٦٢]، فينتزع حجلها وقلبــها وقلائدها ورعائها[١٣٦٣]، مــا تمتنع منه إلا

(١٣٥٢) الاستيعاب (٢/ ٥٢٥ ـ ٥٢٦).

(١٣٥٣) التاريخ الصغير للبخاري (١/ ١٢٥) بسند منقطع وله شواهد.

(١٣٥٤) الجُنة بالضم : الوقاية.

(١٣٥٥) دُيث: ذلل الصغار، الذل والصغر القماء، والذل والصغار.

(*) الأسداد : الحجب التي تحجب عنه الهدى والرشاد.

(١٣٥٦) أديل الحق منه: تحول الأمر عنه إلى الحق فألمت به الكوارث.

(١٣٥٧) سيم الخسف: أصبح محل الإذلال والمهانة.

(١٣٥٨) منه النصف: النصف: العدل أي: حرم العدل.

(١٣٥٩) عقر الدار: وسطها وأصلها، تواكلتم، وكل منكم أمر الجهاد أي: الآخر.

(١٣٦٠) الأنبار: بلدة شرقي الفرات. (١٣٦١) مسالح: جمع مسلحة وهي الثغر.

(١٣٦٢) المعاهدة: الذمية وهي غير المسلمة المقيمة في بلاد المسلمين.

(١٣٦٣) الحجل: الخلخل: القلب: السوار: الرعاث: جمع رعثة وهو القرط.

بالاسترجاع [١٣٦٤]، والاسترحام، ثم انصرفوا وافرين [١٣٦٥]، ما نال رجل منهم كلم ولا أريق له دم، فلو أن امرءا مسلما مات من بعد هذا أسفا ما كان به ملوما بل كان عندي جديرا . فيا عجبا والله يميت القلب ويجلب الهم من اجتماع هؤلاء القوم على باطلهم وتفرقكم عن حقكم فقبحا لكم وترحا [١٣٦٦] حين صرتم غرضا يرمى، يغار عليكم ولا تغيرون، وتغزون ولا تغزون، ويعصى الله وترضون . فإذا أمرتكم بالسير إليهم في أيام الحر قلتم: هذه حمارة القيظ [١٣٦٧]. أمهلنا يسبخ عنا الحر، وإذا أمرتكم بالسير إليهم في الشتاء قلتم: هذه صبارة القر [١٣٦٨]، أمهلنا ينسلخ عنا البرد، كل هذا فرارا من الحر والقر، فإذا كنتم من الحر والقر تفرون فإذا أنتم والله من السيف أفر يا أشباه الرجال ولا رجال [١٣٦٩]، حلوم الأطفال وعقول ربات الحجال [١٣٧٠] لوددت أني لم أراكم ولم أعرفكم معرفة والله جرت ندما، وأعقبت سدما [١٣٧١]، قاتلكم الله لقد ملأتم قلبي قيحا [١٣٧٢]، وشحنتم صدري غيظا، وجرعتموني نغب التهام أنفاسا [١٣٧٣]. وأفسدتم علي رأيي بالعصيان والخذلان حتى لقد قالت قريش : إن ابن أبي طالب رجل شجاع، ولكن لا علم له بالحرب . . لله أبوهم، وهل أحد منهم أشد لها مراسا مني [١٣٧٤]، وأقدم فيها مقاما مني ؟ لقد نهضت فيها وما بلغت العشرين، وها أنا ذا قد ذرفت على الستين ولكن لا رأي لمن لا يطاع [١٣٧٥].

إن هذه الخطبة كتلة نارية يصبها أمير المؤمنين علي رضي الله عنه قذائف ساخنة فوق رءوس أولئك القوم الذين حرموه من قطف ثمار جهاده وتحقيق النصر الذي كان يسعى له، وقد صاغها بأسلوب أدبي رائع، يهز بعباراتها المشاعر، ويحرك بألفاظها مكامن النفوس، بعيدا عن الغموض والإيهام، كما أنها خالية من السجع والصناعة اللفظية [١٣٧٦].

(١٣٦٤) الاسترجاع ترديد الصوت بالبكاء.

(١٣٦٥) وافرين: تامين لم ينقص عددهم، الكلم: الجرح.

(١٣٦٦) ترحًا: همًا أو حزنًا أو فقرًا.

(١٣٦٧) القيظ: الحر: حمارة القيظ شدته، يسبخ: يخفف.

(١٣٦٨) صبارة الشتاء: شدة البرد، القر: البرد.

(١٣٦٩) يقصد أن صفات الرجولة انعدمت فيهم.

(١٣٧٠) حلوم: عقول، ربات الحجَال: كناية عن النساء.

(١٣٧١) سدمًا: الهم المشوب بالأسف والغيظ.

(١٣٧٢) القيح: ما في القرحة من الصديد، شحنتم صدري: ملأتموه.

(١٣٧٣) النغب: جمع نغبة (كجرعة) : الجرعة التهام: الهم.

(١٣٧٤) المراس: المعالجة والمزاولة والمعاناة.

(١٣٧٥) البيان والتبيين للجاحظ صـ ٢٣٨ ، ٢٣٩ .

(١٣٧٦) الأدب الإسلامي ، نايف معروف صـ ٥٩ .

إن الخطب التي تثبت عن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، وأعني بها التي تتحدث عن خلافته تعكس صورة تاريخية تتعدى الوصف الظاهري لتكشف عن شعور أمير المؤمنين رضي الله عنه تجاه مـا يلقاه من جيـشه من تخاذل بعد مـعركة النهـروان ولكن معظم الخطب التي نسبت إليـه رضي الله عنه لا تصح فعدد من العلماء يـقولون عن خطب علي رضي الله عنه في نهج البلاغة أنها من تأليف ووضع الشريف الرضا(١٣٧٧). فلا بد من إعمال منهج نقدي دقيق عند التعامل معها باعتبارها مصدرا تاريخيا . هذا ومن ناحية أخرى أخذ علي رضي الله عنه يذكر أصحابه بفضائله ومناقبه ومنزلته الرفيعة في الإسلام، فيحدثنا عدد من شهود عيان، أن عليا رضي الله عنـه ناشد الناس في الرحبـة من سمع رسول الله يقـول يوم غدير خم : «ألستم تعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟» قالوا : بلى، قال : «فمن كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعـاد من عاداه»، فقام اثنا عشر رجلا - وفي رواية - ستة عشرة رجلا فشهدوا بذلك(١٣٧٨)، وهذا يذكرنا بعثمان رضي الله عنه عندما كان يستشهد بالصحابة على مناقبه وفـضائله عندما حصره الغـوغاء، وكأنه يقول : من هذا عمله وخدمـته للإسلام أهكذا يكون جزاؤه ؟ مع اختلاف المناسبات، وبالرغم من كل هذه المحاولات والجهود المضنية لم يسـتطع رضي الله عنه أن يحـقق ما يريد إذ لـم يستطع أن يغـزو الشـام بسبب التـفكك والتصدع الذي حدث في داخل جـيشه وتفرق كلمتهم وظهـور الأهواء، فاضطر أمير المؤمنين علي رضي الله عنه في سنة أربـعين للهجـرة أن يوافق لمعاوية بن أبي سـفيـان رضي الله عنه على أن يكون العراق له، والشام لمعاوية ولا يدخل أحدهما على صاحبه في عمله بجيش ولا غارة ولا غزو(١٣٧٩)، قال الطبري في تاريخه : وفي هذه السنة - ٤٠ هـ - جرت بين علي وبين معاويـة المهادنة - بعد مكاتبات جـرت بينهما يطول بذكرها الكتـاب على وضع الحرب بينهما، ويكون لعلي العراق ولمعاوية الشام، فلا يدخل أحدهما على صاحبه في عمله بجيش ولا غارة ولا غزو(١٣٨٠).

ثالثا: دعاء أمير المؤمنين على الله (عز وجل) أن يعجل له بالشهادة:

هادن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه معاوية، ويبدو أن هذه الهدنة لم تستمر، فمعاوية أرسل بسر بـن أبي أرطاة إلى الحجاز واليـمن في العام الذي اسـتشـهد فيـه علي رضي الله عنـــه(١٣٨١)، ولما لم يتمكـن علي رضي الله عنه من تجهيـز الجيش بما يصـبو ويريد ورأى خذلانهم كـره الحياة وتمنى الموت، وكـان يتوجه إلى الله بالدعـاء ويطلب منه (عز وجل) أن يعجل منيـته، فمـما روي عنه أنه خطب يومـا فقال : اللهم إني قـد سئمـتهم وسئـموني،

(١٣٧٧) ميزان الاعتدال (٣/١٢٤) وله نقد جيد في هذا الموضوع، خلافة علي بن أبي طالب صـ ٣٥٥ .

(١٣٧٨) فضائل الصحابة (٢/٧٠٥) إسناده صحيح.

(١٣٧٩) خلافة علي بن أبي طالب ، عبد الحميد علي صـ ٣٥٦ .

(١٣٨٠) تاريخ الطبري (٦/٥٦).

(١٣٨١) التاريخ الصغير للبخاري (١/٤١) ، خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد علي صـ ٤٣١ .

ومللتهم وملوني، فأرحني منهم وأرحهم مني، فما يمنع أشقاكم أن يخضبها بدم، ووضع يده على لحيته [(١٣٨٢)]، وقد ألح علي رضي الله عنه في الدعاء في أيامه الأخيرة، فعن جندب قال : ازدحموا على علي رضي الله عنه، حتى وطئوا على رجله فقال : اللهم إني قد مللتهم وملوني وأبغضتهم وأبغضوني، فأرحني منهم وأرحهم مني [(١٣٨٣)] . وفي رواية أخرى عن أبي صالح قال : شهدت عليا وضع المصحف على رأسه حتى سمعت تقعقع الورق فقال: اللهم إني سألتهم ما فيه فمنعوني، اللهم إني قد مللتهم وملوني وأبغضتهم وأبغضوني، وحملوني على غير أخلاقي، فأبدلهم بي شرا مني، وأبدلني بهم خيرا منهم ومث قلوبهم ميثة الملح في الماء [(١٣٨٤)] . وفي رواية فلم يلبث إلا ثلاثا أو نحو ذلك، حتى قتل(رحمه الله) [(١٣٨٥)]، وقال الحسن بن علي : قال لي علي رضي الله عنه : إن رسول الله (ﷺ) سنح لي الليلة في منامي، فقلت : يا رسول الله ماذا لقيت من أمتك من الأود واللدد[(١٣٨٦)] ؟، قال : ادع عليهم، قلت : اللهم أبدلني بهم من هو خير منهم، وأبدلهم بي من هو شر مني لهم . قال الحسن رضي الله عنه : فخرج فضربه الرجل [(١٣٨٧)].

رابعا : علم أمير المؤمنين بأنه سيستشهد :

تفيد بعض أحاديث النبي (ﷺ) التي تعد من دلائل نبوته (ﷺ) إخباره بأن عليا سيكون من الشهداء، فقد جاء في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه : أن رسول الله (ﷺ) كان على حراء، هو وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير فتحركت الصخرة فقال رسول الله (ﷺ) : «اهدأ فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد» [(١٣٨٨)] . وهناك أحاديث أخص من هذا الحديث، تخبر أن عليا سيستشهد بأرض العراق وتبين كيفية اغتياله أيضا وهذا كله يبين صدق نبوة محمد (ﷺ) وبأنه لا ينطق عن الهوى وإنما يخبر بما أطلعه الله (عز وجل) عليه عن طريق الوحي، وقد أطلع النبي (ﷺ) عليا على ما سيحدث له، وقد آمن علي بذلك وأيقن، فكان يتحدث للناس بذلك فمما حدث من ذلك في العراق، إذ يروي عنه أبو الأسود الدؤلي، يقول أبو الأسود : سمعت عليا يقول : أتاني عبد الله بن سلام وقد أدخلت رجلي في الغرز، فقال لي : أين تريد ؟ فقلت العراق، فقال أما إنك إن جئتها ليصنيبك بها ذباب السيف فقال علي : وايم الله لقد سمعت رسول الله (ﷺ) قبله يقوله قال أبو الأسود : فعجبت منه، وقلت رجل محارب يحدث بمثل هذا عن نفسه [(١٣٨٩)]، وحدث

(١٣٨٢) مصنف عبد الرزاق (١٠/ ١٥٤) بإسناد صحيح، الطبقات (٣/ ٤) إسناد صحيح.
(١٣٨٣) الآحاد والمثاني لابن أبي عاصم (١/ ٣٧) بإسناد حسن، خلافة علي صـ ٤٣٢ .
(١٣٨٤) سير أعلام النبلاء (٣/ ١٤٤).
(١٣٨٥) المحن صـ ٩٩ لأبي العرب، خلافة علي، عبد الحميد علي صـ ٤٣٢ .
(١٣٨٦) الأود: العوج، اللدد: الخصومة.
(١٣٨٧) تاريخ الإسلام عهد الخلفاء الراشدين صـ ٦٤٩ .
(١٣٨٨) مسلم (٤/ ١٨٨٠).
(١٣٨٩) تاريخ الذهبي ، عهد الخلفاء الراشدين صـ ٦٤٨ .

بهذا الحديث في ينبع قبل توليه الخلافة، على من عاده في مرضه وهو أبو فضالة الأنصاري البدري رضي الله عنه إذ قال علي رضي الله عنه: إني لست ميتا في مرضي هذا، أومن وجعي هذا، أنه عهد إلي النبي (ﷺ) أني لا أموت حتى تخضب هذه - يعني لحيته - من هذه - يعني هامته [١٣٩٠]، وحدث به الخوارج وحدث به أصحابه وقد جمع البيهقي هذه الأحاديث ونحوها في كتابه (دلائل النبوة) [١٣٩١]، وجمعها الحافظ ابن كثير في كتابه البداية والنهاية[١٣٩٢]، وعن عبد الله بن داود قال: سمعت الأعمش، عن سلمة بن سهيل، عن سالم بن أبي جعدة، عن عبد الله بن سبع قال: سمعت عليا رضي الله عنه على المنبر يقول: ما ننتظر إلا شقيا، عهد إلي رسول الله (ﷺ) لتخضبن هذه من دم هذا، قالوا: أخبرنا بقاتلك حتى نبير عترته قال: أنشد الله رجلا قتل بي غير قاتلي [١٣٩٣]، وقد تمثل رضي الله عنه بأبيات شعر فقال:

اشدد حيازيمك للموت ... فإن الموت لاقيكا
ولا تجزع من القتل ... إذا حل بواديكا[١٣٩٤]

وتذهب بعض الروايات إلى أبعد من هذا، إذ تفيد أن عليا رضي الله عنه يعرف هذا الشقي الذي سيقتله فيروي عبيدة السلماني - بسند صحيح إليه - يقول: كان علي إذا رأى ابن ملجم قال:

أريد حياته ويريد قتلي ... عذيرك من خليلك من مرادي [١٣٩٥]

وفي رواية أخري قال علي رضي الله عنه عن عبد الرحمن بن ملجم: أما إن هذا قاتلي قيل: فما يمنعك منه؟ قال إنه لم يقتلني بعد [١٣٩٦]، وقد طلب منه الناس أن يستخلف لما أخبرهم بأنه مقتول، فاعتذر عن ذلك فعن عبد الله بن سبع، قال: سمعت عليا، يقول لتخضبن هذه من هذا، فما ينتظر بي الأشقى؟ قالوا: يا أمير المؤمنين، فأخبرنا به نبير عترته[١٣٩٧] قال: إذا تالله تقتلون بي غير قاتلي. قالوا. فاستخلف علينا. قال: لا ولكن أتركم إلى ما ترككم إليه رسول الله. قالوا: فما تقول لربك إذا أتيته؟ - وقال وكيع مرة: إذا لقيته؟ قال: أقول: اللهم تركتني فيهم ما بدا لك، ثم قبضتني إليك وأنت فيهم، فإن شئت أصلحتهم، وإن شئت أفسدتهم [١٣٩٨]. وعن علي رضي الله عنه قال سمعت

(١٣٩٠) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد علي صـ ٤٣٣ طرق الرواية صحيحة بمجموعها.
(١٣٩١) دلائل النبوة (٦/ ٤٣٨ - ٤٤١) تحقيق عبد المعطي قلعجي.
(١٣٩٢) البداية والنهاية (٧/ ٣٢٣ - ٣٢٥).
(١٣٩٣) كتاب الشريعة للآجري (٤/ ٢١٠٥) تحقيق الدميجي إسناده حسن.
(١٣٩٤) تاريخ الذهبي، عهد الخلفاء الراشدين صـ ٦٤٨.
(١٣٩٥) طبقات ابن سعد (٣/ ٣٣، ٣٤) إسناده صحيح.
(١٣٩٦) الاستيعاب (٣/ ١٢٧).
(١٣٩٧) نبير عترته: نهلك ذريته.
(١٣٩٨) مسند أحمد (٢/ ٣٢٥) الموسوعة الحديثية حسن لغيره.

الصادق المصدوق (ﷺ) «إنك ستضرب ضربة ههنا -و أشار إلى صدغيه- فيسيل دمها حتى يخضب لحيتك ، و يكون صاحبها أشقاها كما كان عاقر الناقة أشقى ثمود»(١٣٩٩).

خامسا :استشهاد أمير المؤمنين علي رضي الله عنه وما فيه من دروس وعبر و فوائد :

لقد تركت معركة النهروان في نفوس الخوارج جرحا غائرا لم تزده الأيام و الليالي إلا إيلاما وحسرة ، فاتفق نفر منهم على أن يفتكوا بعلي رضي الله عنه ويثأروا لمن قتل من إخوانهم في النهروان وأجمع أهل السير و المؤرخون على ذكر رواية مشهورة (١٤٠٠) لا تسلم من انتقادات لاحتوائها على عناصر متضاربة وأخرى مختلفة، ولا نستبعد بدورنا أن تكون هذه الحادثة المهمة قد تعرضت مثل غيرها إلى إضافات وزيادات في الفترات المتأخرة، ويبدو من خلال المصادر والدراسات أن هناك إجماعا على أن عملية قتل علي تمت على أيدي عناصر خارجية انتقاما لضحايا معركة النهروان أما بقية المعلومات الخاصة بالعملية مثل قصة الحب بين ابن ملجم وقطام والدور المزعوم للأشعث الكندي - وسيأتي بيان براءته بإذن الله لاحقا - وغيرها فيصعب قبولها والتصديق بها وإليك تفصيل مقتله رضي الله عنه :

١- اجتماع المتآمرين :

كان من حديث ابن ملجم وأصحابه أن ابن ملجم والبرك بن عبد الله وعمرو بن بكر التميمي اجتمعوا، فتذاكروا أمر الناس، وعابوا على ولاتهم، ثم ذكروا أهل النهر، فترحموا عليهم، وقالوا : ما نصنع بالبقاء بعدهم شيئا، إخواننا الذين كانوا دعاة الناس لعبادة ربهم، والذين كانوا لا يخافون في الله لومة لائم، فلو شرينا أنفسنا فأتينا أئمة الضلالة فالتمسنا قتلهم فأرحنا منهم البلاد، وثأرنا بهم إخواننا، فقال ابن ملجم : أنا أكفيكم علي بن أبي طالب -وكان من أهل مصر- وقال البرك بن عبد الله : أنا أكفيكم عمرو بن العاص، فتعاهدوا وتواثقوا بالله لا ينكص رجل منا عن صاحبه الذي توجه إليه حتى يقتله أو يموت دونه، فأخذوا أسيافهم، فسموها واتعدوا لسبع عشرة تخلو من رمضان أن يثبت كل واحد منهم على صاحبه الذي توجه إليه، أقبل كل رجل منهم إلى المصر الذي فيه صاحبه الذي يطلب(١٤٠١).

٢- خروج ابن ملجم ولقاؤه بقطام ابنة الشجنة :

فأما ابن ملجم المرادي فكان عداده في كندة، فخرج فلقي أصحابه بالكوفة وكاتمهم أمره كراهة أن يظهروا شيئا من أمره، فإنه رأى ذات يوم أصحابا من تيم الرباب -وكان علي قتل

(١٣٩٩) خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صـ ١٦٣ ـ ١٦٤ ، حكم المحقق أحمد ميرين البلوشي رحمه الله بالصحة.

(١٤٠٠) الطبقات لابن سعد (٣/ ٣٥)، تاريخ الطبري (٦/ ٥٨ ـ ٦٦) بسند منقطع، مروج الذهب (٢/ ٤٢٣)، الطبراني الكبير (١/ ٥٥ ـ ٥٨) مجمع الزوائد (٦/ ٢٤٩) تاريخ الإسلام والخلفاء الراشدين للذهبي صـ ٦٤٩ ، وفيات الأعيان (٧/ ٢١٨)، البداية والنهاية (٧/ ٣٢٥).

(١٤٠١) تاريخ الطبري (٦/ ٥٦).

منهم يوم النهر عشرة- فذكروا قتلاهم، ولقي من يومه ذلك امرأة من تيم الرباب يقال لها قطام ابنة الشجنة وقد قتل أباها وأخاها يوم النهر، وكانت فائقة الجمال -فلما رآها التبست بعقله، ونسي حاجته التي جاء لها، ثم خطبها، فقالت : لا أتزوجك حتى تشفي لي، قال : وما يشفيك؟ قالت : ثلاثة آلاف وعبد وقينة وقتل علي بن أبي طالب، قال : هو مهر لك، فأما قتل علي فلا أراك ذكرته لي وأنت تريديني، قالت : بلى التمس غرته، فإن أصبت شفيت نفسك ونفسي، ويهنئك العيش معي، وإن قتلت فما عند الله خير من الدنيا وزينة أهلها. قال : فوالله ما جاء بي إلى هذا المصر إلا قتل علي، فلك ما سألت قالت : إني أطلب لك من يسند ظهرك، ويساعدك على أمرك، فبعثت إلى رجل من قومها من تيم الرباب يقال له : " وردان " فكلمته فأجابها، وأتى ابن ملجم رجلا من أشجع يقال له شبيب بن بجرة، فقال له : هل لك في شرف الدنيا والآخرة؟ قال وما ذاك؟ قال : قتل علي بن أبي طالب، قال : ثكلتك أمك، لقد جئت شيئا إدا، كيف تقدر على علي؟ قال : أكمن له في المسجد فإذا خرج لصلاة الغداة شددنا عليه فقتلناه، فإن نجونا شفينا أنفسنا وأدركنا ثأرنا، وإن قتلنا فما عند الله خير من الدنيا وما فيها، قال ويحك لو كان غير علي لكان أهون علي، قد عرفت بلاءه في الإسلام، وسابقته مع النبي (ﷺ) وما أجدني منشرح لقتله. قال : أما تعلم أنه قتل أهل النهر العباد الصالحين؟ قال : بلى، قال فنقتله بمن قتل من إخواننا، فأجابه - فجاءوا قطام وهي في المسجد الأعظم معتكفة - فقالوا لها : قد أجمع رأينا على قتل علي، قالت : فإذا أردتم فائتوني، ثم عاد إليها ابن ملجم في ليلة الجمعة التي قتل في صبيحتها علي سنة ٤٠هـ - فقال : هذه الليلة التي وعدت فيها صاحبي أن يقتل كل منا صاحبه، فدعت لهم بالحرير فعصبتهم به، وأخذوا أسيافهم وجلسوا مقابل السدة التي يخرج منها علي، فلما خرج ضربه شبيب بالسيف، فوقع سيفه بعضادة الباب أو الطاق، وضربه ابن ملجم في قرنه بالسيف وهرب وردان حتى دخل منزله، فدخل عليه رجل من بني أبيه وهو ينزع الحرير عن صدره، فقال : ما هذا الحرير والسيف؟ فأخبره بما كان وانصرف فجاء بسيفه فعلا به وردان حتى قتله، وخرج شبيب نحو أبواب كندة في الغلس، وصاح الناس، فلحقه رجل من حضرموت يقال له عويمر، وفي يد شبيب السيف، فأخذه، وجثم عليه الحضرمي، فلما رأى الناس قد أقبلوا في طلبه، وسيف شبيب في يده، خشي على نفسه، فتركه، ونجا شبيب في غمار الناس فشدوا على ابن ملجم، فأخذوه، إلا أن رجلا من همدان يكنى أبا أدماء أخذ سيفه فضرب به رجله، فصرعه، وتأخر علي، ورفع في ظهره جعدة بن هبيرة بن أبي وهب، فصلى بالناس الغداة، قال علي : علي بالرجل، فأدخل عليه، ثم قال : أي عدو الله، ألم أحسن إليك؟ قال بلى، قال : ما حملك على هذا؟ قال: شحذته أربعين صباحا، وسألت الله أن يقتل به شر خلقه، فقال علي رضي الله عنه : لا أراك إلا مقتولا به، ولا أراك إلا من شر خلقه[١٤٠٢].

(١٤٠٢) تاريخ الطبري (٦/ ٦٢).

٣- محمد بن الحنفية يروي قصة مقتل أمير المؤمنين علي :

قال ابن الحنفية : كنت والله وإني لأصلي تلك الليلة التي ضرب فيها علي في المسجد الأعظم في رجال كثير من أهل المصر، يصلون قريبا من السدة، ما هم إلا قيام وركوع وسجود، وما يسأمون من أول الليل إلى آخره، إذ خرج علي لصلاة الغداة، فجعل ينادي : أيها الناس، الصلاة الصلاة، فما أدري أخرج من السدة، فتكلم بهذه الكلمات أم لا، فنظرت إلى بريق، وسمعت : الحكم لله يا علي لا لك ولا لأصحابك، فرأيت سيفا، ثم رأيت ثانيا، ثم سمعت عليا يقول : لا يفوتنكم الرجل، وشد الناس عليه من كل جانب . قال : فلم أبرح حتى أخذ ابن ملجم وأدخل على علي، فدخلت فيمن دخل من الناس، فسمعت عليا يقول : النفس بالنفس، أنا إن مت فاقتلوه كما قتلني، وإن بقيت رأيت فيه رأيي(١٤٠٣) وذكر أن الناس دخلوا على الحسن فزعين لما حدث من أمر علي، فبينما هم عنده وابن ملجم مكتوف بين يديه، إذ نادته أم كلثوم بنت علي وهي تبكي : أي عدو الله، لا بأس على أبي، والله مخزيك، قال : فعلى من تبكين؟ والله لقد اشتريته بألف، وسممته بألف، ولو كانت هذه الضربة على جميع أهل المصر ما بقي منهم أحد(١٤٠٤).

٤- وصية الطبيب لعلي وميل أمير المؤمنين للشورى :

عن عبد الله بن مالك، قال: جمع الأطباء لعلي رضي الله عنه يوم جرح، وكان أبصرهم بالطب أثير بن عمرو السكوني، كان صاحب كسرى يتطبب، فأخذ أثير رئة شاة حارة، فتتبع عرقا منها فاستخرجه فأدخله في جراحة علي، ثم نفخ العرق فاستخرجه فإذا عليه بياض الدماغ، وإذا الضربة قد وصلت إلى أم رأسه، فقال: يا أمير المؤمنين، اعهد عهدك فإنك ميت (١٤٠٥) . وذكر أن جندب بن عبد الله دخل على علي فسأله، فقال : يا أمير المؤمنين، إن فقدناك ــ ولا نفقدك ــ فنبايع الحسن ؟ قال : ما آمركم ولا أنهاكم، أنتم أبصر (١٤٠٦) .

٥- وصية أمير المؤمنين علي لأولاده الحسن والحسين (رضي الله عنهم) :

دعا أمير المؤمنين علي حسنا وحسينا، فقال : " أوصيكما بتقوى الله، وألا تبغيا الدنيا وإن بغتكما، ولا تبكيا على شيء زوي عنكما، وقولا الحق، وارحما اليتيم، وأغيثا الملهوف، واصنعا للآخرة وكونا للظالم خصما وللمظلوم ناصرا، واعملا بما في الكتاب ولا تأخذكما في الله لومة لائم. ثم نظر إلى محمد بن الحنفية، فقال : هل حفظت ما أوصيت به أخويك(١٤٠٧)؟ قال : " نعم "، قال : " فإني أوصيك بمثله وأوصيك بتوقير أخويك،

(١٤٠٣) تاريخ الطبري (٦/ ٦٢).
(١٤٠٤) المصدر نفسه (٦/ ٦٢).
(١٤٠٥) الاستيعاب (٣/ ١١٢٨).
(١٤٠٦) تاريخ الطبري (٦/ ٦٢).
(١٤٠٧) تاريخ الطبري (٦/ ٦٢).

لعظيم حقهما عليك، فاتبع أمرهما، ولا تقطع أمرا دونهما " . ثم قال : " أوصيكما به، فإنه ابن أبيكما، وقد علمتما أن أباكما كان يحبه "، وقال للحسن : " أوصيك أي بني بتقوى الله، وإقام الصلاة لوقتها، وإيتاء الزكاة عند محلها، وحسن الوضوء، فإنه لا صلاة إلا بطهور، ولا تقبل صلاة من مانع زكاة، وأوصيك بغفر الذنب، وكظم الغيظ، وصلة الرحم، والحلم عند الجهل، والتفقه في الدين، والتثبت في الأمر، والتعهد للقرآن، وحسن الجوار، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واجتناب الفواحش[١٤٠٨] " . **فلما حضرته الوفاة أوصى، فكانت وصيته :**

بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أوصى به علي بن أبي طالب، أوصى أنه يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون . ثم إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين، لا شريك له وبذلك أمرت وأنا من المسلمين، ثم أوصيك يا حسن وجميع ولدي وأهلي بتقوى الله ربكم، ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون، واعتصموا بحبل الله جميعا، ولا تفرقوا، فإني سمعت أبا القاسم يقول : إن صلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصيام، وانظروا إلى ذوي أرحامكم فصلوهم يهون الله عليكم الحساب، الله الله في الأيتام، فلا تعنوا أفواههم، ولا يضيعن بحضرتكم، والله الله في جيرانكم فإنهم وصية نبيكم (ﷺ)، ما زال يوصي به حتى ظننا أنه سيورثه، والله الله في القرآن، فلا يسبقنكم إلى العمل به غيركم، والله الله في الصلاة، فإنها عمود دينكم، والله الله في بيت ربكم فلا تخلوه ما بقيتم، فإنه إن ترك لم يناظر، والله الله في الجهاد في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم، والله الله في الزكاة، فإنها تطفئ غضب الرب، والله الله في ذمة نبيكم، فلا يظلمن بين أظهركم، والله الله في أصحاب نبيكم، فإن رسول الله (ﷺ) أوصى بهم، والله الله في الفقراء والمساكين، فأشركوهم في معايشكم، والله الله فيما ملكت أيمانكم، الصلاة الصلاة لا تخافن في الله لومة لائم، يكفيكم من أرادكم وبغى عليكم، وقولوا للناس حسنا كما أمركم الله، ولا تتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيولي الأمر شراركم ثم تدعون فلا يستجاب لكم، وعليكم بالتواصل والتباذل، وإياكم والتدابر والتقاطع والتفرق، وتعاونوا على البر والتقوى، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان، واتقوا الله إن الله شديد العقاب، حفظكم الله من أهل بيت، وحفظ فيكم نبيكم . استودعكم الله، وأقرأ عليكم السلام ورحمة الله ثم لم ينطق إلا (بلا إله إلا الله) " حتى قبض رضي الله عنه في شهر رمضان سنة أربعين[١٤٠٩] وجاء في رواية أنه قتل في صبيحة إحدى وعشرين من رمضان[١٤١٠]، وتحمل هذه الرواية على اليوم الذي فارق فيه الدنيا، لأنه بقي ثلاثة أيام بعد أن ضربه الشقي[١٤١١] .

(١٤٠٨) تاريخ الطبري (٦/ ٦٣).

(١٤٠٩) تاريخ الطبري (٦/ ٦٤).

(١٤١٠) التاريخ الكبير للبخاري (١/ ٩٩) بسند صحيح.

(١٤١١) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد علي صـ ٤٣٩ .

٦- نهي أمير المؤمنين عن المثلة بقاتله:

فقد قال رضي الله عنه : " احبسوا الرجل فإن مت فاقتلوه، وإن أعش فالجروح قصاص[١٤١٢]. وفي رواية أخرى قال : أطعموه واسقوه وأحسنوا إساره، فإن صححت فأنا ولي دمي أعفو إن شئت وإن شئت استقدت[١٤١٣]، وفي رواية أخرى زيادة، وهي قوله: إن مت فاقتلوه قتلتي ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين[١٤١٤]، وقد كان علي نهى الحسن عن المثلة، وقال : " يا بني عبد المطلب، لا ألفينكم تخوضون دماء المسلمين، تقولون : قتل أمير المؤمنين، قتل أمير المؤمنين، ألا لا يقتلن . انظر يا حسن، إن مت من ضربته هذه فاضربه ضربة بضربة، ولا تمثل بالرجل، فإني سمعت رسول الله (ﷺ) يقول : «إياكم والمثلة ولو أنها بالكلب العقور» [١٤١٥]. وقد جاء في شأن وصية أمير المؤمنين بأمر قاتله روايات كثيرة تتفاوت منها الصحيح ومنها الضعيف، فالرواية التي فيها أمر علي رضي الله عنه بإحراق الشقي بعد قتله إسنادها ضعيف، والروايات الأخرى تسير في اتجاه واحد فكلها فيها أمر علي رضي الله عنه بقتل الرجل إن مات من ضربته ونهاهم عما سوى ذلك، فهذه الروايات يعضد بعضها، بعضًا وتنهض للاحتجاج بها، هذا من جهة. كما أن أمير المؤمنين علي لم يجعله مرتدا، فيأمر بقتله، بل نهاهم عن ذلك لما هم بعض المسلمين بقتله وقال: «لا تقتلوا الرجل فإن برئت فالجروح قصاص، وإن مت فاقتلوه[١٤١٦]. وتذكر الرواية التاريخية المشهورة : فلما قبض علي رضي الله عنه بعث الحسن إلى ابن ملجم، فقال للحسن : هل لك في خصلة؟ إني والله ما أعطيت الله عهدا إلا وفيت به، إني كنت قد أعطيت الله عهدا عند الحطيم أن أقتل عليا ومعاوية أو أموت دونهما، فإن شئت خليت بيني وبينه، ولك الله علي إن لم أقتله - أو قتلته ثم بقيت، أن آتيك حتى أضع يدي في يدك، فقال له الحسن : " أما والله حتى تعاين النار ثم قدمه فقتله[١٤١٧]، ثم إن الناس أخذوه فأحرقوه بالنار، ولكن هذه الرواية منقطعة[١٤١٨]. والصحيح من الروايات والذي يليق بالحسن والحسين وأبناء أهل البيت أنهم التزموا بوصية أمير المؤمنين علي في معاملة عبد الرحمن بن ملجم ولا تثبت الرواية التي تقول: فلما دفن أحضروا ابن ملجم، فاجتمع الناس، وجاءوا بالنفط والبواري، فقال محمد ابن الحنفية، والحسين، وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب: دعونا نشتف منه، فقطع عبد الله يديه ورجليه، فلم يجزع ولم يتكلم، فكحل عينيه، فلم يجزع، جعل يقول: إنك لتكحل عيني عمك، وجعل يقرأ : ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق:١] حتى ختمها، وإن

(١٤١٢) فضائل الصحابة (٢/ ٥٦٠) بسند حسن.
(١٤١٣) المحن لأبي العرب صـ ٩٤ ، خلافة علي بن أبي طالب صـ ٤٣٩ .
(١٤١٤) الطبقات (٣/ ٥٣) تاريخ الإسلام.
(١٤١٥) تاريخ الطبري (٦/ ٦٤).
(١٤١٦) منهاج السنة (٥/ ٢٤٥) (٧/ ٤٠٥ ـ ٤٠٦) منهج ابن تيمية في مسألة التكفير صـ ٣٠٩ .
(١٤١٧) تاريخ الطبري (٦/ ٦٤).
(١٤١٨) خلافة علي بن أبي طالب ، عبد الحميد صـ ٤٤٠ .

عينيه لتسيلان، ثم أمر به فعولج عن لسانه ليقطع، فجزع، فقيل له في ذلك . فقال : ما ذاك بجزع ولكني أكره أن أبقى في الدنيا فواقا لا أذكر الله، فقطعوا لسانه، ثم أحرقوه، وكان أسمر، حسن الوجه، أفلج، شعره من شحمة أذنيه، وفي جبهته أثر السجود [١٤١٩] . وقال الذهبي عن عبد الرحمن بن ملجم : قاتل علي رضي الله عنه، خارجي مفتر، . . . شهد فتح مصر، واختط بها مع الأشراف، وكان ممن قرأ القرآن والفقه وهو أحد بني تدول وكان فارسهم بمصر، قرأ القرآن على معاذ بن جبل، وكان من العباد، ويقال : هو الذي أرسل صبيغا التميمي إلى عمر رضي الله عنه فسأله عما سأله مستعجم القرآن . . إلى أن قال الذهبي : ثم أدركه الكتاب، وفعل ما فعل، وهو عند الخوارج من أفضل الأمة، وفي ابن ملجم يقول عمران بن حطان الخارجي :

يا ضربة من تقي ما أراد بها ... إلا ليبلغ من ذي العرش رضوانا
إني لأذكره حينا فأحسبه ... أوفي البرية عند الله ميزانا

وابن ملجم عند الروافض أشقى الخلق في الآخرة، وهو عندنا أهل السنة ممن نرجو له النار، ونجوز أن الله يتجاوز عنه، لا كما يقول الخوارج والروافض فيه، وحكمه حكم قاتل عثمان وقاتل الزبير، وقاتل طلحة، و قاتل سعيد بن جبير، و قاتل عمار، و قاتل خارجة ، وقاتل الحسين ، فكل هؤلاء نبرأ منهم ونبغضهم في الله ونكل أمورهم إلى الله (عز وجل)[١٤٢٠] .

وأما البرك بن عبد الله فإنه في تلك الليلة التي ضرب فيها علي قعد لمعاوية ، فلما خرج ليصلي الغداة شد عليه بسيفه ، فوقع السيف في إليته، فأخذ ، فقال : إن عندي خبرا أسرك به، فلإن أخبرتك فنافعي ذلك عندك ؟ قال : نعم، قال : إن أخا لي قتل عليا في مثل هذه الليلة، قال : فلعله لم يقدر على ذلك ، قال: بلي إن عليا يخرج ليس معه من يحرسه ، فأمر به معاوية فقتل ، وبعث معاوية إلى الساعدي ــ وكان طبيبا ــ فلما نظر إليه قال : اختر إحدى خصلتين : إما أن أحمي حديده ، فأضعها موضع السيف ، وإما أن أسقيك شربة تقطع منك الولد ، وتبرأ منها، فإن ضربتك مسمومة، فقال معاوية، أما النار فلا صبر لي عليها ، وأما انقطاع الولد فإن في يزيد وعبد الله ما تقر به عيني، فسقاه تلك الشربة فبرأ، ولم يولد له بعدها، وأمر معاوية عند ذلك بالمقصورات وحرس الليل وقيام الشرطة على رأسه إذا سجد وأما عمرو بن بكر فجلس لعمرو بن العاص تلك الليلة ، فلم يخرج ، وكان اشتكى بطنه، فأمر خارجة بن حذافة ، وكان صاحب شرطته ، وكان من بني عامر بن لؤي، فخرج ليصلي ، فشد عليه وهو يرى أنه عمرو ، فضربه فقتله فأخذه الناس، فانطلقوا به إلى عمرو يسلمون عليه بالإمرة، فقال : من هذا ؟ قالوا : عمرو. قال : فمن قتلت ؟ قالوا : خارجه بن حذافة ، قال : أما والله يا فاسق ما ظننته غيرك ، فقال عمرو : أردتني وأراد الله

(١٤١٩) طبقات ابن سعد (٣/ ٩٣) الأخبار الطوال صـ ٢١٥ .

(١٤٢٠) تاريخ الإسلام ، عهد الخلفاء الراشدين صـ ٦٥٤ .

خارجة فقدمه عمرو فقتله [١٤٢١].

٧- مدة خلافة أمير المؤمنين علي، وموضع قبره وسنه يوم قتل :

كانت مدة خلافته على قول خليفة بن خياط، أربع سنين وتسعة أشهر وستة أيام، ويقال: ثلاثة أيام، ويقال أربعة عشر يوما[١٤٢٢]، والذي يظهر أنها أربعة سنين وتسعة شهور وثلاثة أيام، وذلك لأنه بويع بالخلافة في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة عام خمس وثلاثين وكانت وفاته شهيدا في اليوم الحادي والعشرين من شهر رمضان عام أربعين للهجرة [١٤٢٣].

وقد تولى غسل أمير المؤمنين علي رضي الله عنه الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر رضوان الله عليهم وكفن في ثلاثة أثواب ليس فيها قميص [١٤٢٤] وصلى عليه الحسن بن علي رضي الله عنهما، فكبر عليه أربع تكبيرات [١٤٢٥] وفي رواية دون إسناد كبر عليه تسع تكبيرات [١٤٢٦].

وأما موضع قبره، فقد اختلف فيه، وذكر ابن الجوزي عددًا من الروايات في ذلك ثم قال: والله أعلم أي الأقوال أصح [١٤٢٧]، ومن الروايات التي جاءت في هذا الشأن ما يلي :

* أن الحسن بن علي رضي الله عنهما دفنه عند مسجد الجماعة في الرحبة مما يلي أبواب كندة قبل أن ينصرف الناس من صلاة الفجر [١٤٢٨].

* ورواية مثلها، أنه دفن بالكوفة عند قصر الإمارة عند المسجد الجامع ليلا وعمي موضع قبره[١٤٢٩].

* رواية تذكر أن ابنه الحسن رضي الله عنه نقله إلى المدينة [١٤٣٠].

* رواية تذكر أن القبر الذي بظاهر الكوفة المشهد الذي بالنجف هو قبر علي رضي الله عنه، وأنكرها بعض أهل العلم مثل شريك بن عبد الله النخعي قاضي الكوفة (ت ١٧٨هـ) ومحمد بن سليمان الحضرمي (ت٢٩٧هـ) [١٤٣١] وفي الحقيقة إن ابتداع ما يسمى مشهد علي رضي الله عنه - بالنجف كان أيام بني بويه في عهد الدولة العباسية وكانوا من الشيعة

(١٤٢١) تاريخ الطبري (٦/ ٦٥).
(١٤٢٢) التاريخ صـ ١٩٩ .
(١٤٢٣) التاريخ الكبير للبخاري (١/ ٩٩) بسند صحيح.
(١٤٢٤) المنتظم (٥/ ١٧٥) ، الطبقات (٣/ ٣٧).
(١٤٢٥) الطبقات (٣/ ٣٣٧ ـ ٣٣٨).
(١٤٢٦) المنتظم (٥/ ١٧٥).
(١٤٢٧) المنتظم (٥/ ١٧٨).
(١٤٢٨) الطبقات (٣/ ٨٣) ، خلافة علي بن أبي طالب ، عبد الحميد علي صـ ٤٤١ .
(١٤٢٩) المنتظم (٥/ ١٧٧) ، تاريخ الإسلام ، عهد الخلفاء صـ ٦٥١ .
(١٤٣٠) تاريخ بغداد (١/ ١٣٧).
(١٤٣١) خلافة علي بن أبي طالب ، عبد الحميد علي صـ ٤٤١ .

الروافض، وقد صنع الشيعة ذلك على عاداتهم - في القرن الرابع، وأهل المعرفة متفقون أنه ليس بقبر علي رضي الله عنه بل قيل : هو قبر المغيرة بن شعبة، قال ابن تيمية : وأما المشهد الذي بالنجف، فأهل المعرفة متفقون أنه ليس بقبر علي بل قيل : إنه قبر المغيرة بن شعبة، ولم يكن أحد يذكر أن هذا قبر علي ولا يقصد أحدا أكثر من ثلاثمائة سنة، مع كثرة المسلمين من أهل البيت والشيعة وغيرهم وحكمهم بالكوفة إنما اتخذ ذلك مشهدا في ملك بني بويه - الأعاجم- بعد موت علي بأكثر من ثلاثمائة سنة [١٤٣٢]، وقال : وأما مشهد علي فعامة العلماء على انه ليس قبره، بل قد قيل : أنه قبر المغيرة بن شعبة، وذلك أنه إنما أظهر بعد نحو ثلاثمائة سنة من موت علي في إمارة بني بويه [١٤٣٣].

واختلف في سنه يوم قتل، فقال بعضهم : قتل وهو ابن تسع وخمسين سنة، وقيل : وهو ابن خمس وستين سنة، وقيل : وهو ابن ثلاث وستين سنة، وذلك أصح ما قيل فيه [١٤٣٤].

٨- خطبة الحسن بن علي رضي الله عنهما بعد مقتل أبيه :

عن عمرو بن حبشي، قال : خطبنا الحسن بن علي بعد قتل علي رضي الله عنه، فقال: لقد فارقكم رجل أمس ما سبقه الأولون بعلم ولا أدركه الآخرون، إن كان رسول الله (ﷺ) ليبعثه ويعطيه الراية فلا ينصرف [١٤٣٥]، حتى يفتح له ما ترك من صفراء ولا بيضاء إلا سبعمائة درهم من عطائه كان يرصدها لخادم أهله [١٤٣٦].

٩- سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه يثني على علي رضي الله عنه :

عن ربيعة الجرشي : أنه ذكر علي عند رجل وعنده سعد بن أبي وقاص فقال له سعد : أتذكر عليا إن له مناقب أربعا لأن تكون لي واحدة منهن أحب إلي من كذا وكذا، وذكر حمر النعم وقوله (ﷺ) : **«لأعطين الراية»**، وقوله : **«أنت مني بمنزلة هارون من موسى»**، وقوله: **«من كنت مولاه فعلي مولاه»** [١٤٣٧]. ونسي سفيان واحدة.

١٠- عبد الله بن عمر يثني على علي بن أبي طالب رضي الله عنهما :

عن سعد بن عبيدة قال : جاء رجل إلى ابن عمر فسأله عن عثمان، فذكر من محاسن عمله، قال : لعل ذلك يسوؤك؟ قال : نعم، قال : فأرغم الله بأنفك، ثم سأله عن علي فذكر محاسن عمله، قال : هو ذاك بيته أوسط بيوت النبي (ﷺ)، ثم قال : لعل ذاك

(١٤٣٢) الفتاوى (٤/ ٥٠٢) ، دراسات في الأهواء والفرق والبدع ص ٢٨٠ .

(١٤٣٣) الفتاوى (٢٧ / ٤٤٦).

(١٤٣٤) تاريخ الطبري (٦/ ٦٧).

(١٤٣٥) فضائل الصحابة (٢/ ٧٣٧) إسناده صحيح، فلا ينصرف: يرجع.

(١٤٣٦) فضائل الصحابة (٢/ ٧٣٧) إسناده صحيح.

(١٤٣٧) فضائل الصحابة (٢/ ٧٩٨) إسناده حسن.

يسوؤك؟ قال: أجل، قال: فأرغم الله بأنفك، انطلق، فاجهد على جهدك (١٤٣٨).

١١- استقبال معاوية خبر مقتل علي رضي الله عنهما:

ولما جاء خبر قتل علي إلى معاوية جعل يبكي، فقالت له امرأته: أتبكيه وقد قاتلته؟ فقال: ويحك إنك لا تدرين ما فقد الناس من الفضل والفقه والعلم (١٤٣٩)، وكان معاوية يكتب فيما ينزل به يسأل له علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن ذلك، فلما بلغه قتله، قال: ذهب الفقه والعلم بموت ابن أبي طالب، فقال له أخوه عتبة: لا يسمع هذا منك أهل الشام، فقال له: دعني عنك (١٤٤٠)، وقد طلب معاوية رضي الله عنه في خلافته من ضرار الصدائي أن يصف له عليا، فقال: اعفني يا أمير المؤمنين، قال: لتصفنه، قال: أما إذ لا بد من وصفه فكان والله بعيد المدى، شديد القوى، يقول فصلاً (١٤٤١) ويحكم عدلاً، يتفجر العلم من جوانبه، وتنطق الحكمة من نواحيه ويستوحش من الدنيا وزهرتها، ويستأنس بالليل ووحشته، وكان غزير العبرة، طويل الفكرة، يعجبه من اللباس ما قصر ومن الطعام ما خشن، وكان فينا كأحدنا، يجيبنا إذا سألناه وينبئنا إذا استنبأناه، ونحن والله - مع تقريبه إيانا وقربه منا - لا نكاد نكلمه هيبة له، يعظم أهل الدين ويقرب المساكين، لا يطمع القوي في باطله، ولا ييأس الضعيف من عدله، وأشهد أنه لقد رأيته في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله (١٤٤٢)، وغارت نجومه، قابضا على لحيته، يتململ تململ السقيم، ويبكي بكاء الحزين، ويقول: يا دنيا غري غيري، إلي تعرضت أم إلي تشوفت! هيهات، هيهات، قد باينتك ثلاثا لا رجعة فيها، فعمرك قصير، وخطرك قليل، آه من قلة الزاد، وبعد السفر، ووحشة الطريق، فبكى معاوية وقال: رحم الله أبا الحسن، كان والله كذلك، فكيف حزنك عليه يا ضرار؟ قال: حزن من ذبح ولدها وهو في حجرها (١٤٤٣)، وعن عمر بن عبد العزيز قال: رأيت رسول الله (ﷺ) في المنام وأبو بكر وعمر جالسان عنده، فسلمت عليه وجلست، فبينما أنا جالس إذ أتي بعلي ومعاوية فأدخلا بيت وأجيف (١٤٤٤) الباب وأنا أنظر، فما كان بأسرع من أن خرج علي وهو يقول: قضي لي ورب الكعبة، ثم ما كان بأسرع من أن خرج معاوية وهو يقول: غفر لي ورب الكعبة (١٤٤٥). وروى ابن عساكر عن أبي زرعة الرازي أنه قال له رجل: إني أبغض معاوية، فقال له: ولم؟ قال: لأنه قاتل عليا، فقال له أبو زرعة: ويحك إن رب معاوية رحيم، وخصم معاوية خصم كريم، فإيش دخولك أنت بينهما؟ رضي الله عنهما (١٤٤٦).

(١٤٣٨) الصحيح المسند من فضائل الصحابة صـ ١٤٠ للعدوي.
(١٤٣٩) البداية والنهاية (٨/ ١٣٣).
(١٤٤٠) الاستيعاب (٣/ ١١٠٨).
(١٤٤١) المصدر نفسه (٣/ ١١٠٧).
(١٤٤٢) سدوله: سدلته.
(١٤٤٣) الاستيعاب (٣/ ١١٠٨).
(١٤٤٤) أجيف الباب: رُد وأغلق.
(١٤٤٥) البداية والنهاية (٨/ ١٣٣).
(١٤٤٦) المصدر نفسه (٨/ ١٣٣).

١٢- ما قاله الحسن البصري - رحمه الله -:

سئل الحسن البصري عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال: كان علي والله سهما صائبا من مرامي الله على عدوه، ورباني هذه الأمة، وذا فضلها، وذا سابقتها، وذا قرابتها من رسول الله(ﷺ)، لم يكن بالنؤومة (١٤٤٧) عن أمر الله، ولا بالملومة في دين الله، ولا بالسروقة لمال الله، أعطى القرآن عزائمه ففاز منه برياض مونقة، ذلك علي بن أبي طالب رضي الله عنه (١٤٤٨).

١٣- ما قاله احمد بن حنبل في خلافة علي رضي الله عنه:

قال عبد الله بن أحمد بن حنبل - رحمه الله -: كنت بين يدي أبي جالسا ذات يوم، فجاءت طائفة من الكرخيين فذكروا خلافة أبي بكر وخلافة عمر بن الخطاب وخلافة عثمان فأكثروا، وذكروا خلافة علي بن أبي طالب وزادوا فأطالوا، فرفع أبي رأسه إليهم، فقال: يا هؤلاء، قد أكثرتم القول في علي والخلافة والخلافة وعلي (١٤٤٩)، أتحسبون أن الخلافة تزين عليا؟ بل زينها علي (١٤٥٠).

١٤- براءة الأشعث بن قيس من دم علي رضي الله عنه:

ذهبت بعض الروايات إلى اتهام الأشعث بن قيس، قال اليعقوبي: إن عبد الرحمن بن ملجم نزل على الأشعث بن قيس، فأقام عنده شهرا يستحد سيفه (١٤٥١)، وذكر ابن سعد في الطبقات، قال: وبات عبد الرحمن بن ملجم تلك الليلة التي عزم فيها أن يقتل عليا صبيحتها يناجي الأشعث بن قيس في مسجده حتى كاد أن يطلع الفجر، فقال له الأشعث: فضحك الصبح، فقام عبد الرحمن بن ملجم وشبيب بن بجرة فأخذا أسيافهما ثم جاءا حتى جلسا مقابل السدة التي يخرج منها علي (١٤٥٢)، وهذه روايات ضعيفة(١٤٥٣).

إن اتهام الأشعث ليس عليه دليل، وذلك لأن الأشعث بن قيس عند استعراض دوره في خلافة علي رضي الله عنه نجده مخلصا ووفيا، فهو أول من حارب أهل الشام أثناء القتال على الماء، وأظهر العداوة للخوارج منذ نشأتهم فهو الذي أبلغ عليا رضي الله عنه أن الخوارج يقولون: إن عليا تاب من خطيئته ورجع عن التحكيم وقاتلهم في النهروان، وقد حرص كل الحرص على أن يوطد علاقته بعلي وآل بيته فزوج ابنته من الحسن بن علي رضي الله عنه، وعندما أراد الحسن أن يبني بها قامت كندة وجعلت أرديتها بسطا من بابه إلى باب

(١٤٤٧) النومة: الخامل الذكر الذي لا يؤبه له.

(١٤٤٨) الاستيعاب (٣/ ١١١٠).

(١٤٤٩) تاريخ مدينة السلام (١/ ٤٦٢).

(١٤٥٠) المصدر نفسه (١/ ٤٦٢).

(١٤٥١) تاريخ اليعقوبي (٢/ ٢١٢).

(١٤٥٢) الطبقات (٣/ ٦٣).

(١٤٥٣) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد علي صـ ٣٥٣.

الأشعث[١٤٥٤]، وقد مات الأشعث من بعد مقتل علي بأربعين ليلة، وصلى عليه الحسين ابن علي بن أبي طالب[١٤٥٥]، وهو زوج بنت الأشعث بن قيس[١٤٥٦]، ولم ينقل عن آل علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أنهم اتهموا الأشعث بهذه التهمة أو كشفوا أحدا من آل الأشعث بهذا السبب، ويظل قتل علي عملا من تدبير الخوارج جاء في الأرجح ثأرا لقتلى النهروان[١٤٥٧].

١٥- خطورة الفرق الضالة والفرق المنحرفة على المسلمين:

إن الفرق الضالة والطوائف المنحرفة عندما تنتشر في بلاد الإسلام تعرض أهله للخطر، وتهدد الأمن والاستقرار وتشكك الناس في عقيدتهم، وتعيث في الأرض فسادا وخرابا، وتلك هي حال الخوارج المارقين الذين خرجوا على علي رضي الله عنه وكفروه، وقتله نفر منهم على حين بغتة كما بينا ذلك من قبل، زاعمين أنهم يشرون أنفسهم بهذا الفعل ابتغاء مرضاة الله، وما عندهم في ذلك مستند ولا برهان، إن هو إلا اتباع الأهواء وطاعة الشياطين، وإذا تبين لنا مما سبق أن الخوارج قد تسببوا في قتل علي رضي الله عنه وعرفنا مناهجهم الفاسدة فالواجب على أمة الإسلام أن تحذر منهم، وتحارب مناهجهم، ويقوم العلماء والدعاة بواجبهم في ذلك ليستقر الأمن، وتظهر أنوار السنة، وتخمد نيران البدعة، وفعل ذلك وأداؤه على الوجه الأمثل بالتمكين لعقيدة أهل السنة والجماعة، ومقارعة البدعة والمبتدعين وهذا كله من أسباب نهوض المجتمعات، هذه هي الطريقة المثلى لجمع الشمل ووحدة الصف، ومن تأمل تاريخ الإسلام الطويل وجد أن الدول التي قامت على السنة هي التي جمعت شمل المسلمين، وقام بها الجهاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعز به الإسلام قديما وحديثا، وهذا بخلاف الدول التي قامت على البدعة، وأشاعت الفوضى والفرقة والمحدثات وفرقت الشمل، فهذه سرعان ما تندثر، وتنقرض[١٤٥٨].

١٦- الحقد الدفين الذي امتلأت به قلوب الحاقدين من الخوارج على المؤمنين الصادقين:

الكشف عن الحقد الدفين الذي امتلأت به قلوب الحاقدين من الخوارج على المؤمنين الصادقين، دل على ذلك قول عبد الرحمن بن ملجم - يعني سيفه - والله لقد اشتريته بألف، وسممته بألف، ولو كانت هذه الضربة على جميع أهل المصر ما بقي منهم أحد[١٤٥٩].

إن كلماته هذه تبرز لنا العداء السافر الذي يكنه هؤلاء الخوارج لا على عموم المؤمنين

(١٤٥٤) تهذيب الكمال (٣/ ٣٩٣ - ٣٩٤) الطبقات (٦/ ٢٣).
(١٤٥٥) الكامل في التاريخ (٣/ ٤٤٤).
(١٤٥٦) تهذيب التهذيب (٢/ ٣٠٠).
(١٤٥٧) دراسة في تاريخ الخلفاء الأمويين الباطانية صـ ٥٢ .
(١٤٥٨) سير الشهداء دروس وعبر، عبد الحميد السحيباني صـ ٧٧ .
(١٤٥٩) تاريخ الطبري (٦/ ٦٢).

فحسب، بل على القادة الكبار من أمثال علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، الذي تجتمع في شخصه رضي الله عنه أعظم المناقب وأجل السجايا وانظر ـ رعاك الله ـ كيف تورد المناهج الباطلة، الأفكار المنحرفة أصحابها إلى دركات من التعاسة والشقاء، عندما يقاتلون أهل الإيمان ويدعون أهل الأوثان (١٤٦٠).

١٧- تأثير البيئة الفاسدة على أصحابها:

إن البيئة الفاسدة تؤثر على أصحابها حتى لو كان منهم من يحب العدل ويسعى إليه، فهذا عبد الرحمن بن ملجم يقابل شبيب بن بجرة فيقول له: هل لك في شرف الدنيا والآخرة ؟ قال: وما ذاك؟ قال: قتل علي بن أبي طالب، قال: ثكلتك أمك، لقد جئت شيئا إدًا، كيف تقدر على علي ! قال: أكمن له في المسجد، فإذا خرج لصلاة الغداة شددنا عليه فقتلناه، فإن نجونا شفينا أنفسنا، وأدركنا ثارنا، وإن قتلنا فما عند الله خير من الدنيا وما فيها. قال: ويحك ! لو كان غير علي لكان أهون علي، قد عرفت بلاءه في الإسلام، وسابقته مع النبي (ﷺ)، وما أجدني أنشرح لقتله، قال: أما تعلم أنه قتل أهل النهر العباد الصالحين؟! قال بلى، قال: فنقتله بمن قتل من إخواننا تقول رواية الطبري: فأجابه (١٤٦١).

فانظر: رعاك الله: كيف يؤثر أصحاب الآراء الضالة و الأفكار المنحرفة على من يخالطوهم ويجلسون معهم ؟ إنه على الرغم من أن شبيبا لم ينشرح صدره لقتل علي لما يعلمه عنه من بلائه في الإسلام وسابقته مع النبي (ﷺ)، إلا أنه استجاب لابن ملجم لما أثر عليه بالشبهة التي ألقاها عليه عندما ذكره بقتل علي رضي الله عنه لإخوانه من الخوارج المارقين، فأثار فيه العاطفة تجاههم، رغم أنهم قتلوا بالحق لا بالباطل، فاستجاب لصاحبه، وانقاد له فكانت النتيجة: إفساد الأفكار، وتلويث السمعة والخسران المبين، وذلك يدعو كل مسلم أن يحذر من مصاحبة من كان على نهج هؤلاء من فاسدي الاعتقاد، ملوثي الأفكار، وأن يسارع إلى مجالسة العلماء الربانيين الذين يعلمون الحق ويعملون به، ويرشدونه إلى ما فيه صلاحه في الدنيا والآخرة، وإنه إن لم يرض بهذه السبيل القويمة وخالط أولئك المنحرفين في عقيدتهم فسيعض أصابع الندم، ولات ساعة مندم (١٤٦٢) كما قال الله (تعالى): ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً * يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلانًا خَلِيلاً * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنسَانِ خَذُولاً﴾ [الفرقان: ٢٧، ٢٩].

هذه بعض الدروس والعبر والفوائد من حادثة مقتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، العالم الرباني، الذي أفنى عمره كله خاشعا لله (تعالى)، أواها منيبا، وخط لنا طريقا مباركا للاقتداء والتأسي به.

(١٤٦٠) سير الشهداء دروس وعبر صـ ٧٨ .
(١٤٦١) تاريخ الطبري (٦/ ٦٢).
(١٤٦٢) سير الشهداء دروس وعبر صـ ٧٩ .

سادسا : ما قيل في أمير المؤمنين علي رضي الله عنه من رثاء :

١- ما قاله أبو الأسود الدؤلي، وقال ابن عبد البر: وأكثرهم يرويها لأم الهيثم بنت العريان النخعية أولها :

ألا يا عين ويحك أسعدينا ... ألا تبكي أمير المؤمنينا
تبكي أم كلثوم عليه ... بعبرتها وقد رأت اليقينا
ألا قل للخوارج حيث كانوا ... فلا قرت عيون الشامتينا
أفي شهر الصيام فجعتمونا ... بخير الناس طرا أجمعينا
قتلتم خير من ركب المطايا ... وذللها ومن ركب السفينا
ومن لبس النعال ومن حذاها ... ومن قرأ المثاني والمئينا
فكل مناقب الخيرات فيه ... وحب رسول رب العالمينا
لقد علمت قريش حيث كانت ... بأنك خيرها حسبا ودينا
وإذا استقبلت وجه أبي حسين ... رأيت البدر فوق [(١٤٦٣)] الناظرينا
وكنا قبل مقتله بخير ... نرى مولى رسول الله فينا
يقيم الحق لا يرتاب فيه ... ويعدل في العدا والأقربينا
وليس بكاتم علما لديه ... ولم يخلق من المتجبرينا
وكأن الناس إذ فقدوا عليا ... نعام حار في بلد سنينا[(١٤٦٤)]

٢- ما قاله إسماعيل بن محمد الحميري من شعر له :

سائل قريشا به إن كنت ذا عمه ... من كان أثبتها في الدين أوتادا
من كان أقدم إسلاما وأكثرها ... علما وأطهرها أهلا وأولادا
من وحد الله إذ كانت مكذبة ... تدعو مع الله أوثانًا وأندادا
من كان يقدم في الهيجاء إن نكلوا ... عنها وإن يبخلوا في أزمة جادا
من كان أعدلها حكما وأبسطها ... علما وأصدقها وعدا وإيعادا
إن يصدقوك فلن يعدوا أبا حسن ... إن أنت لم تلق للأبرار حسادا
إن أنت لم تلق أقواما ذوي صلف ... وذا عناد لحق الله جحادا[(١٤٦٥)]

(١٤٦٣) فوق: في رواية راق الاستيعاب (٣/ ١١٣٢).
(١٤٦٤) الاستيعاب (٣/ ١١٣٢).
(١٤٦٥) الاستيعاب (٣/ ١١٣٣).

٣- ما قاله بكر بن حماد التاهرتي[١٤٦٦] ردا على شاعر الخوارج عمران بن حطان[١٤٦٧]:

قال شاعر الخوارج عمران بن حطان :

يا ضربة من تقي ما أراد بها إلا ليبلغ من ذي العرش رضوانا
إني لأذكره حينا فأحسبه أوفى البرية عند الله ميزانا

فقال بكر بن حماد التاهرتي معارضا في ذلك :

قل لابن ملجم والأقدار غالبة هدمت ويلك للإسلام أركانا
قتلت أفضل من يمشي على قدم وأول الناس إسلاما وإيمانا
وأعلم الناس بالقرآن ثم بما سن الرسول لنا شرعا وتبيانا
صهر النبي ومولاه وناصره أضحت مناقبه نورا وبرهانا
وكان في الحرب سيفا صارما ذكرا ليثا إذا لقي الأقران أقرانا
ذكرت قاتله والدمع منحدر فقلت سبحان رب الناس سبحانا
إني لأحسبه ما كان من بشر يخشى المعاد ولكن كان شيطانا
أشقى مرادا إذا عدت قبائلها وأخسر الناس عند الله ميزانا
كعاقر الناقة الأولى التي جلبت على ثمود بأرض الحجر خسرانا
قد كان يخبرهم أن سوف يخضبها قبل المنية أزمانا فأزمانا
فلا عفا الله عنه ما تحمله ولا سقى قبر عمران بن حطانا
لقوله في شقي ظل مجترما ونال ما ناله ظلما وعدوانا
يا ضربة من تقي ما أراد بها إلا ليبلغ من ذي العرش رضوانا
بل ضربة من غوي أوردته لظى فسوف يلقى بها الرحمن غضبانا
كأنه لم يرد قصدا بضربته إلا ليصلى عذاب الخلد نيرانا[١٤٦٨]

وهكذا خرج أمير المؤمنين علي بن أبي طالب من هذه الدنيا بعد جهاد عظيم، وقد طويت بوفاته صفحة من أنصع صفحات التاريخ وأنقاها فقد عرف فيه التاريخ رجلا فذا من طراز فريد، كانت همته في رضا الله تعالى، وكان همه انتصار الإسلام، وأعظم أمانيه سيادة

(١٤٦٦) بكر بن حماد التاهرتي نسبة إلى تاهرت المغربية رحل إلى المشرق وسمع مسند بن مسدد بن مسرهد ورواه عنه في المغرب وكان معاصر للبخاري وكان شاعراً ، الإصابة (٣/ ١٧٧).

(١٤٦٧) عمران بن حطان الدوسي البصري من رؤساء الخوارج ومن الشعراء المفلقين توفي سنة ٨٤ هـ الإصابة (٣/ ١٧٧).

(١٤٦٨) الاستيعاب (٣/ ١١٢٩).

أحكام الله في دنيا الناس وأقصى غايته تحقيق العدالة بين أفراد رعيته .

إن دراسة عهد الخلفاء الراشدين تمد أبناء الجيل بالعزائم الراشدية، التي تعيد إلى الحياة روعة الأيام الجميلة الماضية، وبهجتها وبهاءها، وترشد الأجيال بأنه لن يصلح أواخر هذا الأمر إلا بما صلحت به أوائله وتساعد الدعاة والعلماء وطلاب العلم على التأسي بذلك العهد الراشدي ومعرفة خصائصه ومعالمه وصفات قادته وجيله ، ونظام حكمه ومنهجه في السير في دنيا الناس وذلك يساعد أبناء الأمة على إعادة دورها الحضاري من جديد.

هذا وقد انتهيت من هذا الكتاب يوم السبت الساعة الواحدة إلا خمس دقائق ظهرا بتاريخ ١٧ ربيع الآخر ١٤٢٤هـ الموافق ٧ يونيو ٢٠٠٣ م والفضل لله من قبل ومن بعد، وأسأله (سبحانه وتعالى) أن يتقبل هذا العمل ويشرح صدور العباد للانتفاع به ويبارك فيه بمنه وكرمه وجوده قال تعالى : ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلا مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [فاطر :٢].

ولا يسعني في نهاية هذا الكتاب إلا أن أقف بقلب خاشع منيب بفضله وكرمه وجوده متبرئًا من حولي وقوتي فالله هو المتفضل وهو المكرم وهو المعين وهو الموفق ، فله الحمد على ما من به علي أولا وآخرا و أسأله سبحانه بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يجعل عملي لوجهه خالصا ولعباده نافعا، وأن يثيبني علي كل حرف كتبته ويجعله في ميزان حسناتي وأن يثبت إخواني الذين أعانوني بكافة ما يملكون من أجل إتمام هذا الجهد المتواضع ، ونرجو من كل مسلم يطلع على هذا الكتاب ألا ينسى العبد الفقير إلى عفو ربه ومغفرته ورحمته ورضوانه من دعائه فإن دعوة الأخ لأخيه في ظهر الغيب مستجابة إن شاء الله تعالى . وأختم هذا الكتاب بقول الله تعالى : ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ [النمل :١٩] .

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الخاتمة

وبعد فهذا ما يسره الله لي من جمع وترتيب وتحليل تضمنتها فصول هذا الكتاب الذي سميته، أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، شخصيته وعصره، فما كان فيه من صواب فهو محض فضل الله علي فله الحمد حتى يرضى، وله الحمد عند الرضا وله الحمد بعد الرضا، وما كان فيه من خطأ فأستغفر الله تعالي وأتوب إليه، والله ورسوله بريء منه، وحسبي أني كنت حريصا ألا أقع في الخطأ وعسى ألا أحرم من الأجر وأدعو الله تعالي أن ينفع بهذا الكتاب إخواني المسلمين، وأن يذكرني من يقرأه في دعائه، فإن دعوة الأخ لأخيه في ظهر الغيب مستجابة إن شاء الله تعالي وأختم هذا الكتاب بقول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

وبقول الشاعر: أبي محمد القحطاني:

قل: إن خير الأنبياء محمد ... وأجل من يمشي على الكثبان
وأجل صحب الرسل صحب محمد ... وكذلك أفضل صحبه العمران[١٤٦٩]
رجلان قد خلقا لنصر محمد ... بدمي ونفسي ذانك الرجلان
فهما اللذان تظاهرا لنبينا ... في نصره وهما له صهران
بنتاهما أسنى نساء نبينا ... وهما له بالوحي صاحبتان
أبواهما أسنى صحابة أحمد ... يا حبذا الأبوان والبنتان
وهما وزيراه اللذان هما هما ... لفضائل الأعمال مستبقان
وهما لأحمد ناظراه وسمعه ... وبقربه في القبر مضطجعان
كانا على الإسلام أشفق أهله ... وهما لدين محمد جبلان
أصفاهما أقواهما أخشاهما ... أتقاهما في السر والإعلان
أسناهما أزكاهما أعلاهما ... أوفاهما في الوزن والرجحان
صديق أحمد صاحب الغار الذي ... هو في المغارة والنبي اثنان
أعني أبا بكر الذي لم يختلف ... من شرعنا في فضله رجلان
هو شيخ أصحاب النبي وخيرهم ... وإمامهم حقا بلا بطلان

(١٤٦٩) العمران: أبو بكر وعمر رضي الله عنهما.

وأبو المطهرة التي تنزيهها ... قد جاءنا في النور والفرقان
أكرم بعائشة الرضى من حرة ... بكر مطهرة الإزار حصان
هي زوج خير الأنبياء وبكره ... وعروسه من جملة النسوان
هي عرسه هي أنسه هي إلفه ... هي حبه صدقا بلا أدهان
أوليس والدها يصافي بعلها ... وهما بروح الله مؤتلفان
لما قضى صديق أحمد نحبه ... دفع الخلافة للإمام الثاني
أعني به الفاروق فرق عنوة ... بالسيف بين الكفر والإيمان
هو أظهر الإسلام بعد خفائه ... ومحا الظلام وباح بالكتمان
ومضى وخلى الأمر شورى بينهم ... في الأمر فاجتمعوا على عثمان
من كان يسهر ليلة في ركعة ... وترا فيكمل ختمه القرآن
ولي الخلافة صهر أحمد بعده ... أعني علي العالم الرباني
زوج البتول أخا الرسول وركنه ... ليث الحروب منازل الأقران
سبحان من جعل الخلافة رتبة ... وبنى الإمامة أيما بنيان
واستخلف الأصحاب كي لا يدعي ... من بعد أحمد في النبوة ثاني
أكرم بفاطمة البتول وبعلها ... وبمن هما لمحمد سبطان
غصنان أصلهما بروضة أحمد ... لله در الأصل والغصنان
أكرم بطلحة والزبير وسعدهم ... وسعيدهم وبعابد الرحمن
وأبي عبيدة ذي الديانة والتقى ... وامدح جماعة بيعة الرضوان
قل خير قول في صحابة أحمد ... وامدح جميع الآل والنسوان
دع ما جرى بين الصحابة في الوغى ... بسيوفهم يوم التقى الجمعان
فقتيلهم منهم وقاتلهم لهم ... وكلاهما في الحشر مرحومان
والله يوم الحشر ينزع كل ما ... تحوي صدورهم من الأضغان
والويل للركب الذين سعوا ... إلى عثمان فاجتمعوا على العصيان
ويل لمن قتل الحسين، فإنه ... قد باء من مولاه بالخسران
لسنا نكفر مسلما بكبيرة ... فالله ذو عفو وذو غفران

ويقول الشاعر:

أنا الفقير إلى رب البريات ... أنا المسكين في مجموع حالاتي
أنا الظلوم لنفسي وهي ظالمتي ... والخير أن يأتينا من عنده يأتي

لا أستطيع لنفسي جلب منفعة ولا عن النفس لي دفع المضرات
والفقر لي وصف ذات لازم أبدا كما الغنى أبدا وصف له ذات
وهذه الحال حال الخلق أجمعهم وكلهم عنده عبد له آت

ويقول الشاعر :

اطلب العلم ولا تكسل فيما أبعد الخير على أهل الكسل
احتفل للفقه في الدين ولا تشتغل عنه بمال وحول
واهجر النوم وحصله فمن يعرف المطلوب يحقر ما بذل
لا تقل قد ذهبت أربابه كل من سار على الدرب وصل

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

• • •

أحاديث ضعيفة وموضوعة في أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه

١- إن الله أوحى إلى في علي ثلاثة أشياء ليلة أسري بي: أنه سيد المؤمنين وإمام المتقين وقائد الغر المحجلين. (موضوع) السلسلة الضعيفة للألباني رقم ٣٥٣.

٢- السبق ثلاثة : فالسابق إلى موسى يوشع بن نون والسابق إلى عيسى صاحب ياسين والسابق إلى محمد علي بن أبي طالب . (ضعيف جدا) السلسلة الضعيفة رقم ٣٥٨ وضعيف الجامع رقم ٣٣٣٤.

٣- علي إمام البررة وقاتل الفجرة منصور من نصره ومخذول من خذله. (موضوع) السلسلة الضعيفة للألباني رقم ٣٥٧ وضعيف الجامع ٣٧٩٩.

٤- لمبارزة علي بن أبي طالب لعمرو بن ود يوم الخندق أفضل من أعمال أمتي إلى يوم القيامة . (كذب) السلسلة الضعيفة برقم ٤٠٠.

٥- اللهم إن عبدك عليا احتبس نفسه على نبيك فرد عليها شرقها (وفي رواية) اللهم إنه كان في طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس قالت أسماء فرأيتها غربت ثم رأيتها طلعت بعدما غربت . (موضوع) السلسلة الضعيفة برقم ٩٧١ للألباني .

٦- إن الله أمرني بحب أربعة وأخبرني أنه يحبهم قيل : يا رسول الله من هم؟ (وفي رواية سمهم لنا) قال : علي منهم، يقول : ذلك ثلاثا وأبو ذر وسلمان والمقداد أمرني بحبهم وأخبرني أنه يحبهم . (ضعيف) السلسلة الضعيفة للألباني برقمي ١٥٤٩، ٣١٢٨. وضعيف الجامع ١٥٦٦. وضعيف سنن الترمذي ٧٧١. وضعيف سنن ابن ماجة ٢٨. والمشكاة ٦٢٤٩.

٧- أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد العلم فليأت بابه. (موضوع) السلسلة الضعيفة برقم ٢٩٥٥.

٨- أنا عبد الله وأخو رسوله وأنا الصديق الأكبر لا يقولها بعدي إلا كذاب صليت قبل الناس لسبع سنين . (باطل) ضعيف سنن ابن ماجة برقم ٢٣.

٩- رحم الله عليا اللهم أدر الحق معه حيث دار. (ضعيف جدا) السلسلة الضعيفة ٢٠٩٤، وضعيف الجامع ٣٠٩٥، وضعيف سنن الترمذي ٧٦٧ والمشكاة ٦١٢٥.

١٠- علي مع القرآن والقرآن مع علي لن يفترقا حتى يردا على الحوض. (ضعيف) ضعيف الجامع برقم ٣٨٠٢.

١١- علي يعسوب المؤمنين والمال يعسوب المنافقين . (ضعيف) ضعيف الجامع ٣٨٠٥.

١٢- ليلة أسري بي انتهيت إلى ربي (عز وجل) فأوحى إلى في علي بثلاث : انه سيد

المسلمين وولي المتقين وقائد الغر المحجلين. (موضوع) السلسلة الضعيفة ٤٨٨٩.

١٣- يا أنس: انطلق فادع لي سيد العرب - يعني عليا - فقالت عائشة: ألست سيد العرب؟ قال: أنا سيد ولد آدم وعلي سيد العرب، يا معشر الأنصار ألا أدلكم على ما إن تمسكتم به لم تضلوا بعده؟! قالوا: بلى يا رسول الله! قال: هذا علي فأحبوه بحبي وأكرموه لكرامتي فإن جبريل أمرني بالذي قلت لكم عن الله (عز وجل). (موضوع) السلسلة الضعيفة برقم ٤٨٩٠.

١٤- أنت تبين لأمتي ما اختلفوا فيه من بعدي. (موضوع) السلسلة الضعيفة برقم ٤٨٩١.

١٥- أنا المنذر وعلي الهادي بك يا علي يهتدي المهتدون بعدي. (موضوع) السلسلة الضعيفة برقم ٤٨٩٩.

١٦- لما أسري بي رأيت في ساق العرش مكتوب: لا إله إلا الله محمد رسول الله صفوتي من خلقي أيدته بعلي ونصرته. (موضوع) السلسلة الضعيفة برقم ٤٩٠٢.

١٧- من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه وإلى نوح في فهمه وإلى إبراهيم في حلمه وإلى يحيى في زهده وإلى موسى في بطشه فلينظر إلى علي. (موضوع) السلسلة الضعيفة برقم ٤٩٠٣.

١٨- تقاتل الناكثين، والقاسطين، والمارقين: بالطرقات والنهروانات والشعفات. (موضوع) السلسلة الضعيفة برقم ٤٩٠٧.

١٩- نزلت هذه الآية (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك) يوم غدير خم في علي. (موضوع) السلسلة الضعيفة برقم ٤٩٢٢.

٢٠- لما نصب رسول الله عليا بغدير خم فنادى له بالولاية هبط جبريل بهذه الآية: (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي). (موضوع) السلسلة الضعيفة برقم ٤٩٢٣.

٢١- هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا. يعني: عليا. (موضوع)السلسلة الضعيفة برقم ٤٩٣٢.

٢٢- أنشدكم الله: هل فيكم أحد آخى رسول الله بينه وبينه - إذ آخى بين المسلمين - غيري؟ قالوا: اللهم لا. (موضوع) السلسلة الضعيفة برقم ٤٩٤٩.

٢٣- لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي. (مكذوب) على علي منهاج السنة (٥/ ٧٠).

٢٤- حب علي حسنة لا تضر معها سيئة، وبغضه سيئة لا ينفع معها حسنة. (مكذوب) على علي منهاج السنة (٧٣/ ٥).

٢٥- الثقلان كتاب الله طرف بيد الله وطرف بأيديكم فتمسكوا به لا تضلوا والآخر

عترتي وإن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض فسألت ذلك لهما ربي فلا تقدمهما فتهلكوا ولا تقصروا عنهما فتهلكوا ولا تعلموهم فهم أعلم منكم .(ضعيف) السلسلة الضعيفة برقم ٤٩١٤ .

٢٦- معرفة آل محمد براءة من النار وحب آل محمد جواز على الصراط و الولاية لآل محمد أمان من العذاب . (موضوع) السلسلة الضعيفة برقم ٤٩١٧ .

٢٧- إن هذا أخي ووصيي وخليفتي من بعدي فاسمعوا له وأطيعوا .هذا الحديث باطل متنا وسندا : أما من ناحية السند فيه عبد الغفار بن القاسم : قال عنه الذهبي: أبو مريم الأنصاري رافضي ، ليس بثقة، قال علي بن المديني كان يضع الحديث ميزان الاعتدال (٢/ ٦٤٠).

٢٨- إن وصيي وموضع سري هو علي بن أبي طالب وخير من أترك بعدي وينجز عدتي ويقضي ديني علي بن أبي طالب . رواه الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/١٤١) وعزاه إلى الطبراني وقال: فيه ناصح بن عبد الله وهو متروك.

٢٩- أنا دار الحكمة وعلي بابها . رواه الترمذي وأبو نعيم سكت عن قول الترمذي ، هذا حديث غريب منكر . . . ولا نعرف هذا الحديث عن واحد من الثقات عن شريك حديث رقم ٣٧٢٣ وقال ابن الجوزي : هذا حديث موضوع، مشكاة المصابيح (٣ / ١٧٧٧) وحكم ابن الجوزي بأنه مكذوب (الموضوعات١/ ٣٤٩).

٣٠- أنت يا علي وشيعتك (أولئك هم خير البرية). فيه أبو الجارود : زياد بن المنذر الكوفي : قال عنه الحافظ ابن حجر : رافضي كذبه يحيي بن معين (التقريب ٢١٠١) .

٣١- أوحي الله إلي في علي ثلاثا : إنه سيد المؤمنين وإمام المتقين وقائد الغر المحجلين قال الحافظ : قال الحاكم في المناقب صحيح الإسناد . قلت : بل هو ضعيف جدا ومنقطع أيضا، (إتحاف المهرة ١/ ٣٤٤) . وقد رد الذهبي هذا الحديث كما في تعليقه على الحديث (المستدرك ٣/ ١٣٩) قائلا بأن عمر بن الحصين العقيلي وشيخه يحيى ابن العلاء الرازي متروكان، بل صرح بأن الحديث موضوع .

٣٢- بخ بخ لك يا علي أصبحت مولانا ومولي كل مؤمن ومؤمنه . فيه علي بن زيد ابن جدعان، قال عنه الجوزجاني : واهي الحديث ضعيف، الشجرة في أحوال الرجال صـ١٩٤ قال ابن الجوزي في العلل المتناهية في الأحاديث الواهية (١/ ٢٢٦) هذا الحديث لايجوز الإحتجاج به . ومن فوقه إلى أبي هريرة ضعفاء وقال البزار : تكلم فيه جماعة من أهل العلم (كشف الأستار ٤٩٠) وقال الدارقطني في سننه (١/ ١٠٣): ليس بالقوي .

٣٣- رحم الله عليا اللهم أدر الحق معه حيث دار . رواه الحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين (المستدرك ٣/ ١٢٥) فيه المختار بن نافع التميمي قال الذهبي تعقيبا على الحاكم : المختار ساقط . وقال الحافظ : المختار ضعيف (التقريب ٦٥٢٢).

٣٤- علي أخي في الدنيا والآخرة . ضعيف انظر ضعيف الجامع للألباني (٣٨٠١).

٣٥- علي باب حطة ومن دخله كان آمنا . (موضوع) : فيه حسين الأشقر . قال البخاري : فيه نظر (التاريخ الكبير ٢/ ٢٨٦٢) وقال : عنده مناكير (التاريخ الصغير ٢/ ٣١٩) لنظر السلسلة الضعيفة للألباني (٣٩١٣)

٣٦- علي خير البشر فمن أبى فقد كفر . موضوع : قال : الحافظ ابن حجر : أخرجه ابن عدي من طرق كلها ضعيفة (تسديد القوس ٣/ ٨٩) . قال الذهبي : هذا حديث منكر، ووصف الذهبي هذا الحديث بأنه باطل جلي (ميزان الاعتدال ١/ ٥٢١) وابن الجوزي في الموضوعات (١/ ٣٤٨).

٣٧- لقد علمت أن عليا أحب إليك من أبي مرتين أو ثلاثا . ضعفه الألباني (ضعيف أبي داود صـ٤٩١) .

٣٨- مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح من ركب فيها نجا ومن تخلف عنها غرق . رواه الطبراني في الكبير (٣/ ٣٧) والهيثمي (٩/ ١٦٨) في إسناده عبد الله بن داهر والحسن بن أبي جعفر وهما متروكان وقاله الهيثمي .

٣٩- من أحب أن يحيا حياتي ويموت موتتي ويسكن جنة الخلد التي وعدني ربي (عز وجل) غرس قضبانها بيديه فليتول علي بن أبي طالب . صححه الحاكم(٣/ ١٢٨) وتعقبه الذهبي وفيه القاسم متروك وشيخه ضعيف، وهو: يحيي بن العلي الأسلمي، قال الحافظ في التقريب (٧٦٧٧) : شيعي ضيعف لكنه أخطأ في ذكر اسم الأسلمي فسماه المحاربي واستغل عبد الحسين في المراجعات ذلك أبشع استغلال .

٤٠- ما صب الله في صدري شيئا إلا صببته في صدر علي . حديث موضوع (الموضوعات ١/ ١٣١) أسنى المطالب ١٢٦٢.

٤١- محبك محبي ومحبي محب الله ومبغضك مبغضي ومبغضي مبغض الله. قال الحافظ (رواه ابن عدي وهو باطل) [لسان الميزان (٢/ ١٠٩)] .

٤٢- يا علي أبشر فإنك وأصحابك وشيعتك في الجنة، يا علي أصليت العصر ؟ قال : لا. قال : اللهم إنك تعلم أنه كان في حاجتك وحاجه رسولك فرد عليه الشمس قال : فردها عليه فصلى علي وغابت الشمس .

• • •

أهم المصادر والمراجع

١- المهدي وفق أشراط الساعة، الدكتور محمد أحمد إسماعيل المقدم، الدار العالمية الإسكندرية، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ.

٢- الانتصار للصحب والآل من إفتراءات السماوي الضال للدكتور إبراهيم بن عامر الرحيلي، مكتبة الغرباء الأثرية، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م .

٣- النهج المبين للأصول العشرين، عبد الله القاسم الوشلي، دار المجتمع، جدة، الطبعة الأولى ١٤١١ هـ - ١٩٩٠م .

٤- مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة، د/ ناصر بن عبد الله القفاري، دار طيبة، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ، السعودية .

٥- أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثنى عشرية عرض ونقد د. ناصر بن عبد الله بن علي القفاري، دار الرضا للنشر والتوزيع، الجيزة بمصر الطبعة الثالثة ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

٦- بذل المجهود في إثبات مشابهة الرافضة لليهود، عبد الله الجميلي، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤ م.

٧- السنة ومكانتها في التشريع، د/ مصطفى السباعي، المكتب الإسلامي الطبعة الرابعة، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.

٨- انتصار الحق مناظرة علمية مع بعض الشيعة الإمامية، مجدي محمد علي، دار طيبة، الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.

٩- الدر المنثور في التفسير بالمأثور للإمام عبد الرحمن جلال الدين السيوطي دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣م.

١٠- سنن سيعد بن منصور دار الصميعي، الرياض، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

١١- مسند الدارمي، لأبي محمد عبد الله الدارمي، دار المغني الرياض، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

١٢- الموسوعة الحديثية السنن الكبرى للإمام أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

١٣- ثم أبصرت الحقيقة، محمد سالم الخضر، دار الإيمان، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، دار الإيمان للطباعة والنشر .

١٤- المحصول في علم الأصول، لفخر الدين محمد عمر بن الحسين الرازي، مؤسسة

الرسالة ، الطبعة الثالثة ١٤١٨ هـ ـ ١٩٩٧م.

١٥- فقه الإمام علي بن أبي طالب، أحـمد محمد طه رسالة مقدمة جـامعة بغداد قسم الدراسات الإسلامية الدينية، لم تطبع .

١٦- أحكام القـرآن لأبي بكر بن العربي، دار الكتب العـلمية، بـيروت الطبـعة الأولى ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

١٧- تفسير القرطبي، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، مكتبة الرشد، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

١٨- التفـسير المنير في العـقيدة والشريعـة والمنهج، للدكتور وهبـة الزحيلي، دار الفكر المعاصر بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١هـ ـ١٩٩١م.

١٩- في ظلال القرآن، سيـد قطب، دار الشروق، الطبعة الشـرعية الخامسـة والعشرون ١٤١٧هـ ـ١٩٩٦ م.

٢٠- سورة الحـجرات، د ناصر العـمر، دار الصديق صنعـاء الطبعة الثـالثة ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢م.

٢١- منهج القرآن الكريم في إصلاح النفوس، عبده الحاج مـحمد الحريري رسالة مقدمة لجامعة بغداد .

٢٢- الدعاء ومنزلته من العقيدة الإسلامية لأبي عبد الرحمن جيلان بن خضر العروسي، مكتبة الرشد، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.

٢٣- مع الشـيعة الاثنـى عشرية في الأصـول والفروع د / علـي السالوس دار التـقوى الطبعة الأولى ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧ م.

٢٤- سير الشهداء، دروس وعبر، عبد الحميد بن عبد الرحمن السحيباني، دار الوطن، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م.

٢٥- نساء أهل البيت، منصور عبد الحكيم، المكتبة التوفيقية .

٢٦- الإمام علي بن أبي طالب، رابع الخلفاء الراشدين، دار الكتب العلمية، بيروت .

٢٧- تاريخ مدينة السلام وأخبـار محدثيها وذكر قطانها العلماء من غـير أهلها ووارديها لأبي بكر أحـمد بن علي بن ثابت الخطيب البـغدادي دار الغـرب الإسلامي، الطبـعة الأولى ٢٠٠١م.

٢٨- خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه، عـبد الحميد علي ناصر فـقيهي، رسالة علمية قدمت للجامعة الإسلاميـة بالمدينة المنورة لم تطبع حتى الآن أشرف عليها الدكتور أكرم ضياء العمري .

٢٩- الاستيعاب في معرفة الأصحاب لأبي عـمر يوسف بن محمد بن عبد البر، تحقيق

علي محمد البجاوي، دار الجيل بيروت الطبعة الأولى ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.

٣٠- البداية والنهاية، لأبي الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي دار الريان، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨ م.

٣١- جولة تاريخية في عصر الخلفاء الراشدين، محمد السيد الوكيل دار المجتمع، المدينة، الطبعة الخامسة ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥ م .

٣٢- الصحيح المسند في فضائل الصحابة، لأبي عبد الله مصطفى العدوي، دار ابن عفان، السعودية، الخبر، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ ١٩٩٥م.

٣٣- الانشراح ورفع الضيق في سيرة أبي بكر الصديق، د.علي محمد الصلابي دار التوزيع والنشر الإسلامية، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢ م.

٣٤- دراسات في الأهواء والفرق والبدع وموقف السلف منها، د. ناصر بن عبد الكريم العقل، دار أشبيليا الطبعة الأولى ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م، الرياض.

٣٥- دراسة في تاريخ الخلفاء الأمويين، د . محمد ضيف الله بطاينة، دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمان، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

٣٦- الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة، لأبي العباس أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيثمي، مؤسسة الرسالة بيروت،الطبعة الأولى ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.

٣٧- فرائد الكلام للخلفاء الكرام قاسم عاشور، دار طويق الرياض، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

٣٨- الخوارج في العصر الأموي، د. نايف معروف دار الطليعة بيروت، الطبعة الرابعة.

٣٩- شرح الصدور ببيان بدع الجنائز والقبور لأبي عمر عبد الله بن محمد الحمادي مكتبة الصحابة، الشارقة، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

٤٠- الموسوعة الحديثية، مسند الإمام أحمد بن حنبل، توزيع وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف و الدعوة والإرشاد الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩ م.

٤١- الأدب العربي من ظهور الإسلام إلى نهاية العصر الراشدي، د/ حبيب يوسف مغنية، دار مكتبة الهلال، الطبعة الأولى ١٩٩٥م. بيروت لبنان .

٤٢- الطبقات لابن سعد، دار صادر بيروت .

٤٣- عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام، د/ ناصر علي عائض حسن الشيخ، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣ م.

٤٤- السنة لأبي بكر أحمد بن محمد الخلال تحقيق د/ عطية الزهراني، دار الراية، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ .

٤٥- بيعة علي بن أبي طالب، أم مالك الخالدي، حسن فرحان المالكي مركز الدراسات التاريخية، الطبعة الثالثة، عمان .

٤٦- تاريخ الإسلام في عهد الخلفاء الراشدين، محمد أحمد الذهبي، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٤٧- فتح الباري، المطبعة السلفية الطبعة الثانية ١٤١٠هـ.

٤٨- المدينة النبوية، فجر الإسلام والعصر الراشدي - محمد محمد حسن شراب، دار القلم - بيروت، الدراسات الشامية، بيروت، الطبعة الأولى١٤١٥هـ -١٩٩٤م.

٤٩- تاريخ الطبري لأبي جعفر، دار الفكر بيروت، الطبعة الأولى١٤٠٧هـ -١٩٨٧م.

٥٠- استشهاد عثمان ووقعة الجمل في مرويات سيف بن عمر في تاريخ الطبري دراسة نقدية د. خالد بن محمد الغيث، دار الأندلس الخضراء، جدة الطبعة الأولى١٤١٨هـ.

٥١- سنن أبي داود : الإمام أبو داود سليمان السجستاني تحقيق وتعليق عزت الدعاس ١٣٩١هـ، سوريا.

٥٢- سنن ابن ماجة، الحافظ أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني دار الفكر.

٥٣- سنن الترمذي أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي، دار الفكر ١٣٩٨هـ.

٥٤- سنن النسائي، أحمد بن شعيب بن علي بن بحر بن سنان بن دينار النسائي بشرح جلال الدين السيوطي وحاشية الإمام السندي، الطبعة الأولى ١٣٤٨هـ - ١٩٣٠م دار الفكر بيروت.

٥٥- الإحسان في صحيح ابن حبان علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، مؤسسة الرسالة بيروت الطبعة الأولى ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.

٥٦- السلسلة الصحيحة، للألباني، المكتب الإسلامي.

٥٧- معجم الطبراني الكبير، لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، مكتبة العلوم والحكم، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ - ١٩٩٥م.

٥٨- السنة لعبد الله بن أحمد بن حنبل، تحقيق : أبي هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٥٩- شرح العقيدة الطحاوية، للعلامة محمد بن علي بن محمد الأذرعي، خرج أحاديثها : محمد ناصر الدين الألباني المكتب الإسلامي، بيروت، ١٣٩١هـ.

٦٠- النهاية في غريب الحديث والأثر، لمجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري تحقيق : طاهر أحمد الزاوي، ومحمود الطناحي، المكتبة الإسلامية .

٦١- صحيح البخاري، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، دار الفكر، الطبعة الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

٦٢- صحيح مسلم، تحقيق محمد فـؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية ١٩٧٢م.

٦٣- صحيح مسلم بشرح النووي، المطبـعة المصرية بالأزهر الطبعة الأولى، ١٣٤٧هـ - ١٩٢٩م.

٦٤- مجموع الفتاوى، تقي الدين أحمد بن تيـمية الحراني، دار الوفاء بالمنصورة، مكتبة العبيكان بالرياض، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

٦٥- المصنف في الأحـاديث والآثار، لـلحـافظ أبي بكر بن أبي شـيـبـة، طبع : الدار السلفية، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ بومباي الهند.

٦٦- المصنف لعبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحـقيق : حبيب الرحمن الأعظمي، طبع : المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.

٦٧- العـواصم من القـواصم، القـاضي أبو بكر بن العـربي، تحـقـيق : مـحب الدين الخطيب، إعداد : محمد سعيد مبيض، دار الثقافة، قطر، الدوحة، الطبعة الثانية، ١٩٨٩م.

٦٨- تحقيق مواقـف الصحابة في الفتنة من روايات الطبري والمحدثين، تألـيف د/ محمد أمحزون، دار طيبة، مكتبة الكوثر، الرياض الطبعة الأولى ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

٦٩- الإبانة في أصـول الديانة، لأبي الحـسن الأشعـري، طبـعة الجـامـعة الإسـلاميـة ١٩٧٥م.

٧٠- الإمامـة والرد على الرافـضة، للحـافظ أبي نعيم الأصـبهـاني، تحقـيق وتعليق : د/ علي بن محمد بن ناصر الفقيهي، طبع مكتبة العلوم والحكم، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.

٧١- أصول الدين، لعـبد القاهر البـغدادي، طبع دار الكتب العلميـة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٣٤٦هـ.

٧٢- الاعتـقاد على مـذهب السلف أهل السنة والجـماعة لأبـي بكر أحمد بـن الحسين البيهقي، الناشر، نشاط آباد فيصل آباد، باكستان .

٧٣- الاقتـصاد في الاعتـقاد، لأبي حامد الغـزالي، طبع دار الكتب العلميـة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ .

٧٤- المقدمة لابن خلدون .

٧٥- عبـد الله بن سبـأ وأثره في إحداث الفتـنة في صدر الإسلام، سليـمان بن حـمد العودة، دار طيبة، الرياض، الطبعة الثالثة ١٤١٢هـ.

٧٦- الوصية الكبرى، لشيخ الإسـلام ابن تيمية، دار المطبعة السلفية ومكتـبتها : نشر : قصي محب الدين الخطيب، الطبعة الثالثة ١٤٠١هـ.

٧٧- تمهيـد الأوائل وتلخيص الدلائل، للقاضي أبي علي مـحمد بن الطيب البـاقلاني، مؤسسة الكتب الثقافية، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٧٨- دراسات في عهد النبوة والخلافة الراشدة، د/ عبد الرحمن الشجاع، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م. دار الفكر المعاصر - صنعاء.

٧٩- الخلافة بين التنظير والتطبيق، محمود المرداوي، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٨٠- منهج علي بن أبي طالب في الدعوة إلى الله، د/ سليمان بن قاسم العيد، دار الوطن، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

٨١- الدور السياسي للصفوة في صدر الإسلام، السيد عمر، معهد الفكر العالمي.

٨٢- عبقرية علي، عباس محمود العقاد، المكتبة العصرية - بيروت.

٨٣- خلفاء الرسول، خالد محمد خالد، دار ثابت، القاهرة دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

٨٤- علي بن أبي طالب، خالد البيطار.

٨٥- علي بن أبي طالب، عبد الستار الشيخ، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.

٨٦- الأدب الإسلامي في عهد النبوة، نايف معروف، دار النفائس، بيروت لبنان .

٨٧- الخلفاء الراشدون، عبد الوهاب النجار، دار القلم، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٨٨- المرتضى سيرة أمير المؤمنين أبي الحسن علي بن أبي طالب، لأبي الحسن الندوي، دار القلم، دمشق، الطبعة الثانية ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

٨٩- لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر بيروت.

٩٠- تاريخ المذاهب، لأبي زهرة دار الفكر العربي الطبعة الأولى.

٩١- نظام الحكم في الإسلام، عارف أبو عبيد، دار النفائس، الأردن، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

٩٢- الإمامة العظمى عند أهل السنة والجماعة، عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي، دار طيبة، السعودية، الطبعة الثانية، ١٤٠٩هـ.

٩٣- مشكاة المصابيح للتبريزي.

٩٤- فتاوى في التوحيد، عبد الله بن جبرين.

٩٥- الناهية عن طعن أمير المؤمنين معاوية، عبد العزيز بن أحمد بن حامد، غراس للتوزيع / الكويت / الطبعة الأولى١٤٢٢هـ.

٩٦- مسند الإمام زيد بن علي، جمع : عبد العزيز بن إسحاق البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ.

٩٧- صحيح سنن الترمذي، محمد ناصر الدين الألباني، مكتب التربية العربي لدول

الخليج، الرياض الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.

٩٨- صحيح سنن ابن ماجة للألباني، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٩٩- صحيح النسائي للألباني، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

١٠٠- مشكاة المصابيح للألباني .

١٠١- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٠٢- فضائل الصحابة، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، دار ابن الجوزي السعودية، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

١٠٣- الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، الحافظ الخطيب البغدادي، تحقيق : د/ محمود الطحان، مكتبة المعارف، الرياض ١٤٠٣هـ.

١٠٤- شرف أصحاب الحديث، الخطيب البغدادي، تحقيق : سعيد أوغلي، نشر : دار إحياء السنة النبوية.

١٠٥- مسند أحمد، تحقيق : أحمد شاكر، الطبعة الثالثة، دار المعارف، مصر ١٣٦٨هـ.

١٠٦- تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم، سعد الله بن جماعة، دار الكتب العلمية.

١٠٧- تاريخ اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر، دار بيروت، لبنان.

١٠٨- جامع بيان العلم وفضله لأبي عمر يوسف بن عبد البر النمري القرطبي، دار الفكر، دار الكتب الإسلامية ١٤٠٢هـ.

١٠٩- جامع بيان العلم وفضله لأبي عمر يوسف بن عبد البر، الطبعة الرابعة ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

١١٠- ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى، محب الدين الطبري دار المعرفة، بيروت.

١١١- تاريخ الخلفاء للسيوطي، دار صادر بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

١١٢- صفة الصفوة للإمام أبي الفرج بن الجوزي، دار المعرفة، بيروت.

١١٣- التاريخ الإسلامي، مواقف وعبر د/ عبد العزيز عبد الله الحميدي، دار الدعوة الإسكندرية، دار الأندلس الخضراء، جدة، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

١١٤- أدب الدين والدنيا للماوردي.

١١٥- المتجر الرابح في ثواب العمل الصالح للدمياطي.

١١٦- الكامل في التاريخ، أبو الحسن علي بن أبي المكارم الشيباني، المعروف بابن الأثير، تحقيق : علي شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٩م.

١١٧- صحيح التوثيق في سيرة علي بن أبي طالب، مجدي فتحي السيد، دار الصحابة بطنطا، الطبعة الأولى١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

١١٨- الإمام علي بن أبي طالب، محمد رشيد رضا، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

١١٩- رجال الفكر والدعوة للندوي، دار ابن كثير.

١٢٠- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، تحقيق : نديم مرعشلي، أسامة مرعشلي، مؤسسة الرسالة، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

١٢١- أخلاق النبي في القرآن والسنة، د/ أحمد الحداد، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الثانية ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

١٢٢- روح المعاني، للألوسي.

١٢٣- الزهد للإمام أحمد بن حنبل.

١٢٤- أصحاب الرسول، محمود المصري، مكتبة أبي حذيفة السلفي، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

١٢٥- نيل الأوطار، محمد بن علي الشوكاني، الطبعة الأخيرة، مصطفى البابي الحلبي وشركاه القاهرة.

١٢٦- تراث الخلفاء الراشدين في الفقه والقضاء، د/ صبحي محمصاني، دار العلم للملايين، الطبعة الأولى ١٩٨٤م.

١٢٧- مفتاح دار السعادة لابن القيم، تحقيق : محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٣٩٢هـ.

١٢٨- مدارج السالكين، ابن القيم، تحقيق : محمد حامد الفقي دار الكتاب العربي، بيروت، ١٣٩٢هـ.

١٢٩- تاريخ دمشق، دار إحياء التراث، الطبعة الأولى.

١٣٠- لطائف المعارف لابن رجب، دار ابن كثير

١٣١- عدة الصابرين، وذخيرة الشاكرين، لابن القيم دار الكتب العلمية بيروت.

١٣٢- التوقيف على مهمات التعاريف لمحمد عبد الرءوف المناوي، تحقيق د / محمد رضوان الداية الطبعة الأولى ١٤١٠هـ دار الفكر.

١٣٣- معرفة الصحابة لأبي نعيم، تحقيق محمد راضي بن حاج عثمان، مكتبة الدار في

المدينة النبوية، ومكتبة الحرمين في الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ .

١٣٤- موسوعة فقه علي بن أبي طالب، قلعجي دار النفائس، بيروت الطبعة الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٦ م.

١٣٥- فقه التمكين في القرآن الكريم، علي محمد الصلابي دار الوفاء المنصورة، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ ٢٠٠١م .

١٣٦ - شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة، لأبي القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري اللالكائي تحقيق د/ أحمد سعد حمدان الغامدي، دار طيبة، الرياض .

١٣٧- المختصر من كتاب الموافقة بين أهل البيت والصحابة للزمخشري، تحقيق سيد إبراهيم صادق دار الحديث طبعة ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م.

١٣٨الشيخان أبو بكر الصديق وعمر من رواية البلاذري في أنساب الأشراف، تحقيق د / إحسان صديق العمد، المؤتمن للنشر، السعودية، الطبعة الثالثة ١٤١٨هـ -١٩٩٧ م.

١٣٩- نظام الحكم في عهد الخلفاء الراشدين، حمد محمد الصمد، المؤسسة الجماعية للدراسات والنشر والتوزيع بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ - ١٩٩٤ م.

١٤٠- الدولة والسيادة في الفقه الإسلامي، فتحي عبد الكريم مكتبة وهبة، الطبعة الثانية ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤م.

١٤١- النظام السياسي في الإسلام، د / محمد أبو فارس، دار الفرقان، عمان، الأردن، الطبعة الثانية ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م.

١٤٢- روضة الناضر وجنة المناظر لابن قدامة، موفق الدين عبد الله بن أحمد المقدسي، المطبعة السلفية القاهرة الطبعة الرابعة ١٣٩١هـ .

١٤٣- الإدارة العسكرية في الدولة الإسلامية نشأتها وتطورها حتى منتصف القرن الثالث الهجري د/ سليمان بن صالح بن سليمان آل كمال، منشورات جامعة أم القرى .

١٤٤- نهاية الأرب في فنون الأدب، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، مطبعة كوتسا توماسي بالقاهرة .

١٤٥- فن الحكم الإسلامي، مصطفي أبو زيد فهمي، المكتب المصري الحديث .

١٤٦- الشورى بين الأصالة والمعاصرة، عز الدين التميمي دار البشير، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

١٤٧ - المستدرك على الصحيحين، للإمام أبي عبد الله النيسابوري بذيله التلخيص للذهبي طبعة ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م دار الفكر .

١٤٨- نهج البلاغة شرح الشيخ محمد عبده، دار البلاغة الطبعة الثامنة، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

١٤٩- مسند أبي يعلى، أحمد بن علي المثنى التميمي، تحقيق وتخريج : حسين سليم أسد، الطبعة الأولى، دار المأمون للتراث، دمشق.

١٥٠- مجمع الزوائد، ومنبع الفوائد، نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، دار الريان القاهرة، دار الكتاب العربي بيروت .

١٥١- الوسطية في القرآن الكريم، علي محمد الصلابي، دار النفائس، دار البيارق عمان، الطبعة الأولى ١٩٩٩م.

١٥٢- التوضيح والبيان لشجرة الإيمان للشيخ عبد الرحمن السعدي .

١٥٣- الاستذكار لمذاهب فقهاء الأمصار وعلماء الأقطار، لابن عبد البر، لجنة إحياء التراث الإسلامي .

١٥٤- الغلو في الدين، د/ الصادق عبد الرحمن الغرياني، دار السلام، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

١٥٥- المواعظ والاعتبار، أحمد بن علي عبد القادر المقريزي، الطبعة الثانية، مكتبة الثقافة الدينية القاهرة ١٩٨٧م.

١٥٦- الاعتصام للشاطبي، تحقيق : محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت سنة ١٤٠٢هـ.

١٥٧- الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، لابن قيم الجوزية .

١٥٨- في ظلال الإيمان، صلاح عبد الفتاح الخالدي، مكتبة المنار الأردن، الزرقاء، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

١٥٩- تبصير المؤمنين بفقه النصر والتمكين في القرآن الكريم، علي محمد الصلابي، دار الصحابة، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.

١٦٠- تفسير الفخر الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية .

١٦١ - السيرة النبوية لابن هشام، لأبي محمد بن عبد الملك بن هشام، دار الفكر، بدون تاريخ.

١٦٢- معجم الأدباء، ياقوت الحموي، دار صادر، بيروت .

١٦٣ - عيون الأخبار ، لأبي محمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٠٦ - ١٩٨٦ م.

١٦٤ - الإعجاز والإيجاز ، أبو منصور الثعالبي، دار الرائد العربي، بيروت.

١٦٥- مروج الذهب ومعادن الجواهر لأبي الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي، دار المعرفة، بيروت ١٤٠٣هـ - ١٩٨٢م.

١٦٦- الشريعة للإمام المحدث أبي بكر محمد بن الحسين الآجري، تحقيق : د/ عبد الله ابن سليمان الدميجي، الطبعة الأولى، دار الوطن، الرياض، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

١٦٧- الشرك في القديم والحديث، أبو بكر محمد زكريا مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

١٦٨- مختصر منهاج القاصدين، أحمد بن عبد الرحمن المقدسي مكتبة البيان، دمشق ١٣٩٨هـ.

١٦٩- سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي مؤسسة الرسالة، الطبعة السابعة ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

١٧٠- إحياء علوم الدين للغزالي .

١٧١- معالم السلوك وتزكية النفوس، عبد العزيز محمد عبد اللطيف، دار الوطن السعودية، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.

١٧٢- بدائع الفوائد لابن القيم، مكتبة الرياض .

١٧٣- صيد الخاطر لابن الجوزي .

١٧٤- الأخلاق والسير لابن حزم.

١٧٥- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، للإمام عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، دار الفكر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

١٧٦- الرياض النضرة في مناقب العشرة، لأبي جعفر أحمد الشهير بالمحب الطبري، المكتبة القيمة القاهرة .

١٧٧- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٧٨- نظام الحكومة الإسلامية للكتاني : المسمى التراتيب الإدارية محمد عبد الحي الكتاني الإدريسي الحسني، الأرقم بن أبي الأرقم - بيروت.

١٧٩- الأموال، لأبي عبيد، تحقيق محمد خليل هراس، مكتبة الكليات الأزهرية .

١٨٠- الحياة الاقتصادية في العصور الإسلامية الأولى، د/ محمد ضيف الله بطاينة، دار طارق، دار الكندي الأردن .

١٨١- الهبة في العصر النبوي وعصر الخلفاء الراشدين، د/ فضل إلهي، الطبعة الثالثة ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م مؤسسة المجريسي، الرياض .

١٨٢- المغنى للإمام العلامة ابن قدامة المقدسي، دار الحديث القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

١٨٣- الخراج، لأبي يوسف، يعقوب بن إبراهيم المكتبة السلفية، الطبعة الثالثة القاهرة

١٣٨٢هـ.

١٨٤- ولاية الشرطة في الإسلام د/ نمر الحميداني، دار عالم الكتب، الرياض، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

١٨٥- تاريخ خليفة بن خياط، أبو عمر خليفة بن خياط بن أبي هبيرة الليثي، تحقيق : أكرم ضياء العمري، الطبعة الثانية مؤسسة الرسالة، ودار القلم، بيروت ١٣٩٧هـ.

١٨٦- الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن علي بن حجر، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

١٨٧- علي بن أبي طالب، د/ علي شرفي، دار الكندي أربد، الأردن، الطبعة الأولى ٢٠٠١م .

١٨٨- الولاية على البلدان في عصر الخلفاء الراشدين، د/ عبد العزيز إبراهيم العمري، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.

١٨٩- من أصول الفكر السياسي، محمد فتحي عثمان، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

١٩٠- النظم المالية في الإسلام، عيسى عبده، معهد الدراسات الإسلامية، القاهرة ١٣٩٦هـ ـ ١٣٩٧هـ .

١٩١- السياسة المالية لعثمان بن عفان، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٦م.

١٩٢- تاريخ العرب، مطول، د / فيليب متى، ترجمة إدوارد جرجي، د/ جبرائيل جبور، دار الكشاف بيروت ١٩٤٩م.

١٩٣- وقائع ندوة النظم الإسلامية، أبو ظبي، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٤م.

١٩٤- نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي، ظافر القاسمي، دار النفائس، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

١٩٥-إعلام الموقعين عن رب العالمين لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر ابن القيم، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد المكتبة العصرية صيدا بيروت، طبعة ١٤٠٧هـ.

١٩٦- الاجتهاد في الفقه الإسلامي ضوابطه ومستقبله، عبد السلام السليماني، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، المملكة المغربية .

١٩٧- خلاصة التشريع الإسلامي، عبد الوهاب خلاف دار القلم،الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.

١٩٨- تاريخ القضاعي، كتاب عيون المعارف وفنون أخبار الخلائف، للإمام القاضي محمد بن سلامة بن جعفر الشافعي، مطبوعات جامعة أم القرى .

١٩٩- تاريخ القضاء في الإسلام، د/ محمد الزحيلي، دار الفكر دمشق، دار الفكر

المعاصر لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

٢٠٠- أخبار القضاء لوكيع، وكيع محمد بن خلف بن حيان الطبعة الأولى مطبعة الاستقامة بالقاهرة ١٣٦٦هـ ـ ١٩٤٧م.

٢٠١- الأحكام السلطانية، لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب، دار الفكر بيروت، بدون تاريخ .

٢٠٢- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، تحقيق حسن تميم، مكتبة الحياة، بيروت ١٩٦٤م.

٢٠٣- صحيح سنن أبي داود، مكتب التربية العربي لدول الخليج .

٢٠٤ - شرح صحيح مسلم، للإمام النووي، بيروت، دار الفكر، طبعة ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.

٢٠٥ المجموع شرح المهذب، للإمام أبي زكريا يحيي بن شرف النووي، مطبعة الإمام بمصر .

٢٠٦ - المبسوط لمحمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي دار المعرفة بيروت .

٢٠٧- المحلي بالآثار، للإمام أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي دار الكتب العلمية، بيروت لبنان .

٢٠٨- معجم الطبراني، سليمان بن أحمد الطبراني، دار العربية، بغداد ١٣٩٨هـ، الأوسط.

٢٠٩- جمع الجوامع بحاشية العطار للإمام ابن السبكي مع شرح الجلال المحلي / دار الكتب العلمية - بيروت.

٢١٠- بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع للعلامة علاء الدين أبي بكر بن مسعود الكاساني الحنفي، الناشر زكريا علي يوسف .

٢١١- فتح العزيز شرح الوجيز للإمام أبي القاسم عبد الكريم محمد الرافعي، المطبوع في هامش المجموع .

٢١٢- بداية المجتهد ونهاية المقتصد، لمحمد بن أحمد بن رشد القرطبي طبعة١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م، مطبعة الكليات الأزهرية .

٢١٣- المنتقى شرح موطأ الإمام مالك بن أنس للقاضي أبي الوليد سليمان بن خلف الباجي الأندلسي طبعة مصورة على الطبعة الأولى سنة ١٣١٣هـ، مطبعة السعادة.

٢١٤- إعلاء السنن للمحدث الناقد، ظفر أحمد العثماني على ضوء ما أفاده الإمام الفقيه الشيخ أشرف علي التهانوي بتحقيق وتعليق : عبد الفتاح أبو غدة - منشورات إدارة

القرآن والعلوم الإسلامية باكستان .

٢١٥- الإشراف على مذاهب أهل العلم للحافظ محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري، بتحقيق : محمد نجيب سراج الدين، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، دار إحياء التراث الإسلامي بدولة قطر .

٢١٦- السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار للشيخ محمد بن علي الشوكاني، تحقيق محمود إبراهيم، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٢١٧- المدونة الكبرى للإمام مالك بن أنس، طبعة بالأوفيست ١٣٢٣هـ، دار صادر بيروت .

٢١٨- سبل السلام، للأمير الصنعاني .

٢١٩- مقاصد الشريعة الإسلامية، د/ محمد سعد اليوبي، دار الهجرة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

٢٢٠- الحكم والتحاكم في خطاب الوحي، عبد العزيز مصطفى كامل، دار طيبة، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

٢٢١- الخلافة الراشدة والدولة الأموية من فتح الباري، يحيى بن إبراهيم اليحيى، دار الهجرة، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

٢٢٢- عصر الخلافة الراشدة، د/ أكرم ضياء العمري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

٢٢٣- حقيقة البدعة وأحكامها، سعيد ناصر الغامدي، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

٢٢٤- الموافقات في أصول الشريعة لأبي إسحاق الشاطبي تحقيق : عبد الله دراز، دار الباز مكة المكرمة .

٢٢٥- الأم للشافعي، دار المعرفة بيروت.

٢٢٦- مسائل الإمام أحمد لأبي داود سليمان بن الأشعث، مطبعة المنار بمصر سنة ١٣٥٣هـ.

٢٢٧- مناقب الشافعي للرازي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم، تحقيق : عبد الغني عبد الخالق، دار الكتب العلمية بيروت.

٢٢٨- تهذيب التهذيب، لابن حجر العسقلاني، عن طبعة حيدر آباد.

٢٢٩- الإنصاف فيما وقع في تاريخ العصر الراشدي من خلاف د/ حامد محمد الخليفة، مطابع الدوحة المدينة الرياضية عمان، الأردن، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

٢٣٠- الاستبصار في نسب الصحابة من الأنصار، تحقيق : د/ علي نويهض، دار

الفكر، بيروت، بدون تاريخ .

٢٣١- تهذيب تاريخ دمشق، دار إحياء التراث العربي، بيروت الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٢٣٢- الأخبار الطوال، لأبي حنيفة أحمد بن داود، تحقيق : عبد المنعم عامر، مراجعة د/ جمال الدين الشيال، مكتبة المتنبي، بغداد.

٢٣٣- كتاب الفتوح، أبو محمد أحمد بن أعثم، الطبعة الأولى دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد، الهند ١٣٨٨هـ - ١٩٩٨م.

٢٣٤- ولاة مصر لأبي يوسف محمد بن يوسف الكندي، تحقيق : د/ حسين نصار، دار صادر، بيروت بدون تاريخ .

٢٣٥- مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري، يحيي إبراهيم اليحيى، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ .

٢٣٦- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي، وزارة الثقافة والإرشاد القومي القاهرة بدون تاريخ .

٢٣٧- تيسير الكريم المنان في سيرة عثمان بن عفان، علي محمد الصلابي، دار النشر والتوزيع، القاهرة الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

٢٣٨- منهاج السنة النبوية لابن تيمية، تحقيق محمد رشاد مؤسسة قرطبة .

٢٣٩- الثقات، محمد بن حبان بن أحمد، مكتبة مدينة العلم، مكة المكرمة، الطبعة الأولى ١٣٩٣هـ .

٢٤٠- فتنة مقتل عثمان بن عفان، محمد عبد الله الغبان مكتبة العبيكان، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

٢٤١- تهذيب الكمال في أسماء الرجال، يوسف عبد الرحمن المزي، بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.

٢٤٢- آثار الحرب في الفقه الإسلامي، د/ وهبة الزحيلي، دراسة مقارنة، دار الفكر، الطبعة الثالثة ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

٢٤٣- الجرح والتعديل، لابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس، دار الكتاب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٢٧١هـ.

٢٤٤- وقعة صفين، نصر بن مزاحم المنقري، تحقيق عبد السلام هارون، الطبعة الثانية، القاهرة ١٣٨٢هـ.

٢٤٥- تفسير التابعين، عرض ودراسة مقارنة : د/ محمد عبد الله علي الخضيري، دار الوطن، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٢٤٦- فصل الخطاب في سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، علي محمد الصلابي، دار الصحابة، الإمارات، الطبعة الأولى ٢٠٠٢ م.

٢٤٧- أباطيل يجب أ ن تمحى من التاريخ : د/ إبراهيم علي شعوط، المكتب الإسلامي الطبعة السادسة ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٢٤٨- الفتنة الكبرى، علي وبنوة، طه حسين، دار المعارف بمصر ١٩٦٦ .

٢٤٩- الدراهم المضروبة على الطراز الساساني للخلفاء الراشدين في المتحف العراقي وداد علي قزاز، مجلة المسكوكات، مديرية الآثار العامة بغداد الجزء (١) المجلد (١) ١٩٦٩م.

٢٥٠- الأنساب، لأبي سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي، تحقيق وتعليق الأستاذ محمد عوامة، الطبعة الأولى، نشر محمد أمين دمج بيروت ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م.

٢٥١- التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان، محمد بن يحيى بن أبي بكر المالقي الأندلسي، حققه : د / محمود يوسف زايد، دار الثقافة الدوحة، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٢٥٢- الأساس في السنة وفقهها، سعيد حوى، دار السلام، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

٢٥٣- الإدارة والنظام الإداري عند الإمام علي : د/ محسن باقر الموسوي، الغدير، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٨ م.

٢٥٤- النظم الإسلامية، صبحي الصالح، الطبعة الخامسة، دار العلم للملايين بيروت، مايو ١٩٨٠م.

٢٥٥- الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الكوفة في القرن الأول الهجري، القاهرة ١٩٧٠م، محمد حسين الزبيدي .

٢٥٦- العرافة والنقابة مؤسستان اجتماعيتان مهمتان في العهد النبوي، محمد يوسف الفاروقي، مجمع البحوث الإسلامية - الجامعة الإسلامية - إسلام آباد باكستان، ١٩٨٢م.

٢٥٧- تفسير المنير : د/ وهبة الزحيلي، دار الفكر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

٢٥٨- التفسير الصحيح، موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور : د/ حكمت بن بشير بن ياسين دار المآثر، المدينة النبوية، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٢٥٩ منهج القرآن الكريم في إصلاح النفوس : د/ عبدو الحريري، رسالة ماجستير، جامعة بغداد لم تطبع .

٢٦٠- دعاوى الإنقاذ للتاريخ الإسلامي، سليمان العودة، رسالة نشرت على الإنترنت.

٢٦١- تذكرة الحفاظ، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، بيروت، دار إحياء التراث .

٢٦٢- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد الحنبلي، بيروت، المكتب التجاري للطباعة و النشر .

٢٦٣- وفيات الأعيان وأنباء الزمن، لابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد، تحقيق : إحسان عباس، دار صادر بيروت .

٢٦٤- البيان والتبيين للجاحظ، أبو عثمان عمرو بحر، دار الخانجي بمصر، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م.

٢٦٥- ميزان الاعتدال للذهبي، تحقيق : علي محمد البجاوي، دار المعرفة بيروت .

٢٦٦- لسان الميزان، لابن حجر العسقلاني، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت الطبعة الثانية ١٣٩٠هـ .

٢٦٧- المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين لابن حبان البستي محمود إبراهيم زيد، دار المعرفة بيروت .

٢٦٨- رجال الكشي، لأبي عمرو محمد بن عمر بن العزيز الكشي، قدم له وعلق عليه أحمد السيد الحسيني .

٢٦٩- عبد الله بن سبأ الحقيقة المجهولة، لمحمد علي المعلم .

٢٧٠- الخوارج والشيعة، يوليوس فلهاوزن .

٢٧١- السيادة العربية والشيعة والإسرائيليات، فان فولتن ترجمة حسن إبراهيم حسن، ومحمد زكي إبراهيم، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الثانية، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م.

٢٧٢- العقيدة والشريعة الإسلامية، جولد تسهير أجناس، ترجمة : د/ محمد يوسف موسى وآخرين، القاهرة دار الكتب الحديثة .

٢٧٣- تاريخ الأدب العربي في الجاهلية وصدر الإسلام، نكلسن رينولد، ترجمة صفاء خلوصي، بغداد : مطبعة المعارف ١٣٨٨هـ - ١٩٦٩ م.

٢٧٤- عقائد الشيعة، رونلدس، دوايت تعريب (ع م) القاهرة، مكتبة الخانجي ١٣٦٥هـ -١٩٤٦م.

٢٧٥- أصول الإسماعيلية، لويس بارنارد، ترجمه إلى العربية خليل أحمد جلو، جاسم، محمد الرجب، بغداد مكتبة المثنى ١٣٦٧هـ - ١٩٤٧م.

٢٧٦- عائشة والسياسة، سعيد الأفغاني، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩١هـ - ١٩٧١م.

٢٧٧- الدولة الأموية، يوسف العشي، دار الفكر، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥ م.

٢٧٨- الفصل في الملل والأهواء والنحل، لأبي محمد بن حزم الظاهري، مكتبة الخانجي، مصر .

٢٧٩- أحداث وأحاديث فتنة الهرج : د/ عبد العزيز دخان، رسالة دكتوراه بفاس بالمغرب لم تطبع .
٢٨٠- المغني في الضعفاء للذهبي، تحقيق نور الدين عتر .
٢٨١- التاريخ الكبير للبخاري، مؤسسة الثقافة بيروت .
٢٨٢- دور المرأة السياسي في عهد النبي والخلفاء الراشدين، أسماء محمد أحمد زيادة، دار السلام، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.
٢٨٣- الإمامة والسياسة، المنسوب لابن قتيبة، مؤسسة الحلبي، القاهرة .
٢٨٤- لمع الأدلة في عقائد أهل السنة، للجويني، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف، بتحقيق فوقية حسين محمود، الناشر الدار المصرية .
٢٨٥- غياث الأمم في التياث الظلم لإمام الحرمين الجويني، تحقيق عبد العظيم الديب، مطابع الدوحة الحديثة قطر، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ .
٢٨٦- التذكرة في أحوال الموتى والآخرة : لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، حققه وأخرج أحاديثه فؤاد أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي .
٢٨٧- حقبة من التاريخ، عثمان الخميس، دار الإيمان الإسكندرية .
٢٨٨- العقيدة في أهل البيت بين الإفراط والتفريط، : د/ سليمان بن سالم بن رجاء السحيمي، مكتبة البخاري الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
٢٨٩- إفادة الأخيار ببراءة الأبرار محمد العربي التباني، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٨٤م .
٢٩٠- أعلام النصر المبين لأبي الخطاب عمر بن الحسن بن دحية الكلبي، تحقيق : د/ محمد أمحزون دار الغرب، الطبعة الأولى ١٩٩٨م .
٢٩١- أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق محمد إبراهيم البنا، مطبعة الشعب .
٢٩٢- تقريب التهذيب لابن حجر .
٢٩٣- الكامل في ضعفاء الرجال لابن عدي، الحافظ أحمد بن عبد الله الجرجاني، دار الفكر للطباعة بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ .
٢٩٤- الأنصار في العصر الراشدي، سياسيا وعسكريا وفكريا : د/ حامد محمد خليفة، رسالة دكتوراه من كلية الآداب في جامعة بغداد لم تطبع، من صورة مصورة .
٢٩٥- العثمانية، للجاحظ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى .
٢٩٦- خلاصة الخلافة الراشدة من تاريخ ابن كثير محمد كنعان مؤسسة المعارف، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٨م.

٢٩٧- نسب قريش : أبو عبد الله مصعب بن عبد الله الزبيري دار المعارف، القاهرة .

٢٩٨- التاريخ الصغير للبخاري، محمد إسماعيل البخاري، تحقيق محمود إبراهيم زايد، الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ، دار المعرفة بيروت.

٢٩٩- أنساب الأشراف، لأبي الحسن أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري .

٣٠٠- كتاب أهل البغي من الحاوي الكبير، لأبي الحسن الماوردي.

٣٠١- المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال، للحافظ أبي عبد الله محمد بن عثمان الذهبي، مكتبة دار البيان، حققه وعلق عليه : محب الدين الخطيب .

٣٠٢- سير السلف لأبي القاسم الأصفهاني، دار الراية، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٣٠٣- أهل الشورى الذين اختارهم عمر رضي الله عنه، رياض العبد الله، دار الرشيد، بيروت، دمشق مؤسسة الإيمان، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

٣٠٤- عمدة القاري، شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني .

٣٠٥- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، لمحمد بن عبد الرحمن المباركفوري، مطبعة الاعتماد، نشر محمد عبد المحسن الكتبي، تصحيح عبد الرحمن محمد عثمان .

٣٠٦- دراسات تربوية في الأحاديث النبوية، للأعظمي محمد لقمان الأعظمي الندوي، دار العبيكان الطبعة الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

٣٠٧ - الزهد لابن المبارك.

٣٠٨- الزبير بن العوام، الثروة و الثورة، عبد العظيم الديب، مكتبة ابن تيمية، البحرين

٣٠٩- فرسان في عصر النبوة، أحمد خليل جمعة الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م - اليمامة دمشق .

٣١٠- تاريخ الدعوة الإسلامية، محمد جميل عبد الله المصري الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٣١١- معاوية بن أبي سفيان، صحابي كبير وملك مجاهد، منير الغضبان، دار القلم دمشق الطبعة الثالثة ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

٣١٢- المعرفة والتاريخ، للفسوي، لأبي يوسف الفسوي، تحقيق أكرم ضياء العمري، مطبعة الإرشاد بغداد ١٣٩٤هـ .

٣١٣- الأعلام للزركلي، دار العلم للملايين - بيروت لبنان - الطبعة السادسة، ١٩٨٤م.

٣١٤- إرواء الغليل تخريج أحاديث منار السبيل، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـ، نشر المكتب الإسلامي .

٣١٥- الدولة الإسلامية في عصر الخلفاء الراشدين : د/ حمدي شاهين، دار القاهرة .

٣١٦- مسند أحمد مع الفتح الرباني، للساعاتي، أحمد عبد الرحمن الساعاتي، مطبعة الفتح الرباني بالقاهرة، الطبعة الأولى .

٣١٧ تهذيب الأسماء واللغات : للإمام محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي، دار الكتب العلمية - بيروت لبنان .

٣١٨- تلخيص الحبير في أحاديث الرافعي الكبير : لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، مراجعة : السيد عبد الله هاشم اليماني المدني المدينة المنورة، ١٣٨٤هـ ١٩٦٤م.

٣١٩- عمرو بن العاص للغضبان الأمير المجاهد، : د/ منير محمد الغضبان أم القرى، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ .

٣٢٠- عمار بن ياسر، أسامة بن أحمد سلطان، المكتبة المكية، السعودية، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٣٢١- قصص لا تثبت، سليمان بن صالح الخراشي دار الصميعي، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٣٢٢- تنزيه خال المؤمنين معاوية بن أبي سفيان من الظلم والفسق في مطالبته بدم أمير المؤمنين عثمان لأبي يعلى محمد الفراء، تحقيق : دار النبلاء، عمان، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٣٢٣- أبو موسى الأشعري، الصحابي العالم المجاهد، محمد طهماز، دار القلم، الطبعة الأولى١٤١١هـ - ١٩٩١م، دمشق .

٣٢٤- أنس بن مالك الخادم الأمين، عبد الحميد طهماز، دار القلم، دمشق .

٣٢٥- مناقب عمر لابن الجوزي .

٣٢٦- مجموعة الوثائق السياسية في العهد النبوي، والخلافة الراشدة، محمد حميد الله، دار النفائس، الطبعة الخامسة ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٣٢٧- صحيح السيرة النبوية، إبراهيم العلي، دار النفائس، الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ - ١٩٩٨م.

٣٢٨- السيرة النبوية الصحيحة د/ أكرم العمري، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، مكتبة العلوم والحكم بالمدينة المنورة.

٣٢٩- السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة محمد أبو شهبة، دار القلم، دمشق، الطبعة الثالثة ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

٣٣٠- صحيح موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان، للألباني، دار الصميعي السعودية، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م .

٣٣١- غزوة الحديبية، لأبي فارس، دار الفرقان الأردن .

٣٣٢- من معين السيرة، صالح أحمد الشامي، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

٣٣٣- إتمام الوفاء بسيرة الخلفاء، محمد الخضري، دار المعرفة بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

٣٣٤- فتوح الشام، محمد عبد الله الأزدي، تحقيق : عبد المنعم عبد الله عامر، نشر : مؤسسة القاهرة ١٩٧٠م.

٣٣٥- القيادة العسكرية في عهد الرسول، دار القلم، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

٣٣٦- سفراء النبي (ﷺ) محمود شيت خطاب مؤسسة الريان، دار الأندلسي الخضراء، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

٣٣٧- عمرو بن العاص، عبد الخالق سيد أبو رابية، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٣٣٨- عمرو بن العاص، محمود العقاد، الناشر دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية ١٩٦٩م.

٣٣٩- المراسيل، لابن أبي حاتم، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٣٩٧هـ .

٣٤٠- التاريخ، لأبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، تحقيق أحمد محمد نور سيف، دار المأمون للتراث .

٣٤١- الأحكام السلطانية، لأبي يعلى : محمد بن الحسين تعليق : محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية / بيروت ١٤٠٣هـ .

٣٤٢- الجهاد والقتال في السياسة الشرعية، محمد خير هيكل، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

٣٤٣- الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، للقاضي أبي بكر بن الطيب الباقلاني، تحقيق محمد زاهد الكوثري، الطبعة الثانية، مؤسسة الخانجي ١٣٨٢هـ .

٣٤٤- مناقب الإمام أحمد بن حنبل، لأبي الفرج بن الجوزي، تحقيق : لجنة إحياء التراث، طبع دار الآفاق الجديدة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٢هـ .

٣٤٥- عقيدة الإمام ابن قتيبة : د / علي بن نفيع العلياني، مكتبة الصديق، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ - ١٩٩١م السعودية .

٣٤٦- المعارف لابن قتيبة، تحقيق ثروت عكاشة، الطبعة الثالثة ـ دار المعارف مصر .

٣٤٧- مختصر التحفة الاثنى عشرية، للسيد محمود شكري الألوسي، مكتبة إيشيق ـ استانبول، تركيا، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩ .

٣٤٨- السيف اليماني في نحر الأصفهاني، وليد الأعظمي، الطبعة الثانية، ١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩م، دار الوفاء، مصر .

٣٤٩ - منهج كتاب التاريخي الإسلامي، محمد صامل العلياني السلمي، دار طيبة الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

٣٥٠- أثر التشيع على الروايات التاريخية في القرن الأول الهجري، : د/ عبد العزيز محمد نور ولي، دار الخضيري، المدينة النبوية الطبعة الأولى ١٤١٧هـ ١٩٩٦م .

٣٥١- منهج المسعودي في كتابة التاريخ، سليمان بن عبد الله المديد السويكت، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٦م.

٣٥٢- تاريخ عمرو بن العاص، حسن إبراهيم حسن، مطبعة السعادة، الطبعة الأولى ١٣٤٠هـ ـ ١٩٢٢م.

٣٥٣- الشيعة والسنة، إحسان إلهي ظهير .

٣٥٤- دراسات عن الفرق وتاريخ المسلمين، : د/ أحمد محمد جلي، شركة الطباعة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ .

٣٥٥- الإمام الصادق، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي .

٣٥٦ - الشيعة والقرآن إحسان إلهي ظهير، إدارة ترجمان السنة، لاهور، باكستان الطبعة الثالثة ١٤٠٣م.

٣٥٧- تأويل مختلف الحديث، لأبي محمدعبد الله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق : محمد محيي الدين الأصفر المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ .

٣٥٨- المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم، لأبي العباس أحمد بن عمر القرطبي، تحقيق محي الدين ديب مستو، يوسف بدوي، دار ابن كثير، بيروت، دمشق، دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.

٣٥٩- الكفاية، أحمد بن علي الخطيب، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ دار الكتاب العربي، تحقيق وتعليق : الدكتور أحمد عمر هاشم .

٣٦٠- فتح المغيث شرح ألفية الحديث، محمد بن عبد الرحمن السخاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٣٦١- تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، منشورات المكتبة العلمية بالمدينة المنورة، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.

٣٦٢- مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث لأبي عمرو عثمان بن عبد الرحمن المعروف بابن الصلاح، طبع : دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان .

٣٦٣- الباعث الحثيث، شرح اختصار علوم الحديث، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق أحمد شاكر، طبع : مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده، الطبعة الثانية ١٣٧٠هـ.

٣٦٤- جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام، لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب الشهير بابن قيم الجوزية، دار القلم، بيروت، لبنان.

٣٦٥- تفسير السعدي، المسمى تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق : محمد زهدي النجار، المؤسسة السعدية .

٣٦٦- تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٨٩هـ - ١٩٧٠م.

٣٦٧- الفرق بين الفرق، لعبد القاهر بن طاهر البغدادي، تعليق، محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة محمد علي صبيح، مصر .

٣٦٨- أثر الإمامة في الفقه الجعفري وأصوله، للسالوس علي أحمد السالوس، دار وهدان للطباعة، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ.

٣٦٩- الخطوط العريضة للأسس التي قام عليها دين الشيعة الإمامية الاثنى عشرية، محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية، القاهرة ١٣٩٣هـ.

٣٧٠- المحاسن النفسانية في أجوبة المسائل الخرسانية، الشيخ حسين آل عصفور البحراني، دار المشرق العربي، بيروت، البحرين .

٣٧١- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد علي الشوكاني، مطبعة، مصطفى البابي الحلبي، مصر، الطبعة الثانية ١٣٨٣هـ.

٣٧٢- النهاية في الفتن والملاحم، لابن كثير، دار المعرفة بيروت، لبنان، الطبعة الرابعة ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

٣٧٣- ضحى الإسلام، أحمد أمين .

٣٧٤- النهي عن سب الأصحاب للمقدسي، محمد عبد الواحد المقدسي، تحقيق : عبد الرحمن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى .

٣٧٥- لمحات اجتماعية من تاريخ العراق د/ علي الوردي مطبعة الإرشاد بغداد ١٩٦٩م.

٣٧٦- الفكر الشيعي والنزعات الصوفية، كامل الشيبي مكتبة النهضة، بغداد، مطابع دار التضامن ١٣٨٦هـ.

٣٧٧- نظام الخلافة في الفكر الإسلامي، د/ مصطفى حلمي، دار الدعوة الإسكندرية .

٣٧٨- خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق : أحمد ميرين البلوشي، مكتبة المعلا، الكويت، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٣٧٩- منهج ابن تيمية في مسألة التكفير، الدكتور عبد المجيد بن سالم المشعبي، أضواء السلف، السعودية، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

٣٨٠- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، لأبي الحسن الأشعري، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية .

٣٨١- هدي الساري، مقدمة فتح الباري، الحافظ ابن حجر العسقلاني، المطبعة السلفية ومكتبتها .

٣٨٢- التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، لأبي الحسين محمد بن أحمد الملطي، مكتبة المثنى، بغداد ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م.

٣٨٣- الخوارج، ناصر العقل، دار الوطن الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.

٣٨٤- الوظيفة العقيدية للدولة الإسلامية، حامد عبد الماجد قويسي، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، دار التوزيع والنشر الإسلامية.

٣٨٥- تلبيس إبليس، لابن الجوزي، بتحقيق محمود مهدي إستانبولي ١٣٩٦هـ-١٩٧٦م.

٣٨٦- الخوارج، دراسة ونقد لمذهبهم، ناصر بن عبد الله السعوي، دار المعارج الدولية، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م .

٣٨٧- نصب الراية، لأحاديث الهداية، جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف الزيلعي، دار المأمون، القاهرة ١٣٥٧هـ - ١٩٣٨م.

٣٨٨- ظاهرة الغلو في الدين في العصر الحديث، محمد عبد الحكيم، الطبعة الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

٣٨٩- الإباضية في موكب التاريخ - علي يحيي معمر مكتبة وهبة .

٣٩٠- السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية - ابن تيمية - المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة ١٣٨٧هـ.

٣٩١- فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبد الرءوف المناوي، دار الفكر للطباعة والنشر، الطبعة الثانية، ١٣٩١هـ - ١٩٧٢م.

٣٩٢- قواعد في التعامل مع العلماء : د/عبد الرحمن بن معلا اللويحق، دار الوراق، السعودية، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ - ١٩٩٢م .

٣٩٣- التكفير جذوره وأسبابه، : د/ نعمان عبد الرزاق السامرائي - دار المنارة - جدة،

الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م .

٣٩٤- ظاهرة التكفير، الأمين الحاج محمد أحمد، مكتبة دار المطبوعات الحديث، جدة، السعودية، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ -١٩٩٢ م.

٣٩٥- الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف، : د/ يوسف القرضاوي ـ كتاب الأمة (٢) الطبعة الرابعة، ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.

٣٩٦- مصباح الظلام في الرد علي من كذب على الشيخ الإمام : عبد اللطيف ابن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ـ دار الهداية ـ الرياض .

٣٩٧- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور، الطبعة الثانية القاهرة ١٤٠٢هـ .

٣٩٨- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، تأليف، أحمد بن محمد المقري الفيومي، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان .

٣٩٩- القاموس المحيط، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، المؤسسة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان .

٤٠٠- مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس، تحقيق : عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.

٤٠١- الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة للحافظ قوام السنة أبي القاسم إسماعيل الأصبهاني، د/ محمد ربيع مدخلي، ومحمد بن محمود أبو رحيم، دار الراية، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.

٤٠٢- اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، لفخر الدين الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ١٤٠٢هـ.

٤٠٣- الرواة الذين تأثروا بابن سبأ د/ سعدي الهاشمي، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

٤٠٤- الصارم المسلول على شاتم الرسول، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق : محيي الدين عبد الحميد، عالم الكتب، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

٤٠٥- الكشاف للزمخشري، جار الله محمود الزمخشري، دار المعرفة، بيروت.

٤٠٦- تاج العروس من جواهر القاموس محمد مرتضى الزبيدي، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان .

٤٠٧- آية التطهير وعلاقتها بعصمة الأئمة، عبد الهادي الحسيني .

٤٠٨- تفسير البغوي، المسمى معالم التنزيل، لأبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي الشافعي، تحقيق : خالد عبد الرحمن العك، ومروان سوار، دار المعرفة بيروت.

٤٠٩- الحجج الدامغة لنقض كتاب المراجعات، أبو مريم بن محمد الأعظمي .

٤١٠- تيسير العزيز الحميد لشرح كتاب التوحيد، للشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، مكتبة الرياض الحديثة .

٤١١- الرسالة التدمرية لابن تيمية، تحقيق : زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية ١٣٩١هـ .

٤١٢- الشفا بتعريف حقوق المصطفى، لأبي الفضل عياض بن موسى اليحصبي الأندلسي، مطبعة البابي الحلبي، الطبعة الأخيرة ١٣٦٩هـ - ١٩٥٠م.

٤١٣- المنحة الإلهية في تهذيب الطحاوية، عبد الآخر حماد الغنيمي، دار الصحابة، بيروت، الطبعة الثالثة، جمادى الثانية، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

٤١٤- الملل والنحل، لأبي الفتح محمد عبد الكريم الشهرستاني، تحقيق : الأستاذ / أحمد فهمي محمد، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ.

٤١٥- مختصر تفسير القرآن العظيم المسمى عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير، اختصار وتحقيق : أحمد شاكر، دار طيبة، دار الوفاء، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

٤١٦- روايات تاريخ الصحابة في ميزان الجرح والتعديل د/ عبد العزيز صغير دخان، طبعة أولى ١٩٩٨م، الشوكاني باليمن .

٤١٧- اليهود في السنة المطهرة، عبد الله الشقاري، دار طيبة، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

٤١٨- المروي عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في التفسير من سورة المائدة إلى سورة الناس، رسالة ماجستير جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، للطالب فهد عبد العزيز إبراهيم الفاضل، لم تطبع .

٤١٩- خلافة علي بن أبي طالب، رتبه وهذبه د/ محمد بن صامل السلمي، مستخرج من البداية والنهاية، دار الوطن، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

٤٢٠- وسطية أهل السنة بين الفرق د/ محمد با كريم، دار الراية، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

٤٢١- عقائد الثلاث والسبعين فرقة، لأبي محمد اليمني، تحقيق ودراسة : محمد عبد الله زربان الغامدي، مكتبة دار العلوم، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.

٤٢٢- العزلة والخلطة، أحكام وأحوال، سلمان بن فهد العودة، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

٤٢٣- أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، أحمد السيد يعقوب الرفاعي، دار الفضيلة، القاهرة، الطبعة الأولى .

٤٢٤- السلسلة الضعيفة، للألباني، مكتبة المعارف الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

٤٢٥- زاد المعاد، ابن القيم، تحقيق : شعيب الأرناءوط وعبد القادر، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ، دار الرسالة .

٤٢٦- فقه السيرة النبوية، محمد سعيد رمضان، الطبعة الحادية عشرة ١٩٩١م، دار الفكر، دمشق، سوريا .

٤٢٧- فصول من السيرة النبوية، عبد المنعم السيد .

٤٢٨- هجرة الرسول وصحابته في القرآن والسنة، أحمد عبد الغني الجمل، دار الوفاء، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

٤٢٩- السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، د/ مهدي رزق الله أحمد، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية .

٤٣٠- الخليفتان عثمان وعلي بين السنة والشيعة، أنور عيسى، لم تطبع .

٤٣١- مرويات غزوة الحديبية، حافظ الحكمي، دار ابن القيم، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ ١٩٩١م.

٤٣٢- القول المفيد على كتاب التوحيد، لمحمد صالح العثيمين، دار العاصمة، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.

٤٣٣- التاريخ السياسي د/ علي معطي، مؤسسة المعارف بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

٤٣٤- قراءة سياسية للسيرة النبوية، محمد قلعجي، دار النفائس، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، بيروت، لبنان .

٤٣٥- علي بن أبي طالب مستشار أمين للخلفاء الراشدين د/ محمد عمر الحاجي، دار الحافظ بدمشق، الطبعة الأولى ١٩٩٨م.

٤٣٦- زواج عمر بن الخطاب رضي الله عنه من أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب رضي الله عنهما، حقيقة وليس افتراء، تأليف أبي معاذ الإسماعيلي .

٤٣٧- عثمان بن عفان، صادق عرجون، الدار السعودية، الطبعة الثالثة ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

٤٣٨- مجلة البحوث الإسلامية، العدد العاشر .

٤٣٩- رياض النفوس للمالكي، أبو بكر عبد الله بن محمد المالكي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، طبعة عام ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٤٤٠- عثمان بن عفان الخليفة الشاكر الصابر، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.

٤٤١- ليس من الإسلام، محمد الغزالي، دار القلم، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

محتويات الجزء الثاني